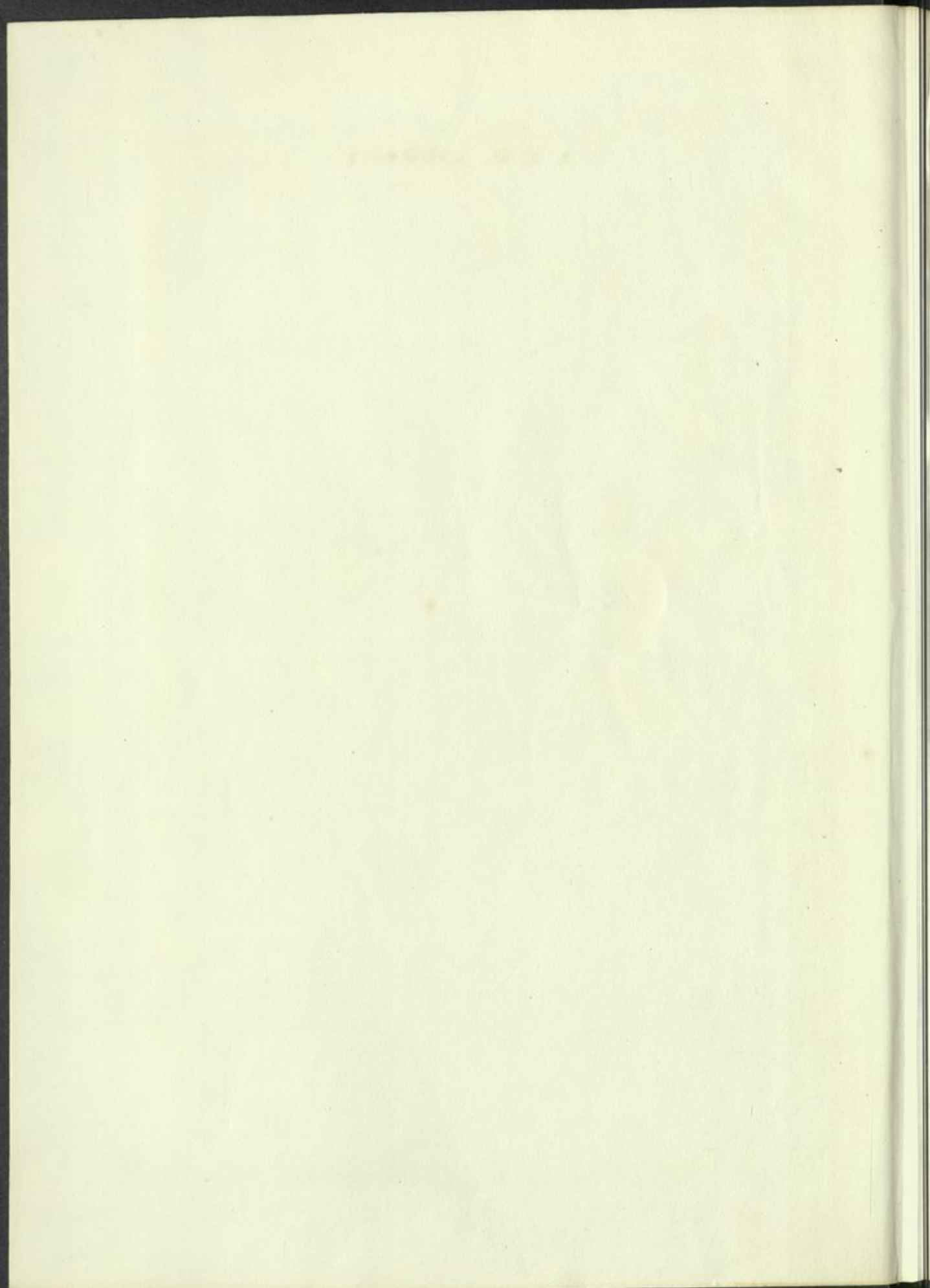
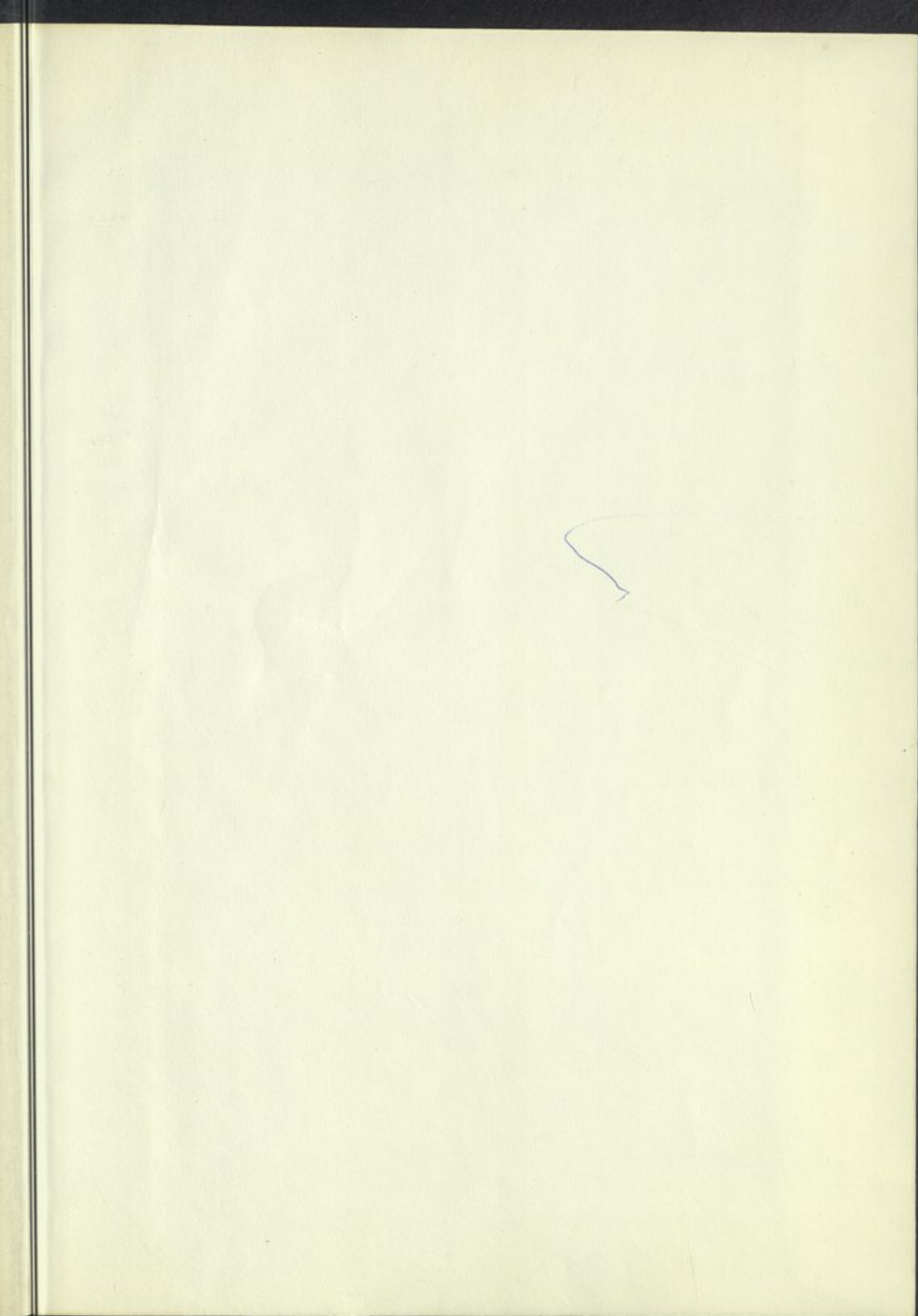


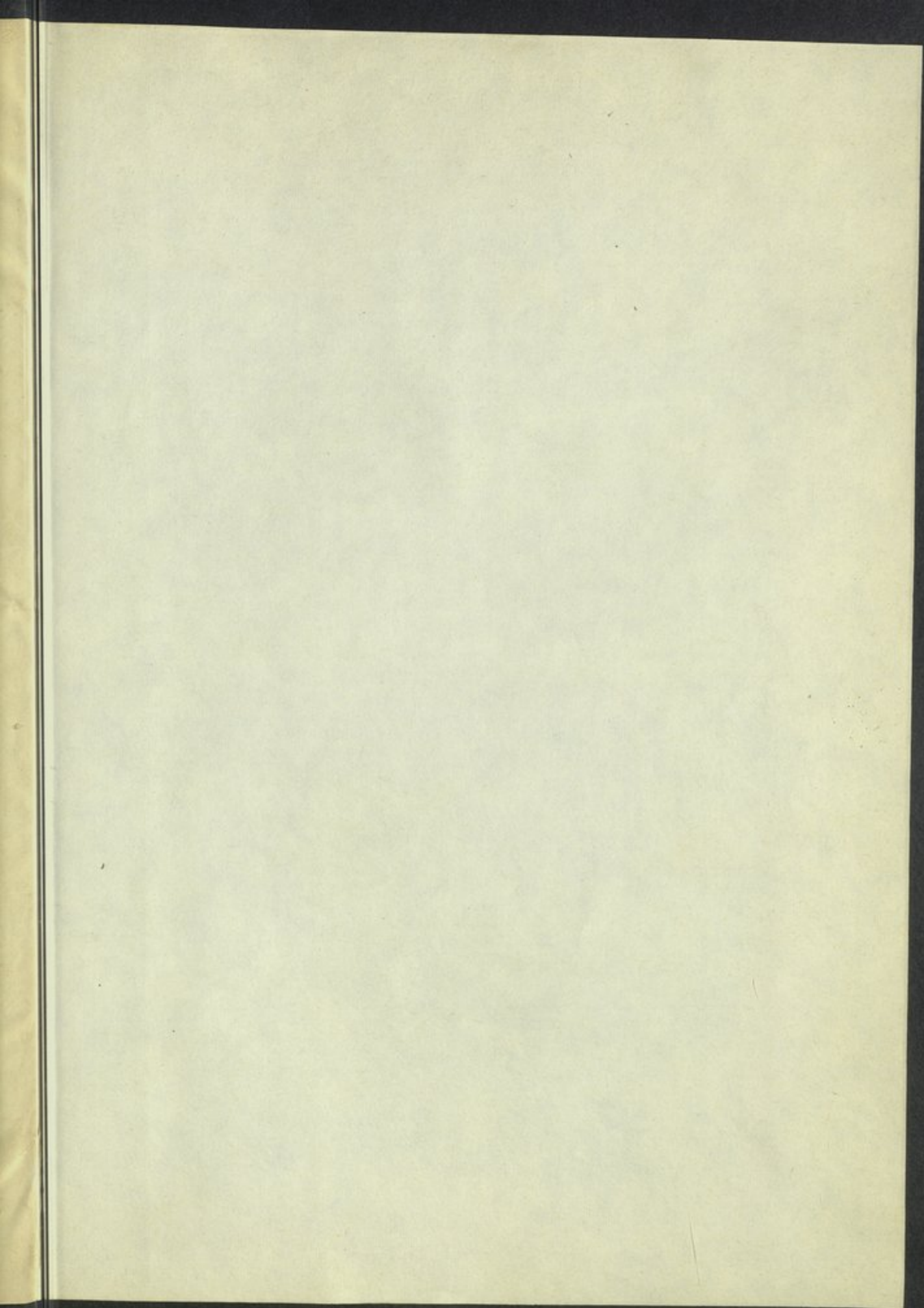
A. U. B. LIBRARY





THE HISTORY OF THE UNITED STATES

OF THE UNITED STATES OF AMERICA
FROM THE FIRST SETTLEMENTS TO THE PRESENT TIME
BY
JAMES M. SMITH
VOLUME I
THE EARLY PERIOD
FROM 1607 TO 1763
NEW YORK
PUBLISHED BY
JOHN WILEY & SONS
15 N. ASSATEZ ST.
1898



فهرس المسائل المهمة في الجزء الثاني من تفسير ابن كثير والبغوي

صحيفة	صحيفة
٣	فضل نبينا ونبيه عن تفضيله
٤	لا بيع يوم القيامة ولا خلة ولا شفاع
٥	فضائل آية الكرسي
٧	الروايات في رؤية بعض الصحابة للجن
٨	قراءة آية الكرسي تطرد الشياطين
٩	اشتمال آية الكرسي على اسم الله الاعظم
١٠	تفسير آية الكرسي واشتمالها على عشر
١١	روايات اسرائيلية بصيغة أحاديث نبوية
١٣	الاقوال في الكرسي وسعته
١٥	(لا اكره في الدين) وحرية الاعتقاد
١٧	العروة الوثقى
١٨	ولاية الله للمؤمنين والشيطان للكافرين
١٩	حاجة ملك بابل لابراهيم
٢٢	قصة الذي أمانه الله مائة عام
٢٣	« أرمياء مع بنى اسرائيل
٢٤	ما فعله بختنصر ببيت المقدس واليهود
٢٥	الاسرائيليات فيمن أهدت مائة عام
٢٦	« في امانة عزيز وحياته
٢٧	طلب ابراهيم اراءته احياء الموتى
٢٨	حديث : نحن أحق بالشك من ابراهيم
٣٠	الاسرائيليات في مسألة الاربعة من الطير
٣١	أرجى آيات القرآن
٣٢	مضاعفة النفقة في سبيل الله
٣٣	حظر اتباع الصدقة بالمال والاذى
٣٥	الرياء في النفقة
٣٦	مثل الاتفاق لمرضاة الله
٣٩	الاتفاق من الكسب الطيب والخبيث
٤٣	مراعاة مساواة الفقير للثني في الصدقة
٤٤	وعد الشيطان ووعد الله تعالى وأمره
٤٥	الحكمة وكونها خير ما يؤتى
٤٧	ابداء الصدقة واخفاؤها
٤٨	الهداية بالفعل والارشاد
٤٩	الصدقة لوجه الله على المؤمن والكافر والبر والفاجر
٥٠	الفقراء والمساكين الذين لا يسألون الناس إلحافا
٥١	النهي عن سؤال الاخلاف
٥٢	أحاديث تحريم السؤال
٥٤	الوعيد على أكل الربا
٥٧	ما يحرم فيه الربا بالنص والرأي
٥٩	ربا الفضل وربا التسيئة
٦١	محق الله الربا وارباؤه الصدقات
٦٤	المصر على الربا محارب لله ورسوله
٦٥	انظار المعسر أو التصديق عليه
٦٧	الدين وحسن قضائه وتشديد أمره
٦٨	مطل الثني
٦٩	آخر ما نزل من القرآن
٧٠	آية الدين وكتابته والاشهاد عليه
٧١	السلم والرهن
٧٤	شهادة الرجلين والرجل مع المرأتين وحكمة
٧٦	الحث على كتابة الحقوق صغيرها وكبيرها
٧٧	النهي عن اضرار الكاتب والشاهد
٧٨	الرهن والامانة
٧٩	الحساب على ما يبدو وما يخفى
٨٠	تكليف ما في الوسع دون ما لا يطاق
٨١	نسخ عموم مفهوم المؤاخذة بما في النفس
٨٣	مضاعفة الحسنات دون السيئات
٨٥	خاتمة سورة المقرة
٩٢	سورة آل عمران ووفد نجران
٩٣	تصديق كتب الانبياء للقرآن وتصديقه لها
٩٦	الحكمات والمنتشاهات
٩٧	اتباع الزائعين للمتشابه
٩٨	تفسير وما يعلم تأويله الا الله
١٠٢	الزيف وتقلب القلوب
١٠٤	عدم انتفاع الكفار بأموالهم وأولادهم في الآخرة
١٠٦	انتصار المسلمين في بدر
١٠٨	تزيين حب الشهوات للناس
١١٢	صفات المتقين
١١٣	شهادة الله بوحدايته
١١٥	الدين عند الله هو الاسلام

٢٦٩	١٩٧	رسالة محمد لجميع الخلق
٢٧٤	١٩٩	مالك الملك يؤتية من يشاء
٢٧٥	٢٠٠	النهي عن موالاة الكافرين دون المؤمنين
٢٧٦	٢٠٢	الاقوال في التقيسة
٢٧٨	٢٠٣	آية حب العبد للرب والرب للعبد
٢٨٠	٢٠٤	اصطفاه الله آدم ونوح وآل ابراهيم وآل عمران
٢٨١	٢٠٥	ولادة مريم ونذرها لله وإنباته إياها
٢٨٤	٢٠٨	خبر زكريا ويحيى
٢٨٥	٢٠٩	قصة مريم وعيسى في ولادته ونشأته
٢٨٨	٢١١	الحواريون
٢٨٩	٢١٢	مكر اليهود بعيسى
٢٩٠	٢١٣	مسألة توفي عيسى ورفعته
٢٩١	٢١٤	نزول عيسى في آخر الزمان
٢٩٢	٢١٥	آية المباهلة
٢٩٣	٢١٦	قصة وفد نجران
٢٩٤	٢١٧	آية دعوة أهل الكتاب الى الاسلام
٢٩٥	٢١٨	كتاب النبي (ص) الى هرقل
٢٩٦	٢١٩	أولى الناس بابراهيم محمد وأمتيه
٢٩٧	٢٢٠	الامانة والخيانة في أهل الكتاب
٢٩٨	٢٢١	استحلال اليهود أكل الاموال بالباطل
٢٩٩	٢٢٢	النمين الغموس
٣٠٠	٢٢٣	بيان من يبعضهم الله
٣٠١	٢٢٤	افتراء اليهود على كتب الله
٣٠٢	٢٢٥	أخذ الميثاق على النبيين اذا جاءهم محمد أن يتبعوه
٣٠٣	٢٢٦	وينصروه
٣٠٤	٢٢٧	الاحاديث في وجوب اتباع خاتم الرسل
٣٠٥	٢٢٨	قبول توبة المرتد
٣٠٦	٢٢٩	الموت على الكفر لا ينفع معه شيء في الآخرة
٣٠٧	٢٣٠	نيل البر باتفاق المحبوب
٣٠٨	٢٣١	﴿أول الجزء الرابع﴾
٣٠٩	٢٣٢	حل الطعام لبنى اسرائيل الا ما حرمه على نفسه
٣١٠	٢٣٣	أول بيت وضع للعبادة الكعبة في مكة
٣١١	٢٣٤	مقام ابراهيم
٣١٢	٢٣٥	حرمة مكة والاحاديث فيها
٣١٣	٢٣٦	تفسير (ومن دخله كان آمنا)
٣١٤	٢٣٧	فريضة الحج والعمرة بشرطهما
٣١٥	٢٣٨	الكفر بمجود الحج واستحلال تركه
٣١٦	٢٣٩	النهي عن طاعة أهل الكتاب
٣١٧	٢٤٠	الامر بتقوى الله حق تقاته
٣١٨	٢٤١	حسن الظن بالله والاعتصام بحبله
٣١٩	٢٤٢	افتراق الامة . النهي عنه واخوة المؤمنين
٣٢٠	٢٤٣	تعادي الاوس والخزرج قبل الاسلام وخبر اسلامهم
٣٢١	٢٤٤	بيعة العقبة الاولى بين النبي (ص) وتقباء المدينة وانتشار الاسلام في المدينة
٣٢٢	٢٤٥	بدء هجرة المسلمين من مكة
٣٢٣	٢٤٦	الامر بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٢٤	٢٤٧	النهي عن التفرق والاختلاف والوعيد عليه
٣٢٥	٢٤٨	نفي ارادة الله للظلم
٣٢٦	٢٤٩	أمة محمد خير الامم
٣٢٧	٢٥٠	الذين يدخلون الجنة بغير حساب
٣٢٨	٢٥١	الاحاديث في فضل أمة محمد (ص)
٣٢٩	٢٥٢	ضرب الذلة على اليهود
٣٣٠	٢٥٣	نهي المؤمنين عن اتخاذ بطانة من غيرهم
٣٣١	٢٥٤	بغض الكفار والمنافقين للاسلام والمسلمين
٣٣٢	٢٥٥	غزوة أحد
٣٣٣	٢٥٦	آية الله في نصر المسلمين يوم بدر
٣٣٤	٢٥٧	الربا المضاعف
٣٣٥	٢٥٨	الترغيب في كثرة الاتفاق
٣٣٦	٢٥٩	الاحاديث في الغضب وكظم الغيظ
٣٣٧	٢٦٠	فضيلة التوبة والاستغفار
٣٣٨	٢٦١	استحباب الوضوء للتوبة
٣٣٩	٢٦٢	سنن الله في الامم
٣٤٠	٢٦٣	النهي عن الوهن والحزن
٣٤١	٢٦٤	مداولة الايام بين الناس
٣٤٢	٢٦٥	تمحيص المؤمنين ومحق الكافر بن
٣٤٣	٢٦٦	انهزام المسلمين يوم أحد
٣٤٤	٢٦٧	حظر اطاعة الكافرين والمنافقين
٣٤٥	٢٦٨	الخمس التي أعطيتها نبينا دون غيره و٤٧٠
٣٤٦	٢٦٩	الفشل والتنازع يوم أحد
٣٤٧	٢٧٠	قصيدة ابن الزبير في هزيمة أحد
٣٤٨	٢٧١	قتل النبي (ص) أبي بن خلف

٢٦٩	الروايات في جرح النبي يوم أحد	٣٤١	النهى عن تبدل الخميث بالطيب
٢٧٤	الفرق بين المؤمن والكافر	٣٤٣	تعدد الزوجات الى أربع فقط وشرطه
٢٧٥	اخلاق النبي التي نالقت القلوب	٣٤٧	تعليل الافتقار على زوج واحدة
٢٧٦	أمر النبي (ص) بالمشاورة وعمله بها تشريع	٣٤٨	تحريم صداق المرأة على الرجل بدون ضاها
٢٧٨	الغلول من الغنائم	٣٤٩	النهى عن اعطاء السهماء المال
٢٨٠	ما أمر به النبي عماله	٣٥١	بلوغ الرشد بم يكون ؟
٢٨١	أحاديث في الغلول وهدايا العمال	٣٥٢	الاستعفاف عن مال اليتيم والاكل منه بالمعروف
٢٨٤	منة الله على المؤمنين ببيعة عهده	٣٥٣	أحكام مال اليتيم ورشده
٢٨٥	جواب التعجب من هزيمة أحد	٣٥٦	الميراث والرضوخ للمساكين منه
٢٨٨	قصة أصحاب بئر معونة	٣٥٧	الوصية لاولي القرى
٢٨٩	حياة الشهداء وتمنيهم الرجوع الى الدنيا	٣٥٩	وعيد آكلي اموال اليتامى ظلما
	ليقتلوا ثانيا	٣٦١	آيات المواريث
٢٩٤	استبشار الشهداء بمن خلفهم	٣٦٥	قسمة »
٢٩٥	غزوة حمراء الاسد	٣٦٩	إرث الزوجين والكلالة
٢٩٧	» بدر الصغرى	٣٧١	» الاخوة والاخوات من الكلالة
٣٠٠	كلمة حسينا الله ونعم الوكيل	٣٧٢	المضاربة في الوصية
٣٠٤	امتحان الله المؤمنين لتمييز الخبيث من الطيب	٣٧٣	حدود الله ومن أطاعه فيها ومن عصاه
٣٠٥	البخل وسوء عاقبته	٣٧٤	عقوبة اللاتي يأتين الفاحشة
٣٠٨	اليهود اسنادهم الفقر الى الله والغنى الى أنفسهم	٣٧٥	حد الزنا
٣١٠	الموت وان لا بد لكل نفس منه	٣٧٦	عقوبة فاعلي الفاحشة
٣١٢	حقارة الدنيا بجانب الآخرة	٣٧٧	عقاب اللواط
٣١٦	ابن سلول وسبب كراهته الاسلام	٣٧٩	أحاديث التوبة قبل الموت
٣١٦	وعيد الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن	٣٨١	النهى عن عضل النساء
	يحمدوا بما لم يفعلوا	٣٨٢	إبطال ميراث نكاح نساء الاءاء و ٣٨٨
٣١٩	آيات الله في خلق السموات والارض	٣٨٥	عشرة النساء وهديه (ص) فيها
٣٢٠	الامر بذكر الله على كل حال	٣٨٦	التغالي في الصداق
٣٢١	عبادة التفكير في الخلق	٣٨٧	لا يسترد الصداق بعد الافضاء
٣٢٢	أدعية آخر ال عمران	٣٨٩	النساء المحرمات
٣٢٣	تهجد النبي (ص) ومقداره وبكاؤه في الصلاة	٣٩١	الرضاع المحرم للنكاح
	حين نزلت خواتم آل عمران	٣٩٢	التحريم بالمصاهرة
٣٢٦	النساء كالرجال في الثواب على الاعمال	٣٩٤	تحريم الربائب وحلائل الاءاء
٣٣١	الصبر والمصابرة والمرابطة	٣٩٥	» الاستمتاع بالمرأة و بنتها
٣٣٢	أحاديث الرباط في سبيل الله	٣٩٦	» الجمع بين الاختين
٣٣٩	» سورة النساء	٣٩٦	حرمة المعاهد
٣٤٠	الامر بالتقوى وصلة الارحام	٣٩٨	يحرم من ملك اليمين ما يحرم من النكاح

الجزء الخامس

٤٩٠	اداء الامانات والعدل في الحكم	٤٠١	نكاح المتعة
٤٩٤	طاعة أولي الامر والمراد بهم	٤٠٣	مقدار الصداق
٥٠١	طاعة الرسول وطاب الاستغفار منه	٤١٢	النهي عن أكل الاموال بالباطل وحل التجارة
٥٠٥	انطباع القلوب الرديئة على مخالفة الامر	٤١٣	» » قتل النفس
٥١٠	الامر بأخذ الحذر من العدو	٤١٤	عاقبة المنتحر
٥١٦	ما قدره الله واقع لا محالة	٤١٥	اجتناب الكبائر مكفر للصغائر
٥١٧	أبيات ابي بن زيد العبادي	٤١٦	أحاديث في عدد الكبائر
٥١٩	المصائب نائج المعاصي	٤٢٨	النهي عن تمنى ما للغير والحسد والغبطة
٥٢٢	القرآن يصدق بعضه ببعض	٤٣١	شرب الخمر واليمين الغموس
٥٢٤	وجوب الجهاد ولو بالنفس وحدها	٤٣٥	مصالح النساء منوطة بالرجال
٥٢٩	الفرق على عهد الرسول	٤٣٦	نشوز المرأة وما يلزم فيه
٥٣٢	تحريم قتل المؤمن الا باحدى ثلاث	٤٣٨	التحكيم بين الزوجين
٥٣٣	القتل الخطأ ودينه	٤٤٠	الامر بالاحسان لتسعة أصناف الوالدين
٥٣٧	» العمد وجزاؤه		وذو القرني والجار الخ
٥٣٩	تعاقب المقتول بالقاتل أمام الحق جل وعلا	٤٤٥	الامر بالرفق بالخدم
٥٤١	الا كثرون على قبول توبة القاتل	٤٤٦	ذم الاختيال والفخر
٥٥١	الجهاد وأقسامه	٤٤٧	» البخل والمحرصين عليه
٥٥٣	المهجرة وانهم من أقام مع المشركين وهو قادر عليها	٤٤٩	القصاص في الآخرة حتى على الذرة
٥٥٧	قصر الصلاة في السفر	٤٥٠	تخفيف عذاب الكافر بفعلة الخير
٥٦٢	صلاة الخوف	٤٥١	مجازاة الله على الحسنة الواحدة بالآلاف من الثواب
٥٧٢	حكم النبي باجتهاده ودليله	٤٥٣	عرض أعمال الأمة على النبي (ص) صباح مساء
٥٧٦	استخفاء الناس بقبائحهم من الناس دون الله	٤٥٤	تمنى الكفار أن يكونوا ترابا
٥٧٩	عظام جزاء من يهتم الأبرياء	٤٥٥	ختم الأفواه ونطق الجوارح في الآخرة
٥٨١	اصلاح ذات البين	٤٥٦	أسباب نزول (لا تقر بوا الصلاة وأنتم سكارى) ودعاء عمر في الخمر
٥٨٤	كل مولود يولد مملواً أبواه يبدلانه	٤٥٩	جواز مرور الجنب والخائض في المسجد
٥٨٦	ليس النجاسة في الآخرة بالتمني بل بالإيمان والعمل	٤٦١	التيمم للريض
٥٨٨	المصائب والاحزان كفارات للذنوب	٤٦٢	أدلة المختفين في معنى هلاسة النساء
٥٩١	احسان الله وكرمه للصالحين	٤٦٥	الوضوء من لمس المرأة والفرج
٥٩٢	سبب تسمية سيدنا ابراهيم بخليل الله	٤٦٨	كيفية التيمم
٥٩٤	عضل المرأة عن الزواج طمعا في مالها	٤٧١	سبب مشروعية التيمم
٥٩٧	تطبيق رسول الله سودة ثم مراجعته لها على شرط	٤٧٧	الظالم الذي يغفر والذي لا يغفر
٦٠٠	استحالة التساوي بين الأزواج من كل الوجوه	٤٧٨	المعاصي لا تمنع من دخول الجنة
٦٠٢	هوان العباد على الله اذا أضاعوا أمره	٤٧٩	الشرك وكونه هو الذي لا يغفر
٦٠٣	أمر الله بالعدل في المنشط والمكره	٤٨٢	النهي عن تركية النفس
٦٠٦	المرتد وأحواله		
٦٠٧	النهي عن مجالسة الأثمين وقت انهم		

297*207

I13EFA

V.2

C.1

الجزء الثاني

من تفسير الحافظ ابن كثير

وهو الامام الجليل الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل

ابن كثير القرشي الدمشقي

المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي في المعجم المختص: الامام المفتي المحدث البارع، فقيه متقن محدث متقن، ومفسر... وله تصانيف مفيدة. وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة انه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها بعد وفاته.



ويليه في أدنى الصحائف

معامل التنزيل

تفسير الامام البغوي المتوفى سنة ٥١٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية: الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب (بمجي السنة) من مصنفاته شرح السنة والمصابيح والتفسير المسمى معالم التنزيل... كان اماماً جليلاً ورعاً زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً بين العلم والعمل، سالكاً سبيل السلف. الختم ذكر انه كان يلقب بركن الدين ايضاً ونقل عن والده التقي السبكي انه قال في كتاب الرهن من تكملة شرح المذهب: اعلم أن صاحب التهذيب قل ان رأينا به يختار شيئاً الا واذا بحث عنه وجد اقوى من غيره هذا مع فلة كلامه، وهو يدل على نبيل كبير وهو حري بذلك فانه جامع لعلوم القرآن والسنة والفقه، رحمه الله ورحمنا

اذا صرنا الى ما صار اليه انتهى

38733

مطبعة المنار

بمصر سنة ١٣٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ المجلد الثاني من تفسير الحافظ ابن كثير ﴾

(٢٥٢) تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس. ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد *

يخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض كما قال تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً) وقال ههنا (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله) يعني موسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم وكذلك آدم كما ورد به الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه (ورفع بعضهم درجات) كما ثبت في حديث الاسراء حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عز وجل (فان قيل) فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: استب رجل من المسلمين ورجل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تفسير ناصر السنة البغوي ﴾

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ﴾ أي كلمه الله تعالى يعني موسى عليه السلام ﴿ ورفع بعضهم درجات ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وسلم قال الشيخ الامام: وما أوتي نبي آية الا أوتي نبينا مثل تلك الآية وفضل على غيره بآيات مثل انشقاق القمر بإشارته، وحزق الجذع على مفارقه، وتسليم الحجر والشجر عليه، وكلام البهائم والشهادة برسالاته، ونبع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تحصى. وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السماء والأرض عن الاتيان بمثله. أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الخلدني أخبرنا أبو العباس بن محمد بن اسحق الثقفني أنا قتيبة بن سعيد أنا الليث بن سعد عن سماعة

من اليهود فقال اليهودي في قسم يقسمه : لا والذي اصطفى موسى على العالمين ، فرفع المسلم يده فلفط بها وجه اليهودي فقال : أي خبيث ! وعلى محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فجاء اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى على المسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تفضلوني على الانبياء فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفرق فأجد مرسي باطشا بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور ؟ فلا تفضلوني على الانبياء » وفي رواية « لا تفضلوا بين الانبياء » فلجواب من وجوه (أحدها) ان هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل وفي هذا نظر (الثاني) ان هذا قاله من باب المضم والنواضع (الثالث) ان هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند الخصام والتشاجر (الرابع) لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصية (الخامس) ليس مقام التفضيل اليكم وانما هو الى الله عز وجل وعليكم الانقياد والتسليم له والابتن به

وقوله (وآتيناه عيسى بن مريم البينات) أي الحجج والدلائل القاطعات على صحة ما جاء به نبي اسرائيل به من أنه عبد الله ورسوله اليهم (وأيدناه بروح القدس) يعني ان الله أيده بمجهربل عليه السلام ثم قال تعالى (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا ابن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من نبي من الانبياء الا وقد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أو حاه الله تعالى الي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن سنان أخبرنا هشيم أنا سيار أنا يزيد الفقير أنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فإما رجل من امتي أدر كته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة » أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حيدر أنا اسماعيل بن جعفر أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « فضلت على الانبياء بست أوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون » قوله تعالى (وآتيناه عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم) أي من بعد الرسل « من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن » ثبت على إيمانه بفضل الله « ومنهم من كفر » بخذلانه « ولو شاء الله ما اقتتلوا » أعاده تأكيداً « ولكن الله يفعل ما يريد » يوفق من يشاء فضلا ، ويخزل من يشاء عدلا . سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر فقال : هو طريق مظلّم فلا تسلكه ، فأعاد السؤال

فمنهم من آمن ومنهم كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا أي كل ذلك عن قضاء الله وقدره ولهذا قال (ولكن الله يفعل ما يريد)

(٢٥٣) يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا يبيع فيه ولا خلة

ولا شفاعاة والكافرون هم الظالمون *

يأمر تعالى بالانفاق مما رزقهم في سبيله سبيل الخير ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم وما يبيعهم ولا يبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا (من قبل أن يأتي يوم) يعني يوم القيامة (لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعاة) أي لا يبيع أحد من نفسه ولا يفاذي بماله لو بذله ولو جاء بمثل الأرض ذهباً ولا تنفعه خلة أحد يعني صداقته بل ولا نسابته كما قال (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ولا شفاعاة أي ولا تنفعهم شفاعاة الشافعين

وقوله (والكافرون هم الظالمون) مبتدأ محصور في خبره أي ولا ظالم أظلم ممن وافي الله يومئذ كافراً وقد روى ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار أنه قال: الحد لله الذي قال (والكافرون هم الظالمون) ولم يقل والظالمون هم الكافرون

(٢٥٤) الله لا إله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما

في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه؟ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم * هذه آية الكرسي ولها شأن عظيم، قد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها أفضل

فقال: بحر عميق فلا تلجه فأعاد السؤال فقال: سر الله في الأرض قد خفي عليك فلا تفتشه

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم﴾ قال السدي: أراد به الزكاة المفروضة وقال غيره: أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير ﴿من قبل أن يأتي يوم لا يبيع فيه﴾ أي لا فداء فيه سمي يبعاً لأن الفداء شراء نفسه ﴿ولا خلة﴾ ولا صداقة ﴿ولا شفاعاة﴾ الا بإذن الله قرأ ابن كثير وأهل البصرة كلها بالنصب وكذلك في سورة إبراهيم (لا يبيع فيه ولا خلال) وفي سورة الطور (لا لغو فيها ولا تأثيم) وقرأ الآخرون كلها بالرفع والتنوين ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها

قوله عز وجل ﴿الله لا إله الا هو الحي القيوم﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليجي أخبرنا أبو منصور محمد بن سميان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزباني أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي شيبة أنا عبد الأعلى عن الجريري عن أبي السليل عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا المنذر أي آية من»

آية في كتاب الله قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عن سعيد الجريري عن أبي السليل عن عبد الله بن رباح عن أبي هو ابن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل « أي آية في كتاب الله أعظم » قال الله : ورسوله أعلم فرددها مراراً ثم قال أبي : آية الكرسي قال « ليهنك العلم أبا المنذر والذي نفسي بيده أن لها اسماً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش » وقد رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن الجريري به وليس عنده زيادة والذي نفسي بيده الخ (حديث آخر) عن أبي أيضاً في فضل آية الكرسي قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا احمد بن ابراهيم الدوقى حدثنا ميسرة عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن عبيدة بن أبي لبابة عن عبد الله بن أبي بن كعب أن أباه أخبره أنه أكل لهجرن فيه تمر قل فكان أبي يتعاهده فوجده يذمه قل فخرسه ذات ليلة فإذا هو بداية شبيه الغلام المحتلم قال : فسلمت عليه فرد السلام قال : فقلت ما أنت ؟ جني أم انسي ؟ قال : جني قل : قلت ناولني يدك قال فناولني يده فإذا به كلب وشعر كلب فقلت هكذا خلق الجن قال ؟ لقد علمت الجن ما فيهم أشد مني ، قلت فما حملك على ما صرت ؟ قال بلغني أنك رجل تحب الصدقة فأحببنا أن نصيب من طعامك قل فقال له أبي فما الذي يجبرنا منك ؟ قل : هذه الآية الكرسي ثم عدا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم « صدق الحديث » وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي داود الطيالسي عن حرب بن شداد عن يحيى بن أبي كثير عن الحضرمي بن لاحق عن محمد بن عمرو بن أبي بن كعب عن جده به وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه (طريق أخرى) قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عثمان بن عتاب قال سمعت أبا السليل قال كان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحدث الناس حتى يكثروا عليه فيصعد على سطح بيت فيحدث الناس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي آية في القرآن أعظم » فقال رجل (الله لا اله الا هو الحي القيوم) قال فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين يدي أو قال فوضع يده بين ثديي فوجدت بردها بين كتاب الله أعظم » قالت (الله لا اله الا هو الحي القيوم) قال فضرب في صدري ثم قال « ليهنك العلم يا أبا المنذر » ثم قال « والذي نفسي بيده أن لهذه الآية اسماً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف عن محمد بن اسماعيل قال عثمان بن الهيثم أبو عمر وأخبرنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحشو من الطعام فأخذه فقلت : لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اني محتاج ولي عيال وبني حاجة شديدة قال : فخليت سبيله فأسبحت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ » قلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال إنا إن قلدك كذبتك وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصدته فجاء يحشو

كنتني وقال لبيك العلم يا ذا المنذر - (حديث آخر) من الاسقع البكري قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو يزيد القراطيسي حدثنا يعقوب بن أبي عباد المكي حدثنا مسلم بن خالد عن ابن جريج أخبرني عمر بن عطاء أن مولى بن الاسقع رجل صدق أخبره عن الاسقع البكري أنه سمعه يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجر بن فساءه انسان: أي آية في القرآن أعظم؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم (الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) حتى انقضت الآية (حديث آخر) عن انس - قال الامام احمد: حدثنا عبد الله بن الحارث حدثني سلمة بن وردان أن أنس بن مالك حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل رجلاً من صحابته فقال «أي فلان هل تزوجت؟» قال: لا وليس عندي ما أتزوج به قال «أوليس معك؟» قال هو الله أحد؟ قال بلى قال «ربيع القرآن» قال «أليس معك قل يا أيها الكافرون؟» قال «بلى قال ربيع القرآن» قال «أليس معك اذا زلزلت؟» قال بلى قال «ربيع القرآن» قال «أليس معك اذا جاء نصر الله؟» قال بلى قال «ربيع القرآن» قال «أليس معك آية الكرسي (الله لا اله الا هو)؟» قال بلى قال «ربيع القرآن»

«١» حديث أبي نذر
هذا عنه ابن الجوزي
في الموضوعات
وحقق السيوطي أنه
ضعيف وقد انتقدوا
على ابن حبان أخرجه
في صحيحه

(حديث آخر) (١) عن أبي ذر جندب بن جنادة قال الامام احمد: حدثنا وكيم بن الجراح حدثنا المسعودي أنبأني أبو عمر الدمشقي عن عبيد بن الحشاخ عن أبيه ذر رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فجلست فقال «يا أبا ذر هل صليت؟» قلت لا قال «قم فصل» قال فقامت فصليت ثم جلست فقال «يا أبا ذر تهوذا بالله من شر شياطين الانس والجن» قال قلت يا رسول الله أول الانس شياطين؟ قال: نعم قال قلت يا رسول الله الصلاة قال «خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر» قال قلت يا رسول الله فادوم؟ قال «فرض مجزئ» وعند الله زيد» قلت يا رسول الله فالصدقة؟ قال «أضامف مضاعفة» قلت يا رسول الله فأبداً أفضل؟ قال «عهد من مقل أو سر» الى فقير» قلت يا رسول الله أي الانبياء كان أول؟ قال «آدم» قلت يا رسول الله ربي كان؟ قال «نعم نبي مكلم» قلت يا رسول الله كم المرسلون؟ قال «ثلاثمائة وبضعة عشر جماعة غير أن» وقال مرة «وخمسة عشر» قلت يا رسول الله أي ما أنزل عليك أعظم؟ قال «آية الكرسي (الله لا اله الا هو الحي القيوم)» وواه النسائي (حديث آخر) عن أبي ايوب خالد بن زيد الانصاري رضي الله عنه وأرضاه قال الامام احمد: حدثنا سفیان عن ابن أبي ليلى عن أخيه عبيد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي ايوب أنه كان في شهوة من الطعام فأخذته فقلت: لا رفعتك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: دعني فاني محتاج ولي عيال ولا أعود، فرحمته فخلت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة» قلت يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيلاً فرحمته وخلت سبيله قال «أما أنه قد كذبك وسيعود» فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لا رفعتك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه آخر ثلاث مرات انك تزعم لانهود ثم تعود قال: دعني أعملك كلمات ينفعك الله بها قلت: ما هي؟ قال: اذا أويت الى فراشك فافرا آية الكرسي (الله لا اله الا هو الحي القيوم) حتى تحتم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخلت سبيله

له وكانت الغول نجبي فتأخذ فشكها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « فاذا رأيته فقل بسم الله أجيبني رسول الله قل فجاءت فقل لها فأخذها فقالت اني لا أعود فأرسلها فجاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل أسيرك قال أخذتها فقالت اني لا أعود فأرسلتها فقال انها عائدة فأخذتها مرتين أو ثلاثا كل ذلك تقول لا أعود وأجىء الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول ما فعل أسيرك فأقول أخذتها فتقول لا أعود فيقول انها عائدة فأخذتها فقالت أرسلني وأعلمك شيئا تقول فلا يقر بك شيء آية الكرسي . فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال « صدقت وهي كذوب » ورواه الترمذي في فضائل القرآن عن بندار عن أبي احمد الزبيري به وقال حسن غريب والنفوس في لغة العرب الجان اذا تبدى في الليل وقد ذكر البخاري هذه القصة عن أبي هريرة فقال في كتاب فضائل القرآن وفي كتاب الوكالة وفي صفة ابليس من صحيحه : قال عثمان بن الهيثم أبو عمرو حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال وكاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعني فاني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال خليت عنه فأصبحت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة « ما فعل أسيرك البارحة » قال قلت يا رسول الله شكنا حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت سبيله قال « أما انه قد كذبتك وسيعود » فمرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعني فاني محتاج وعلي عيال لا أعود . فرحمته وخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة « ما فعل أسيرك البارحة » قلت يا رسول الله شكنا حاجة وعيالا فرحمته وخليت سبيله قال « أما انه قد كذبتك وسيعود » فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود فقال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت وما هي قال اذا أويت الى فراشك فاقرا آية الكرسي (الله لا اله الا هو الحي القيوم) حتى تختم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخلت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما فعل أسيرك البارحة » قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخلت سبيله قال ما هي قال قال لي اذا أويت الى فراشك فاقرا آية الكرسي من اولها حتى تختم الآية (الله لا اله الا هو الحي القيوم) وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا احرص شيء على الخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اما انه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة قلت لا قال ذاك شيطان » فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما فعل أسيرك البارحة » قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخلت سبيله قال : وما هي قلت : قال لي اذا أويت الى فراشك فاقرا آية الكرسي من اولها حتى تختم الآية (الله لا اله الا هو الحي القيوم) وقال : لن يزال عليك

رواه الترمذي في فضائل القرآن
عن بندار عن أبي احمد الزبيري به
وقال حسن غريب والنفوس في لغة العرب
الجان اذا تبدى في الليل
وقد ذكر البخاري هذه القصة
عن أبي هريرة فقال في كتاب
فضائل القرآن وفي كتاب
الوكالة وفي صفة ابليس
من صحيحه : قال عثمان بن
الهيثم أبو عمرو حدثنا
عوف عن محمد بن سيرين
عن أبي هريرة قال وكاني
رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحفظ زكاة رمضان
فأتاني آت فجعل يحثو من
الطعام فأخذته وقلت
لارفعنك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
دعني فاني محتاج وعلي
عيال ولي حاجة شديدة
قال خليت عنه فأصبحت
فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا أبا هريرة « ما
فعل أسيرك البارحة »
قال قلت يا رسول الله
شكنا حاجة شديدة
وعيالا فرحمته وخليت
سبيله قال « أما انه قد
كذبتك وسيعود »
فمرفت أنه سيعود
لقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه
سيعود فرصدته فجاء
يحثو من الطعام
فأخذته فقلت لا
أرفعنك الى رسول
الله صلى الله عليه
وسلم قال دعني
فاني محتاج وعلي
عيال لا أعود .
فرحمته وخليت
سبيله فأصبحت
فقال لي رسول
الله صلى الله
عليه وسلم يا
أبا هريرة « ما
فعل أسيرك
البارحة »
قلت يا رسول
الله شكنا
حاجة وعيالا
فرحمته وخليت
سبيله قال «
أما انه قد
كذبتك وسيعود
» فرصدته
الثالثة فجاء
يحثو من
الطعام
فأخذته
فقلت لا
أرفعنك
الى رسول
الله صلى
الله عليه
وسلم
وهذا آخر
ثلاث
مرات أنك
تزعم أنك
لا تعود
ثم تعود
فقال :
دعني
أعلمك
كلمات
ينفعك
الله
بها
قلت
وما هي
قال
اذا
أويت
الى
فراشك
فاقرأ
آية
الكرسي
(الله
لا اله
الا هو
الحي
القيوم)
حتى
تختم
الآية
فانك
لن
يزال
عليك
من
الله
حافظ
ولا
يقربك
شيطان
حتى
تصبح
فخلت
سبيله
فأصبحت
فقال
لي
رسول
الله
صلى
الله
عليه
وسلم
« ما
فعل
أسيرك
البارحة
»
قلت
يا
رسول
الله
زعم
أنه
يعلمني
كلمات
ينفعني
الله
بها
فخلت
سبيله
قال
ما
هي
قال
قال
لي
اذا
أويت
الى
فراشك
فاقرأ
آية
الكرسي
من
اولها
حتى
تختم
الآية
(الله
لا اله
الا هو
الحي
القيوم)
وقال
لي
لن
يزال
عليك

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان للجن والنفوس

«١» يعني قول البخاري: قال عثمان ابن الهيثم الخ دون حدثنا عثمان ولا يقول ذلك الا لعله قال ابن العربي في العلة هنا انها الاقطاع يعني انه يسمع ذلك منه

كذروا البخاري معلقا بصيغة الجزم (١) وقد رواه النسائي في اليوم واليلة عن ابراهيم بن يعقوب عن عثمان بن الهيثم فذكره - وقد روي من وجه آخر عن ابي هريرة بسياق آخر قريب من هذا فقال الحافظ ابو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا محمد بن عبد الله بن عمرو بن الصغار حدثنا احمد بن زهير بن حرب انبأنا مسلم بن ابراهيم انبأنا اسماعيل بن مسلم العبدى انبأنا ابو المتوكل الناجي ان ابراهيم كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فوجد التمر قد اخذ منه مل كف ودخل يوما آخر فاذا قد اخذ منه مل كف ثم دخل يرم آخر ثالثا فاذا قد اخذ منه مثل ذلك فشكى ذلك ابو هريرة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «تحب ان تأخذ صاحبك هذا» قال نعم قال «فاذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك محمد» فذهب ففتح الباب فقال سبحان من سخرك محمد فاذا هو قائم بين يديه قال يا عدو الله انت صاحب هذا؟ قال نعم دعني فاني لا اعود ما كنت اخذها الا لاهل بيت من الجن فقراء فخلى عنه ثم عاد الثانية ثم عاد الثالثة فقلت اليس قد عاهدتني الا تعود؟ لا ادعك اليوم حتى اذهب بك الى النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تفعل فانك ان تدعني علمتك كلمات اذا انت قلتها لم يقر بك احد من الجن صغير ولا كبير ذكر ولا اثنى، قال له لتفعلن؟ قال نعم، قال ما هن قال (الله لا اله الا هو الحي القيوم) قرا آية الكرسي حتى ختمها فتركه فذهب فلم يمد فذكر ذلك ابو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «اما علمت ان ذلك كذلك» وقد رواه النسائي عن احمد بن محمد بن عبيد الله عن شعيب بن حرب عن اسماعيل بن مسلم عن ابي المتوكل عن ابي هريرة به وقد تقدم لابن بن كعب كائنة مثل هذه أيضا فهذه ثلاث وقائع

(قصة أخرى) قال ابو عبيد في كتاب الغريب: حدثنا ابو معاوية عن ابي عاصم الثقفي عن الشعبي عن عبد الله بن مسعود قال: خرج رجل من الانس فلقية رجل من الجن فقال: هل لك أن تصارعني فان صرعتني علمتك آية اذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان فصارعه؟ فصرعه فقال: اني اراك ضئيلا شخبثا كان ذراعيك ذراعا كلب أفهمك هذا أنتم أيها الجن كلكم أم أنت من بينهم؟ فقال اني بينهم لضليع فعاودني فصارعه فصرعه الانسي فقال: تقرأ آية الكرسي فانه لا يقرأها أحد اذا دخل بيته الا خرج الشيطان وله خبيخ كخبيخ الحمار فقيل لابن مسعود: أهو عمر؟ فقال: من عسي أن يكون الا عمر (١) قال ابو عبيد الضئيل النحيف الجسيم والخبيخ بالخاء المعجمة ويقال بالخاء المهملة الضراط (حديث آخر) عن ابي هريرة قال الحاكم ابو عبد الله في مستدركه حدثنا علي بن حشاد حدثنا بشر

(١) يعني من عسى أن يصرع الشيطان الا عمر

ابن موسى حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثني حكيم بن جبير الاسدي عن ابي صالح عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سورة البقرة فيها آية سيد آي القرآن لا تقرأ في بيت فيه من الله حافظ ولا يقر بك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص الناس على الخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أما انه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليل يا أبا هريرة؟ قالت: لا قال «ذاك شيطان» أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزباني

شيطان الاخرج منه: آية الكرسي» وكذا رواه من طريق آخر عن زائدة عن حكيم بن جبير ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه كذا قال وقد رواه الترمذي من حديث زائدة ولفظه «لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن: آية الكرسي» ثم قال غريب لا نعرفه الا من حديث حكيم بن جبير وقد تكلم فيه شعبة وضعفه (قات) وكذا ضعفه احمد ويحيى بن معين وغير واحد من الائمة وتركه ابن مهدي وكذبه السعدي

(حديث آخر) قال ابن مردويه: حدثنا عبد الباقي بن نافع اخبرنا عيسى بن محمد المروزي اخبرنا عمر بن محمد البخاري اخبرنا عيسى بن موسى غنجار عن عبد الله بن كيسان حدثنا يحيى اخبرنا يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب انه خرج ذات يوم الى الناس وهم سباطات فقال: اياكم يخبرني بأعظم آية في القرآن. فقال ابن مسعود على الخبر سقطت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أعظم آية في القرآن (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)

(حديث آخر) في اشتغالها على اسم الله الاعظم. قال الامام احمد: حدثنا محمد بن بكر أنبأنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هاتين الآيتين (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) والم الله لا إله إلا هو الحي القيوم ان فيهما اسم الله الاعظم» وكذا رواه أبو داود عن مسدد والترمذي عن علي بن خشرم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شبة ثلاثتهم عن عيسى بن يونس عن عبيد الله بن أبي زياد به. وقال الترمذي: حسن صحيح (حديث آخر) في معنى هذا عن أبي أمامة رضي الله عنه قال ابن مردويه: أخبرنا عبد الله بن نمير اخبرنا اسحق بن ابراهيم بن اسماعيل اخبرنا هشام بن عمار أنبأنا الوليد بن مسلم اخبرنا عبد الله بن العلاء بن زيد انه سمع القاسم بن عبد الرحمن يحدث عن أبي أمامة يرفعه قال: اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب في ثلاث سورة البقرة وآل عمران وطه. وقال هشام وهو ابن عمار خطيب دمشق: أما البقرة فالله لا إله إلا هو الحي القيوم، وفي آل عمران (الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وفي طه (وعنت الوجوه للحي القيوم) (حديث آخر) عن أبي أمامة في فضل قراءتها بعد الصلاة المكتوبة قال أبو بكر بن مردويه:

حدثنا محمد بن محمد بن محرز بن يناور الادمي اخبرنا جعفر بن محمد بن الحسن اخبرنا الحسن بن بشر بطرسوس اخبرنا محمد بن حمير اخبرنا محمد بن زياد عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة الا أن يموت. وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن الحسن بن بشر به وأخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث

أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى أخبرنا أبو معاوية عن عبد الرحمن بن أبي بكر هو المليك عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) حفظ في يومه ذلك حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي حفظ في ليلته تلك حتى يصبح»

محمد بن حمير وهو الحمصي من رجال البخاري أيضا فهو اسناد على شرط البخاري وقد زعم أبو الفرج بن الجوزي انه حديث موضوع والله أعلم . وقد روى ابن مردويه . من حديث علي والمنيرة ابن شعبة وجابر بن عبد الله نحو هذا الحديث ولكن في اسناد كل منهما ضعف . وقال ابن مردويه أيضا حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرئ اخبرنا يحيى بن رستويه المروزي اخبرنا زياد بن ابراهيم اخبرنا أبو حمزة السكري عن المنثي عن قتادة عن الحسن عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أوحى الله الى موسى بن عمران عليه السلام ان اقرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة فانه من يقرأها في دبر كل صلاة مكتوبة أجعل له قلب الشاكرين ولسان الذاكرين وثواب النبيين وأعمال الصديقين ولا يواظب على ذلك الا نبي أو صديق أو عبد امتحنت قلبه للإيمان أو أريد قتله في سبيل الله» وهذا حديث منكر جدا

(حديث آخر) في انها تحفظ من قرأها في أول النهار وأول الليل . قال أبو عيسى الترمذي : حدثنا يحيى بن المغيرة أبو سلمة الخزومي المديني اخبرنا ابن أبي فديك عن عبد الرحمن المليكي عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ : حم المؤمن الى (اليه المصير) وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح» ثم قال هذا حديث غريب وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة المليكي من قبل حفظه وقد ورد في فضلها أحاديث أخر تركناها اختصارا لعدم صحتها وضعف أسانيدنا كحديث علي في قراتها عند الحجامة انها تقوم مقام حجامتين وحديث أبي هريرة في كتابها في اليد اليسرى بالزعفران سبع مرات وتلحس للفظ وعدم النسيان أوردها ابن مردويه وغير ذلك .

﴿ وهذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة ﴾

فقوله (الله لا إله إلا هو) اخبار بأنه المنفرد بالالهية لجميع الخلائق (الحي القيوم) أي الحي في نفسه الذي لا يموت أبدا القيم لغيره ، وكان عمر يقرأ القيام فجميع الموجودات مفتقرة اليه وهو غني عنها ولا قوام لها بدون أمره كقوله (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره) وقوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) أي لا يمتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء لا يغييب عنه شيء ولا يخفي عليه خافية ومن تمام القومية انه لا يمتريه سنة ولا نوم فقوله (لا تأخذه) أي لا تغلبه سنة وهي الوسن والنماس ولهذا قال ولا

قوله عز وجل (الله) رفع بالابتداء وخبره في (لا إله الا هو الحي الباقي) الدائم على الابد وهو من له الحياة والحياة صفة الله تعالى (القيوم) قرأ عمر وابن مسعود القيام وقرأ علقمة القيم وكلها لغات بمعنى واحد . قل مجاهد (القيوم) القائم على كل شيء قال الكلبي : القائم على كل نفس وقيل هو القائم بالأمور . وقال أبو عبيدة الذي لا يزول ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ السنة النعاس وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان يقال منه وسن يسن وسنا وسنة والنوم هو الثقل المازيل للقوة

نوم لانه أقوى من السنة وفي الصحيح عن أبي موسى قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات فقال « ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل النهار قبل عمل الليل وعمل الليل قبل عمل النهار ، حجاب به النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه (١) . » وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) ان موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله عز وجل ؟ فأوحى الله تعالى الى الملائكة وأمرهم ان يؤدوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه ان يكسرها قال فجعل ينمس وهما في يده في كل يد واحدة قال فجعل ينمس وينبه وينمس حتى نمس نعسة فضرب احدهما بالآخرى فكسرها . قال معمر : انما هو مثل ضرب به الله عز وجل يقول فكذلك السموات والارض في يده . وهكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق فذكره وهو من أخبار بني اسرائيل وهو مما يعلم ان موسى عليه السلام لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله عز وجل وانه منزله عنه وأغرب من هذا كله الحديث الذي رواه ابن جرير : حدثنا اسحق بن أبي اسرائيل حدثنا هشام بن يوسف عن أمية بن شبل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر قال « وقع في نفس موسى هل ينام الله ؟ فأرسل اليه ملكا فأرسله ثلاثا ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره ان يحتفظ بهما . قال فجعل ينام وكادت يدها يلتقيان فيسنيقظ فيحبس احدهما على الاخرى حتى نام نومة فاعطت يدها فانكسرت القارورتان قال ضرب الله عز وجل مثلا ان الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والارض وهذا حديث غريب جدا والظاهر انه اسرائيلي لا مرفوع والله أعلم . وقال ابن حاتم حدثنا احمد بن القاسم بن عطية حدثنا احمد بن عبد الرحمن الدمشقي حدثني أبي عن أبيه حدثنا أشعث بن اسحق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سميد بن جبيرة عن ابن عباس ان بني اسرائيل قالوا : يا موسى هل ينام ربك ؟ قال اتفقوا الله فناداه ربه عز وجل يا موسى سألوكم هل ينام ربك فخذ زجاجتين في يديك فقم الليل ففعل موسى فلما ذهب من الليل ثلث نمس فوقع لركبتيه ثم انتمش فضبطهما حتى اذا كان آخر الليل نمس فسقطت الزجاجتان فانكسرتا فقال يا موسى لو كنت أنام لسقطت السموات والارض فهلكت والعقل . قال المفضل الضبي : السنة في الرأس والنوم في القلب فالسنة أول النوم وهو النعاس وقبل السنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء نفى الله تعالى عن نفسه النوم لانه آفة وهو منزلة عن الآفات ولانه نعيم ولا يجوز عليه التغير أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أخبرنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا علي بن حرب أخبرنا أبو معاوية أخبرنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال

(١) قالوا القسط
الميزان إذ به يقع العدل
والمراد وزن أعمال
العباد وازراقهم اذ كل
منها بقدر معلوم عنده
بمقتضى سنته في خلقه
وذكر النووي في
شرح مسلم أن الكلام
جاء بأسلوب التمثيل.
ثم قال بعد تفسير
الحجاب بالمانع من
رؤيته تعالى وكون
النور مانعا في العادة
منها اذا كان شعاعه
قويا وبعد تفسير
السبحات بضم السين
والباء بالنور والجلال
والبهاء : والتقدير
لو أزال المانع من
رؤيته وهو الحجاب
المسمى نور أو نار
- لأحرق جلال
ذاته جميع مخلوقاته اهـ

كما هلك الزجاجتان في يديك. فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم آية الكرسي .
وقوله (لهما في السموات وما في الأرض) اخبار بان الجميع عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه
كقوله (ان كل ما في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعددهم عدداً) وكلهم آتيه
يوم القيامة فرداً)

وقوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) كقوله (وكم من ملك في السموات لا تنفي شفاعتهم
شيئاً الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وكقوله (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وهذا من
عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل انه لا يتجاسر أحد على ان يشفع لاحد عنده الا باذنه له في الشفاعة
كما في حديث الشفاعة «آتي تحت العرش فأخبر ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني . ثم يقال ارفع
رأسك وقل تسمع واشفع تشفع (قال) فيحده لي حدا فأدخلهم الجنة »

وقوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) دليل على احاطة علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها
ومستقبلها كقوله اخبارا عن الملائكة (وما ننزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك
وما كان ربك نسيا)

وقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) أي لا يطلع أحد من علم الله على شيء الا بما أعلمه
الله عز وجل وأطلعهم عليه . ويحتمل ان يكون المراد لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته الا
بما أطلعهم الله عليه كقوله (ولا يحيطون به علماً)

وقوله (وسع كرسيه السموات والأرض) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا
ابن ادریس عن مطرف بن طريف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في
قوله (وسع كرسيه السموات والأرض) قال علمه وكذا رواه ابن جرير عن حديث عبد الله بن ادریس وهشيم
كلاهما عن مطرف بن طريف به . قال ابن أبي حاتم : وروى عن سعيد بن جبير مثله . ثم قال ابن جرير :
وقال آخرون الكرسي موضع القدمين ثم رواه عن أبي موسى والسدي والضحاك وسلم البطين . وقال شجاع بن
مخلد في تفسيره : اخبرنا أبو عاصم عن سفیان عن عمار الذهبي عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل (وسع كرسيه السموات والأرض) قال « كرسيه
موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره الا الله عز وجل » كذا أورد هذا الحديث الحافظ أبو بكر بن

« ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ولكنه يخفض القسط ويرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار
وعمل النهار قبل عمل الليل حجاب به النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من
خلقه » ورواه المسمودي عن عمرو بن مرة وقال : حجاب به النار (له ما في السموات وما في الأرض)
ملكها وخلقها (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) بأمره (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) قال
مجاهد وعطاء والسدي (ما بين أيديهم) من أمر الدنيا (وما خلفهم) من أمر الآخرة وقال الكلبي
(ما بين أيديهم) يعني الآخرة لانهم يقدمون عليهم (وما خلفهم) من الدنيا لانهم يخلفونها وراءه

مردويه من طريق شعجاع بن مخلد الفلاس فذكره وهو غلط ، وقد رواه وكيع في تفسيره حدثنا
سفيان عن عمار لذهبي عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : الكرسي موضع
القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره . وقد رواه الحاكم في مستدركه عن أبي النباش محمد بن احمد
المجوسي عن محمد بن معاذ عن أبي عاصم عن سفيان وهو الثوري باسناده عن ابن عباس موقوفا مثله
وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقد رواه ابن مردويه من طريق الحاكم بن ظهير
الغزاري الكوفي وهو متروك عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا ولا يصح أيضا . وقال
السدي عن أبي مالك : الكرسي تحت العرش : وقال السدي : السموات والارض في جوف الكرسي
والكرسي بين يدي العرش . وقال الضحاك عن ابن عباس : لو ان السموات السبع والارضين السبع
بسطن ثم وصلن بعضهن الى بعض ما كن في سعة الكرسي الا بمنزلة الحلقة في المغازة . ورواه ابن جرير
وابن أبي حاتم وقال ابن جرير : حدثني يونس أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد : حدثني أبي
قال قل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما السموات انسبع في الكرسي الا كدراهم سبعة أقيت
في ترس » قال وقال أبوذر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما الكرسي في العرش الا
كحلقة من حديد أقيت بين ظهرني وفلاة من الارض

وقال أبو بكر بن مردويه أخبرنا سليمان بن أحمد أخبرنا عبد الله بن وهيب المقرئ أخبرنا محمد
ابن أبي اليسري العسقلاني أخبرنا محمد بن عبد الله التميمي عن القاسم بن محمد الثقفني عن أبي ادريس
الحولاني عن أبي ذر الغفاري أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « والذي نفسي بيده ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا كحلقة ملقاة
بأرض فلاة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة » وقال الحافظ أبو يعلى
الموصلي في مسنده حدثنا زهير حدثنا ابن أبي بكر حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن
خليفة عن عمر رضي الله عنه قال : أتت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ادع الله أن

ظهورهم وقال ابن جرير : ما بين أيديهم ما مضى أمامهم وما خلفهم ما يكون بعدهم . وقال
مقاتل ما بين أيديهم ما كان قبل خلق الملائكة وما خلفهم أي ما كان بعد خلفهم وقبل : ما
بين أيديهم أي ما قدموه من خير وشر وما خلفهم ما هم قاعلوه « ولا يحيطون بشيء من علمه »
أي من علم الله « الا بما شاء » أن يطاهم عليه يعني لا يحيطون بشيء من علم الغيب الا بما شاء مما
أخبر به الرسل كما قال الله تعالى (فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول)

قوله تعالى « وسع كرسية السموات والارض » أي ملاء وأحاط به . واختلفوا في الكرسي فقال
الحسن : هو العرش نفسه وقال أبو هريرة رضي الله عنه : الكرسي موضوع أمام العرش ومعنى
قوله : وسع كرسية السموات والارض أي سعته مثل سعة السموات والارض وفي الاخبار أن
السموات والارض في جنب الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة ويزوي

يدخلني الجنة قال فعظم الرب تبارك وتعالى وقال «ان كرميه وسع السموات والارض وان له أطيطا كأطيط الرجل الجديد من ثقله» وقد رواه الحافظ البزار في مسنده المشهور وعبد بن حميد وابن جرير في تفسيريهما والطبراني وابن أبي عاصم في كتابي السنة لها والحافظ الضياء في كتابه المختار من حديث أبي اسحق السبيعي عن عبد الله بن خليفة وليس بذلك المشهور وفي سماعه من عمر بن الخطاب ثم منهم من يرويه عنه عن عمر موقوفا ومنهم من يرويه عن عمر مرسلا ومنهم من يزيد في مثله زيادة غريبة ومنهم من يحدفها. وأغرب من هذا حديث جابر بن مطعم في صفة العرش كما رواه أبو داود في كتابه السنة من سننه والله أعلم. وقد روى ابن مردويه وغيره أحاديث عن بريدة وجابر وغيرهما في وضع الكرسي يوم القيامة لفصل القضاء والظاهر أن ذلك غير المذكور في هذه الآية وقد زعم بعض المتكلمين على علم الهيئة من المسلمين أن الكرسي عندهم هو الفلك الثامن وهو فلك الثوابت الذي فوقه الفلك التاسع وهو الفلك الاثير ويقال له الاطلس وقد رد ذلك عليهم آخرون وروى ابن جرير من طريق جويهر عن الحسن البصري أنه كان يقول الكرسي هو العرش والصحيح أن الكرسي غير العرش والعرش أكبر منه كما دلت على ذلك الآثار والخبار وقد اعتمد ابن جرير على حديث عبد الله بن خليفة عن عمر في ذلك وعندني في صحته نظر والله أعلم

وقوله (ولا يؤده حفظهما) أي لا يثقله ولا يكثره حفظ السموات والارض ومن فيهما ومن بينهما بل ذلك سهل عليه يسير لديه وهو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على جميع الاشياء فلا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء والاشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة اليه محتاجة فقيرة، وهو الغني الحميد، الفعال لما يريد، الذي لا يستل عما يفعل وهم يستلون، وهو القاهر لكل شيء الحسيب على كل شيء، الرقيب العلي العظيم لا إله غيره ولا رب سواه، ف قوله وهو (الملي العظيم) كقوله (وهو الكبير المتعال) وهذه الآيات وما في معناها من لاخاديث الصحاح الاجود فيها طرقة السلف الصالح أمروها (١) كما جاءت من غير تكليف ولا تشبيه

عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن السموات السبع والارضين السبع في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس . وقال علي ومقاتل : كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والارضين السبع وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم في الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام ملك على صورة سيد البشر آدم عليه السلام وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو الثور وهو يسأل للانعام الرزق من السنة الى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل ، وملك على صورة سيد السباع وهو الاسد يسأل للسباع الرزق من السنة الى السنة ، وملك على صورة يد الطير وهو الذر يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة . وفي بعض الاخبار أن ما بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجبا من ظلمة وسبعين حجبا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا

١ وفي نسخة

الازهر : امرارها الخ والمعنى عدم تأويلها بأراء الناس بل تؤمن بها مع تنزيه الله تعالى عن الشبه بشيء من خلقه

(٢٥٥) لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله

فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم *

يقول تعالى (لا إكراه في الدين) أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الاسلام فانه بين واضح جلي دلالة وبراهينه لا يحتاج الى أن يكره أحد على الدخول فيه بل من هداه الله للاسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ومن اعى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فانه لا يفيد الدخول في الدين مكرها مقسورا وقد ذكرنا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الانصار وان كان حكمها عاما وقال ابن جرير : حدثنا ابن إسار حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الانصار فقالوا : لا ندع أبناءنا فأنزل الله عز وجل (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقد رواه أبو داود والنسائي جميعا عن بندار به ومن وجوه أخر عن شعبة به نحوه وقد رواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحيه عن حديث شعبة به وهكذا ذكر مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وغيرهم أنها نزلت في ذلك وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد الجرشي عن زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد عن ابن عباس قوله (لا إكراه في الدين) قال : نزلت في رجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال الحصيني كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلا مسلما فقل للنبي صلى الله عليه وسلم ألا أستكرهما فانهما قد آبيا الا النصرانية فأنزل الله فيه ذلك رواه ابن جرير وروى السدي نحوه ذلك وزاد وكانا قد انفصرا على أيدي تجار قدموا من الشام يحملون زبينا فلما عزمنا على الذهاب معهم أراد أبوهما أن يستكرهما وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث في آثارهما فنزلت هذه الآية وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عوف أخبرنا شريك عن أبي هلال عن أسبق قال : كنت في دينهم مملوكا

ذلك لا احترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أراد بالكرمي علمه وهو قول مجاهد ومنه قيل لصحيفة العلم كراسه وقيل كرسية ملكه وسلطانه والعرب تسمى الملك القديم كرسيا (ولا يؤده) أي لا يثقله ولا يشق عليه يقال : آذني الشيء أي أثقلني (حفظهما) أي حفظ السموات والارض (وهو العلي) الرفيع فوق خلقه والمنعالي عن الاشياء والانداد وقيل العلي بالملك والسلطة (العظيم) الكبير الذي لا شيء أعظم منه

قوله تعالى (لا إكراه في الدين) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : كانت المرأة من الانصار تكون مقلاة والمقلاة من النساء التي لا يعيش لها ولد وكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش ولدها جعلته في اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الانصار فأرادت الانصار استردادهم وقالوا هم أبناءنا وأخواننا فنزلت هذه

نصرانيا لعمر بن الخطاب فكان يعرض على الاسلام فأبى فيقول (لا اكراه في الدين) ويقول
 يا أسبق لو أسلمت لاستعنا بك على بعض أمور المسلمين وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء أن هذه
 محمولة على أهل الكتاب ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل اذا بدلوا الجزية وقال آخرون :
 بل هي منسوخة بآية القتال وانه يجب أن يدعى جميع الامم الى الدخول في الدين الخفيف دين
 الاسلام فان أبى أحد منهم الدخول ولم ينقد له أو يبدل الجزية قوتل حتى يقتل وهذا معنى الاكراه
 قال الله تعالى (استدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) وقال تعالى (يا أيها النبي
 جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من
 الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين) وفي الصحيح « عجب ربك من قوم يقادون
 الى الجنة في السلاسل » يعني الاسارى الذين يقدم بهم بلاد الاسلام في الوثاق والاعلال والقيود
 والاكبال ثم بعد ذلك يسلمون وتصلح أعمالهم وسرايرهم فيكونون من أهل الجنة. فأما الحديث الذي
 رواه الامام احمد حدثنا يحيى عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أسلم »
 قال أنى أجذنى كارها قال « وان كنت كارها » فانه ثلاثي صحيح ولكن ليس من هذا القبيل فانه
 لم يكرهه النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام بل دعاه اليه فأخبره أن نفسه ليست قابلة له بل هي
 كارها فقال له أسلم وان كنت كارها فان الله سيرزقك حسن النية والاخلاص

وقوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع
 عليم) أي من خلع الانداد والاثان وما يدعو اليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله
 ووحد الله فعبده وحده وشهد أن لا اله الا هو (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي فقد ثبت في
 أمره واستقام على الطريقة المثلى والضراط المستقيم قال أبو القاسم البغوي : حدثنا أبو روح البلدي
 حدثنا أبو الاحوص سلام بن سليم عن ابن اسحق عن حسان هو ابن قائد العيسبي قال : قال عمر
 رضي الله عنه ان الجبت السحر والطاغوت الشيطان وان الشجاعة والجبن غرائز تكون في الرجال

الآية (لا اكراه في الدين) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد خير أصحابكم فان اختاروكم
 فهم منكم وان اختاروهم فأجلوهم معهم » وقال مجاهد : كان ناس مسترضعين في اليهود من الاوس
 فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم باجلاء بني النضير قال الذين كانوا مسترضعين فيهم لنذهبن معهم
 ولندين بدينهم فنتعهم أهلهم فنزلت (لا اكراه في الدين) وقال مسروق : كان لرجل من الانصار
 من بني سالم بن عوف ابنان متنصران قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من
 النصراني يحملون الطمام فلزمهما أبوهما وقال : لا أدعكما حتى تسلما فتنخسا الى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فأنزل الله تعالى (لا اكراه في الدين)
 فغلب سبيلهما . وقال قتادة وعطاء : نزلت في أهل الكتاب اذا قبلوا الجزية وذلك أن العرب كانت
 أمة أمية لم يكن لهم كتاب فلم يقبل منهم الا الاسلام فلما أسلموا طوعا أو كرها أنزل الله تعالى (لا

يقاتل الشجاع عن لا يعرف ويفر الجبان من أمه وان كرم الرجل دينه وحسبه خلقه وان كان فارسيا أو نبطيا. وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث الثوري عن أبي اسحق عن حسان بن قاذ العباسي عن عمر فذكره ومعنى قوله في الطاغوت إنه الشيطان قوي جدا فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الاوثان والتحاكم اليها والاستنصار بها

وقوله (فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) أي فقد استمسك من الدين بأقوى سبب وشبه ذلك بالعروة القوية التي لا تنفصم هي في نفسها محكمة مبرمة قوية ور بطها قوي شديد ولهذا قال (فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) الآية قال مجاهد : العروة الوثقى يعني الايمان وقال السدي : هو الاسلام وقال سعيد بن جبير والضحاك يعني لا اله الا الله وعن أنس بن مالك العروة الوثقى القرآن وعن سالم بن أبي الجعد قال هو الحب في الله والبغض في الله وكل هذه الاقوال صحيحة ولا تنافي بينها وقال معاذ بن جبل في قوله (لا انفصام لها) دون دخول الجنة وقال مجاهد وسعيد بن جبير (فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) ثم قرأ (ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم) وقال الامام احمد : أنبأنا اسحق بن يوسف حدثنا ابن عوف عن محمد بن قيس ابن عبادة قال : كنت في المسجد فجاء رجل في وجهه أثر من خشوع فصلى ركعتين أوجز فيهما فقال القوم هذا رجل من أهل الجنة فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله فدخلت معه فحدثته فلما استأنس قالت له ان القوم لما دخلت المسجد قالوا كذا وكذا قال سبحان الله ما ينبغي لاحد يقول ما لا يعلم وسأحدثك لم : اني رأيت رؤيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه رأيت كأنني في روضة خضراء - قال ابن عون فذكر من خضرنها وسعتها - وفي وسطها عمود حديد أسفله في الارض وأعلاه في السماء في أعلاه عروة فليل لي اصعد عليه فقلت لا أستطيع فجاءني منصف - قال ابن عون هو الوصف - فرفع ثيابي من خلفي فقال اصعد فصعدت حتي أخذت بالعروة فقال استمسك بالعروة فاستيقظت وانها لفي يدي فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه فقال « أما الروضة فروضة الاسلام وأما العمود فعمود الاسلام وأما العروة فهي العروة الوثقى أنت على الاسلام حتي تموت » قال وهو عبد الله بن سلام أخرجه في الصحيحين من حديث عبد الله بن عون فقامت اليه (١) وأخرجه البخاري من وجه آخر عن محمد بن سيرين به

(طريق أخرى وسياق آخر) قال الامام احمد : أنبأنا حسن بن موسى وعثمان قالا أنبأنا حماد

اكره في الدين) فأمر بقتل أهل الكتاب الى أن يسلموا أو يقرؤا بالجزية فمن أعطى منهم الجزية لم يكره على الاسلام وقيل كان هذا في الابتداء قبل أن يؤمر بالقتال فصارت منسوخة بآية السيف وهو قول ابن مسعود رضي الله عنهما (قد تبين الرشد من الغي) أي الايمان من الكفر والحق من الباطل (فمن يكفر بالطاغوت) يعني بالشيطان وقيل كل ما عبد من دون الله تعالى فهو طاغوت

(٣ - تفسير ابن كثير والبغوي)

(١) هذه الجملة
المعتزلة ليست في
نسخة الازهر والله
أعلم باصلها

ابن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن المسيد بن رافع عن خرشة بن الحر قال : قدمت المدينة فجلست الى مشيخة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فجاء شيخ بتوكأ على عصا له فقال القوم : من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فليُنظر الى هذا . فقام خلف سارية فصلى ركعتين فقلت له : قل بعض القوم كذا وكذا فقال : الجنة لله يدخلها من يشاء . واني رأيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا كأن رجلا اتاني فقال انطلق فذهبت معه فساك بي منهجا عظيما فعرضت لي طريق عن يساري فأردت أن أسلكها فقال : انك لست من أهلها ثم عرضت لي طريق عن يميني فسلكتها حتى انتهت الى جبل زلق فأخذ بيدي فدحا بي فاذا أنا على ذروته فلم أنقار ولم أتمسك فاذا عمود حديد في ذروته حلقة من ذهب فأخذ بيدي فدحا بي (١) حتى أخذت بالعروة فقال : استمسك فقلت نعم فضرب العمود برجله فاستمسك بالعروة . فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « رأيت خيرا أما المنهج العظيم فالخشى وأما الطريق التي عرضت عن يسارك فطريق أهل النار ولست من أهلها وأما الطريق التي عرضت عن يمينك فطريق أهل الجنة وأما الجبل الزلق فمزل الشهاداء ، وأما العروة التي استمسكت بها فعروة الاسلام فاستمسك بها حتى تموت » قال فانما أرجو أن أكون من أهل الجنة . قال واذا هو عبد الله بن سلام وهكذا رواه النسائي عن احمد بن سليمان عن عفان وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن الحسن بن موسى الاشيب كلاهما عن حماد بن سلمة به نحوه وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الاعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة بن الحر الفزاري به .

(٢٥٦) الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور (٢٥٧) والذين كفروا أولياؤهم

الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٢) يخبر تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب الى نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير وان الكافرين انما وليهم الشيطان يزين (٣) لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات ويخرجونهم ويحيدون بهم عن طريق الحق الى الكفر وقيل كل ما يطغي الانسان فاعول من الطغيان زينت التوبة فيه بدلا من لام الفعل كقولهم حانوت وتابوت قالتا فيها مبديل من هاء التأنيث « ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » أي تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تأنيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل الى رضا الله تعالى « لا انفصام لها » لا انقطاع لها « والله سميع » لدعائك اباهم الى الاسلام « عليهم » بحرصك على ايمانهم

قوله تعالى « الله ولي الذين آمنوا » ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم وقيل متولى أمورهم لا يكلمهم الى غيره . وقال الحسن : ولي هدايتهم « يخرجهم من الظلمات الى النور » أي من الكفر الى الايمان قال الواقدى : كل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه الكفر والايمان غير التي في سورة

(١) لعلها دحاني
وفي نسخة
الازهر : دحى وقد
ورد دحاحوا بالواو
ودحيا بالياء ومعناه
الرمي والدرجة
كانوا يحفرون
ادحية ويقذفون
أو يدحرجون الجوز
أو الحجارة اليها
والمراد هنا انه دفعه
الى ذروة العمود
(٢) في جعل
هذه الآية آيتين
خلاف وقد جرى
العادة لهذا المصحف
على ذلك

(٣) وفي نسخة
الازهر : الشياطين
تزين الخ

والملك (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ولهذا وحد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات لان الحق واحد والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة كما قال (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) وقال تعالى (وجعل الظلمات والنور) وقال تعالى (عن اليمين وعن الشمال) اي غير ذلك من الآيات التي في لفظها شعار بفرد الحق وانتشار الباطل وتفرد تشبيهه وقال ابن أبي حاتم . حدثنا أبي حدثنا علي بن ميسرة حدثنا عبد العزيز بن أبي عثمان عن موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد قال يبعث أهل الاهواء أو قل تبعث أهل الفتن فمن كان هواه الايمان كانت فتنته بيضاء مضية ومن كان هواه الكفر كانت فتنته سوداء مظلمة ثم قرأ هذه الآية (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

(٢٥٨) ألم تر الى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك، اذ قال إبراهيم ربي الذي يحبني وبميت، قال أنا أحبي وأميت، قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر، والله لا يهدي الظالمين *

هذا الذي حاج إبراهيم في ربه هو ملك بابل نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وبنو نمروذ بن فالخ بن عابد بن شالخ بن أرغند بن سام بن نوح والاول قول مجاهد وغيره . قال مجاهد : وملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة : مؤمنان وكافران، المؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين

الانعام وجعل الظلمات والنور فالمراد منه الليل والنهار سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه . وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) قال مقاتل : يعني كعب بن الاشرف وحبي بن أخطب وسائر رؤس الضلالة (يخرجونهم من النور الى الظلمات) بدعوتهم من النور الى الظلمات والطاغوت يكون مذكرا ومؤنثا واحدا وجعا قال تعالى في المذكر والواحد (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) وقال في المؤنث (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) وقال في الجمع (يخرجونهم من النور الى الظلمات) فان قيل : كيف يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط ؟ قبل : هم اليهود وكانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث لما يجحدون في كتبهم من نعمته فلما بعث كفروا به وقيل : هو على العموم في حق جميع الكفار قالوا منهم اياهم من الدخول فيه اخراج كناية قول الرجل لا بيه أخرجنني من مالك ولم يكن فيه كما قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) ولم يكن قط في ملتهم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

قوله تعالى (ألم تر الى الذي حاج إبراهيم في ربه) معناه هل انتهى اليك يا محمد خبر الذي حاج إبراهيم أي خاصمه وجادل وهو نمروذ وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبهر في الارض

(١) وكذا قال
البغوي ولكن المصنف
أشار بقوله والله أعلم
الى عدم الثقة بهذا
القول فقصه ذي
القرنين لا تدل على
انه ملك جميع الارض
ولا ما بلغه من مطمح
الشمس ومغربها في
سياحته أيضا وما هو
كل الارض قطعا ،
وسليمان قد دعا ربه
أن يهبه ملكا لا ينبغي
لأحد من بعده وهذا
يصدق ما سخره الله
له مما ذكر في سورة
ص ولا يقتضي ملك
الارض وحدود ملكه
معروفة من تاريخ بني
اسرائيل . وأما
الكافران فكان من
ملوك بابل ولم يمتد
ملك احد منهما الا
بعض البلاد المجاورة
له وهي معروفة

والكافران نمرد ويختنصر (١) والله أعلم ومعنى قوله (ألم تر) أي بقلبك يا محمد (الى الذي حاج
ابراهيم في ربه) أي وجود ربه وذلك انه أنكر ان يكون ثم إله غيره كما قال بعده فرعون للمث (ما
علمت لكم من إله غيري) وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة الا تجبره
وطول مدته في الملك وذلك انه يقال انه مكث اربعمائة سنة في ملكه ولهذا قال (ان آتاه الله الملك)
وكان طلب من ابراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو اليه فقال ابراهيم (ربي الذي يحيي ويميت)
أي إنما الدليل على وجوده حدوث هذه الاشياء المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها ، وهذا
دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة لانها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدتها وهو
الرب الذي أدعو الى عبادته وحده لا شريك له. فعند ذلك قال المحاج وهو النمرد (أنا أحبي وأميت)
قال فتادة ومحمد بن اسحق والسدي وغير واحد وذلك اني اوتى بالرجلين قد اسحقا القتل فأمر
بقتل احدهما فيقتل وأمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل فذلك معنى الاحياء والامانة والظاهر والله
اعلم انه ما اراد هذا لانه ليس جوابا لما قال ابراهيم ولا في معناه لانه مانع لوجود الصانع وانما اراد
ان يدعي لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة ويوم انه فاعل لذلك وانه هو الذي يحيي ويميت كما قد دى
به فرعون في قوله (ما علمك لكم من إله غيري) ولهذا قل له ابراهيم لما ادعى هذه المكابرة (فان
الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) أي اذا كنت كما تدعي من انك تحيي وتميت
فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته فهذه
الشمس تبدو كل يوم من المشرق فان كنت الهما كما تدعي تحيي وتميت فأت بها من المغرب؟ فلما علم
عجزه وانقطاعه وانه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي اخرس فلا يتكلم وقامت عليه الحاجة
قال الله تعالى (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يلهيهم حجة ولا برهان بل حججهم داحضة عند
ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد. وهذا التنزيل على هذا المعنى احسن مما ذكره كثير من المنطقيين
ان عدول ابراهيم عن المقام الاول الى المقام الثاني انتقال من دليل الى أوضح منه ومنهم من قد
وادعى الربوبية (أن آتاه الله الملك) أو لان آتاه الله الملك فطغى أي كانت تلك الحاجة من بطر
الملك وطغيانه قال مجاهد : ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان وذو القرنين
وأما الكافران فنمرد ويختنصر ، واختلفوا في وقت هذه المناظرة . قال مقاتل : لما كسر ابراهيم
الاصنام سجنه نمرد ثم أخرجه ليحرقه بالنار فقال له : من ربك الذي تدعوننا اليه ؟ فقال : ربي الذي
يحيي ويميت . وقال آخرون : كان هذا بعد إلقائه في النار وذلك أن الناس قحطوا على عهد نمرد
وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا أتاه الرجل في طلب الطعام سأله من ربك فان قال
أنت بلع منه الطعام فأتاه ابراهيم فيمن آتاه فقال له نمرد : من ربك ؟ قال : ربي الذي يحيي ويميت
فاشتغل بالحاجة ولم يعطه شيئا فرجع ابراهيم فر على كتيب من رمل أعفر فأخذ منه تطيبيا لقلب
أهله اذا دخل عليهم فلما أتى أهله ووضع متاعه نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحتة فاذا هو أجود

١ « وفي نسخة
الازهر ردية

يطلق عبارة ترديه (١) وليس كما قالوه بل المقام الاول يكون كالمقدمة الثاني وبين بطلان ما ادعاه نمرود في الاول والثاني والله الحمد والمنة وقد ذكر السدي ان هذه المناظرة كانت بين ابراهيم ونمرود بعد خروج ابراهيم من النار ولم يكن اجتمع بالملك الا في ذلك اليوم فجرت بينهما هذه المناظرة وروى عبد الرزاق عن معمر بن زيد بن اسلم ان النمرود كان عنده طعام وكان الناس يغدون اليه للميرة فوفد ابراهيم في جملة من وفد للميرة فكان بينهما هذه المناظرة ولم يعط ابراهيم من الطعام كما اعطى الناس بل خرج وليس معه شيء من الطعام فلما قرب من اهله عمد الى كتييب من التراب فلما منه عزليه وقال اشغل اعلي عني اذا قدمت اليهم فلما قدم وضع رحاله وجاء قاتبكا فقامت امراته سارة الى العدلين فوجدتهما ملائين طعاما طيبا فعملت طعاما فلما استيقظ ابراهيم وجد الذي قد اصلحوه فقال : اني لكم هذا ؟ قالت : من الذي جئت به فعلم انه رزق رزقهم الله عز وجل قال زيد بن اسلم : وبعث الله الى ذلك الملك الجبار ملكا يامر بالابمان بالله فابى عليه ثم دعاه الثانية فابى ثم الثالثة فابى وقال : اجمع جموعك واجمع جموعي فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس وارسل الله عليهم ابابا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم طعام رآه أخذت فصنعت له منه فقربته اليه فقال : من أين هذا ؟ قالت : من الطعام الذي جئت به فعرف أن الله رزقه فحمد الله

قال الله تعالى ﴿ اذ قال ابراهيم ربي الذي يحبني ويميت ﴾ وهذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له : من ربك ؟ فقال ابراهيم (ربي الذي يحبني ويميت) قرأ حمزة (ربي الذي يحبني ويميت) باسكان الياء وكذلك (حرم ربي الفواحش ، وعن آياتي الذين يتكبرون ، وقل لعبادي الذين ، و) آتاني الكتاب) و - مسني الضر ، و - عبادي الصالحون ، و - عبادي الشكور ، و مسني الشيطان وان أرادني الله ، وان أهلكني الله) أسكن الياء فيهن حمزة . ووافق ابن عامر والكسائي في (لعبادي الذين آمنوا) وابن عامر آياتي الذين وفتحها الآخرون ﴿ قال ﴾ نمرود ﴿ أنا أحى وأميت ﴾ قرأ أهل المدينة (أنا) بآثبات الالف والمد في الوصل اذا تلقته ألف مفتوحة أو مضمومة والباقون بحذف الالف ووقفوا جميعا بالالف قل أكثر المفسرين : دعا نمرود برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل القتل امانة وترك القتل احياء فانقل ابراهيم الى حجة أخرى ليمجزه فان حجته كانت الازمة لانه أراد بالاحياء احياء الميت فكان له أن يقول : فأحي من أمت أن كنت صادقاً فانقل الى حجة أخرى أوضح من الاولى ﴿ قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ﴾ أي تحير ردهش واقطعت حجته فان قيل : كيف بهت وكان يمكنه أن يعارض ابراهيم فيقول له : سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب قيل : إنما لم يقله لانه خاف أن لو سأل ذلك دعا ابراهيم ربه فكان زيادة في فضيحته وانقطاعه والصحيح أن الله صرفه عن تلك المعارضة اظهاراً للحجة عليه أو معجزة لا براهيم عليه السلام ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾

(١) رأسه

ودماهم وتركهم عظاما بادية ودخلت واحدة منها في منخري الملك فكشفت في منخري الملك أربع مائة سنة عذبه الله بها فكان يضرب برأسه (١) بالمرأب في هذه المدة حتي أهلكه الله بها

(٢٥٩) أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال : أنى يحيي هذه الله بعد

موتها ؟ فأمنه الله مائة عام ثم بعثه قال : كم لبثت ؟ قال : لبثت يوما أو بعض يوم ، قال : بل

لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس

وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير *

تقدم قوله تعالى (ألم تر الى الذي حاج إبراهيم في ربه) وهو في قوة قوله هل رأيت مثل الذي

حاج إبراهيم في ربه ولهذا عطف عليه بقوله (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها)

اختلفوا في هذا المار من هو فروى ابن أبي حاتم عن عصام بن داود عن آدم بن أبي إياس عن

اسرائيل عن أبي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي بن أبي طالب أنه قال : هو عزيز ورواه ابن

جرير عن ناجية نفسه وحكاه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي ومسلم

ابن بريدة وهذا القول هو المشهور وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد هو إرميا بن حلقيا قل

محمد بن اسحق عن لا يتهم عن وهب بن منبه أنه قال : وهو اسم الخضر عليه السلام وقال ابن أبي

قوله تعالى (أو كالذي مر على قرية) وهذه الآية منسوقة على الآية الاولى تقديره (ألم تر

الى الذي حاج إبراهيم في ربه) وهل رأيت كالذي مر على قرية وقيل تقديره هل رأيت كالذي

حاج إبراهيم في ربه وهل رأيت كالذي مر على قرية . واختلفوا في ذلك المار فقال قتادة وعكرمة

والضحاك : هو عزيز بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو إرميا بن حلقيا وكان من سبط هرون وهو

الخضر وقال مجاهد : هو كافر شك في البعث . واختلفوا في تلك القرية فقال وهب وعكرمة وقتادة

هي بيت المقدس وقال الضحاك : هي الارض المقدسة وقال الكلبي : هي دير سابرأباد . وقال السدي

مسلم أباد وقيل : دير هرقل ، وقيل هي الارض التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف

وقيل : هي قرية الذئب وهي على فرسخين من بيت المقدس (وهي خاوية) ساقطة بقل خوي

البيت بكسر الواو يخوي خوي مقصورا اذا سقط وخوي البيت بالفتح خوا ممدودا اذا خلا (على

عروشها) سقوطها واحدها عرش وقيل : كل بناء عرش ومعناه أن السقوف سقطت ثم وقعت الشيطان

عليها (قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ؟) وكان السبب في ذلك على ما روى محمد بن اسحق عن

وهب بن منبه أن الله تعالى بعث إرميا : الى ناشية بن أمصر (١) لك بني اسرائيل ليسدده في ملكه

ويأنيه بالخبر من الله عز وجل فعمظت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي فأرحى الله تعالى

الى إرميا ان ذكر قومك ذممي وعرفهم أحداهم وادهم الي . فقال إرميا : أنى ضعيف ان لم

تقوني ، عاجز ان لم تبلغني ، مخذول ان لم تصرنني . فقال الله عز وجل : أنا أهلك فقام إرميا ، فيهم

(١) كذا وفي

الهد القديم وتاريخ

اليهود ان اسمه يوشيا

ابن آمون

حاتم : حدثنا أبي قال سمعت سليمان بن محمد البساري الجاري من أهل الجاري ابن عم مطرف قال سمعت سلمان يقول إن رجلا من أهل الشام يقول: إن الذي أمانه الله مائة عام ثم بعثه اسمه حزقيال بن بوار وقال مجاهد بن جبر هو رجل من بني اسرائيل وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس مر عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها (وهي خاوية) أي ليس فيها أحد من قوهم خوت الدار نخوي خويا (١)

(١) وفي نسخة
الازهر: نخوي خويا
والخويا وهذا من باب
رعي يرمي وأما خوي
نخوي من باب رعي
يرضي فعناه سقطت
وهو اظهرهنا إلا أن
يجمع بين المعنيين

ولم بدر ما يقول فألمه الله في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله تعالى : واني أحلف بعزتي لا قيض لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولا سلطان عليهم جبارا فارسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى الى إرميا : إني مراك بني اسرائيل بياض وياض من أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام فلما سمع إرميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبد الرماد على رأسه فلما سمع الله نضرعه وبكاه ناداه يا إرميا أشق عليك ما أوحيت اليك قال : نعم يا رب أهلكني قبل أن أرى في بني اسرائيل ما لا أسر به فقال الله تعالى : وعزتي لا أهلك بني اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح إرميا بذلك وطابت نفسه فقال : لا والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني اسرائيل ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح فقال : إن يعذبنا ربنا فذنوب كثيرة وإن عفا عنا فبرحمته ثم إنهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وعنادا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحي ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ست مائة الف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا أتى الملك الخبر فقال لإرميا : أين ما زعمت أن الله أوحى اليك فقال إرميا : أن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله الى إرميا ملكا قد تمثل له رجلا من بني اسرائيل فقال له إرميا : من أنت قال : أنا رجل من بني اسرائيل أتيتك أستفتيك في أهل رحى وصلت أرحامهم ولم آت اليهم إلا حسنا ولا يزيدكم اكرامي اياهم إلا اسخا ط لي فأفنتي فيهم قال : أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير. فانصرف الملك فكث أياما ثم أقبل اليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي فقال له إرميا : أما طهرت أخلاقهم لك بعد ؟ قال : يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى رحمة إلا قدمتها اليهم وأفضل فقال له النبي إرميا عليه السلام : ارجع فاحسن اليهم اسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم فانصرف الملك فكث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لإرميا : يا نبي الله أين ما وعدك الله ؟ قال : اني برني واثق ثم أقبل الملك الى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه فقال : أنا الذي أتيتك في شأن أهلي مرتين فقال النبي : ألم بأن لهم

وقوله (على عروشها) أى ساقطة سقوفها وجدرانها على عرصاتها فوق متفكرا فيما آل أمرها إليه بعد العارة العظيمة وقال (أنى يحيى هذه الله بعد موتها؟) وذلك لما رأى من دثورها وشدة خرابها وبعدها عن العود الى ما كانت عليه قال الله تعالى (وأما لله مائة عام ثم يمسه) قال وعمرت البلدة بعد مضي سبعين سنة من موته وتكامل ساكنوها وتراجع بنو اسرائيل اليها فلما بعث الله عز وجل بعد موته كان أول شيء أحيا الله في عينيه لينظر بهما الى صنع الله فيه كيف يحيى بدنه فلما استقل سويا قال الله له أى بواسطة الملك (كم لبثت؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم) قال وذلك أنه مات أول النهار ثم بعثه الله في آخر نهار فلما رأى الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم فقال (أو

أن يفيقوا من الذي هم فيه فقال الملك: يا نبي الله كل شيء كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه فاليوم رأيتهم في عمل لا يرضي الله فقال النبي: على أي عمل رأيتهم؟ قال: على عمل عظيم من سخط الله ففضبت لله وأنتك لا خبرك وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق نبيا الامادعوت الله عليهم ليهلكهم فقال أرميا: يا ممالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا على عمل لا ترضاه فأهلكهم. فلما خرجت الكلمة من في أرميا أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابا ونبذ الرماد على رأسه وقال: يا ممالك السموات والارض أين ميعادك الذي وعدتني فنودي أنه لم يصبهم ما أصابهم الا بفتياك ودعائك فاستيقن النبي عاياه السلام أنها فتياه وان ذلك السائل كان رسول ربه فطار أرميا حتى خالط الوحوش ودخل يختنصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام وقتل بنو اسرائيل حتى أفنأهم وخرب بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا فيقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملؤه ثم أمرهم أن يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عندهم صغيرهم وكبيرهم من بني اسرائيل فاختر منهم سبعين ألف صبي فقسّمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلّة وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق فثلاثا قتلهم وثلاثا سباهم وثلاثا أفرهم بالشام وكانت هذه الواقعة الاولى التي أنزلها الله في بني اسرائيل بظلمهم فلما ولى عنهم يختنصر راجعا الى بابل ومعه سببايا بني اسرائيل أقبل أرميا على حمار له معه عصير عنب في ركوة وسلّة تين حتى غشى ايلياء فلما وقف عليها ورأى خرابها قال (أنى يحيى هذه الله بعد موتها؟) وقال الذي قال أن المار كان عزيز ابن يختنصر لما خرب بيت المقدس وقدم بسبي بني اسرائيل ببابل كان فيهم عزيز ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزيز من بابل ارجل على حمار له حتى نزل دبر هرقل على شط دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلّة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) قالها تعجبا لا شكافي البعث

بعض يوم قل بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) وذلك أنه كان معه فيما ذكر عنب وتين وعصير فوجده كما تقدم لم يتغير منه شيء ، لا العصير استحال ، ولا التين حمض ولا أنتن ولا العنب نقص (وانظر الى حمارك) أي كيف يحبيه الله عز وجل وأنت تنظر (ولنجعلك آية للناس) أي دليلا على المعاد (وانظر الى العظام كيف ننشزها) أي نرفعها فيركب بعضها على بعض وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث نافع بن أبي نعيم عن اسماعيل بن حكيم عن خارجة بن رجبنا الى حديث وهب قال : ثم ربط إرميا حماره بحبل جديد فالقاه الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام وأمات حماره وعصيره وتينه عنده فأعفى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع الله السباع والطير لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس يقول له نوشك فقال : ان الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وإيليا حتى يعود أعمر ما كان فانتهب الملك بألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه فأهلك الله بختنصر ببغوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل ولم يمت بيبابل أحد وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيه وعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى عادوا على أحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة أحيأ الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيأ جسده وهو ينظر اليه ثم نظر الى حماره فاذا عظامه منفردة بيض تلوح فسمع صوتا من السماء : أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نودي : ان الله يأمرك أن تكنسي لحما وجلدا فكانت كذلك ، ثم نودي : ان الله يأمرك أن تحيا . فقام باذن الله ونهق . وعمر الله أرميا فهو الذي يرى في الغلوات فذلك قوله تعالى ﴿ فإمانه الله مائة عام ثم بعثه ﴾ أي أحيأه ﴿ قال كم لبثت ﴾ أي كم مكثت يقال لما أحيأه الله بعث اليه ملكا فسأله كم لبثت ﴿ قال لبثت يوما ﴾ وذلك أن الله تعالى أماته ضحى في أول النهار وأحيأه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيوبة الشمس فقال : لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال ﴿ أو بعض يوم ﴾ بل بعض يوم ﴿ قال ﴾ له الملك ﴿ بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك ﴾ يعني التين ﴿ وشرابك ﴾ يعني العصير ﴿ لم يتسنه ﴾ أي لم يتغير فكان التين كأنه قطف من ساعته والعصير كأنه عصر من ساعته . قال الكسائي : كأنه لم نأت عليه السنون وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لم يتسن بخذف الهاء في الوصل وكذلك (فبهدهم اقتده) وقرأ الآخرون بالهاء فيهما وصلا ووقفا فن اسقط الهاء في الوصل جعل الهاء صلة زائدة وقال : اصله يتسنى فحذف الياء بالجزم وأبدل منه هاء في الوقف وقال أبو عمرو هو من التسنن بنونين وهو التغير كقوله تعالى (من حمأ مسنون) أي متغير فعوضت من إحدى النونين ياء كقوله تعالى (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أي يتمطط ، وقوله (وقد خاب من دابها) وأصله دمسها ومن أثبت الهاء في الخال جعل الهاء أصلية لام الفعل وهذا على قول من جعل أصل السنة السنية وتصغيرها سنية والفعل منه المساهنة وإنما قال لم يتسنه ولم يثنه مع أنه أخبر عن شيئين ردا للتغير الى اقرب اللفظين به وهو الشراب واكتفى بذكر (٤ — تفسير ابن كثير والبغوي)

زيد بن ثابت عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ (كيف ننشرها) بالزاي ثم قال صحيح
الاسم: دولم يخرجاه وقرىء (ننشرها) أي نحييها قاله مجاهد (ثم نكسوها لحما) وقال السدي وغيره
تفرقت عظام حمارة نحوله يمينا ويسارا فنظر اليها وهي تلوح من بياضها فبعث الله ريحا فجمعها من
كل موضع من تلك المحلة ثم ركب كل عظم في موضعه حتى صار حمارا قائما من عظام لا لحم عليها
ثم كساها الله لحما وعصبا وعروقا وجلدا وبعث الله ملكا فنفخ في منخري الحمار فنشق باذن الله عز
أحد المذكورين لأنه في معنى الآخر ﴿ وانظر الى حمارك ﴾ فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله
تعالى العظام بعضها على بعض فكساها اللحم والجلد وحياء وهو ينظر ﴿ ولنجعلك آية للناس ﴾ قيل
الواو زائدة مقحمة . وقال الفراء ادخلت الواو فيه دلالة على أنها شرط لفعل بعدها معناه ولنجعلك
آية عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله أكثر المفسرين وقال الضحاك وغيره أنه عاد الى قريته
شابا واولاده واولاد اولاده شيوخ وعجائز وهو اسود الرأس واللمحة
قوله تعالى ﴿ وانظر الى العظام كيف ننشرها ﴾ قرأ أهل الحجاز والبصرة ننشرها بالراء معناه
نحييها يقال أنشر الله الميت أنشأه ونشره نشورا قل الله تعالى (ثم اذا شاء أنشره) وقال في اللزم
(واليه النشور) وقرأ الآخرون بالزاي أي نرفعها من الأرض ونردها الى مكانها ونركب بعضها على
بعض. وانشاز الشيء رفعه وازعاجه يقال أنشزته فنشز أي رفعته فارتفع. واختلفوا في معنى الآية فقال
الآخرون أراد به عظام حمارة . وقال السدي أن الله تعالى أحيا عزيزا ثم قال له انظر الى حمارك
قد هلك وبلبت عظامه فبعث الله تعالى ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل وقد ذهبت
بها الطير والسباع فاجتمعت فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس فيه لحم
ولا دم ﴿ ثم نكسوها لحما ﴾ ثم كسا العظام لحما ودما فصار حمارا لا روح فيه ثم أقبل ملك يمشي
حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونشق باذن الله . وقال قوم أراد به عظام هذا الرجل وذلك
أن الله تعالى لم يمت حمارة بل إمامه هو فأحيا الله عينيه ورأسه . وسائر جسده ميت . ثم قال انظر الى
حمارك فنظر فرأى حمارة قائما واقفا كهيئة يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى
الرمة في عنقه جديدة لم تتغير وتقدير الآية (وانظر الى حمارك) وانظر الى عظامك كيف ننشرها
وهذا قول قتادة عن كعب والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي عن مجاهد عن ابن
عباس رضي الله عنهما لما أحيا الله تعالى عزيزا بعد ما أمانه مائة سنة ركب حمارة حتى أتى محلته فأكره
الناس ومنازله فانطلق على وهم حتى أتى منزله فاذا هو بعجوز عمية مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون
سنة كانت عرفته وعقلته فقال لها عزيز : يا هذه هذا منزل عزيز ؟ قالت : نعم ، هذا منزل عزيز
وبكت وقالت : ما رأيت أحدا من كذا وكذا سنة يذكر عزيزا قال : فاني أنا عزيز قالت : سبعان
الله فان عزيزا قد فقدناه من مائة سنة لم نسمع له بذكر قال : فاني أنا عزيز كان الله أمانتي مائة سنة
ثم بعثني قالت : فان عزيزا كان رجلا مستعجاب الدعوة ويدعو للعريض ولصاحب البلاء بالعافية

الآية حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة وسعيد
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نحن أحق بالشك من إبراهيم
إذ قال رب أرني كيف نجبي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» وكذا رواه مسلم عن
حرمة بن يحيى عن وهب به فليس المراد ههنا بالشك ما قد يفهمه من لا علم عنده بلا خلاف وقد
اجيب عن هذا الحديث بأجوبة أحدها (١)

(١) ههنا يباح
في النسختين يجوز أن
يكون المصنف تركه
أينقله عن الكتب ثم
لم يعد إليه ويحتمل أن
يكون من النساخ فإن
وجد يمكن أن ينسخ
هنا والا استغنى عنه
عنا قاله البغوي في
الصفحة التالية ٢٩

تعجب منها وقل : يا رب قد علمت إنك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف دواب
البحر فأرني كيف نجيبها لأعابن فازداد يقينا فعانبه الله تعالى ﴿ قال أولم تؤمن ؟ قال بلى ﴾ يا رب
علمت وآمنت ﴿ ولكن ليطمئن قلبي ﴾ أي ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة، أراد أن يصير له علم
اليقين عين اليقين لأن الخبر ليس كالمعاينة وقيل كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لما احتج على
نمرود فقال (ربي الذي يحيي ويميت) قال نمرود أنا أحيي وأميت فقتل أحد الرجلين وأطلق الآخر
فقال إبراهيم إن الله تبارك وتعالى يقصد إلى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود أنت عابته فلم يقدر
أن يقول نعم فانتقل إلى حجة أخرى ثم سأل ربه أن يريه أحياء الموتى (قال أولم تؤمن ؟ قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي) بقوة حجتي فإذا قيل أنت عابته فأقول نعم قد عابته وقال سعيد بن جبير لما
اتخذ الله تعالى إبراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيدش إبراهيم بذلك فأذن له فأتى
إبراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان إبراهيم عليه السلام أغبر الناس إذا خرج أغلق بابه فلما
جاء وجد في داره رجلا فثار عليه ليأخذه وقل له من أذن لك أن تدخل داري فقال أذن لي رب
هذه الدار فقال إبراهيم صدقت وعرف أنه ملك فقال : من أنت ؟ قال أنا ملك الموت جئت أبشرك
بأن الله تعالى قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل قال : فاعلامه ذلك ؟ قال : أن يجيب الله دعائك
ويحيي الموتى بسؤالك، فحينئذ قال إبراهيم : (رب أرني كيف نجبي الموتى ؟ قال أولم تؤمن ؟ قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي) أنك اتخذتني خليلا وتجيئني إذا دعوتك . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي
أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أحمد بن
صالح أنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب
عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «نحن أحق بالشك من
إبراهيم إذ قال رب أرني كيف نجبي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ورحم
الله لو طأ لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن طرل ما لبث يوسف لاجبت الداعي

وقوله (قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك) اختلف المفسرون في هذه الأربعة ما هي وإن كان لا طائل تحت تعيينها إذ لو كان في ذلك مهم لنص عليه القرآن فروي عن ابن عباس أنه قال هي الغرنوق والطاووس والديك والحمامة وعنه أيضا أنه أخذ وزاً ورأى أنه فرخ النعام وديكا وطاوسا وقال مجاهد وعكرمة كانت حمامة وديكا وطاووسا وغرابا

وقوله (فصرهن إليك) أي وقطعن قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو مالك وأبو الأسود الدؤلي وهب بن منبه والحسن والسدي وغيرهم وقال العوفي عن ابن عباس (فصرهن إليك) أوثقن، فلما أوثقن ذبحن ثم جعل على كل جبل منهن جزءا فذكروا أنه عمد إلى أربعة من الطير فذبحهن ثم قطعهن وتنف ريشهن ومزقهن وخلط بعضهن ببعض ثم جزأهن أجزاء وجعل على كل جبل منهن جزءا قبل أربعة أجبل وقبل سبعة قال ابن عباس : وأخذ رؤسهن بيده ثم أمره الله

وأخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث عن حرملة بن يحيى عن وهب بهذا الاسناد مثله وقال « نحن أحق بالشك من إبراهيم » إذ قال رب أرني كيف نجبي الموتى) حكى محمد بن اسحق بن خزيمة عن أبي إبراهيم اسماعيل بن يحيى المازني أنه قال على هذا الحديث لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولا إبراهيم في أن الله قادر على أن يحيي الموتى وإنما شكوا في أنه هل يحييهم إلى ما سألوا وقال أبو سليمان الخطابي : ليس في قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما بقول إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فأبراهيم أولى بأن لا يشك . وقال ذلك على سبيل التواضع والمهضم من النفس ، وكذلك قوله : لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي وفيه الإلزام أن المسئلة من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك ، ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال ، وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك إبراهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول تواضعا منه وتقديما لإبراهيم على نفسه . قوله (أو لم تؤمن) معناه قد آمنت فلم تسأل؟

شهر له بالإيمان كقول جرير أستم خير من ركب المطايا . وأندى العالمين بطون راح يعني أتم كذلك . ولكن ليظمن قلبي زيادة اليقين (قال فخذ أربعة من الطير) قال مجاهد وعطاء وابن جريج : أخذ طاووسا وديكا وحمامة وغرابا . وحكى عن ابن عباس رضي الله عنه : ونسرا بدل الحمامة . وقال عطاء الخراساني : أوحى إليه أن خذ بطة خضراء وغرابا أسود وحمامة بيضاء وديكا أحمر (فصرهن إليك) قرأ أبو جعفر وحزرة (فصرهن إليك) بكسر الصاد أي قطعهن ومزقهن يقال صار بصير صيرا إذا قطع وانصار الشيء انصيارا إذا انقطع ، قال الفراء : هو مقلوب من صريت أصري صريرا إذا قطعت وقرأ الآخرون (فصرهن) بضم الصاد ومعناه أملهن إليك ووجههن يقال صبرت الشيء أصوره إذا أملت ورجل أصور إذا كان مائل العنق . وقال علماء : معناه اجتمعن واطمئنن إليك يقال صار يصور صوراً إذا اجتمع ومنه قيل لجماعة النحل صور

عدد (٤) حديث
في قوله
لن يملكه طاووس
وغيره كما سبق
الأمثلة في قوله
(فصرهن إليك)

(تنبيه) لم يرد
حديث مرفوع في
مسألة الطير هذه وما
قيل فيها لا ينطبق
على قوله تعالى (كما بدأنا
أول خلق أعيده)

عز وجل أن يدعوهن فدعاهن كما أمره الله عز وجل فجعل ينظر الى الريش يطير الى الريش ولدم
الى الدم واللحم الى اللحم والاجزاء من كل طائر يتصل بعضها الى بعض حتى قام كل طائر على
حدثه وأتت به سبعة يسعيا ليكون أبانغ له في الرؤية التي سألها وجعل كل طائر يجيء لياخذ رأسه الذي
في يد ابراهيم عليه السلام فاذا قدم له غير رأسه يأباه فاذا قدم اليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول
الله وقوته ولهذا قال (واعلم أن الله عزير حكيم) أي عزيز لا يغلبي شيء ولا يمنع من شيء وما شاء
كان بلا مانع لانه القاهر لكل شيء حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره. قل عبد الرزاق: أخبرنا
معمر عن أيوب في قوله (ولكن ليطمئن قلبي) قال : قال ابن عباس : ما في القرآن آية أرجى عندي
منها وقال ابن جرير : حدثني محمد بن المنني حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت زيد بن علي
يحدث عن رجل عن سعيد بن المسيب قال : اتفق عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص
أن يجتمعا قال : ونحن شعبة فقال أحدهما لصاحبه أي آية في كتاب الله أرجى عندك لهذه الامة
فقال عبد الله بن عمرو قول الله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) الآية فقال ابن عباس أما ان كنت تقول هذا فأنا أقول أرجى
منها لهذه الامة قول ابراهيم (رب أرني كيف تحيي الموتى) قال أولم تؤمن قل بلى ولكن ليطمئن
قلبي (وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني محمد بن أبي
ومن فسر به بالامالة والضم قال فيه اضمار معناه فصرهن اليك ثم قطعن فخذفها كتمها بقوله (ثم اجعل
على كل جبل منهن جزءا) لانه يدل عليه : وقال أبو عبيدة (فصرهن) معناه قطعن أيضا والصورة القطع
قوله تعالى (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) قرأ عاصم برواية أبي بكر (جزءا) مثقلا
مهموزا والآخرين بالتخفيف والمهمز، وقرأ أبو جعفر مشددا الزاي بلا همز وأراد بعض الجبال .
قال المفسرون : أمر الله ابراهيم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها بدماءها
ولحومها بعضها ببعض ففعل ، ثم أمره أن يجعل أجزاءها على الجبال . واختلفوا في عدد الاجزاء والجبال
فقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة : أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء ويجعلها على أربعة
أجبل على كل جبل ربعا من كل طائر وقيل جبل على جانب الشرق وجبل على جانب الغرب
وجبل على الشمال وجبل على الجنوب . وقال ابن جرير والسدي : جزأها سبعة أجزاء ووضعها على
سبعة أجبل وأمسك رؤسهن ثم دعاهن فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا) ففعلت كل قطرة من دم طائر
تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم يصير الى العظم الآخر
وكل بضعة تصير الى الاخرى و ابراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضها في الهواء بغير رأس
ثم أقبلن الى رؤسهن سعيا فكلما جاء طائر مال برأسه فان كان رأسه عن يمينه وان لم يكن تأخر حتى
التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهم يا أيها الذين آمنوا) قبل المراء بالسمعي الاسراع والعدو
وقيل المراد به المشي دون الطيران كما قال الله تعالى (فاسمعوا الى ذكر الله) أي فامضوا والحكمة في .

سأله عن عمرو حدثني ابن المنكدر أنه قال : النقي عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص فقال ابن عباس لابن عمرو بن العاص أي آية في القرآن أرجى عندك ؟ فقال عبد الله بن عمرو : قول الله عز وجل (قل يا عبادي الذين أمرتوا على أنفسهم لا تقنطوا) الآية فقال ابن عباس : لكن أنا أقول قول الله عز وجل (وإذا قال إبراهيم رب أنني كيف نجني الموتى قال أولم تؤمن قال بلى) فرضي من إبراهيم قوله (بلى) قال فهذا لما يعترض في النفوس ويوسوس به الشيطان وهكذا رواه الحاكم في المستدرک عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن الاحزم عن إبراهيم بن عبد الله السعدي عن بشر بن عمر الزهراني عن عبد العزيز بن أبي سلمة بإسناده مثله ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه (٢٦١) مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في

كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم *
هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته وإن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فقال (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قال سعيد بن جبير يعني في طاعة الله وقال مكحول يعني به الانفاق في الجهاد من رباط الخيل واعداد السلاح وغير ذلك وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس الجهاد والحج بضعف الدرهم فيهما إلى سبعمائة ضعف ولهذا قال تعالى (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة) وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف قال الإمام أحمد : حدثنا زياد بن الربيع أبو خراش حدثنا واصل مولى ابن عيينة عن بشار بن أبي سيف الجرمي عن عياض بن غطيف قال : دخلنا على أبي عبيدة نعوذه من شكوى أصابه بجنبه وأمراته تحيفة قاعدة عند رأسه قلنا كيف بات أبو عبيدة ؟ قالت : والله لقد بات باجر قال أبو عبيدة ما بات باجر وكان مقبلا بوجهه على الحائط فأقبل على القوم بوجهه وقال ألا تسألوني عما قلت ؟ قالوا ما أعجبنا ما قلت فنسألك عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة ومن أنفق على نفسه وأهله أو عاد مريضا أو ماز أذى فالحسنة بعشر أمثالها والصوم جنة مالم

المشي دون الطيران كونه أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطيران وإن أرجلها غير سليمة والله أعلم . وقيل السعي بمعنى الطيران ﴿ واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾

قوله تعالى ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾ فيه اضمحار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم ﴿ كمثل ﴾ زارع ﴿ حبة ﴾ وأد بسبيل الله الجهاد وقيل جميع أبواب الخير ﴿ أنبت ﴾ أخرجت ﴿ سبع سنابل ﴾ جمع سنبله ﴿ في كل سنبله مائة حبة ﴾ فإن قيل فما رأينا سنبله فيها مائة حبة فكيف ضرب المثل به ؟ قبل ذلك متصور غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا جاز ضرب المثل به

قوله تعالى :
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾
قوله تعالى :
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾

قوله تعالى :
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾

قوله تعالى :
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾

قوله تعالى :
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾

قوله تعالى :
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾

قوله تعالى :
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾

قوله تعالى :
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾

قوله تعالى :
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾

قوله تعالى :
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾

قوله تعالى :
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾

قوله تعالى :
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾

مخرقها ومن ابتلاه الله عز وجل ببلاء في جسده فهو له حطة » وقد روى النسائي في الصوم بعضه من حديث واصل به ومن وجه آخر موقوفا

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان سمعت أبا عمرو الشيباني عن ابن مسعود أن رجلا تصدق بناقاة مخطومة في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتأتين يوم القيامة بسبعائة ناقة مخطومة » ورواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن مهران عن الاعمش به ولفظ مسلم جاء رجل بناقاة مخطومة فقال يا رسول الله هذه في سبيل الله فقال « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة »

(حديث آخر) قال احمد حدثنا عمرو بن مجمع أبو المنذر الكندي اخبرنا ابراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله جعل حسنة ابن آدم الى عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم والصوم لي وأنا اجزي به وللصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة يوم القيامة ولخولف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك »

(حديث آخر) قال احمد أخبرنا وكيع أخبرنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الى ما شاء الله يقول الله الا الصوم فإنه لي وأنا اجزي به يدع طعامه وشرابه من اجلي وللصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخولف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك، الصوم جنة الصوم جنة » وكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وابي سعيد الاشج كلاهما عن وكيع به (حديث آخر) قال احمد حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن الدكين عن بشير بن عتبة عن

حريم بن وائل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنفق نفقة في سبيل الله تضاعفت بسبعمائة ضعف » (١) (حديث آخر) قال ابو داود أنبأنا محمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن يحيى بن ايوب وسعيد بن ابي ايوب عن زبائن بن فائد عن سهل بن معاذ عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الصلاة والصيام والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله بسبعمائة (٢) ضعف »

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم : أنبأنا أبي حدثنا هارون بن عبد الله بن مروان حدثنا ابن أبي فديك عن الخليل بن عبد الله عن الحسن بن عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم يوم القيامة ومن غزا في سبيل الله وأنفق في جهة ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم » ثم تلا هذه

وان لم يوجد معناه (١) (في كل سنبل مائة حبة) ان جعل الله فيها ، وقيل هو موجود في الدخن وقيل معناه أنها ان بذرت أنبتت مائة حبة فما حدث من البذر الذي كان فيها كان مضافا اليها وكذلك تأوله الضحاك فقال : كل سنبل أنبتت مائة حبة ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ قيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل : معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء ما بين سبع الى سبعين الى

« ١ » في نسخة

الازهر : تضاعف

سبعمائة ضعف

« ٢ » سبعمائة

(١) السؤال غير

وارد فما أدري هذا

القائل ان ما ذكره لم

يوجد والحق انه وجد

اكثر من ذلك

الآية (والله بضاعف لمن يشاء) وهذا حديث غريب وقد تقدم حديث أبي عثمان التهدي عن أبي هريرة في تضعيف الحسن إلى ألفي ألف حسنة عند قوله (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ضاعفا كثيرة) الآية (حديث آخر) قال ابن مردويه: حدثنا عبد الله بن عبيد الله بن العنبري البزاز أخبرنا الحسن بن علي بن شبيب أخبرنا محمود بن خالد الدمشقي أخبرنا أبي عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر أن نزلت هذه الآية (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قال النبي صلى الله عليه وسلم «رب زد أمتي» قال فأنزل الله (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) قال «رب زد أمتي» قال فأنزل الله (إنما يوفى الصابرون أجرهم غير حساب) وقدرناه بوحاتم وإن كان في صحيحه عن حاجب بن أركين عن أبي عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز المقرئ عن أبي أمامة المؤدب عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر فذكره وقوله ههنا (والله بضاعف لمن يشاء) أي بحسب إخلاصه في عمله (والله واسع عليم) أي فضله واسع كثير أكثر من خلقه عليم بمن يستحق ومن لا يستحق سبحانه وبحمده (٢٦٢) الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم

أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم لا هم يحزنون (٢٦٣) قول معروف ومفردة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم (٢٦٤) يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فقله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين * يمدح تبارك وتعالى الذين ينفقون في سبيله ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منا سبحانه إلى ما شاء الله من الإضاعاف مما لا يعلمه إلا الله ﴿والله واسع﴾ غني يعطي عن سعة ﴿عليم﴾ بنية من ينفق ماله

قوله تعالى ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ قال الكلبي: نزلت هذه الآية في عثمان ابن عفان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم صدقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كان عندي ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف درهم وأربعة آلاف أقرضتها ربي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «بارك الله فيما أمسكت لك وفيما أعطيت» وأما عثمان فجهز جيش المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقنابها وأحلاسها فنزلت فيها هذه الآية، وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في جيش العسرة فصحبها في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيها يده ويقطبها ويقول ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم فأنزل الله تعالى (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) في طاعة الله ﴿ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا﴾ وهو أن يمن عليه ببعلائه فيقول أعطيتك كذا ويعد نعمه عليه فيكدرها ﴿ولا أذى﴾ هو أن يعيره فيقول إلى كم نسأل (٥ - تفسير ابن كثير والبغوي)

على من أعطوه فلا يمنون به على أحد ولا يمنون به لا بقول ولا فعل

وقوله (ولا أذى) أي لا يفعلون مع من أحسنوا اليه مكروهاً يحبطون به ما سلف من الإحسان ثم وعدهم الله تعالى الجزاء الجزيل على ذلك فقال (لهم أجرهم عند ربهم) أي ثوابهم على الله لا على أحد سواه (ولا خوف عليهم) أي فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة (ولا هم يحزنون) أي على ما خلفوه من الأولاد ولا ما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها لا يأسفون عليها لانهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك ثم قال تعالى (قول معروف) أي من كلمة طيبة ودعاء لمسلم (ومغفرة) أي عفو وغفر عن ظلم قولي أو فلي (خير من صدقة يتبعها أذى) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا ابن فضيل قال: قرأت علي معقل بن عبد الله عن عمرو بن دينار قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من صدقة أحب إلى الله من قول معروف ألم نسمع قوله (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى)» (والله غني عن خلقه - لهم) أي يحلم ويغفر ويصفح ويتجاوز عنهم وقد وردت الأحاديث بالنهي عن المر في الصدقة ففي صحيح مسلم من حديث شعبة عن الأعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة بن الحر عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى والمسبل أزاره والمنفق سلعته بالخلف الكاذب» وقال ابن مردويه: حدثنا أحمد بن عثمان بن يحيى أخبرنا هشيم بن خارجة أخبرنا سليمان بن عتبة عن يونس بن ميسرة عن أبي إدريس عن أبي اللرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر».

وكم تؤذيني وقيل من الأذى هو أن يذكر انفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه وقال سفيان: منا ولا أذى - هو أن يقول قد أعطيتك فما شكرت قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان أبي يقول: إذا أعطيت رجلاً شيئاً ورأيت أن سلامك ينقل عليه فكف سلامك عنه فحظر الله على عباده المن بالصدقة واختص به صفة لنفسه لأنه من العباد تعبير وتكدير ومن الله أفضال وتذكير (لهم أجرهم) أي ثوابهم (عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قول معروف (أي كلام حسن ورد على السائل جميل وقيل عدة حسنة وقال الكلبي: دعا صالح يدعو لأخيه بظهر الغيب، وقول الضحاك: نزلت في إصلاح ذات البين (ومغفرة) أي تستر عليه خلته ولا تهتك عليه ستره، وقال الكلبي والضحاك: يتجاوز عن ظلمه وقيل يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه عند رده (خير من صدقة) يدفعها إليه (يتبعها أذى) أي من تعبير للسائل أو قول يؤذيه (والله غني) أي مستغن عن صدقة العباد (حليم) لا يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بالصدقة

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) أي أجور صدقاتكم (بالمَن) على السائل وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بالمَن على الله تعالى (والأذى) لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلاً فقال (كالذي ينفق ماله) أي كالباطل الذي ينفق ماله (رأه الناس) أي مراآة وسمعة لبروا

وروى احمد وابن ماجه من حديث يونس بن ميسرة نحوه ثم روى ابن مردويه وابن خبان والحاكم في مستدركه والنسائي من حديث عبد الله بن يسار الاعرج عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة : الساق لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى » وقد روى النسائي عن مالك بن سعد عن عمه روح بن عباد عن عتاب بن بشير عن خصيف الجراحي عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا عاق لوالديه ولا مان » وقد رواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن المنهال عن محمد بن عبد الله بن عصار الموصلي عن عتاب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس ورواه النسائي من حديث عبد الكريم بن مالك الحوري عن مجاهد قوله وقد روي عن مجاهد عن أبي سعيد وعن مجاهد عن أبي هريرة نحوه - ولهذا قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والاذى) فأخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والاذى فما بقي ثواب الصدقة بخطيئة المن والاذى ثم قال تعالى (كالذي ينفق ماله رئاء الناس) أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كما تبطل صدقة من رأى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وأما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين نفقته ويقولوا إنه كريم سخي ﴿ ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ يريد أن الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين وهذا للمذنبين لأن الكافر معان بكفره غير مرء ﴿ فثله ﴾ أي مثل هذا المرائي ﴿ كمثل صفوان ﴾ وهو الحجر لا ملمس وهو واحد وجمع فمن جملة جمعاً فواحد صفوان ومن جملة واحداً فجمع صفى ﴿ عليه ﴾ أي على الصفوان ﴿ تراب فأصابه رابل ﴾ وهو المطر الشديد العظيم القطر ﴿ فتركه صلبا ﴾ أي ألمس والصلد الحجر الصلب اللمس الذي لا شيء عليه فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذي يمن بصدقة ويؤذي ويرى الناس في الظاهر أن لهؤلاء أعمالاً كما يرى التراب على هذا الصفوان فإذا كان يوم القيامة بطل كله واضمحل لأنه لم يكن لله كما أذهب الرابل ما على الصفوان من التراب فتركه صلبا ﴿ لا يقدر على شيء مما كسبوا ﴾ أي على ثواب شيء مما كسبوا عملوا في الدنيا ﴿ والله لا يهدي الكافرين ﴾ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجهرري أخبرنا أحمد بن علي الكشمي أخبرنا علي بن حجر أخبرنا إسماعيل بن جعفر أخبرنا عمرو بن أبي عمرو مولي المطلب عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان اخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا : يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال « الرياء » يقول الله لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارثي أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمد بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الحلال أخبرنا عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح أخبرني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدائني

الناس أو يقال إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وحزب ثوابه ولهذا قال (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) ثم ضرب تعالى مثل ذلك المرائي باتفاقه قال الضحاك: والذي يتبع نفقته منا أو أذى فقال (فمثل كمثل صفوان) وهو جمع صفوانة فمنهم من يقول الصفوان يستعمل مفردا أيضا وهو الصفا وهو الصخر الاملس (عليه تراب فأصابه وابل) هو المطر الشديد (فتركه صلدا) أي فترك الوابل ذلك الصفوان صلدا أي املس يا بسا أي لا شيء عليه من ذلك التراب بل قد ذهب كله أي وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب ولهذا قال (لا بقدرن على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين) (٢٦٥) ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل

جنة بربوة أصابها وابل فأثت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير* وهذا مثل المؤمن المنفق (أموالهم ابتغاء مرضاة الله عنهم في ذلك) (وتثبيتا من أنفسهم)

أن عقة بن مسلم حدثه أن أبا سفيان الأصمعي حدثه أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال: من هذا؟ قال: أبو هريرة فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وعلا قلت له: أنشدك الله بحق لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جانية فأول من يدعو به رجل حمل القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقاري: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قل: بلى يا رب قال: فماذا عملت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت وتقول له الملائكة: كذبت ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان قاري. فقد قيل ذلك ويؤني بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب قال: فماذا عملت؟ فجاء آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأصدق فيقول الله له: كذبت وتقول الملائكة: كذبت ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان ج. إذا فند قيل ذلك. ويؤني بالذي قتل في سبيل الله فيقول له: فماذا قتلت فيقول يارب أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله: كذبت وتقول الملائكة: كذبت ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جري. فقد قيل ذلك. ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق تشر بهم النار يوم القيامة

قوله تعالى (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله) أي طلب رضا الله تعالى (وتثبيتا من أنفسهم) قال قتادة احتسابا وقال الشعبي والكلبي: تصديقا من أنفسهم أي يخرجون الزكاة طيبة بها أنفسهم على يقين بالثواب وتصديق بوعد الله يعلمون أن ما أخرجوا خير لهم مما تركوا وقيل على يقين باخلاف الله عليهم وقال عطاء ومجاهد: يشبهون أي يضمون أموالهم قال الحسن: كان الرجل

أي وهم متحققون ومتثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء ونظير هذا في المعنى قوله عليه السلام في الحديث الصحيح المنفق على صحته « من صام رمضان إيماناً واحتساباً » أي يؤمن أن الله شرعه ويحتسب عند الله ثوابه قال الشعبي : (وتثبتنا من أنفسهم) أي تصديقاً وبقيناً وكذا قال قتادة وأبو صالح وابن زيد راخماره ابن جرير وقال مجاهد والحسن أي يثبتون أين يضعون صدقاتهم وقوله (كمثل جنة بربرة) أي كمثل بستان بربرة وهو عند الجمهور المكان المرتفع من الأرض وزاد ابن عباس والضحاك ونجاشي فيه الانهار قال ابن جرير رحمه الله . وفي البربرة ثلاث لغات هن ثلاث قراءات بضم الراء وبها قرأ عامة أهل المدينة والحجاز والعراق وفتحها وهي قراءة بعض أهل الشام والكوفة ويقال إنها لغة تميم وكسر الراء وبذلك أنها قراءة ابن عباس وقوله (أصابها وابل) وهو المطر الشديد كما تقدم فآتت (أكلها) أي نمرتها (ضعفين) أي بالنسبة إلى غيرها من الجنان (فإن لم يصبها وابل فطل) قال الضحاك هو الرذاذ وهو اللين من المطر أي هذه الجنة بهذه البربرة لا تمحل أبداً لأنها إن لم يصبها وابل فطل وأيا ما كان فهو كمالها وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً بل ينقبه الله ويكثره وينمي كل عامل بحسبه ولهذا قال (الله به يعملون بصير) أي لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء .

(٦٦٦) أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له

فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك

إذا هم بصدقة تثبت فإن كان الله أمضى وإن كان بخالطه شك أمسك وعلى هذا القول يكون التثبيت بمعنى التثبيت كقوله تعالى (وتبطل إليه تبديلاً) أي تبطلا (كمثل جنة) أي بستان قال المبرد والفراء إذا كان في البستان نخيل فهو جنة وإن كان فيه كرم فهو فردوس ﴿ بربرة ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم بربرة وإلى ربرة في سورة المؤمنون بفتح الراء وقرأ الآخرون بضمها وهي المكان المرتفع المستوي الذي تجري فيه الأنهار فلا يعلوه الماء ولا يعلو عن الماء وإنما جعلها ربرة لأن النبات عليها أحسن وأزكى ﴿ أصابها وابل ﴾ مطر شديد كثير ﴿ فآتت أكلها ﴾ نمرها ، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالنخفيف وقرأ الباقر بالتثنية وزاد نافع وابن كثير تخفيف أكله والاكل وخفف أبو عمرو ورسلاً ورسلكم ورسلاً ﴿ ضعفين ﴾ أي أضفت في الحبل قال عطاء : حملت في سنة من الرقيم ما يحمل غيرها في سنتين وقال عكرمة : حملت في السنة مرتين ﴿ فإن لم يصبها وابل فطل ﴾ أي فطش وهو المطر الضعيف الخفيف ويكون دائماً ، قال السدي : هو الندى وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن الخالص فيقول كما أن هذه الجنة تروى في كل حال ولا تخلف (١) سواء قل المطر أو كثر كذلك

«١» وفي نسخة

يضعف الله صدقة المؤمن الخالص الذي لا يمن ولا يؤذى سواء قلت نفقته أو كثرت وذلك إن اطل : ولا تخرف — من إذا كان يدوم بعمل عمل الوابل الشديد ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ أيود أحدكم أن تكون له جنة الخريف المقابل للربيع

يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون *

قال البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام هو ابن يوسف عن ابن جريج سمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث عن ابن عباس وسمعت أخاه أبا بكر بن أبي مليكة يحدث عن عبيد بن عمير قال : قال عمر بن الخطاب يوما لصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ترون هذه الآية نزلت ؟ (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) قالوا : الله أعلم فغضب عمر فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين فقال عمر : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك فقال ابن عباس رضي الله عنهما ضربت مثلا بعمل قال عمر : أي عمل ؟ قال ابن عباس لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله ثم رواه البخاري عن الحسن بن محمد الزعفراني عن حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج فذكره وهو من افراد البخاري رحمه الله وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الآية وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أو لا ثم بعد ذلك انعكس سيره فبدل الحسنات بالسبائات عيادا بالله من ذلك فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه فيما تقدم من الصالح واحتاج الى شيء من الاول في أضيق الاموال فلم يحصل منه شيء وخاه أحوج ما كان اليه ولهذا قال تعالى (وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار) وهو الريح الشديد (فيه نار فاحترقت) أي احرق ثمارها وأباد اشجارها فأى حال يكون حاله ؟ وقد روى ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال : ضرب الله مثلا حسنا وكل امثاله حسن قال (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار) فيها

من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار ﴿ هذه الآية متصلة بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والاذى) قوله أيود يعني أيحب أحدكم أن تكون له جنة أي بستان من نخيل وأعناب تجري من تحتها لانهار ﴾ (له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء) أولاد صغار ضعفاء عجزوا ﴿ فأصابها اعصار ﴾ وهو الريح العاصف التي ترتفع الى السماء كأنها عمود وجمعه أعاصير ﴿ فيه نار فاحترقت ﴾ هذا مثل ضرب به الله العمل المنافق والمرثي يقول عمله في حسنه كحسن الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بالجنة فاذا كبر أو ضعف وصار له اولاد ضعفاء وأصاب جنته اعصار فيه نار فاحترقت فصار أحوج ما يكون اليها وضعف عن اصلاحها لكبره وضعف اولاده عن اصلاحها لصغرهم ولم يجد هو ما يعود به على اولاده ولا اولاده ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزوا لا حيلة بأيديهم كذلك يبطل الله عمل هذا المنافق والمرثي حين لا منيئ لهما ولا توبة ولا اقالة . قال عبيد بن عمير قال عمر رضي الله عنه يوما لصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ترون هذه الآية نزلت (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) قالوا : الله أعلم فغضب عمر رضي الله عنه فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس رضي الله عنهما : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه : ابن أخي قل ولا تحقر نفسك قال ابن عباس .

من كل الثمرات) يقول ضيعة في شيبته (واصابه الكبر) وولده وذريته ضمايف عند آخر عمره فجاءه (إحصار فيه نار) فاحترق بستانه فلم يكن عنده قوة ان يغرس مثله ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه وكذلك الكافر يكون يوم القيامة اذارد الى الله عز وجل ليس له خير فيستعجب كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه ولا يبجده قـم لنفسه خيرا يعود عليه كما لم يغن عن هذا ولده وحرّم اجره عند افقر ما كان اليه كما حرّم هذا جنته عندما كان افقر ما كان اليها عند كبره وضعف ذريته. وهكذا روى الحاكم في مستدركه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه « اللهم اجعل اوسع رزقك علي عند كبر سني وانقضاء عمري ولهذا قال تعالى (كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون) اي تعتبرون وتفهمون الامثال والمعاني وتنزلونها على المراد منها كما قال تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)

(٢٦٧) يا ايها الذين آمنوا اتقوا من طيبات ما كسبتم وما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باّخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد
(٢٦٨) الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسم
(٢٦٩) يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب *

يا امر تعالى عباده المؤمنين بالاتفاق والمراد به الصدقة هـ قاله ابن عباس من طيبات ما رزقهم رضي الله عنهما : ضربت مثلا لعمل فقال عمر رضي الله عنه : اي عمل فقال ابن عباس رضي الله عنهما لعمل منافق ومراء قال عمر رضي الله عنه : لاى رجل قال لرجل غني بعمل بطاعة الله بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى احرق اعماله * كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون *
يا ايها الذين آمنوا اتقوا من طيبات * من خيار ، قال ابن مسعود رضي الله عنه ومجاهد من حلالات * (ما كسبتم) بالتجارة والصناعة وفيه دلالة على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أخبرنا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا ابو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يعلى بن عبيد أخبرنا الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه » أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أخبرنا ابو منصور السمعاني أخبرنا ابو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح أخبرنا ابو معاوية بن صالح عن بحير ابن سعيد عن خالد بن معدان عن المقدم بن معا يكرّب أنه حدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده » وكان داود لا يأكل الا من عمل يديه . أخبرنا ابو القاسم مجي بن علي بن محمد الكشميهني أخبرنا نجاح بن يزيد المحاربي بالكوفة

من الأموال التي اكتسبوها قبل مجاهد : يعني التجارة بتبسيه إياها لهم وقال علي والسدي (من طيبات ما كسبتم) يعني الذهب والفضة ومن الثمار والزروع التي أتيها لهم من الأرض قال ابن عباس أمرهم بالاتفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونههم عن التصديق برذالة المال ودينه وهو خبيثه فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ولهذا قال (ولا تيمموا الخبيث) أي تقصدوا الخبيث (منه) تفقهون واستم باخذه) أي لو أعطيتهم ما أخذتموه إلا أن تتفاضوا فيه قاله أنى عنه منكم فلا تجعلوا لله ما تكرهون وقيل معناه (ولا تيمموا الخبيث منه تفقهون) أي لا تعدلوا عن المال الحلال وتقصدوا إلى الحرام فتجعلوا نفقتكم منه . ويذكرهنا الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا اسحق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائفه -- قالوا : وما بوائفه يا نبي الله ؟ قال : غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق بقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث » والصحيح القول الأول قال ابن جرير رحمه الله : حدثنا الحسين بن عمر العمري حدثني أبي عن أسباط عن السدي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب رضي الله عنه أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم أخبرنا يحيى أبي عبيد أخبرنا أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد بن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يكتسب عبد مالا حراما فيصدق منه فيقبل الله منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث » والزكاة واجبة في مال التجارة عند أكثر أهل العلم فبعد الحول يقوم العرض فيخرج من قيمتها ربع العشر إذا كان قيمتها عشرين دينارا أو مائتي درهم . قال سمره ابن جندب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعدده للبيع وعن أبي عمرو بن خثام أن أباة قال : مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عنقي أدمة أحملها فقال عمر : ألا تؤذي زكائك يا خثام فقلت مالي غير هذا وأهب في القرض فقال ذاك مال فضع فوضعها (١) فحسبها فأخذ منها الزكاة .

(١) وفي نسخة

تلك مال فضعها

قوله تعالى ﴿ وما أخرجنا لكم من الأرض ﴾ قيل هذا أمر بإخراج العشر من الثمار والحبوب واتفق أهل العلم على إيجاب العشر في النخيل والكروم وقما بقات من الحبوب إن كان مسقيا بماء السماء أو من نهر يجري الماء إليه من غير مؤنة وإن كان مسقيا بسانية أو بنضح ففيه نصف العشر . أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن

في قول الله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) الآية قال : نزلت في الانصار كانت لانصار اذا كانت أيام جذاذ النخل أخرجت من حيطانها البسر فعلقوه على جبل بين الاسطواناتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأكل فقراء المهاجرين منه فيعمد الرجل منهم الى الحشف فيدخله مع قنء البسر يظن أن ذلك جائز فأنزل الله فيمن فعل ذلك (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) ثم روى ابن جرير وابن ماجه وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طريق السدي عن عدى بن ثابت عن البراء بن عوازة وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه . وقل ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله عن اسراييل عن السدي عن أبي مالك عن البراء رضي الله عنه (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيه إلا أن تمضوا فيه) قال : نزلت فينا كنا اصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثيره وقتله فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه في المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان احدثهم اذا جاع جاء فضرب بعصاه فسقط منه البسر والتمر فبأكل وكان أناس ممن لا يرغبون في البسر يأتي بالقنو الحشف والشيخ (١) فيأتي بالقنو قد انكسر فيه لقه فنزلت

اسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مریم أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرني يونس بن زيد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم « فبأسقت السماء والعيون أو كان غريبا العشر وفيما سقي بالنضح نصف العشر » أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز ابن حمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الله بن زافع عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن عثمان بن أسيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في زكاة الكرم « يخرص كما يخرص النخل ثم تؤدى زكاته زببا كما يؤدى زكاة النخل تمرا » واختلف أهل العلم فيما سوى النخل والكرام وفيما سوى ما يقتات به من الحبوب فذهب قوم الى أنه لا عشر في شيء منها وهو قول ابن أبي ليلى والشافعي رضي الله عنه . وقال الزهري والاوزاعي ومالك رضي الله عنهم : يجب في الزيتون ، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : يجب العشر في جميع البقول والخضروات كالتمار الا الحشيش والخطب . وكل ثمرة أوجبنا فيها الزكاة فلما يجب يبدو الصلاح ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف . وكل حب أوجبنا فيه العشر فوق وقت وجوبه شتداد الحب ووقت لاخراج بعد الدباسة والتنقية . ولا يجب العشر في شيء منها حتى تبلغ خمسة أوسق عند أكثر أهل العلم وعند أبي حنيفة رحمه الله يجب في كل قليل وكثير منها واحتج من شرط النصاب بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زهر بن احمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي مصعب المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة وليس فيما دون خمسة أواق من الورق (٢) صدقة وليس فيما دون خمس ذود من لابل صدقة »

(١) الحشف
بفتح حين أراد التمر وهو
الذي يحف من غير
نضج ولا إدراك فلا
يكون له لحم واحد
حشفة خشبة والشيخ
بجناه

(١) الورق وزن
الكتف القضية

(ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذه إلا أن تغمضوا فيه) قال لو أن أحداكم أهدي له مثل ما أعطى ما أخذه إلا على إغماض وإغماض وحيا فكننا بعد ذلك بحجي الرجل منا بصالح ما عنده وكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن عبيد الله هو ابن موسى العباسي عن امرئيل عن السدي وهو اسماعيل بن عبد الرحمن عن أبي مالك الغفاري واسمه غزوان عن البراء فذكر نحوه ثم قال وهذا حديث حسن غريب وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا سليمان بن كثير عن الزهري عن أبي امامة بن سهل بن حنيف عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لونين من التمر الجعور ولون الحبيق (١) وكان الناس يتيممون شرار ثمارهم ثم يخرجونها في الصدقة فنزلت (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) ورواه أبو داود من حديث سفيان بن حسين عن الزهري ثم قال أسنده أبو الوليد عن سليمان بن كثير عن الزهري ولفظه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجعور ولون الحبيق أن يؤخذ في الصدقة وقد روى النسائي هذا الحديث من

(١) الجعور يضم الجيم والحبيق يضم المهملة نوعان من الدقل وهو بالتحريك التمر الردي اليابس، وورد ابن حبيب وهو رجل سعى هذا التمر باسمه

وروى يحيى بن عباد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إيس في حب ولا تمر صدقة حتى تبلغ خمسة أوسق» وقال قوم: الآية في صدقات التطوع. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزباني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من مؤمن (٢) يفرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة»

(٢) متفق عليه بلقط «ما من مسلم» اطلع وفي رواية في غير الصحيحين ما من رجل

قوله تعالى ﴿ولا تيمموا﴾ قرأ ابن عامر برواية البرقي بتشديد التاء في الوصل فيها وفي إخوانها وهي إحدى وثلاثون موضعا في القرآن لانه في الاصل تاء أن أسقطت أحدهما فرد هو الساقطة وأدغم وقرأ الآخرون بالتخفيف ومعناه لا تقصدوا ﴿الخبيث منه تنفقون﴾ روي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كانت الانصار تخرج اذا كان جذاذ النخل أقناء من التمر والبسر فيعسلقونه على حبل بين الاسطواناتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل منه فقراء المهاجرين فكان الرجل منهم يعمد فيدخل قنوه الحشف وهو يظن انه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الاقناء فتزل فيمن فعل ذلك (ولا تيمموا الخبيث) أي الحشف والردي. وقال الحسن ومجاهد والضحاك كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم وذرالة أموالهم ويعزلون الجيد ناحية لانفسهم فأنزل الله تعالى (ولا تيمموا الخبيث) الردي (منه تنفقون) ولستم بأخذه يعني الخبيث (الا أن تغمضوا فيه) الاغماض غرض البصر واراد ههنا التجوز والمساهلة معناه لو كان لاحدكم على رجل حق فجاهد بهذا لم يأخذه الا وهو يرى انه قد أغماض له عن حقه وتركه. وقال الحسن وقاتلة: لو وجدتموه يبيع في السوق ما اخذتموه بسعر الجيد. وروي عن البراء قال: لو أهدي ذلك لكم ما اخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم؟ هذا اذا كان المال كله جيذا.

طريق عبد الجليل بن حميد اليحصبي عن الزهري عن ابي امامة ولم يقل عن ابيه فذكر نحوه وكذا رواه ابن وهب عن عبد الجليل وقال ابن ابي حاتم : حدثنا ابي حدثنا يحيى بن المغيرة حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن مغفل في هذه الآية (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) قال كسب المسلم لا يكون خبيثا ولكن لا يصدق بالحشف والدرهم لزيف وما لا خير فيه وقل الامام احمد : حدثنا ابو سعيد حدثنا حماد بن سلمة عن حماد هو ابن سليمان عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب فلم يأكله ولم يمه عنه قالت : يا رسول الله نطعمه المساكين قال « لا تطعموهم مما لا تأكلون » ثم رواه عن عفان عن حماد بن سلمة به فقلت يا رسول الله الا اطعمه المساكين قال « لا تطعموهم مما لا تأكلون » وقال الثوري : عن السدي عن ابي مالك عن البراء (واستم بأخذه إلا أن تغمضوا فيه) يقول لو كان لرجل على رجل (١) فأطاه ذلك لم يأخذه إلا أن يرى أنه قد نقصه من حقه؟ رواه ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (واستم بأخذه إلا أن تغمضوا فيه) يقول لو كان لكم على أحد حق فحقكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه قال فذلك قوله (إلا أن تغمضوا فيه) فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم وحقى عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه؟ رواه ابن ابي حاتم وابن جرير وزاد وهو قوله (ان تناولوا البر حتى تنفقوا مما يحبون) ثم روى من طريق العوفي وغيره عن ابن عباس نحوه ذلك وكذا ذكره غير واحد

وقوله (واعلموا أن الله غني حميد) أي وإن أمركم بالصدقات وبالطيب منها فهو غني عنها وما

فليس له اعطاء الردى لان اهل السهم ان شركاؤه فيما عنده فان كان كل ماله ردينا فلا بأس باعطاء الردى (واعلموا ان الله غني) عن صدقاتكم (حميد) محمود في أفعاله (الشيطان يعدكم الفقر) أي يخوفكم بالفقر ، يقال وعدته خيرا ووعدته شرا . قال الله تعالى في الخير (وعدكم الله مفاتيح كثيرة) وقل في الشر (النار وعدما الله الذين كفروا) فاذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير وعدته وفي الشر اوعده . والفقر سوء الحار وقلة ذات اليد واصله من كسر الفقار ومعنى الآية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك عليك مالك فانك اذا نصقت به افتقرت (وبأمركم بالفحشاء) أي بالبخل ومنع الزكاة . وقال الكلبي : كل الفحشاء في القرآن فهو الزنا الا هذا (والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) أي لذنوبكم (والله واسع) غني (عليهم) أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزبدي أخبرنا محمد بن الحسين القطان أخبرنا أحمد بن سيف السلمي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن هشام عن همام بن منبه قال : حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى يقول : ان آدم انفق أنفق عليك » وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يمين الله ملائى لا تفيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، رأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يفيض ما في يمينه (قال) وعرضه على الماء ويديم الاخرى الفسطة برفع

(١) كذا والمراد :

حق

ذلك إلا أن يساوى الغني الفقير كقوله (إن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) وهو غني عن جميع خلقه وجميع خلقه فقراء إليه وهو واسع الفضل لا ينفد ماله فيه فمن تصدق بصدقة من كسب طيب فليعلم أن الله غني واسع العطاء كريه جواد وسيمجز به بها ويضاعفها له أضعافا كثيرة من يقرض غيره عديم ولا ظالم وهو الحميد أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو الاحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهذلي عن عبد الله بن رستم عن هارون الفردي عن أبي ضمرة عن ابن شهاب عن عبيد الله ابن عبيد الله عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملاك لمة» فأما لمة الشيطان فإبعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإبعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الآخر فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) الآية وهكذا رواه الترمذي والسائي في كتابي التفسير من مسندهما جميعا عن هناد بن السري وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى الموصلي عن هناد به وقال الترمذي حسن غريب وهو حديث أبي الاحوص يعني سلام ابن سليم لا يعرفه مرفوعا إلا من حديثه كذا قال، وقد رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره عن محمد ابن أحمد عن محمد بن عبد الله بن مسعود مرفوعا نحوه ولكن رواه مسعر عن عطاء بن السائب عن أبي الاحوص، فبن مالك بن فضلة عن ابن مسعود فجعله من قوله والله أعلم. ومعنى قوله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر) أي يخوفكم الفقر لتسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله (ويأمركم بالفحشاء) أي مع نهيه إياكم عن الانفاق خشية الاملاق، يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق قال تعالى (والله يعدكم مغفرة منه) أي في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء (وفضلا) أي في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر (والله واسع عليم)

وبخلف: أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن سعيد أخبرنا عبد الله بن نمير أخبرنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها «أنفقي ولا تنحصي فيحصى الله عليك ولا توعي فيوغي الله عليك» (١)

قوله تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال السدي: هي النبوة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: علم قرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وقال الضحاك: القرآن والفهم فيه، وقال: في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة (٢) وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركن حتى يتعلموهن ولا تكونوا كأهل نهر وان تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وإنما أنزلت في أهل الكتاب جهلوا عليها فنفكوا بها الدماء وانتهبوا الأموال وشهدوا عليهم

(١) هذا الحديث وما قبله متفق عليهما (٢) رجح السيوطي في الاتفاق أن المنسوخ عشرون آية وحقق بمض الحديثين بعده أنها بضع آيات وهذا على تعريف علماء الأصول للمنسوخ وهو عند المتقدمين أعم

وقوله (يؤتي الحكمة من يشاء) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ونسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا «الحكمة القرآن» يعني تفسيره قال ابن عباس فانه قد قرأه البر والفاجر رواه ابن مردويه وقول ابن أبي نجيح عن مجاهد يعني بالحكمة الاصابة في القول وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد (يؤتي الحكمة من يشاء) ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن وقال أبو العالية : الحكمة خشية الله فان خشية الله رأس كل حكمة وقد روى ابن مردويه من طريق بقية عن عثمان ابن زفر الجهني عن أبي عمار الاسدي عن ابن مسعود مرفوعا «رأس الحكمة مخافة الله» وقال أبو العالية في رواية عنه الحكمة الكتاب والفهم وقال ابراهيم النخعي : الحكمة الفهم وقال ابو مالك : الحكمة السنة وقال ابن وهب عن مالك قال زيد بن أسلم : الحكمة العقل قل مالك : وانه يقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله وبما يريد ذلك لك تجد الرجل عاقلا في أمر الدنيا اذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفا في أمر دنياه علما بأمر دينه بصير به يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا فالحكمة الفقه في دين الله وقال السدي : الحكمة النبوة. والصحيح أن الحكمة كما قاله الجهور لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها وأعلها النبوة والرسالة أخص ولكن لا اتباع الانبياء حظ من الخير على سبيل النبع كما جاء في بعض الاحاديث «من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى اليه» رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن اسماعيل بن رافع عن رجل لم يسمه عن عبد الله بن عمر. وقوله وقال الامام احمد : حدثنا وكيع ويزيد قالوا : حدثنا اسماعيل يعني ابن أبي خالد عن قيس وهو ابن أبي حازم عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة (١) فهو يقضي بها ويعلمها» وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق متعددة عن اسماعيل بن أبي خالد به

وقوله (وما يذكر الا أولو الاباب) أي وما ينتفع بالموعظة والتذكار الا من له لب وعقل يعني به الخطاب ومعنى الكلام

(١) وفي بعض روايات الصحيح الحكمة والتعريف
(٢) كذا في جميع النسخ وهو غلط ظاهر في الاعراب وصوابه معروف والله أعلم سديه

بالضلالة فليكن يعلم القرآن فانه من علم فيم انزل لم يختلف في شيء منه. وقال مجاهد : هي القرآن والعلم والفقه وروى ابن أبي نجيح عنه الاصابة في القول والفعل ، وقال ابراهيم النخعي معرفة معاني الاشياء وفهمها (ومن يؤت الحكمة) من في محل الرفع على ما لم يسم فاعله والحكمة خبره (٢) وقرأ يعقوب - يؤت الحكمة - بكسر التاء أي من يؤت الله الحكمة، دليله قراءة الاعمش ومن يؤت الله حكي عن الحسن (ومن يؤت الحكمة) قال الورع : في دين الله (فقد أوتي خيرا كثيرا) قال الحسن من أعطى القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبه الا أنه لم يوح اليه (وما يذكر) يتعظ (الا أولو الاباب) ذرو العقول

(٢٧٠) وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار

(٢٧١) إن تبدوا الصدقات فنعمما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر

عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير *

يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمندورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده، وتوعد من لا يعمل بطاعته بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره فقال (وما للظالمين من أنصار) أي يوم القيامة ينقذونهم

قوله تعالى ﴿ وما أنفقتم من نفقة ﴾ فيما فرض الله عليكم ﴿ أو نذرتم من نذر ﴾ أي ما أوجبتوه أنتم على أنفسكم في طاعة الله فوفيتهم به ﴿ فإن الله يعلمه ﴾ يحفظه حتي يجازيكم به وإنما قال : يعلمه ولم يقل يعلمها لانه رده الى الآخر منهما كقوله تعالى (ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا) وان شئت حملته على ما كقوله (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) ولم يقل بهما ﴿ وما للظالمين ﴾ الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء أو يتصدقون من الحرام ﴿ من أنصار ﴾ من أعوان يدفعون عذاب الله عنهم وهي جمع نصير مثل شريف وأشرف

قوله تعالى ﴿ إن تبدوا الصدقات ﴾ أي تظهروها ﴿ فنعمما هي ﴾ أي نعمت الخصلة هي وما في محل الرفع « وهي » في محل النصب كما تقول ندم الرجل رجلا فاذا عرفت رفعت فقلت نعم الرجل زيد وأصله نعم ما فوصلت. قرأ أهل المدينة غير ورش وأبو عمرو وأبو بكر فنمما بكسر النون وكون العين وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي بفتح النون وكسر العين وقرأ ابن كثير ونافع برواية ورش ويعقوب وحفص بكسرها وكلاهما لغات صحيحة وكذلك في سورة النساء ﴿ وإن تخفوها ﴾ تسروها ﴿ وتؤتوها الفقراء ﴾ أي تؤتوها الفقراء في السر ﴿ فهو خير لكم ﴾ وأفضل وكل مقبول اذا كانت النية صادقة ولكن صدقة السر أفضل ، وفي الحديث « صدقة السر تطفيء غضب الرب » (١) أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن احمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا ابو مصعب عن مالك عن حبيب ابن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بعة يظلم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتي يعود اليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : اني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتي لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » (٢) وقيل الآية في صدقة انتعاج أما الزكاة المفروضة فالأظهار فيها أفضل حتي يقتدي به الناس كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل والنافلة في البيت أفضل ، وقيل الآية في الزكاة المفروضة كان الاخفاء فيها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أما في زماننا فالأظهار أفضل حتي لا يساء به الغني

(١) رواه الطبراني في الاوسط سند صحيح

(٢) رواه الشيخان في صحيحهما

من عذاب الله ونعمته

وقوله (إن تبدوا الصدقات فنعمنا هي) أي ان أظهرتموها فنعم شي . هي
 وقوله (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل
 من إظهارها لانه أبعد عن الرياء الآن يترب على الاظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون
 أفضل من هذه الحثية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر
 بالقرآن كالسر بالصدقة » والاصل أن الاسرار أفضل لهذه الآية ولما ثبت في الصحيحين عن أبي
 هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الاظله : امام عادل ، وشاب
 نشأ في عبادة الله ، ورجل ان تحابى الله اجتمع عليه وتفرق عليه ، ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يرجع
 اليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله رب
 العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وقال الامام احمد : حدثنا يزيد بن
 هارون أخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال « لما خلق الله الارض جعلت تميد لتخلق الجبال فאלقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة
 من خلق الجبال فقالت : يا رب هل في خلقك شيء اشد من الجبال ؟ قال : نعم الحديد قالت :
 يا رب فهل من خلقك شيء اشد من الحديد ؟ قال : نعم النار قالت : يا رب فهل من خلقك شيء
 اشد من النار ؟ قال : نعم الماء قالت يا رب فهل من خلقك شيء اشد من الماء ؟ قال : نعم الريح
 قالت : يا رب فهل من خلقك شيء اشد من الريح ؟ قال : نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها من
 شماله » وقد ذكرنا في فضل آية الكرسي عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله اي الصدقة افضل ؟
 قال « سر الى فقير او جهد من مقل » رواه احمد ورواه ابن ابي حاتم من طريق علي بن يزيد عن
 القاسم عن ابي امامة عن ابي ذر فذكره وزاد ثم شرع في هذه الآية (ان تبدوا الصدقات فنعمنا
 هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) الآية وفي الحديث المروي « صدقة السر تطفئ
 غضب الرب عز وجل » وقال ابن ابي حاتم : حدثنا ابي حدثنا الحسين بن زياد المحاربي مؤدب
 محارب انا موسى بن عمير عن عامر الشعبي في قوله (ان تبدوا الصدقات فنعمنا هي وان تخفوها
 وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) قال : انزلت في ابي بكر وعمر رضي الله عنهما اما عمر فجاء بنصف ماله
 حتى دفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ما خلفت وراءك لاهلك
 يا عمر ؟ قال : خلفت لهم نصف مالي » واما ابو بكر فجاء بماله كله بكاد ان يخفيه من نفسه حتى
 قوله تعالى (ونكفر عنكم من سيئاتكم) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالنون ورفع الراي ونحن
 نكفر وقرأ ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراي أي ويكفر الله وقرأ أهل المدينة وحمة والكسائي
 بالنون والجزم نسقا على الفاء التي في قوله (فهو خير لكم) لان موضعا جزم بالجزاء وقوله من سيئاتكم
 قيل من صلة تقديره نكفر عنكم سيئاتكم وقيل هو للتحقيق والتبعض يعني نكفر الصغائر من الذنوب

دفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ما خلفت وراءك لاهلاك يا ابا بكر ؟ فقال عدة الله وعدة رسوله . فبكى عمر رضي الله عنه وقل بأبي انت وامى يا ابا بكر والله ما استبقنا الى باب خير قط الا كنت سابقا . وهذا الحديث روي من وجه آخر عن عمر رضي الله عنه وانما اوردناه ههنا لقول الشعبي ان الآية نزلت في ذلك ثم ان الآية عامة في اب اخاء الصدقة افضل سواء كانت مفروضة أو مندوبة لكن روى ابن جرير عن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال : جعل الله صدقة السرفي التطوع تفضل علانيتها بقال (١) سبعة من ضعفنا وجعل صدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا

(١) ليس في تفسير ابن جرير كلمة يقال هنا بل فيما بعده سقط

وقوله (ويكفر عنكم سيئاتكم) أى بدل الصدقات ولا سيما اذا كانت سرا يحصل لكم الخير في رفع الدرجات ويكفر عنكم السيئات وقد قرىء ويكفر بالجزم عطفا على محل جواب الشرط وهو قوله (فنعما هي) كقوله فأصدقوا كونوا كن وقوله (والله بما تعملون خبير) أى لا نخفى عليه من ذلك شيء وسيجزيكم عليه

(٢٧٢) ليس عليكم هدام ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون (٢٧٣) للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحبسهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم *

﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ ليس عليكم هدام قال السكبي سبب نزول هذه الآية أن ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار في اليهود وكانوا ينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم وأرادهم على أن يسلموا وقال سميد بن جبير كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة فلما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصديق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزل قوله (ليس عليكم هدام) فمنعهم الصدقة ليدخلوا في الاسلام حاجة منهم اليها ﴿ ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ وأراد به هداية التوفيق وأما هدى البيان والدعوة فكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطوهم بعد نزول الآية ﴿ وما تنفقوا من خير ﴾ أي مال ﴿ فلا أنفسكم ﴾ أي تنفقونه لأنفسكم ﴿ وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ﴾ لفظ جحد ومعناه نهى أي لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله ﴿ وما تنفقوا من خير ﴾ شرط كالاول ولذلك حذف النون منهما ﴿ يوف اليكم ﴾ أي يوفر لكم جزؤه ومعناه يؤدى اليكم ولذلك دخل فيه الى ﴿ وانتم لا تظلمون ﴾ لا تنقصون من ثواب اعداكم شيئا وهذا في صدقة التطوع أباح الله تعالى أن توضع في أهل الاسلام وأهل الذمة فأما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها إلا في المسلمين وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة

(٢٧٤) الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا

خوف عليهم ولا هم يحزنون*

قال أبو عبد الرحمن النسائي : أنبأنا محمد بن عبد السلام بن عبد الرحيم أنبأنا الغرياني حدثنا سفيان عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانوا يكرهون أن يرضخوا لانسابهم من المشركين فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) وكذا رواه أبو حذيفة وابن المبارك وأبو احمد الزيري وأبو داود الحضرى عن سفيان وهو الثوري به وقال ابن أبي حاتم : أنبأنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثني أحمد بن عبد الرحمن يعني الدمشقي حدثني أبي عن أبيه حدثنا أشعث بن إسحق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بأن لا يتصدق الا على أهل الاسلام حتى نزلت هذه الآية (ليس عليك هدام) الى آخرها فأمر بالصدقة بعدها على كل من سأل من كل دين وسيأتي عند قوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) الآية حديث أسماء بنت الصديق في ذلك

وقوله (وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم) كقوله (من عمل صالحا فلنفسه) ونظائرها في القرآن كثيرة وقوله (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) قال الحسن البصري : نفقة المؤمن لنفسه ولا ينفق المؤمن اذا أنفق الا ابتغاء وجه الله وقال عطاء الخراساني : يعني اذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله وهذا معنى حسن وحاصله أن المتصدق اذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجره على الله ولا عليه في نفس الامر لمن أصاب ألب أو فاجر أو مستحق أو غيره وهو مثاب على قصده. ومستند هذا تمام الآية (وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) والحديث المخرج في الصحيحين من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال رجل لا تصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية فأصبح الناس يتحدثون تصدق على زانية! فقال : اللهم لك الحمد على زانية! لا تصدقن الليلة بصدقة فوضعها في يد غني فأصبحوا يتحدثون تصدق الليل على غني قال : اللهم لك الحمد على غني! لا تصدقن الليلة بصدقة فخرج فوضعها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على سارق فقال : اللهم لك الحمد على زانية وعلى غني وعلى سارق فأني فقل له أما صدقتك فقد قبلت أما الزانية فلعلها أن تستعف بها عن زناها وأمل الغني يستعف فينفق مما أعطاه الله ولعل السارق أن يستعف بها عن سرقة »

وقوله (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) يعني المهاجرين الذين قد انقطعوا الى الله والى رسوله

قوله تعالى (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) اختلفوا في موضع هذه اللام قيل هي مردودة

(٧ - تفسير ابن كثير والبنغوي)

وقوله (تعرفهم بسجام) أي بما يظهر لذوي الالباب من صفاتهم كما قال تعالى (سيماهم في وجوههم) وقول (ولتعرفنهم في لحن القول) وفي الحديث الذي في السنن «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ (ان في ذلك لآيات للمتوسمين)

وقوله (لا يسألون الناس إلخافا) أي لا يلحون في المسئلة ويكلفون الناس ما لا يحتاجون اليه فان من سأل ولما يغنيه عن المسئلة فقد ألخف في المسئلة قال البخاري : حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شريك بن أبي نمر أن عطاء بن يسار وعبد الرحمن بن أبي عمرة الانصاري قالا : سمعنا أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس المسكين الذي تردده التمرة والتمران ولا اللقمة واللقمتان انما المسكين الذي يتعفف افرؤ ان شئتم يعني قوله (لا يسألون الناس إلخافا)» وقد رواه مسلم من حديث اسماعيل بن جعفر المديني عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء بن يسار وحده (١) عن أبي هريرة به، وقول أبو عبد الرحمن النسائي : أخبرنا علي بن حجر حدثنا اسماعيل أخبرنا شريك وهو ابن أبي نمر عن عطاء بن بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ليس المسكين الذي تردده التمرة والتمران ولا اللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف

(١) هذه الرواية
الثانية للفظي الحديث
عند مسلم ولها طريقان
أحدهما هذا والثاني
طريق البخاري وعبد
الرحمن بن عمر

الاستاذ الامام أبو الاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أخبرنا أبو سعيد محمد بن ابراهيم بن اسماعيل أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا أنس بن عياض عن عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لان يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيأني بحزمة حطب على ظهره فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس شيئا» هم أعطاه أو منعه «أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن احمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس تردده اللقمة واللقمتان والتمر والتمران» قولوا فمن المسكين يا رسول الله قال «الذي لا يجد غنى فيغنيه ولا ينطق له فيصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس» وردي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من سأل وله أرقية أو عدلها فقد سأل إلخافا» أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن احمد الظاهري أخبرنا جيسر بن عبد الصمد ابن عبد الرحمن البزار أخبرنا محمد بن زكريا بن غندر أخبرنا اسحق بن ابراهيم بن عباد لدبري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن هارون بن ريان عن كنانة العدوي عن قبيصة بن مخارق قال إني تحملت بحملة في قومي فأبيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إني تحملت بحملة في قومي وأتيتك لتعيني فيها قال «بل تتحملها عنك يا قبيصة وتؤديها إليهم من الصدقة» ثم قال «يا قبيصة إن المسئلة قد حرمت إلا في إحدى ثلاث رجل أصابه جائحة فاجتاحت ماله فيسأل حتى يصيب قواما من عيشه ثم يمسك ورجل أصابه حاجة حتى يشهد له ثلاثة نفر من ذوي الحجي من قرمه لقرمه أصابت فلانا فاقف أن المسئلة قد حلت له فيسأل حتى يصيب القوام من العيش ثم يمسك ورجل تحمل بحملة فيسأل حتى اذا بلغ أمسك،

أقروا ان شئتم (لا يسألون الناس إلحافا) « وروى البخاري من حديث شعبة عن محمد بن أبي زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن أبي ذئب عن أبي الوليد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس المسكين بالطواف عليكم فتطعموه لقمه لقمه إنما المسكين المتعفف الذي لا يسأل الناس إلحافا » وقال ابن جرير : حدثني معتمر عن الحسن بن مالك عن صالح بن سويد عن أبي هريرة قال : ليس المسكين بالطواف الذي تردده إلا كلة ولا كلنان ولكن المسكين المتعفف في بيته لا يسأل الناس شيئا نصيبه الحاجة أقروا ان شئتم (لا يسألون الناس إلحافا) « قال الامام احمد أيضا : حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن رجل من مزينة أنه قالت له أمه ألا تنطلق فتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يسأله الناس فانطلقت أسأله فوجدته قائما بخطب وهو يقول « ومن استغف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن يسأل الناس وله عدل خمس أراق فقد سأل الناس إلحافا » فقلت بيني وبين نفسي لنساقه لحي خير من خمس أواق ولغلامه ناقة أخرى فهي خير من خمس أواق فرجعت ولم أسأل وقال الامام احمد : حدثنا قتيبة حدثنا عبد الرحمن بن أبي الرجال عن عمارة بن عرفة عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال : سرحتني أمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسأله فأتيت ففعلت قال : فاستقبلني فقال « من استغنى أغناه الله ومن استغف أعفه الله ومن استكف كفاه الله ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف » قال فقلت ناقتي الياقوتة خير من أوقية فرجعت فلم أسأله وهكذا رواه أبو داود والنسائي كلاهما عن قتيبة زاد أبو داود وهشام بن عمار كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي الرجال بإسناده نحوه وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو الجاهر حدثنا عبد الرحمن بن أبي الرجال عن عمارة بن عرفة عن عبد الرحمن بن أبي سعيد قال : قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل وله قيمة أوقية (١) فهو ملحف » والوقية أربعون درهما وقال احمد : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن رجل من بني أسد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل وله أوقية أو درهما فقد سأل إلحافا » وقال الامام احمد أيضا : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل وله ما يغنيه جاءت مسئلته يوم القيامة خدوشا أو وما كل غير ذلك فإنه سحت يأكله صاحبه سحتا. أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس محمد بن احمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أخبرنا قتيبة أخبرنا شريك عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خوش أو خدوش أو كدوح » قبل يارسول الله وما يغنيه ؟ قال « خمسون درهما أو قيمتها ذهبا »

(١) في نسخة
الازهر وقية غير همزة
وهي لغة في الاوقية
وكلاهما بالضم
والتشديد وفتح الواو
في الثانية لغة أيضا

كدوحا في وجهه » قلوا : يا رسول الله وما غناه ؟ قال : « خمسون درهما او حسابها من الذهب » وقد رواه اهل السنن الاربعة من حديث حكيم بن جبير الاسدي الكوفي وقد تركه شعبة بن الحجاج وضاعفه غير واحد من الائمة من جراء هذا الحديث ، وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني : حدثنا محمد ابن عبد الله الحضرمي حدثنا ابو حسين عبد الله بن احمد بن يونس حدثني ابي حدثنا ابو بكر بن عياش عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين قال : بلغ الحارث رجلا كان بالشام من قريش ان ابا ذر كان به عوز فبعث اليه ثلثمائة دينار فقال ما وجد عبد الله رجلا اهون عليه مني سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول « من سأل وله أربعون فقد ألحف » ولا سأل ابي ذر أربعون درهما وأربعون شاة وماهتان قال أبو بكر بن عياش : يعني خادمين ، وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن أحمد بن إبراهيم أخبرنا إبراهيم بن محمد أنبأنا عبد الجبار أخبرنا سفيان عن داود بن سابور عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله أربعون درهما و ملحف وهو مثل سف الملة » يعني الرمل ، ورواه النسائي عن أحمد بن سليمان عن أحمد بن عن سفيان وهو ابن عيينة بإسناده نحوه

قوله (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) أي لا يخفى عليه شيء منه وسيجزي عليه أو في الجزء وأتمه يوم القيامة أحوج ما يكون اليه

وقوله (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الاوقات من ليل أو نهار والاحوال من سر وجهار حتى ان النفقة على الاهل تدخل في ذلك أيضا كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص حين عاده مريضا عام الفتح ، وفي رواية عام حجة الوداع « وإنك ان تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعة حتى ما تجعل في في امرأتك » وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وبهز قالا : حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت قال : سمعت عبد الله بن يزيد الانصاري يحدث عن أبي مسعود رضي الله عنهما عن

قوله تعالى (وما تنفقوا من خير) من مال (فان الله به عليم) وعليه مجاز

(الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) روي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية ، وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت (للمنفقين الذين أحصروا في سبيل الله) بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى أصحاب الصفة وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في جوف الليل بوسق من تمر فأنزل الله تعالى فيهما (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار) الآية . غني بالنهار علانية صدقة عبد الرحمن بن عوف وبالليل سرا صدقة علي رضي الله عنه ، وقال أبو امامة وأبو الدرداء ومكحول والاوزاعي : نزلت

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ان المسلم اذا أنفق على أهله نفقة يَحْتَسِبُهَا كانت له صدقة» أخرجه من حديث شعبة به ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن شعيب قال : سمعت سعيد بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن عريب الملبكي عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «نزلت هذه الآية (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم) في أصحاب الخيل . وقال حبش الصنعاني : عن ابن شهاب عن ابن عباس في هذه الآية قال : هم الذي يعلفون الخيل في سبيل الله ، رواه ابن أبي حاتم ثم قال وكذا روى عن أبي أمامة وسعيد بن المسيب ومكحول ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج أخبرنا يحيى بن يمان عن عبد الوهاب بن مجاهد عن ابن جبير عن أبيه قال : كان لعملي أربعة دراهم فأنفق درهما ليلا ودرهما نهارا ودرهما سرا ودرهما علانية فنزلت (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) وكذا رواه ابن جرير من طريق عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف لكن رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب ، وقوله (فلهم أجرهم عند ربهم) أي يوم القيامة على ما فعلوا من الانفاق في الطاعات (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تقدم تفسيره

(٢٧٥) الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس،

ذلك بأنهم قالوا : انما البيع مثل الربا— وأحل الله البيع وحرم الربا— فمن جاءه موعظة

من ربه فاتته فله ماسلف وأمره الى الله، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون *

لما ذكر تعالى الابرار المؤدين النفقات المخرجين الزكوات المنفصلين بالبر والصدقات لذوى

في الذين يرتبطون الخيل للجهاد فانها تمتلئ (١) ليلا ونهارا سرا وعلانية. أخبرنا عبد الواحد بن احمد الملبكي أخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا علي ابن جعفر أخبرنا ابن المبارك أخبرنا طلحة بن أبي سعيد قل : سمعت سعيداً القبري يحدث أناسمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم «من احتبس فرسا في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه ونوله في ميزانه يوم القيامة»

وقوله تعالى ﴿فلهم أجرهم عند ربهم﴾ قال الاخفش : جعل جواب الخبر بالفاء لان الذين بمعنى من وجواب من بالفاء في الخبر أو معنى الآية من أنفق كذا فله أجره عند ربه ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾

قوله تعالى ﴿الذين يأكلون الربا﴾ أي الذين يعاملون به وانما خص الاكل لان معظم المقصود من المال ﴿لا يقومون﴾ يعني يوم القيامة من قبورهم ﴿الا كما يقوم الذي يتخبطه﴾ أي يصصره ﴿الشيطان﴾ أصل الخطب الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال : ناقة خبطت لاتي تظا

«١» وفي نسخة
الهند فانها تعاتف وفي
نسختنا الخطية: تعلف
فقط

الحاجات والقرابات، في جميع الاحوال والاوقات شرع في ذكر اكلة الربا واموال الناس بالباطل وانواع الشبهات فأخبر عنهم يوم خروجهم من قبورهم وقيامهم منها الى بعثهم ونشورهم فقال (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) اي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة الا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له وذلك انه يقوم قياما منكرا، وقال ابن عباس: آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا يخفق، رواه ابن ابي حاتم قال وروى عن عوف ابن مالك وسعيد بن جبير والسدي والربيع بن انس وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وحكي عن عبد الله بن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان انه -م قولوا: في قوله (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) يعني لا يقومون يوم القيامة، وكذا قال ابن ابي نجيم عن مجاهد والضحاك وابن زيد، وروى ابن ابي حاتم من حديث ابي بكر بن ابي مرسم عن ضمرة بن حنيف عن ابي عبد الله بن مسعود عن ابيه انه كان يقرأ: - الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يوم القيامة - وقال ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا ربيعة بن كلثوم حدثنا ابي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يقال يوم القيامة لا كل الربا خذ سلاحك للحرب، وقرا (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) وذلك حين يقوم من قبره. وفي حديث ابي سعيد في الاسراء كما هو مذكور في سورة سبحان انه عليه السلام مر ليلتئذ يقوم لهم اجواف مثل البيوت فسأل عنهم فقبل: هؤلاء اكلة الربا. رواه البيهقي مطولا، وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو بكر بن ابي شعبة حدثنا الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابي الصلت عن ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتيت ليلة أسري بي على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات تجري من خارج بطونهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اكلة الربا» ورواه الامام أحمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة به، وفي اسناده ضعف، وقد روى البخاري عن سمرة بن جندب في حديث المنام الطويل فأتيينا على شهر حسبت أنه كان يقول أحر الناس وتضرب الارض بقوائمها (من المس) أي الجنون يقال: مس الرجل فهو ممسوس اذا كان مجنونا ومعناه ان آكل الربا يبعث يوم القيامة كمثل المصروع. أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف أخبرنا عبد الله بن يحيى أخبرنا يعقوب بن سفيان أخبرنا اسماعيل بن سالم أخبرنا عباد بن عباد عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الاسراء قال «فانطلق بي جبريل عليه السلام الى رجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم منضد بن على سابلة آك فرعون - وآك فرعون يمرضون على النار غدوا وعشيا - قل: فيقبلون مثل الابل المنهومة يخطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل

مثل الدم وإذا في النهر رجل سباح يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السباح يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع الحجارة عنده فيفقر له فاه فيلقمه حجرا وذكر في تفسيره أنه أكل الربا

وقوله (ذلك بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا . وأحل الله البيع وحرم الربا) أي إنما جوزوا بذلك لاعتراضهم على أحكام الله في شرعه وليس هذا قياسا منهم للربا على البيع لأن المشركين لا يعترفون بمشروعية أصل البيع الذي شرعه الله في القرآن ولو كان هذا من باب القياس لقالوا : إنما الربا مثل البيع وإنما قالوا (إنما البيع مثل الربا) أي هو نظيره فلم يحرم هذا وأبيح هذا؟ وهذا اعتراض منهم على الشرع أي هذا مثل هذا وقد أحل هذا وحرم هذا بمجتمعه أن يكون من تمام الكلام رداء عليهم أي على ما فلوله من الاعتراض مع علمهم بتفريق الله بين هذا وهذا حكما وهو العليم الحكيم الذي لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وهو العالم بحقائق الأمور ومصالحها وما ينفع عباده فيبيحه لهم وما يضرهم فينهأهم عنه وهو أرحم بهم من الوالدة بولدها الطفل ولهذا قال (فن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله) أي من بلغه نهى الله عن الربا فانتهى حال وصول الشرع إليه فله ما سلف من المعاملة لقوله (عفا الله عما سلف) وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « وكل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ربا أضع ربا العباس » ولم يأمرهم بزيادة المأخوذة في حال الجاهلية بل عفا عما سلف كما قال تعالى (فله ما سلف وأمره إلى الله) قال سعيد بن جبير والسدي : فله ما سلف ما كان أكل من الربا قبل التحريم . وقال ابن أبي حاتم

بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقابين ومدبرين ، فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة (قال) وآل فرعون يقولون : اللهم لا تقم الساعة أبدا (قل) ويوم القيامة يقال : (ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس »

قوله تعالى (ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا) أي ذلك الذي نزل بهم لقولهم هذا واستحللهم إياه وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حل ماله على غريمه فطالبه فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في أجل حتى أزيدك في المال فيفعلان ذلك ويقولون سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند الحبل لأجل التأخير فكذبهم الله تعالى وقال (وأحل الله البيع وحرم الربا) وأعلم أن الربا في اللغة الزيادة قال الله تعالى (وما آتيتكم من ربا ليربو في أموال الناس) أي ليكثر (فلا ربا عند الله) فطالب الزيادة بطريق التجارة غير حرام في الجملة إنما المحرم زيادة على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبرنا أبو الحسن عبيد الوهاب بن محمد

قرأ علي محمد بن عبد الله بن عبد الحكم خبرنا ابن وهب أخبرني جري ر بن حازم عن أبي إسحق
الهمداني عن أم يونس يعني امرأته العالية بنت أبقم (١) أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت
لها أم بحنة أم ولد زيد بن أرقم يا أم المؤمنين أتعرفين زيد بن أرقم قالت : نعم قالت : فاني بعته
بدا الى العطاء بنمائه فاحتاج الى ثمنه فاشتريته قبل محل الاجل بسمائه فقالت : بئس ما اشتريت
وبئس ما اشتريت أبلغني زيد أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بطل ان لم
يتب قالت : فقلت أرايت ان تركت المائتين وأخذت السئائة قالت : نعم (من جاء موعظة من
ربه فانتبه فله ما سلف) وهذا الاثر مشهور وهو دليل لمن حرم مسألة العينة مع ما جاء فيها من
الاحاديث المذكورة المقررة في كتاب الاحكام والله الحمد والمنة ، ثم قال تعالى (ومن عاد) أي الى
الربا ففعله بعد بلوغه نهى الله عنه فقد استوجب العقوبة قامت عليه الحجة ولهذا قال (فأرللك
أصحاب النار هم فيها خالدون) وقد قال ابو داود : حدثنا يحيى ابو داود حدثنا يحيى بن معين
أخبرنا عبد الله بن رجاء المكي عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قال : لما نزلت
(الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « من لم يذر الخبيرة فليؤذن بحرب من الله ورسوله » ورواه الحاكم في مستدركه من
حديث أبي خثيم ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وإنما حرمت الخبيرة وهي المزارعة
ببعض ما يخرج من الارض والمزبنة وهي اشتراء الرطب في رؤوس النخل بالتمر على وجه الارض

الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس لاصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي
أخبرنا عبد الوهب عن أيوب بن أبي تيمية عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار ورجل آخر عن
عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تبمعوا الذهب بالذهب
ولا الورق بالورق ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح الا سواء بسواء عينا
بمين بدا بيد ، ولكن يبعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير والشعير بالبر والتمر بالتمر
والملاح بالتمر يدا بيد كيف شئتم - نقص أحدهما الملح أو التمر وزاد أحدهما - ومن زاد أو استزاد فقد
أربى » وروى هذا الحديث مطرف عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار وعبد الله بن عتيك عن
عبادة قالني صلى الله عليه وسلم نص على ستة أشياء وذهب عامة أهل العلم الى أن حكم الربا يثبت في
هذه الاشياء الست بالارصاف فيها فيتم الى كل مال توجد فيه تلك الارصاف ثم اختلفوا في تلك
الارصاف فذهب قوم الى أن المعنى في جميعها واحد وهو النفع وأثبتوا الربا في جميع الاموال وذهب
الاكثر الى أن الربا يثبت في الدرهم والدنانير بوصف وفي الاشياء المطعمة بوصف آخر ،
واختلفوا في ذلك اوصاف ، فقال قوم : ثبت في الدرهم والدنانير بوصف النقدي ، وهو قول مالك
والشافعي ، وقال قوم : ثبت حلة الوزن وهو قول أصحاب الرأي وأثبتوا الربا في جميع الموزونات
مثل الحديد والنحاس والقطن ونحوها ، وأما الاشياء الاربعة فذهب قوم الى أن الربا يثبت فيها بة
(٨ - تفسير ابن كثير والبنغوي)

والحاقلة وهي اشتراء الحب في سنبله في الحقل بالحب على وجه الارض انما حرمت هذه الاشياء وما شاكلها حسما لمادة الربا لانه لا يعلم التساري بين الشئيين قبل الجفاف ولهذا قال الفقهاء: الجهل بالمائلة كحقيقة المفاضلة، ومن هذا حرموا اشياء بما فهموا من توضيق المسالك الفضية الى الربا والوسائل الموصلة اليه وتفاوت نظرم بحسب ما وهب الله لكل منهم من العلم وقد قال تعالى (وفوق كل ذي علم عليم) وباب الربا من أشكال الابواب على كثير من أهل العلم وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الينا في عهدنا ننهي اليه: الجدة والكلالة وأبواب من أبواب الربا - يعني بذلك بعض المسائل التي فيها شائبة الربا والشريعة شاهدة بأن كل حرام فالوسيلة اليه مثله لان ما أفضى الى الحرام حرام كما أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب. وقد ثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتهيات فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه » وفي السنن عن الحسن ابن علي رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » وفي الحديث الآخر « الاثم ما حاك في القلب وترددت فيه النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس » وفي رواية « استفت قلبك وإن أفذك الناس وأفنوك » وقال الثوري عن عاصم عن الشعبي عن ابن عباس قال: آخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا رواه البخاري عن قبيصة عنه وقال احمد بن يحيى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن عمر قال من آخر ما نزل آية الربا وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها لنا فدعوا الربا والريبة وقال رواه ابن ماجه وابن مردويه من طريق هياج بن بسطام عن داود بن أبي هند عن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: اي اهل انهاركم عن اشياء تصلح لكم وأمركم بأسياء لا تصلح لكم وان من آخر القرآن نزولا آية الربا وأنه قد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبينه لنا فدعوا ما يريبكم الى ما لا يريبكم وقد قال

الكبيل وهو قول أصحاب الرأي، وأثبتوا الربا في جميع المكيلات مطموما كان أو غير مطموم كالخس والنورة ونحوهما، وذهب جماعة الى أن الملة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطموم وهو مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما ليس بمكيل ولا موزون وهو قول سعيد بن المسيب وقاله الشافعي رحمه الله في القديم، وقال في الجديد: يثبت فيه الربا بوصف الطعم وأثبت الربا في جميع الاشياء المطمومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت أو موزونة لما روى عن معمر ابن عبد الله قال: كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الطعام بالطعام مثلا بمثل » فجاءه رجل من بني النضير ما كان ثمنا أو مطموما والربا نوعان: ربا الفضل وربا النسيء، فإذا باع مال الربا بجنسه مثلا بمثل بأن باع أحد النقيدين بجنسه أو باع مطموما بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحوها

ابن أبي عدي بالاسناد موقوفاً ذكره ورده الحاكم في مستدركه وقد قال ابن ماجه حدثنا عمرو بن علي الصيرفي حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن زبيد عن ابراهيم عن مسروق عن عبد الله هو ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الربا ثلاثة وسبعون باباً» ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عمرو بن علي الفلاس باسناد مثله وزاد أيسرها أن ينكح الرجل أمه وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال ابن ماجه حدثنا عبد الله بن سميد حدثنا عبد الله بن ادريس عن أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الربا سبعون جزءاً أيسرها أن ينكح الرجل أمه» وقال الامام احمد : حدثنا هشيم عن عباد بن راشد عن سعيد بن أبي خيرة حدثنا الحسن منذ نحو من أربعين أو خمسين سنة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا» قل قيل له الناس كلهم ؟ قال «من لم يأكله ناله من غباره» وكذا روى أبو داود والنسائي وابن ماجة من غير وجه عن سعيد بن أبي خيرة عن الحسن به. ومن هذا القبيل الوسائل المفصلة الى المحرمات الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة قالت : لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فقرأهن فحرم التجارة في الحر وقد أخرجه جماعة سوى الترمذي من طرق عن الاعمش به وهكذا لفظ رواية البخاري عند تفسير هذه الآية فحرم التجارة وفي لفظه عن عائشة قالت : لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ثم حرم التجارة في الحر قال بعض من تكلم على هذا الحديث من الائمة : لما حرم الربا ووسائله حرم الحر وما يفضي اليه من تجارة ونحو ذلك كما قال عليه السلام في الحديث المتفق عليه «لعن الله اليهود

يثبت فيه كلا نوعي الربا حتى لا يجوز الا متساويين في معيار الشرع فإن كان موزوناً كالدرهم والدنانير فيشترط المساواة في الوزن وإن كان مكيلاً كالحنطة والشعير بيع بمجنسه فيشترط المساواة في الكيل ويشترط النقاض في مجلس العقد وإذا باع مال الربا بغير جنسه نظران باع بما لا يوافق في وصف الربا مثل أن باع مطعوماً بأحد النقيدين فلا ربا فيه كما لو باع بغير مال الربا وإن باعه بما يوافق في الوصف مثل أن باع الدرهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو باع مطعوماً بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا الفضل حتى يجوز تفاضلاً أو جزافاً ويثبت فيه ربا النساء حتى يشترط النقاض في المجلس، وقول النبي صلى الله عليه وسلم «لا تبيعوا الذهب بالذهب» الى أن قال - الاموال بسواء - فيه إيجاب المائثلة وتحريم الفضل عند اتفاق الجنس، وقوله «عينا بعير» فيه تحريم النساء وقوله «يبدأ كيف شئتم» فيه إطلاق التفاضل عند اختلاف الجنس مع إيجاب النقاض في المجلس هنا في ربا المبايعه ومن أقرض شيئاً بشرط أن يرد عليه أفضل فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا.

حرم عليهم الشحوة فحملوها فباعوها وأكلوا ثمنها» وقد تقدم في حديث علي وابن مسعود وغيرهم عند لعن المحلل في تفسير قوله (حتى تنكح زوجا غيره) قوله صلى الله عليه وسلم «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكتابه» قلوا وما يشهد عليه ويكتب الا اذا ظهر في صورة عقد شرعي ويكون داخله فاسدا فلا اعتبار بمعناه لا بصورته لان الاعمال بالنيات وفي الصحيح «إن الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم وانما ينظر الى قلوبكم أعمالكم» وقد صنف الامام العلامة أبو العباس ابن تيمية كتابا في إبطال التحليل تضمن النهي عن تعاطي الوسائل المفضية الى كل باطل وقد كفى في ذلك وشفى فرحه الله ورضي عنه

(٢٧٦) يحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم (٢٧٧) إن الذين

آمَنُوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون *

يخبر تعالى أنه يحق الربا أي يذهب بما بأن يذهب بالكلية من يد صاحبه أو يخرمه بركة ماله قوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه) تذكير وتخويف وانما ذكر الفصل ردا الى الوعظ (فانتهي) عن أكل الربا (فله ما سلف) أي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفوره له (وأمره الى الله) بعد النهي ان شاء عصمه حيث يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود وقيل (أمره الى الله) فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من أمر نفسه شيء (ومن عاد) بعد التحريم الى أكل الربا مستحلا له (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا محمد بن المثنى حدثني غندر أخبرنا شعبة عن عوف بن أبي جحيفة عن أبيه أنه قال أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب البغي ولعن آكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور. أخبرنا إسماعيل بن عبد الناهر الجرجاني أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا زاهر بن حرب أخبرنا هشيم أخبرنا أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه . وقال «هم سواء» أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو محمد التخلي أنا أبو حامد بن الشرقي أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي أخبرنا النضر بن محمد أخبرنا عكرمة بن عمار أخبرنا يحيى هو ابن كثير قال : حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الربا سبعون بابا أهونها عند الله عز وجل كالذي ينكح أهله»

قوله تعالى (يحقق الله الربا) أي ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته ، وقال الضحاك عن ابن

فلا ينفع به بل يعدمه به في الدنيا وبما قبله عليه - الو - القياة كما قال تعالى (قل لا يسئوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) وقال تعالى (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمله في جهنم) وقال (وما أوتيتهم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله) الآية وقال ابن جرير : في قوله (بحق الله الربا) وهذا نظير الخبر الذي روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال الربا وإن كثرت فأن عاقبته تصير إلى قل وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد في مسنده فقال : حدثنا حجاج حدثنا شريك عن الركين بن الربيع عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الربا وإن كثرت فأن عاقبته تصير إلى قل » وقد رواه ابن ماجه عن العباس بن جعفر عن عمرو بن عون عن يحيى بن زائدة عن إسرائيل عن الركين بن الربيع بن عميلة الغزاري عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما أهدأ كثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قل » وهذا من باب المعاملة بنقض المقصود كما قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا الهيثم بن نافع الظاهري حدثني أبو يحيى رجل من أهل مكة عن فروخ مولى عثمان أن عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين خرج من المسجد فرأى طعاما منشورا فقال : ما هذا الطعام ؟ فقالوا : طعام جالب البنا قال : بارك الله فيه وفيه قيل يا أمير المؤمنين انه قد احتكر قال : من استكره ؟ قالوا : فروخ مولى عثمان وفلان مولى عمر فأرسل إليهما فقال : ما حملكما على احتكار طعام المسلمين ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين نشترى بأموالنا ونبيع فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من احتكر على المسلمين طعامهم ضرب به الله بالافلاس أو بجذام » فقال فروخ عند ذلك أءاهد الله واعاهدك أن لا أعود في طعام أبدا وأما مولى عمر فقال إنما نشترى أموالنا ونبيع قال أبو يحيى فلقد رأيت مولى عمر مجذوما ورواه ابن ماجه من حديث الهيثم بن رافع به ولفظه من احتكر على المسلمين طعامهم ضرب به الله بالافلاس والجذام

وقوله (وبربي الصدقات) قرئ بضم الباء والتخفيف من ربا الشيء يربو وارباه يربيه أي كثره ونماه ينميه وقرئ يربي بالضم والتشديد من التربية كما قال البخاري حدثنا عبد الله بن كثير أخبرنا كثير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها يمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل » كذا رواه في كتاب الزكاة وقال في كتاب التوحيد وقال خالد بن مخلد بن سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار فذكر بإسناده نحوه وقد رواه مسلم في الزكاة عن أحمد بن عثمان بن حكيم عن خالد بن مخلد فذكره قال البخاري ورواه مسلم بن أبي مريم وزيد بن أسلم وسهل عن أبي صالح عن أبي هريرة عباس رضي الله عنهما (بحق الله الربا) يعني لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجاجا ولا صلة وبربي صدقات أي ينمها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف بها الاجر والثواب في العقبى (والله لا

عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ما رواه مسلم بن أبي مريم فقد نفرد البخاري بذكرها وأما طريق زيد بن أسلم فرواها مسلم في صحيحه عن أبي الطاهر بن السرح عن أبي وهب عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم به وأما حديث سبيل فرواه عن قتبة عن يعقوب بن عبد الرحمن عن سبيل به والله أعلم قال البخاري وقال ورقاء عن ابن دينار عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أسند هذا الحديث من هذا الوجه الحافظ أبو بكر البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأعمى عن العباس المروزي عن أبي الزناد هاشم بن القاسم عن ورقاء وهو ابن عمر الشكري عن عبد الله بن دينار عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصمد إلى الله إلا الطيب قال الله يقبلها بيمينه فيرביها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل أحد » وهكذا روى هذا الحديث مسلم وترمذي والنسائي جميعا عن قتبية عن الليث بن سعد عن سعيد المقبري وأخرجه النسائي من رواية مالك عن يحيى بن سعيد الأنصاري ومن طريق يحيى القطان عن محمد بن عجلان ثلاثتهم عن سعيد بن يسار أبي الحباب المدني عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقد روي عن أبي هريرة بن وجه آخر فقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيع عن عباد بن منصور حدثنا القاسم بن محمد قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهزة أو فلوه حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد » وتصدق ذلك في كتاب الله (بحق الله الربا ويربى الصدقات) وكذا رواه أحمد عن وكيع وهو في تفسيره وكيع ورواه الترمذي عن أبي كريب عن وكيع وقال حسن صحيح وكذا رواه الترمذي عن عباد بن منصور به ورواه أحمد أيضا عن خلف بن لويد عن ابن المبارك عن عبد الواحد بن ضمرة وعباد بن منصور كلاهما عن أبي نضرة عن القاسم به وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الملك بن اسحق عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن القاسم بن محمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان العبد اذا تصدق من طيب يقبلها الله منه فيأخذها بيمينه ويربيها كما يربي أحدكم مهزة أو فصيلة ون الرجل ليصدق بالائمة فترو في يد الله أو قال في كف الله حتى تكون مثل أحد فتصدقوا وهكذا رواه أحمد عن عبد الرزاق وهذا طريق غريب صحيح الاسناد ولكن لفظه عجيب والمحفوظ ما تقدم وروي عن عائشة أم المؤمنين فقالت الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن ثابت عن القاسم بن محمد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله ليربى لأحدكم التمرة واللقمة كما يربي أحدكم فلوه أو فصيلة حتى يكون مثل أحد » تفرد به أحمد من هذا الوجه وقال العزار حدثنا يحيى بن المعلى بن منصور حدثنا اسماعيل حدثني أبي عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الضحاك بحسب كل كفارة » بتحريم الربا » أثيم » فاجر بأكله » ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقاموا

ابن عثمان عن بني هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الرجل ليتصدق بصدقة من الكسب الطيب ولا يقبل الله إلا الطيب فيتلقاها الرحمن بيده فيربها كما يربي أحدكم فلوه أو وصفه » أو قال فضيله ثم قال لا تعلم أحداً رواه عن يحيى بن سعيد عن عمرة إلا أبا أويس وقوله (والله لا يحب كل كفار أثيم) أي لا يحب كفور القلب أثيم القول والفعل ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة وهي أن المرائي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال ولا يكتفي بما شرع له من الكسب المباح فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة فهو جحود لما عليه من النعمة ظلم أن يأكل أموال الناس بالباطل — ثم قال تعالى مادحا للمؤمنين برهبهم المطيعين أمره المؤدين شكره المحسنين إلى خلقه في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مخبراً عما أعد لهم من الكرامة وأنهم يوم القيامة من التبعات آمنون فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

(٢٧٨) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين (٢٧٩) فان لم تعملوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (٢٨٠) وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة، وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون (٢٨١) واتقوا يوماً لا حمون فيه الى الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون *

«ول تعالى أمراً بعباده المؤمنين بتقواه ناهياً لهم عما يقربهم الى سخطه ويبعدهم عن رضاه فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي خافوه وراقبوه فيما تفعلون (وذروا ما بقي من الربا) أي اتركوا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا) قال عطاء وعكرمة : نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وكانا قد أسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر : ان أتما أخذتما حقة كما لا يبقى لي ما يكفي عيالي فهل لكما أن تأخذما النصف وتؤخر النصف وأضع لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما فأنزل الله تعالى هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤس أموالهما ، وقال السدي : نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا إلى بني عمرو بن عмир ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع في خطبته يوم عرفة « ألا كل شيء من أمر الجاهلية نحت قلمي موضوع ودما الجاهلية موضوعة وان أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سدي فقتلته هذيل ، وربا الجاهلية موضوعة كلها وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فاتها موضوعة كلها (١) رقال مقاتل : نزلت في أربعة أخوة من ثقيف مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة

ما لكم على الناس من الزيادة على رؤس الاموال بعد هذا الانذار (ان كنتم مؤمنين) أي بما شرع الله لكم من تحليل البيع وتحريم الربا وغير ذلك . وقد ذكر زيد بن أسلم وابن جريج ومقاتل بن حيان والسدي ان هذا السياق نزل في بني عمرو بن عمير من ثقيف وبني المغيرة من بني مخزوم كان بينهم ربا في الجاهلية فلما جاء الاسلام ودخلوا فيه طلبت ثقيف أن تأخذه منهم فتشاؤروا وقالت بنو المغيرة لا تؤذي الربا في الاسلام بكسب الاسلام فكتب في ذلك عتاب بن أسيد نائب مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين) فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله (فقالوا نتوب الى الله ونذر ما بقي من الربا فتركوه كلهم وهذا تهديد شديد ووعيد اكيد لمن استمر على تعاطي الربا بعد الانذار قال ابن جريج قال ابن عباس : فأذنوا بحرب أي ستبقوا بحرب من الله ورسوله وتقدم من رواية ربيعة بن كاسم عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال يوم القيامة لا آكل الربا خذ سلاحك للحرب ثم قرأ (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) من كان مقبيا على الربا لا ينزع عنه كان حقا على امام المسلمين أن يستنبيه فان نزع والا ضرب عنه وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الأعلى حدثنا هشام بن حسانه عن الحسن وابن سيرين انهما قالا والله ان هؤلاء الصارفة لأكلة الربا وانهم قد اذنوا بحرب من الله ورسوله ولو كان على الناس امام عادل لاستتابهم فان تابوا والا وضع فيهم السلاح وقال قتادة أوعدهم الله بالقتل كما يسمعون وجعلهم بهرجا أين ما أتوا فأيامكم ومخالطة هذه البيوع من الربا فان الله قد أوسع الحلال وأطابه فلا يلجئكم الى معصيته فاقه . رواه ابن أبي حاتم ، وقال الربيع بن انس : أوعدهم الله آكل الربا بالقتل رواه ابن جرير وقال السهيلي ولهذا قالت عائشة لام حجة مولاة زيد

وعمر بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمر (١) مخزوم

٢١ في نسخة: عمرو

وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف أسلم هؤلاء الاخوة فطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة : والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد وضع الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب بن أسيد الى النبي صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا) (ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا) أي اذا لم تذكروا ما بقي من الربا (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) قرأ حمزة وعاصم برواية أبي بكر فأذنوا بالمدا على وزن آمنوا أي فاعلموا غيركم أنكم حرب لله ورسوله وأصله من الاذن أي أوقعوا في الاذان ، وقرأ الآخرون فأذنوا مقصورا بفتح الدال أي فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : يقال لا آكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعاني

ابن أرقم في مسألة العينة أخبره أن جهاده مع النبي صلى الله عليه وسلم قد أبطل إلا أن يتوب فخصت الجهاد لانه ضد قوله (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) قال وهذا المعنى ذكره كثير قال ولكن هذا اسناده الى عائشة ضعيف

ثم قال تعالى (وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون) أي بأخذ الزيادة (ولا تظلمون) أي بوضع رؤوس الاموال أيضا بل لكم ما بذاتكم من غير زيادة عليه ولا نقص منه وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الحسين بن اشكاب حدثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن شبيب بن غرقدة المبارقي عن سليمان بن عمرو بن الاحوص عن أبيه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال « ألا ان كل ربا كان في الجاهلية موضوع عنكم كله لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وأول ربا موضوع ربا العباس بن عبد المطلب كله » كذا وجده سليمان بن الاحوص وقد قال ابن مردويه حدثنا الشافعي حدثنا معاذ بن المنثري أخبرنا مسدد أخبرنا أبو الاحوص حدثنا شبيب بن غرقدة عن سليمان بن عمرو عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ألا ان كل ربا من ربا الجاهلية موضوع فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » وكذا رواه من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي حمزة الرقاشي عن عمرو بن خارجة فذكره

وقوله (وان كان ذو عسرة منظرة الى مبصرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد قاء فقال (وان كان ذو عسرة فنظرة الى مبصرة) لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه اذا حل عليه الدين اما أن تقضي واما أن تربي، ثم يندب الى الوضع عنه ويمد على ذلك الخير والثواب الجزيل فقال (وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) أي وان تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين، وقد وردت الاحاديث من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك (فالحديث الاول) عن أبي امامة أسعد بن زرارة قال الطبراني حدثنا عبد الله

حرب الله النار وحرب رسول الله السيف (وان تبتم) أي تركتم استئصال الربا ورجعتم عنه (فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون) بطلب الزيادة (ولا تظلمون) بالنقصان عن رأس المال فلما نزلت الآية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يامل بالربا من غيرهم بل تتوب الى الله فانه لا يدان لنا بحرب من الله ورسوله فرضوا برأس المال فشكا بنو المغيرة العسرة وقالوا أخرونا إلى أن تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروا فانزل الله تعالى (وان كان ذو عسرة) يعني وان كان الذي عليه الدين معسرا رفع الكلام باسمه كان ولم يأت لها بخبر وذلك جائز في النكرة تقول ان كان رجل صالح فأكرمه وقيل كان بمعنى وقع وحينئذ لا يحتاج الى خبر قرأ أبو جعفر عسرة بضم السين (فنظرة) أمر في صيغة الخبر تقديره فعليه نظرة (الى مبصرة) قرأ نافع مبصرة بضم السين وقرأ الآخرون بفتحها وقرأ مجاهد مبصرة بضم السين مضافا ومعناه اليسار والسعة (وأن تصدقوا) أي تتركوا رؤوس أموالكم الى المعسر

ابن محمد بن شبيب المرجاني حدثنا يحيى بن حكيم المقوم حدثنا محمد بن بكر البرساني حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثني عاصم بن عبيد الله عن أبي أمامة أسد بن زرارة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فليدسر على مسر أو يضع عنه » (حديث آخر) عن بريدة قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الوارث حدثنا محمد بن جحادة عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة » قال ثم سمعته يقول « من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة » قلت سمعتك يا رسول الله تقول « من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة » ثم سمعتك تقول « من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة » قال « له بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثله صدقة » (حديث آخر) عن أبي قتادة الحارث بن ربعي الانصاري قال أحمد حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا أبو جعفر الخطمي عن محمد بن كعب القرظي أن أبا قتادة كان له دين على رجل وكان يأتيه بقة ضاه فيختبي منه فجاء ذات يوم فخرج صبي فسأله عنه فقال نعم هو في البيت يأكل خبزاً فناداه فقال يا فلان اخرج فقد أخبرتك أنك هاهنا فخرج اليه فقال ما يغيبك عني؟ فقال إني معسر وليس عندي شيء، قال الله إنك معسر قال نعم، فبكى أبو قتادة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من نفس عن غريمه أو محاً عنه كان في ظل العرش يوم القيامة » ورواه مسلم في صحيحه (حديث آخر) عن حذيفة ابن اليمان قال الحافظ أبو يعلى المروسي حدثنا الاخنس أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو مالك الاشجني عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتى الله بعبد من عبده يوم القيامة قال ماذا عملت لي في الدنيا؟ فقال ما عملت لك يارب مثقال ذرة في الدنيا أرجوك بها قالها ثلاث مرات قال البعد عند آخرها يارب لك كنت أعطيتني فضل مال وكنت رجلاً اباع الناس وكان من خلقي الجراز فكنت أبسر على المسر وأنظر المعسر، قال فيقول الله عز وجل أنا أحق من يبسر ادخل الجنة » وقد أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه من طرق عن ربعي (خير لكم ان كنتم تعلمون) قرأ عاصم تصدقوا بخفيف الصاد والآخر بن بشيدتها أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا أبو العباس اسماعيل ابن عبد الله الميكالي أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى بن عبدان الحافظ أخبرنا أبو طاهر أحمد ابن عمرو بن السرح أخبرنا ابن وهب عن جرير بن حازم عن أيوب عن يحيى بن كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه انه كان يطلب رجلاً بحق فاختبي منه فقل ما حلك على ذلك قال العسرة فاستحلفه على ذلك فخلف فعدا بصكه فاعطاه إياه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أنظر معسراً أو وضع عنه أنجاه الله من كرب يوم القيامة » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المايحي أخبرنا ابن أبي منصور محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا اسرائيل عن منصور عن ربعي عن ابن مسعود

ابن حراش عن حذيفة زاد مسلم وعقبة بن عامر وأبي مسعود البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولفظ البخاري (١)

(حديث آخر) عن سهل بن حنيف قال الحاكم في مستدركه حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك حدثنا عمرو بن ثابت حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل عن عبد الله بن سهل بن حنيف أن سهلاً حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أعار مجاهداً في سبيل الله أو غازياً أو غارماً في عسرتة أو كتاباً في رقبته أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله » ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه

(حديث آخر) عن عبد الله بن عمر قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد عن يوسف بن مهيب عن زيد العمي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليمنح عن معسر » انفرد به أحمد (حديث آخر) عن أبي مسعود وعقبة بن عمرو قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا أبو مالك عن أبي حراش عن حذيفة أن رجلاً أتى به الله عز وجل فقال ماذا عملت في الدنيا؟ فقال له الرجل ما عملت مثقال ذرة من خير فقال له ثلاثاً وقال في الثالثة اني كنت أعطيتني فضلاً من المال في الدنيا فكنت اباي الناس فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر فقال تبارك وتعالى نحن أولى بذلك منك تجاوزوا عن عبيدي . فففر له قال أبو مسعود هكذا سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا رواه مسلم من حديث أبي مالك سعد بن طارق .

(حديث آخر) عن عمران بن حصين قال الإمام أحمد حدثنا أمود بن عامر أخبرنا أبو بكر عن الأعمش عن أبي داود عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له على رجل حق فأخذه كان له بكل يوم صدقة » غريب من هذا الوجه قد تقدم عن بريدة نحوه (حديث آخر) عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة عن عبد الملك بن

رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة لتعاقب بروح رجل كان قبلكم فقالوا له هل عملت خيراً قط؟ قال لا، قالوا تذكر، قال لا إلا اني رجل كنت اداين الناس فكنت أصر فتباني أن ينظروا الموسر ويتجاوزوا عن المعسر قال الله تبارك وتعالى « تجاوزوا عنه » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا أحمد بن عبد الله أخبرنا زائدة عن عبيد الملك بن عمير عن ربيع عن أبي اليسر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله »

(فصل في الدين وحسن قضائه وتشديد أمره)

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن اسماعيل أخبرنا أبو الوليد أخبرنا شعبة أخبرنا سلمة بن كهيل قال سمعت أبا سلمة بنى يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعظمه ففهم به أصحابه فقال دعوه فإن

(١) هنا يياض في

النسختين المخطوطة

والمطبوعة ولا ندرى

سببه ولفظ البخاري

معروف في « باب من

انظر معسراً » من

كتاب البيوع من

صحيحه وفي كتب

أخرى منه « راجع

ص ٢٦ جزء ٤ من

التسلاطي « الطبعة

الاميرية

عمير عن ربي قال حدثني أبو اليسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله » وقد أخرجه مسلم في صحيحه من وجه آخر من من حديث عباد بن الوليد بن عباد بن الصامت قال خرجت أنا وأبي نطاب الدلم في هذا الحبل من الانصار قبل أن يهاكوا فكان أول من لقينا أبا اليسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غلام له معه ضامة من صحف وعلى أبي اليسر بردة ومعا فري وعلى غلامه بردة ومعا فري فقال له أبي ياعم اني أرى في وجهك سعة من غضب قال أجل كان لي على فلان بن فلان الرامي مال فأثبت أهله فسلمت فقلت أنتم هو قالوا لا فخرج علي ابن له جفر فقلت أين أبوك فقال سمع صوتك فدخل أريكة امي، فقلت اخرج إلي فقد علمت أين أنت، فخرج فقلت ما حلاك على أن اختبأت مني؟ قال أنا والله احذرك ثم لا اكذبك خشيت والله أن احذرك فاكذبك أو أعدك فاخلطك وكنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت والله معسرا قال قلت لله قال الله؟ قلت لله قال الله، ثم قال فأتني بصحيفة فمحاها بيده ثم قال فان وجدت قضاء فاقضي وإلا فانت في حل، فاشهد أبصر عينا هاتان — ووضعت اصبعيه على عيني — وسمع اذناي هاتان ووعاء قلبي — وأشار الى نياط قلبه — رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول « من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله » وذكر تمام الحديث

(حديث آخر) عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال عبد الله بن الامام أحمد حدثني أبو يحيى البرزاز محمد بن عبد الرحمن حدثنا الحسن بن اسيد بن سالم الكوفي حدثنا العباس بن الفضل الانصاري عن هشام بن زياد القرشي عن أبيه عن مجنون مولى عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أظل الله عينا في ظله يوم لا ظل إلا ظله من أنظر معسرا أو ترك لغارم »

(حديث آخر) عن ابن عباس قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا نوح بن جعونة السلمي الخراساني عن مقاتل بن حيان عن عطاء عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق، قالوا واشتروا له بهيرا فأعطوه إياه قالوا: لا نجد الا أفضل من سنة قال « اشتروه فأعطوه إياه فان خياركم أحسنكم قضاء » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مطل الغني ظم إذا اتبع أحدكم على ملي فليتب » أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا ابراهيم بن سعيد بن ابراهيم عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضي عنه » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد عن سفيان بن أبي سفيان المقبري عن عبد الله بن أبي قعدة الانصاري عن أبيه أنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله

الى المسجد وهو يقول بيده هكذا وأوما أبو عبد الرحمن بيده الى الارض « من أنظر معسراً أو وضع عنه وقاه الله من فيح جهنم ألا إن عمل الجنة جزن بربرة - ثلاثا - ألا إن عمل النار سهل بشهوة، والسميد من وقى الفتن وما من جرعة أحب الى الله من جرعة غبط يكظمها عبده، ما كظمها عبده إلا ملا الله جرفه إيماناً » تفرد به أحمد (طريق آخر) قال الطبراني حدثنا أحمد بن محمد البوراني قاضي الحديبية (١) من ديار ربيعة حدثنا الحسن بن علي الصدائي حدثنا الحكم بن الجارود حدثنا ابن أبي المتثد خال ابن عيينة عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنظر معسراً الى ميسرته أنظره الله بذنبه الى توبته »

« ١ » وفي نسخة

الازهر « الحديث »

ولعلمها الصواب

والرجل ليس من

رواة الجماعة

ثم قال تعالى يعظ عباده ويذكرهم زوال الدنيا وفناء ما فيها من الاموال وغيرها وايمان الآخرة والرجوع اليه تعالى ومحاسبة تعالى خلقه على ما عملوا ومجازاته ايام بما كسبوا من خير وشر ويحذرهم عقوبته فقال « واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » وقد روي أن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن العظيم فقال ابن لميعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال آخره انزل من القرآن كله (واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات يوم الاثنين ليلتين خلتا من ربيع الاول رواه ابن أبي حاتم وقد رواه ابن مردويه من حديث المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال آخر آية نزلت (واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله) وقد رواه النسائي من حديث يزيد النحري عن عكرمة عن عبد الله بن عباس قال آخر شيء نزل من القرآن (واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وكذا رواه الضحاك والعرقي عن ابن عباس وروى الثوري عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال آخر آية نزلت (واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله) فكان بين نزولها وموت النبي صلى الله عليه وسلم واحد وثلاثون يوماً وقال ابن جريج قال ابن عباس آخر آية نزلت (واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله) الآية قول رأيبت ان قتلت في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر يكفر الله عني خطاياي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » فلما أدبر ناداه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر به فنودي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف قلت؟ فأعاد عليه قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم إلا الدين » كذلك قال جبريل

قوله تعالى « واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله » قرأ أهل البصرة بفتح التاء أي تصيرون الى الله وقرأ الآخرون بضم التاء وفتح الجيم أي تردون الى الله تعالى « ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين يوماً وقال ابن جريج تسع ليال وقال سعيد بن جبير سبع

ابن جريج يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعدها تسع ليال وبدي يوم السبت ومات يوم الاثنين رواه ابن جرير ورواه ابن عطية عن أبي سعيد قال آخر آية نزلت (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) (١)

« ١ » وروي أيضاً أنها نزلت قبل وفاته « ص » بثلاث ساعات وان جبريل قال له: ضعها على رأس الثمانين والمائتين من سورة البقرة كما نراه في البغوي وفي رواية اجملها بين آيتي الزبا والدين . كما في تفسير الزاهدي

(٢٨٢) يا أيها الذين آمنوا إذا تدايتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليمل لذي الحق وليتق الله ربه ولا يخس منه شيئاً ، فإن كان لذي عليه الحق - فمهما أو ضيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليعمل وليسه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل أحدهما فتذكر أحدهما الآخرى ، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ، ولا تسئموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ، ذاكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ، إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم

هذه الآية الكرمة أطول آية في القرآن العظيم وقد قال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال حدثني شعيب بن المديب أنه بلغه أن أحداث ليال ومات يوم الاثنين لليتين خلنا من شهر ربيع الاول حين زادت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة قال الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية ربا قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تدايتم بدين إلى أجل مسمى ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما لما حرم الله الربا أباح السلم وقال أشهد أن السلم المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله تعالى في كتابه وأذن فيه ثم قرأ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تدايتم بدين إلى أجل مسمى ﴾ (فاكتبوه) قوله « إذا تدايتم » أي تعاملتم بالدين بقل دايتمه ذاعلمته بالدين وإنما ذل « بدين » بدقوله إذا تدايتم لأن المدايمة قد تكون مجازاة وقد تكون معاطة فقيده بالدين ليفرق المراد من اللفظ وقيل ذكره تأكيداً كقوله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه) « إلى أجل مسمى » لأجل مدة معلومة لا لآخر ولا لآخر ولا يلزم في الثمن وفي البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب المال قبل محله في الترض لا يلزم إلا - بل عند أكثر أهل العلم (فاكتبوه) أي اكتبوا الذي تدايتم به يعني أن أوصلوا أو قرضوا واختافوا في هذه الكتابة فقال بعضهم هي واجبة والاكترون على أنه أمر استحباب فنترك فلا بأس بكوله تعالى (فاذا

القرآن بالعرش آية الدين وقال الامام أحمد حدثنا عثمان حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس انه قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن أول من جحد آدم عليه السلام ان الله لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذار الى يوم القيامة فجعل يرض ذريته عليه فرأى فيهم رجلا يزهو فقال أي رب من هذا؟ قال هو ابنك داود قال أي رب كم عمره؟ قال ستون عاما، قال رب زد في عمره قال لا الا أن أزيد من عمرك وكان عمر آدم الف سنة فزاده اربعين عاما فكتب عليه بذلك كتبا وأشهد عليه الملائكة فلما احتضر آدم وأنته الملائكة قال انه قد بقي من عمري أربعين عاما فقل له 'نك قدر هبتها لابنك داود، قال ما فعلت، فابرز الله عليه الكتاب وأشهد عليه الملائكة» وحدثنا أسود بن عامر عن حماد بن سلمة فذكره وزاد فيه «فأنعم الله لداود مائة وأنها لآدم الف سنة» وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يوسف بن أبي حبيب عن أبي داود الطيالسي عن حماد بن سلمة. هذا حديث غريب جدا روى علي بن زيد بن جدعان في أحاديثه نكارة وقد رآه الحاكم في مستدركه بنحوه من حديث الحارث بن عبد الرحمن بن أبي وثاب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ومن رواية أبي داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي هريرة ومن طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ومن حديث تمام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فذكره بنحوه.

ف قوله (يا أيها الذين آمنوا إذا نذائتم بدین الى أجل مسمى فاكتبوه) هذا ارشاد منه تعالى لبياده المؤمنين اذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة ان يكتبوها ليكون ذلك أحفظ لمقدراتها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها وقد نبيه على هذا في آخر الآية حيث قال (ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا) وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (يا أيها الذين آمنوا إذا نذائتم بدین الى أجل مسمى فاكتبوه) قال أنزلت في السلم الى أجل معلوم وقال قتادة عن أبي حسان الأعرج عن ابن عباس قال أشهد ان السلف المضمون الى أجل مسمى ان الله أحله وأذن فيه قضيت الصلاة فانتشروا في الارض) وقال بعضهم كانت كتابة الدين والاشهاد والرهن قرضا ثم نسخ الكل بقوله (فان أمن بكم بعضكم بعضا فليؤد الذي اتمن أمانته) وهو قول الشعبي ثم بين كيفية الكتابة فقال جل ذكره ﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾ أي ليكتب كتاب الدين بين الطائفتين المطلوب كاتب بالعدل أي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير ﴿ولايأب﴾ أي لا يمتنع ﴿كاتب أن يكتب﴾ واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فذهب قوم الى وجوبها اذا طواب وهو قول مجاهد وقال الحسن يجب إذا لم يكن كاتب غيره وقال قوم هو على الذنب والاستحباب وقال الضحاك كانت عزيمة واجبة على الكاتب والشاهد فنسخها قوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) ﴿كما علمه الله﴾ أي كما شرعه الله وأمره ﴿فليكتب وليملل الذي عليه الحق﴾ يعني المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه والاملال لفتان فصيحتان

ثم قرأ (يا أيها الذين آمنوا إذا نذائتم بدین الى أجل مسمى) رواه البخاري وثبت في الصحيحين من رواية سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن عبد الله بن كثير عن ابي المنهال عن ابن عباس قال قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الفجار السنة والسنتين والثلاث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أسأف فليأسف في كبل معلوم ووزن معلوم أجل معلوم » وقوله (فاكتبوه) أمر منه تعالى بالكتابة للتوثيق والحفظ فان قيل فقد ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنامة أمية لا نكتب ولا نحسب » فما الجمع بينه وبين الامر بالكتابة فالجواب ان الدين من حيث هو غير مفتقر الى كتابة أصلا لان كتاب الله قد سهل الله ويسر حفظه على الناس والسنة ايضا مخمولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي أمر الله بكتابته انما هو اشياء جزئية تقع بين الناس فأمروا أمر اشاد لا أمر ايجاب كما ذهب اليه بعضهم (١) قال ابن جريج من ادان فليكتب ومن ابتاع فليشهد وقال قتادة ذكر لنا ان ابا سفيان المرعشي كان رجلا صاحب كعبا فقال ذات يوم لاصحابه هل تعلمون مظلوما دعاه به فلم يستجب له فقالوا وكيف يكون ذلك؟ قال رجل باع بيعة الى أجل فلم يشهد ولم يكتب فلما حل ماله جحدته صاحبه فدعاه ربه فلم يستجب له لانه قد دعاه ربه. وقال أبو سعيد والشعبي والربيع بن أنس والحسن وابن جريج وابن زبد وغيرهم كان ذلك واجبا ثم نسخ بقوله (فان امن بعضهم بعضا فليؤد الذي ائتمن امانته) والدليل على ذلك ايضا الحديث الذي حكى عن شرع من قبلنا مقررأ في شرعنا ولم ينكر عدم الكتابة والاشهاد قال الامام احمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا ليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه ذكر ان رجلا من بني اسرائيل سأل بعض بني اسرائيل ان يسلفه الف دينار فقال ائتني بشهادة اشهدهم قال كفى بالله شهيدا قال ائتني بكفيل قال كفى

معناهما واحد جاء بهما القرآن فالاملال هنا والاملأ قوله تعالى فهي (تملى عليه بكرة وأصيلا) (٢) وليتق الله ربه) يعني المملى (ولا يبخس منه شيئا) أي ولا ينقص منه أي من الحق الذي عليه شيئا (٣) فان كان الذي عليه الحق سفيها (أي جاهلا بالاملأ قاله مجاهد وقال الضحاك والدي طفلا صغيرا وقال الشافعي السفيه المبذر المفسد لماله أو في دينه. قوله (أو ضعيفا) أي شيخا كبيرا وقيل هر ضعيف العقل لعته أو جنون (٤) أو لا يستطيع أن يعمل هو (٥) لخرس أو عمى أو عجمة أو حبس أو غيبة لا يمكنه حضور الكتابة أو جهل بماله وعليه (٦) فليجل وليه (٧) أي قيمه (٨) بالعدل (٩) أي بالصدق والحق وقال ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل أراد بالولي صاحب الحق يعني ان عجز من عليه الحق من الاملال فليجل ولي الحق وصاحب الدين بالعدل لانه أعلم بالحق (١٠) واستشهدوا (١١) أي وأشهدوا

= فانه ان صح انه كان بعد نزول الآية كان من التجارة الحاضرة المستثناة فيها. وأما وصف الامة العربية بالأمية فهو بيان للواقع وتعليل لجعل إنبات الصيام فيهار رؤية الهلال وكون الشهر ٣٠ أو ٢٩ يوما ولا يدخل في معناه وجوب الأمية وتحریم الكتابة بل بعث (ص) فيهم ليعلمهم الكتاب والحكمة. كتيبه مصححه

«١» اذا فرم امر الارشاد بما كان في الامور الدنيوية اي دون العبادات وامور الآخرة فلا يوضح جملة قسما لأمر الوجوب فان بعض الاوامر والنواهي في المعاملات الدنيوية للايجاب والتحريم باتفاق العلماء وبعضها يختلف فيه، ويدخل فيه منها في البيوع والربا والامر بقبول الخوالة على الملية. وقد صح عن بعض علماء السلف من الصحابة وغيرهم ان الامر بالاشهاد للوجوب والقول بنسخه مردود بأنه لا يصح ان يؤكد بما اكده من امر مكرر بالكتابة ونهى عن إثباتها ثم ينسخ ذلك في هذه الآية نفسها وقد نزلت دفعة واحدة. ولا يصح الاستدلال على صرفه عن الوجوب بشراء النبي « ص » لفرس من غير اشهاد

بأنه كفيلا قال صدقت، فدفعها اليه الى اجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يقدم عليه للاجل الذي أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فتمرها فادخل فيها ألف دينار وصحيفة معها الى صاحبها ثم زجج موضعها ثم أتى بها البحر ثم قال اللهم انك قد علمت اني استسلفت فلانا ألف دينار فساألني كفيلا فقلت كفي بالله كفيلا فرضي بذلك وسألني شهيدا فقلت كفي بالله شهيدا فرضي بذلك واني قد جهدت أن اجد مركبا ابعث بها اليه بالذي اعطاني فلم اجد مركبا واني استودعتمكم فروى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركبا الى بلده فخرج الرجل الذي كان اسافه ينظر لعل مركبا يجيئه به فاذ بالخشبة التي فيها المال فأخذها لاهله حطبا فلما كسرها وجد المال والصحيفة ثم قسم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار وقال والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لا آتيك به لك فاجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه. قال هل كنت بعثت الي بشي؟ قال لم أخبرك اني لم اجد مركبا قبل هذا الذي جئت فيه؟ قال فان الله قد ادى عنك الذي بعثت به في الخشبة فانصرف بألفك راشداً. وهذا إسناد صحيح وقد رواه البخاري في سبعة واضع من طرق صحيحة معلقة بصيغة الجزم فقال وقال الألبان بن سعيد فذكره ويقال انه رواه بهضهان بن عبد الله بن صالح كاتب الألبان عنه وقوله تعالى (فليكتب بينكم كاتب بالعدل) اي بالقسط والحق ولا يجر في كتابته على احد ولا يكتب الا ما اتفقوا عليه من غير زيادة ولا نقصان وقوله (ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب) اي ولا يمتنع من يعرف الكتابة اذا سئل ان يكتب للناس ولا ضرورة عليه في ذلك فكان الله ما لم يكن يعلم فيصدق على غيره ممن لا يحسن الكتابة وليكتب كما جاء في الحديث «ان من الصدقة ان عين صائغا أو تصنع لآخر» وفي الآخر «من كنتم علما بعلمه أجمع يوم القيامة بلحاح من نار» وقال مجاهد وعطاء واجب على الكاتب ان يكتب وقوله (وللمال الذي

﴿شهيدين﴾ اي شاهدين ﴿من رجالكم﴾ يعني الاحرار المسلمين دين العبيد والصبيان وهو قول أكثر أهل العلم وأجاز شرح وابن سيرين شهادة العبيد ﴿فمن لم يكن نارجلين﴾ أي لم يكن شاهدين رجلين ﴿رجل وامرأتان﴾ أي فليشهد رجل وامرأتان وأجمع الفقهاء على ان شهادة النساء جائزة مع الرجال في الاموال حتى يثبت برجل وامرأتين واختلفوا في غير الاموال فذهب جماعة الى انه يجوز شهادتهن مع الرجال في غير المقوبات وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وذهب جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي رحمه الله الى ان ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والثبوة والكرامة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين وبشهادة أربع نسوة وانفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة في المقوبات. قوله تعالى ﴿من رضون من الشهداء﴾ يعني من كان مرضيا في ديانته وأمانته. وشرايط قبول الشهادة سبعة الاسلام والحريّة والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وانفناء التهمة فشهادة الكافر مردودة لان المأمورين بالكذب عند الذم لا تجوز شهادتهم فالذي يكذب على الله تعالى اولى ان يكون مردودا لشهادة وجوز أصحاب الرأي شهادة أهل الذمة بعضهم

١٠ - تفسير ابن كثير والبغوي

عليه الحق وليتق الله ربه) أي ولتأمل المدين على الكتاب ما في ذمته من الدين وليتق الله في ذلك (ولا يبخس منه شيئاً) أي لا يكتسب منه شيئاً (فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً) بمجوراً عليه بتدبير ونحوه (أو ضعيفاً) أي صغيراً أو مجنوناً (أو لا يستطيع أن يعمل هو) إما لمي أو جهل بموضع صواب ذلك من خطائه (فإيمل وليه بالعدل)

وقوله (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) أمر بالشهاد مع الكتابة لزيادة التوثيق (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) وهذا إنما يكون في الاموال وما يقصد به المال وإنما أقيمت المرأتان مقام الرجل لنقصان عقل المرأة كما قال مسلم في صحيحه حدثنا قتيبة حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو ابن أبي عمرو عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقالت امرأة منهن جزلة رمالنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال «تكثرن اللامن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدي اب منكن» قالت يا رسول الله ما نقصان العقل والدين، قال «أما نقصان عقلها (١) فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل وتمكث ليالي لا نصلي ونعطر في رمضان فهذا نقصان الدين» وقوله (ممن ترضون من الشهداء) فيه دلالة على اشتراط العدالة في الشهود وهذا مقيد بحكم به الشافعي على كل مطابق في الفرق من الأمر بالشهاد من غير اشتراط وقد استدل من رد المستور بهذه الآية على أن يكون الشاهد عدلاً مرضياً. وقوله (إن فضل أحدهما) يعني المرأتين إذا نسبت الشهادة (فتذكر أحدهما الأخرى) أي يحصل لها ذكر بما رقع به من الأشهاد وهذا قرأ آخرون فتذكر بالتشديد من التذكاري ومن قال إن شهادتهما معها تجمعها كشهادة ذكر فقد أبعد والصحيح الأول والله أعلم وقوله (ولا يأب الشهداء إذا مادعوا) قيل معناه إذا دعوا لتحمل فليهم لأجابه وهو قول قتادة والربيع بن أنس وهذا كقوله (ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب) ومن هذا استفيد أن تحمل الشهادة فرض كفاية قيل وهو مذهب الجمهور المراد بقوله (ولا يأب الشهداء إذا مادعوا)

«١» كذا والذي

في صحيح مسلم «العقل» باللام وهو فيه من حديث ابن عمر و ذكر بعده اسناد آخر إلى أبي سعيد الخدري وثالث إلى أبي هريرة ولم يذكر لفظ حديثهما بل قال فيه : بمعنى حديث ابن عمر فلا بدري وجه اختيار المصنف للاسناد الأخير

على بعض ولا تقبل شهادة العميد وأجازها شريح وابن سيرين وهو قول أنس بن مالك رضي الله عنه ولا قول للمجنون حتى يكون له شهادة ولا يجوز شهادة الصبيان سئل ابن عباس رضي الله عنه عن ذلك فقال لا يجوز لأن الله تعالى يقول (ممن ترضون من الشهداء) والعدالة شرط وهي أن يكون الشاهد مجتنباً للكبائر غير مصر على الصغائر والمروءة شرط وهي ما يتصل بأداب النفس مما يعلم أن تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فإن كان الرجل يظهر من نفسه شيئاً مما يستحي أمثاله من إظهاره في الأغلب يعلم به قلة مروءته وترد شهادته، وانتفاء التهمة شرط حتى لا تقبل شهادة العدو على العدو وإن كان مقبول الشهادة على غيره لأنه متهم في حق عدوه ولا تقبل شهادة الرجل لولده وولده وإن كان مقبول الشهادة عليهما ولا يقبل شهادة من يجر إلى نفسه بشهادته نفعا كالوارث يشهد على رجل يقتل مورثه أو يدفع عن نفسه بشهادته ضرراً كالمشهود عليه بشهد يجرح من شهد

للإدعاء حقيقة قوله الشهداء والشاهد حقيقة فبمن نحمل فإذا دعي لأدائها فعليه الاجابة اذا تبين
وإلا فهو فرض كفاية والله أعلم وقال مجاهد وأبو مجلز وغير واحد إذا دعيت اتشهد فأنت بالخيار وإذا
شهدت فدعيت فأجب وقد ثبت في صحيح مسلم والسنن من طريق مالك عن عبد الله بن أبي بكر
ابن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي عمرة
عن زيد بن خالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا أخبركم بخير الشهداء ؟ الذي يأتي
بشهادته قبل أن يسئلهما » فأما الحديث الآخر في الصحيحين « لا أخبركم بشهر الشهداء ؟ الذين
يشهدون قبل أن يستشهدوا » وكذا قوله « ثم يأتي قوم نسبق إيمانهم شهادتهم ونسبق شهادتهم
إيمانهم » وفي رواية « ثم يأتي قوم يشهدون ولا يستشهدون » وهؤلاء (١) شهود الزور وقد روى
عن ابن عباس والحسن البصري أنها نعم الحالين التحمل والاداء

«١» لعل الاصل:
فهو لا م لأنه جواب
وأما

وقوله (ولا تساموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله) هذا من تمام الارشاد وهو الامر
بكتابة الحق صغيرا كان أو كبيرا فقال ولا تساموا أي لا غفلوا أن تكتبوا الحق على أي حال كان
من القلة والكثرة إلى أجله وقوله (ذلكم أقسط عند الله واقوم للشهادة وأدنى أن لا تترابوا) أي
هذا الذي امرناكم به من الكتابة للحق اذا كان مؤجلا ، أقسط عند الله أي أعدل وأقوم للشهادة
أي أثبت للشاهد اذا وضع خطه ثم رآه تذكر به الشهادة لاحتمال انه لو لم يكتبه ان ينساه كما هو
الواقع غالبا (وأدنى أن لا تترابوا) وأقرب إلى عدم الريبة بل ترجعون عند التنازع إلى الكتاب الذي
كتبتموه فبفصل بينكم بلارية

وقوله (الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها) أي
اذا كان البيع بالحاضر يدا بيد فلا بأس بدم الكتابة لا تتفاه المحذور في تركها
فأما الاشهاد على البيع فقد قال تعالى (واشهدوا اذا تباعتم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة

عليه لئمن التهمة في شهادته أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسين المروزي أخبرنا أبو الهباس أحمد بن محمد
ابن سراج القطان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن ساجان أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي أخبرنا
أبو عبيد القاسم بن سلام أخبرنا مروان بن الفراري عن شيخ من أهل الحيرة يقال له يزيد بن زياد عن
الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ترفعه « لا يجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمر على أخيه
ولا ظنين في ولاء ولا قرابة ولا الفانع مع أهل البيت » قوله تعالى (ان تضل أحداهما) قرأ حمزة إن
تضل بكسر الالف (فتذكر) برفع الراء ومعناه الجزاء والابتداء وهو وضع تضل جزم بالجزاء الا انه
لا يتبين في التضعيف فتذكر رفع لان ما بعد فاء الجزاء مبتدأ . وقراءة العامة بفتح الالف ونصب الراء
على الاتصال بالكلام الاول وتضل محله نصب بأن فتذكر منسوق عليه ومعنى الآية فرجل وامرأتان
كي تذكر (أحداهما الاخرى) ومعنى تضل أي تنسى يريد إذا نسيت إحداهما شهادتها تذكرها
الاخرى فنقول ألسنا حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا . قرأ ابن كثير وأهل البصرة فتذكر مخففا وقرأ

حدثني يحيى بن عبد الله بن بكر حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (واشهدوا اذا تباعتم) يعني اشهدوا على حكمك إذا كان فيه أجل أو لم يكن فيه أجل فاشهدوا على حكمك على كل حال قال وروى عن جابر بن زيد ومجاهد وعطاء والضحاك نحو ذلك وقال الشعبي والحسن هذا الامر منسوخ بقوله (فان آمن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن امانته) وهذا الامر محمول عند الجور على الارشاد والندب لا على الواجب وللدليل على ذلك حديث خزيمة بن ثابت الانصاري وقدره الامام احمد حدثنا أبو ليثان حدثنا شعيب عن الزهري حدثني عمارة بن خزيمة الانصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرسا م أعرابي فاستبمه النبي صلى الله عليه وسلم ليقتضيه من فرسه فاسرع النبي صلى الله عليه وسلم أبطا الأعرابي فطفق جال بعتريضون الأعرابي فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاعه حتى زاد به مضهم لأعرابي في السوم على من الفرس الذي ابتاعه النبي صلى الله عليه وسلم فنأدى الأعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت مبيعا هذا الفرس فابتعه والله ما بعنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم خير سمع ندا الأعرابي قال أو ليس قد ابتعته منك قال الأعرابي لا والله ما بعنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم «بل قد ابتعته منك» فطفق الناس يلوثون بالنبي صلى الله عليه وسلم واللاء أبيهما يتراجعان فطفق الأعرابي يقول هلم شهيدا يشهد أنني بابتعتك فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي وبلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول إلا حقا حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم ومراجعة

الباقون مشددا وذكر وذكر بمعنى واحد وهما متعديان من الذكر الذي هو ضد النسيان وحكي عن سفیان بن عيينة أنه قال هو من الذكر أي تجعل إحداهما الأخرى ذكرا أي نصير شهادتهما كشهادة ذكر والاول اصح لانه معطوف على النسيان قوله تعالى ﴿ولا تأب الشهداء إذا ما دعوا﴾ قيل أراد به إذا ما دعوا لتحمل الشهادة سماهم شهداء على معنى أنهم يكونون شهداء وهو امر يحب عند مضهم وقال قوم يجب الاجابة إذا لم يكن غيرهم فن وحد غيرهم فهو مخبرون وهو قول الحسن وقال قوم هو امر ندب وهو مخبر في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في إقامة الشهادة وادائها فعني الآية (ولا تأب الشهداء إذا ما دعوا) لاداء الشهادة التي تحملوها وهو قول مجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبر وقال الشعبي شاهد بالخيار مالا يشهد (١) وقال الحسن الآية في الامر من جميعا في التحمل والاقامة إذا كان فارغا ﴿ولا نسأمو﴾ أي ولا نملوا ﴿أن تكتبوه﴾ الهاء راجعة الى الحق ﴿صغيرا﴾ كان الحق ﴿أو كبيرا﴾ قليلا كان أو كثيرا ﴿الى أجل﴾ الى محل الحق ﴿ذلك﴾ أي الكتاب ﴿أوسط﴾ أعدل ﴿عند الله﴾ لانه أمر به وانما أمره أعدل من تركه ﴿وأقوم للشهادة﴾ لان الكتابة تذكر الشهود ﴿وأدنى﴾ وأخرى وأقرب الى ﴿ألا تقاتلوا﴾ تشكوا في الشهادة ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة﴾ قرأها عامم بالنصب على خبر كان وأضمر الاسم مجازة إلا أن تكون التجارة تجارة أو المباينة تجارة وقرأها الباقر بالرفع وله وجهان أحدهما أن يجعل الكون بمعنى الوقوع معناه إلا أن

(١) وفي نسخة: ما لم يشهد وضبط بتشديد الهاء

الاعرابي يقول هلم شهيدا بشهد اني بايعتك قال خزيمه انا أشهد انك قد بايعته فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على خزيمه فقال « بم تشهد ؟ فقال بتصديقك يا رسول الله فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمه بشهادة رجلين (١) وهكذا رواه أبو داود من حديث شعيب والنسائي من رواية محمد ابن الوليد الزبيدي كلاهما عن الزعري بنحوه. ولكن الاحتياط هو الاشارة لما رواه الامامان المافظ أبو بكر بن مردويه والحاكم في مستدركه من رواية معاذ بن معاذ العنبري عن شعبة عن فراس عن الشعبي عن أبي ردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قل « ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم: رجل له امرأة سائمة الخلق فلم يطلقها ورجل دفع مال بتميم قبل أن يبلغ ورجل اقترض رجلا مالا فلم يشهد » ثم قال الحاكم صاحب الاسناد على شرط الشيخين قال ولم يخرجاه لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبي موسى وانما أجمعوا على سند حديث شعبة بهذا الاسناد « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين » وقوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) قيل معناه لا يضار الكاتب ولا الشاهد فيكتب هذا خلاف ما عيى وبشهد هذا بخلاف ما سمع أو يكتبها بالكتابة وهو قول الحسن وقنادة غيرهما وقبل معناه لا يضار بهما قال ابن أبي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا الحسين يعني ابن حفص حدثنا سفيان عن يزيد ابن أبي زياد عن مسم عن ابن عباس في هذه الآية (ولا يضار كاتب ولا شهيد) قال يأتي الرجل فيدعوها الى الكتاب والشهادة فيقولان انا على حاجة فيقول انكما قد أمرتما ان نجيبا فليس له ان يضارهما ثم قال وروى عن عكرمة ومجاهد وطاوس وسعيد بن جبير والضحاك وعطية ومقاتل بن حيان والربيع بن انس والسدي نحوه ذلك وقوله (وان تفعلوا فانه فسوق بكم) اي ان خالفتم ما أمرتم به أو فعلتم ما نهيتكم عنه فانه فسق كائن بكم اي لازم لكم لا تحيدون عنه ولا تنفكون عنه وقوله (واتقوا الله) اي خافوه وراقبوه واتبعوا أمره واتركوا زوجه (ويعلمكم الله) كقوله (يا ايها الذين آمنوا ان تقوا الله ان يخذلكم الله) ان يجعل الاسم في التجارة والخير في الفعل وهو قوله (تديرونها بئسكم) تقديره إلا أن تكون تجارة حاضرة دثرة بئسكم ومعنى الآية إلا أن تكون تجارة حاضرة يدابده تديرونها بئسكم ليس فيها أمل (فليس عليكم جناح أن لا تكذبوها) يعني التجارة (وأشهدوا اذا تبايعتم) قال الضحاك هو عزم من الله تعالى والشهاد واجب في صغير الحق وكبيره ونقده ونسبته وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه الامر فيه الى الامانة كقوله تعالى (فان أمر بعضكم بعضا) الآية قال الآخرون هو أمر نذب = قوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) هذا منهي للغائب وأصله يضار فادغمت إحدى الراءين في الأخرى ونصبت لحق التضعيف لاجتماع الساكنين واختلفوا فيه فمنهم من قال أصله يضار بكسر الراء الاولى ، وجعل الفعل للكاتب والشهيد معناه لا يضار الكاتب فيأبى أن يكتب ولا الشهيد فيأبى أن يشهد ، ولا يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملى عليه ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه ، وهذا قول طارس والحسن وقنادة وقال قوم أصله يضار بفتح الراء على الفعل المجهول وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب أو شاهد

(١) في الطبراني انه « ص » قال خزيمه « بم تشهد ولم تكن حاضرا ؟ وذكر ابن التين انه قال له أيضا « لا تعد » أي تشهد على ما لم تشاهد . وفي قول العلماء انه « ص » جعل شهادة خزيمه شهادة رجلين نظر وكذا ترجمة أبي داود للحديث بقوله (باب اذا علم الحاكم صدق الشاهد) فظاهر هذا وذلك ان النبي « ص » حكم لنفسه بشهادة خزيمه وقد أنكره عليه ، والظاهر انه لم تكن هنالك محاكمة ولا حكم وانما لكل احد ان ياخذ ما اشتراه إما لم يمنعه من اخذه ما عاى قاهر فان كان هنالك حكم فتخريجه على حكم الحاكم بما عله يقينا أولى من تخريجه بحكم شاهد واحد اقيم مقام شاهدين له خصوصية له خصص بها حكم القرآن مع تحفظه في الشهادة ونهيه عن العود الى مثلها

يجعل لكم فرقانا) وكقوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به) وقوله (والله بكل شيء عليم) أي هو عالم بمخافتات الأمور ومصالحها وعواقبها فلا يخفى عليه شيء من الأشياء بل علمه محيط بجميع الكائنات

(٢٨٣) وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فوهن مقبوضة، فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم)

يقول تعالى (وإن كنتم على سفر) أي مسافرون وتداينتم إلى أجل مسمى (ولم تجدوا كتابا) يكتب لكم قال ابن عباس أو وجدوه ولم يجدوا قرطاسا أو دواة أو قلما فوهن مقبوضة أي فليكن بدل الكتابة رهان مقبوضة أي في يد صاحب الحق وقد استدل بقوله (فوهن مقبوضة) على أن الرهن لا يلزم إلا بالقبض كما هو مذهب الشافعي والجمهور واستدل بها آخرون على أنه لا بد أن يكون الرهن مقبوضا في يد المرهن وهو رواية عن الإمام أحمد وذهب إليه طائفة واستدل آخرون من السلف بهذه الآية على أنه لا يكون الرهن مشروعا إلا في السفر قاله مجاهد وغيره وقد ثبت في الصحيحين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقا من شعير رهنا قوتا لاهله وفي رواية من يهود المدينة وفي رواية الشافعي عند أبي الشحم اليهودي وتقرب هذه المسائل في كتاب الأحكام الكبير والله الحمد والمنة وبه المستعان

وهما على شغل مهم فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي إن الله أمر كما أن نجيبا ويلمح إليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهي عن ذلك وأمر بطلب غيرهما ﴿وإن فعلوا﴾ منهيكم عنه من الضراء ﴿فانه فسوق بكم﴾ أي معصية وخروج عن الأمر ﴿واتقوا الله وبعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فوهن مقبوضة ﴿قرأ ابن كثير وأبو عمرو فوهن بضم الهاء والراء وقرأ الباقر فوهن وهو جمع رهن مثل بقل وبغال وجبل وجبال والرهن جمع الرهان جمع الجمع، قاله الفراء والكسائي، وقال أبو عبيدة وغيره هو جمع الرهن أيضا مثل سقف وسقف وقل أبو عمرو وإنما قرأنا فوهن ليكون فرقا بينهما وبين رهان الخيل وقرأ عكرمة فوهن ضم الراء وسكون الهاء والتخفيف والتنقيط في الرهن لغتان مثل كتب وكتب ورسلا ورسلا ومعنى الآية (وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا) الآن فارتهنوا ممن تداينونه رهونا تكون وثيقة لكم بأموالكم واتقوا على أن الرهن لا يتم إلا بالقبض. وقوله (فوهن مقبوضة) أي ارتهنوا وأقبضوا حتى لو رهن ولم يسلم فلا يجبر الرهان على التسليم فإذا سلم لزم من جهة الرهان حتى لا يجوز له أن يسترجعه مادام شيء من الحق باقيا ويجوز في الحضر الرهن مع وجود الكتاب وقال مجاهد لا يجوز الرهن إلا في السفر عند عدم الكتاب لظاهر الآية وعند الآخرين خرج الكلام في الآية على الأعم الأغلب لا على سبيل

وقوله (فان آمن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن أمانته) روى ابن أبي حاتم بإسناد جيد عن أبي سعيد الخدري انه قال هذه نسخت ما قبلها . وقال الشعبي اذا ائتمن بعضكم بعضا فلا بأس أن لا تكتبوا أولا تشهدوا (١) وقوله (وليتق الله ربه) يعني المؤمن كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد وأهل السنن من رواية قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « على اليد ما أخذت حتى تؤديه »

وقوله (ولا تكتبوا الشهادة) أي لا تخفوها وتلووها ولا تظهروها قال ابن عباس وغيره شهادة الزور من أكبر الكبائر وكتبتها كذلك ولهذا قال (ومن يكتنها فانه آثم قلبه) قال السدي يعني فاجر قلبه وهذه كقوله تعالى (ولا تكتبوا شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين) وقال تعالى (بأيمان الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين أن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وأن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خيرا) وهكذا قال ههنا (ولا تكتبوا الشهادة ومن يكتنها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم)

(٢٨٤) لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم

به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير

يخبر تعالى ان له ملك السموات والارض وما فيهن وما بينهن وان المطلع على ما فيهن لا تخفى عليه الظواهر ولا السرائر والضمائر وان دقت وخفيت ، وأخبر أنه سبحانه يحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم كما قال تعالى (قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير) وقال (يعلم السر وأخفى) والآيات في ذلك كثيرة جداً وقد أخبر في هذه بمزيد على العلم وهو الحاسبة على ذلك ولهذا لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على الصحابة رضي الله عنهم وخافوا منها ومن محاسبة الله لهم على جليل الاعمال وحقيقها وهذا من شدة إيمانهم وإيقانهم قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم حدثني أبو عبد الرحمن بن يني العلاء

الشرط والدليل عابه ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي ولم يكن ذلك في السفر ولا عند عدم كاتب (فان آمن بعضكم بعضا) وفي حرف أبي (فان ائتمن) يعني فان كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق فلم يرهن منه شيئاً لحسن ظنه به (فليؤد الذي ائتمن أمانته) أي فليقضه على الامانة (وليتق الله ربه) في أداء الحق ثم رجع الى خطاب الشهود فقال (ولا تكتبوا الشهادة) اذا دعيتم الى اقامتها نهى عن كتمان الشهادة وأوعد عليه فقال (ومن يكتنها فانه آثم قلبه) أي فاجر قلبه . قبل ما وعد الله على شيء . كما عاده على كتمان الشهادة قال فانه آثم قلبه واراد به مسخ القلب نعم ذلك من ذلك (والله بما تعملون) من بيان الشهادة وكتبتها (عليم) لله ما في السموات وما في الارض (ما سكا وأهلها له عبيد وهو مالكم) وان تبدوا ما في

(١) هذا توسع في النسخ لا يتفق مع حكمته وهو إنزال الحسب منسوخاً بما يتصل به في آية واحدة الظاهر انها نزلت دفعة واحدة ولا معارض له وقد اتفقوا على اشتراط التراخي بين النسخ والمنسوخ . والمتبادر هنا ان الامر باداء الامانة حكم عام مستقل بنفسه يدخل فيه ما ذكر وغيره كالودعة فهو من أحكام المحكمات وعليه الجمهور

عن أبيه عن أبي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيمنه من يشاء ويذهب من يشاء والله على كل شيء قدير) اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جثوا على الركب وقالوا يا رسول الله كفنا من الأعمال ما نطبق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» فلما أقر بها القوم وذات بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) فلما فعلوا ذلك نسخها الله (١) فانزل الله

(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لما مكسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) إلى آخره ورواه مسلم تفردا به من حديث يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة فذكر مثله ولفظه: ولما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لما مكسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) قال نعم (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) قال نعم (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) قال نعم (واعف عنا أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيمنه من يشاء ويذهب من يشاء والله على كل شيء قدير) في اختلاف العلماء في هذه الآية فقال قوم هي خاصة ثم اختلفوا في وجه خصوصها فقال بعضهم هي متصلة بالآية الأولى نزلت في كتمان الشهادة أو تخفوها الكتمان يحاسبكم به الله وهو قول الشعبي وعكرمة وقال بعضهم نزلت فيمن يتولى الكافرين دون المؤمنين يعني وإن تعانوا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تسروا بحاسبكم به الله وهو قول مقاتل كما ذكر في سورة آل عمران (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) إلى أن قال (قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه بعلمه الله) وذهب الآخرون إلى أن الآية عامة ثم اختلفوا فيها فقال قوم هي منسوخة بالآية التي بعدها ولديها ما أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أخبرنا عبد الغافر (١) بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الخلودي حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن لمهال الضريير وامية بن بسطام العبثي ولفظه له قلنا أخبرنا يزيد بن زريع أنا روح وهو ابن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) الآية قال اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جثوا على الركب فقالوا أي رسول الله صلى الله عليه وسلم كفنا من الأعمال ما نطبق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» فلما فعلوا ذلك نسخها الله (١) فانزل الله

(١) التحديق أن الآية الأولى لا تتضمن فوق ما في الوسم بل لا تكليف فيها فأنها في مسألة اعتقادية وهي محاسبة الله الناس يوم القيامة على ما يظهرون من مكشونات أنفسهم بالنقل والعمل وما يخفون من العقائد حتمها وباطلها والسرائر والصفات المكتسبة بالعمل حسناتها وقبيحتها كما قال (سيجزيهم وسفهم) ومن ذلك الكفر والرياء وسوء النيات والحقد والحسد فيعاقب على ما شاء من ذلك ويعفو عن يشاء يوما ورد أنه يعفو عن الحسد الذي لا يفي فيه وعن حديث النفس وهما الذي يكبحه صاحبها فلا يعمل به... والذي خالف منه الصحابة (رض) أن يكون الحساب على كل ما ذكر فأنهم الله ذلك وثل هذا يعد نسخا في عرف السلف لا الأصوليين فإن النسخ عندهم إنما هو لإلزام الأحكام دون الإخبار (١) وفي نسخنا عهد الغفار

اغفر لنا ورحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين (قال نعم) حديث ابن عباس في ذلك قال
الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن آدم بن سلمان سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
لما نزلت هذه الآية (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) قال دخل قلوبهم منه شيء لم
يدخل قلوبهم من شيء قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا » فالتقى
الله الايمان في قلوبهم ، فانزل الله (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل من آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)
الى قوله (فانصرنا على القوم الكافرين) وهكذا رواه مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة وابي كريب
واسحق بن ابراهيم ثلاثتهم عن وكيع به وزاد (ربنا لا تؤخذنا ان نسينا أو اخطأنا) قال قد فعلت (ربنا
ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) قال قد فعلت (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) قال
قد فعلت (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) قال قد فعلت
(طريق أخرى) عن ابن عباس قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن حميد الاعرج عن
مجاهد قال دخلت على ابن عباس فقلت يا أبا عباس كنت عند ابن عمر فقرأ هذه الآية فبكى قال آية
آية قلت (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) قال ابن عباس ان هذه الآية حين أنزلت غمت أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم غما شديداً وغازظهم غيظاً شديداً يعني وقالوا يا رسول الله ملكنا ، ان كنا
نؤخذ بما تكلمنا وبما نعمل فأما قلوبنا فليست بأيدينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا
سمعنا وأطعنا » فقالوا سمعنا وأطعنا . قال ففسخها هذه الآية (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه
والمؤمنون كل آمن بالله) الى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) فتجوز
لهم عن حديث النفس وأخذوا بالاعمال (طريق أخرى) عنه قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن
وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سعيد بن مرجانة سمعه يحدث انه بينما هو جالس
وعصينا بل قولوا (سمعنا وأطعنا غفرانك واليك المصير) فلما قرأه القوم وذات بها ألسنتهم أنزل
الله في أثرها (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق
بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل
الله (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤخذنا ان نسينا أو اخطأنا)
قال نعم (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) قال نعم (ربنا ولا تحملنا
مالا طاقة لنا به) قال نعم (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)
قال نعم . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه وقال في كل ذلك قد فعلت بدل
قوله نعم ، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم واليه ذهب محمد بن سيرين
ومحمد بن كعب وقتادة والكلبي . أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو محمد عبد الله
ابن يوسف الاصفهاني أخبرنا أبو بكر أحمد بن اسحق الفقيه أخبرنا يعقوب بن يوسف القزويني

دلت هذه الروايات عن ابن عباس الذي خافه ابن عمر ومن قبله إنما هو الحساب على الوسوسة وحديث النفس ولو فما تكرهه فبين لهم في الآية الثانية أن المراد بما الأنفس كسبها وما استقر فيها من عقيدة ونية وعزم وهو ما بيناه في حاشية قبل هذه... وكانوا يسمون مثل هذا نسخا وما هو بنسخ عند الأصوليين كما نرى في البغوي

مع عبد الله بن عمر تلاه هذه الآية (لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) الآية فقال والله إنني واخذنا الله بهذا لنهتكم، ثم بكى ابن عمر حتى سمع نسيجه قال ابن مرجانة فقامت حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما قال ابن عمر وما فعل حين تلاها فقال ابن عباس يغفر الله لابن عبد الرحمن لعمرى لقد وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد عبد الله بن عمر فانزل الله بعدها (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) في آخر السورة قال ابن عباس فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها وصار الأمر إلى أن قضى الله عز وجل أن للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل (طريق أخرى) قال ابن جرير حدثني المنفي حدثنا اسحق حدثنا يزيد ابن هرون عن سفيان بن يحيى عن الزهري عن سالم أن أباه قرأ (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) فدمعت عيناه فبلغ صنيعه ابن عباس فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن لقد صنع كما صنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت فنسختها الآية التي بعدها (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) فهذه طرق صحيحة عن ابن عباس، وقد ثبت عن ابن عمر كما ثبت عن ابن عباس قال البخاري حدثنا اسحق حدثنا روح حدثنا شعبة عن خالد الحذاء عن مروان الأصغر عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحسبه ابن عمر (أن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) قال نسخها الآية التي بعدها وهكذا روى عن علي وابن مسعود وكتب الأخبار والشعبي والنخعي ومحمد بن كعب القرظي وعكرمة وسعيد بن جبيرة وفتادة أنها منسوخة بالتي بعدها، وقد ثبت بما رواه الجماعة في كتبهم السنة من طريق فتادة عن زرارة بن أوفي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل)

وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال الله إذا هم عبيدي بسبئية فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكذبوها سبئية» أخبرنا أبو القاسم بن الحكم الغزني أخبرنا مسعر بن كدام عن قتادة عن زرارة بن أوفي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به» وقال بعضهم الآية غير منسوخة لأن النسخ لا يرد على الأخبار إنما يرد على الأمر والنهي وقوله (يحاسبكم به الله) خبر لا يرد عليه النسخ ثم اختلوا في تأويلها فقال قوم قد أثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال (ما كسبت قلوبكم) فليس الله عبد أسر عملا أو أعلنه من حركة من جوارحه أو همه في قلبه الا يخبره الله به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء، وهذا معنى قول الحسن يدل عليه قوله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشغولا) وقال الآخرون معنى الآية أن الله عز وجل يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعملوه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والأموال التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال «بإعاشة هذه

واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكنتوها حسنة فان عملها فاكنتوها عشرًا» لفظ مسلم وهو في افراده من طريق اسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قال الله : اذا هم بعبدى بحسنة ولم يعملها كتبت لها حسنة فان عملها كتبت لها عشر حسنات الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة فلم يعملها لم اكتبها عليه فان عملها كتبت لها سيئة واحدة» وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر بن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قال الله اذا تحدث عبيدي بأن يعمل حسنة فأنا اكتبها له حسنة ما لم يعمل فاذا عملها فأنا اكتبها بعشر أمثالها واذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها فان عملها فأنا اكتبها له بمثلها » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت الملائكة رب وذاك أن عبدك (١) يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكنتوها له بمثلها وان تركها فاكنتوها له حسنة وانما تركها من حراي » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا أحسن أحدكم سلامه فان له بكل حسنة يعملها تكتب له عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة تكتب بمثلها حتى يلتقى الله عز وجل » تفرد به مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق بهذا السياق واللفظ وبعضه في صحيح البخاري وقال مسلم أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا خالد الاحمر عن هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت » تفرد به مسلم دون غيره من أصحاب الكتب وقال مسلم أيضا حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا عبد الوارث عن الحميد أبي عثمان حدثنا أبو رجاء العطاردي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تعالى قال « ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملهم كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة

«١» وفي نسخة

الازهر وان عبدك

«١» زاد في نسخة

ونسخة الطبعة الهندية

« فيجدها في جيبه »

ولفظ الترمذي « حتى

البضاعة يضعها في يد

قميصه فيفزع لها » الخ

وليس فيه ذكر الشوكة

راجع ابن كثير ص ٨٥

معانبة الله العبد بما يصيبه من الخي والنكبة حر الشوكة والبضاعة يضعها في كفه فيفقدتها فيروع لها (١) حتى ان المؤمن يخرج من ذنوبه كما يخرج الثور الاحمر من الكبر » اخبرنا عبد الواحد بن احمد الميمحي اخبرنا ابو منصور السمعاني اخبرنا أبو جعفر الزباني اخبرنا حميد بن زنجويه اخبرنا عبد الله بن الخ حدثني الليث حدثني يزيد بن ابي حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبد شرا أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة » وقال بعضهم (وان تبدوا ما في أنفسكم) يعنى ما في قلوبكم مما عزمت عليه (أو تخفوه بحاسبكم به الله) ولا تبدوه وأنتم عازون عليه بحاسبكم به الله فاما ما حدثت به أنفسكم مما لم تعملوا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يؤخذكم به دليله قوله تعالى (لا تأخذكم الله بالآفة في إيمانكم ولكن يؤخذكم الله بما كسبت قلوبكم) قال عبد الله ابن المبارك قلت لسفيان أياخذ الله العبد بالهمة قال اذا كان عزما أخذ بها . وقيل معنى المحاسبة

فإن هم بها فعمها كتبها الله - عنده سبعة واحدة - ثم رواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن جعفر ابن سليمان عن الجعد أبي عثمان في هذا الاسناد بمعنى حديث عبد الرزاق زاد «ومحاضا الله ولا يملك على الله إلا هالك» وفي حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قل جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه فقالوا انا نجد في أنفسنا ما يتبهم أحدنا أن يتكلم به قال «وقد وجدتموه؟ قالوا نعم قال «ذاك ربح الايمان» لفظ مسلم وهو عند مسلم أيضا من طريق الاعش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم به وروى مسلم أيضا من حديث مغيرة عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة قال «تلك صريح الايمان»

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ان تدوا مالي أنفسكم أو تخونوا بحسابكم به الله) فإنها لم تنسخ ولكن الله اذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول اني اخبركم بما أخفيتكم في أنفسكم مما لم يطالع عليه ملائكتي فأما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم وهو قوله (يحاسبكم به الله) يقول بخبركم وأما أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب وهو قوله (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) وهو قوله ولو لم يكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم (أي من الشك والنفاق وقد روى العوفي والضحاك عنه قريبان هذا وروى ابن جرير عن مجاهد والضحاك نحوه وعن الحسن البصري انه قال هي محكمة لم تنسخ واختار ابن جرير ذلك واحتج علي انه لا يلزم من المحاسبة المعاقة وانه تعالى قد يحاسب ويغفر وقد يحاسب ويعاقب بالحديث الذي رواه عند هذه الآية قتيلا حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن سعيد بن هشام (ح) وحدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا ابن هشام قلاحيما في حديثهما عن قتادة عن صفوان بن محرز قال بينا نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف اذا عرض لرجل فقال يا ابن عمر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه

الاخبار والتعريف وفي الآية وان تدوا مالي أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونوهم بحاسبكم به الله ويخبركم به ويمر فكم اياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا لفضله، ويعذب الكافرين اظهارا لعذله، وهذا معنى قول الضحاك ويؤيد ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما يدل عليه انه قل يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به والمحاسبة غير المؤاخذة والدليل عليه ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزرادي أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي انا أبو سعيد الهيثم بن كليب انا عيسى بن احمد العسقلاني انا يزيد بن هرون انا همام بن يحيى عن قتادة عن صفوان بن محرز قل كنت آخذا بيد عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فأتاه رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يستتره من الناس فيقول أي عبي تعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول نعم أي رب ثم يقول أي عبي تعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول نعم أي رب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه

فيقرره بذنوبه فيقول له هل تعرف كذا فيقول رب أعرف مرتين حتى اذا بلغ ماشاء الله أن يبلغ قال فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم قال فيعطى صحيفة حسنته أو كتابه بيمينه وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الاشهاد (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق متعددة عن قتادة به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبيه قال سألت عائشة عن هذه الآية (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) فقالت ما سألتني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت هذه مباينة الله العبد وما يصيبه من الحى والنكبة والبضاعة يضعها في يد كفه فيفقدوها فيزع لها ثم يجدها في ضيقه حتى ان المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج النبر الاحمر (١) وكذا رواه الترمذي وابن جرير من طريق حماد بن سلمة به وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من حديثه (قلت) وشيخه علي بن زيد بن جدعان ضعيف غريب في رواياته وهو يروى هذا الحديث عن امرأة أبيه ام محمد أمية بنت عبد الله عن عائشة وليس لها عنها في الكتب سواه

(٢٨٥) آمَنَ الرُّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ مِنْ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفِرَ لَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ

انه قد هلك فإني قد سترتها عليك في الدنيا وقد غفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسنته، وأما الكافر والمنافق (فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) قوله تعالى (فيغفر لمن يشاء) ويعذب من يشاء (فعلى الرءاء والباء أبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب وجزمهما الآخرون قالهم على الالتداء والحزم على النسق روى طائوس عن ابن عباس رضى الله عنهما فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير) لا يستل عما يفعل وهم يستلون « والله على كل شيء قدير »

قوله تعالى ﴿ آتَى الرُّسُولَ ﴾ أي صدق ﴿ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ يعني كل واحد منهم ولذلك وحد ﴿ وملائكته وكتبه ورسله ﴾ قرأ حمزة الكسائي وكتابه على الواحد يعني القرآن وقيل معناه الجمع وان ذكر باللفظ التوحيد كقوله تعالى (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب) رقرأ الآخرون وكتبه بالجمع كقوله تعالى (وملائكته وكتبه ورسله) لا نفرق بين أحد من رسله ﴿ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وفيه إضمار تقديره يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء فيكون خبرا عن الرسول أو معناه لا يفرق الكل وإنما قال بين أحد ولم يقل بين آحاد لان الواحد يكون لا واحد والجمع قال الله تعالى (فاما منكم من أحد عنه حاجزين) ﴿ وفلوا سمعنا ﴾ قولك ﴿ وأطعنا ﴾ أمرك، روى عن حكيم عن جابر رضى الله عنهما

« ١ » قوا ثم يجدها في ضيقه ، هذه الجملة ليست في رواية الترمذي . والضبعة مثلثة الضاد تطلق على الال واليال قيس والمال وهي من الضين بالسكسر وهو ما بين الابط والكشح واستثنى منه : اضبطته إذا جعله في كنفه . وقوله « كما يخرج النبر الاحمر » زاد الترمذي « من الكبير » وفي النسخة المطبوعة من ابن كثير « البسر » مكان النبر والظاهر انه تحريف لا رواية راجع البغوي ص ٨٣

(٢٨٦) لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت: ربنا لا تؤاخذنا

ان نسيتنا او اخطانا، ربنا ولا تحمل علينا اصرار كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا نعملنا
مالا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولاهم فانصرنا على القوم الكافرين

(ذكر الاحاديث الواردة في فضل هاتين الآيتين الكریمتین نفعنا الله بهما)

(الحديث الاول) قال البخارى حدثنا محمد بن كثير أخبرنا شعبة عن سليمان عن ابراهيم
 عن عبد الرحمن عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قرأ الآيتين - وحديثنا بونهيم
 حدثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : من قرأ بالآيتين - من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» وقد أخرجه بقية الجماعة من
 طريق سليمان بن مهران الاعمش باسناده مثله وهو في الصحيحين من طريق الثوري عن منصور
 عن ابراهيم عن عبد الرحمن عنه به وهو في الصحيحين أيضا عن عبد الرحمن عن علقمة عن ابن مسعود
 قال عبد الرحمن ثم لقيت أبا مسعود فحدثني به وهكذا رواه أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن آدم
 حدثنا شريك عن عاصم عن المسيب بن رافع عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»

(الحديث الثاني) قال الامام أحمد حدثنا حسين حدثنا شيبان عن منصور عن ربعي عن خرخشة بن الحر عن المعرو ر بن سويد عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي » وقد رواه ابن مردويه من حديث الاشجعي عن الثوري عن منصور عن ربعي عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر قال قال « رسول الله صلى الله عليه وسلم » أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش »

الحديث الثالث قال (مسلم) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو اسامة حدثنا مالك بن مغول (ح) وحدثنا ابن نمير وزهير بن حرب جميعا عن عبد الله بن نمير والفاظهم منقاربة قول ابن نمير حدثنا أبي حدثنا مالك بن مغول عن الزبير بن عدي عن طلحة عن مرة عن عبد الله قال لما امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدره المنتهى وهي في السماء السابعة إليها ينزى ما يرجع

أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية : إن الله قد أثني عليك وعلى أمتك فصل فاعطه، فسأل بتلقين الله تعالى فقال ﴿ غفرانك ﴾ وهو نصب على المصدر أي اغفر غفرانك أو على المفعول به أي نسألك غفرانك ﴿ ربنا وإليك المصير ﴾ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴿ ظاهر الآية قضاء الحاجة وفيها إضمار السؤال كأنه قال وقالوا لا نكلفنا إلا وسعنا وأجاب أي لا يكلف الله نفسا إلا وسعها أي طاقتها والوسع اسم لما يسع الإنسان ولا يضيق عليه واختلوا

من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال (اذ ينشئ السدرة يغشى)
قال فراش من ذهب قال واعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطيت الصلوات الخمس واعطي
خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من امته شيئا المقححات

(الحديث الرابع) قال أحمد حدثنا اسحق بن ابراهيم الرازي حدثنا سلمة بن الفضل
حدثني محمد بن اسحق عن يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله البرقي عن عقبة بن عامر الجهمي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فاني أعطيتما من كنز
تحت العرش» هذا اسناد حسن ولم يخرجوه في كتبهم

(الحديث الخامس) قال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا ابراهيم بن اسحق الحرابي
أخبرنا مروان أنبأنا ابن عوامة عن أبي مالك عن ربيعة عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم «فضلنا على الناس بثلاث اوتيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من بيت كنز تحت العرش
لم يعطها أحد قبلي ولا يعطها أحد بعدي» ثم رواه من حديث نعيم بن أبي هند عن ربيعة عن حذيفة نحوه
(الحديث السادس) قال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي بن نافع أنبأنا اسماعيل بن الفضل
أخبرنا محمد بن حاتم بن بزيع أخبرنا جعفر بن عون عن مالك بن مغول عن أبي اسحق عن الحارث
عن علي قال : لا أرى أحدا عقل الاسلام بنام حق يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة فانها من
كنز عطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم من تحت العرش ورواه وكيع في تفسيره عن امرئيل عن أبي
اسحق عن عمير عن علي قال ما أرى أحدا يقل بانه الاسلام بنام حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم
سورة البقرة فانها من كنز تحت العرش

(الحديث السابع) قال أبو عيسى الترمذي حدثنا بندار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا
هاد بن سلمة عن أشعث بن عبد الرحمن الحرابي عن أبي قتادة عن أبي الأشعث الصنعاني عن الزمان
في تأويله فذهب ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وأكثر المفسرين الى انه أراد به حديث النفس
الذي ذكر في قوله (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) كما ذكرنا وروى عن ابن عباس رضي الله
عنها انه قال هم المؤمنون خاصة وسع عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم فيه الا ما يستطيعون كما قال الله
تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال الله تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج)
وسئل سفيان بن عيينة عن قوله عز وجل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) قال لا يسرها ولم
يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع ما دون الطاقة وقوله تعالى (ها ما كسبت) أي للناس
ما عملت من الخير لها أجره وثوابه (وعليها ما اكتسبت) من الشر وعليها زره (ربنا لا تؤاخذنا
أبي لا نعاقبنا) (إن نسنا) جملة بعضهم من النسيان الذي هو السهو قال الكلبي كانت بنو امير ائيل
اذا نسوا شيئا مما أمر به أو أخطئوا عجلت لهم العقوبة فخرم عليهم شيء من مطعم أو مشرب
على حسب ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين أن يسألوا ترك مؤاخذتهم بذلك وقيل هو من النسيان

ابن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والارض بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرأ بهن في دار ثلاث ليل فيقرها شيطان » ثم قال هذا حديث غريب وهكذا رواه الحاكم في مستدركه بن حديث حماد بن سلمة به وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

﴿ الحديث الثامن ﴾ قال ابن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن مدين أخبرنا الحسن بن الجهم أخبرنا اسماعيل بن عمرو أخبرنا ابن مريم حدثني يوسف بن أبي الحجاج عن سعيد عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ آخر سورة البقرة وآية الكرسي ضحك وقال « انهما من كنز الرحمن تحت العرش » وإذا قرأ (من يعمل سوءا يجز به) وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى) استرجع واستكن

﴿ الحديث التاسع ﴾ قال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد بن كوفي حدثنا أحمد بن يحيى ابن حمزة حدثنا محمد بن بكر حدثنا مكى بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن أبي حميد عن أبي مليح عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش والمفصل نافذة »

﴿ الحديث العاشر ﴾ قد تقدم في فضائل الفاتحة من رواية عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل اذ سمع نقيضا فوقفه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ففتح قط قال فزل منه ملاك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ان تقرأ حرفا منهما إلا أوتيته رواه مسلم والنسائي وهذا لفظه

ف قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه) اخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال ابن جريه حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الترك (كقوله تعالى) نسوا الله فنسيهم قوله تعالى (أو أخطأنا) قيل معناه التصدير العمدة يقال أخطأ فلان اذا نعد قال الله تعالى ان قتالهم كان خطأ كبيرا قال عطاء بن نسيان وأخطأنا يعني ان جهلنا أو نعدنا وجعله الاكثرون من الخطأ الذي هو الجهل والسهو لان ما كان عمدا من الذنب فقير معفو عنه بل هو في مشيئة الله والخطأ معفو عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه قوله تعالى (ربنا ولا تحمل علينا آصرا) أى عهدا ثقيلا وميثاقا لا نستطيع القيام به فعدبنا بنقضه وتركه (كما حملته على الذين من قبلنا) يعني اليهود فلم يقوموا به فعدبهم ، هذا قول مجاهد وعطاء و قتادة والسدي والكلبي وجماعة يدل عليه قوله تعالى (وأخذتم على ذلكم آصرا) أى عهدي وقيل معناه لا تشدد ولا تغلظ الامر علينا كما شددت على من قبلنا من اليهود وذلك أن الله فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة ومن أصحاب

عليه وسلم قال لما نزلت عليه هذه الآية «ويحق له أن يؤمن» وقد روى الحاكم في مستدركه حدثنا أبو
النضر الفقيه حدثنا معاذ بن نجرة القرشي حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا أبو عقيل عن يحيى بن أبي كثير
عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم (آمن الرسول بما أنزل إليه
من ربه) قال النبي صلى الله عليه وسلم «حق له أن يؤمن» ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه
وقوله (والمؤمنون) عطف على الرسول ثم أخبر عن الجميع فقال (كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين أحد من رسله) فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا آله غيره ولا رب سواه.
ويصدقون بجميع الانبياء والرسول والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والانبياء لا يفرقون
بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم مادقون بارون راشدون مهديون
هادون الى سبيل الخير، وان كان بعضهم ينسخ شريعة بعض باذن الله حتى نسخ الجميع بشريع
محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته ولا تزال طائفة من
أمته على الحق ظاهرين وقوله (وقالوا سمعنا وأطعنا) أي سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه وقمنا به
وامثلنا العمل بمقتضاه (غفرانك ربنا) سؤال للمغفرة والرحمة واللطف، قال ابن أبي حاتم حدثنا علي
بن حرب الموصلي حدثنا ابن فضال عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول
الله (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون) الى قوله (غفرانك ربنا) قال قد غفرت لكم (واليك
المصير) أي المرجع والمآب يوم الحساب. قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن سنان عن
حكيم عن جابر قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا
واليك المصير) قال جبريل ان الله قد أحسن الثناء عليكم وعلي أمنك فسل تعطه فأمر (لا يكلف
الله نفسا الا وسعها) الى آخر الآية وقوله (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) أي لا يكلف أحد أفوق
توبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه ويحوها من الاثقل والاغلل
وهذا معنى قول عثمان وعطاء ومالك بن أنس وأبي عبيدة وجماعة يسدل علي قوله تعالى (ويضع
عنهم اصرهم والاغلل التي كانت عليهم) وقيل الاصر ذنب لا توبة له معناه أعصمنا من مثله والاصل
فيه الثقل والاحكام. قوله تعالى ﴿ربنا ولا تحمنا ما لا طاقة لنا به﴾ أي لا تكلفنا من الاعمال ما لا
نطيقه وقيل هو حديث النفس والوسوسة حكى عن مكحول انه قال هو الغلة قيل الغلة شدة
الشهوة وعن إبراهيم قال هو الحب وعن محمد بن عبد الوهاب قال الدشق وقال ابن جرير هو مسخ
الفرقة والخنازير وقيل هو شحانة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها. قوله تعالى ﴿واعف عنا﴾
أي تجاوز وامح عنا ذنوبنا ﴿واغفر لنا﴾ أي أستر علينا ذنوبنا ولا تغضبنا ﴿وارحمنا﴾ فإنا لا
ننال العمل الا بظاعتك ولا نترك معصيتك الا برحمتك ﴿أنت مولانا﴾ ناصرنا وحافظنا ووليانا
﴿فانصرنا على القوم السكارين﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله

طاقه وهذا من لطفه تعالى مخلقه ورفته بهم واحسانه اليهم هذه هي النسخة الرافعة لما كان أشفق منه الصحابة في قوله (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) أي هو وان حاسب وسأل لكن لا يعذب الا بما نذرت الشحص دفعه فلما مالا لك دفعه من وسوسة النفس وندبها فهذا لا يكلف به الانسان، وكراهية الوسوسة السيئة من ايمان وقوله (لهما كسبت) أي من خير (وعليها ما اكتسبت) أي من شر وذلك في الاعمال التي تدخل تحت التكليف. ثم قال تعالى مرشداً عباده الى سؤله وقد تكفل لهم بالاجابة كما ارشدهم وعلمهم أن يقولوا (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا) أي إن تركنا فرضا على جهة النسيان أو فعلنا حراما كذلك أو اخطأنا أي الصواب في العمل جهلا منا بوجهه الشرعي. وقد تقدم في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال « قال الله نعم » ولحديث ابن عباس قال الله « قد فعلت » وروى ابن ماجه في سنه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي عمرو الاوزاعي عن عطاء قال ابن ماجه في روايته عن ابن عباس وقال الطبراني وابن حبان عن عطاء عن عبيد بن عمير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » وقد روي من طريق آخر وأعله أحمد وابو حاتم والله أعلم. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا أبو بكر الهذلي عن شهر عن أم الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تجاوز لآمتي عن ثلاث عن الخطأ والنسيان والاستكراه » قال أبو بكر فذرت ذلك للحسن فقال أجل أما تقرأ بذلك قرآنا (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا) وقوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرأ كحمالة على الدين من قبلنا) أي لا تكلفنا من الاعمال الشاقة وإن أطفئناها كما شرعته للامم الماضية قبلنا من الاغلال والآصار التي كنت عليهم التي بعثت نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة بوضعه (١) في شرعه الذي أرسلته به من الدين الحنيفي السهل السمح وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قال الله نعم » وعن ابن عمر وحمل (غفر لك ربنا) قال الله تعالى « قد غفرت لكم » وفي قوله لا تؤاخذنا نسينا أو اخطأنا قال لا تؤاخذكم (ربنا ولا تحمل علينا اصرأ) قال « لا أحمل عليكم اصرأ » ولا نحملنا مالا طاقتنا به قال « لا أحملكم » (واعف عنا) الى آخره قال عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وكان مما ذنب جبل اذا ختم سورة البقرة قال آمين. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا أبو أمامة حدثني مالك بن مسعود عن الزبير بن عدي عن طلحة بن علي بن مصرف عن مرة عن عبد الله قال لما أسري برسول الله « صلى الله عليه وسلم » انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واما ينتهي ما يهبط به فوقه فيقبض منها قال (اذ يغشى السدرة المنتهى) قال : فراش من ذهب. قال واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا الصلوات الخمس واعطى خرافهم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئا من

(١) كذا في النسختين
بتدكير الضمير

عباس عن رسول الله عليه وسلم قال « قل الله قد فعلت » وجاء في الحديث من طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « بعثت باخيفيه السمحة »

وقوله (ربنا ولا تحملنا الاطاقة لنا) أي من النكاي والمصائب والبلاء لا نبئنا بما لا قبل لنا به وقد قل مكحول في قوله (ربنا ولا تحملنا الاطاقة لنا) قال العزبة والقلمة . رواه ابن أبي حاتم . قال الله نعم وفي الحديث الآخر قال الله قد فعلت

وقوله (واعف عنا) أي فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا (واغفر لنا) أي فيما بيننا وبين عبادك فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة (وارحمنا) أي فيما يستقبل فلا توقعنا بتوفيقك في ذنب آخر ، لهذا قالوا ان المذنب محتاج الى ثلاثة أشياء أن يغفر الله عنه فيما بينه وبينه وأن يستره عن عباده فلا يفضحه به بينهم وان يعصمه فلا يوقعه في نظيره . وقد تقدم في الحديث ان الله قال نعم وفي الحديث الآخر قال الله قد فعلت

وقوله (أنت مولانا) أي أنت ولينا وناصرنا وعليك توكلنا وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول لنا ولا قوة إلا بك (فانصرنا على القوم الكافرين) أي الذين جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك ورسالة نبيك وعبدوا غيرك وأشركوا معك من عبادك ، فانصرنا عليهم ، واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة . قل الله نعم وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس قال الله قد فعلت . وقال ابن جرير حدثني مثني بن ابراهيم حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبي اسحق ان معاذ رضي

الله عنه كان اذا فرغ من هذه السورة (انصرنا على القوم الكافرين) قل آمين

ورواه وكيع عن سفيان عن أبي اسحق عن

رجز عن معاذ بن جبل انه كان

اذا ختم البقرة قال آمين

المقدمات . أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا ونعم عبد الملك بن الحسين الاسفرايني أنا ابو عوانة يعقوب بن اسحاق الحافظ أنا يونس واحمد بن سنان قال ثنا سفيان بن عيينة عن منصور عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود رضي الله عنهم قال قال « رسول الله صلى الله عليه وسلم » الاثنان من آخر سورة البقرة من قراءهما في ليلة كفتاه أي عن قيام الليل . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزباني أخبرنا حميد بن زنجويه أنا العلاء بن عبد الجبار أنا حماد بن سلمة أخبرنا الاشعث بن عبد الرحمن الجرمي عن أبي قلابة عن أبي الاشعث الصنعاني عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بألفي عام فأنزل منه آيتين ختم

بهما سورة البقرة فلا تقرأن في دار ثلاث ليال

فيقر بها شيطان »

تفسير سورة آل عمران وهي مدنية

لان صدرها الى ثلاث وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة كما سيأتي بيان ذلك عند تفسير آية المباهلة منها ان شاء الله تعالى وقد ذكرنا ماورد في فضلها مع سورة البقرة أول البقرة
بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) الله لا اله الا هو الحي القيوم (٢) نزل عليك الكتاب بالحق . صدق لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل (٣) من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بايت الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام (٤)
قد ذكرنا الحديث الوارد في أن اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (الله لا اله الا هو الحي القيوم) وآلم ، الله لا اله الا هو الحي القيوم) عند تفسير آية الكرسي وقد تقدم الكلام على قوله (الم) في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته وتقدم الكلام على قوله (الله لا اله الا هو الحي القيوم) في تفسير آية الكرسي

﴿ سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قوله تعالى ﴿ الم الله ﴾ قال الكلبي والربيع بن أنس وغيرهما نزلت هذه الآيات في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم وفي الاربعة عشر ثلاثة نفر يؤل اليهم أمرهم: العاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدر عن إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب حلهم ومجتبئهم واسمه الايهم وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وجبرهم ، دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر عليهم ثياب المبرات جيب واردية في جمار رجال واذا بالحارث بن كعب يقول مارأبنا وفرأ مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعوهم » فصلوا الى المشرق فتكلم السيد والعاقب فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسلمنا » قالوا أسلمنا قبلك قال « كذبتما بمنعكما من الاسلام ادعوا كما الله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير » قالوا إن لم يكن ولداً الله فمن أبوه؟ وخاصموه جميعاً في عيسى فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم « أستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه ؟ » قالوا بلى قال « أستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء ؟ » قالوا بلى قال « أستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء . يحفظه ويرزقه قالوا بلى ؟ قال « فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً ؟ قالوا لا : قال أستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ؟ قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى عن

﴿ تنبيه ﴾ نعتمد في رسم هذه السورة وما بعدها وفي عدد الايات على المصحف الذي طبعته الحكومة المصرية ونشرته في هذا العام ١٣٤٣ فانه أنم مطبع من المصاحف ضبطاً واتقاناً ، ومنه جعل أرقام العدد في أواخر الايات لا أرقامها وان لم نستحسنه . والعدد فيه على طريقة الكوفيين ومنها ان كلمة الانجيل رأس الاية ٣ لا الفرقان خلافا لبعض العادين

وقوله تعالى (نزل عليك الكتاب بالحق) يعني نزل عليك القرآن يا محمد بالحق أي لا شك فيه ولا ريب بل هو منزل من عند الله أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفي بالله شهيدا وقوله (مصدقا لما بين يديه) أي من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله والانبياء فهي تصدقه بما أخبرت به وبشرت في قديم الزمان وهو يصدقها لأنه طابق ما أخبرت به وبشرت من الوعد من الله بأرسال محمد صلى الله عليه وسلم . وقوله (وأنزل التوراة) أي على موسى بن عمران (والانجيل) أي على عيسى بن مريم عليهما السلام (من قبل) أي من قبل هذا القرآن (هدى للناس) أي في زمانهما (وأنزل الفرقان) وهو الفارق بين الهدى والضلال والحق والباطل والغي والرشاد بما يذكره الله تعالى من الحجج والبيّنات والدلائل الواضحات والبراهين القاطعات، ويبيّنه ويوضحه ويفسره ويقرره ويرشد اليه ويذبه عليه من ذلك . وقال قتادة والربيع بن أنس الفرقان ههنا القرآن واختار ابن جرير أنه مصدر ههنا لتقدم ذكر القرآن في قوله (نزل عليك الكتاب بالحق) وهو القرآن . وأما ما رواه ابن أبي حاتم عن أبي صالح أن المراد بالفرقان ههنا التوراة فضعيف أيضا لتقدم ذكر التوراة والله أعلم

ذلك إلا ما علم؟ قالوا لا قال « فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء ورَبنا لا يأكل ولا يشرب » قالوا بلى قال « أستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعت كما تضع المرأة ولدًا ثم غذي كما يغذي الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟ قالوا بلى قال « فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ فسكتوا فأُنزل الله تعالى صدر سورة آل عمران إلى بضعة وثمانين آية منها فقال عز من قائل (ألم الله) مفتوح الميم موصول عند العادة وإنما فتح الميم لانتقاء الساكنين حرك إلى أخف الحركات وقرأ أبو يوسف ويعقوب بن خليفة الأعشى عن أبي بكر (ألم الله) مقطوعا مسكن الميم على نية الوقف ثم قطع الهمزة ابتداء وأجره على لغة من يقطع ألف الوصل ﴿ لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾

قوله تعالى (الله) ابتداء وما بعده خبر والحي القيوم نعت له ﴿ نزل عليك الكتاب ﴾ أي القرآن ﴿ بالحق ﴾ بالصدق ﴿ مصدقا لما بين يديه ﴾ لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوة والاختبار وبعض الشرائع ﴿ وأنزل التوراة والانجيل من قبل ﴾ وإنما قال وأنزل التوراة والانجيل لأن التوراة والانجيل أنزلا جملة واحدة وقال في القرآن نزل لأنه نزل مفصلا وانزّل للتكثير والتوراة قال البصريون أصلها ووربة على وزن فوعلة مثل دوحلة وحوقلة فحوت الواو الأولى تاء وجملت الياء المفتوحة ألفا فصارت تورا ثم كتبت بالياء على أصل الكلمة وقال الكوفيون أصلها تفعلة مثل توصية وتوفية فقلت الياء ألفا على لغة طيء فانهم يقولون للجارية جارة وللناصية ناصاة وأصلها من قولهم وري الزند إذا خرجت ناره وأوريتها أما قال الله تعالى (أفرأيتم النار التي تورون) فسمي التوراة لأنها نور وضياء قل الله تعالى (وضياء وذكرى للمتقين) وقيل هي من التوراة وهي كتمان السر والتعريض بنيره وكان في التوراة معاريض من غير تصريح والانجيل أفعيل من النجل وهو الخروج ومنه سمي الولد نجيلا لخروجه فسمي الانجيل به لأن الله تعالى أخرج به دارنا من الحق عافيا ويقال هو من النجل

وقوله تعالى (إن الذين كفروا بآيات الله) أي جحدوا بها وانكروها وردوها بالباطل (لهم عذاب شديد) أي يوم القيامة (والله عزيز) أي منيع الجناح عظيم السلطان (ذو انتقام) أي من كذب بآياته وخالف رسوله الكرام وانبياءه العظام

ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء (هـ) هو الذي يصوركم في

الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم (٦)

يخبر تعالى انه يعلم غيب السماء والارض لا يخفى عليه شيء من ذلك (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) أي مخلقكم في الارحام كما يشاء من ذكر وانثى وحن وقيح وشقي وعيد (لا اله الا هو العزيز الحكيم) أي هو الذي خالق وهو المستحق للالهية وحده لا شريك له وله العزة التي لا ترام، والحكمة والاحكام، وهذه الآية فيها تعرض بل تصحیح بأن عيسى بن مريم عبد مخلوق

وهو سعة العين سمي به لانه أنزل سعة لهم ونورا وقيل التوراة بالبرانية نور وتور معناه الشريعة والانجيل بالبرانية انقليون ومعناه الاكليل (١) قوله تعالى ﴿هدى للناس﴾ هاديا لمن تبعه ولم يشبه لانه مصدر ﴿ وأنزل الفرقان ﴾ المفرق بين الحق والباطل وقال السدي في الآية تقديم وتأخير تقديرها وأنزل النوراة والانجيل والفرقان هدى للناس

قوله تعالى ﴿إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام﴾ ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هـ هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء من الصور المختلفة ذكر انا و انتى ابيض ارسود حسنا أو قبيحا تاما أو ناقصا ﴿ لا اله الا هو العزيز الحكيم ﴾ وهذا في الرد على وفد نجران من النصارى حيث قولوا عيسى ولد الله وكأنه يقول كيف يكون ولدا وقد صوره الله تعالى في الرحم. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الملقب أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الانصارى أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا على بن الحكم أنا أبو خيثمة زهير بن معاوية عن الاعمش عن زبد بن وهب قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « ان أحدكم يحجم في بطن امه أربعين يوما نقطة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك » أو قل « يبعث اليه الملك بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد » قال « وان أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينا وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمله بعمل أهل النار فدخلها وان أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينا وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمله بعمل أهل الجنة فدخلها » أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا أبو أحمد بن عيسى الجلودي أنا أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن عبد الله بن نعيم حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل عن حذيفة بن اسيد يبلغ به النبي صلى الله عليه

﴿١﴾ أما التوراة

فبرانية ومعناها الشريعة خلافا لما تقدم وأما الانجيل فيونانية ومعناها البشارة ومصداقه قوله (ومبشر رسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) ترجم الاقدمون أحمد باليسار قايظ ثم حرقه الآخرون وترجموه بالعمري

كما خاق لله سائر البشر لان الله صوره في الرحم وخلقه كما يشاء فحيث يكون اله كما زعمته النصارى عليهم له ثن الله وقد تغلب في الاحشاء وتغلب من حال الى حال كما قال تعالى (يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث)

هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشبه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب (٧) ربنا لا ترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب (٨) ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد (٩)

يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي بينات واضحات للدلالة لا التباس فيها على أحد ومنه آيات اخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن رد ما تشبه الى الواضح منه وحكم محكمه على من شبهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس ولهذا قل تعالى (هن أم الكتاب) أي أصله الذي يرجع اليه عند الاشتباه (وأخر متشابهات) أي تختمل دلالتها موافقة الحكم وقد تختمل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد، وقد اختلفوا في الحكم والمتشابه فروى عن السلف عبارات كثيرة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما لمحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وأحكامه ما يؤمر به ويعمل به. وعن ابن عباس أيضا انه قال المحكمات قوله وسلم قل «يا خل الملك على النطفه بعد ما تمت في الرحم باربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يارب أشقي م سعيدي فيستب ذلك فيقول يارب أذكر أم أنثى فيكتبان ويكتب عمله وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزد فيها ولا ينقص»

قوله تعالى ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ مبينات، انفصلات سميت محكمات من الاحكام كأنه أحكمها فم الخاق من انصرف فيها لظاهرها ووضح معناها ﴿هن أم الكتاب﴾ أي أصله الذي يعول عليه في الاحكام ونما قال (هن أم الكتاب) ولم يقل امهات الكتاب لان الآيات كلها في تكملها واجتماعها كالأية الواحدة وكلام الله تعالى واحد وقيل معناه كل آية منهن أم الكتاب كما قال (وجعلنا ابن مريم وامه آية) أي كل واحد منهما آية ﴿رأخر﴾ جمع اخرى ولم يصرفه لانه معدول عن الآخر مثل عمر وزفر ﴿متشابهات﴾ فإن قيل كيف فرق ههنا بين الحكم والمتشابه وقد جعل الله كل القرآن محكمافي مواضع أخر فقل (أمر كتاب احكمت آياته) وجعله كله متشابه فقل (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها) قيل حيث جعل الكل محكما أراد أن الكل حق ليس فيه عيب ولا هزل وحيث جعل الكل متشابها أراد أن بعضه يشبه ببعضه في الحق والصدق وفي الحسن وجعل ههنا بعضه محكما وبعضه متشابها واختلف العلماء فيهما فقال ابن عباس

تعالى (قل تعالوا آتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا) والآيات بعدها وقوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) إلى ثلاث آيات بعدها ورواه ابن أبي حاتم رحكاه عن سعيد بن جبير به قال حدثنا أبي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن -حق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجما في هذه الآية وهي (أم الكتاب وآخر مشابهات) فقال أبو فاختة : فوانح السور وقال يحيى بن يعمر : الفرائض والأمر والنهي والحلال والحرام . وقال ابن لميعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير : هن أم الكتاب لأنهن مكتوبات في جميع الكتب . وقال مقاتل بن حيان : لانه ليس من أهل دين الأيرضى بهن ، وقيل في المشابهات : المنسوخة والمقدم والمؤخر والأمثال فيه والأقسام وما يؤمن به ولا يعمل به ، ورواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقيل هي الحروف المقطعة في أوائل السور قاله مقاتل بن حيان . وعن مجاهد المشابهات يصدق بعضها بعضا وهذا أنما هو في تفسير قوله (كتابا متشابهات) هناك ذكروا أن المتشابه هو الكلام الذي يكون في سياق واحد والمثاني هو الكلام في شئين متقابلين كصفة الجنة وصفة النار وذكر حال الأبرار وحال الفجار ونحو ذلك . وأما هاهنا فالمتشابه هو الذي يقابل الحكم وأحسن ما قبل فيه هو الذي قدمنا وهو الذي نص عليه محمد بن اسحق بن يسار رحمه الله حيث قال منه آيات بميمكات فمن حجة الرب وعصمة

رضي الله عنهما المحكمات هن الآيات الثلاث في سورة الانعام (قل تعالوا آتل ما حرم ربكم عليكم) ونظيرها في بني اسرائيل (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) الآيات وعنه أنه قال المتشابهات حروف التهجى في أوائل السور . وقال مجاهد وعكرمة المحكم ما فيه الحلال والحرام وما سوي ذلك متشابه يشبه بعضه بعضا في الحق ويصدق بعضه بعضا كقوله تعالى (وما يضل به إلا الفاسقين) (ويجل الرجس على الذين لا يؤمنون) . وقال قتادة والضحاك والسدي المحكم الناسخ الذي يعمل به والمتشابه المنسوخ الذي يؤمن ولا يعمل به . وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : محكمات القرآن ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به يعمل والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به . وقيل المحكمات ما أوقف الله الخلق على معناه والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه لا سبيل لأحد إلى علمه نحو الخبر عن أشراط الساعة وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا قال محمد بن جعفر بن الزبير المحكم مالا يحتمل من التأويل غير وجه واحد والمتشابه ما يحتمل أوجه وقيل المحكم ما يعرف معناه وتكون حجته واضحة ودلائله لا تحصى لا يشبه والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل . وقال بعضهم المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى والمتشابه مالا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية بأذان المتشابه حروف التهجى في أوائل السور وذلك أن رهطا من اليهود منهم حيي بن أخطب وكعب بن لاشرف ونظراؤهما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا أنه أنزل عليك (الم) فنشدك

البياد ودفع الخصوم الباطل ليس لمن نصريف ولا تحريف عما وضمن عليه ، قال : ولما تشابهات في الصدق ليس لمن نصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الاحلال والحرام ألا يصرفن الى الباطل ولا يحرفن عن الحق

ولهذا قال الله تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ) أي ضلال وخر وج عن الحق الى الباطل (فيتبعون ما تشابه منه) أي انما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه الى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه فاما المحكم فلا نصيب لهم فيه لانه دافع (١) لهم وحجة عليهم ولهذا قال الله تعالى (ابتغاء الفتنة) أي الاضلال لاتباعهم إياها ما لهم انهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم كمالو احتج النصارى بان القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته القا الى مريم وروح منه وتركوا الاحتجاج بقوله (ان هو الا عبد أنعمنا عليه) ويقولون (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وغير ذلك من الآيات المحسكة المصروفة بانه خالق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله .

(١) وفي نسخة الازهر «دافع» وهي أظهر

(٢) وفي نسخة الازهر : يريدونه

وقوله تعالى (وابتغاء تأويله) أي تحريفه على ما يريدون (٢) قال مقاتل بن حيان والسدي يبتغون أن يعلموا ما يكون وما عواقب الاشياء من القرآن وقد قال الامام أحمد حدثنا اسماعيل حدثنا يعقوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) الى قوله (أولو الالباب) فقال «اذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عني الله فاحذروهم» هكذا وقع هذا الحديث في مسند الامام أحمد من رواية ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها ليس بينهما أحد وهكذا رواه ابن ماجه من طريق اسماعيل بن علية وعبد الوهاب الثقفى كلاهما عن أيوب به ورواه محمد بن يحيى العبدى في مسنده عن عبد الوهاب الثقفى به وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب وكذا رواه غير واحد عن أحمد وقد رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أيوب به ورواه ابو بكر بن المنذر

الله أنزلت عليك قال نعم قال فان كان ذلك حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون سنة فهل أنزل غيرها قال نعم (المص) قل فهذه أكثر هي احدى وستون ومائة سنة قال فهل غيرها قال نعم (الر) قال هذه أكثر هي مائتان واحدى وثلاثون سنة فهل غيرها قال نعم (المر) قال هذه أكثر هي مائتان واحدى وسبعون سنة ولقد خلطت علينا فلا ندري أبكثيره نأخذ أم بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فأنزل الله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) فاما الذين في قلوبهم زيغ أي مبل عن الحق وقيل شك (فيتبعون ما تشابه منه) واختلفوا في المعنى بهذه الآية . قال الربيع هم وفد نجران خاصوا النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام وقالوا له ألسنت تزعم أنه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسنا ذلك فأنزل الله هذه الآية . وقال السكبي هم اليهود طأوا علم أجل هذه الامة واستحراجهم بحساب الجمل . وقال ابن جرير هم المنافقون . وقال الحسن بن الخوارج . وقال قتادة اذ قرأ هذه

في تفسيره من طريقين عن أبي النعمان محمد بن الفضل السدوسي ولقبه عارم حدثنا حماد بن زيد
حدثنا أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة به وتابع أيوب أبو عامر الخراز وغيره عن ابن أبي مليكة
فرواه الترمذي عن بNDAR عن أبي داود الطيالسي عن أبي عامر الخراز فذكره ورواه سعيد بن
منصور في سننه عن حماد ابن يحيى عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة ورواه ابن جرير من
حديث روح بن قاسم ونافع بن عمر الجمحي كلاهما عن ابن أبي مليكة عن عائشة وقل
نافع في روايته عن ابن أبي مليكة حدثني عائشة فذكره وقد روى هذا الحديث البخاري عند تفسير هذه
الآية وسلم في كتاب القدر من صحيحه وأبو داود في السنة من سننه ثلاثهم عن القعني عن يزيد
ابن إبراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) الى قوله
(وما يدكر الا أولوا الالباب) قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فاذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه
منه فأولئك الذين سمي فاحذروهم » لفظ البخاري ، وكذا رواه الترمذي أيضا عن بNDAR عن أبي
داود الطيالسي عن يزيد بن إبراهيم به وقال حسن صحيح وذكر ابن يزيد بن إبراهيم التستري تفرد
بذكر القاسم في هذا الاسناد وقد رواه غير واحد عن ابن أبي مليكة عن عائشة ولم يذكر القاسم كذا
قال وقد رواه ابن أبي حاتم فقال حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا يزيد بن إبراهيم
التستري وحماد بن سلمة عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه)
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله
فاحذروهم » وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم عن حماد سلمة عن عبد الرحمن
ابن القاسم عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية
يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد حذركم الله فاذا رأيتموهم
فاحذروهم » ورواه ابن مردويه من طريق أخرى عن القاسم عن عائشة به وقال الامام أحمد حدثنا

الآية (فاما الذين في قلوبهم زيغ) قال ان لم يكونوا الخيرية والسبائية فلا درى من هم وقيل هم جميع
المبتدعة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المديني أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد
ابن اسماعيل أنا عبد الله بن مسلمة أنا يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد
عن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو الذي أنزل عليك
الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات - الى قوله (اولوا الالباب) قات قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « فاذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي
الله فاحذروهم » . قوله تعالى (ابتغاء الفتنة) طاب الشوك قاله الربيع والسدي وقال مجاهد
ابتغاء الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالم (وابتغاء تأويله) تفسيره وعلمه ، دليله قوله تعالى
(سانبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبر) وقيل ابتغاؤه عاقبته وطلب أجل هذه الآية من
حساب أجل دليله قوله تعالى (ذلك خير وأحسن تأويلا) أي عاقبة . قوله (وما يعلم تأويله) إلا

ابو كامل حدثنا محمد بن أبي غالب قال سمعت ابا امامة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه) قال « هم الخوارج » وفي قوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال « هم الخوارج » وقد رواه ابن مردويه من غير وجه عن أبي غالب عن أبي امامة فذكره وهذا الحديث أقل أقسامه ان يكون موقوفا من كلام الصحابي ومعناه صحيح فان أول بدعة وقعت في الاسلام فنة الخوارج وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم النبي صلى الله عليه وسلم غنائم حنين فكاههم رأوا في عقولهم الفاسدة انه لم يعدل في القسمة ففاجؤه بهذه المقالة فقال قائلهم وهو ذو الخويصرة بقر الله خاصرته اعدل فانك لم تعدل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد خبت وخسرت ان لم أكن اعدل أيامني (١) على اهل الارض ولا تأمنوني » فلما قفا الرجل استأذن عمر بن الخطاب وفي رواية خالد بن أنوليد في قتله فقال « دعه فانه يخرج من ضيعتي » هذا أي من جنسه قوم يحرق أحدكم صلاته مع صلاتهم وقرآناته مع قرآنهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية فأينما لفيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجرا لمن قتلهم » ثم كان ظهورهم أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتلهم بالنهر وان ثم تشببت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة ثم انبعثت القدرية ثم المعتزلة ثم المهيمنة وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في قوله « وستفترق هذه الامة على ثلاث سبعين فرقة كلها في النار الا واحدة » قالوا وما هم (٢) بارسل الله تعالى « من كان على ما أنا عليه وأصحابي » أخرجه الحارثي في مستدركه بهذه الزيادة وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو موسى حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا المعتمر عن أبيه عن قتادة عن الحسن بن جندب بن عبد الله أنه بلغه عن حذيفة أوسعه منه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر « ان في أمي قوما يقرؤ القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله » لم يخرجوه وقوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) اختلف القراء في الوقف ههنا فقبل على الجلالة كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : التفسير على أربعة أنحاء ، فتفسير لا يعذر أحد في فهمه ، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها ، تفسير يعلمه الراسخون في العلم ، وتفسير لا يعلمه الا الله . وروى الله والراسخون في العلم في اختلف العلماء في نظر هذه الآية فقال قوم لواو في قوله والراسخون واوالمطاف يعني أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم « يقولون آمنا به » وهذا قول مجاهد والربيع وعلى هذا يكون قوله يقولون حلا معناه والراسخون في العلم قائلين آمنا به هذا كتوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فإله والمرسول والذي القرى) ثم قال (لالمقرء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم) الى ان قال (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم) ثم قال (والذين جاؤا من بعدهم) وهذا عطف على ما سبق ثم قال (يقولون ربنا اغفر لنا) يعني هم مع استحقاقهم لغفي يقولون ربنا اغفر لنا أي قائلين على الحال . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول في هذه الآية أنا من الراسخين في العلم . وقار مجاهد أنا ممن يعلم تأويله . وذهب الاكثرون

« ١ » وفي النسخة

المطبوعة : أما أيامني -

وهي غلط . وفي صحيح

مسلم قبل هذه الجملة

« فنقطع الله ان

عصيته » ومنها يلم

مرجع ضمير

« أيامني » وهو الله

تعالى وفي الحديث

روايات كثيرة في

الصحيحين وغيرهما

ذكره المصنف فيه

تلفيق ونقص مما في

الصحيح

« ٢ » وفي نسخة

الازهر ومن هم

هذا القول عن عائشة وعروة وأبي الشعثاء وأبي نهيك وغيرهم . وقال الحافظ أبو النعمان في المعجم الكبير : حدثنا هشام بن مرثد حدثنا محمد بن اسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا أخاف على أمي إلا ثلاث خلال أن يكفر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا وأن يفتح لهم الكتاب فأخذهم المؤمن بيمينه تأويله (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) الآية وإن يروا ذا علمهم فضمهم بجموه ولا يزالون عليه » غريب جدا . وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا أحمد بن عمرو حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فسا عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به » . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال : كان ابن عباس يقرأ : وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون آمنا به . وكذا رواه ابن جرير عن عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس إمام يؤمنون به ولا يعلمون تأويله . وحكى ابن جرير أن في قراءة عبد الله بن مسعود : إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به . وكذا عن أبي بن كعب واختار ابن جرير هذا القول .

ومنه من يقف على قوله والراسخون في العلم وتبعهم كثير من المفسرين وأهل لاصول وقالوا الخطاب بما لا يفهم بعيد . وقد روى ابن أبي نجيب عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله . وقال ابن أبي نجيب عن مجاهد والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به . وكذا قال الربيع بن أنس . وقال محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير : وما يعلم تأويله الذي أراد ما أراد الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ثم ردوا تأويل المتشابهات (١) على ما عرفوا من تأويل الحكمة التي لا تأويل لاحد فيها إلا التأويل واحد فانسق بقولهم الكتاب صدق بعضه بعضا فنفذت الحجة وظهر به العذر وزاح به الباطل ودفع به الكفر ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ومن العلماء من فصل « هذا المقام وقال : التأويل بطله ويراد

« ١ » وفي نسخة

الازهر : المتشابه

أن أو في قوله والراسخون أو الاستئناف وتم الكلام عند قوله (وما يعلم تأويله إلا الله) وهو قول أبي بن كعب وعائشة وعروة بن الزبير رضي الله عنهم ورواية طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما . وبه قال الحسن وأكبر التابعين واختاره الكسائي والفراء والاختفش وقولوا لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله ويجوز أن يكون في القرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه كما استأثر بلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحوها والخلق متعبدون في المتشابه بالآيمان به وفي المحكم بالآيمان به والعمل ، ومما يصدق ذلك قراءة عبد الله إن تأويله إلا من عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا وفي ح ف أبي . ويقول الراسخون في العلم آمنا به . وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن

«١» بل هذا بالمعنى الأول أيضا وكل تأويل للرؤيا كذلك فان المراد منه ما سيقع في الآل مراداً من الرؤيا. ولذلك عبر يوسف رؤيا كل من صاحبي السجن بما سيقع لهما بالفعل، وليس هو من تفسير الالفاظ ببيان معانيها

به في القرآن معنيين أحدهما التأويل «١» بمعنى حقيقة الشيء وما يؤكده أمره البه ومنه قوله تعالى (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) وقوله (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله) أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد فان أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة لان حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية الا الله عز وجل ويكون قوله (والراسخون في العلم) مبتدأ (يقولون آمنا به) خبره، وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله (نبئنا بتأويله) أي بتفسيره (١) فان أريد به هذا المعنى فالوقف على (والراسخون في العلم) لانهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وان لم يحيطوا علما بحقائق الاشياء على كنه ما هي عليه وعلى هذا فيكون قوله يقولون آمنا به) حال منهم وساغ هذا وأن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه كقوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - الى قوله - يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا) الآية ، وقوله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) أي وجاء الملائكة صفوفا صفوفا ،

وقوله إخبارا عنهم إيمانهم يقولون آمنا به أي المتشابه كل من عند ربنا أي الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له لان الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد كقوله (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ولهذا قال تعالى (وما يذكر الا أولو الاباب) أي إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولوا العقول السليمة والفهوم المستقيمة ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا فياض الرقي حدثنا عبيد الله بن يزيد وكان قد أدرك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنسا وأبا أمامة وأبا الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم فقال « من برت بينه وصدق لسانه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم » . وقال الامام أحمد حدثنا معمر بن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن حده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتدارسون فقال « إنما ملك من كان قلبه بهذا ضروا كتاب الله بعضه بعضا إنما أنزل

الى ان قاوا آمنا به كل من عند ربنا . وهذا القول أقس في العربية واشبه بظاهر الآية قوله تعالى (والراسخون في العلم) أي الداخلون في العلم هم الذين اتقنوا عليهم بحيث لا يدخل في معرفتهم شك وأصله من رسوخ الشيء وهو ثبوته يقال رسخ الايمان في قلب فلان يرسخ رسخا ورسوخا وقيل: الراسخون في العلم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه دليله قوله تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم) يعني المدارسين علم التوراة والانجيل . وسئل مالك بن أنس رضي الله عنه عن الراسخين في العلم قل العالم العامل بما علم المتبع لما علم . وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه اربعة أشياء التقوى بينه وبين الله والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه . وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والسدي بقولهم آمنا به سمع الله الراسخين في العلم فرسوخهم في العلم قولهم آمنا به أي بالمشابهة كل من عند ربنا المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ

كتاب الله ايصدق بهه بضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا به وما جهلتم فمكوا الى عالمه « وتقدم رواية ابن مردويه لهذا الحديث من طريق هشام بن عمار عن أبي حازم عن عمرو بن شعيب به ، وقد قال أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا زهير بن حرب حدثنا أنس بن عبياض عن أبي حازم عن أبي سلمة قال : لا أعلمه الا عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نزل القرآن على سبعة أحرف والمرأ في القرآن كفر - قالها ثلاثا - ما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه الى عالمه جل جلاله » وهذا إسناد صحيح ولكن فيه علة بسبب قول الراوي لا أعلمه الا عن أبي هريرة . وقال ابن المنذر في تفهيمه : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا ابن وهب أخبرني نافع ابن يزيد قال : يقال الراسخون في العلم المتواضعون لله المتذللون لله في مرضاته لا يتعاضمون من فوقهم ولا يحقرون من دونهم . ثم قال تعالى مخبراً عنهم أنهم دعوا ربهم قائلين (ربنا لا تنزع قلوبنا بعد إذ هديتنا) أي لا تملأها عن الهدى بعد إذ أنقمتها عليه ولا نجملنا كالذين في قلوبهم زيغ الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم ، ودينك القويم (وهب لنا من لدنك رحمة) ثبت بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا ، وتزيدنا بها إيماناً وإيقاناً (انك أنت الوهاب) نزل ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن عبد الله الاودي وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب قال جعيما حدثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » ثم قرأ (ربنا لا تنزع قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن بكر عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة عن أسماء بنت يزيد بن السكن سمعتها تحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من دعائه « اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قالت : قلت يا رسول الله وان القلب ليتقلب ؟ قال « نعم ما خلق الله من بني آدم من بشر الا ان قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فان شاء أقامه وان شاء أزاعه » فانسأل الله ربنا أن لا يزيع قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب - وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسد بن موسى عن عبد الحميد بن بهرام به مثله

وما علمنا وما لم نعلم (وما يذكر) ما يتفظ بما في القرآن (إلا اولو الالباب) دووا العقول قوله تعالى (ربنا لا تنزع قلوبنا) أي ويقول الراسخون ربنا لا تنزع قلوبنا أي لا تملأها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ (بعد إذ هديتنا) وفقنا لهديك والايان بالحكم والمناشاه من كتابك (وهب لنا من لدنك) أعطنا من عندك (رحمة) توفيقاً وتثبيتاً الذي نحن عليه من الايمان والهدى وقال الضحاك تجاوزاً ومغفرة (انك أنت الوهاب) أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل التميمي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو القاسم أحمد بن عدي الحافظ أنا أبو بكر ابن عبد الرحمن بن القاسم القرشي يعرف بابن الرواس الكبير بدمشق أنا أبو مسهر الغساني أنا صدقة أنا عبد الرحمن بن جابر حدثني بشر بن عبيد الله قال سمعت ابا ادريس الحولاني يقول حدثني

ورواه أيضا عن المثنى عن الحجاج بن منهال عن عبد الحميد بن بهرام به مثله وزاد قالت يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي قال « بنى قولي اللهم رب محمد النبي اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن » ثم قال ابن مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن هارون بن بكار الدمشقي حدثنا العباس بن الوليد الخلال أنا يزيد بن يحيى بن عبيد الله أنا سعيد بن بشير عن قتادة عن حسان الأعرج عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يدعو « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قلت يا رسول الله ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء فقل « ليس من قلب الا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن اذا شاء أن يقيمه أقامه واذا شاء أن يزيغه أزاغه أما سمعتي قوله (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) غريب من هذا الوجه ولكن أصله ثابت في الصحيحين وغيرهما من طرق كثيرة بدون زيادة ذكر هذه الآية الكريمة ، وقد رواه أبو داود والنسائي وابن مردويه من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ زاد الزبيري وابن حبان وعبد الله بن وهب كلاهما عن سعيد بن أبي أيوب حدثني عبد الله بن الوليد التجيبي عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استيقظ من الليل قال « لا اله الا أنت سبحانك أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تنزع قلبي بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » فمض ابن مردويه . وقال عبد الرزاق عن مالك عن أبي عبيد مولى سليمان بن عبد الملك عن عبادة بن نسي انه اخبره انه سمع قيس بن الحارث يقول اخبرني ابو عبد الله الصنابحي انه صلى وراء أبي بكر الصديق رضي الله عنه المغرب فقرأ أبو بكر في الركعتين الاوليين بأمر القرآن وسورتين من قصار المفصل وقرأ في الركعة الثالثة قل فدنوت منه حتي ان ثيابي لتسكاد تمس ثيابه فسمعتة يقرأ بأمر القرآن وهذه الآية (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا) الآية . قال أبو عبيد : وأخبرني عبادة بن نسي انه كان عند عمر بن عبد العزيز في خلافته فقال عمر لقيس : كيف أخبرتني عن أبي عبد الله قال عمر : فما تركناها منذ سمعناها منه وان كنت قبل ذلك لعلني غير ذلك ، فقال له رجل على أي شيء كان أمير المؤمنين قبل ذلك قال كنت أقرأ (قل هو الله أحد) وقدرتني هذا الاثر الوليد بن مسلم عن مالك والاوزاعي كلاهما عن أبي عبيد به . وروى هذا الاثر الوليد أيضا عن ابن حبان عن يحيى بن يحيى النساني عن محمود بن لبيد عن الصنابحي انه صلى خلف أبي بكر المغرب فقرأ في الاوليين بفاتحة الكتاب وسورة قصيرة بمجر بالقرأة فلما قام الى الثالثة ابتدأ القرأة فدنوت منه حتى ان ثيابي لتسكاد تمس ثيابه فقرأ هذه الآية (ربنا لا تزغ قلوبنا) الآية ،

التواس بن سمان قال قل رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من قلب الا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن اذا شاء أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيغه أزاغه » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع قوما ويضع آخرين الى يوم القيامة » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسن الخبيري أنا حاجب

وقوله (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) أي يقولون في دعائهم إنك يا ربنا ستجمع بين خلقك يوم معادهم وتفصل بينهم وتحكم فيهم فيما اختلفوا فيه ونحزني كلاهما وما كان عليه في الدنيا من خير وشر

ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار (١٠)

كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب (١١)

يخبر تعالى عن الكفار بأنهم وقود النار (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)

وليس مأوتوه في الدنيا من الأموال والأولاد بنافع لهم عند الله ولا بمنجيهم من عذابه وأليم عقابه

كما قال تعالى (ولا تمجّبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهر أنفسهم

وهم كافرون) وقال تعالى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس

المهاد) وقال ههنا (إن الذين كفروا) أي بآيات الله وكذبوا رسوله وخالفوا كتابه ولم ينتفعوا بوجيه

إلى أنبيائه (ان تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار) أي حطبها الذي

تسجر به وتوقد به كقوله (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) الآية. قال ابن أبي حاتم

حدثنا أبي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا ابن لهيعة أخبرني ابن الهاد عن هند بنت الحارث عن أم الفضل

أم عبد الله بن عباس قالت بينما نحن بمكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فنادى «هل بلغت

الهم هل بلغت» ثلاثاً فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال نعم ثم أصبح فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم «ليظهرن الاسلام حتى يرد الكفر الى مواطنه، وليخوضن رجال البحار بالاسلام، وليأتين

هلى الناس زمان يتعلمون القرآن ويقرؤنه ثم يقولون قرأنا وعلمنا فمن هذا الذي هو خير منا، فهل في

أولئك من خير» قالوا يا رسول الله فمن أولئك؟ قال «أولئك منكم وهم وقود النار» وقد رواه

ابن مردويه من حديث يزيد بن عبد الله بن الهاد عن هند بنت الحارث امرأة عبد الله بن شداد عن

أم الفضل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ليلة بمكة فقال «هل بلغت» يقولها ثلاثاً فقام عمر بن

الخطاب وكان أواها فقال اللهم نعم وحرصت وجهدت ونصحت فاصبر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم

(ليظهرن الايمان حتى يرد الكفر الى مواطنه وليخوضن رجال البحار بالاسلام وليأتين على الناس

ابن أحمد الطوسي أنا عبد الرحمن بن منيب اذ يزيد بن هارون انا سعيد بن اباس الحميري عن غنيم

ابن قيس عن أبي مرمي الأشمري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل

القلب كرشة بأرض فلاة تغلبها الرياح ظهرا ابطن

قوله تعالى (ربنا انك جامع الناس ليوم) أي اقضاء يوم وقيل اللام بمعنى في أي في يوم لا ريب

فيه (أي لا شك فيه وهو يوم القيمة) ان الله لا يخلف الميعاد وهو مفعول من الوعد

قوله تعالى (ان الذين كفروا لن تغني) ان تنفع ولن تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من

الله) قال الكلبي من عذاب الله وقال ابو عبيدة من بمعنى عند أي عند الله (شيئاً وأولئك هم وقود

زما ية وُن القرآن فيقرؤنه ويعلمونه فيقولون قد قرأنا وقد علمنا فمن هذا الذي هو خير منا في أولئك من خير قالوا يا رسول الله فمن أولئك قال « أولئك منكم أولئك هم وقود النار » ثم رواه من طريق موسى بن عبيدة عن محمد بن إبراهيم عن بنت الهاد عن العباس بن عبد المطلب بنحوه .

وقوله تعالى (كذاب آل فرعون) قال الضحاك عن ابن عباس : كصنيع آل فرعون ، وكذا روي عن عكرمة ومجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد ، ومنهم من يقول : كسنة آل فرعون وكفعل آل فرعون وكشبه آل فرعون ، والالفاظ متقاربة والدأب بالتسكين والتحريك أيضا كنهز وهو الصنيع والحال والشان والامر والعادة كما يقال لا يزال هذا دأبي ود بك ، وقال امرؤ القيس :

وقوفا بها صحبي علي مطيهم - يقولون لا تأسف (١) سى ونجمل

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجاريتها أم الرباب بمأسل

والمعنى كعادتك في أم الحويرث حين أهلكك نفسك في حبها وبكبت دارها ورسمها ، والمعنى في الآية ان الكافرين لا تنفي عنهم الاموال ولا الاولاد بل يهلكون ويذهبون كما جرى لآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين للرسول فيما جاؤا به من آيات الله وحججه (والله شديد العقاب) أي شديد الاخذ بهم العذاب لا يمتنع منه أحد ولا يفوته شيء بل هو الفاعل لما يريد الذي قد غاب كل شيء لا إله غيره ولا رب سواه

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد (١٢) قد كان لكم آية

في فتنين التفتتا: فئة تقتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار (١٣)

يقول تعالى قل يا محمد لا تكفروا ستغلبون أي في الدنيا وتحشرون أي يوم القيامة الى جهنم وبئس

النار . كذاب آل فرعون قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومجاهد كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر والتكذيب . وقال عطاء والكسائي وابو عبيدة كسنة آل فرعون . وقال الاخفش كدأمر آل فرعون وشأنهم ، وقال النضر بن شميل كعدة آل فرعون : يريد عادة هؤلاء الكفار في تكذيب الرسل وجحود الحق كمادة آل فرعون (والذين من قبلهم) كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله) فعاقبهم الله (بذنوبهم) وقيل نظم الآية (ان الذين كفروا ان تنفي عنهم اموالهم ولا اولادهم) عند حلول النعمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الامم الخالية اخذناهم فان تنفي عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيئا (والله شديد العقاب)

قوله تعالى (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم) قرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما أي انهم يغلبون ويحشرون وقرأ الآخرون بالياء فيهما على الخطاب أي قل لهم انكم ستغلبون وتحشرون قال مقاتل أراد مشركي مكة معناه قل للكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون الى جهنم

المهاد . وقد ذكر محمد بن اسحق بن يسار عن عامر بن عمرو بن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال « يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا » فقالوا يا محمد لا يغررك من نفسك ان قتلت نفرا من قريش كانوا اغمارا لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلنا لعرفت اننا نحن الناس وانك لم تلق مثلنا فأنزل الله في ذلك من قولهم (قل للذين كفروا استغاثوا ونحشرون الى جهنم وبئس المهاد - الى قوله لعبرة لاولى الابصار) وقد رواه محمد بن اسحق أيضا عن محمد بن أبي محمد عن سعيد وعكرمة عن ابن عباس فذكروه ، ولهذا قال تعالى (قد كان لكم آية) اي قد كان لكم أيها اليهود القائلون ما أنتم آية أي دلالة على أن الله معز دينه ، وناصر رسوله ، ومظهر كلمته ، ومبدل أمره في فئتين أي طائفتين التفتا أي للقتال (فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة) وهم مشركو قريش يوم بدر ، وقوله (يرونهم

في الآخرة فلما زات هذه الآية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر « ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم » وقال بعضهم المراد بهذه الآية اليهود . وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما إن يهود أهل المدينة قاوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبي الذي بشرنا به موسى لا ترد له راية وأرادوا انباءه ثم قال بعضهم لبعض لا تخرجوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى مكة يسفروهم فاجموا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية . وقال محمد بن اسحق عن رحالة ورواه سعيد ابن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا انه لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل ان ينزل بكم مثل ما نزل بهم فقد عرفتم أي نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم » فقالوا يا محمد لا يغررك انك لاقبت قوما اغمرا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة انا والله لو قاتلك لعرفت اننا نحن الناس فأنزل الله تعالى (قل للذين كفروا) يعني اليهود (استغاثوا) نهزمون في الدنيا في قتالكم محمدا (ونحشرون) في الآخرة (الى جهنم) وبئس المهاد أي الفراش أي بئس ما مهد لكم يعني النار

قوله تعالى (قد كان لكم آية) ولم يقل كانت ولا آية مؤنثة لانه ردها الى البيان أي تد كن لكم بيان فذهب الى المعنى . وقال الفراء انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل ولاسم المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا النحو فهذا وجهه فمعنى الآية قد كان لكم آية أي عبرة ودلالة على صدق ما أقول انكم ستغلبون (في فئتين) فرقتين وأسبابها في الحرب لان بعضهم يفيء الى بعض (التفتا) يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

مثلهم ري العين) قال بعض العلماء فيما حكاه ابن جرير يرى المشركون يوم بدر أن المسلمين مثلهم في العدد رأي أعينهم أي جعل الله ذلك فيما رآه سببا لنصرة الاسلام عليهم، وهذا لا إشكال عليه الا من جهة واحدة وهي أن المشركين بعثوا عمر بن سعد يومئذ قبل القتال يحرز لهم المسلمين فأخبرهم بأنهم ثلثائة يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا، وهكذا كان الامر كانوا ثلثائة وبضعة عشر رجلا ثم لما وقع القتال أمدحهم الله بألف من خواص الملائكة وساداتهم (والقول الثاني) أن المعنى في قوله تعالى (يرونهم مثلهم رأي العين) أي يرى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثلهم أي ضيفهم في العدد ومع هذا نصرهم الله عليهم، وهذا لا إشكال فيه في ما رواه العوفي عن ابن عباس: أن المؤمنين كانوا يوم بدر ثلثائة وثلاثة عشر رجلا والمشركين كانوا ستمائة وستة وعشرين وكان هذا القول مأخوذ من ظاهر هذه الآية ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس، وخلاف المعروف عند الجمهور أن المشركين كانوا مائتين تسعمائة إلى ألف كما رواه محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأل ذلك العبد الأسود لبني الحجاج عن عدة قريش قال: كثير قال «كم ينحرون كل يوم؟» قال: يوما تسعا ويوما عشرا، قال النبي صلى الله عليه وسلم «القوم مائتين تسعمائة إلى ألف». وروى أبو اسحق السدعي عن جارية عن علي رضي الله عنه قال: كانوا ألفا، وكذا قال ابن مسعود. والمشهور أنهم كانوا مائتين التسعمائة إلى الألف وعلى كل تقدير فقد كانوا ثلثائة مثال المسلمين، وعلى هذا فيشكل هذا القول والله أعلم، لكن وجب، ابن جرير هذا وجعله صحيحا كما تقول عندي الب وأنا محتاج الى مثلها وتكون محتاجا الى ثلثة آلاف كذا قال، وعلى هذا فلا إشكال

وهم كانوا ثلثائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وصاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصاحب راية الانصار سعد ابن عباد وكان فيهم سبعون ميرا وفرسان فرس المقداد بن عمرو وفرس لمرثد بن أبي مرثد وأكثرهم رجالة وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف

قوله تعالى (واخرى كافرة) أي فرقة اخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم مائة فرس وكانت حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم (يرونهم مثلهم) قرأ أهل المدينة ويعقوب بالتاء يعني ترونهم بامعشر اليهود أهل مكة مثلي عدد المسلمين ورأوا النصر مع ذلك للمسلمين فكان ذلك معجزة وآية وقرأ الآخرون بالياء واختلفوا في وجهه فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان أحدهما يرى المسلمون المشركين مثلهم كما هم فان قيل كيف قال مثلهم وهم كانوا ثلثة أمثاله قيل هذا مثل قول الرجل وعنده درهم أنا احتاج الى مثلي هذا الدرهم يعني الى مثليه سواء فيكون ثلثة دراهم والتأويل الثاني وهو الاصح كان المسلمون يرون المشركين مثلي عدد أنفسهم قلهم الله تعالى في أعينهم حتى رأوه ستمائة وستة وعشرون ثم قلهم في أعينهم في حالة أخرى حتى رأوه مثل عدد أنفسهم قل ابن مسعود رضي الله عنه نظرتنا الى المشركين

لكن بقي سؤال آخر وهو وارد على القلبين ، وهو أن يقال ما ألجم بين هذه الآية وبين قوله تعالى في قصة بدر (واذا يركبكم اذ التقيتم في أعينكم قليلا وبقلالكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا) فالجواب ان هذا كان في حالة الآخر كان في حالة أخرى كما قال السدي عن الطيب عن ابن مسعود في قوله تعالى (قد كان لكم آية في فتيتين التمتا) الآية قال : هذا يوم بدر . قال عبد الله بن مسعود : وقد نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وذلك قوله تعالى (واذا يركبكم اذ التقيتم في أعينكم قليلا وبقلالكم في أعينهم) الآية ، وقال أبو اسحق عن أبي عبد الله عن عبد الله بن مسعود قال : لقد قللوا في أعيننا حتى قات لرجل الى جاني تراه سبعين قال : أراهم مائة قال : فأمرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم ؟ قال : ألفا ، فعند ما عين كل من الفريقين الآخر رأى المسلمون المشركين مثليهم أي أكثر منهم بالضعف ليتوكلوا ويتوجهوا ويطأوا لعاونة من ربه عز وجل ورأى المشركون المؤمنين كذلك ليحصل لهم الرعب والخوف والخزع والملاح ثم لما حصل التصاف والتقى الفريقان قلل الله هؤلاء في أعين هؤلاء ، وهؤلاء في أعين هؤلاء ، يقدم كل منهما على الآخر (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) أي ليفرق بين الحق والباطل فيظهر كلمة الايمان على الكفر والطفان ، ويعز المؤمنين وذل الكافرين ، كما قال تعالى (ولقد نصركم الله يبدروا أنتم أذلة) وقال ههنا (والله يؤيد بنصره من يشاء ، ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار) أي ان في ذلك لعبرة لمن له بصيرة وفهم ليهتدي به الى حكم الله وأفعاله وقدره لجاري بنصر عباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد

زِين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب (١٤)

فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله تعالى أيضا في أعينهم حتى رأوهم عددا بسييرا أقل من أنفسهم . قال ابن مسعود رضي الله عنه حتى قات لرجل الى جاني تراه سبعين قال أراهم مائة وقال بعضهم الرؤى راجعة الى المشركين يعني يري المشركون المسلمين مثليهم قللهم الله قبل القتال في أعين المشركين ليجترؤا المشركون عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا في القتال كثرتهم الله في أعين المشركين ليجترؤوا وقللهم في أعين المؤمنين ليجترؤوا فذلك قوله تعالى (واذا يركبكم اذ التقيتم في أعينكم قليلا وبقلالكم في أعينهم)

قوله تعالى ﴿ رأى العين ﴾ أي في رأى العين نصب بنزع حرف الصفة ﴿ والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك ﴾ الذي ذكرت ﴿ لعبرة لاولي الابصار ﴾ لذوى العقول وقيل لمن أبصر الجمين قوله تعالى ﴿ زين للناس حب الشهوات ﴾ جمع شهوة وهي مائدة النفس اليه ﴿ من النساء ﴾ بدأ بهن لانهن حباثل الشيطان ﴿ والبنين والقناطير ﴾ جمع قنطار واختالفوا فيه فقال الربيع بن أنس

قل أنبئكم بخير من ذلكم؟ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين

فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله، والله بصير بالعباد (١٥)

يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد كما ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه كما وردت الأحاديث بالترغيب في الزواج والاستبشار منه وإن خير هذه الأمة من كان أكثرها نساء وقوله على الله عليه وسلم « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله » وقوله في الحديث الآخر « حبيب إلي النساء والطيب وجملت قرة عيني في الصلاة ». وقالت عائشة رضي الله عنها : لم يكن شيء أحب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء إلا الخيل، وفي رواية : من الخيل إلا النساء . وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة فهو داخل في هذا، وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ممن يعبد الله وحده لا شريك له، فهذا محمود بمدح كما ثبت في الحديث « تزوجوا الودود الولود فإني مكثر بكم يوم القيامة ». وحب المال كذلك تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتعجب على القراء فهذا مذموم، وتارة يكون للمقعة في القربات وصلة الأرحام والقربات ووجوه البر والطاعات فهذا بمدح محمود (١) ثم عا . وقد اختلف المفسرون في مقدار القنطار على أقوال، وحاصلها أنه المال الجزيل كما قاله الضحاك وغيره، وقيل : الف دينار، وقيل الف ومائة دينار، وقيل اثنا عشر ألفا، وقيل أربعون ألفا، وقيل ستون ألفا، وقيل سبعون ألفا، وقيل ثمانون ألفا، وقيل غير ذلك . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القنطار اثنا عشر ألف أوقية كل أوقية خير مما بين السماء والأرض » وقد رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شعبة عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة به، وقد رواه ابن جرير عن بندار عن ابن مديني عن حماد بن سلمة (٢) عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة القنطار مال الكثير بعضه على بعض وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه القنطار ألف ومائتا أوقية لكل أوقية أربعون درهما . وقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ألف ومائتا مثقال . وعنهما رواية أخرى اثنا عشر ألف درهم والف دينار دية أحدكم . وعن الحسن قال القنطار دية أحدكم وقال سعد بن حبيب وعكرمة هو مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الإسلام ومكة مائة رجل قد قنطروا . وقال سعيد بن المسيب وقنادة ثمانون ألفا وقال مجاهد سبعون ألفا وعن السدي قال أربعة آلاف مثقال قال الحكم القنطار ما بين السماء والأرض من مال وقال أبو نضرة ملء مسك ثور ذهباً أو فضة وسمي قنطاراً من الأحكام يقال قنطرت الشيء إذا أحكمته ومنه سميت

(١) وفي نسخة الأزهر
محسود عليه

(٢) وفي نسخة الأزهر
ابن زيد وهو وافق
لما في تفسير ابن جرير

موقوفا كرواية وكيع في تفسيره حيث قال : حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن ذكوان أبي صالح عن أبي هريرة قال « القنطار اثنا عشر ألف أوقية الأوقية خير مما بين السماء والأرض » وهذا صحيح ، ومكذا رواه ابن جرير عن معاذ بن جبل وابن عمر ، وحكاه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة وأبي الدرداء إنهم قنوا : القنطار ألف ومائتا أوقية . ثم قال ابن جرير رحمه الله : حدثنا زكريا بن يحيى الضريبر حدثنا شبابة حدثنا مخلد بن عبد الواحد عن علي بن زيد عن عطاء بن أبي ميمونة عن زرين حبش عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية » وهذا حديث منكر أيضا . والاقرب أن يكون موقوفا على أبي بن كعب كغيره من الصحابة ، وقد روى ابن مردويه عن طريق موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن إبراهيم عن موسى (١) عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية إلى ألف أصبح له قنطار من الاجر عند الله » ، القنطار منه مثل الجبل العظيم ، ورواه وكيع عن موسى بن عبيدة بمعناه . وقال الحاكم في مستدركه : حدثنا ابو عباس محمد بن يعقوب حدثنا احمد بن عيسى بن زيد الاخمي حدثنا محمد بن عمرو بن ابي سلمة حدثنا زهير بن محمد حدثنا حميد الطويل ورجل آخر عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (والقناطر المنطرة) ؟ قال : « القنطار ألف أوقية » صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، هكذا رواه الحاكم ، وقد رواه ابن أبي حاتم بلفظ آخر فقال : أنبأنا احمد بن عبد الرحمن الرقي أنبأنا عمرو بن ابي سلمة أنبأنا زهير يعني بن محمد أنبأنا حميد الطويل ورجل آخر قد سماه يعني يزيد الرقائي عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « قنطار يعني الف دينار » وهكذا رواه الطبراني (٢) عن عبد الله بن محمد بن محمد بن ابي مريم عن عمرو بن ابي سلمة فذكر بإساده مثله سواء . وروى ابن جرير عن الحسن البصري عنه مرسلا أو موقوفا عليه : القنطار ألف ومائتا دينار ، وهو رواية العوفي عن ابن عباس . وقال الضحاك : من العرب من يقول القنطار ألف ومائتا دينار ، ومنهم من يقل : اثنا عشر ألفا . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عازم عن حماد عن سعيد الحارسي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : القنطار ملء مسك الثور ذهابا ، قال أبو محمد : ورواه محمد بن موسى

(١) وفي نسخة

الازهر : محسن أبي موسى

(٢) وفي نسخة

الازهر : ابن مردويه عن الطبراني

القنطرة قوله تعالى (المنطرة) قال الضحاك المحصنة المحكمة وقيل قنادة هي الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض وقال يمان هي المدفونة وقال السدي المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودينانير وقال الفراء المضعفة فالقناطر ثلاثة والمنطرة تسعة (من الذهب والفضة) قيل سمي الذهب ذهابا لانه يذهب ولا يبقى والفضة فضة لانها تنفض أي تنفرك (والخيل المسومة) الخيل جمع لا واحد له من لفظه واحدها فرس كالقوم والنساء ونحوهما . والمسومة قال مجاهد هي المعطاة الحسان وقال عكرمة تسويمها حسننها وقال سعيد بن جبير هي الراعية يقال أسام الخيل وسومها وقال الحسن وأبو عبيدة هي المعاملة من السماء والسمة العلامة ثم منهم من قال سبهاها الشبه والمون وهو قول قتادة وقيل السكي

الحرسى عن حماد بن زيد مرفوعا ، والموقوف أصح

(وحب الخيل على ثلاثة أقسام) نارة يكون ربطها أصحابها معدة لسبيل الله متى احتاجوا إليها غزوا عليها فهؤلاء يثابون ، نارة تربط فخرا ونواء لاهل الاسلام فهذه على صاحبها وزر ، ونارة لتعفف وانتفاء نسلها ولم ينس حق الله في رقابها فهذه لصاحبها ستر كما سيأتي الحديث بذلك إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) الآية . وأما المسومة فعن ابن عباس رضي الله عنهما : المسومة الراعية والمطهمة الحسان وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبيزى والسدي والربيع بن أنس وأبي سنان وغيرهم . وقال مكحول : المسومة الغزة والتحجيل وقيل : غير ذلك . وقد قال الامام احمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس عن معاوية بن خديج عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول : اللهم انك خولتني من خولتي من بني آدم فاجعلني من أحب ماله وأهله اليه وأحب أهله وماله اليه » وقوله تعالى (ولا تنام) يعني الابل والبقر والغنم (والحراث) يعني الارض المتخذة للغراس والزراعة . وقال الامام احمد : حدثنا روح بن عباد : حدثنا أبو نعيم العدوي عن مسلم بن عبد الله عن أبيان بن زهير عن سويد بن هبيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير مال امرئ له مهرة أمورة أو سكة مأبورة » المأورة السكينة الذل ، والسكة النخل المصطف والمأورة المقحة ثم قال تعالى (لك متاع الحياة الدنيا) أي إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة (والله عنده حسن المآب) أي حسن المرجع والثواب .

وقد قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي بكر بن حفص بن عمر ابن سعد قال : قال عمر بن الخطاب : لما نزلت (زين للناس حب الشهوات) قلت : الآن يارب حين زينتها لنا فنزلت (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم : للذين اتقوا) الآية ، ولهذا قال تعالى (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) أي قل يا محمد للناس أؤخبركم بخير مما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها الذي هو زائل لا محالة ثم أخبر عن ذلك فقال (للذين اتقوا عند ربهم جزاء تجري من تحتها الأنهار) أي تنخرق بين جوانبها وأرجائها الأنهار من أنواع الاشربة من العسل واللبن والحمر والماء وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (خالدين فيها) أي ما كثرين فيها أبدا لا يبادل بينهم حول ، (وأزواج مطهرة) أي من الدنس والخبث والاذى والحيلض (والأنعام) جمع الغنم وهي الابل والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه (والحراث) يعني الزرع (ذلك) الذي ذكرت (متاع الحياة الدنيا) يشير الى انها متاع يقى (والله عنده حسن المآب) أي المرجع فيه نزهد في الدنيا وترغب في الآخرة

قوله تعالى (قل أؤنبئكم) أي أخبركم (بخير من ذلكم) للذين اتقوا عند ربهم جزاء تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله (قرأ العامة بكسر الراء وزوى أبو بكر من

والنفاس وغير ذلك مما يعترى نساء الدنيا (ورضوان من الله) أي يحل عليهم رضوان فلا يسخط عليهم بعده أبدا، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى التي في براءة (ورضوان من الله أكبر) أي أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم، ثم قال تعالى (والله بصير بالعباد) أي يعطي كلا بحسب ما يستحقه من العطاء.

الذين يقولون ربنا اننا آمنّا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار (١٦) الصبر بن

والصديق ولقمتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار (١٧)

يصف تبارك وتعالى عباده المتقين الذين وعدهم الثواب الجزيل فقال تعالى (الذين يقولون ربنا اننا آمنّا) أي بك وبكتابك برسولك (فاغفر لنا ذنوبنا) أي بايماننا بك وبما شرعته لنا فاغفر لنا ذنوبنا وقصبرنا من أمرنا (١) بفضلك ورحمتك (وقنا عذاب النار) ثم قال تعالى (الصابرين) أي في أيامهم باطاعات وتركهم المحرمات (والصادقين) فيما أخبروا به من أيامهم بما يلزمونه من الأعمال الشاقة (والقانتين) والقنوت الطاعة والخضوع (والمنفقين) أي من أموالهم في جميع ما أمروا به من الطاعات، وصلة الأرحام والقرابات، وسد الخلات، ومواساة ذوي الحاجات (والمتغفرين بالاسحار) دل على فضيلة الاستغفار وقت الاسحار، وقد قيل: إن يعقوب عليه السلام لما قال لبيته (سوف أسئلكم ربّي) أنه أخرهم إلى وقت السحر. وثبت في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى

«١٦» كذا وإنا يقال قصر في الأمر، وقصر عن فلان أو عن الغاية والمنزلة. وسقطت هذه الجملة من نسخة الأزهر

عاصم بصم الرء وهما لغتان كالعدوان والعدوان أجبر. عبد الواحد بن حمد الميمحي أنا محمد بن عبد الله الذهبي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا يحيى بن سليمان حدثني ابن وهب حدثني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك وخيرك في يديك فيقول هل رضيتم؟ فيقولون يا ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم نعط أحدا من خلقك، فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون يا رب وإي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول أحل عليكم رضواني فلا يسخط عليكم بعده أبدا» قوله تعالى (والله بصير بالعباد الذين يقولون) أن شئت جعلت محل الدين خفضا ردا على قوله (لذين اقنوا) وإن شئت جعلته رفعا على الابتداء ويحتمل أن يكون نصبا تقديره أعني الذين يقولون (ربنا اننا آمنّا) صدقنا (فاغفر لنا ذنوبنا) استمرها علينا وتجاوز عنا (وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين) أن شئت نصبتها على المرح وإن شئت خففتها على النعت يعني الصابرين في أداء الأوامر وعن ارتكاب النهي وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين في إيمانهم قال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم والسننهم فصديقوا في السر والعلانية (والقانتين) المطيعين المصالحين (والمنفقين) أموالهم في طاعة الله (والمتغفرين بالاسحار) قال مجاهد وقادة والكافي يعني المصالحين بالاسحار. وعن زيد بن أسلم أنه قال هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقيل بالسحر

السماء الدنيا حين يمتي ثلث الليل الاخير فيقول : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فأستجيب له ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ الحديث . وقد أفرد الحافظ أبو الحسن الدارقطني في ذلك جزءا على حدة فرواه من طرق متعددة . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : من كل ليل قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من آله وأوسطه وآخره فأنتهى وتره الى السحر . وكان عبد الله بن عمر يصلي من الليل ثم يقول : يا نافع هل جاء السحر ؟ فاذا قال : نعم ، أقبل على الدعاء والاستغفار حتي يصبح ، رواه ابن أبي حاتم . وقل ابن جرير : حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن حريث بن أبي مطر عن ابراهيم بن حاطل عن أبيه قال : سمعت رجلا في السحر في ناحية للمسجد وهو يقول : يارب امرتني فأطعك وهذا السحر فأغفر لي ، فنظرت فاذا هو ابن مسعود رضي الله عنه . وروى ابن مردويه عن أنس بن مالك قال : كنا نؤمر اذا صلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة

شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز

الحكيم (١٨) ان الدين عند الله الاسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتب الا من بعد

ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن كفر بآيت الله فان الله سريع الحساب (١٩) فان حاجوك

فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ، ومن للدين أوتوا الكتب والاميين أسلمتم ؟ فان

أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك الباغ ، والله بصير بالعباد (٢٠)

أقربه من الصبح وقال احسن مدوا الصلاة الى السحر ثم استمعوا . وقل نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحكي الليل ثم يقول يا نافع أسحرنا ؟ فأقول لا : فيعارد الصلاة فاذا قلت نعم قعد واخذ يستغفر الله . يدعو حتي يصبح احبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي اخبرنا ابو محمد بن الحسن بن احمد الخلدی حدثنا ابو العباس محمد بن اسحق السراج انا قتيبة انا يعقوب بن عبد الله عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل الله الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى الثلث الاخير فيقول انا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ؟ » وحكي عن الحسن ان لقمان قال لابنه يا بني لا تكن اعجز من هذا الديك بصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك

(شهد الله أنه لا إله إلا هو) قيل نزلت هذه الآية في نصارى نجران وقال الكلبي قدم حبران من احوار الشام على النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة فقالا له أنت محمد قال نعم فقالا له وأنت أحمد قال أنا محمد وأحمد فلا له فانا نسألك عن شيء فان أخبرنا به

شهد تعالى وكفى به شهيدا وهو اصدق الشاهدين وأعدلهم وأصدق القائلين (أنه لا اله الا هو)
 أى المفرد بالالهية لجميع الخلائق وان الجميع عبيده وخلقه وفقراء اليه وهو الغني عما سواه كما قال
 تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) الآية ثم قرن شهادة ملائكته وأولى العلم بشهادته فقل (شهد
 الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم) وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام (قائما بالقسط)
 منصوب على الحال وهو في جميع الاحول كذلك (لا اله الا هو) تأكيد لما سبق (العزيز الحكيم) العزيز
 الذى لا يرام جنباه عظمة وكبرياء الحكم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وقال الامام احمد حدثنا يزيد
 ابن عبد ربه حدثنا بقة بن الوليد حدثني جبير بن عمرو القرشي حدثنا ابو سعيد الانصارى عن ابي
 يحيى مولى آل الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة
 يقرأ هذه الآية (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم)
 وانا على ذلك ن الشاهدين يارب ، وقدرناه ابن ابي حاتم من وجه آخر فقال حدثنا علي بن حسين
 حدثنا محمد بن المنوكل السعقلاني حدثنا عمر بن حفص بن ثابت ابو سعيد الانصارى حدثنا عبد الملك
 ابن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن جده عن الزبير قل سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم حين قرأ هذه الآية (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة) قال « وانا شهد اى رب » وقال الحافظ ابو
 القاسم الطبراني في المعجم الكبير حدثنا عبدان بن احمد وعلي بن سعيد الرازي قال حدثنا عمار بن
 عمر المخار حدثني ابي حدثني غالب القطان قل : أتيت الكوفة في بحارة فترأت قريبا من الاعمش
 فلما كانت ليلة أردت أن أنحدر قام فتهجد من الليل فرب هذه الآية (شهد الله أنه لا اله الا هو

أما بك وصدقك فقال نعم قال فآخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل الله تعالى
 هذه الآية فاسلم الرجلان قوله (شهد الله) أي بين الله لان الشهادة تبين . وقال مجاهد حكم الله
 وقيل أعلم الله أنه لا اله الا هو . قال ابن عباس رضي الله عنهما خالق الله الارواح قبل الاجساد
 باربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشهد بنفسه لنفسه قبل أن يخلق
 حين كان ولم تكن سما ولا أرض ولا بحر ولا بخر فقال (شهد الله أنه لا اله الا هو) وقوله (والملائكة)
 أي وشهدت الملائكة قيل معنى شهادة الله لاخبار ولا اعلام (١) ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار
 (وأولو العلم) يعنى الانبياء عليهم السلام . وقال ابن كيسان يعنى المهاجرين والانصار . وقال قتال
 علماء مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه قل السدي والكلبي يعنى جميع علماء المؤمنين
 (قائما بالقسط) أي بالعدل . ونظم الآية شهد الله قائما بالقسط نصب على الحال وقيل نصب على القطع ومعنى
 قوله قائما بالقسط أي قائما بتدبير الخلق كما يقال فلان قائم بامر فلان أي مدبر له ومتعهدا لاسبابه وفلان
 قائم بحق فلان أي مجاز له فالله تعالى مدبر ورزق ومجاز بالاعمال (لا اله الا هو العزيز الحكيم) ان الدين
 عند الله الاسلام (يعنى الدين المرضي الصحيح كما قاله (ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال (ومن يبتغ غير
 الاسلام دينا فلن يقبل منه) وفتح كسائي الالف من ان الدين ردا على ان الاولى تقديره شهد الله

« ١ » وقيل إقامة

الحجج ونصب
 الآيات والأعلام ،
 وكتبه محمد رشيد رضا

والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ، إن الدين عند الله الاسلام) ثم قال الاعمش : وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله ودیعة (ان الدين عند الله الاسلام) قالها مرارا قلت : لقد سمع فيها شيئا ففقدت اليه فودعته ثم قلت يا أبا محمد إني سمعتك تردد هذه الآية ، قال : أو ما بلغك ما فيها قلت : أنا عندك منذ شهر لم تحدثني قال : والله لا أحدثك بها الى سنة فمقت سنة فكنت على بابه فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة قول : حدثني أبو وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل : عبيدي عهد إليّ وأنا أحق من وفي بالعهد أدخلوا عبيدي الجنة » . وقوله تعالى (إن الدين عند الله الاسلام) إخبارا منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الاسلام وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي سد جميع الطرق اليه لا من جهة محمد صلى الله عليه وسلم فن لقي الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بدين على غير شر بعثه فاس بمنقل كما قل تعالى (ومن ينفع غير الاسلام ديناً فان يقبل منه) الآية . وقول في هذه الآية مخبراً بنحو انحصار الدين المتقبل منه عنده في الاسلام (ان الدين عند الله الاسلام) . وذكر ابن جرير : ان ابن عباس قرأ (شهد الله إنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ، أن الدين عند الله الاسلام) بكسر انه وفتح ان الدين عند الله الاسلام أي شهد هو والملائكة وأولو العلم من البشر بأن الدين عند الله الاسلام ، والجمهور قرؤوها بالكسر على الخبر وكلاهما صحيح ، ولكن هذا على قول الجمهور أظن . والله أعلم ثم أخبرني تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب

أنه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام أو شهد الله ان الدين عند الله الاسلام بأنه لا اله الا هو وكسر الياقون الالف على الابتداء والاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة يقل أسلم أي دخل في السلم واستسلم قل قتادة في قوله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) قال شهادة أن لا اله الا الله والاقربا بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسوله ودل عليه أوليائه فلا يقبل غيره ولا يجزي لا به . أخبرنا أبو سعيد الشرمحي أنا أبو اسحق الشعلبي أنا أبو عمر الفراءني أنا أبو موسى عمران بن موسى أنا الحسن بن سفيان أنا عمار بن عمرو بن المختار حدثني أبي عن غالب القطان قال أتيت الكوفة في نجارة فنزلت قريبا من الاعمش وكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة ردت ان انحدر الى البصرة فاذا الاعمش قائم من الليل يتعبد فمر بهذه الآية (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) ثم قل الاعمش وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله ودیعة (ان الدين عند الله الاسلام) قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيئا فصليت معه الصبح وودعته ثم قلت إني سمعتك تقرأ آية ترددها فما بلغك فيها ؟ قال لي أو ما بلغك ما فيها ؟ قلت انما عندك منذ سنتين لم تحدثني قال والله لا أحدثك بها الى سنة فكنت على بابه ذللك اليوم واقت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة قل حدثني

الاول انما اختلفوا بعد ما قامت الحجة بارسال الرسل اليهم وانزال الكتب عليهم فقال (وما اختلف الذين
أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أي بغى بعضهم على بعض فاختلفوا في الحق
لتحاسدهم وتباغضهم وتدابره فحمل بعضهم بنص البعض الآخر على مخالفتهم في جميع أقواله وأفعاله
وان كانت حقا، ثم قال تعالى (ومن يكفر بآيات الله) أي من جحد ما أنزل الله في كتابه (فان الله
مريع الحساب) أي فان الله سيجازيه على ذلك ويحاسبه على تكذيبه ويعاقبه على مخالفتهم كتابه،

ثم قال تعالى (فان حاجوك) أي جادلوك في التوحيد (فقل أسلمت وجهي لله من انبه) أي فقل أخلصت
عبادتي لله وحده لا شريك له ولا ند له ولا ولد له ولا صاحبة له (ومن اتبعني) أي على ديني يقول
كقمتي كما قال تعالى (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) الآية ثم قال تعالى
آمرا لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو الى طريقته ودينه والدخول في شرعه وما عنه الله
به الكتاب (١) من الملمين ولا مبين من المنكرين فقال تعالى (قل للذين أوتوا الكتاب ولا مبين أسلمتم

«١» قوله الكتابيين

مفعول بدعو

أبو وائل عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مجاه
بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لم يدي هذا عندي عهدا وانا احق من في العهد أدخلوا عهدي الجنة
قوله تعالى (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) قال الكلبي نزلت في اليهود والنصارى حين
تركوا الاسلام أي وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (الامن بعد
ما جاءهم العلم) يعني بيان نعتهم في كتبهم وقال الربيع بن أنس إن موسى عليه السلام لما حضره الموت
دعا سبعين رجلا من أحبار بني اسرائيل فاستودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فدنا مضي
القرن الاول والثاني والثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب من أبناء أولئك السبعين
حتى أهرقوا بينهم الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في
التوراة (بغيا بينهم) أي طلبا للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة، وقال محمد بن جعفر بن
الزبير نزلت في نصارى نجران ومعناها (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) يعني الانجيل في أمر
عيسى عليه السلام وفرقوا القول فيه الا من بعد ما جاءهم العلم بان الله واحد وأن عيسى عبده ورسوله
(بغيا بينهم) أي للمعاداة والمخالفة (ومن يكفر بآيات الله) أي من يكفر بآيات الله قال الله مريع الحساب

قوله تعالى (فان حاجوك) أي خاصموك يا محمد في الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا السنا
على ماسميتنا به يا محمد انما اليهودية والنصرانية نسب الشرك والدين هو الاسلام ونحن عليه فقال الله تعالى
(فقل أسلمت وجهي لله) أي انقدت لله وحده بقاى واساني وجمع جوارح وانما خص الوجه
لانه أكرم الجوارح للانسان وفيه بهاؤه فاذا خضع وجهه للشيء فقد خضع له جميع جوارحه وقال
الفراء معناه أخلصت عملي لله (ومن اتبعني) أي ومن اتبعني فاسلم كما أسلمت وأثبت نافع وأبو عمرو
الياء في قوله تعالى (اتبعني) على الاصل وحذفه الآخرون على الخط لانها في المصحف بغير ياء وقوله
(وقل للذين أوتوا الكتاب ولا مبين) يعني العرب (أسلمتم) لفظه استسلموا ومعناه أمر أي

فان أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ) أي والله عليه حسابهم واليه مرجعهم وما بهم وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، ولهذا قال ته لي (والله بصير بالعباد) أي هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة وهو الذي (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) وما ذلك الا لحكمته ورحمته ، وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه الى جميع الخلق كما هو معلوم من دينه ضرورة ، وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث فمن ذلك قوله ته لي (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) وقال تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) . وفي الصحاحين وغيرهما مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة أنه صلى الله عليه وسلم بعث كتبه يدعو الى الله ملوك الآفاق وطوائف بني آدم من عربهم وعجمهم كتابيهم وأميرهم امتثالا لأمر الله له بذلك . وقد روى عبد الرزاق عن معمر بن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قل « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني وما مات ولم يؤمن باللهي أرسلت به الا كان من أهل النار » رواه مسلم . وقال صلى الله عليه وسلم « بعثت الى الأحمر والأسود » وقال « كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة » . وقال الامام احمد : حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه : ان غلاما يهوديا كان يضع للنبي صلى الله عليه وسلم وضوءه ويذاوله نعليه ففرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه وأبوه قعد عند رأسه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا فلان قل لا اله الا الله » فنظر الى أبيه فسكت أبوه فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى أبيه فقال أبوه : أطمع أبا القاسم . فقال الغلام : شهد أن لا اله الا الله وأنت رسول الله فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول « الحمد لله الذي أخرجه بي من النار » رواه البخاري في الصحيح ، الى غير ذلك من الآيات والاحاديث

ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون

أسلموا كما قال فهل (تم منتبهون ؟ أي انتبهوا) فان أسلموا فقد اهتدوا ﴿ فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال أهل الكتاب أسلمنا فقال لليهود أتشهدون أن عزير عبده ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عزير عليه السلام عبدا وقال للنصارى أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله قالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا فقال الله عز وجل ﴿ وان تولوا فانما عليك البلاغ ﴾ أي تبليغ الرسالة وليس عليك الهداية ﴿ والله بصير بالعباد ﴾ عالم بمن يؤمن ومن لا يؤمن

قوله تعالى ﴿ ان الذين يكفرون بآيات الله ﴾ يجحدون بآيات الله يعني القرآن وهم اليهود والنصارى ﴿ ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ﴾ قرأ حمزة ويقتلون الذين يأمرون بالالف قال ابن جرير كان الوحي يأتي على انبياء بني اسرائيل ولم يكن يأتيهم كتاب

بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم (٢١) أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من نصيرين (٢٢)

هذا ذم من الله تعالى لاهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديما وحديثا التي ملقتهم إياها الرسل استكبارا عليهم وعنادا لهم وتعظما على الحق واستكفا عن اتباعه ومع هذا قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جرعة منهم اللهم الا لكونهم دعوه الى الحق (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) وهذا هو غاية التكبر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «الكبر بطل الحق وغمط الناس». وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو الزبير الحسن بن علي بن مسلم النيسابوري نزيل مكة حدثني أبو حفص عمر بن حفص يعني ابن ثابت بن زرارة الانصاري حدثنا محمد بن حمزة حدثنا أبو الحسن مولى لبني أسد بن مكحول عن أبي قبيصة ابن ذؤيب الخزاعي عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال: «رجل قتل نبيا أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم) الآية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلا من بني امية أثبل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوه جميعا من آخر النهار من ذلك اليوم فهم الذين ذكر الله عز وجل» وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عبيدة الوصافي محمد بن حفص عن ابن حمير عن أبي الحسن مولى بني أسد عن مكحول به، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت بنو فيذكرون قومهم فيقتلون أنبياءهم فيقوم رجال من تبعهم وصدقهم فيذكرون قومهم فيقتلون أيضا فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس أخبرنا أبو سعيد الشامي أنا أبو اسحق الشعملي أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد فنجويه الديلمي أنا أبو نصر منصور بن جعفر النخعي أنا أحمد بن محمد بن الجارود أنا محمد بن عمرو بن حيان أنا محمد بن حمير أنا أبو الحسن مولى بني أسد عن مكحول عن أبي قبيصة ابن ذؤيب الخزاعي عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال: «رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) الى أن انتهى الى قوله (وما لهم من نصيرين) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة وأثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوه جميعا في آخر النهار من ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم» فبشرهم «بعذاب اليم» وجميع

امرائيل ثلاثمائة نبي من أول النهار وأقاموا سوق بقلهم من آخره ، رواه ابن أبي حاتم . ولهذا لما أن تكبروا عن الحق واستكبروا على الخلق قهلبهم الله على ذلك بالذلة والصغار في الدنيا والعذاب المهيمن في الآخرة فقال تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) أي موجع مهيمن (أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين)

ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يُسعون إلى كتب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون (٢٣) ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودت وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون (٢٤) فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ؟ (٢٥)

يقول تعالى منكر على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتبهم الذين بأيديهم وها التوراة والإنجيل وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ربيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد صلى وإنما ادخل الباء على الفاء في خبر أن لصمن الدين معنى الشرط والجزاء لأن تفسير الدين يكفرون ويقولون فبشرهم لانه لا يقال أن زيدا قائم ﴿ أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴾ وبطلان العمل في الدنيا أن لا يقل وفي الآخرة أن لا يجازى عليه قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ﴾ يعني اليهود ﴿ يسعون إلى كتاب الله ﴾ اختفوا في هذا الكتاب فقال قدة هم اليهود دعوا إلى حكم القرآن فاعرضوا عنه . وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية أن الله تعالى جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى أنهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وقال الآخرن هو التوراة . وروى سعيد بن جبيرة وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله عز وجل . فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد ؟ فقال على ملة إبراهيم فقال إن إبراهيم كان يهوديا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فلهوا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم ﴾ فأبى عليه فاز الله تعالى هذه الآية . وروى السكلي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا ومراة من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا أمرهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا أن يكن عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن أرفي وبحري بن عمرو جرت عليهما يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكما التوراة فأنافا أقرا نصفتنا قال فمن أعلمكم بالتوراة قالوا رجل أعور يسكن فذكى فقال له ابن صور يا فارس لو أليه فقدم المدينة وكان جبيل قد وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صور يا

الله عليه وسلم تولوا وهم معرضون عنها، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم والنوى، بذكرهم بالخلافة العناد ثم قال تعالى (ذلك بأنهم قالوا لن نمسنا النار إلا أياما معدودات) أي إنما حملهم وجرائم على مخالفة الحق اقترأهم على الله فيما ادعوه لأنفسهم أنهم إنما يعذبون في النار سبعة أيام عن كل ألف سنة في الدنيا يوما، وقد تقدم تفسير ذلك في سورة البقرة. ثم قال تعالى (وغرم في دينهم ما كانوا يفترون) أي ثبتهم على دينهم الباطل ماخذعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لا تمسهم بذنوبهم إلا أياما معدودات وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم واختلقوه ولم ينزل الله به سلطانا، قال الله تعالى متهددا لهم ومتوعدا (فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه) أي كيف يكون حالهم وقد افتروا على الله وكذبوا رسوله وقتلوا أنبياءه والعلماء من قوتهم الأمرين المعروف والناهي عن المنكر والله تعالى سائلهم عن ذلك كله وحاكم عليهم ومجاريهم به، ولهذا قال تعالى (فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه) أي لا شك في وقوعه وكونه (ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء

وتذل من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير (٢٦) تولى الليل في النهار وتولى

قال نعم قال أنت أعلم اليهود قال يزعمون قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي من التوراة فيها الرجم مكتوب فقل له اقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها فقام فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود بأن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما كانت امرأة حبلى تربص حتى تضع ما في بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فضب اليهود لذلك وانصرفوا فانزل الله عز وجل (ألم ترى إلى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله) (يحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) ذلك بأنهم قالوا لن نمسنا النار إلا أياما معدودات وغرم في دينهم (والفرور هو الاطماع فيما لا يحصل منه شيء) (ما كانوا يفترون) والافتراء اختلاق الكذب

قوله تعالى (فكيف إذا جمعناهم) أي فكيف حالهم أو كيف يصنعون إذا جمعناهم (ليوم لا ريب فيه) وهو يوم القيامة (ووفيت) وفرت (كل نفس ما كسبت) أي جزاء ما كسبت من خير أو شر (وهم لا يظلمون) أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزد على سيئاتهم

قوله تعالى (قل اللهم مالك الملك) قال قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته فانزل الله تعالى هذه الآية. وقال ابن عباس رضي الله عنهما وأنس ابن مالك رضي الله عنه لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة رعد أمته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين محمد صلى الله عليه وسلم ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع

النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب (٢٧)

يقول تبارك وتعالى قل يا محمد معظما لربك وشاكر له ومفوض اليه ومتوكلا عليه (اللهم مالك الملك) أي لك الملك كله (توفي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء) أي أنت المعطي وأنت المانع وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن . وفي هذه الآية تذييل وارشاد الى شكر نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم وهذه الامة لان الله تعالى حول البوة من بني اسرائيل الى النبي العربي القرشي الامي المكي خاتم الانبياء على الاطلاق ، ورسول الله الى جميع النفالين الانس والجن ، الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبلا ، وخصه بخصائص لم يعطها نبيامن الانبياء ، ولا رسولا من الرسل في العلم بالله وشريعته واطلاعه على الغيوب لماضية ولا آية وكشفه له (١) عن حقائق الآخرة ونشر أمته في الآفاق في مشارق الارض ومغاربها وظهار دينه وشرعه على سائر الاديان والشرائع فصلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين ماتته قب الليل والنهار ، ولهذا قال

من ذلك ألم يكب محمدا مكة والمدينة حتي طمع في ملك فارس والروم فانزل الله هذه الآية (قل اللهم) قيل معناه يا الله فلما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره وقال قوم للميم فيه معنى ومعناه يا الله أمنا بخير أي اقصدنا حذف منه حرف النداء كقولهم هلم اليها كان أصله هل أم اليها ثم كثرت في الكلام فحذفت الهمزة استخفافا وربما خففوا أيضا فقالوا لا هم قوله (مالك الملك) يعني يملك الملك أي مالك العباد وما ملكوا وقيل يملك السموات والارض وقال الله تعالى في بعض الكتب أنا الله الملوكة ، ومالك الملوكة قلوب الملوكة ونواصيهم بيدي فان العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوكة ولكن توبوا الي أعطفهم عليكم

قوله تعالى (توفي الملك من تشاء) قال مجاهد وسعيد بن جبير يعني ملك النبوة وقال الكلبي توفي الملك من تشاء محمدا واصحابه (وتنزع الملك ممن تشاء) أبي جهل وصناديد قريش وقيل توفي الملك من تشاء العرب وتنزع الملك ممن تشاء فارس والروم يقال السدي توفي الملك من تشاء أي الله الانبياء عليهم السلام الملك وأمر العباد بطاعتهم (وتنزع الملك ممن تشاء) نزعه من الجبارين وأمر العباد بخلافهم وقيل توفي من تشاء آدم وولده وتنزع الملك ممن تشاء إبليس وجنوده

وقوله تعالى (وتعز من تشاء وتذل من تشاء) قال عطاء تعز من تشاء المهاجرين والانصار وتذل من تشاء فارس والروم وقيل تعز من تشاء محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه حتي دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها ، وتذل من تشاء أبا جهل واصحابه حين جزت رؤسهم والقوا في الغليب وقيل تعز من تشاء بالامان والهداية وتذل من تشاء بالكفر والضلالة ، وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية ، وقيل تعز من تشاء بالنصرة وتذل من تشاء بالقهر ، وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر ، وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضى وتذل من تشاء بالحرص والطمع (بيدك الخير) أي

«١» هذا عطف تفهيم للغيوب الآتية وليس باحصاء لها وأما الماضية فاقصده عليه من أخبار أشهر الرسل مع أممهم وغير ذلك كبده الخلق الخ

« ١ » وفي النسخة
الأزهرية يتحكم

« ٢ » قوله وقدرى
الحافظ ابن عساكر
الى - مشترك سقط
من النسخة المطبوعة
فنقلت من الأزهرية

تعالى (قل اللهم مالك الملك) الآية أي أنت المتصرف في خالقك الفعال لما تريد كما رد تعالى على من
يحكم (١) ما به في أمره حيث قال (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) قال الله
عليهم (أمهم يقسمون رحمة ربك) الآية أي نحن نتصرف فيما خلقنا كما نريد بلا ممانع ولا مدافع ولنا
الحكمة البالغة والحجة التامة في ذلك وهكذا يعطي النبوة لمن يريد كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل
رسالته) وقال تعالى (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) الآية (٢) وقد روى الحافظ ابن عساكر في
ترجمة اسحق ابن احمد من تاريخه عن المأمون الخليفة انه رأى في قصر بيلادار ومكتوباً بالحيرية فعرّب له
فاذا هو بسم الله ما خلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك الا بنقل النعم عن ملك قد زال
سلطانه الى ملك . وملك ذي العرش دائم أبداً ليس بفان ولا بمشترك وقوله تعالى (تولى الليل في النهار
وتولى النهار في الليل) أي تأخذ من طول هذا فتزيد في قصر هذا فيمتدلان ثم تأخذ من هذا في
هذا فيمتدوتان ثم يعتدلان ، وهكذا في فصول السنة ربيعاً وصيفاً وخريفاً وشتاءً ، وقوله تعالى
(ونخرج الحي من الميت ونخرج الميت من الحي) أي تخرج لزرع من الحب ، والحب من الزرع
والنخلة من النواة والنواة من النخلة ، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ، والدجاجة من البيضة
والبيضة من الدجاجة ، وما جرى هذا المجرى من جميع الاشياء (وترزق من تشاء بغير حساب) أي
تعطى من شئت من المال مالا يعمده ولا يقدر على إحصائه وتفتقر على آخرين لما لك في ذلك من الحكمة
بيدك الخير والشر فاكتمى بذكر أحدهما قال تعالى (سرايل تقيمكم الحر) أي الحر والبرد فاكتمى
بذكر أحدهما (لك على كل شيء قدير)

قوله تعالى (تولى الليل في النهار) أي تدخل الليل في النهار حتي يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل
تسع ساعات (وتولى النهار في الليل) حتي يكون ليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فما نقص من أحدهما
زاد في الآخر (ونخرج الحي من الميت ونخرج الميت من الحي) قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي وحذفوا
عاصم الميت بتشديد الباء ههنا وفي لسانهم ويونس والروم وفي الاعراف (للبلد ميت) وفي فاطر (إلى بلد ميت)
زاد نافع (أو من كان ميتاً فأحييناه - و - لم أخيه ميتاً - و - الأرض الميتة أحييناها) فشدها والآخر
يخففونها وشدها بمقور (يخرج الحي من الميت - و - لم أخيه ميتاً) قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد
وقتادة معني الآية يخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الحيوان وقال عكرمة والكلبي
يخرج الحي من الميت أي الفرخ من البيضة ويخرج البيض من الطير وقال الحسن وعطاء يخرج المؤمن
من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن ، والمؤمن حي الفؤاد والكافر ميت الفؤاد قال الله تعالى (أو من كان
ميتاً فأحييناه) وقال الزجاج يخرج النبات الغض الطري من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من
النبات الحي الذي (وترزق من تشاء بغير حساب) من غير تضيق ولا تقصير أخبرنا أبو القاسم
عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحبري أنا أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل ابن
إبراهيم الهاشمي أنا محمد بن علي بن زيد الصائغ أنا محمد بن أرهر أنا الحارث بن عمير أنا جعفر بن

«١» وفي النسخة
الازهرية والعدل

والارادة والمشيئة (١) قال الطبراني : حدثنا محمد بن زكريا العلاءي حدثنا جعفر بن حسن بن فرقد
حدثنا أبي عن عمر بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال « اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب في هذه الآية من آل عمران (قل اللهم مالك الملك
تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير)

لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله

في شيء الا أن تتقوا منهم تقية ، ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير (٢٨)

نهي تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يسرون اليهم بالمودة
من دون المؤمنين ثم توعده على ذلك فقال تعالى (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أي ومن
يرتكب نهي الله في هذا فقد بىء من الله كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
أولياء تلقون اليهم بالمودة - الى أن قال - ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) وقال تعالى (يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا عليكم سلطانا مبينا)

محمد بن أبيه عن حماد بن عمار بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران (شهد الله - الى قوله - إن الدين عند الله الاسلام ، وقل
اللهم مالك الملك - الى قوله - بغير حساب) مشغعات معلقات بالعرش ما بينهن وبين الله عز وجل حجاب
قلن رب تهبطننا الى أرضك والى من يعصيك ؟ قل الله عز وجل بي حلفت لا يقرأ أحد من عبادي
دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مشواه على ما كان فيه وأسكنته في حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني
المكونة كل يوم سبعين مرة وقضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة وأعذته من كل عدو
وحاسد ونصرتة عليهم » رواه الحارث بن عمرو وهو ضعيف

قوله عز وجل « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » قال ابن عباس رضي الله عنه كان
لججاج بن عمرو (١) بن أبي الحقيق وقس بن زيد يبطنون بنفرا من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال
رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جابر وسعد بن خيشمة لا أولئك انفراجتوا هؤلاء اليهود لا يفتنونا عن دينهم فقال
دينكم فأتى أولئك انفر الامباطنهم فأنزله الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل نزات في حاطب بن أبي بلتعة
وغيره وكانوا يظهرون المودة للكفار مكة قال الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزات
في المنافقين عبد الله بن أبي واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ، يأتونهم بالاخبار ويرجون ان
يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزله الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم
قوله تعالى « من يفعل ذلك فليس من الله في شيء » أي ليس من دين الله في شيء ثم استثنى فقال « الا ان تتقوا منهم تقية »
يعني الا أن يخافوا منهم مخافة قرأ مجاهد ويعقرب تقيه عز وزن بقية لانهم كتبوها بالياء ولم يكتبوها

«١» زاد ابن جرير
حليف كعب ابن
الاشرف

وقال تعالى (بأبصار الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولم منكم فإنه منهم) الآية. وقال تعالى بعد ذكر مولاة المؤمنين من المهاجرين والانصار والاعراب (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) وقوله تعالى (إلا أن تتنوا منهم تقاة) أي إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونفيه، كما قال البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم. وقال الثوري: قال ابن عباس: ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس إنما التقية باللسان، وكذا قال أبو العالية وأبو الشعثاء والضحاك والربيع بن أنس. وبهذا ما قاله قول الله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) الآية. وقال البخاري: قال الحسن التقي لى يوم القيامة، ثم قال تعالى (ويحذركم الله نفسه) أي يحذركم بقلبه في مخافته وخطوته وعذابه لمن وإلى أعدائه وعادى أولياءه. ثم قال تعالى (وإلى الله المصير) أي إليه المرجع والمقلب ليجازي كل عامل بعمله. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن خالد عن ابن أبي حسين عن عبد الرحمن بن سابط عن ميمون بن مهران قال: قام فبينما معاذ فقال: يابني أود أني رسول رسول الله إليكم تملكون أن المهاد إلى الله (١) إلى الجنة أو إلى النار

«١» وفي الأثر به :
أن المهاد إلى الجنة أو
إلى النار

قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله، ويعلم ما في السموات وما في

بالألف مثل حصاة ووة وهي مصدر يقال تقيت تقية وتقوى فادا قلت اتقيت كان المصدر الانتقاء وإنما قال تنقوا من الانتقاء ثم قال تقاة ولم يقل اتقاء لأن معنى التفقين إذا كان واحدا يجوز إخراج مصدر أحدهما على لفظ الآخر كقوله تعالى (وتبتل إليه تبتيلا) ومعنى الآية أن الله تعالى تبتل المؤمنين عن مولاة الكفار ومداهمتهم ومباطنهم إلا أن يكون الكفار غاليين ظاهرين أو يكون المؤمنون في قوم كمار يخفهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو يظهر الكمار على عورة المسلمين، والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية، قال الله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) ثم هذا رخصة فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم، وأنكر قوم التقية اليوم وقال معاذ بن جبل ومجاهد كانت التقية في جدة الاسلام قل استحكم الدين وقوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله الاسلام فلا ينبغي لأهل الاسلام أن يتقوا من عدوهم وقل يحيي البكاء قالت سعيد بن جبيرة في أيام الحجاج إن الحسن كان يقول لكم تقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان فقال سعيد ليس في الاسلام تقية إنما التقية في أهل الحرب ويحذركم الله نفسه أي يخوفكم الله عقوبته على مولاة الكفار أو ارتكاب المنهي ومخالفة المأمور وإلى الله المصير قل أن تخفوا ما في صدوركم أي قلوبكم من مودة الكفار (أو تبدوه) أي من مولاتهم قولاً رفلاً (يعلمه الله) قال الكلبي إن تسروا ما في قلوبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من التكذيب أو تظهوره بحربه وقتاله يعلمه الله ويحفظه عليكم حتى

الارض ، والله على كل شيء قدير (٢٩) يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ، ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد (٣٠)

يخبر تبارك وتعالى عباده انه يعلم السرائر والضمائر والظواهر وأنه لا يخفى عليه خافية بل علمه محيط بهم في سائر الاحوال والازمان والايام والحظات وجميع الاوقات وجميع ما في الارض والسموات لا يغيب عنه مثقل ذرة ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الارض والبحار والجبال (والله على كل شيء قدير) أي وقدرته نافذة في جميع ذلك ، وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته لئلا يرتكبوا ما نهى عنه وما يغضه منهم فانه عالم بجميع أمورهم ، وهو قادر على معاجلته بالعقوبة وان أنظر من أنظر منهم فانه يهل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ولهذا قال بعد هذا (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) الآية يعني يوم القيامة يحضر للعباد جميع أعماله من خير وشر كما قال تعالى (ينبأ الانسان ومثد بما قدم وأخر) فما رأى من أعماله حسنا سره ذلك وأفرحه ، وما رأى من قبيح ساءه وغصه ، وود لو أنه تراءى به وأن يكون بينهما أمدا بعيدا ، كما يقول للشيطان الذي كان مقرنا (١) به في الدنيا ودو الذي جراه على فعل السوء (بأليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) ثم قل تعالى مؤكدا

وههدا ومتوعدا (ويحذركم الله نفسه) أي يخوفكم عقابه ، ثم قل جل جلاله مرجيا لعباده لئلا يئسوا من رحمته ويقطعوا من لطفه (والله رؤوف بالعباد) ، قال الحسن البصري : من رأفته بهم حذرهم نفسه وقل غيره : أي رحيم بخلفه بحب لهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ودينه القويم وأن يتبعوا رسوله الكريم

قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم (٣١)

«١» وفي نسخه

الازهر مقترنا

يجازيكم به ثم قال ﴿ ويعلم ما في السموات وما في الارض ﴾ يعني اذا كان لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الارض فكيف تخفى عليه مولاتكم الكفار ومبلكم اليهم بالقلب ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ قوله تعالى ﴿ يوم تجد كل نفس ﴾ نصب يوم نزع حرف الصفة أي في يوم وقبل باضمار فعل أي اذكروا وتقوا يوم تجد كل نفس ﴿ ما عملت من سوء ﴾ لم ييخص منه شيء كما قال الله تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضرا) ﴿ وما عملت من سوء ﴾ جعل بعضهم خيرا في موضع نصب أي تجد محضرا ما عملت من الخير والشر فتسر بما عملت من الخير وجعله بعضهم مستأثرا ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما وما عملت من سوء ودت لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا

قوله تعالى ﴿ تود لو أن بينها ﴾ أي بين النفس ﴿ وبينه ﴾ يعني وبين السوء ﴿ أمدا بعيدا ﴾ قال السدي مكا بعدا وقال مقاتل كابين المشرق والمغرب. والامد الاجل والغاية التي ينتهي اليها وقال الحسن يسر أحدهم أن لا يلقى عمله أبدا وقيل يود أنه لم يعمل له ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ والله رؤوف بالعباد ﴿ قوله تعالى ﴾ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴿ نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا نحن

قل أطيعوا الله والرسول ، فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين (٣٧)

«١» وفي الأزهريه:
في دعواه

هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فانه كاذب في نفس الامر (١) حتى يتم الشرع لمحمد بن ولدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » ولهذا قال (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) أي يحصل لكم فوق ما طابتم من محبتكم إياه . وهـ محبته إياكم وهو أعظم من الاول كما قال بعض العلماء الحكماء : ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب . وقال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) . وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا عبد الله بن موسى بن عبد الأعلى بن أعين عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وهل لدين إلا الحب في الله والبغض في الله ؟ قال الله تعالى : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني » وقال أبو زرعة عبد الأعلى : هذا منكر الحديث . ثم قال تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم) أي باتباعكم الرسول صلى الله عليه وسلم يحصل لكم هذا من بركة سفارته . ثم قل تعالى آمرا لكل أحد من خاص وعام (قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا) أي تخالفوا عن أمره (فإن الله لا يحب الكافرين) فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى تابع الرسول

وهم في المسحود لحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض الاعم وجعلوا في آياتها الشنوف وهم أبناء الله وأحباؤه . قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ونف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش يسجدون لها فقال الله يا معشر قريش لقد خالفتكم ملة أبيكم إبراهيم واسماعيل فقالت له قريش إنما نعبد ما حبا لله ليقربنا إلى الله زلفى ، فقال الله تعالى قل لهم يا محمد إن كنتم تحبون الله وتعبدون الاصلنام ليقربوكم إليه فاتبعوني يحببكم الله فأنا رسول الله إليكم وحجته عليكم أي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فحـ المؤمنين لله اتباعهم أمره وإظهار طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله للمؤمنين ثبوته عليهم . ونوابه لهم وعفوه عنهم (١) فذلك قوله تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) وقيل لما نزلت هذه الآية قال عبد الله ابن أبي لاصحابه ان محمد آجمل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم فنزل قوله تعالى (قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا) أعرضوا عن طاعتهما (فن الله لا يحب الكافرين) لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن سنان أنا فالح أنا هلال بن علي عن عطاء ابن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل امتي يدخلون الجنة إلا من أبى » قالوا ومن أبى ؟ قال « من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » أخبرنا عبد الواحد

«١» فسر الحب بأثره وما يترتب عليه وفاقا للمتكلمين ، والسلف وأهل الآثار يقولون ان العبد يحب الله فيطيعه ، الرب يحب العبد المطيع فيثبته فأما حب العبد لربه فهو ما يجده في نفسه من عظمته وجلاله والرجاء فيه . وأما حب الرب لعبدته فهو حب يليق به لا يعرف كنهه غيره كسائر صفاته . وكتبه محمد رشيد

النبي الامي خاتم الرسل ورسول الله الى جميع الثقلين الجن والانس الذي لو كان الانبياء بل المرسلون بل أولوا العزم منهم في زمانه - اوسعهم الا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته كما سيأتي تقريره عند قوله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) الآية ان شاء الله تعالى

ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين (٣٣) ذرية بعضها

من بعض ، والله سميع عليم (٣٤)

يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الارض ، فاصطفى آدم عليه السلام خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أمما كل شيء ، وأسكنه الجنة ثم أهبطه منها لما له في ذلك من الحكمة واصطفى نوحا عليه السلام وجعله أول رسول بعثه الى أهل الارض لما عبد الناس الاوثان وأشركوا الله ما لم ينزل به سلطانا وانتقم له لما طالت مدة بين ظهري قومه يدعوهم الى الله ليلا وهاراء سرا وجهاراً ، فلم يزددهم ذلك الا فراراً ، فدعا عليهم فأغرقهم الله عن آخرهم ولم ينبج منهم الا من اتبعه على دينه الذي بعثه الله به . واصطفى آل ابراهيم ومنهم سيد البشر خاتم الانبياء على الاطلاق محمد صلى الله عليه وسلم ، وآل عمران والمراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى بن مريم عليه السلام . قال محمد بن اسحق بن يسار رحمه الله : هو عمران بن ياشم (١) بن ميثا بن حزيما بن ابراهيم

(١) زاد في الازهرية
بن أهون

المليحي نا أحمد بن عبد الله النعمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل نا محمد بن عباد نا يزيد انا سليمان بن حبان واثنى عليه انا سعيد بن ميناء قال حدثنا أبو سمعت جابر بن عبد الله يقول جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظن فقالوا ان اصحابكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً فقالوا مثله كمثل رجل نفي دارا رجل يها ما دم وبعت داءيا فن أجاب لدعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجيب الداعي لم يدخل الدار و يأكل من المأدبة ، فقالوا أولوها له يفتقها قال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظن فقالوا أما الدار اجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فن أطاع محمداً فقد أطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس

وقوله تعالى ﴿ان الله اصطفى آدم ونوحا﴾ الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما قالت اليهود نحن من أبناء ابراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله تعالى هذه الآية يعني أن الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وانتم غير دين الاسلام (اصطفى) اختار اتمل من الصفوة وهي الخواص من كل شيء (آدم) أبا البشر (ونوحا) ﴿وآل ابراهيم وآل عمران﴾ قيل أراد بآل ابراهيم وآل عمران ابراهيم عليه السلام وعمران أنفسهما كقوله تعالى (وبقية من ترك آل موسى وآل هارون) يعني موسى وهرون وقال آخرون آل ابراهيم اسماعيل واسحق ويعقوب ولا سبط وكان محمد صلى الله عليه وسلم من آل ابراهيم عليه السلام وأما آل عمران فقد قال مقاتل هو عمران بن يهود بن قهاش بن

ابن غرايا ابن نوش بن أجز بن بهوا بن نزم بن مقسط بن ايشا بن اياز بن رخييم بن سلجان بن دارود
عليهما السلام، فعيسى عليه السلام من ذرية ابراهيم كما سيأتي بيانه في سورة الانعام ن شاء الله تعالى وبه الثقة

اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني، انك أنت

السميع العليم (٢٥) فلما وضعتها قالت: رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت، وليس

الذكر كالأنثى، واني سميتها مريم واني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (٣٦)

امراة عمران هذه هي أم مريم عليها السلام وهي حنة بنت فوقوذ. قول محمد بن اسحق: وكانت
امراة لا تحمل فرأت يوما طائرا يزق فرخه فاشتبهت الولد فاعت الله تعالى أن يهبها ولدا فاستجاب الله
دعائها فواقعها زوجها فحملت منه فلما نجت الحمل نذرت ان يكون محرراً أي خالصاً مفرغاً للعبادة
مقدمة بيت المقدس فقالت: يارب (اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني انك أنت السميع
العليم) أي السميع الدعائي العليم بنيتي، ولم تكن تعلم ما في بطنها اذ كراً أم أنثى (فلما وضعتها قالت: رب
اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت) قرئ برفع التاء على انها تاء المنكح وان ذلك من تمام قولها،

لاوي ابن يعقوب عليه السلام وآله موسى وهرون. وقال الحسن ورهب هو عمران بن أشهم بن عمران
من ولد سلجان بن داود عليهما السلام وآله مريم وعيسى وقيل عمران بن ماثان وإنما خص هؤلاء
بالذكر لان الانبياء والرسل كلهم من نسلهم (على العالمين ذرية) اشتقاقاً من ذراً بمعنى خلق وقيل
من الذر لانه استخرجهم من صلب آدم كالذر ويسمى الاولاد والآباء ذرية فالاولاد ذرية لانه ذراً
والآباء ذرية لانه ذراً الابناء منهم قال الله تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أي آباءهم (ذرية) نصب
على معنى واصطفى ذرية (بعضها من بعض) أي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في
التناصر وقيل بعضها على دين بعض (والله سميع عليم)

قوله تعالى (اذ قالت امرأت عمران) وهي حنة بنت فوقوذ أم مريم وعمران هو عمران بن
ماثان وليس بعمران ابي موسى عليه السلام لان بينهما الف وثمانمائة سنة وقيل كان بين ابراهيم
وموسى عليهما السلام ألف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألفاً سنة وكان بنو ماثان رؤس
بنو اسرائيل وأخبارهم وملوكهم وقيل عمران بن أشهم

قوله تعالى (رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً) أي جعلت لك الذي في بطني محرراً نذرت
منك (فتقبل مني انك أنت السميع العليم) والذر ما يوجه الانسان على نفسه محرراً أي عتقاً
خالصاً لله مفرغاً لعبادة الله ولخدمة الكنيسة لا أشغله بشيء من الدنيا وكل ما أخص فهو محرر يقال
حررت العبد اذا عتقته وخلصته من الرق. قال السكبي ومحمد بن اسحق وغيرهما كان المحرر اذا حرر
جعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرحها حتى يبلغ الحلم ثم يخبر ان أحب أقام فيه

وقرى، بتسكير التاء على أنه من قول الله عز وجل (وليس الذكر كالأثني) أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى (وإني سميتها مريم) فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق لأنه شرع من قبلنا وقد حكى مقررنا وبذلك ثبتت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قل «ولد لي الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم» أخرجاه، وكذلك ثبت فيها أن أنس ابن مالك ذهب بأخيه حين ولدته أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنكه وسماه عبد الله. وفي الصحيح الآخرى: أن رجلا قال: يا رسول الله واد لي الليلة ولد فما أسميه؟ قل «سم ابنك عبد الرحمن» وثبت في الصحيح أيضا: أنه لما جاء أبو أسيد بابنه ليحنكه فذهل عنه فأمر به أبوه فرد إلى منزلهم فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس سماه المنذر. فأما حديث قتادة عن الحسن البصري عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل «كل غلام مرتين (١) بعقيقته يذبح عنه يوم سابعه (٢)» ويسمى ويحلق رأسه فقد رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وروى ويدي وهو أثبت وأحفظ والله أعلم. وكذا ما رواه الزبير بن بكار في كتاب النسب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علق عن ولده إبراهيم وسماه إبراهيم، فاستاده لا يثبت وهو مخالف لما في الصحيح ولو صح لحل على أنه شتم. (٤) اسمه بذلك يؤيد والله أعلم، وقوله أخبارا عن أم مريم أنها قالت (وإني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أي عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان وعوذت ذريتها وهو

«١» في النسخة

المطبوعة رهن وفي
الأزهرية «رهينة»
وهذه روايه وزاد في
الأزهرية بهذا اللفظ،
ولكن لفظ الترمذي
«مرتين» لا رهينه
«٢» في الأزهرية:

سابعه

«٣» في الأزهر: أشهر
وزاد فيها: يوم سابعه

وان أحب ذهب حيث شاء ون أراد أن يخرج مد التحريم لم يكن له ذلك ولم يكن أحد من الأنبياء والعلماء إلا من نسله محررا لا الغنم ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض والأذى فحررت أم ريم مافي بطنها وكانت القصة في ذلك أن زكريا وعمران تزوجا اختين وكانت إيشاع بنت فقوم أم يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذ أم مريم عند عمران وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أسنت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فيبهي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت بذلك نفسها الولد فدعت الله أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي إن رزقتني (١) ولدا أن أتصاق به على بيت المقدس فيكون مسدنه وخدمته فخدمت مريم فحررت مافي بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت أ رأيت أن كان مافي بطنك أشي لا تصلح له لك، فوقما حمينا فيهم من ذلك فهلك عمران وحنة حامل مريم (فلما وضعتها) أي ولدتها إذا هي جارية وطاف في قوله وضعتها راجعة إلى النذيرة لا إلى «ما» ولذلك أثبت (قالت) حنة وكانت ترحوا أن يكون غلاما (رب إلى وضعتها اني) اعتذار إلى الله عز وجل (والله أعلم بما وضعت) يحزم التاء أخبارا عن الله تعالى عز وجل وهي قراءة العامة وقرا ابن عامر وأبو بكر وعقوب وضمت بفتح التاء فجعلوها من كلام أم مريم (وليس الذكر كالأثني) في خدمة الكنييسة والعباد الذين فيها العورناتها وضعتها وما يعترها من الحيض والنفاس (وإني سميتها مريم) هي لغتهم العبادة والخدمة وكانت مريم أجمل النساء في قتها وأصلها (وإني أعيدنها) أمنعها وأجيرها (بك وذريتها) أولادها (من الشيطان

«١» وفي نسخة

وهبت لي

ولدها عيسى عليه السلام فاستجاب الله لها ذلك كما قال عبد الرزق ابنا مام عن الزهري عن ابن المسيب عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مولود يولد الا معه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مسه اياه الامريم وابنها » ثم يقول ابو هريرة افرؤا ان شتمتم (واني اعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) اخرجاه من حديث عبد لزارق ، ورواه ابن جرير عن احمد بن الفرج عن بقية عن الزبيدي عن الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وروي من حديث قيس عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مولود الا وقد عمره الشيطان عشرة أو عشرين الا عيسى بن مريم ومريم » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (واني اعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ومن حديث العلاء عن ابيه عن ابي هريرة ، ورواه مسلم عن ابي الطاهر عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن ابي بونس عن ابي هريرة ، ورواه ابن وهب أيضا عن ابن ابي ذئب عن عجلان مولى المشعل عن ابي هريرة ورواه محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بأصل الحديث ، وهكذا رواه الليث بن سعد عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرم عن الاعرج قال : قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه » تلده أمه الا عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن بالحجاب »

فتقبلها ربها بقبول حسن وأنتها نباتا حسنا وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال : يعريم أي لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ، إن الله

يرزق من يشاء بغير حساب (٣٧)

بخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة وأنه أنتها نباتا حسنا أي جعلها شكلا مليحا ومنظرا بهيجا الرجيم) والشيطان الطريد اللعين والرجيم لم يرمي بالشبه ، اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا ابن ليمان انا شعيب عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب قال قال ابو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من بني آدم مولود الا معه الشيطان حين يولد فيستهل الصبي صارخا من الشيطان غير مريم وابنها » ثم يقول ابو هريرة رضي الله عنه (واني اعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا ابو ليمان انا شعيب عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب »

قوله (فتقبلها ربها بقبول حسن) أي قبل الله مريم من جهة مكان المحرر وتقبل بمعنى قبل ورضي والقبول مصدر قبل قبل قبول لا مثل الولوغ والوزوع ولم يأت غير هذه الثلاثة وقيل معنى التقبل التكفل

ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين فلماذا قال (وكفلها زكريا) بتشديد الفاء ونصب زكريا على المفعولية أي جملة كافلا لها . قال ابن اسحق : وما ذلك الا أنها كانت يتيمة . وذكريا غيره : ان بنى اسرائيل أصابتهم سنة جدد فكفل زكريا مريم لذلك ، ولا منافاة بين القولين والله أعلم . وإنما قدر الله كون زكريا كفلا لسعادتها لتقتبس منه علما جسا نافعا وعملا صالحا ، ولانه كان زوج خالتها على ما ذكره ابن اسحق وابن جرير وغيرهما ، وقيل : زوج أختها كما ورد في الصحيح «فاذا يبجي عيسى وهما ابنا الخالة» وقد يطلق على ما ذكره ابن اسحق ذلك أيضا توسعا فعلى هذا كانت في حضنة خالتها . وقد ثبت في الصحيح : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في عمارة (١) بنت حمزة أن تكون في حضنة خالتها ، أجمع بن أي طالب وقال : «الخالة بمنزلة

(١) في النسخة

المطبوعة عمرة وهي غلط فاعتمدنا نسخة الازهر لأنها إحدى الروايتين في اسمها والرواية الأخرى إمامة

في التربية والقيام بشأنها ﴿ وأنبثها نباتا حسنا ﴾ معناه ونبتها فنبتت نباتا حسنا وقبل هذا مصدر على غير المصدر أي المصدر وكذلك قوله (فتبناها رها بقبوا حسن) ومثله سائغ كقوله لك نكحتم كلاما وقال جوبير عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما (فتبناها رها بقبول حسن) أي سلك بها طريق العناء (وأنبثها نباتا حسنا) يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في الدوم ما ينبت المولود في الدوم ﴿ وكفلها زكريا ﴾ قال أهل الاخبار أخذت حنة مريم حين ولدتها فنفث في خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الاخبار أبناء هرن وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاخبار لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قرانهم فقال لهم زكريا أنا أحكمكم بها عندي خالتها فقالت له الاخبار لا نفعل ذلك ، فأنه لو تركت لاحق الناس بها تركت لأهلها التي ولدتها لكننا قنزع عاها فنكون عند من خرج سهمه فاطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا إلى نهر جار قال السدي هو نهر الاردن فألقوا أقلامهم في الماء على ان من ثبت قلبه في الماء وصعد فهو أولى بها . وقيل كان على كل قلم اسم واحد منهم وقيل كانوا يكتبون التوراة فألقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم في الماء فارتد قلم زكريا فارتفع فوق الماء ، وانحدرت أقلامهم ورسبت في النهر قاله محمد بن اسحق وجماعة وقيل جرى قلم زكريا مصعدا إلى أعلى الماء وجرت أقلامهم بحري الماء . وقال السدي وجماعة بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كأنه في طين وجرت أقلامهم في جرية الماء فذهب الماء فسهبهم وقرعهم زكريا وكان رأس الاخبار ونبيهم فذلك قوله تعالى (وكفلها زكريا) قرأ حمزة والكسائي وعاصم كلفا بتشديد الفاء فيكون زكريا في محل النصب أي ضمها الله وضمها اليه بالقرعة وقرأ الآخرون بالتخفيف فيكون زكريا في محل الرفع أي ضمها زكريا إلى نفسه وقام بأمرها وهو زكريا بن أذن بن مسلم بن صدوق بن أولاد ساجان ابن داود عليهما السلام وقرأ حمزة والكسائي وحض عن عاصم زكريا مقصورا والآخرون بمدونه ولما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها وقال محمد بن اسحق ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شبت ربلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابا في وسطها لا يرقى إليها الا بالسلم مثل باب الكعبة لا يصعد إليها غيره وكان بأنبياء بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب ﴾ وأراد

الام» ثم أخبر تعالى عن سيادتها وجلادتها في محل عبادتها فقال «كأما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا». قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الشعثان وأبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفي والسدي: يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكة الشتاء في الصيف. وعن مجاهد (وجد عندها رزقا) أي علما، أو قال: صحفا فيها علم، رواه ابن أبي حاتم ولول أول أصح وفيه دلالة على كرمات الأولياء. وفي السنة لهذا نظائر كثيرة، فإذا رأى زكريا هذا عدها (قال: يا مريم أنى لك هذا) أي يقول من أين لك هذا؟ (قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) وقال حافظ أبو يعلى: حدثنا سهل بن زنجلة حدثنا عبد الله ابن صالح حدثنا عبد الله بن لهيعة عن محمد بن المسكدر عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طه ما حتى شق ذلك عليه فطاف في منارل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئا فأتى فاطمة فقل «يا بنية هل عندك شيء» آكله فاني جائع؟» قالت: لا والله - بأبي أنت وأمي - فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها مرغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعت في جفث لها وقالت: والله لا ورن بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي نفسي ومن عندي، وكانوا جميعا محتاجين إلى شبعة طعام فبقيت حسنا أو حسينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إليها فقالت: بأبي أنت وأمي قد أتى بالمحراب العرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد ويقال للمسجد أيضا محراب وقال المبرد لا يكون المحراب إلا أن يرتقى إليه بدرجة وقال الربيع بن أنس كان زكريا إذا خرج يعلق عليها سبعة أبواب فإذا دخل عليها فتحها ﴿وجد عندها رزقا﴾ أي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكة الشتاء في الصيف ﴿قال يا مريم أنى لك هذا﴾ قال أبو عبيدة معنانه من أين لك هذا وإنكر بعضهم عليه وقال عنه من أي جهة لك هذا لأن أنى للسؤال عن الجهة وأين للسؤال عن المكان ﴿قالت هو من عند الله﴾ أي من كطف الجنة وقال أبو الحسن أن مريم من خير ولدت لم تلحم ثديا قط بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول لها زكريا أنى لك هذا فتقول من عند الله تسكت هي صميرة ﴿إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ قال محمد بن اسحق ثم أصابت نبي إسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضف زكريا عن حملها فخرج على بني إسرائيل فقال يا بني إسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل مريم بنت عمران فأياكم يكفلها بعدي؟ فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما نرى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل نجار من بني إسرائيل يقال له يوسف ابن يعقوب وكان ابن عم مريم فحملها ففرقت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن بالله اظن فإن الله سيرزقنا فحمل يوسف يرزق بمكناها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فإذا أدخله عليها في الكنيسة أتاه الله فبدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها يوسف فيقول يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، قال أهل الأخبار فلما رأى ذلك زكريا قال إن الذي قدر علي أن يأتي مريم بالفاكة في غير حينها من غير سبب لقادر علي أن

«١» زاد في الدر المنثور
« بالجفنة »
« ٢ » وفي الازهرية
والدر المنثور بهت

« ٣ » قوله فبعث الخ
ليس في نسخة الدر
المنثور

الله بشيء فخافه فك قال « هلمي يا بنية » (١) قالت فأتيته بالجفنة فكشفت عنها فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً فلما نظرت إليها بهت (٢) وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله وصليت على نبيه وقدمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه حمد الله وقال « من أين لك هذا يا بنية » قالت: يا أبت (هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فحمد الله وقال « الحمد لله الذي جعلك بانية شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل فانها كانت إذا رزقها الله شيئاً وسئلت عنه قالت (هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء حساب) فبعث رسول الله (٣) صلى الله عليه وسلم إلى علي ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل علي وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته حتى شبعوا جميعاً قالت: وبقيت الجفنة كما هي قالت: فأوسعت ببقيتها على حميم الحيران، جعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً

هنالك دعا زكريا ربه، قال: رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء (٣٨) فأنذته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيقاً وحصواً ونبياً من الصالحين (٣٩) قال: رب أنى يكون لي غلم وقد بلغني الكبر وامرأني عاقر، قال: كذلك الله يفعل ما يشاء (٤٠) قال: رب اجعل لي آية، قال: آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا، واذكر ربك كثيراً وسيح بالمشي والابكر (٤١) يصلح زجتي وبهربي. لداعي غير حينه على الكبر فطمع في الولد وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد شاع وأيس من الولد

قال الله تعالى « هنالك » أي عند ذلك « دعا زكريا ربه » فدخل المحراب وغلق الأبواب وناجى ربه « قال رب » أي بارب « هب لي » أي اطني « من لدنك » أي من عندك « ذرية طيبة » أي ولداً مباركاً تقياً صالحاً راضياً والذرية تكون واحداً وجمعاً ذكر أو أنثى ههنا واحد دليل قوله عز وجل (فب لي من لدنك ولياً) وأناقل طيبة لتأنيث لفظ الذرية « نك سميع الدعاء » أي سامع وقيل مجيبه كقوله تعالى (إني آمنت برؤسكم فاسمعوا مني) أي فأحبيوني « فأنذته الملائكة » قرأ حمزة والكسائي فناداء بالياء والآخرون بالتاء. لتأنيث لفظ الملائكة وللجمع مع أن الذكر إذا تقدم فإلهم وجماعة كان تأنيث فيها أحسن كقوله تعالى (قالت الاعراب) وعن إبراهيم قال كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما يذكر الملائكة في القرآن قال أبو عبيدة إنما نرى عبد الله اختار ذلك خلافاً للمشركين في قولهم الملائكة بنات الله تعالى وروى الشعبي أن ابن مسعود رضي الله عنه قال إذا اختلقتن في التاء والياء فاجعلوا ياء وذكروا القرآن. وأراد بالملائكة ههنا جبريل عليه السلام وحده كقوله تعالى في سورة النحل (ينزل الملائكة) يعني جبريل (بالروح) والنوحى ويجوز في العربية أن يخبر عن الواحد بالجمع

لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم عليها السلام فأكفة الشتاء في الصيف وفاكة الصيف في الشتاء طمع حينئذ في الولد وإن كان شيخا كبيرا قد وهن منه العظام واشتعل الرأس شيبا، وكانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقرا لما كنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خفيا وقال (رب هب لي من لدنك) أي من عندك ذرية طيبة أي ولدا صالحا إنك سميع لدعاء. قال الله تعالى (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب) أي خاطبته الملائكة شفاهها خطابا أسمعه وهو قائم يصلي في محراب عبادته ومحل خلوته ومجلس مناجاته ورسالاته. ثم أخبر تعالى عما بشرته به الملائكة (إن الله يبشرك بيحيى) أي بولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيى. قال قتادة وغيره: إنما سمي يحيى لأن الله أحياه بالإيمان. وقوله (مصدق بكلمة من الله) روي العوفي (١) وغيره عن ابن عباس وقال الحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد وأبو الشعثاء والسدي والريعي بن أنس والضحاك وغيره في هذه الآية (مصدق بكلمة من الله) أي بميسى بن مريم. وقال الريعي بن أنس: هو أول من صدق بميسى بن مريم. وقال قتادة: وعلى سنة ومنهاجه. وقال ابن حريج: قال ابن عباس في قوله (مصدق بكلمة من الله قال: كان يحيى وعيسى ابني خالة وكانت أم يحيى تقول لمريم: إني أجيد الذي في بطني يسجد للذي في

لحمه كة لهم سمعت هذا الخبر من الناس وإنما سمع من واحد نظيره قوله تعالى (الذين قال لهم الناس) يعني نعيم بن مسعود (إن الناس) أي أبا سفيان بن حرب وقال المفضل بن سلمة إذا كان الفائز رئيسا يجوز الاحبار عنه بالجمع لاجتماع أصحابه معه وكان جبريل عليه السلام رئيس الملائكة وقربايبه إلا أنه جمع فجاء ذلك قوله تعالى (وهو قائم يصلي في المحراب) أي في المسجد وذلك أن زكريا كان الجهر الكبير الذي يقرب القربان فيمتح باب المذبح فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول فيبني هو قائم يصلي في المحراب يعني في المسجد عند المذبح يصلي والناس ينتظرون أن يأذن لهم في الدخول فإذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض تلمع ففرغ منه فناداه وهو جبريل عليه السلام يا زكريا (إن الله يبشرك) قرأ ابن عامر وحزرة (إن الله) بكسر الالف على إضمار القول فتدبره: فنادته الملائكة فقالت إن الله. وقرأ الآخرون بالفتح بإيقاع النداء عليه كأنه قال فنادته الملائكة بأن الله يبشرك قرأ حمزة يبشرك وباء بالتخفيف كل القرآن إلا قوله (فبم تبشرون) فلهن اتفقوا على تشديد ما وافقه الكسائي هنا في الموضعين وفي سبحان والكهف وحمسق ووافق ابن كثير وأبو عمرو في حمسق والباقيون بالتشديد فن قرأ بالتشديد فهو من بشر يبشر تبشيرا وهو أرب اللغات وأنصحها. دليل التشديد قوله تعالى (فبشر عبادي) وبشرناه باسمحق — قالوا بشرك باحق) وغيرها من الآيات ومن خفف فهو من بشر وبشر وهي لغة تهامة وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه (يحيى) هو الاسم لا يجز لمعرفته والمزائد في أوله مثل يزيد ويعمر وجمعه يحيون مثل مؤنون وعيسون واختلوا في أنه اسم يحيى فقال ابن عباس رضي الله عنهما لأن الله أحياه به عقر أمه قال قتادة لأن الله تعالى أحياه قلبه بالإيمان وقيل سمي يحيى لأنه استشهد والشهداء أحياه رقيب معناه يموت وقيل لأن الله تعالى أحياه

«١» قوله روى
العوفي الخ سقط من
النسخة المطبوعة

بطرك (١) فذلك تصديقه له في بطن أمه وهو ول من صدق عيسى وكلمة الله عيسى ، وهو أكبر من عيسى عليه السلام ، وهكذا قال السدي أيضا

«١» لعل هذه الرواية من دسائس النصارى لا يهود

وقوله (وسيدا) . قال أبو العالية والربيع بن أنس : قتادة وسعيد بن جبير وغيرهم : الحليم ، وقيل قتادة : سيداً في العلم والعبادة . وقال ابن عباس والثوري والضحاك السيد الحليم النقي . قال سعيد بن المسيب : هو الفقيه العالم ، وقال عطية : السيد في خقه ودينه ، وقيل عكرمة : هو الذي لا يعلبه الفئض وقال ابن زيد : هو الشريف ، وقيل مجاهد وغيره هو الكريم على الله عز وجل .

وقوله (وحصورا) روي عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء وعطية العوفي أنهم قالوا : الذي لا يأتي النساء . وعن أبي العالية والربيع بن أنس : هو الذي لا يولد له (٢) ولا ماء له . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أنبأنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس في الحصور : الذي لا ينزل الماء ، وقد روى ابن أبي حاتم في هذا حديثاً غريباً جداً فقال : حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب البغدادي حدثني سعيد بن سابق حدثنا عباد يعني بن العوام عن يحيى بن سعيد عن المسيب عن ابن العاص - لا يدري عبد الله أو عمرو - عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (سيداً وحصورا) قال : ثم تناول شيئاً من الأرض فقال : « كان ذكركم مثل هذا » . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يحيى بن سعيد القطان

«٢» زاد في الأزهرية وقال الضحاك هو الذي لا ولد له

بالطاعة حتى لم يمض ولم يمس بمصيبة (مصدنا) نصب على الحال (بكلمة من الله) يعني عيسى عليه السلام ، سمي عيسى كلمة الله لأن الله تعالى قال له : كن من غير أب فكل فوقه عليه اسم الكلمة وقيل : سمي كلمة لأنه يهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى وقيل : هي بشارة الله تعالى لمريم بعيسى عليه السلام بكلامه على لسان جبريل عليه السلام . وقيل : لأن الله تعالى أخبر الأنبياء بكلامه في كتبه أنه يخاق نبياً بلا أب فسماه كلمة لحصوله بذلك الوعد . وكان يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدة ، وكان يحيى عليه السلام أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابني خالة ، ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليه السلام . وقال أبو عبيدة (بكلمة من الله) أي بكلمة من الله وآياته ، تقول العرب أنشدني كلمة فلان أي قصيدته ، قوله تعالى (وسيد) هو فاعل من صاد يسود وهو الرئيس الذي يتبسم وينتهي إلى قوله . قال المفضل : أراد مسيداً في الدين . قال الضحاك : السيد الحسن الخلق . قال سعيد بن جبير : السيد الذي يطيع ربه عز وجل . وقال سعيد ابن المسيب : السيد الفقيه العالم ، وقال قتادة : سيد في العلم والعبادة والورع ، وقيل : الحليم الذي لا يهضبه شيء . قال مجاهد : الكريم على الله تعالى ، وقيل : السيد النقي قاله الضحاك . قال مكيان الثوري : الذي لا يحسد ، وقيل الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير . وقيل : هو القائم بما قسم الله له ، وقيل : السخي . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سيدكم يا بني سلمة » ؟ قال : جد بن قيس على أنا نبخله قال « وأي داء أدوا من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجوح » قوله (وحصورا)

عن يحيى بن سعيد الأنصاري أنه سمع سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : ليس أحد من خالق الله لا يلقاه بذنب غير يحيى بن زكريا ثم قرأ سعيد (وسيدا وحصورا) ثم أخذ شيئا من الأرض فقال : الحصور من ذكره مثل ذا ، وأشار يحيى بن سعيد القطان بطرف أصبعه السبابة فهذا موقوف أصح إسنادا من المرفوع . ورواه ابن المنذر في تفسيره : حدثنا أحمد بن داود السمناني حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يلقى الله إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا فإن الله يقول (وسيدا وحصورا) » قال - : وإنما ذكره مثل هدية الثوب » وأشار بأصبعه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عيسى بن حماد ومحمد بن سلمة المرادي قالا : حدثنا حجاج بن سليمان المقرئ عن الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن القعقعي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل ابن آدم لقي الله بذنب إلا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبييا من الصالحين » ثم أهوى النبي صلى الله عليه وسلم إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال : « وكان ذكره مثل هذه القذاة »

وقد قال القاضي عياض في كتابه الشفاء : أعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه (حضور) ليس كما قاله بعضهم أنه كان هبوبا أو لا ذكر له ، بل قد أنكرنا هذا حدق المفسرين ، ونقاد العلماء وقالوا : هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب لا يأتينا كأنه حضور عنها ، وقيل : مانعا نفسه من الشهوات ، وقيل : ليست له شهوة في النساء ، وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على التكاح نقص ، وإنما الفضل في كونها موجودة ثم يمنها إما بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله عز وجل ليحيى عليه السلام ثم هي في حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ، ولم تشغله عن ربه عز وجل درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم يشغله كثرته عن عبادة ربه ، بل زاده ذلك عبادة بتحصينهم وقيامه عليهم وإكسابه لهم وهدايته إياهم بل قد صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنياه غيره . فقال : « حبيب لي من دنياكم » هذا لفظه . والمقصود أنه مدح يحيى بأنه حضور ليس أنه لا يأتي النساء ، بل معناه كما

قوله وقد قال القاضي عياض - إلى قوله والله سبحانه وتعالى أعلم سقط من النسخة المطبوعة فقلناه من النسخة الأزهرية

ونبينا من الصالحين والحضور أصله من الحصر وهو الحبس . والحضور في قول ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة رضي الله عنهم وعطاء والحسن : الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن ، وهو على هذا القول فعول بمعنى فاعل يعني أنه يحصر نفسه عن الشهوات . وقال سعيد بن المسيب : هو العنين الذي لا ماء له فيكون الحضور بمعنى المحصور يعني المنوع من النساء . قال سعيد بن المسيب : كان له مثل هدية الثوب وقد تزوج مع ذلك ليكون أغض الحصره . وفيه قول آخر : أن الحضور هو المتمتع من الوطء مع القدرة عليه . واختار قوم هذا القول لوجهين (أحدهما) لأن الكلام خرج مخرج الثناء ، وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء (والثاني) أنه أبعد من الحق الآفة بالأنبياء

قاله هو وغيره انه معصوم عن الفواحش والقاذورات ، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء احلال وغشيانهن وايلادهن ، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال : (فهب لي من لدنك ذرية طيبة) كأنه قال ولداً له ذرية ونسل وعقب ، والله سبحانه وتعالى أعلم

وقوله (ونبيامن الصالحين) هذه بشارتانيتان بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته وهي أعلى من الاولى كقوله لام موسى (إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) فلما تحقق زكريا بعلية السلام هذه البشارة أخذ يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر (قال : رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتى عاقر قال) أي الملك (كذلك الله يفعل ما يشاء) أي هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء ولا يتعاضمه أمر (قال : رب اجعل لي آية) أي علامة أستدل بها على وجود الولد مني (قال : آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الارمزا) أي اشارة لا تستطيع النطق معك سوى صحيح كافي قوله (ثلاث ابال سوي) ثم أمر بكثرة الذكر والتكبير (١)

(١) في الأزهرية
الشكر

قوله تعالى (قال رب) أي يا سبدي قال جبريل عليه السلام هذا قول الكلبي وجماعة وقيل : قاله الله عز وجل (أنى يكون) يعني أين يكون (لي غلام) أي ابن (وقد بلغني الكبر) هذا من المقلوب أي وقد بلغت الكبر وشخت كما تقول بلغني الجهد أي أنا في الجهد . وقيل : معناه وقد نالني الكبر وأدركني وأضعفني . قال الكلبي : كان زكريا يوم بشر بالولد ابن ثنتين وتسعين سنة وقيل : ابن تسم وتسعين سنة . وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان ابن عشرين ومائة سنة ، وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى (وامرأتى عاقر) أي عقيم لا تلد ويقال رجل عاقر وامرأة عاقر ، وقد عقر بضم الفاء بعقر عقرا وعقارة (قال : كذلك الله يفعل ما يشاء) فان قيل لم قال زكريا بعد ما وعده الله تعالى : أنى يكون لي غلام أكان شاكا في وعد الله وفي قدرته ؟ قيل ان زكريا لما سمع النداء من الملائكة جاءه الشيطان فقل : يا زكريا ان الصوت الذي كنت تسمعه ليس من الله انما هو من الشيطان ولو كان من الله لا وجاه اليك كما يوحى اليك في سائر الاحوال فتال ذلك دفعا للوسوسة قاله عكرمة والسدي ، وجواب آخر : وهو انه لم يشك في وعد الله انما شك في كيفية أى كيف ذلك أتجمعني وامرأتى شابين ، أم ترزقنا ولدا على الكبر منا أم ترزقني من امرأة أخرى ؟ قاله مستغما لاشاكا ، هذا قول الحسن

قوله تعالى (قل : رب اجعل لي آية) أي علامة أعلم بها وقت حمل امرأتى فأزيد في العبادة شكرا لك (قال آيتك ألا تكلم الناس) أي تكف عن الكلام (ثلاثة أيام) وتقبل بكلماتك على عبادني لانه يحبس لسانه عن الكلام ولكنه نهي عن الكلام وهو صحيح سوي كما قال في سورة مريم (ألا تكلم الناس ثلاث ليال صويا) يدل عليه قوله تعالى (وسبح بالعشي والابكار) فأمره بالذكر ومنها عن كلام الناس وقال أكثر المفسرين عقل لسانه عن الكلام مع الناس ثلاثة أيام وقال قتادة أمسك لسانه عن الكلام عه . بقوله لسؤاله الآية بمد مشافهة الملائكة إياه فلا يقدر على الكلام ثلاثة أيام وقوله (إلامرزا) أي اشارة والاشارة قد تكون باللسان وبالعين واليه وكانت اشارته بالاصبع المسبحة قل الفراق يكون الرمز باللسان

والتسبيح في هذه الحال فقال تعالى (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار). وسباني طرف آخر في بسط هذا المقام في أول سورة مريم ان شاء الله تعالى

واذ قالت الملائكة يُمريم ان الله اصطفك وطهرك واصطفك على نساء العالمين (٢٤)
يُمريم افنتي لربك واسجدي واركي مع الرُكعين (٢٥) ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك
وما كنت لديهم اذ يلقون أقامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون (٢٦)

هذا اخبار من الله تعالى بما خطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك ان الله قد اصطفاها على اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها ونسبها وطهارتها من لا كدار والوساوس واصطفها هانئاً مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين . قال عبد الرزاق : ابنا ناعم عن الزهري عن سعيد ابن المسيب في قوله تعالى (ان الله اصطفك وطهرك واصطفك على نساء العالمين) قال : كان أبوهريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير نساء ركن الابل نساء قريش أحناه على ولد في صغره ، ورعاه على زوج في ذات يده ، ولم تترك مريم بنت عمران بعيراً قط » ولم يخرج من هذا الوجه سوى مسلم فإنه رواه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد (١) كلاهما عن عبد الرزاق به . وقل هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خير نساها مريم بنت عمران وخير نساها خديجة بنت خويلد » أخرجه في الصحيحين من حديث هشام به مثله . وقال الترمذي : حدثنا أبو بكر بن زنجويه ، حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران من غير ان يبين وهو الصوت الخفي أشبه (١) لهمس . قال طاء . اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزاً » واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار » قبل المراد بالتسبيح الصلاة والعشي ما بين زوال الشمس الى غروب الشمس ومنه سميت صلاة الظهر والعصر صلاتي العشي ، والابكار ما بين صلاة الفجر الى الضحى

«١» في الازهرية :
وابن عبد الحميد

«١» وفي نسخة :
يشبه

قوله تعالى « واذا قالت الملائكة » يعني جبريل « يا مريم ان الله اصطفك » اختارك « وطهرك » قيل من مسيس الرجال وقيل من الحيض والفس قال السدي كانت مريم لا تحبض وقيل من الذنوب « واصطفك على نساء العالمين » قيل على عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين في أنها ولدت بلا أب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وقيل بالتحريم في المسجد ولم تحرر أني أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا احمد بن رجا أخبرنا النضر عن هشام أخبرنا ابني قال سمعت عبد الله بن جعفر قال سمعت عياضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خير نساها مريم بنت عمران وخير نساها خديجة رضي الله عنهما » ورواه وكيع وابو معاوية

وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون « تفرد به الترمذي وصححه . وقال عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه قال : كان ثابت البناني يحدث عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خير نساء العالمين أربع ، مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت رسول الله » رواه ابن مردويه أيضا ، ومن طريق شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الاثلاث مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » . وقال ابن جرير : حدثني المثنى حدثنا آدم العسقلاني حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت مرة الهمداني يحدث عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون » وقد أخرجه الجماعة الا أبا داود من طرق عن شعبة به ، ولفظ البخاري « كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد استقصيت طرق هذا الحديث وألفاظه في قصة عيسى بن مريم عليه السلام في كتابنا البداية والنهاية والله الحمد والمنة ، ثم أخبر تعالى عن الملائكة أنهم امرؤا بكثرة العبادة والخشوع والركوع والسجود والدأب في العمل لما يريد الله بها من الأمر الذي قدره الله وقضاه مما فيه محنة لها ورفعة في الدارين بما أظهر الله فيها من قدرته العظيمة حيث خلق منها ولدا من غير أب فقال تعالى (يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) أما القنوت فهو الطاعة في خشوع كما قال تعالى (وله من في السموات والارض كل له قانتون) . وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن هشام بن عروة وشار وكعب إلى السماء والارض أخبرنا عبد الواحد لم يجهي أخبرنا عبد الله النعماني أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا آدم أنا شعبة عن عروة بن مرة عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » أخبرنا أبو بكر سعيد بن عبد الله بن أحمد الطاهري أخبرنا جدي عبد الرحمن بن عبد الصمد البزار أخبرنا محمد بن زكريا العدافري أخبرنا اسحق الدبري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وآسية امرأة فرعون »

قوله تعالى (يا مريم اقنتي لربك) قالت لها الملائكة شفاها أي أطيعي ربك وقال مجاهد أطيعي القيام في الصلاة لربك ، والقنوت الطاعة وقبل القنوت طول القيام قل لا وزاعي لما ات لها الملائكة ذلك لمريم عليها السلام قامت في الصلاة حتى ورمت قدمها ووسلت دما وقيحا (واسجدي واركعي) قيل إنما قدم السجود على

«١» قوله وقد ذكر
الحافظ ابن عساكر
سقط من المطبوعه
فقلناه من نسخة
الازهر

«٢» في الازهر به أم
مريم مريم نحلها
«٣» في الازهر به ابني

«٤» فيها على

«٥» فيها صعدا

عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة »
ورواه ابن جرير من طريق ابن طهية عن دراج به ، وفيه نكارة . وقال مجاهد : كانت مريم عليها
السلام تقوم حتى تتورم كعباها ، والقنوت هو طول الركوع في الصلاة بدني امثالاً لقول الله تعالى
(يا مريم اقنتي لربك) قال الحسن : يعني اعبدني لربك (واسجدي واركعي مع الراكعين) اي كوني
منهم . وقال الاوزاعي : ركعت في محرابها رابعة وساجدة وقائمة حتى نزل ماء الاصر في قدميها رضي
الله عنها وأرضاها . وقد ذكر الحافظ ابن عساكر (١) في ترجمتها من طريق محمد بن يونس الكندي وفيه
مقال : ثنا علي بن بحر بن بري ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير في قوله :
(يا مريم اقنتي لربك واسجدي) قال : سجدت حتى نزل الماء الاصر في عينيها . وذكر ابن أبي الدنيا
ثنا الحسن بن عبد العزيز ثنا ضمرة عن أبي شاذب قال : كانت مريم عليها السلام تغسل في كل
ليلة . ثم قال لرسوله بعدما أطلعه على جليلة الامر (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) اي نقصه
عليك (وما كنت لديهم) أي ما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عن معانيها عما جرى بل أطاعتك
الله على ذلك كأنك حاضر وشاهد لما كان من أمرهم خير اقترعوا في شأن مريم أيهم يكفلها وذلك
لرغبتهم في الاجر . قال ابن جرير : حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن ابن جريج عن
القاسم بن أبي بزة أنه أخبره عن عكرمة ، وأبي بكر عن عكرمة قال : ثم خرجت بها يني (٢) مريم
في خرقها الى بني السكاهن بن هارون أخي موسى عليها السلام قال : وهم يومئذ يولون في بيت المقدس
ماتلي الحجة من الكعبة فقالت لهم : دونكم هذه النذيرة فاني حررتها وهي نثي (٣) ولا يدخل الكنيسة
حائض وأنا لا أردّها الى بيتي فقالوا : هذه ابنة امامنا ، وكان عمران يؤمهم في الصلاة ، وصاحب
قرباننا فقال ذكرها : ادفعوها لي فان خالتها تحب فقالوا : لانطاب أنفسنا هي (٤) بة امامنا فذلك حين
اقترعوا عليها بأقلامهم التي يكتبون بها التوراة فقرعهم زكريا فكفلها . وقد ذكر عكرمة أيضا والسدي
وقادة والربيع بن أنس وغير واحد دخل حديث بعضهم في بعض : أنهم ذهبوا الى نهر الاردن
واقترعوا هنالك على أن يلثوا أقلامهم فأبهم ثبت في جربة الماء فهو كافلها فألقوا أقلامهم فاحتملها
الماء الاقل زكريا فانه ثبت ، ويقال : انه ذهب صاعدا (٥) يشق جربة الماء ، وكان مع ذلك كبيرهم
الركوع لانه كان كذلك في شرعهم وقيل بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع كلها ليس الواو
لترتيب بل للحجم يجوز أن يقول الرجل رأيت زيدا وعمران كان قد رأي عمرأ قبل زيد (مع الراكعين)
ولم يقل مع الراكعات ليكون أعم وأشمل فانه يدخل فيه الرجال والنساء . وقيل معناه مع المصلين في الجماعة
قوله تعالى (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم (ذلك) الذي ذكرت
من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى على نبينا وعليهم السلام (من أنباء الغيب) أي من أخبار الغيب
(نوحيه اليك) رد الكتابة الى ذلك فلذلك ذكره (وما كنت) يا محمد (لديهم) إذ يقولون أقلامهم
سهاهم في الماء الاقترع (بهم يكفل ريم) بعضهم أو ير بها (وما كنت لديهم) إذ يختصمون في كفلتها

وسيدهم وعالمهم وامامهم ونبيهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين

إذ قالت الملائكة يرمي أن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً

في الدنيا والآخرة ومن المقربين (٤٥) ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين (٤٦)

قالت : رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنى بشر ؟ قال : كذلك الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى

أمرأ فأنما يقول له كن فيكون (٤٧)

هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام بأن سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير قال الله

تعالى (إذ قالت الملائكة : يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه) أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله

أي يقول له كن فيكون ، وهذا تفسير قوله (مصدقاً بكلمة من الله) كما ذكره الجمهور على ما سبق

بيان (اسمه المسيح عيسى بن مريم) أي يكون هذا مشهوراً في الدنيا يعرفه المؤمنون بذلك وسمي

المسيح . قال بعض السلف : لكثرة سياحته . وقيل : لأنه كان مسيحاً القديم (١) لأخصص لهما وقيل :

لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوى العاهات برى . باذن الله تعالى قوله تعالى « عيسى بن مريم » نسبة إلى

أمه حيث لا أب له (وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين) أي له واجهة و مكانة عند الله في الدنيا بما يوحيه

الله إليه من الشريعة وينزله عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه الله به ، وفي الدار الآخرة يشفع عند

الله فيمن يأذن له فيه فيقبل منه أسوة بأخوانه من أولي العزم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين

وقوله (ويكلم الناس في المهد وكهلاً) أي يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له في حال صغره ،

قوله تعالى ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ﴾ إنما

قال اسمه رد الكناية إلى عيسى واختلافوا في أنه لم يسمي مسيحاً فتم من قال هو فعيل بمعنى المفعول يعني

أنه مسح من الأقدار وطهر من الذنوب وقيل لأنه مسح بالبركة وقيل لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً

بالدهن وقيل سمحه جبريل بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل وقيل لأنه كان مسيحاً القديم لأخص

له وسمي الدجال مسيحاً لأنه كان ممسوحاً إحدى العينين وقال بعضهم هو فعيل بمعنى الفاعل مثل علم

وعلم قال ابن عباس رضي الله عنهما سمي عيسى عليه السلام مسيحاً لأنه ما مسح ذاعاهة الابراً وقيل سمي

بذلك لأنه كان يسبح في الأرض ولا تقيم في مكان وعلى هذا القول تكون لميم فيه زائدة وقال إبراهيم النخعي

المسيح الصديق . ويكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال والحرف من الاضداد ﴿ وجيهاً ﴾

أي شريفاً رفيعاً ذا جاه وقدر ﴿ في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ عند الله ﴿ ويكلم الناس في المهد ﴾

صغيراً قبل أن الكلام كما ذكره في سورة مريم قال (إني عبد الله آتاني الكتاب) الآية . وحكي

عن مجاهد قال : قالت مريم كنت إذا خلوت أنا وعيسى عليه السلام حدثني وحديثه فإذا شغاني عنه

إنسان سيج في بطني وأنا أسمع قوله ﴿ وكهلاً ﴾ قال مقاتل : يعني إذا اجتمعت قوته قيل أن يرفع

«١» قوله وقيل لأنه
كان مسيحاً القديم
الخص سقط من النسخة
المطبوعة فنقلناه من
نسخة الأزهر

«١» في الازهرية
مولود

معجزة وآية ، وفي حال كونه حين يوحى الله اليه (ومن الصالحين) أي في قوله وعمله له علم صحيح وعمل صالح . قال محمد بن اسحق : عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن محمد بن شرحبيل عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تكلم أحد (١) في صغره الا عيسى وصاحب جريج » وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قزعة حدثنا الحسين يعني المروزي حدثنا جرير يعني ابن أبي حازم عن محمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لم يتكلم في المهد الا ثلاث ، عيسى ، وصبي كان في زمن جريج ، وصبي آخر » فلما سمعت بشارة الملائكة لها بذلك عن الله عز وجل قالت في مناجاتها : (رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر) تقول كيف يوجد هذا الولد منى وأنا است بذات زوج ولا من عزمي أن أتزوج واست بنيا حاشا لله ، فقال لها الملك عن الله عز وجل في جواب ذلك السؤال (كذلك الله يخلق ما يشاء) أي هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء . وصرح ههنا بقوله (يخلق ما يشاء) ولم يقل يفعل كما في قصة زكرياء ، بل نص ههنا على أنه يخلق لئلا يبقى لمبطل شبهة ، وأكده ذلك بقوله (اذا قضى أمرا فأنما يقول له كن فيكون) أي فلا يتأخر شيئا بل يوجد عقيب الامر بلا مهلة كقوله (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) أي انما تأمر مرة واحدة لا مثنوية فيها فيكون ذلك الشيء سريرا كلمح البصر

ويعلمه الكتب والحكمة والتوراة والانجيل (٤٨) ورسولا الى بني اسرائيل أنى قد

جئناكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا أباذن

الله ، وأبرئ الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون

في بيوتكم ، إن في ذلك لآية لکم ان كنتم مؤمنين (٤٩) ومصدق لما بين يدي من التوراة

الى السماء . وقال الحسين بن الفضل : (وكهلا) بعد نزوله من السماء . وقيل : أخبرها أنه يبقى حتى يكتمل وكلامه بعد الكهولة اخباره عن الاشياء المعجزة . وقيل : (وكهلا) نبيا بشرها بنبوته عيسى عليه السلام وكلامه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة . وقال مجاهد : (وكهلا) أي حليما . والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسط في احتشاك السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة (ومن الصالحين) أي هو من العباد الصالحين

(قالت : رب) يا سيدي تقوله الجبريل . وقيل : تقول الله عز وجل (أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر) ولم يصـبـى بنى رجل قالت ذلك تعجبا اذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولد لا أب له (قال : كذلك الله يخلق ما يشاء ، اذا قضى أمرا) أي كون الشيء (فأنما يقول له كن فيكون) كما يريد قوله تعالى (ويعلمه الكتاب) قرأ أهل المدينة وعاصم ويعقوب بالياء لقوله تعالى (كذلك الله

ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتم بآية من ربكم ، فائقوا الله وأطيعون (٥٠)

إن الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم (٥١)

يقول تعالى مخبرا عن تمام بشارة الملائكة لمريم بآية عيسى عليه السلام : إن الله يعلم الكتاب والحكمة ، الظاهر المراد بالكتاب هنا الكتابة ، والحكمة تقدم تفسيرها في سورة البقرة ، والتوراة والانجيل : فالتوراة الكتاب الذي أنزل على موسى بن عمران ، والانجيل الذي نزل على عيسى ابن مريم عليهما السلام . وقد كان عيسى عليه السلام يحفظ هذا وهذا ، وقوله (ورسولا إلى بني اسرائيل) قائلا لهم (أني قد جئتكم بآية من ربكم ، أني أخاق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله) وكذلك كان يفعل بصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عيانا باذن الله عز وجل الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله (وأبرى. الاكه) قيل : إنه الذي يبعثر نهارا ولا يبعثر ليلا ، وقيل بالعكس ، وقيل : الاعشى ، وقيل : الاعمش ، وقيل : هو الذي يولد أعمى وهو أشبه لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي (والابرص) معروف (وأحي الموتى باذن الله) قال كثير

بخناق ما يشاء) وقيل : رده على قوله (إن الله يبشرك) ويعلمه رقرأ لآحرون بالنون على التعظيم كقوله تعالى (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك) قوله الكتاب أي الكتابة والخط (والحكمة) العلم والفقه (والتوراة والانجيل) علمه الله التوراة والانجيل (ورسولا) أي نجعله رسولا (إلى بني اسرائيل) قيل : كان رسولا في حال الصبا وقيل : إنما كان رسولا بعد البلوغ ، وكان أول أنبياء بني اسرائيل يوسف وأخبرهم عيسى عليهما السلام فلما بعث قال (أني) قال الكسائي : إنما فتح لأنه أوقع الرسالة عليه وقيل : معناه بأنني (قد جئتكم بآية) علامة (من ربكم) تصديق قولي وإنما قال بآية وقد أتى بآيات لان الكل دل على شيء واحد وهو صدقته في الرسالة فلما قال ذلك عيسى عليه السلام لبني اسرائيل قالوا : وما هي قل (أني) قرأ نافع بكسر الهمزة على الاستئناف وقرأ الباقون بالفتح على معنى بأنني (أخاق) أي أصور وأقدر (لكم من الطين كهيئة الطير) قرأ أبو جعفر كهيئة الطير ههنا وفي المائدة والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيأت الشيء إذا قدرته وأصلحته (وأنفخ فيه) أي في الطير (فيكون طيرا باذن الله) قراءة الاكثرين بالجمع لأنه خاق طيرا كثيرا ، وقرأ أهل المدينة ويمقوب فيكون طائرا على الواحد ههنا . وفي سورة المائدة ذهبوا إلى نوع واحد من الطير لأنه لم يخاق غير الخفش وإنما خص الخفش لأنه أكل الطير خفا لان له ثديا وأسنانا وهي تحبض . قل وهب : كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتبين فعل الخلق من فعل الخلق وإليه . لم أن السكك الله عز وجل (وأبرى. الاكه والابرص) أي أشفيهما وأصحهما واختلفوا في الاكه قال ابن عباس رضي الله عنهما وقادة : هو الذي ولد أعمى ، وقال الحسن والسدي : هو الاعمى . وقال عكرمة : هو الاعمش . وقال مجاهد : هو الذي يبعثر النهار ولا يبعثر بالليل

(١) في الازهرية
معجزة تناسب
(٢) فيها معجزة

من العلماء : سمى الله كل نبي من الانبياء بما يناسب (١) أهل زمانه ، وكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتمظيم السحرة ، فبعثه الله بمعجزات (٢) بهرت الابصار ، وحيرت كل سحار ، فلما استيقنوا انها من عند العظيم الجبار اتقادوا للاسلام وصاروا من عباد الله الابرار . وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الاطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الايات بما لا سبيل لاحد اليه الا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجاهل ، أو على مداواة ألامه والابصر ، وبعث من هو في قبره رهين الى يوم التناد . وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء فأتاهم بكتاب من الله عز وجل فلو اجتمعت الانس والجن على أن يأتيوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدا لو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وما ذاك الا أن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبدا ، وقوله (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن وما هو مدخر له في بيته لغد (إن) (والابرص) هو الذي به وضع ، وإنما حص هذين لانهما دآن عيان ، وكان الغالب في زمن عيسى عليه السلام الطب فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك . قال وهب : ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد خمسون الفا من أطاق منهم أن يبلغه بلغه ومن لم يطق مشى اليه عيسى عليه السلام وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان . قوله تعالى ﴿ وأحي الموتى بإذن الله ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : قد أحيا أربعة أنفس ، عازر ، وابن العجوز ، وابنة العائش ، وسام بن نوح فأما عازر فكان صديقا له فأرسلت أخته الى عيسى عليه السلام : ان اخاك عازر يموت وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأناؤه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لاخته : انطلقتي بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره فدعا الله تعالى فقام عازر وودعه يقطر فخرج من قبره وبقي وولد له . وأما ابن العجوز فانه مر به ميتا على عيسى عليه السلام على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريرته ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى أهله فبقي وولد له . وأما ابنة العائش فكان والدها رجلا يأخذ العشور مائت له بنت بالامس فدعا الله عز وجل فأحياها وبقيت وولدت . وأما سام بن نوح عليه السلام فان عيسى عليه السلام جاء الى قومه فدعا باسم الله الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان فقال : قد قامت القيامة ؟ قال : لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قل له : مت قال : بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل . قوله تعالى ﴿ وأنبئكم ﴾ أخبركم ﴿ بما تأكلون ﴾ مما لم اعانيه ﴿ وما تدخرون ﴾ ترفعونه ﴿ في بيوتكم ﴾ حتى تأكلوه وقيل : كان يخبر الرجل بما أكل كل البارحة وبما يأكل اليوم وبما ادخره للعشاء . وقال السدي : كان عيسى عليه السلام في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آبؤهم ويقول للفلان : انطلق فتد اكل اهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا فينطلق الصبي الى أهله ويبيكي عليهم حتى يملأوه ذلك الشيء فيقولون : من أخبرك بهذا ؟ فيقول عيسى عليه

في ذلك) اي في ذلك كـ (لا آية لكم) ي على صديقي فيما جئتمكم به (إن كنتم مؤمنين ، ومصدقاً لما بين يدي من النوراة) أي مقرر له ومثبتاً (ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم) فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة النوراة وهو الصحيح من القولين ، ومن العلماء من قال : لم ينسخ منها شيئاً ، وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأ وانكشف لهم عن الغطاء (١) في ذلك كما قال في الآية الاخرى (ولا بين لكم بعض الذي تخلفن فيه) الله أعلم . ثم قال (وحسبكم بآية من ربكم) أي بحجة ودلالة على صديقي فيما أقول لكم (فأتقوا الله وأطيعوا ، إن الله ربكم فاعبدوه) اي انا وانتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة اليه (هذا صراط مستقيم)

(١) في الازهرية:
فأخطأ وانكشف لهم
عن المفطي

فلما أحس عيسى منهم الكفر قال : من أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون (٥٢) ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين (٥٣) ومكروا ومكر الله ، والله خير الممكرين (٥٤)

يقول تعالى (فلما أحس عيسى) أي استشعر منهم تصميمهم على الكفر والاستمرار على الضلال قال : من أنصاري إلى الله ؟ قل مجاهد : أي من يقمضي لي الله ، وقال سفيان الثوري وغيره : أي من

السلام فحبسوا صبيانهم عنه ، قولوا : لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا : ايسوا عنها فقال : فما في هذا البيت ؟ قولوا حنازير قال عيسى : كذلك يكونون ففتحوا عليهم (١) فاذا هم خنازير ففشا ذلك في بني اسرائيل فبغت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه امه حملته على حما (٢) لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة إنما كان هذا في المائدة وكانت خوانا ينزل عليهم ايما كانوا كلن والسوى واسروا ان لا يخونها ولا يخبئوا لله فخاوا وخبئوا لأمم فجعل عيسى يخبرهم بما اكوا من المائدة وبما ادخروا منها فسخهم الله خنازير قوله تعالى ﴿ ان في ذلك ﴾ الذي ذكرت ﴿ لا آية لكم ان كنتم مؤمنين ﴾ ومصدقاً ﴿ عطف على قوله ورسولا ﴾ لما بين يدي من النوراة ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ من اللحوم والشحوم . وقال ابو عبيدة اراد بالبعض الكل يعني كل الذي حرم عليكم ، وقد يذكر البعض ويراد به الكل كقول البيهقي

ترارك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط به بعض النفوس حماها

يعني كل النفوس

قوله تعالى ﴿ وجئتمكم بآية من ربكم ﴾ يعني ما ذكر من الآيات وإما واحد هالأنها كلها جنس واحد في الدلالة على رسالته ﴿ فأتقوا الله وأطيعوا ﴾ إن الله ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ه فلما أحس عيسى ﴿ أي وجد قالة الغراء وقال أبو عبيدة عرف وقال مقاتل رأى ﴾ منهم الكفر ﴿ وأرادوا قوله سقنصر عليهم ﴾ قال من أنصاري إلى الله ﴾ وقال السدي كان سبب ذلك أن عيسى عليه السلام

(١) في الهندية .
أعينهم وفي نسختنا :
عهم
(٢) وفي النسختين
حمير

أنصاري مع الله ، وقول مجاهد أقرب . والظاهر انه أراد من أنصاري في الدعوة الى الله كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر « من رجل يؤدبني حتى أبلغ كلام ربي فان قرىشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي » حتى وجد الانصر فأورثه ونصروه وهاجر اليهم فواسوه ومنعوه من الاسود والاحمر رضي الله عنهم وأرضهم . وهكذا عيسى بن مريم عليه السلام نتدب له طائفة من بني اسرائيل فأمنوا به ووازره ونصروه واتبعوا النور لدى أنزل معه ، ولهذا قال تعالى

لما بعث الله تعالى الى بني اسرائيل وأمره بالدعوة ففقه بنو اسرائيل وأخرجوه فخرج هو وامه يسىحان في الارض ففترلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن اليهما وكان لذلك المدينة جبار متعدد فجاء ذلك الرجل يوما متما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن زوجك راه كشييا قالت لا تسأليني قالت أخبريني لعل الله يفرج كربته قالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا يما أن يطعمه وجنوده ويستبهم الخمر فان لم يفعل عابيه واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا سعة قالت فقولي له لا تهتم فاني أمر ابني فيدعوله فيكفي ذلك فقالت مريم لعيسى عليه السلام في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر قالت فلا نبلي فانه قد أحسن الينا وكرمنا فقال عيسى عليه السلام فقل له اذا اقترب ذلك فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني فقل ذلك فدعا الله تعالى عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور ورقا ولحما وماء الخوابي فخرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب الخمر قال من أين هذا الخمر قال من أرض كذا قال الملك فان خرى من تلك الارض وليست مثل هذه قال هي من أرض اخرى فلما خبط على الملك واشتد عليه قال فأنا أخبرك عندي غلام لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وانه دعا الله فجعل الماء خمرا ورقا ولحما وكان للملك ابن يريد أن يستخفنه

فأتى قبل ذلك بأيام وكان أحب الخاق اليه فقال ان رجلا دعا الله حتى جعل له ماء خمرا ليحياه (١) الي حتى يحبي ابني فدعا عيسى فكلما في ذلك فقل عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر قال الملك لا آمالي أليس أراه حيا فقال عيسى ان أحبيته تتركوني ومي نذهب حيث نشاء قل نعم فدعا الله فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا الى السلاح قالوا أكلنا هذا حتى ذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنة فبا كلنا كما أكل أبو فاقتلوا فذهب عيسى وامه فم بالحواري وهم بصطاد السمك فقال ما نصنعون؟ فقالوا نصطاد السمك قال فلا نمشون حتى نصطاد الناس قالوا ما أتت قول عيسى بن مريم عبد الله ورسوله من أنصاري الى الله فأمنوا به وانطلقوا معه قوله تعالى (من أنصاري الى الله) قال السدي وابن جريج مع الله تعالى تقول العرب الذود الى الذود ابل أي مع الذود كما قال الله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) أي مع أموالكم . وقال الحسن وأبو عبيدة: الى بمعنى في (أي من أعواني في الله أي في ذات الله وسبيله وقيل الى في موضعها معناه من يضم نصرته الى نصرته الله لي واختلفوا في الحواريين قال مجاهد والسدي كانوا صادين بصطاد السمك سمووا حواريين لبياض ثيابهم وقبل كانوا ملاحين . وقال الحسن كانوا قصارين سمووا بذلك لانهم كانوا

من أنصاري
الى الله
فأمنوا به

(١) فيه الاستعجاب
له حتى

مخبراً عنهم قال الحواريون : (نحن أنصار الله ، آمنا بالله ، واشهد بأننا مسلمون • ربنا آمنا بما أنزلت
واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) الحواريين قيل : كانوا قصارين ، وقيل : سمو بذلك لبياض
ثيابهم ، وقيل : صيادين . والصحيح ان الحواري الناصر كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما نذب الناس يوم الاحزاب فانتدب الزبير ، ثم ندبهم فانتدب الزبير رضي الله عنه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لكل نبي حواري وحواري الزبير » . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا
أبو سعيد الاشج حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في
مخبرون الثياب أى ببيضتها . وقال عطاء سلمت مريم عيسى عليه السلام الى أعمال شتي فكان آخر
ما دفعته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب
وعرض له سفر فقال لعيسى إنك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر لا أرجع الى عشرة أيام
وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت على كل واحد منها بخيط من اللون الذى يصبغ به فأحب أن تكون
فارغا منها وقت قدومي وخرج فطبخ عيسى جبا واحداً على لون واحد وأدخل جميع الثياب وقال لها
كوني باذن الله على ماريد منك فقدم الحواري والثياب كلها في الحب فقال ما فعلت فقال فرغت
أين هي ؟ قال في الحب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدت تلك الثياب قال قم فانظري فأخرج عيسى ثوبا
أحمر وثوبا أصفر وثوبا أخضر لى أن أحدها على الالوان التي أرادها فجعل الحواري يتعجب ويعلل أن ذلك
من الله فقال للناس تعالوا فاظروا فآمن به • وأسأله في الحواريون قال الضحك منه حواريين
لصفاء قلوبهم وقال ابن المبارك سموا به لما عليهم من أثر عبادة ونورها وصل الحواري عبد الله
شدة البياض يقال رجل أحر وامرأة حوراء أى شديدة بياض العين . وقال الكلبي وعكرمة : وا
هم الاصفياء وهم كانوا أصفاء عيسى عليه السلام وكانوا اثني عشر حلاقاً روح بن أبي العاصم
سألت قتادة عن الحواريين قال هم الذين تصلح لهم الخلافة وعنه أيضاً قال الحواريين هم الزهراء
وقال الحسن الحواريون الانصار والحواري الناصر والحواري في كلام العرب خاصة جل لذي يستعبر
به فيما بنوه . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الملقب أخبرنا أحمد بن عبد الله النعماني أخبرنا محمد بن يوسف
أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا الحمدي أخبرنا فيان أخبرنا محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما يقول نذب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم
فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن لكل نبيا حواريًا حواريي الزبير » . قال سفيان
الحواري الناصر قال معمر قال قتادة ان الحواريين كلهم من قريش ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وحزرة
وجعفر وابو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وطاحنة
ابن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم اجمعين (قال الحواريون نحن انصار الله) اعوان
دين الله ورسوله (آمنا بالله واشهد) يا عيسى (بأننا مسلمون • ربنا آمنا بما أنزلت) من كتابك (واتبعنا
الرسول) عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) الذين شهدوا لانبيائك بالصدق . وقال عطاء مع الذين لان

قوله (فاكتبنا مع الشاهدين) قال: مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا اسناد جيد. ثم قل تعالى
 تخبرنا عن ملا بني اسرائيل فيما هموا به من الفتك بعيسى عليه السلام وارادته بالسوء والصلب حين
 مالوا عليه ووشوا به الى ملك ذلك الزمان وكان كافرا ان هارون ابليس الناصر ويصدهم عن طاعة
 الملك ويفسد الرعايا، ويفرق بين لاب رابته الى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم ووهبه من الكذب
 وانه ولد زنية حتى استثاروا غضب الملك فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه وينكل به فلما أحاطوا
 بمنزله وظنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله تعالى من بينهم ورفعهم من روزنة ذلك البيت الى السماء وألقى
 الله شبهه على رجل ممن كان عنده في المنزل فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى فأخذوه
 وأهانوه وصلبوه ووضعوا على رأسه الشوك، وكان هذا من مكر الله بهم فانه نجى نبيه ورفعهم من بين
 أظهرهم وتركهم في ضلالهم يسمعون باعتقادهم أنهم قد ظفروا بطلتهم وأسكن الله في قلوبهم قسوة
 وعنادا للحق ملازما لهم وأورثهم ذلة لاتفاقهم الى يوم التناد ولهذا قل تعالى (ومكروا ومكر الله،
 والله خير الماكرين)

كل نبي شاهد أمته. قال ابن عباس رضي الله عنهما مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمه لانهم يشهدون المرسل بالبلاغ
 قوله تعالى ﴿ومكروا﴾ يعني كفار بني اسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر ودروا في قتل
 عيسى عليه السلام. وذلك أن عيسى عليه السلام بعد إخراج قومه إياه وأمه عاد اليهم مع الحوار بين
 وصاح فيهم بالدعوة فمما أقتله وتواطأ على الفتك به فذلك مكرهم قال الله تعالى ﴿ومكر الله والله
 خير الماكرين﴾ فالملك من المخلوقين الخث والخديعة والحيلة والمكر من الله استدراج العبد وأخذه بغتة
 من حيث لا يعلم كما قال (سنستدرجهم من حيث لا يلمنون) وقال لزجاج مكر الله عز وجل مجازاتهم
 على مكرهم فسمي الخزاء باسم الابتداء لانه في مقابته كقوله تعالى (الله يستري بهم) وهو خادعهم
 ومكر الله تعالى خاصة بهم في هذه الآية وهو القاؤه الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى عليه
 السلام حتى قتل. قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما إن عيسى استقبل رهطاً من
 اليهود فلما رأوه قاوا قد جاء الساحر ابن اساحرة والفاعل ابن الفاعلة وقذنوه وأمه فلما سمع ذلك
 عيسى عليه السلام منهم دعا عليهم وانهم فسمعهم الله خنازير. فلما رأى ذلك يهوذا رأس
 اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليه د على قتل عيسى عليه السلام واداروا اليه
 ليقتلوه فبعث الله جبريل فأدخله في خوخة في سقفها روزنة فرفعه إلى السماء من تلك الروزنة
 فأمر يهوذا رأس اليهود رجلاً من أصحابه يقال له ططيانوس أن يدخل الخوخة ويقتله فلما دخل غرفته
 لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه بقائه فيها فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام فلما خرج ظنوا
 انه عيسى عليه السلام فقتلوه وصلبوه قال وهب طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا خشبة لصلبوه
 فأظلمت الأرض فأرسل الله الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى الحوار بين تلك الليلة وأصاهم ثم
 قال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصبح لديك وبييعني بدهام بسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه

إذ قال الله بعيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا، وجاعل
الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة، ثم إلي مرجعكم فأنحكم بينكم فيما كنتم فيه
تختلفون (٥٥) فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من
أُصْرٍ (٥٦) وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم، والله لا يحب الظالمين (٥٧)
ذلك تلووه عليك من الآيات والذكر الحكيم (٥٨)

اختلاف المفسرون في قوله تعالى (إني متوفيك ورافعك إلي) فقال قتادة وغيره: هذا من المقدم
فأني أحد الحوار بين إلى اليهود فقال لهم ما نعملون لي أن دللتكم على المسيح فخلو له ثلاثين درهما
فأخذها ودلهم عليه. ولما دخل البيت ألقى الله عليه شبه عيسى ورفع عيسى وأخذ الذي دلهم عليه
فقال أنا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا إلى قوله وقتلوه وصابوه وهم يظنون أنه عيسى فلما صلب شبه
عيسى جاءت مريم وأمرأة كل عيسى دعا لها فأبرأها الله من الحنون تبكيان عند المصلوب فجاءها
عيسى عليه السلام فقالا لهما علام تبكيان أن الله تعالى قد رفعني ولم يصبني الاخير وان هذا شيء شبه
لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله عز وجل لعيسى عليه السلام اهبط على مريم المجدلانية اسم عوض (١)
في جيلها فانه لم يبك أحد عليك بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها وليجتمع لك الحواريون فبشتم في
الارض دعاة إلى الله عز وجل فأهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا. فجمعت له الحواريين
فبشتم في الارض دعاة ثم رفعه الله عز وجل إليه وتلك الالهة التي تدخن فيها النصاى لما أصبح
الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى (ومكروا ومكر الله
والله خير الماكرين) وقال السدي أن اليهود حبسوا عيسى في بيت وعشرة من الحواريين فدخل
عليهم رجل منهم ليقتله فألقى الله عليه شبه رقال قتادة ذكر لنا أن نسي الله عيسى عليه السلام قال
لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل من القوم أنا يانبي الله فقتل ذلك الرجل
ومنع الله عيسى عليه السلام ورفعته إليه وكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب
وطار مع الملائكة فو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا سمايا أرضيا قال أهل التاريخ حملت مريم
بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى ببث لحم من أرض أوربي شلم لمضي خمس وستين سنة
من غلبة الأسكندر على أرض بابل فأوحى الله إليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس
لبيلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث ثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم
بعد رفعه ست سنين فماتت مريم عليها السلام وهي بنت اثنتين وخمسين سنة

(إذ قال الله بعيسى إني متوفيك ورافعك إلي) اختلفوا في معنى التوفي ههنا قلل الحسن والكافي

١٥ سقطت من
نسختنا لخطيه

والمؤخر تقديره اني رفعت الي ومتوبك يعني بعد ذلك . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس :
 اني متوبك أي ممتك . وقال محمد بن اسحق عن لايتهم عن وهب بن منبه قال : توفاه الله ثلاث
 ساعات من أول النهار حين رفعه اليه . قال ابن اسحق : والنصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات
 ثم أحياه . قال اسحق بن بشر عن ادريس عن وهب : أمانه الله ثلاثة أيام ثم بعثه ثم رفعه ، قال مطر
 الوراق : اني متوبك من الدنيا وليس بوفاة موت ، وكذا قال ابن جرير توفاه هو ورفعته . وقال
 الاكثرون : المراد بالوفاة ههنا النوم كما قال تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل) الآية . وقال تعالى (الله
 يتوفى لانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) الآية . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا
 قام من النوم : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا » الحديث . وقال تعالى : (وبكفرهم وقولهم على
 مريم مهتنا عظيما ، وقولهم ان قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه
 لهم - الى قوله - وما قتلوه يقينا بل افهم الله اليه وكان الله عز وجل حكيما » وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به
 قبل م . نه وبوم القيامة يكون عليهم شهيدا او الضمير في قوله قل موته عائد على عيسى عليه السلام أي وان من اهل
 الكتاب الا ليؤمنن بعيسى وذلك حين ينزل من الارض قبل يوم القيامة على ما سأتى بيانه فحينئذ
 يؤمن به اهل الكتاب كلهم لانه يضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا
 أبي حدثنا احمد بن عبد الرحمن حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه حدثنا الربيع بن أنس عن الحسن
 أنه قال في قوله تعالى (اني متوبك) يعني وفاة المام ، رفعه الله في منامه قل الحسن : قال رسول الله صلى
 وابن جريج في قابضك ورافعتك من الدنيا الي من غير موت يدل عليه قوله تعالى (فلما توفيتني)
 أي قضيتني الى السماء وأنا حي لان قومه انما تنصروا بعد رفعه لا بعد موته فعلى هذا للتوفي تأويلان
 أحدهما اني رافعتك الي وافي لم ينالوا منك شيئا من قولهم توفيت منه كذا وكذا واستوفيت اذ أخذته
 تاما والآخر اني متسلمك من قولهم توفيت منه كذا أي تسلمته وقال الربيع بن أنس المراد بالتوفي
 النوم وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائما الى السماء معناه اني منبتك ورافعتك لي كقول الله تعالى
 (وهو الذي يتوفاكم بالليل) أي يذمكم قل . منهم المراد بالتوفي الموت وروى علي بن طلحة عن ابن
 عباس رضي الله عنهما أن معناه اني ممتك يدل عليه قوله تعالى (قل يتوفاكم . لك الموت) فعلى هذا
 له تأويلان أحدهما ما قاله وهب توفي لله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه الله اليه وقال
 محمد بن اسحاق أن النصارى يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعته اليه
 ولا آخر ما قاله الضحك وجماعة أن في هذه الآية تقدما وتأخيرا معناه اني رافعتك الى ومطهرتك من الذنوب
 كفروا ومتوبك بعد انزالك من السماء أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليجي أخبرنا عبد الرحمن بن
 أبي شريح أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أخبرنا علي بن أحمد أخبرنا عبد العزيز
 بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال « والذي نفس محمد بيده لو شكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب

الله عليه وسلم لليهود «إن عيسى لم يمت وانه رجع اليكم قبل يوم قيامة» وقوله تعالى (وطهرك من الذين كفروا) أي برفعي إياك الى السماء (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وهكذا وقع فان المسيح عليه السلام لما رفعه الله الى السماء تفرقت أصحابه شيعة بعذه فمنهم من آمن بما بعثه الله به عي أنه عبد الله ورسوله وابن أمته ، ومنهم من علا فيه فخلعه ابن الله ، وآخرون قالوا هو الله ، وآخرون قالوا هو ثالث ثلاثة . وقد حكى الله مقالتهم في القرآن ورد على كل فريق فاستمروا على ذلك قريبا من ثمانئة سنة ثم نبغ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له قسطنطين فدخل في دين النصرانية قيل حيلة ليعسده فانه كان فيلسوفا ، وقيل : جهلا منه لا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه وزاد فيه ونقص منه ووضع له القوانين والامانة الكبرى التي هي الخيانة الحقة ، وأحل في زمانه لحم الخنزير ، وصلوا الى المشرق ، وصوروا له الكنائس والمعابد والصومع ، وزاد في صيامهم عشرة أيام من اجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون وصار دين المسيح دين قسطنطين لا أنه نبى لهم من الكنائس والمعابد والصومع والديارات ما يزيد على اثني عشر الف معبد وبني المدينة المنسوبة اليه واتبع طائفة الممكية منهم وهم في هذا كله قاهرون لليهود أيده الله عليهم لانه أقرب الى الحق منهم ، وان كان الجميع كفارا عليهم لعائن الله ، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق ، وكانوا هم أتباع كل نبي على وجه الارض ، ذق صدقوا الرسول النبي الامي العربي خاتم الرسل وسيد ولد آدم على الاطلاق الذي دعاهم الى التصديق بجميع الحق فكانوا أولى بكل شيء من أمته الذين يزعمون انهم على ملته وطريقته مما قد حذفوا وبدلوا ثم لو لم يكر شيء من ذلك لكان قد نسخ الله شريعة جميع الرسل بما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من الدين الحق الذي لا يبدل ولا يغير الى قيام الساعة ولا يزال قائما منصورا ظاهرا على كل دين فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الارض ومغاربها واحتازوا جميع الممالك ودانت لهم جميع الدول وكسروا كمرى وقصروا قيصر وسلبوها كسرها وأنفقت في سبيل الله كما أخبرهم بذلك نبيهم عن ربه عز وجل في قوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ولنمكّنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، ولنمدنهم من بعد خوفهم أمنا ، نعبدونه لا يشركون في شئنا) الآية

ويقتل الخنزير ويصنع اجزيه ويفض المال حتى لا يقبله احد» ويروى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول عيسى عليه السلام قال «وهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ، وبهلك الدجال فيمكث في لارض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى في القرآن قال نعم قوله (وكلا) وهو لم يكل في الدنيا وإنما معناه وكلا بعد نزوله من السماء قوله تعالى (وطهرك من الذين كفروا) أي مخرجك من بينهم ومنجيتك منهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل الكلبي هم أهل الاسلام الذين صدقوه وأتبعوا دينه في التوحيد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهم فوق الدين كفروا

فلهذا لما كانوا هم المؤمنون بالمسيح حقا سلبوا النصارى بلاد الشام وأجروهم إلى الروم فنجؤ إلى مدينتهم القسطنطينية ولا يزال الاسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة . وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أمته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية ويستغيثون ما فيها من الاموال ، وبقتل لون الروم مقتلة عظيمة جدا لم ير الناس مثلاً ولا يرون بعدها نظيرها ، وقد جمعت في هذا جزءاً مفرداً ، ولهذا قال تعالى (وجعل الذين اتبعوك فرقاً فذهبوا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين) وكذلك فعل بمن كفر بالمسيح من اليهود أو غلا فيه أو طراه من النصارى عذبهم في الدنيا باقتل والسبي وأخذ الاموال وإزالة الأيدي عن الممالك ، وفي الدار الآخرة عذابهم أشد وأشق (وما لهم من الله من واق) (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهـم أجورهم) أي في الدنيا والآخرة ، في الدنيا بالنصر والظفر ، وفي الآخرة بالجنات العاليات (والله لا يحب الظالمين)

ثم قال تعالى (ذلك نلوه عليكم من الآيات والذكر الحكيم) أي هذا الذي قصصنا عليك بمحمد في أمر عيسى ومبدأ ميلاده وكيفية أمره مما قاله تعالى وأوحاه إليك ونزله عليك من اللوح المحفوظ فلا ريب فيه ولا شك كما قال تعالى في سورة مريم (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فأنما يقول له كن فيكون (ومهما قال تعالى

إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم : خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (هـ) لحق

ظاهرين فاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقال الضحك يعني الحواريين قوق الذين كفروا وقبلهم أهل الروم وقبل أراد بهم النصارى أي فهم فوق اليهود إلى القيامة فإن اليهود قد ذهب ملكهم وملك النصارى دائم إلى قريب من قيام الساعة فعلى هذا يكون الاتباع بمعنى لادعاء والمحبة لا اتباع الدين (ثم إلي مرجعكم) في الآخرة (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من الذين رأوا عيسى (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا) بالقتل والسبي والجزية والدلة (والآخرة) أي وفي الآخرة بالدار (وما لهم من ناصرين) وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهـم أجورهم (قرأ ورش والحسن وحفص بالياء ولباقون بالنون أي يوفيهـم أجور أعمالهم) (والله لا يحب الظالمين) أي لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم بالجمل

قوله تعالى (ذلك) أي هذا الذي ذكرته لك من الخبر عن عيسى ومريم والحواريين (نلوه عليكم) يعني نخبرك به بتلاوة جبريل عليك (من الآيات والذكر الحكيم) يعني القرآن والذكر ذى الحكمة وقال مقاتل الذكر الحكيم أي الحكم الممنوع من الباطل وقبل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ وهو معاني بالعرش ن درة بيضاء . وقبل من الآيات أي من العلامات الدالة على نبوتك لأنها أخبار لا يعلمها إلا قارى . كتاب الله أو من يوحى إليه وأنت أي لا تقرأ

قوله تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) الآية نزلت في وفد نجران وذلك أنهم قالوا

من ربك فلا تكن من الممترين (٦٠) فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل
تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنت الله
على الكاذبين (٦١) إن هذا هو القصص الحق ، وما من إله إلا الله ، وإن الله هو العزيز
الحكيم (٦٢) فإن تولوا فإن الله عليم بالمعتدين (٦٣)

يقول جل وعلا (إن مثل عيسى عند الله في قدرة الله حيث خلقه من غير أب) (مثل آدم) حيث خلقه (١)
من غير أب ولا أم بل (خلقته من تراب ثم قال له : كن فيكون) قالذي خالق آدم من غير أب قادر على
أن يخلق عيسى بطريق الأولى والآخرى ، وإن جاز ادعاء النبوة في عيسى لكونه مخلوقا من غير
أب فجوز ذلك في آدم بالطريق الأولى ، وعلوم بالانهق أن ذلك باطل فدعوه في عيسى أشد
بطلانا وظهر فسادا ، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلق آدم لا من ذكر
ولا من أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، ثم خالق بقية البرية
من ذكر وأنثى ، ولهذا قال تعالى في سورة مريم (ولنجعله آية للناس) وقال هـ (الحق من ربك
فلا تكن من الممترين) أي هذا هو القول الحق في عيسى الذي لا يحيد عنه ولا يصحح سوءه ، وماذا
بعد الحق الا الضلال . ثم قل تعالى آتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباهل من عاند الحق في أمر
عيسى بعد ظهور البيان (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مالك نשמع صاحبنا قل وما قول قالوا نقول انه عبد الله قال أجل هو
عبد الله ورسوله وكأمنه الفأها الى مريم العذراء البتول فعضوا وقلوا هل رأيت انسانا قط من غير
أب فأرسل الله تعالى هذه الآية (إن مثل عيسى عند الله) في كونه - الحق من غير أب كمثل آدم لانه
خلق من غير أب وأم (خلقه من تراب ثم قال له) يعني لعيسى عليه السلام (كن فيكون) يعني
فكان فإن قيل ما معنى قوله (خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) خلقا ولا تكوين بعد الحق ؟ قيل
معناه خلقه ثم أخذكم أني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة وهو مثل قول
الرجل أعطيتك اليوم درهما أي ثم أخبرك أني أعطيتك أس درهما . وفيما سبق من التمثيل دليل على جواز
القياس لان القياس هو رد فرع الى أصل بنوع شبه وقد رد الله تعالى خالق عيسى الى آدم عليهم السلام بنوع شبه
قوله تعالى (الحق من ربك) أي هو الحق وقيل جاءك الحق من ربك (فلا تكونن من الممترين)

أي الشاكين الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته

قوله عز وجل (فمن حاجك فيه) أي حادلك في عيسى أو في الحق (من بعد ما جاءك من العلم)
أن عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا) أصله تعالوا انما علوا من العلوا فاستقلت الضمة
على الياء فحذفت قبل الفراء بمعنى تعال كأنه يقول ارتفع (ندع) جزم لجواب الامر وعلامة الجزم

ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم (أي نحضرم في حال المباحة) ثم نبتهل (أي نلتئم) فنجعل لعنة الله على الكاذبين (أي منا ومنكم) .

وكان سبب نزول المباحة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وقد نجران : إن النصارى لما قدموا اجتمعوا بمكة في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من النبوة والالهية فأنزل الله صدر هذه السورة ردا عليهم كما ذكره الامام محمد بن اسحق بن يسار وغيره . قال ابن اسحق في سيرته المشهورة وغيره وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكبا ، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم يول أمرهم اليهم وهم : العاقب واسمه عبد المسيح ، والسيد وهو الابهيم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل ، وأويس بن الحارث وزيد وقيس ويزيد وابنيه وخويلد وعمر وخالد وعبد الله ومحسن ، وأمر هؤلاء يول إلى ثلاثة منهم وهم العاقب وكان أمير القوم وذا رايهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون الا عن رأيه ، والسيد وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتهمهم وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وصاحب مدارسهم ، وكان رجلا من العرب من بني بكر بن وائل ولكنه تنصر فغظته الروم وملوكها وشرفوه وبنوا له الكشاكس وأخدموه لما يعلمونه من صلاته في دينهم ، وقد كان يعرف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته وشأنه مما علمه من الكتب المتقدمة ، ولكن حملة ذلك (١) على الاستمرار في النصرانية لما برى من تعظيمه فيها وجأه عند أهلها . قال ابن اسحق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال : قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الخبثات جيب وأردية في جمال رجال بني الحارث بن كعب قال : يقول من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم ، وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعوهم » فصلوا إلى المشرق قال : فكلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة والعاقب عبد المسيح والسيد الابهيم وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا . وكذلك النصرانية فهم يحتجون في قولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والابرص والاسقام ويخبر بالقبور ، ويخلق من الطين كهيئة

(١) في الأزهرية
احتمله جهله

سقوط الواو (أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) قبل ابتداءنا أراد الحس والحسين ونساءنا قاطمة وأنفسنا عني نفسه وعليها رضي الله عنه والعرب تسمي ابن عم الرجل نفسه كما قال الله تعالى (ولا تلزموا أنفسكم) يريد اخوانكم وقيل هو على العموم لجماعة أهل الدين (ثم نبتهل) قال ابن عباس رضي الله عنهما أي تتضرع في الدعاء وقال الكلبي نجتهد ونبالغ في الدعاء . وقال الكسائي وأبو عبيدة نلتئم والابتهل الاتعان يقال عليه بهلة الله أي لعنته (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) منا ومنكم في امر عيسى فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباحة قالوا حتى نرجع وننظر في امرنا ثم نأتيك غدا فخلا بعضهم ببعض فوالوا للعاقب وكان ذا رأيهم

الطير فينفخ فيه فيكون طيرا ، وذلك كله بأمر الله ، وليجمله الله آية للناس . ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من بني آدم قبله . ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة بقول الله تعالى فلما وأمرنا وخلقنا رقصينا فيقولون : لو كان واحدا ما قال الا فعلت وأمرت وقضيت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم - تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا - وفي كل ذلك من قولهم : قد نزل القرآن . فله كلمة الخبر ان قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسلمنا » قالا : قد أسلمنا قال « إنكما لم تسلمنا فأسلمنا » قالا : بلى قد أسلمنا قبلك قال « كذبتما بمنكما من الاسلام ادعوا كما لله ولدا وعبادتكما الصليب أكلكما الخنزير » قالا : فن أبوه يسمي محمد ؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما فأزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران الى بضع وعشرين آية منها ثم تكلم ابن اسحق على تفسيرها الى أن قال : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من أن والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاعتهم ان ردوا ذلك عليه دعاهم الى ذلك فقالوا : يا أبا الناسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا اليه ثم انصرفوا عنه ثم خلوا بالمعاقب ، وكان ذا رأيهم فقلوا : يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفت أن محمدا النبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم أنه مالا عن قوم نبيا قط فتى كبير ولا نبت صغير ، وإنه الاستنصال منكم ان فعلتم ، فإن كنتم أبيتم إلا الف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم . فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقلوا يا أبا الناسم قد رأينا أن لا نلاعذك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعت معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا فانكم عندنا رضا ، قال محمد بن جعفر : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اثنتي العشية أبعث معكم القوي الأمين » فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : ما أحببت الامارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها فرحت الى الظهر مهجرا فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلم ثم نظر عن يمينه وشماله فجعلت أظلال له إيراني فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال « اخرج معهم فاقض بينهم بالحقوق فيما اختلفوا فيه » قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة رضي الله عنه . وقد روى ابن مردويه من طريق محمد ابن اسحق عن عامر بن عمر بن قدة عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج : إن وفد أهل نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه ، الا أنه قال في الاشراف : كانوا اثني عشر ،

يا عبد المسيح ما ترى ؟ قال والله لقد عرفت ان محمدا نبي مرسل والله مالا عن قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ونبت صغيرهم وان فعلتم ذلك لنتمكن فإن أبيتم إلا الاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم محتضنا للحسين أخذ بيد الحسن وفاطمة ثم شي خلفه وعلي خلفها

وذكر بقيته بأطول من هذا السياق وزيادات أخرى.

وقال البخاري: حدثنا عباس بن الحسين حدثنا يحيى بن آدم عن اسرئيل عن أبي اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناهما قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعناهما لانفلاح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالا: إنا نعطيك مأسألتنا وأبعث معنا رجلا أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً فقال «لا بعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين» فامسحوا بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «قم يا أبا عبيدة بن الجراح» فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذا أمين هذه الأمة» رواه البخاري

ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث اسرئيل عن أبي اسحق (١) عن صلة (٢) عن حذيفة بن جوه وقد رواه احمد والنسائي وابن ماجه من حديث اسرئيل عن أبي اسحق عن صلة عن ابن مسعود بن جوه. وقال البخاري: حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن خالد عن أبي قلابة عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». وقال الامام احمد: حدثنا اسماعيل بن زيد الرقي أبو يزيد حدثنا قرة عن عبد الكريم بن مالك الحزري عن عكرمة

«١» وفي الازهر به:

من طرف عن أبي

اسحق السبيعي

«٢» هو ابن زفر

المعمر الكوفي

«٣» في الازهر به

عنقه - وهو لفظ

البخاري وقد سقط

منها عز والحديث اليه

عن ابن عباس قال: قال اوحى الله إن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لا تقنه حتى أطأ على رقبته (٣) قال: فقال «لما فعل لا خذته للملائكة عيانا، ولو ان اليهود تموت لما اتوا ولروا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون مالا ولا اهلا» وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم به، وقال الترمذي: حسن صحيح وقد روى البيهقي في دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة جدا، ولنذكره فان فيه فوائد كثيرة

وفيه غرابة وفيه مناسبة لهذا المقام (٤) قال البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ أبو سعيد ومحمد بن موسى بن الفضل قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا احمد بن محمد بن حنبل حدثنا يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده قال يونس - وكان نصرايا فأسلم - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طرس سلمان «باسم الله ابراهيم وأحق ويعقوب (٥) من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران أسلم (٦) فاني احمد اليكم إلى ابراهيم واسحق ويعقوب. أما بعد فاني ادعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وادعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فان ايتمت فالخزبة، فان ابرأتم فقد آذنتكم بحرب والسلام، فلما أتى الأسقف الكتاب وقراه

«٤» رواه ابن القيم في

زاد المعاد عن الحاكم

«٥» طعن ابن القيم في

هذه الرواية واستدل

بان سورة النمل مكية

«٦» في الازهر به

زيادة «أتم» وليس

فيها ياض كالمطبوعه

وهو يقول لهم «إذا أنا دعوت فأمنوا» فقال أسقف نجران يا معشر النصاري اني لارى وجوها لو سألو الله أن يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تبهتوا فتهلكوا ولا يبقى على وجهه على الارض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعناك وأن نتركك على دينك. ثبتت على ديننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فان أبيتم الماهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعاليكم ما عليهم» فأبوا فقال «فاني أنا بذاكم» فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكننا صالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن

فقطع به وذعره ذعرا شديدا وبعث الى رجل من اهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة ، وكان من همدان ، ولم يكن احد يدعى اذا نزلت معضلة قبله لا الالههم ولا السيد ولا العاقب فدفع الاسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شرحبيل فقرأه فقال الاسقف : يا أبا مريم ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله ابراهيم في ذرية اجماعيل من النبوة فما يؤن أن يكون هذا هو ذلك الرجل ليس لي في أمر النبوة رأي ، ولو كان في أمر من أمور الدنيا لاشرت عليك فيه برأيي واجتهدت لك فقال له الاسقف : تنح فاجلس فتتحنى شرحبيل فجلس ناحية فبعث الاسقف الى رجل من اهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذوي أصبح من حير فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه فقال مثل قول شرحبيل فقال له الاسقف : تنح فاجلس فتتحنى عبد الله فجلس ناحية فبعث الاسقف الى رجل من اهل نجران يقال له جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحارث فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه ؟ فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله فأمره الاسقف فتتحنى فجلس ناحية فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعا أمر الاسقف بالناقوس فضرب به ورفعت النيران والمسوح في الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون اذا فرغوا بالنهار ، واذا كان فرغهم ليلا ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح أهل الوادي أعلاه وأسفله ، وطول الوادي مسيرة يوم لراكب السريع ، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة الف مقاتل فقرأ عليهم كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألهم عن الرأي فيه فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل الاصبحي وجبار بن فيض الحارثي فباتونهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق الوفد حتى اذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حلالهم بحبرونها من حبرة وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فلم يرد عليهم وتصدقوا لكلامه نهارا طويلا فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم فوجدوهما في ناس من المهاجرين والانصار في مجلس فقالا : يا عثمان ويا عبد الرحمن ان نبيكم كتب الينا كتابا فأقولنا يجيبه له فأنتباه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا وتصدقنا لكلامه نهارا طويلا فأعيانا أن يكلمنا فما الرأي منكما أترون أن نرجع ؟ فقالا له علي بن أبي طالب وهو في القوم : ما نرى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم ؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمن : أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون اليه ففعلوا فسلموا عليه فرد سلامهم ثم قال « والذي بيثني بالحق لقد أتوني المرة الاولى وان إبليس لمعهم » ثم سألهم وسأله فلم نزل به وهم المشكلة حتى قالوا له : ماتقول في عسى فانا نرجع الى قومنا ونحن نصارى يسرنا إن كنت نبيا أن نسمع ماتقول فيه ؟ فقال ديننا على ن نؤدي اليك كل عام ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي بيده « ان الذباب قد تدلى على أهل نجران ولولنا غنوا لمسخوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عندي فيه شيء، يومئذ هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لي ربي في عيسى » فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآية (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم - الى قوله - الكاذبين) (١) فأبوا أن يقرؤا بذلك فلما أوحى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملا على الحسن والحسين في خيل له وفطمة تمني عند ظهره الملائمة وله يومئذ عدة نوة فقال شرحبيل لصاحبيه : لقد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا الا عن رأيي وإني والله أرى أمرا ثقيلا والله لئن كان هذا الرجل مبعوثا فكنا أول العرب طائفا في عينيه وردا عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتي يصيبنا بجائحة وإنا لاذنى العرب منهم جوارا ، ولئن كان هذا الرجل نبيا مرسلًا فلا عنه لا يبق منا على وجه الأرض شعير ولا ظفر إلا هلك ، فقال أصحابه : فما الرأي يا أبا مریم ؟ فقال : أرى أن أحكمه فإني أرى رجلا لا يحكم شططا أبدا فقالوا له : أنت وذاك قال : فتلقى شرحبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : إني قد رأيت خيرا من ملائكتك فقال « وما هو ؟ » فقال : حكمت اليوم الى الليل وليلك الى الصباح فها حكمت فينا فهو جائز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اهل وراءك أحد يثرب عليك ؟ » فقال شرحبيل : سل صاحبي فلهما فقالا : ما برد الوادي ولا يصدر الا عن رأيي شرحبيل . فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلبثهم حتى اذ كان من الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب النبي محمد (ص) رسول الله لنجران - إن كان عليهم حكمه - في كل ثمرة وكل صفراء وبضاه وسوداء ورقيق فاضل عليهم وزك ذلك كله لهم على النبي حلة ، في كل رجب الف حلة ، وفي كل صفر الف حلة » وذكر تمام الشروط وبقية السياق .

(١) وفي الازهرية
ذكرت الآيات بنصها

(٢) وفي الازهرية
تقدم محمد على النبي

والغرض أن وفودهم كان في سنة تسم لان الزهري قال : كان أهل نجران أول من أدى الجزية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الجزية إنما أنزلت بعد الفتح وهي قوله تعالى (قالوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الآية . وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن دارة المكي حدثنا بشر بن مهران حدثنا محمد بن دينار عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن حابر قال : قدم على النبي صلى الله عليه وسلم العاقب والطيب فدعاها الى الملائمة فواعداه على أن يلاعنه الغداة قال : ففدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل اليهما فأبيا أن يجيبا وأقرا له بالخراج قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي بعثني بالحق لو قالوا لا لمطر عليهم الوادي نارا » قال جابر : وفيهم نزلت (ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونسائكم وأنفسكم) قال جابر (أنفسنا وأنفسكم) رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب (وأبنائنا) الحسن والحسين (ونساءنا) فاطمة ، وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن علي بن عيسى عن أحمد بن محمد بن الازهرى قرودة وخزبر ولا ضطرم عليهم الوادي نارا ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصاري كلهم حتى هلكوا »

عن علي بن حجر عن علي بن مسهر عن داود بن ابي هند به بمعناه ، ثم قال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه هكذا . قال : وقد رواه ابو داود الطيالسي عن شعبة عن المعيرة عن الشعبي مرسل ، وهذا أصح وقد روي عن ابن عباس والبراء نحو ذلك ثم قال الله تعالى (إن هذا هو القصص الحق) أي هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى هو الحق الذي لا معدل عنه ولا محيد (وما من إله الا الله ، وإن الله هو العزيز الحكيم) فان تولوا (أي عن هذا الى غيره) فان الله عليم بالمفسدين (أي من عدل عن الحق الى الباطل فهو المفسد والله عليم به وسيجزيه على ذلك شر الجزاء وهو القادر الذي لا يفوته شيء) سبحانه وبحمده ونعوذ به من حاول نقمته

قل يا اهل الكتب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به

شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (٦٤) هذا الخطاب يعم اهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجرى هم (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة) والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا ثم وصفها بقوله (سواء بيننا وبينكم) أي عدل ونصف نستوى نحن ، انتم فيها ثم فسر ما بقوله (أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً) لا وثناً ولا

١٥ أي زائدة أي في اصطلاح النحوي في المعنى وحاش لله أن يكون في كتابه حرف لا معنى له ومعناها تأكيد النفي فهي أبلغ من : وما إله الا الله

قال الله تعالى (إن هذا هو القصص الحق) البيا الحق (وما من إله الا الله) ومن صلة (١) تقديره وما إله الا الله (وإن الله هو العزيز الحكيم فان تولوا) أعرضوا عن لايمان (فان الله عليم بالمفسدين) الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس إلى عبادة غير الله

قوله تعالى (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) الآية قال المفسرون قدم وفد من نجران المدينة فالتقوا مع اليهود فاختلفوا في ابراهيم عليه السلام فزعمت النصارى انه كان نصرانياً وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهودياً وهم على دينه وأولى الناس به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين يدي من ابراهيم ودينه بل ابراهيم كان حنيفاً مسلماً وأنا على دينه وأولى الناس قائلوه دينه الاسلام فقالت اليهود يا محمد ما تريد الا أن نتخذك رباً كما اتخذت النصارى عيسى رباً وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزيز ، فانزل الله تعالى (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة) وأما ب تسمي كل قصة لها شرح كلمة ومنه سميت القصيدة كلمة (سواء) عدل بيننا وبينكم مستوية أي أمر مستوي يقال دعا فلان الى السواء أي الى النصفة وسواء كل شيء وسطاء ومنه قوله تعالى (فراه في سواء المحجج) وإنما قيل للنصفة سواء لان أعدل الاور وأفضلها أو سطها سواء نعمت لكلمة الا انه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث فإذا فزعت السنين مدت وإذا كسرت أو ضمنت قصرت كقوله تعالى (مكانا سوياً) ثم فسر الكلمة فقال (أن لا نعبد الا الله) ومحل أن رفع على اضماء هي وقال الزجاج رفع بالا ابتداء وقبل محله نصب بنزع حرف الصلة معناه بان لا نعبد الا الله وقبل

صليا ولا صنما ولا طاعتا ولا نارا ولا شيئا بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له هذه دعوة جميع الرسل قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ثم قال تعالى (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) . وقال ابن جريج : يعنى يطيع بعضنا بعضا في معصية الله . وقال عكرمة : يسجد بعضنا لبعض (فان تولوا فقولوا شهدوا بأننا مسلمون) أى فان تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة فاشهدوا أنتم على استمراركم على الاسلام الذى شرعه الله لكم . وقد ذكرنا في شرح البخارى عند روايته من طريق الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن ابي سفيان في قصته حين دخل على قيصر فسأله عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صفته ونعته وما يدعو اليه فأخبره بجميع ذلك على الجلية مع ان باسفيان اذ ذاك كان مشركا لم يسلم الا بعد ، وكان ذلك بعد صلح الحديبية وقبل الفتح كما هو مصرح به في الحديث ، ولانه لما سأله : هل يفسد ؟ قال : فقلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها قل : ولم يمكنى كلمة أزيد فيها شيئا سوى هذه . والغرض انه قال ثم جيء بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه فذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

«من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فأسلم تسلم وأسلم يؤتلك أجرك مرتين فان توليت فإنا عليك إثم الاربيين و (يا أهل الكتاب آمنوا بالذي آتاكم من الله وما

يخلفه خفص بدلا من الكلمة أى تمالوا الى كلمة ن لا تعبد الا الله ولا تشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) كما فعلت اليهود والنصارى قال الله تعالى (اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقال عكرمة هو سجد بعضهم لبعض أى لا نسجد لغير الله وقبل معناه لا نطيع أحدا في معصية الله (فان تولوا فقولوا شهدوا) أى فقولوا أنتم بإمامة محمد صلى الله عليه وسلم لهم اشهدوا (بأننا مسلمون) مخصوصون بالتوحيد. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسمعيل أخبرنا أبو ليث بن الحكم بن نافع أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أخبره أن ابا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل اليه في ركب من قريش وكانوا نجار بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيها ابا سفيان وكفار قريش قاتوه وهو بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية بن خليفة الكلبي وأمره أن يدفعه الى عظيم بصري فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

«من محمد بن عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم اسلم اسلم يؤتلك الله أجره مرتين فان توليت فإنا عليك إثم الاربيين

بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

وقد ذكر محمد بن اسحق وغير واحد أن صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران . وقال الزهري : هم أول من بذل الجزية ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح فما الجمع بين كثرة هذه الآية قول الفتح إلى هرقل في جملة الكتاب وبين ما ذكره محمد بن اسحق والزهري والجواب من وجوه (أحدها) يحتمل أن هذه الآية نزلت مرتين مرة قبل الحديبية ومرة بعد الفتح (الثاني) يحتمل أن صدر سورة آل عمران نزل في وفد نجران الى هذه الآية وتكون هذه الآية نزلت قبل ذلك ويكون قول ابن اسحق الى بضع وثمانين آية ليس بمحفوظ لدلالة حديث أبي سفيان (الثالث) يحتمل أن قدوم وفد نجران كان قبل الحديبية وأن الذي بذلوه مصالحة عن المباينة لآعلى وجه الجزية بل يكون من باب لمهانة والمصالحة ووافق نزول آية الجزية بعد ذلك على وفق ذلك كما جاء فرض الخمس والاربعة أخماس وفق ما فعله عبد الله بن جحش في تلك السرية قبل بدر ثم نزلت فريضة القسم على وفق ذلك (الرابع) يحتمل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر بكتب هذا في كتابه إلى هرقل لم يكن نزل بعد ثم انزل القرآن موافقة له صلى الله عليه وسلم كما نزل بموافقة عمر بن الخطاب في الحجاب وفي الاسارى ، وفي عدم الصلاة على المنافقين ، وفي قوله (وانخذوا من مقام ابراهيم - صلى) وفي قوله (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) الآية

يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده

أفلا تعقلون (٦٥) ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ولم تحاجون ما ليس لكم به دلم ،

والله يعلم وأنتم لا تعلمون (٦٦) ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ،

وما كان من المشركين (٦٧) إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا

والله ولي المؤمنين (٦٨)

يشكر تبارك وتعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في ابراهيم الخليل عليه السلام ودعوى كل طائفة منهم انه كان منهم كما قال محمد بن اسحق بن يسار حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : اجتمعت نصارى نجران (وبا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

قوله تعالى (يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم) تزعمون انه كان على دينكم وانما دينكم

وأخبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الاحبار : ما كان ابراهيم الا يهودياً ، وقالت النصارى : ما كان ابراهيم الا نصرانياً فأنزل الله تعالى (يا أهل الكتاب لم نحاجون في ابراهيم) الآية أي كيف تدعون أنها اليهود أنه كان يهودياً وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى ، وكيف تدعون أنها النصارى أنه كان نصرانياً وأما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر ؟ ولهذا قال تعالى (أفلا تعقلون) ثم قال تعالى (ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) الآية . هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به فان اليهود والنصارى تحاجوا في ابراهيم بلا علم ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتلحق بأديانهم التي شرعت لهم الى حين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم اسكان أولى بهم وأما تسكلموا فيما لا يعلمون ، فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد ما لا علم لهم به الى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الامور على قاطعها وجليتها ، ولهذا قال تعالى (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ثم قال تعالى (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً) أي متحنفاً عن الشرك قاصداً الى الايمان (وما كان من المشركين) وهذه الآية كانت مقدمة في سورة البقرة (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا) الآية . ثم قال تعالى (إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) يقول تعالى : أحق الناس بمتابعة ابراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه وهذا النبي يعني محمداً صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والانصار ومن تبعهم بعدهم . قال سعيد بن منصور : حدثنا أبو الاحوص عن سعيد بن

اليهودية والنصرانية وقد حدث اليهودية بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل (وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده) أي بعد ابراهيم زمان طويل وكان بين ابراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة (أفلا تعقلون) بطلان قولكم (١)

قوله تعالى (ها أنتم) بتلدين الهمزة حيث كان مدني وأبو عمرو والباقون بالهمزة واختلفوا في أصله فقال بعضهم أصله أنتم وهاه تنبيه وقول الاخفش أصله أنتم فقلت الهمزة الاولى هاء كقولهم هرقت الماء وأرقت (هؤلاء) أصله أولاء دخلت عليه هاء التنبيه وهي موضع النداء يعني هؤلاء أنتم (حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) يعني في أمر موسى وعيسى وادعيتهم أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراة والانجيل عليكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وليس في كتابكم أنه كان يهودياً أو نصرانياً وقيل حاجتكم فيما لكم به علم يعني في أمر محمد صلى الله عليه وسلم لانهم وجدوا نعمة في كتابهم فجادلوا فيه بالباطل فلم تحاجون في ابراهيم وليس في كتابكم ولا علم لكم به (والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

ثم برأ الله تعالى ابراهيم مما قالوا فقال (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) والحنيف المائل عن الاديان الى الدين المستقيم وقيل الحنيف الذي بوحده وبهج وبضحي وبختن ويستقبل الكعبة وهو أهل الاديان وأحبها الى الله عز وجل

(١) فان قيل والقرآن نزل بعد الانجيل بيضمة قرون فكيف كان مسلماً ؟ أليس الدليل مشترك الا لزام ؟ قلنا انه كان السابق الى هذا الاسلام والحنيفية وجاء القرآن محيياً لملته على اكمل وجه وأنتم بيان ، وأقوى حجة وبرهان والمخير بذلك هو الله وليس دعوى يدعيها المسلمون ، ولذلك قال (والله يعلم واتم لا تعلمون)

مسروق عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أكل نبي ولاية من النبيين، وإن ولي منهم أبي وخليل ربي عز وجل» ثم قرأ (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه) (١) الآية، وقدرناه الترمذي والبزار من حديث أبي أحمد الزبيري عن سفیان الثوري عن أبيه به، ثم قل البزار: ورواه غير أبي أحمد عن سفیان عن أبيه عن أبي الضحى عن عبد الله ولم يذكر مسروقا، وكذا رواه الترمذي من طريق وكيع عن سفیان ثم قال: وهذا أصح، لكن رواه وكيع في تفسيره فقال: حدثنا سفیان عن أبيه عن أبي إسحق عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل نبي ولاية من النبيين، وإن ولي منهم أبي و خليل الله عز وجل إبراهيم عليه السلام» ثم قرأ (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا

(١) ذكر بقية الآية
في الأزهري

قوله تعالى (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه) أي من اتبعه في زمانه وملته بعده (وهذا النبي) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) يعني من هذه الأمة (والله ولي المؤمنين) روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن إسحق عن ابن شهاب بإسناده حديث هجرة الحبشة لما هاجر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكان من أمر بدر ما كان اجتمعت قریش في دار الندوة وقالوا إن لنا في الذين هم عند النجاشي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نارا ممن قتل منهم بيد قاصحهم مالا وأهدوه إلى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم وليتندب لذلك رجلا من ذوي رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمار بن الوليد أو عماره ابن أبي معيط مع الهدايا لآدم وغيره فركبا البحر وأتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سعدا له وسالما عليه وقالوا له إن قومنا لك ناصحون شاكرون ولا أصحابك محبون وأنهم بعثونا إليك لنحذك هؤلاء الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منا إلا السفهاء وأنا كنا قد ضيقنا عليهم الأمر وألجأناهم إلى شعب بارضنا لا يدخل عليهم أحد ولا يخرج منهم أحد فقتلهم الجوع والعطش لما اشتد عليهم الأمر بعث إليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيته فاحذرهم وادفعهم إلينا نكفيهم) (١) فلا وآبه ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحبك بالتحية التي يحبك بها الناس رغبة عن دينك وستك قالوا فدعاهم النجاشي فما حضر وأصاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزن الله فقال النجاشي مره هذا الصائغ فليد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص إلى صاحبه فقال ألا تسمعه كيف يبرطون بحزب الله وما أجابهم به النجاشي فساها ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بر العاص ألا ترى أنهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقل لهم النجاشي ما منكم أن تسجدوا إلي وتحييني بالتحية التي يحيني بها من أتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وأمرنا بالتحية التي رضىها الله وهي السلام تحية أهل الجنة

(١) في نسخة
لشكفيهم

النبي والذين آمنوا (الآية ، وقوله (والله ولي المؤمنين) أي ولي جميع المؤمنين برسله

فعرّف النجاشي أن ذلك حق وأنه في التوراة والإنجيل قال أيكم الهاتف: يستأذن عليك حزب؟ الله قال جعفر أنا فنكلمنا قال الملك من ملوك أهل الأرض ومن أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي فلهذين الرجلين فليتكلم أحدهما وليصت الآخر فتسمع محاورتنا (١) فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار كرام؟ فإن كنا عبيدا أبقنا من أربابنا فارددنا إليهم فقال النجاشي أعبيد هم أم أحرار؟ فقال عمرو بل أحرار كرام، فقال النجاشي نجيوا من العبودية. ثم قال جعفر سل هل أهرق دما بغير حق فيقتص منا؟ فقال عمرو: لا ولا قطرة. فقال جعفر سل هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعطينا قضاؤها قال النجاشي إن كان قنطاراً فعلي قضاؤه فقال عمرو: لا ولا قيراطاً، قال النجاشي فما تطالبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وأمر واحد على دين آباءنا فتركوا ذلك وتبعوا غيره فبعثنا إليك قومهم لتدفعهم إلينا فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه الدين الذي اتبعتموه اصدقني، فقال جعفر أما الدين الذي كننا عليه فتركناه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجاره وما الذي تحولنا إليه فدين الله السلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب عيسى بن مريم موافقاً له فقال النجاشي يا جعفر لقد تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع عليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبي مرسل فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى قال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي. فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه؟ فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمرنا بحسن الحوار وصلة الرحم وبر اليقيم ويأمرنا بأن نعبد الله وحده لا شريك له، فقال اقرأ علي مما يقرأ عليكم فقرا عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع وقلوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرا عليهم سورة الكهف فأراد عمرو أن يفضب النجاشي فقال اتهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشي ما تقولون في عيسى وأمه فقرا عليهم سورة مريم فما أتى على ذكر مريم وعيسى عليهما السلام رفع النجاشي نفثته من سواكه قدر ما يندى العين فقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون مثل هذا. ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فانتم سبوم بارضي يقول آتون من سبكم أو آذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب إبراهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب إبراهيم؟ قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جؤامن عنده ومن تبعهم وأفكر ذلك المنكر كون وادعوا دين إبراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال إنما هديتكم إلى رشوة فقبضوها فإن الله ملكني ولم يأخذمني رشوة قال جعفر فأنصرفنا فكنا في خير دار وأكرم حوار وأنزل الله تعالى في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في إبراهيم وهو بالمدينة (لن أولى الناس بإبراهيم للدين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين)

(١) في نسخة: (١)

محاورتنا

وَدَّت طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩)
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَتَّبِعُونَ الْبَاطِلَ
وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) وَقُلْتَ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى
الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا بآخِرِهِ لَعَلَّكُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تَوَفَّنَا اللَّهُ يَا مَنْ تُجِبُ الدَّعَاءَ
قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَيُضِلُّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَيُضِلُّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَيُضِلُّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

بِإِذْنِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٧٤)
يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ حَسَدِ الْيَهُودِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَبَغْيِهِمْ إِيَّاهُمُ الْإِضْلَالُ وَأَخْبَرَ أَنَّ وَبِالْذَلِكَ إِنَّمَا يَعُودُ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ أَنَّهُمْ مَكْرُومٌ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مِنْكُمْ عَلَيْهِمْ (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) أَيُّ تَعْلَمُونَ صِدْقَهَا وَتَحَقُّقَهَا (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَتَّبِعُونَ الْبَاطِلَ
وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أَيُّ تَكْتُمُونَ مَا فِي كِتَابِكُمْ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَلِكَ وَتَحَقِّقُونَهُ (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا
قوله عز وجل ﴿ وَدَّت طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان
وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود إلى دينهم فنزلت (وَدَّت طَائِفَةٌ) أي نمت طائفة جماعة من أهل الكتاب
يعني اليهود ﴿ لَوْ يُضِلُّوكُمْ ﴾ يستزِيلُونَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ وَبَرْدُونَكُمْ إِلَى الْكُفْرِ ﴿ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ يعني القرآن وبيان نعت محمد صلى الله عليه
وسلم ﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ ان نعمته في التوراة والإنجيل مذكور ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَتَّبِعُونَ الْبَاطِلَ
وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ لم تخلطون الإيمان ببعيسى عليه السلام وهو
الحق بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو الباطل . وقبل : لم تخلطون التوراة التي أنزلت على موسى
بالباطل الذي حرفتموه وكتبتموه بأيديكم ﴿ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ان محمدا صلى الله عليه
وسلم ودينه حق ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا ﴾ الآية . قال الحسن وقتادة والسدي :
تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عيينة وقال بعضهم لبعض : ادخلوا في دين محمد صلى الله
عليه وسلم أول النهار باللسان دون الاعتقاد ثم اكفروا آخر النهار وقولوا : إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا
علماءنا فوجدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فإذا فعلمنا ذلك شك
أصحابه في دينهم وأنهموه فقالوا : أنهم أهل الكتاب وهم أعلمنا به فيرجعون عن دينهم . وقال مجاهد
ومقاتل والكلبي : هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن
الاشرف لأصحابه : آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ مِنْ أَمْرِ الْكُفَّةِ وَصَلُوا إِلَيْهَا أَوَّلَ النَّهَارِ ثُمَّ اكْفُرُوا

وجه النهار واكفروا آخره لعلمهم يرجعون) الآية هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الايمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح فإذا جاء آخر النهار ارتدوا الى دينهم ليقول الجاهلة من الناس انما ردهم الى دينهم اطلاقهم على نقبصة وعيب في دين المسلمين ولهذا قالوا (لعلمهم يرجعون) وقال ابن أبي نجيح: عن مجاهد في قوله تعالى اخبارا عن اليهود بهذه الآية بمعنى يهودا صلت مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح وكفروا آخر النهار مكرا منهم ليروا الناس أن قد بدت لهم الضلالة منه بعد أن كانوا اتبعوه. وقال العوفي عن ابن عباس: قالت طائفة من أهل الكتاب اذا لقيتهم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا واذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلمهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا، وهكذا روي عن قتادة والسدي والربيع وأبي مالك وقرنه تعالى (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) أي تطعموا وتظهروا مسروركم وما عندكم إلا لمن تبع دينكم ولا تظهروا ما بأيديكم الى المسلمين فيؤمنوا به ويحجوا به عليكم. قال الله تعالى (قل ان الهدى هدى الله) أي هو الذي يهدي قلوب المؤمنين الى أتم الايمان بما ينزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والدلائل القاطعات والحجج الواضحات وان كنتم من أهل اليهود ما بأيديكم من صفة محمد النبي الامي في كتبكم التي نقلتموها عن الانبياء الاقدمين وقوله (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) يقولون لا تظهروا ما عندكم من العلم

وارجعوا الى قبلتكم آخر النهار لعلمهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم فيرجعون الى قبلتنا فأطلع الله تعالى رسوله على سرهم وانزل (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا) (بالحديث الذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار) أرله، سمي وجها لانه أحسنه وأول ما يواجه الناظر فيراه (واكفروا آخره لعلمهم يرجعون) فيشكون ويرجعون عن دينهم قوله عز وجل (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) هذا متصل بالاول من قول اليهود بعضهم لبعض (ولا تؤمنوا) أي ولا تصدقوا (إلا لمن تبع دينكم) أي وافق ملتكم واللام في لمن صلة أي لا تصدقوا الا من تبع دينكم اليهودية كقوله تعالى (قل عسى أن يكون ردف لكم) أي ردفكم (قل إن الهدى هدى الله) هذا خبر من الله تعالى ان البيان بيانه ثم اختلفوا فيه ففهم من قال: هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول اخار عن قول اليهود بعضهم لبعض، ومعناه (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والكتاب والحكمة والآيات من المن والسلوى وفلق البحر وغيرها من الكرامات ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لانكم أصبح ديننا منهم، وهذا معنى قول مجاهد، وقيل: إن اليهود قالت اسفلتكم (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) من العلم أي لثلاث يؤتى أحد ولا فيه مضرة كقوله تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) أي لثلاث تضلوا، يقولون: لا تصدقوهم لثلاث لمثل ما علمتم فيكون لكم الفضل عليهم في العلم، أو لثلاث يحاجوكم عند ربكم فيقولوا: عرفتم ان ديننا حق، وهذا معنى قول ابن جريج، وقرأ الحسن والاعمش (إن يؤتى) بكسر الالف فيكون

المسلمين فتعلموه منكم ويساوونكم فيه ويمتازون به عليكم لشدة الايمان به أو يحاجوكم به عند ربكم أي يتخذوه حجة عليكم بما في أيديكم فتزعمون به عليكم الدلالة وترتكب الحجة في الدنيا والآخرة قال الله تعالى (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) أي الامور كلها تحت تصرفه وهو المهيمن المانع بمن على من يشاء بالايمان والعلم والتعرف التام ، ويضل من يشاء فيمضي بصره ويغيره ويختصم على قلبه رسمه ويحمل على بصره غشاوة وله الحجة التامة والمكفة الباقية (والله واسع عليم) يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) أي اختصكم أيها المؤمنون من الفضل بما لا يحصى ولا يوصف بما شرف به نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء وهذاكم به الى أكل الشرائع

ومن أهل الكتب من إن تأمنه بقطار يؤده اليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار

قول اليهود تأما عند قوله (إلمن تبع دينكم) وما بعده من قول الله تعالى يقول قل يا محمد (ان الهدى هدى الله ان يوفى) أن بمعنى الجحد أي ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم (و يحاجوكم عند ربكم) بمعنى الا أن يجادلكم اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم فقوله عز وجل (عند ربكم) أي عند فعل ربكم بكم ، وهذا معنى قول سعيد بن جبير والحسن والكلبي ومقاتل . وقال الفراء : ويجوز أن يكون أو بمعنى حتى كما يقال تعاق به أو يعطيك حقل أي حتى يعليك حقل ، ومعنى الآية ما أعطي أحد مثل ما أعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير (أن يوفى) بالمدة على الاستفهام وجبئذ يكون فيه اختصار تفديده أن يوفى أحد ما أوتيتم يا مشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به ، هذا قول قتادة والريعي قالا : هذا من قول الله تعالى يقول : قل لهم يا محمد (إن الهدى هدى الله) بأن أنزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا حسدتموه وكفرتم به (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) قوله أو يحاجوكم على هذه القراءة رجوع الى خطاب المؤمنين وتكون أو بمعنى إن لانها حرقا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر أي وان يحاجوكم يا مشر المؤمنين عند ربكم فقل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه ، ويجوز أن يكون لجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية أن يوفى أحد مثل ما أوتيتم يا مشر المؤمنين حسدوكم فقل (ان الفضل بيد الله) وان حاجوكم فقل (ان الهدى هدى الله) ويجوز أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله (لهم يرجعون) وقوله تعالى (ولا تؤمنوا) من كلام الله يثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبس اليهود وتزويرهم في دينهم ويقول لا تصدقوا يا مشر المؤمنين الا لمن تبع دينكم ، ولا تصدقوا أن يوفى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والدين والفضل ولا تصدقوا أن يحاجوكم في دينكم عند ربكم أي يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله ، و (ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) فتكون الآية كلها خطاب الله للمؤمنين عند تلبس اليهود لئلا يرتابوا ، قوله (يختص برحمته) أي بنبوته (من يشاء والله ذو الفضل العظيم) قوله تعالى (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقطار يؤده اليك) الآية نزالت في اليهود

لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه قائماً، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل، ويقولون

على الله الكذب وهم يعلمون (٧٥) بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين (٧٦)

يخبر تعالى عن اليهود بأن منهم الخونة ويحذر المؤمنين من الاعتراض بهم فإن منهم من أن تأمنه

بقنطار (أي من المسار) (يؤده اليك) أي وما دونه بطريق الأولى أن يؤده (١) بك (ونهم من أن

تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه قائماً) أي بالمطالبة والملازمة واللاحاق في استخلاص حقلك

وإذا كان هذا صنيعه في الدينر فما فوقه أولى أن لا يؤده اليك. وقد تقدم الكلام على القنطار في

أول السورة، وأما الدينار فعرف. وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا سعيد بن عمرو السكوني حدثنا

بقية عن زياد بن أبيه حدثني مالك بن دينار قال: أما سمي الدينار لأنه دين وبار. وقيل: معناه

من أخذه بحقه فهو دينه، ومن أخذه بغير حقه فله البار وما سب أن يذكر ههنا الحديث الذي علقه

البخاري في غير موضع من صحيحه، ومن أحسنها سياقه في كتاب الكفالة حيث قال: وفل البيت

حدثني جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم أنه ذكر «رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني أسير ثبل أن يسفقه ألف دينار

فقال: اتني بالشهداء أشهدهم فقال: كفى بالله شهيداً فقال: اتني بالكفيل قال: كفى بالله كميلاً

قال: صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر ففقد حاجته ثم التمس من كباركمها ليقده (٢)

عليه في الأجل الذي أجله فلم يجد من كفاها فخذ خشبة فذرها فدخل فيها ألف دينار وصحيفة معه إلى

صاحبه ثم زجج ووضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم لك تعلم إني استسلمت فلان ألف دينار فسلاني

شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً وسألني كميلاً فقلت: كفى بالله كميلاً فرضي بك واني جهدت أن

أخبر الله تعالى أن فيهم أمانة وخيانة والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل

بقول منهم من يؤدي الأمانة وإن كثرت، ومنهم من لا يؤديها وإن قلت. قال مقاتل: (ومن أهل

المكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك) هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم

من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك) يعني كفار اليهود كعبد بن الأشرف وأصحابه، وقيل جوهر عن

الضحاك عن ابن عباس في قوله عز وجل (ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك) يعني

عبد الله بن سلام أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأداها إليه (ومنهم من أن تأمنه بدينار

لا يؤده اليك) يعني فنماص بن عازوراء استودعه رجل من قريش ديناراً فخافه قوله (يؤده اليك)

قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة يؤده ولا يؤده ونهله ونوته ونوله ساكنة الهاء، وقرأ أبو جعفر وقولون

ويعقوب بالاختلاس كسراً، والباقرن بالاشباع كسراً، فمن سكن الهاء قال: لانها وضعت في موضع

الجزم وهو الياء الداعية، ومن اختلس فأكفى بالكسرة عن الياء، ومن اشبع فعلى الأصل لان

الأصل في الهاء الاشباع (إلا ما دمت عليه قائماً) قال ابن عباس: ملحا يريد يقوم عليه يطالبه

(١) كذا في النسخين
والوجه أن يؤديه

(٢) في الأزهريّة
يُقدم

أجد مركبا أبعث اليه لدي له فلم قدر واني استودعته لها ، فرمي بها في البحر حتى ولجت فيه ، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج الى بلده ، فخرج الرجل امسى كان سله لينظر لعزل مركبا يحيطه بماله فادا بالخشب التي فيها المال واخذها لاهله حطبيا فلما كسرهم وجد المال والصحيحة ثم قدم الرجل الذي كان تسف منه فأتاه بأف دينار وقال : والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لأتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي تيت فيه قال : هل كنت بعثت الي بشيء ؟ قال : ألم أخبرك بي لم أجد مركبا قبل هذا قال : فان الله قد أدى عك امسى بعثت في الخشبة ، فانصرف بالاف دينار راشد » هكذا رواه البخاري في وضع معلقا بصيغته الجزم ، واسنده في بعض المواضع من الصحيح عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه . ورواه الامام احمد في مسنده هكذا مطولا عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث به . ورواه البزار في مسنده عن الحسن بن مدرك عن يحيى ابن حماد عن أبي عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، ثم قرأ : لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الاسناد ، كذا قل وهو خطأ لما تقدم . وقوله (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل) أي انما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون : ليس علينا في ديننا حرج في آكل أموال الاميين وهم العرب فان الله قد احلها لنا قال الله تعالى (ويقولون على الله الحذب وهم يعلمون) أي وقد اختلفوا هذه الملة ، رائتفكوها بهذه الضلالة ، فان الله حرم عليهم آكل الأموال لا بحقها وانما هم قوم بهت . قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أبي اسحق الهمداني عن أبي صمعة بن يزيد ان رجلا سأل ابن عباس فقال : انا نصيب في الغزو من موال هل الذمة الدجاجة والشاة قال ابن عباس : فتقولون ماذا ؟ قال : تقول ليس علينا بذلك بأس قال : هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل ، انهم اذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم الا بطيب أنفسهم . وكذا رواه الثوري عن أبي اسحق بنحوه . وقال ابن أبي بلال

باللحاق ، وقال الضحاك : مواظبا أي مواظب عليه بالاقتصاد وقيل : اراد ودعته ثم استرجعته وانت فائم على رأسه لم تفارقه رده اليك ، فان فارقت وخزته انكره ولم يؤده ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك الاستحلال والخيانة ﴿ بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ﴾ أي في مال العرب ثم وخرج كقوله تعالى (ما على المحسنين من سبيل) وذلك ان اليهود قالوا : أموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا ، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم . وقال الكلبي : قلت اليهود : ان الأموال كلها كانت لنا فما في يد العرب منها فهو لنا وانما ظلموا وغصبوا فلا سبيل علينا في اخذنا اياه منهم . وقال الحسن وابن جريج ومقاتل : بايع اليهود رجلا من المسلمين في الجاهلية فلما اسلموا تقاضوهم بقية أموالهم فقالوا : ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم ودعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فكذبهم الله عز وجل وقال عز من قائل : ﴿ ويقولون على الله الحذب وهم يعلمون ﴾ ثم قال ردا عليهم ﴿ بل ﴾ أي ليس كما قالوا بل عليهم سبيل

حاتم : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا يعقوب حدثنا جعفر عن سعيد بن جبير قول : لما قال أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل قال نبي الله صلى الله عليه وسلم « كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة فانها مؤداة إلى البر والفاجر » ثم قال تعالى (بلى من أوفى بعهد وائتي) أي لكن من أوفى بعهد وائتي منك يا أهل الكتاب الذي عاهدكم الله عليه من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا بعث كما أخذ العهد والميثاق على الأنبياء وسمهم بذلك وائتي محارم الله ، وائتي طاعته وشريعته التي بعث بها خاتم رسله (١) وسيدهم (فان الله يحب المحسنين)

(١) في الأزهرية :
خاتم الرسل وسيد
البشر

إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا

يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم (٧٧)
يقول تعالى إن الذين يعناضون عما عاهدوا الله عليه من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وذكر
ثم ابتداء فقال ﴿ من أوفى ﴾ أي ولكن من أوفى ﴿ بعهد ﴾ أي بعهد الله الذي عهد إليه في التوراة
من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وأداء الأمانة وقيل الهاء في عهده راجعة إلى الموفى
﴿ وائتي ﴾ الكفر والخيانة ونقض العهد ﴿ فان الله يحب المنتير ﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد
ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا قبيصة بن عقبة أنا سفيان عن الأعمش
عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أربع من كن فيه
كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اتهم خان ،
وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر »

قوله تعالى ﴿ ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ﴾ قال عكرمة نزات في رؤس اليهود
كتبوا ما عهد الله إليهم في التوراة في شأن محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحذفوا
أنه من عند الله لثلايفهم المأكول والزنا التي كانت لهم من أنبيائهم ، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا موسى بن إسماعيل
أنا أبو عروة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من
حلف على يمين صبره بقطعها مال أمي ، مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان » فانزل الله تعالى
تصديق ذلك (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) إلى آخر الآية فدخل الأشعث
ابن قيس فقال ما حدثكم أبو عبد الرحمن ؟ فقالوا كذا وكذا نقل في أنزلت كانت لي بئر في أرض
ابن عم لي فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال هات بينك أو يمينه قلت إذا بحلف عليها
بارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين صبره وفجره بقطعها مال
أمي ، مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان » أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر

صفته للناس وبيان أمره وعن أيمانهم الكاذبة الفاجرة الآئمة بالائمان القليلة الزهيدة وهي عروض هذه الحياة الدنيا الفانية لزائلة (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة) أي لا نصيب لهم فيها ولا حظ لهم منها (ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة) أي برحمة منه لهم يعني لا يكلمهم الله كلام لطف بهم ولا ينظر إليهم بعين الرحمة (ولا يزكهم) أي من الذنوب والادناس بل يأمرهم إلى النار (ولهم عذاب أليم) . وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية الكريمة فأنذكر منها ما تيسر .
(الحديث الاول) قال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا شعبة قال علي بن مدرك أخبرني قال : سمعت أبا زرعة عن خروشة بن الحر عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة

ابن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أن قتيبة ابن سعيد أنا أبو لحوص عن مالك بن حرب عن علقمة بن وائل بن حجر عن أبيه قال جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة إلى النبي فقال الحضرمي يارب الله أن هذا قد غلني على أرض لي كانت لابي فقال الكندي هي أرضي في يدي أزرعها ليس له فيها حق فقال النبي صلى الله عليه وسلم للحضرمي ألك بينة ؟ قال لا : قال فلك بمنه قال يارسول الله أن الرجل فاجر لا يبالي على ما حلف عليه قال ليس لك منه إلا ذلك فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أدبر « أما لن حلف على ماله ليأكله ظلما للفقيرين الله وهو عنهم معروض » ورواه عبد الملك بن عمير عن علقمة وقال هو امرؤ القيس بن عابس الكندي وخصمه ربيعة بن عبدان وروي لما هم أن يحلف نزلت هذه الآية فامتنع امرؤ القيس أن يحلف وأقر لخصمه بحقه ودفعه إليه أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي (١) أنا أبو مصعب عن مالك بن النضر عن عبد الرحمن بن سعيد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار » قالوا وإن كان شيئا يسيرا يارسول الله قال « وإن كان قضيبا من أراك » قالها ثلاث مرات أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الملبحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمرو بن محمد أنا هشيم بن محمد أنا العوام بن حوشب عن ابراهيم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلا أقام سلة وهو في السوق فخاف بالله لقد أعطي بها ما لم يطمع فيها رجلا من المسلمين فنزلت (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) قوله تعالى (ان الذين يشترون) أي يستبدلون (بعهد الله) وأراد الامانة (وأيمانهم) الكاذبة (ثمنا قليلا) أي شيئا قليلا من حطام الدنيا (أولئك لا خلاق لهم) لا نصيب لهم (في الآخرة) ونعيمها (ولا يكلمهم الله) كلاما يفهمهم ويسرهم وقيل هو معنى النصب كما يقول الرجل اني لا اكلم فلانا — اذا كان غضب عليه (ولا ينظر إليهم يوم القيامة) أي لا يرحمهم ولا يحسن إليهم ولا ينيلهم خبراً (ولا يزكهم) أي لا يثني عليهم بالجليل ولا يطهرهم من الذنوب (ولهم عذاب أليم) أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد العافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي

(١) في نسخةنا أنا
ابو اسحق الهاشمي

لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم » قالت : يا رسول الله من هم ؟ خسروا وخابوا قال : وأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال « المسبل ، والمنفق سلعته بالخلف الكاذب ، والمنان » ورواه مسلم وأهل السنن من حديث شعبة به - طريق أخرى - قال أحمد : حدثنا إسماعيل عن الجربري عن أبي العلاء بن الشخير عن أبي الأحسن قال : لقيت أبا ذر فقلت له بلغني أنك تحدث حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما أنه لا يخالفني أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما سمعته منه فما الذي بك عني ؟ قلت بلغني أنك تقول : ثلاثة يحبهم الله ، وثلاثة يشنؤهم الله ، قال : قلته وسمعتك قلت : فمن هؤلاء الذين يحبهم الله ؟ قال « الرجل يلقى الداء في فئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتتح لاصحابه ، والنوم يسافرون فيطول سراهم الجاهل يحبوا أن يسوا الأرض فينزلون فيتنحى أحدهم فصلى حتى يوقظهم لرحيلهم ، والرجل يكره له الحمار يؤذنه فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما وت أو ظمن » قلت : ومن هؤلاء الذين يشنؤهم الله ؟ قال « التاجر الخلف - أو قال البائع الخلف - والفقير المحتال والخبيل المنان » غريب من هذا الوجه

(الحديث الثاني) قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن جابر بن حازم حدثنا عدي بن عدي أخبرني رجاء بن حيوة والعرس بن عميرة عن أبيه عدي هو ابن عميرة الكندي قال : خاصم رجل من كندة يقال له امرؤ القيس بن عامر رجلا من حضرموت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض فقضى على الحضرمي بالبينة فلم يكن له بينة فقضى على امرئ القيس باليمين فقال الحضرمي : أمكنته من اليمين يا رسول الله ؟ ذهبت ورب الكعبة أرضي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال أحد لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان » قال رجاء : وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) فقال امرؤ القيس : ماذا لمن تركها يا رسول الله ؟ فقال « الجنة » قال : فاشهد أنني قد تركتها له كلها ، ورواه النسائي من حديث عدي بن عدي به

(الحديث الثالث) قال أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان » فقال لاشعث : في والله كان ذلك ، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض

أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا (١) محمد بن جعفر عن شعبة عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن خشة بن الحر عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم » قال قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال أبو ذر خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله ؟ قال « المسبل ، والمنفق ، سلعته بالخلف الكاذب » - وفي رواية المسبل ازارد - أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا

(١) في نسخة محمد ابن مثنى أنا

فجحدني أرضي فقدمته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألك بيعة ؟ » قلت : لا فقال لليهودي احلف فقلت : يا رسول الله اذا يحلف فيذهب مالي فأنزله الله عز وجل (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) الآية ، أخرجه من حديث الأعمش (طريق أخرى) قال احمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابو بكر بن عياش عن عاصم بن ابي النجود عن شقيق بن سلمة حدثنا عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق القى الله وهو غضبان » قل : فجاء الاشعث بن قيس فقال : ما يحدثكم ابو عبد الرحمن ؟ فحدثناه فقال : كان في هذا الحديث خاصمة ابن عم لي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بئر كانت لي في يده فجحدني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينك إنها بئر ولا فيمينه » قل : قلت يا رسول الله مالي بيعة ، وإن نحلها بيمينه تذهب بئري ان خصمي امرؤ فاحرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق القى الله وهو عليه غضبان » قل : وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) الآية (الحديث الرابع) قال احمد : حدثنا يحيى بن غيلان قال حدثنا رشدين عزباد عن سهل بن معاوية ابن أنس عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى عبادا لا يكلمهم يوم القيامة ولا يزكهم ولا ينظر اليهم » قيل : ومن أولئك يا رسول الله ؟ قال « متبرء من والدته راغب عنهما ، ومتبرء من ولده ، وجل أنعم عليه قوم فكفروا نعمتهم وتبرأ منهم »

(الحديث الخامس) قال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا هشيم أنا انا الم. ام يعني ابن حوشب عن ابراهيم بن عبد الرحمن يعني السكسكي عن عبد الله بن ابي أوفى ان رجلا قال ساعة له في السوق لخلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعطه ليقع فيها رجلا من المسلمين فزات هذه الآية (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) الآية . ورواه البخاري من غير وجه عن العوام (الحديث السادس) قال الامام احمد حدثنا وكيع عن الأعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثا لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم ، رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده ، ورجل حلف على ساعة بعد العصر يعني كاذبا ، ورجل بايع إماما فان أعطاه وفي له وان لم يعطه لم يف له » ورواه ابوداود والترمذي من حديث وكيع وقال الترمذي : حديث حسن صحيح

اسيد ابو الحسن (١) محمد بن الحسين العلوي نا او نصر محمد بن حمدويه المروزي انا هفيان بن عبيدة عن عمرو بن دينار عن ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قل « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم » (٢) على ما لم يعطه ورجل حلف على عين بعد صلاة العصر انه اعطى ببعته أكثر مما اعطى وهو كاذب ورجل منع فضل مائه (٣) فان الله تعالى يقول اليوم اممك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يدك »

(١) في نسخة السيد ابو الحسين

(٢) في الهندية ونسختنا على عين

(٣) في نسخة (الماء)

ولأن منهم لفرقاً يلوون ألسنتهم بالكتب لتحسبوه من الكتب وما هو من الكتب

ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (٧٨)
يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله أن منهم فريقاً يحرفون الكلم عن مواضعه ويدلون كلام
الله ويضلونه عن المراد به أبوهما الجهلة أنه في كتاب الله كذلك وينسبونه إلى الله وهو كذب على
الله وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وأفترأوا في ذلك كله ، ولهذا قال الله تعالى (ويقولون على
الله الكذب وهم يعلمون) وقال مجاهد والشعبي والحسن وقتادة والربيع بن أنس : (يلوون ألسنتهم
بالكتب) يحرفونه ، وهكذا روى البخاري عن ابن عباس أنهم يحرفون ويضلون وليس أحد من
خلق الله يزل لفظ كتاب من كتب الله ليكنهم يحرفونه يتأولونه على غير تأويله . وقال وهب بن
منبه : إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل
وكذب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) فأما كتب
الله فإنها محفوظة ولا تحول (١) رواه ابن أبي حاتم ، فإن عني وهب ما بأيديهم من ذلك فلا شك أنه قد
دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص . وأما تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير
وزيادات كثيرة ونقصان ووهم فاحش ، وهو من باب تفسير المعرب المعرب (٢) وفيهم كثير منهم بل أكثرهم
بل جميعهم فاسد . وأما إن عني كتب الله التي هي كتبه من عنده فذلك كما قال محفوظة لم يدخلها شيء .

ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي

من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون (٧٩) ولا

قوله تعالى (وإن منهم لفرقاً) يعني من أهل الكتاب لفرقاً أي طائفة وهم كعب بن الأشرف
ومالك بن الصيف وحبي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة (١) بن عمر والشاعر (يلوون ألسنتهم بالكذب)
أي يطفون ألسنتهم بالتحريف والتغيير وهو ما غيروا من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغير
ذلك يقال لوى لسانه عن كذا أي غيره (لتحسبوه) أي لتظنوا ما حرفوا (من الكتب) الذي
أنزله الله تعالى (وما هو من الكتب) ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله
الكذب (عمداً) وهم يعلمون أنهم كاذبون . وقال الضحاك عن ابن عباس إن الآية نزلت في
اليهود والنصارى جميعاً وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل والحقوا بكتاب الله ما ليس منه

قوله تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب) الآية . قال مقاتل والضحاك ما كان لبشر يعني

= الشواهد الكثيرة فيها وأما تأويل المؤلف لقوله بإحتماله لما عند الله تعالى يعني في اللوح المحفوظ أو ما هو قائم
بنفسه من كلامه فمنوع لأنه تكلم عن المنزل الذي عند القوم وقد عرفه وقرأه كثير ذلك كانوا يروونه عنه وأما
ما عند الله تعالى فلا يحتاجون فيه إلى روايته (٢) فيها المعبر المعرب (١) في نسخةنا سعيد

(١) هذا القول من
وهب باطل قطعاً
ولعل ما روي عن ابن
عباس بمعناه ما خرد
عنه فأكثر
الاسرائيليات المروية
عن الصحابة وهو غير
مرفوعة إلى النبي
« ص » بأسانيد يفتح
بها إنما هي عن أمثال
كعب وهب وغيرها
من رواة

الاسرائيليات
أخذوها بالقبول
لحسن ظنهم بمن
سمعوها منهم وما
زالت تعلق بالقبول
لا يشترط فيها التحقيق
الا عدم مخالفتها
للقطعي عندنا كالقرآن
إلى أن اطلع المسلمون
على تورا القوم
واختيلهم وسائر كتبهم
فلم المطلعون عليهم
أنها كانت محرفة
بالزيادة والنقصان
وغير ذلك وانها مخالفة
في مواضع كثيرة
للقطعيات عندنا
كنسبة أعمال الكفر
والفسق إلى الانبياء
عليهم السلام ففي
صلب توراتهم أن
هارون والذين مع
المجل إني اسرائيل
وحسبك هذا من =

يأمركم أن تتخذوا المذسكة والنبين أربابا ، أيأمركم بالـ كفر بعد إذ أنتم مسلمون (٨٠)

قال محمد بن اسحق حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الاحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما نعبد النصارى عيسى بن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : أو ذاك تريد ما يعبدوا به تدعوننا؟ أو كما قال.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « معاذ الله أن نعبد غير الله أو أنأمر بعبادة غير الله (١) ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني » أو كما قال صلى الله عليه وسلم فأنزل الله في ذلك من قولهما (ما كان لبشر أن

« ١ » في الازهرية
غيره

يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة - الى قوله - بعد إذ أنتم مسلمون) فقوله (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) أي ما ينبغي لبشر أنأمر الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس اعبدوني من دون الله أي مع الله ، فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا مرسل ، فلأن لا يصلح لاحد من الناس غيرهم بطريق لاولى والاخرى ، ولهذا قال الحسن البصري : لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته قال : وذلك أن القوم كان يجب بعضهم بعضا يعني اهل الكتاب كانوا يعبدون اُحبارهم ورهبانهم كما قال الله تعالى (اتخذوا اُحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية . وفي المسند والترمذي كما سيأتي أن عدي بن حاتم قال : يارسول الله ما عبدوهم قال « بلى انهم أحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم » فالجمله من الاحبار والرهبان ومشايخ الصلال يدخلون في هذا الذم والنويخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين فانهم اما يأمرون بما يأمر الله به وبلغتهم اياه رسله الكرم ، وانما ينهونهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم اياه رسله الكرام . فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم السفراء بين الله وبين خلقه في أداء ما حمله من الرسالة وإبلاغ الامانة ، فقاموا بذلك أتم القيام ، ونصحوا الخلق ، وبلغوه الحق ، وقوله (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وعما كنتم تدسون) أي

عيسى عليه السلام وذلك أن نصارى نجران كانوا يقولون ان عيسى أمرهم ان يتخذوه ربا فقال تعالى (ما كان لبشر) يعني عيسى (أن يؤتيه الله الكتاب) أي الانجيل . وقال ابن عباس وعطاء ما كان

لبشر يعني محمداً أن يؤتيه الله الكتاب أي القرآن وذلك أن أبا رافع القرظي من اليهود والرئيس من نصارى أهل نجران قالوا يا محمد تريد أن نعبدك وتتخذك ربا؟ فقال معاذ الله أن أمر بعبادة غير الله

وما (١) ذلك أمرني الله وما بذلك بعثني » فانزل الله تعالى هذه الآية (ما كان لبشر) أي ما ينبغي لبشر كقوله تعالى (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) أي ما ينبغي لنا والبشر جميع بني آدم لا واحد له من لفظه

كالقوم والجيش ويوضع موضع الواحد والجمع « أن يؤتيه الله الكتاب والحكم » الفهم والعلم وقيل امضاء الحكم عن الله عز وجل « والنبوة » المرلة الرفيعة بالانبياء « ثم يقول للناس كونوا عبادا لي

من دون الله ولكن كونوا » أي ولكن يقول كونوا « ربانيين » اختفوا فيه قال علي وابن عباس

ولكن يقول الرسول للباس كونوا ربانيين قال ابن عباس وأبو رزين وغير واحد أي حكما علماء
 علماء ، وقال الحسن وغير واحد : فقهاء ، وكذا روي عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقادة وعطاء
 الخراساني وعطية العوفي والربيع بن أنس . وعن الحسن أيضا يعني أهل عبادة وأهل تقوى . وقال
 الضحاك في قوله (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) حق على من تعلم القرآن أن يكون
 فقيها تعلمون أي تفهمون معناه وقرىء تعلمون بالتشديد من التعليم (وبما كنتم تدرسون) محفظون
 ألقاؤه ثم قال الله تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) أي ولا يأمركم بعبادة أحد
 غير الله لأنبي مرسل ولا ملك مقرب (يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) أي لا يفعل ذلك إلا
 من دعا إلى عبادة غير الله ، ومن دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر ، والانبيا إنما يأمرون
 بالآية وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي
 إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بشنا في كل أمه رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا

والحسن كونوا فقهاء علماء . وقال قادة حكما وعلماء وقال سعيد بن جبيرة العالم الذي يعمل بعلمه وعن
 سعيد بن جبيرة عن ابن عباس فقهاء معلمين وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره
 وقال عطاء حكما وعلماء ونصحاء لله في خلقه قال أبو عبيدة سمعت رجلا عالما يقول الرباني العالم بالحلل
 واحرام والامر والنهي المعارف بانباء الامة ما دون وما يكور وقيل الربانيون فوق الاحبار والاحبار
 فوق العلماء والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصائر بسياسة الناس قال المؤرخ (١) كواربانيين تدينون
 لربكم من الربوبية كان في الاصل ربي فادخلت الالف للتفخيم ثم ادخلت النون لسكون الالف كما
 قيل صنماني وبهراني وقال المبرد : هم أرباب العلم سموا به لانهم يربون العلم ويقومون به ويربون المتعلمين
 بصغار العلوم قبل كبارها وكل من قام باصلاح الشيء واتممه فقد ربه بربه واحدها ربان كما قالوا
 ريان وعطشان وشبعان وغرثان ثم ضمت اليه النسبة كما يقال لحياي وربياني . وحكي عن علي
 رضي الله عنه انه قال هو الذي يربي علمه بعلمه قال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس اليوم مات
 رباني هذه الامة (بما كنتم) أي بما أنتم كقولته تعالى (من كان في المهدي صبيا) أي من هو في المهدي
 (تعلمون الكتاب) قرأ ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي تعلمون بالتشديد من التعليم وقرأ الآخرون
 تعلمون بالتخفيف من العلم كقوله (وبما كنتم تدرسون) أي تقرأون

(١) في الهندية المورج

قوله تعالى (ولا يأمركم) قرأ ابن عامر وعاصم وحمة ويعقوب بنصب الراء عطفا على قوله (ثم
 يقول له كن فيكون) مرددا على البشر أي ولا يأمر ذلك البشر وقيل على ضمير أن أي لا يأمركم
 ذلك البشر وقرأ الباقون بالرفع على الاستئناف معناه ولا يأمركم الله وفل ابن جرير وجماعة ولا يأمركم
 محمد (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كفعل قرش والصائبين حيث قالوا : الملائكة بنات الله
 واليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح وعزير ما قالوا (يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) قاله
 علي طريق التعجب والانكار يعني لا يقول هذا

الطاغوت) لا آية، وقال (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) قال إخبار أعن الملائكة (ومن قل منهم أني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين)

وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال: أأقررتم وأخذتم على ذلكن إصري؟ قالوا أقررنا، قال:

فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (٨١) فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (٨٢)

يخبر تعالى إنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أى مبلغ ثم جاءه رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته ولهذا قال تعالى وتقدس (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) أي لهما أعطيتكم من كتاب وحكمة (ثم جاءكم رسول

قوله عز وجل وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة فقرأ حمزة لما بكسر اللام وقرأ الآخرون بفتحها فنكسر اللام فهي لام الإضافة دخلت على ما الموصولة ومعناه الذي يريد للذي آتيتكم أي أخذ ميثاق النبيين لأجل الذي آتاهم من الكتاب والحكمة وانهم أصحاب الشرائع، ومن فتح اللام فمعناه للذي آتيتكم بمعنى الخبر وقيل بمعنى الجزء أى لئن آتيتكم وما آتيتكم وجواب الجزء قوله (لتؤمنن به) قوله (لما آتيتكم) قرأ نافع وأهل المدينة آتيتكم على التعميم كقال (وآتينادودز بورا - وآتيناه الحكم صيبا) وقرأ الآخرون بالتاء الموافقة الخط ولقوله (أنا معكم) واختلفوا في المعنى بهذه الآية فذهب قوم إلى أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين خاصة أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته إلى عباده وأن يصدق بعضهم بعضا وأخذ اليهود على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء وينصره إن أدركه فإن لم يدركه أن يأمر قومه بنصرته إن أدركه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال الآخرون إنما أخذ الله الميثاق منهم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا اختلفوا فمنهم من قل إنما أخذ الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل منهم النبيين وهذا قول مجاهد والربيع ألا ترى لى قوله (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) وإنما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى أهل الكتاب دون النبيين يدل عليه أن في قراءة عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب وإنما القراءة المعروفة وإذا أخذ الله ميثاق النبيين فإراد أن الله أخذ ميثاق النبيين أن يأخذوا الميثاق إلى أهمهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه إن أدركوه وقال بعضهم إراد أخذ الله الميثاق على النبيين ومهم جميعا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه فأكفى بذكر الأنبياء لأن العهد على المتنوع عهد على الانبعا وهذا معنى قول ابن عباس وقال علي بن أبي طالب لم يبعث الله

مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصرى ؟ (وقال ابن عباس ومجاهد والربيع بن انس وقتادة والسدي : يعني عهدي ، وقال محمد بن اسحق (اصرى) اى ثقل ما حملتم من عهدي اى ميثقي الشديد المؤكد (قالوا اقررنا ، قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين) (فمن نولى بعد ذلك) اى عن هذا العهد والميثاق (فأولئك هم الفاسقون) . قال علي بن ابي طالب وابن عمر ابن عباس رضي الله عنهما ما بعث الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق ان يبعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولتنصرنه ، وأمره ان يأخذ الميثاق على امته ان يبعث محمد وهم احياء ليؤمنن به ولتنصرنه . وقال طاوس والحسن البصري وقتادة : اخذ الله ميثاق النبي ان يصدق بعضهم بعضا ، وهذا لا يضاد ما قاله علي وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقضي به ، ولهذا روى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه مثل قول علي وابن عباس . وقد قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق انبأنا سفيان عن جابر عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني امرت بأخ لي يهودى (١) من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة الا اعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن ثابت قلت له الا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : رضيت بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبمحمد رسولا قال : فسرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللانم ، إنكم حظي من الامم وانا حظكم من النبيين » (حديث آخر) قال الحافظ ابو يعلى (٢) حدثنا اسحق حدثنا حماد عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسألوا اهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وانكم إما ان تصدقوا بباطل وإما ان تكذبوا بحق ، وانه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا ان يتبعني » وفي بعض الاحاديث « لو كان موسى وعيسى حيين لما سعهما الا اتباعي » قال رسول محمد خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين ، هو الامام الاعظم الذي لو وجد في اى عصر وجد نبيا آدم ومن بعده الاخذ عليه الميثاق والعهد في امر محمد واخذ العهد على قومه ليؤمنن به ولتنبعثن بهم احياء لينصرنه

(١) وفي نسخة الازهر مررت بأخ لي من قريظة

(٢) في الازهرية ابو بكر يعنى السباز فبراجه ان

قوله (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (لتؤمنن به ولتنصرنه) يقول الله تعالى للانبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم عليه السلام والانبياء فيهم كالمصابيح والمرج واخذ عليهم الميثاق في امر محمد صلى الله عليه وسلم (قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصرى) اى قبلتم على ذلكم عهدي والاصر العهد الثقيل (قالوا اقررنا قال) الله تعالى (فاشهدوا) اى فاشهدوا انتم على انفسكم وعلى اتباعكم (وانا معكم من الشاهدين) عليكم وعليهم وقال ابن عباس فاشهدوا اى فاعلموا وقال سعيد بن المسيب قال الله تعالى للملائكة (فاشهدوا) عليهم كناية عن غير مذكور (فمن نولى بعد ذلك) الاقرار (فأولئك هم الفاسقون) الماصون الخارجون عن الايمان

لكن هو الواجب الطاعة المقدم على الانبياء كلهم ، ولهذا كان امامهم اية الله الاسراء لما اجتمعوا
بييت المقدس ، وكذلك هو الشفيع في المحشر في اتيان الرب جل جلاله افضل القضاء بين عباده
وهو المقام المحدود الذي لا يليق الا له والذي يحيد عنه أولوا العزم من الانبياء والمرسلين حتي تنتهي
التوبة اليه فيكون هو المخصوص به ، صلوات الله وسلامه عليه

أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه
يرجعون (٨٣) قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له

مسلمون (٨٤) ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخسرين (٨٥)
يقول تعالى منكرا على من أراد دينا سوى دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله وهو
عبادة الله وحده لا شريك له الذي له أسلم من في السموات والارض أي استسلم له من فيهما
طوعا وكرها كما قال تعالى (والله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) الآية ، وقال تعالى
(أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتغيّر ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون •
والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون • يخافون ربهم من
من فوقهم وينبعثون ما يؤمرون) فإذن من استسلم بقلبه وقالبه لله ، والكافر مستسلم لله كرها ، فانه
تحت التسخير والقهر والاسطمان العظيم الذي لا يخاف ولا يمانع . وقد ورد حديث في تفسير هذه
الآية على معنى آخر فيه غرابة فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن النضر العسكري
حدثنا سعيد بن حفص النخعي حدثنا محمد بن محسن العكاشي حدثنا الاوزاعي عن عطاء بن أبي
رباح عن النبي صلى الله عليه وسلم (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) « أما من في

قوله عز وجل ﴿ أفغير دين الله يبغون ﴾ وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا قاصدي كل واحد انه
على دين ابراهيم عليه السلام واختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كلا الفريقين برىء من دين ابراهيم عليه السلام ففضوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك
فأنزل الله تعالى (أفغير دين الله يبغون) قرا اهل البصرة وحفص عن عاصم يبغون بالياء لقوله تعالى
(واولئك هم الفاسقون) قرا الآخرون بالناء لقوله تعالى لما آتيتكم ﴿ وله أسلم ﴾ خضع وانقاد
﴿ من في السموات والارض طوعا وكرها ﴾ فالطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان بمشقة
وأبأه من النفس واختلفوا في قوله (طوعا وكرها) قال الحسن : أسلم اهل السموات طوعا واسلم من في
الارض بعضهم طوعا وبعضهم كرها خوفا من السيف والسبي . وقال مجاهد : طوعا المؤمن وكرها
ذلك الكافر بدليل (والله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدور ولا أصل)

رأسها الله (١)
هذا هو الحق
والله اعلم
بالحق

السموات فاللائكة ، وأما من في الارض فن ولد على الاسلام ، وأما كرها فن آتي به من سبائيا الامم في السلاسل والاغلال يقادون الى الجنة وهم كارهون » وقد ورد في الصحيح « عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل » وسيأتي له شاهد من وجه آخر ، ولكن المعنى الاول للآية أقوى . وقد قال وكيع في تفسيره : حدثنا سفیان عن منصور عن مجاهد (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) قال : هو كقول (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وقال أيضا : حدثنا سفیان عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) قال : حين أخذ الميثاق (واليه يرجعون) أي يوم المعاد فيجازي كلا بعمله ، ثم قال تعالى (قل آمنّا بالله وما أنزل علينا) يعني القرآن (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب) أي من الصحف والوحي (والاسباط) وهم بطون بني اسرائيل المتشعبة من أولاد اسرائيل - وهو يعقوب - الاثنى عشر (وما أوتي موسى وعيسى) يعني بذلك التوراة والانجيل (والنبيون من ربهم) وهذا يعم جميع الانبياء جملة (لانفرق بين أحد منهم) يعني بل تؤمن بجميعهم (ونحن له مسلمون) فالؤمنون من هذه الامة يؤمنون بكل نبي أرسل ، وبكل كتاب أنزل ، لا يكفرون بشيء من ذلك بل هم بصدقون بما أنزل من عند الله ، وبكل نبي بعثه الله .

ثم قال تعالى (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) الآية أي من سلك طريقا سوى ما شرعه الله فان يقبل منه (وهو في الآخرة من الخاسرين) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وقال الامام احمد : حدثنا ابو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عباد بن راشد حدثنا الحسن حدثنا ابو هريرة اذ ذاك ونحن بالمدينة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل : هذا يوم الميثاق حين قل (الست بر بكم قالوا بلى) فقال بعضهم طوعا ، وبعضهم كرها . وقال قتادة : المؤمن من أسلم طوعا فنفعه الايمان ، والكافر من أسلم كرها في وقت اليأس فلم ينفعه الاسلام ، قال الله تعالى (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) وقال الشعبي : هو استعاذتهم به عند اضطرابهم كما قال الله تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) وقال الكلبي : طوعا الذي ولد في الاسلام ، وكرها الذين أجبروا على الاسلام ممن يسبى منهم فيجاء به في السلاسل (واليه ترجعون) قرأ بالياء حفص عن عاصم ويعقوب كما قرأ يبعون بالياء ، وقرأ الآخرون بالياء فيها الا ابا عمرو فانه قرأ يبعون بالياء ورجعون بالياء قال : لان الاول خاص والثاني عام ، لان

مرجع جميع الخلق الى الله عز وجل (١)

قوله تعالى ﴿ قل آمنّا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ ذكر المال والاديان واضطراب الناس فيها ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول (آمنّا بالله) الآية قوله تعالى ﴿ ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا

(١) هذا التلميل لتوجيه معنى القراءة وأما اصلها في الرواية المتواترة

« نجي الأعمال يوم القيامة فتجي الصلاة فتقول يا رب أنا الصلاة فيقول إنك على خير، ونجي الصدقة فتقول يا رب أنا الصدقة فيقول إنك على خير، ثم يجي الصيام فيقول يا رب أنا الصيام فيقول إنك على خير، ثم نجي الأعمال، كل ذلك يقول الله إنك على خير، ثم يجي الإسلام فيقول يا رب أنت السلام وأنا الإسلام فيقول الله تعالى إنك على خير بك اليوم آخذ وبك أعطي. قال الله في كتابه (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) تفرد به أحمد قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد: عباد بن راشد ثقة ولكن الحسن لم يسمع من أبي هريرة

كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين (٨٦) أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (٨٧) خلدن فيها، لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون (٨٨) إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا، فإن الله غفور رحيم (٨٩)

قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع البصري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود ابن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رجل من الانصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم فأرسل الى قومه أن سلوا لي رسول الله هل لي من توبة؟ فنزلت (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم - الى قوله - فإن الله غفور رحيم) فأرسل اليه قومه فأسلم، وهكذا رواه النسائي والحاكم وابن حبان من طريق داود بن أبي هند به. وقال الحاكم: صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وقال عبد الرزاق: أنبأنا جعفر بن سليمان حدثنا حميد الاعرج عن مجاهد قال: جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم كفر الحارث فرجع الى قومه فأنزل الله فيه (١) (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم - الى قوله - غفور رحيم) قال: فحملها اليه رجل من قومه فقرأها عليه فقال الحارث: إنك - والله ما علمت - صدوق وان رسول الله لا صدق منك، وإن الله لا صدق الثلاثة قال: فرجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه فقوله تعالى (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات) أي قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول ووضح لهم الأمر ثم ارتدوا الى ظلمة الشرك، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعد ما تبسوا به من العماة؟ ولهذا قال تعالى (والله لا يهدي القوم الظالمين) ثم قال تعالى (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة

عن الإسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة كفاراً منهم الحارث بن سويد الانصاري فنزلت فيهم (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم؟ لفظه استنهام ومعناه جحد أي لا يهدي الله. وقيل: معناه كيف يهديهم الله في الآخرة الى الجنة والثواب (شهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم

(١) في الازهرية
قرآنا

الله والملائكة والناس أجمعين) أي يعلمهم الله ويعلمهم خلقه (خالد بن فيها) أي في اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أي لا يفتقر عنهم العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة ثم قال تعالى (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) وهذا من لطفه وبره ورأفته ورحمته وعاملته على خلقه أن من تاب إليه تاب عليه

إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم ، وأولئك هم الضالون (٩٠) إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدي به ، أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين (٩١)

يقول تعالى متوعداً ومهدداً من كفر بعد إيمانه ثم ازداد كفراً أي استمر عليه إلى الممات وخبراً بأنهم لن تقبل لهم توبة عند الممات (٩١) كما قال تعالى (وليس التوبة الذين يعملون السمات حتى إذا حضر أحدهم الموت) الآية ، ولهذا قال ههنا (لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) أي الخارجون عن المنهج الحق إلى طريق التي . قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس : أن قوماً أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم فذكروا لهم ذلك لرسول الله صلى الله عليه

(١) في الازهرية
مماهم

الظالمين * أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين * خالد بن فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون * وذلك أن الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندب فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ لما كان منه (١) فحمله إليه رجل من قومه وقرأها عليه فقال الحارث : نك - والله فمألمت - لصدوق ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصدق منك ، وإن الله عز وجل لاصدق الثلاثة فرجع الحارث إلى المدينة وأسلم وحسن إسلامه

(١) الظاهر أن يقول
منهم

قوله عز وجل ﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً﴾ قل قتادة والحسن : نزلت في اليهود كفروا بميسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم ، ثم ازدادوا كفراً بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن . وقال أبو الدالية : نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد إيمانهم بنعمته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفراً يعني ذنوباً في حال كفرهم . قال مجاهد : نزلت في جميع الكفار أشركوا بعد إقرارهم بأن الله خالقهم (ثم ازدادوا كفراً) أي أقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه . قال الحسن : (ثم ازدادوا كفراً) كلها نزلت آية كفروا بها فازدادوا كفراً وقيل : (ثم ازدادوا كفراً) بقولهم نترص بمحمد ريب المنون . قال السكبي : نزلت في أحد عشر من أصحاب الحارث بن سويد لما رجع الحارث إلى الإسلام أقاموا هم على الكفر بمكة وقالوا : نقيم

وسلم فنزلت هذه الآية (ان كفرو بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ان تقبل توبتهم) هكذا رواه
واسناده جيد . ثم قال تعالى (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من ائحدهم ملء الارض
ذهبا ولو افندي به) أي من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبدا ولو كان قد أنفق ملء الارض
ذهبا فيما يراه قربة كما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن جدعان وكان يقرى الضيف
ويطعم العاني ويطعم الطعام : هل ينفعه ذلك ؟ فقال « لا ، انه لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لي
خطيئتي يوم الدين » وكذلك لو افندي بملء الارض أيضا ذهبا ما قبل منه كما قال تعالى (ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة) وقال (لا يبيع فيه ولا خلال) وقال (ان الذين كفروا لو أن لهم ما في
الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) ولهذا قال
تعالى ههنا (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من ائحدهم ملء الارض ذهبا ولو افندي
به) فمطف ولو افندي به على الاول فدل على انه غيره ، وما ذكرناه أحسن من أن يقال ان الوار
زئدة والله أعلم . ويقتضي ذلك أن لا ينفعه من عذاب الله شيء ، ولو كان قد أنفق مثل الارض
ذهبا ولو افندي نفسه من الله بملء الارض ذهبا بوزن جبالها وتلالها وبراها ورمالها وسهائها ووعرها
وبرها وبحرها . وقال الامام احمد : حدثنا حجاج حدثني شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن
مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك
ما على الارض من شيء أ كنت مفنديا به ؟ قال : فيقول نعم ، فيقول الله قد أردت منك أهون من
ذلك قد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت الا أن تشرك » وهكذا
أخرجه البخاري ومسلم (طريق أخرى) وقال الامام احمد : حدثنا روح حدثنا حماد عن ثابت
عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له يا ابن آدم
كيف وجدت منزلتك ؟ فيقول : أي رب خير منزل ، فيقول : سل وتمن ، فيقول : ما أسأل ولا أتمنى الا
أن تردني الى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر موار ، لما يرى من فضل الشهادة . ويؤتى بالرجل من
على الكفر ما بدا لنا فمى أردنا الرجعة نزل فينا ما نزل في الحارث لما افتتح رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة فمن دخل منهم في الاسلام قبلت توبته . ونزل فيمن مات منهم كافرا (ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار) الآية . فان قيل قد وعد الله قبول توبة من تاب فما معنى قوله (ان تقبل توبتهم
وأولئك هم الضالون) قيل : ان تقبل توبتهم اذا رجعوا في حال المعايضة كما قال (وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذ حضر احدهم الموت قال إني تبت الآن) وقيل : هذا في أصحاب
الحارث بن سويد حيث أعرضوا عن الاسلام وقالوا : نترص بمحمد ريب المؤمن فان ساعده الزمان
نرجع الى دينه (ان تقبل توبتهم) لن يقبل ذلك منهم لانهم متربصون غير محققين (وأولئك هم الضالون)
قوله عز وجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من ائحدهم ملء الارض) أي قدر
ما يملأ الارض من شرقها الى غربها (ذهبا) نصب على التفسير كقولهم عشرون درهما (ولو افندي

أهل النار فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلتك ؟ فيقول : يا رب شر منزل فيقول له أنفتدي مني بطلاع الارض ذهبا ؟ فيقول أي رب نعم فيقول : كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيرد الى النار ، ولهذا قال (أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) أي وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله ولا يجيرهم من أليم عقابه

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم (٨٢)

روى وكيع في تفسيره عن شريك عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون (لن تنالوا البر) قال : الجنة . وقال الامام احمد : حدثنا روح حدثنا مالك عن أبي اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة سمع انس بن مالك يقول : كان أبو طلحة أكثر الانصار (١) بالمدينة مالا ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس : فلما نزلت (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قال أبو طلحة : يا رسول الله ان الله يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وان أحب أموالي إلي بيرحاء وانها صدقة لله أرجو بها برها وذخرها عند الله تعالى فضعتها يا رسول الله حيث أراك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك

(١) في الازهرية :
أنصاري

به ﴿ قيل معناه لو افتدى به والوارث زائدة مقحمة ﴾ أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ﴿ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليجي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أخبرنا شعبة عن أبي عمران قال سمعت أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله لأهل النار عذابا يوم القيامة أرايت لو أن لك مافي الارض جميعا من شيء أكنت تفدي به ؟ فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من ذلك (١) وانت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت أن لا تشرك بي »

(٢) في الهذلية
ونسختنا هذا

قوله تعالى ﴿ ان تنالوا البر ﴾ يعني الجنة قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقال قتائل بن حيان التقوى وقيل الطاعة وقيل الخير وقال الحسن ان تكونوا أبرارا أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحبري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن حماد الصالح قال أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا »

قوله تعالى ﴿ حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ أي من أحب أموالكم إليكم روي الضحاك عن ابن عباس أن المراد منه أداء الزكاة وقال مجاهد والسكبي هذه الآية نذرتها آية الزكاة وقال الحسن كل انفاق ينفق به المسلم وجه الله حتى الثمرة ينال به هذا البر وقال عطاء ان تنالوا البر أي شرف الدين والتقوى حتى تصدقوا وانتم أصحاب أشحاء . أخبرنا أبو الحسن المرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق

مال رابع ذاك مال رايح ، وقد سمعت ، وانا ارى ان تجعلها في الاقربين » فقال ابو طلحة : افعل
يارسول الله فقسّمها ابو طلحة في اقاربه وبني عمه ، اخرجاه . وفي الصحيحين ان عمر قال : يارسول
الله لم اصب مالا قط هو أنفس عندي من سهمي الذي هو بخير فما تأمرني به ؟ قال : « حبس الاصل
وسبل الثمرة » وقال الحافظ ابو بكر البزار : حدثنا ابو الخطاب زباد بن يحيى الحساني

حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي عمرو بن حماد

عن حمزة بن عبد الله بن عمر قال : قال عبد الله : حضرني هذه

الآية (ان تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فذكرت

ما أعطاني الله فلم أجد شيئا أحب إلي من جارية لي

رومية فقلت : هي حرة لوجه الله فلو اني

أعود في شيء جعلته لله لنسكنها

يعني تزوجتها

الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة انه سمع أنس بن مالك يقول
كان أبو طلحة الانصاري أكثر الانصار بالمدينة مالا وكان أحب ماله اليه يبرحاء وكانت مسنقة المسجد
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت هذه الآية
(ان تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قم أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول
الله ان الله تعالى يقول في كتابه (ان تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وان أحب اموالي إلي يبرحاء
وانها صدقة ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « بخ ذلك مال رايح ذلك مال رايح » (١) وقد سمعت ما قلت فيها واني ارى أن تجعلها في
الاقربين فقال أبو طلحة أفعل يارسول الله فقسّمها أبو طلحة في اقاربه وبني عمه ، وروى عن مجاهد

قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنهم الى أبي موسى الاشعري أن يبتاع له جارية

من سبي جلولاء يوم فتحت فدعا بها فاعجبته فقال عمر ان الله عز وجل

يقول (ان تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فاعقها عمر ، وعن

حمزة بن عبد الله بن عمر قال خطرت على قلب عبد الله بن عمر

هذه الآية (ان تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قال ابن عمر

فذكرت ما أعطاني الله عز وجل فما كان شيء أعجب إلي

من فلانة ، هي حرة لوجه الله تعالى ، قال ولولا اني لا

أعود في شيء جعلته لله لنسكنها (و) انفقوا من

شيء فان الله به عليم أي

يعلمه ويجازي به

(١) وفي نسخة رايح
من الریح وهو رواية
وفي الهندية رايح وقد
ذكرها العيني .

والرواية الاولى اسم
الفاعل من الرواح
ووردت بالهمزة على
القياس وبالياء على
غير القياس وهما مع
رواية رايح في
البخاري

كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن أنزل التوراة، قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صدقين (٩٣) فمن افتري على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون (٩٤) قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين (٩٥)

قال الامام احمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر قال : قال ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : حدثنا عن خلال نسألك عنهم لا يعلمون الا نبي ، قال « سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئاً فمرفتموه لتتأبني على الاسلام » قالوا : فذلك لك ، قالوا : أخبرنا عن أربع خلال ، أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه ؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل ؟ وكيف يكون الذكر منه والانتى ؟ وأخبرنا بهذا النبي الامي في النوم ومن وليه من الملائكة ؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتأبونه فقال « أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون إن إسرائيل مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر الله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرم من أحب الطعام والشراب اليه (١) وكان أحب الطعام اليه لحم الابل ، وحب الشراب اليه ألبانها » فقالوا : اللهم نعم فقال « اللهم اشهد عليهم » وقال « أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ ، وماء المرأة أصفر رقيق ، فأيهما علا كان له الولد والشبه باذن الله إن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكراً باذن الله ، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى باذن الله » قالوا : نعم قال « اللهم

(١) فيه تقديم وتأخير في الازهرية

قوله تعالى ﴿ كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ﴾ سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا يأكل لحوم الابل والبانها وانت تأكلها فقلت على ملته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالاً لابراهيم عليه السلام فقالوا كل ما حرمه اليوم كان ذلك حراماً على نوح وابراهيم حتى انتهى البناء فانزل الله تعالى هذه الآية (كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل) بربد سوى الميتة والدم فانه لم يكن حلالاً قط (إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) وهو يعقوب عليه السلام (من قبل أن تنزل التوراة) يعني ليس الامر على ما قالوا من حرمة لحوم الابل والبانها على ابراهيم بل كان الكل حلالاً له ولبني إسرائيل وإنما حرمها إسرائيل على نفسه قبل نزول التوراة يعني ليست في التوراة حرمتها واختلفوا في الطعام الذي حرمه يعقوب على نفسه وفي سببه قال أبو العالية وعطاء ومقاتل والكلبي كان ذلك الطعام لحان الابل وألبانها وروى أن يعقوب مرض مرضاً شديداً فطال سقمه فنذر لئن شفاه الله من سقمه ليحرم من أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الابل وأحب الشراب

(١) في الازهرية

فمندها

اشهد عليهم قال « وأشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعملون ان هذا النبي الامي تنام عيناه ولا ينام قلبه » قالوا : اللهم نعم قال « اللهم اشهد » قال « وان وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه » قالوا : فعند ذلك (١) نفارقك ولو كان وليك غيره لتابعناك ، فعند ذلك قال الله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل) الآية، ورواه احمد أيضا عن حسين بن محمد عن عبد الحميد به

— طريق أخرى — قال احمد : حدثنا ابو احمد الزبير بن جابر عن عبد الله بن الوليد العجلي عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فان أنبأتنا بهم عرفنا أنك نبي واتبعناك فأخذ عليهم مأخذ اسرائيل على بنيه إذ قال (والله على ما نقول وكيل) قال « هاتوا » قالوا : أخبرنا عن علامة النبي ؟ قال « تنام عيناه ولا ينام قلبه » قالوا : أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر قال « يلتقي المآن فاذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت ، واذا علا ماء المرأة أنثت » قالوا أخبرنا ما حرم اسرائيل على نفسه ؟ قال « كان يشكى عرق النساء فلم يجد شيئا يلائمه الا البان كذا وكذا — قال احمد : قل بعضهم يعني الابل — فحرم لحومها قالوا : صدقت قالوا : أخبرنا ما هذا الرعد ؟ قال « ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده — أو في يديه — مخراق من نار يزر به السحاب يسوقه حيث أمره الله عز وجل » قالوا : فما هذا الصوت الذي يسمع ؟ قال « صوته » قالوا : صدقت انما بقيت واحدة وهي التي نتابعك ان أخبرتنا بها : إنه ليس من نبي الا له ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك ؟ قال « جبريل عليه السلام » قالوا : جبريل ذلك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان ، فأنزل الله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) والآية بعدها

اليه ألبانها فحرمها وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك هي العروق وكان السبب في ذلك انه اشكى عرق النساء وكان أصل وجعه فيما روى حبيب عن الضحاك أن يعقوب كان نذر إن وهبه الله اثني عشر ولدا وأتى من بيت المقدس صحيحا أن يذبح آخرهم فتلقيه ملك من الملائكة فقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل لك في الصراع فصارع فلم يصراع واحد منهما صاحبه فغمره الملك غمرة فعرض له عرق النساء من ذلك ثم قال له الملك أما إني لو شئت أن اصروعك لعلت ولكن غمرتك هذه الغمرة لانك كنت نذرت إن أتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمرة من ذلك مخرجا فلما قدمها يعقوب أراد ذبح ولده ونسي ما قل له الملك فأناه الملك وقل انما غمرتك المخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك الى ذلك . وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي أقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه عيصو وكان رجلا بطشا قويا فلقبه ملك فظن يعقوب انه اص فمالحه أن يصراع فغمره الملك فخذ يعقوب ثم صعد الى السماء ويعقوب عليه السلام ينظر اليه فهاج به عرق النساء ولقى من ذلك بلاء وشدة وكان لا ينام بالليل من الوجع وبليت وله زرقاء

وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن الوليد المعجلي به نحوه ، وقال الترمذي حسن غريب . وقال ابن جرير والعمري عن ابن عباس : كان اسرائيل عليه السلام - وهو يعقوب - يعتريه عرق النساء بالليل ، وكان يقلقه ويزعجه عن النوم ، ويقلم الوجع عنه بالنهار ، فنذر الله ابن عاقاه الله لا يأكل عرقا ولا يأكل ولد ماله عرق ، وهكذا قال الضحاك والسدي ، كذا رواه وحكاه ابن جرير في تفسيره قال : فاتبعوه بنوه في تحريم ذلك استئانا به واقتداء بطريقه . قال : وقوله (من قبل أن تنزل التوراة) أي حرم ذلك على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قلت : ولهذا السياق بعد ما تقدم مناسبتان (أحدهما) أن اسرائيل عليه السلام حرم أحب الاشياء اليه وتركها لله ، وكان هذا استئانا في شريعتهم فله مناسبة بعد قوله (ان تناولوا البر حتى تنفقوا مما يحبون) فهذا هو المشروع عندنا ، وهو الانفاق في طاعة الله مما يحبه العبد ويشتهي كما قال تعالى (وآتي المال على حبه) وقال تعالى (وبطعمه من الطعام على حبه) الآية (المناسبة الثانية) لما تقدم بيان (١) الرد على الصارم واعتقاده الباطل في المسيح وتبيين زيف مذهبهم اليه ، وظهور الحق واليقين في عيسى وأمه ، كيف خلقه الله بقدرته ومشيتته ، ونعمته الى بني اسرائيل يدعو الى عبادة ربه تبارك وتعالى ، شرع في الرد على اليهود بقبحهم الله تعالى ، وبيان أن النسخ الذي أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع ، فان الله تعالى قد نص في كتابهم التوراة أن نوحا عليه السلام لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دواب الارض يأكل منها ، ثم بعد هذا حرم اسرائيل على نفسه لحوم (٢) الابل والاشنة فاتبعه بنوه في ذلك ، وجاءت التوراة بتحريم ذلك ، وأشياء أخر زيادة على ذلك ، وكان الله عز وجل قد أذن لآدم في تزويج بناته من بنيه ، وقد حرم ذلك بعد ذلك ، وكان التسري على الزوجة مباحا في شريعة ابراهيم عليه السلام ، وقد فعله ابراهيم في هاجر لما تسرى بها على سارة ، وقد حرم مثل هذا في التوراة عليهم ، وكذلك كان الجسم بين الاختين أي صباح خلف يعقوب لئن شغاه الله أن لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يذبحون العروق يخرجونها من اللحم ، وروي جوير عن الضحاك عن ابن عباس لما أصاب يعقوب عرق النساء وصف له الاطباء أن يجنب لحمان الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقال الحسن حرم اسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبد الله تعالى فسأل ربه أن يجزله ذلك فحرمها الله على ولده ثم اختلفوا في هذا الطعام المحرم على بني اسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا يحرمونه قبل نزولها وقال عطية إنما كان محرما عليهم بتحريم اسرائيل فانه قد قل ان عاقني الله لا آكله ولا يأكله لي ولد ولم يكن محرما عليهم في التوراة وقال الكوفي لم يحرمه الله عليهم في التوراة وإنما حرم عليهم بعد التوراة بظلمهم كما قال الله تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) وقال الله تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) الى أن قل (ذلك جزيناكم بينهم وإنا لصادقون) وكانت بنو اسرائيل اذا أصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا أو صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة

(١) في الازهرية
السياق في

(٢) فيها: لحمان

سائفاً ، وقد فعله يعقوب عليه السلام جمع بين الاختين ، ثم حرم عليهم ذلك في التوراة ، وهذا كله منصوص عليه في التوراة عندهم ، وهذا هو النسخ بعينه . فكذلك فليكن ماشرعه الله للمسيح عليه السلام في إحلاله بعض ما حرم في التوراة فما بالهم لم يتبعوه بل كذبوه وخالفوه ؟ وكذلك ما بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم من الدين القويم والصراط المستقيم ، وملة أبيه إبراهيم ، فما بالهم لا يؤمنون ؟ ولهذا قال تعالى (كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) أي كان حلالاً لهم جميع الأطعمة قبل نزول التوراة إلا ما حرمه إسرائيل ثم قال تعالى (فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) فانها ناطقة بما قلناه (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاوأنك هم الظالمون) أي فمن كذب على الله وادعى أنه شرع لهم السبت واتمسك بالتوراة دائماً ، وأنه لم يبعث نبياً آخر يدعو إلى الله تعالى بالبراهين والحجج بعد هذا الذي بيناه من وقوع النسخ ، ظهور ما ذكرنا (فاوأنك هم الظالمون) ثم قال تعالى (قل صدق الله) أي قل يا محمد صدق الله فيما أخبر به ، وفيما شرعه في القرآن (فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) أي اتبعوا ملة إبراهيم التي شهاها الله في القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فانه الحق الذي لا شك فيه ولا مرية وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم كما قال تعالى (قل أني هداني ربي إلى صراط مستقيم) ديناً قيميا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) وقال تعالى (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)

إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مبركاً وهدى للعالمين (٩٦) فيه آيت بينة

مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ،

ومن كفر فإن الله غني عن العالمين (٩٧)

يخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس أي لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون به ويمسكون بؤذنه (الذي ببكة) يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذي بزعم وانما حرموه على أنفسهم اتباعاً لا بيهم ثم أضافوا تحريمه إلى الله فكذبهم الله عز وجل فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ فأتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ حتى يتبين لكم أنه كما قلت ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ فلم يأتوا فقال الله عز وجل ﴿ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاوأنك هم الظالمون ﴾ قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ وانما دعاهم إلى اتباع ملة إبراهيم لأن في اتباع ملة إبراهيم اتباعه صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك ﴾ سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للمسلمين: بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهر مهاجر الانبياء ، وقال المسلمون بل

كل من طائفتي النصارى واليهود أنهم على دينه ومنهجه ولا يحججون الى البيت الذي بناه عن أمر الله له في ذلك ونادى الناس الى حجه ، ولهذا قال تعالى (مبارك) أي وضع مبارك (وهدى للعالمين) وقد قال الامام احمد : حدثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال « المسجد الحرام » قلت : ثم أي قال « المسجد الأقصى » قلت : كم بينهما ؟ قال « أربعون سنة » قلت : ثم أي قال « ثم حيث أدر كنتك الصلاة فصل فكلاهما مسجد » وأخرجه البخاري ومسلم من حديث الاعمش به . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا سعيد بن سليمان عن شريك عن مجاهد (١) عن الشعبي عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك) قال : كانت البيوت قبله ولكنه (٢) أول بيت وضع لعبادة الله . وحدثنا أبي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن سماك عن خالد بن عرعة قال : قام رجل الى علي رضي الله عنه فقال : ألا تحدثني عن البيت أهو أول بيت وضع في الأرض ؟ قال : لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، وذكر تمام الخبر في كيفية بناء ابراهيم البيت ، وقد ذكرنا ذلك مستقفا في أول سورة البقرة فأغنى عن اعادته هنا . وزعم السدي أنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقا ، والصحيح قول علي رضي الله عنه . فأما الحديث الذي رواه البيهقي في بناء الكعبة في كتابه دلائل النبوة من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا « بعث الله جبريل الى آدم وحواء فأمرهما ببناء الكعبة فبناه آدم ثم أمر بالطواف به وقيل له : أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس » فإنه كما ترى من مفردات ابن لهيعة وهو ضعيف ، والشبه والله أعلم أن يكون هذا موقفا على عبد الله بن عمرو ، ويكون من الزامتين اللتين أصابهما يوم اليوم . وكمن كلام أهل الكتاب وقوله تعالى (للذي ببكة) بكة من أماء مكة على المشهور قيل : سميت بذلك لانما نبتك أعناق الظلمة والجباية بمعنى أنهم يذلون بها ويخضعون عندها وقيل : لان الناس يتباكون فيها أي يزدحمون . قال قتادة : إن الله بك به الناس جميعا فيصلي النساء أمام الرجال ولا يفعل ذلك ببلد غيرها . وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعمر بن شعيب ومقاتل بن حيان . وذكر حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال : مكة من الفج إلى التنعم ، وبكة من البيت إلى البطحاء . وقال شعبة عن المغيرة عن ابراهيم : بكة البيت والمسجد ، وكذا قال الزهري . وقال عكرمة في رواية ميمون بن مهران : البيت وما حوله بكة ، وما وراء ذلك مكة . وقال أبو مالك وأبو صالح وابراهيم النخعي وعطية العوفي ومقاتل بن حيان : بكة موضع البيت ، وما سوى ذلك مكة . وقد ذكروا المسكة أماء كثيرة ، مكة ، وبكة ، والبيت العتيق ، والبيت الحرام ، والبلد الامين ، والمأمون ، وأمرهم (٣) وأم القرى ، وصلاح ، والعرش على الكعبة أفضل فانزل الله تعالى هذه الآية (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك) (وهدى

(١) وفي الازهرية مجاهد وهو الصواب وهو من رجال مسلم ولكن ضعفه الكثيرون (٢) في الازهرية كان

(٢) في الازهرية جم

وزن بدر ، والقادس لانها تطهر من الذنوب ، والمقدسة ، والناسة بالنون وبالباء أيضا ، والناسة والحاطمة ، والرأس ، وكوثاء ، والبلدة ، والبنية ، والكعبة

وقوله تعالى (فيه آيات بينات) أي دلالات ظاهرة انه من بناء ابراهيم ، وإن الله عظمه وشرفه ثم قال تعالى (مقام ابراهيم) يعني الذي لما ارتفع البناء استعان به على رفع القواعد منه والجدران حيث كان يقف عليه ويناوله ولده اسماعيل ، وقد كان ملتصقا بجدار البيت حتى أخره عمر بن الخطاب رضي الله عنه في امارته الى ناحية الشرق بحيث يتمكن الطواف منه ولا يشوشون على المصلين عنده بعد (١) الطواف ، لان الله تعالى قد أمرنا بالصلاة عنده حيث قال (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقد قدمنا الاحاديث في ذلك فأغنى عن اعادته ههنا والله الخد والمنة وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (فيه آيات بينات مقام ابراهيم) أي فمنهم مقام ابراهيم والمشاعر . وقال مجاهد : أثر قدميه في المقام آية بينة ، وكذا روي عن عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان وغيرهم . وقال ابو طالب في قصيدته اللامية المشهورة

وموطى ابراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

وقل ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد وعمرو الاودى قالا : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى (مقام ابراهيم) قال : الحرم كله مقام ابراهيم ، ولفظ عمرو : الحجر كله مقام ابراهيم . وروى عن سعيد بن جبير أنه قال : الحج مقام ابراهيم ، هكذا رأيت في النسخة ولعله الحجر كله مقام ابراهيم . وقد صرح بذلك مجاهد وقوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) يعني حرم مكة اذا دخله الخائف يأمن من كل سوء ، وكذلك كان الامر في حال الجاهلية كما قال الحسن البصري وغيره : كان الرجل يقتل فيضع في عنقه صوفة ويدخل الحرم فيلقاه ابن

للمالين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وليس شيء من هذه الفضائل لبيت المقدس واختلف العلماء في قوله تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذي) فقال بعضهم هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بألفي عام وكان زبدة يبضاء على الماء فدحبت الارض من تحته ، هذا قول عبد الله بن عمر ومجاهد وقتادة والسدي ، وقال بعضهم هو أول بيت بني في الارض ، روي عن علي بن الحسين ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور فأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الارض أن يبنوا في الارض بيتا على مثاله وقدره فبنوه واسمه الضراح وأمر من في الارض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وروى أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفي عام فكانوا يحجونه فلما حججه آدم قالت له الملائكة : برحمتك يا آدم ، حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وبروي عن ابن عباس انه قال اراد به انه أول بيت بناه آدم في الارض وقيل هو أول بيت مبارك وضع للناس يعبد الله فيه وبحج اليه وقيل هو أول بيت جعل قبلة للناس وقال الحسن والسكبي معناه ان أول مسجد ومتعبد وضع للناس بروي ذلك عن

(١) فيه تقديم وتأخير في الازهرية

رواه الحسن (١)

رواه الحسن (٢)

المقتول فلا يهيج حتى يخرج . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى التميمي عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) قال : من عاذ بالبيت أعاده البيت ، ولكن لا يؤوى ولا يطعم ولا يستقي فإذا خرج أخذ بذنبه . وقال الله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) الآية . وقال تعالى (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وحتى إنه من جملة تحريمها حرمة اصطيداد صيدها وتذخيرها عن أوكارها ، وحرمة قطع شجرها وقلع حشيشها ، كما ثبتت الأحاديث والآثار في ذلك عن جماعة من الصحابة مرفوعا وموقوفا . ففي الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا » وقال يوم فتح مكة « إن هذا البلد حرمة الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا في ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا بعرض شوكة ، ولا ينفر صيده ، ولا تلتقط لفطته إلا من عرفها ، ولا يحتل خلاها » فقال العباس : يا رسول الله إلا الأذخر فإنه لقينهم وإيوئهم فقال « إلا الأذخر » ولهما عن أبي هريرة مثله أو نحوه ولهما واللفظ لمسلم أيضا عن أبي شريح العدوي أنه قال : لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة أثبت لي أيها الأمير أن أحدك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به : أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال « إن مكة حرمتها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسلم بها دما ، أو يعرض بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له إن الله أذن لنبيه ولم يأذن لسكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب » فقبل لابي شريح ما قال لك عمرو ؟ قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم

علي بن أبي طالب قال الضحاك أول بيت وضع فيه البركة وقيل أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه كما قال الله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع) يعني المساجد أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن إسحاق عن ابن أبي عمير أخبرنا (١) عبد الواحد أنا الأعمش أخبرنا إبراهيم بن يزيد التميمي عن أبيه قال سمعت أباذر يقول : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا ؟ قال « المسجد الحرام » قلت ثم أي ؟ قال « المسجد الأقصى » قلت كم كان بينهما ؟ قال « أربعون سنة » ثم قال إنما أدركنك الصلاة بعد فصل فإن الفضل فيه قوله تعالى (للذي ببكة) قال جماعة هي مكة نفسها وهو قول الضحاك والعرب تعاقب بين الباء والميم فتقول سيد رأسه رسمده وضربة لازب ولازم وقال الآخرون : بككة موضع البيت في مكة ومكة اسم البلد كله وقيل بككة موضع البيت والمعطاف سميت بككة لأن الناس يتباكون فيها أي يزدهون بك بعضهم بعضا ويمر (٢) بمضهم بين يدي بعض وقال عبد الله بن الزبير سميت بككة لأنها بك أعناق الجبابرة أي تلدتها فلم يقصدها جبار بصو إلا قصده الله وأما مكة سميت

(١) في نسخة موسى بن اسماعيل أنا

(٢) في نسخة : يصلي

لا يميذ عاصيا ولا قارا بدم ولا قارا بخزبة . وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يحل لاحد أن يحمل السلاح بمكة » رواه مسلم . وعن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بالحزورة (١) بسوق بمكة يقول « والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله الى الله ، ولولا إني أخرجت منك ماخرجت » رواه الامام احمد وهذا لفظه والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وكذا صحيح من حديث ابن عباس نحوه . وروى احمد عن أبي هريرة نحوه . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا بشر بن آدم ابن بنت أزهر السمان حدثنا بشر بن عاصم عن زريق بن مسلم الاعشى مولى بني مخزوم حدثني زياد بن أبي عياش عن يحيى بن جعدة بن هبيرة في قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) قال : آمنا من النار ، وفي معنى هذا القول الحديث الذي رواه البيهقي . أخبرنا أبو الحسن علي بن احمد بن عبدان حدثنا احمد بن عبيد حدثنا محمد بن سليمان بن الواسطي حدثنا سعيد بن سليمان بذلك لقلة ماؤها من قول العرب مك الفصل ضرع امه وامتكه اذا امتص كل ما فيه من اللبن وتدعى أم رحم لان الرحمة تنزل بها (باركا) نصب على الحال أي ذابركة (وهدي للمؤمنين) لانه قبلة للمؤمنين (فيه آيات بينات) قرأ ابن عباس آية بينة على الوجدان وأراد مقام ابراهيم وحده وقرأ الآخرون آيات بينات بالجمع فذكر منها مقام ابراهيم وهو الحجر الذي قام عليه ابراهيم وكان أثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي ومن تلك الآيات في البيت الحجر الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها وقيل مقام ابراهيم جميع الحرم . ومن الآيات في البيت أن الطير تطير فلا تعلق فوقه وان الجارحة اذا قصدت صيدا فاذا دخل الصيد الحرم كفت عنه وانه بلد صدق اليه الانبياء والمرسلون والاولياء ولا يبرار وان الطاعة والصدقة فيها تضاعف بمائة الف ، أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليجي أنا أبو محمد بن الحسن ابن احمد التلمذي أخبرنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج أخبرنا أبو مصعب احمد بن أبي بكر الزهري أنا مالك بن أنس عن زيد بن رباح أخبرنا عبد الله بن عبد الله الاغر عن أبي عبد الله الاعشى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » قوله عز وجل (ومن دخله كان آمنا) من أن يهاج فيه وذلك بدعاء ابراهيم عليه السلام حيث قال رب اجعل هذا بلدا آمنا ، وكانت العرب في الجاهلية يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم أمن من القتل والغارة وهو المراد من الآية على قول الحسن وقتادة واكثر المفسرين ، قال الله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حوله) وقيل المراد به أن من دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمنا كما قال الله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وقيل هو خبر بمعنى الامر بتقديره ومن دخله فأمناه كقوله تعالى (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) أي لا ترفثوا ولا تفسقوا حتى ذهب بعض أهل العلم الى أن من وجب عليه قتل قصاصا أو حدا فالنجأ الى الحرم فلا يستوفى منه فيه ولكنه لا يطعم

حدثنا ابن المؤمل عن ابن محيصن عن عطاء عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دخل البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة وخرج مغفورا له » ثم قال : تفرد به عبد الله بن المؤمل وليس بالقوي . وقوله (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » هذه آية وجوب الحج عند الجمهور . وقيل : بل هي قوله (وآموا الحج والعمرة لله) والاول أظهر . وقد وردت الاحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الاسلام ودعائمه وقواعده ، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعا ضروريا ، وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والاجماع . قال الامام احمد رحمه الله : حدثنا يزيد بن هارون حدثنا الربيع بن مسلم القرشي عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال رجل أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » ثم قال « ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » ورواه مسلم عن زهير بن حرب عن يزيد بن هارون به نحوه . وقد روى مسفيان بن حسين وسليمان بن كثير وعبد الجليل بن حميد ومحمد بن أبي حفصة عن الزهري عن أبي سنان الدؤلي واسمه يزيد بن أبة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج » فقام الاقرع بن حابس فقال : يارسول الله أفى كل عام ؟ فقال « لو قمتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولن (١) تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » ورواه احمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، والحاكم من حديث الزهري به ، ورواه شريك عن ممالك عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه . وروي من حديث أسامة بن زيد

(١) في الازهرية: ولم

ولا يبايع ولا يشاري حتي يخرج منه فيقتل قاله ابن عباس وبه قال أبو حنيفة وذهب قوم الى أن القتل الواجب بالشرع يستوفى فيه أما اذا ارتكب الجريمة في الحرم فيستوفى فيه عقوته بالاتفاق وقيل معناه ومن دخله معظما له متقربا الى الله عز وجل كان آمنا يوم القيامة من العذاب

قوله عز وجل ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ﴾ أي والله فرض واجب على الناس حج البيت قرأ أبو جعفر وحمة والكسائي وحفص حج البيت بكسر الحاء في هذا الحرف خاصة وقرأ الآخرون بفتح الحاء وهي لغة أهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان ومعناها واحد والحج أحد أركان الاسلام ، أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليجي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أنا عبد الله بن موسى أنا حفظة بن أبي سفيان عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بني الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله ، أن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » قال أهل العلم ولو وجب الحج خمس شرائط الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة فلا يجب على

وقال الامام احمد : حدثنا منصور بن وردان عن عبد الاعلى بن عبد الاعلى عن أبيه عن أبي البختري عن علي رضي الله عنه قال : لما نزلت (والله على الناصر حج البيت من استطاع اليه سبيلا) قالوا يا رسول الله في كل عام ؟ فسكت قالوا يا رسول الله في كل عام ؟ قال « لا ولو نلت نعم لوجبت » فأنزل الله تعالى (بأيتها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم) وكذا رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث منصور بن وردان به ثم قال الترمذي حسن غريب ، وفما قال نظر لان البخاري قال : لم يسمع أبو البختري من علي . وقال ابن ماجه : حدثنا محمد بن عبد الله ابن غير حدثنا محمد بن أبي عبيدة عن أبيه عن الاعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك قال : قالوا يا رسول الله : الحج في كل عام ؟ قال « لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لم تقوموا بها ولو لم تقوموا بها لمسنبتهم » . وفي الصحيحين من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر عن سراقه بن مالك قال : يا رسول الله متعتنا هذه لعامنا هذا أم لا بد ؟ قال « لا » . بل لا بد « وفي رواية « بل لا بد الا بد »

وفي مسند الامام احمد وسنن أبي داود من حديث واقد بن أبي واقد الليثي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه في حجته هذه « ثم ظهور الحصر - يعني ثم الزمن ظهور الحصر - ولا تخرجن من البيوت » وأما الاستطاعة فأقسام تارة يكون الشخص مستطيعا بنفسه وتارة بغيره كما هو مقرر في كتب الاحكام . قال أبو عيسى الترمذي : حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابراهيم بن يزيد قال : سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث عن ابن عمر رضي الله عنهما قل : قام رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من الحاج يا رسول الله ؟ قال « الشعث الثفل » فقام آخر فقال : أي الحج أفضل يا رسول الله ؟ قال « العج والثج » فقام آخر فقال : ما السبيل يا رسول الله ؟ قال « الزاد والراحلة » وهكذا رواه ابن ماجه من حديث ابراهيم بن يزيد وهو الجوزي . قل

الكافر ولا على المجنون ولو حججا بأنفسهما لا يصح لان الكافر ليس من أهل القرية ولا حكم لفعل المجنون ولا يجب على الصبي ولا على العبد ولو حجج صبي يعقل أو عبد يصح حجهما تطوعا ولكن لا يسقط به فرض الاسلام عنهما فلو بالغ الصبي أو اعتق العبد بعد ما حج واجتمع في حقه شرائط وجوب الحج عليه أن يحج ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى (من استطاع اليه سبيلا) غير أنه لو تكلف فحج يسقط عنه فرض الاسلام . والاستطاعة نوعان أحدهما أن يكون قادرا مستطيعا بنفسه والآخر أن يكون مستطيعا بغيره أما الاستطاعة بنفسه فان يكون قادرا بنفسه على الذهاب ووجدان الزاد والراحلة أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب حدثنا عبد العزيز بن احمد الخلال حدثنا أبو العباس الاصم أخبرنا الربيع بن سلمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم عن ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد بن جعفر قال قدمنا الى عبد الله بن عمر ، فسمعته يقول : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الحاج ؟ قال : الشعث الثفل فقام رجل آخر فقال يا رسول الله أي الحج أفضل ؟ قال « العج والثج » فقام آخر فقال يا رسول الله ما السبيل ؟ قال « زاد وراحلة » وتفصيله أن يجد راحلة تصلح مثله ووجد

الترمذي : ولا يرفعه الا من حديثه . وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه كذا قال ههنا وقال في كتاب الحج : هذا حديث حسن لا يشك ان هذا الاسناد رجاله كلهم ثقات سوى الجوزي هذا وقد تكلموا فيه من أجل هذا الحديث لكن قد تابعه غيره فقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامري حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي عن محمد بن عباد بن جعفر قال : جلست الى عبد الله بن عمر قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » وهكذا رواه ابن مردويه من رواية محمد بن عبد الله بن عبيد ابن عمير به ، ثم قال ابن أبي حاتم : وقد روي عن ابن عباس وأنس والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد ابن جبير والربيع بن أنس وقنادة نحو ذلك . وقد روى هذا الحديث من طرق أخرى من حديث أنس وعبد الله بن عباس وابن مسعود وعائشة كلها مرفوعة ، ولكن في أسانيدنا مقل كما هو مقرري كتاب الاحكام والله أعلم . وقد اعتنى الحافظ أبو بكر بن مردويه بجمع طرق هذا الحديث ، ورواه الحاكم من حديث قتادة عن حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قول الله عز وجل (من استطاع اليه سبيلا) فقيل ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » ثم قال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال ابن جرير : حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) فقالوا : يا رسول الله ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » ورواه وكيع في تفسيره عن سفيان عن يونس به . وقال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن اسماعيل وهو أبو اسراييل الملائي عن فضيل يعني ابن عمرو عن شعيب بن جبيرة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعجلوا الى الحج - يعني الفريضة - فان أحدكم لا يدري ما يعرض له » . وقال احمد أيضا : حدثنا أبو معاوية

الزاد للذهاب والرجوع فاضلا عن نفقة عياله ومن تلزمه نفقتهم وكسوتهم لذهابهم ورجوعهم عن دين يكون عليه ووجد رقة يخرجون في وقت جرت عادة أهل بلده بالخروج في ذلك الوقت فان خرجوا قبله أو أخرؤا الخروج الى وقت لا يصلون الا أن يقطعوا كل يوم أكثر من مرحلة لا يلزمهم الخروج في ذلك الوقت وبشروط أن يكون الطريق آمنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو من رصدي (١) يطلب شيئا لا يلزمه وبشروط أن تكون المنازل المرورة (٢) معمورة بمجد فيها الزاد والماء فان كان زمان جدوبة تفرق أهلها أو غارت مياهها فلا يلزمه الحج ولو لم يجد الراحلة لكنه قادر على المشي أو لم يجد الزاد ولكن يمكنه أن يكتسب في الطريق لا يلزمه الحج ويستحب لو فعل وعند مالك يلزمه وأما الاستطاعة بالغير فهي أن يكون عاجزا بنفسه بأن كان زمنا أو به مرض غير مرجو الزوال لكن له مال يمكنه ان يستأجر به من يحج عنه يجب عليه ان يستأجر أو لم يكن له مال بل بذل له ولده أو اجنبي الطاعة في ان يحج عنه يلزمه ان يأمره اذا كان يعتمد صدقه لان وجوب الحج بتعاق بالاستطاعة ويقال في العرف لان يستطيع لبناء دار وان كان لا يفعله بنفسه وإنما يفعله بماله وبأعوانه وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل

(١) في استئجارنا

أو من يصده

(٢) فيها المأهولة

حدثنا الحسن بن عمرو القعقي عن مهران بن أبي صفوان عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أراد الجنة فليتجمل » ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي معاوية الضرير به . وقد روى وكيع (١) وابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى (من استطاع إليه سبيلا) قال : من ملك ثلثمائة درهم فقد استطاع إليه سبيلا . وعن عكرمة موله أنه قال : السبيل الصحة . وروى وكيع بن الجراح عن أبي جناب يعني الكلبي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قل : (من استطاع إليه سبيلا) قال : قال الزاد والبعير . وقوله تعالى (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : أي ومن جحد فريضة الحج أقصد كفر والله غني عنه . وقال سعيد بن منصور عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن عكرمة قل : لما نزلت (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) قالت اليهود : فنحن مسلمون قال الله عز وجل فإخضهم فنجهم يعني فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله فرض على الناس (٢) حج البيت من استطاع إليه سبيلا » فقالوا : لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا قال الله تعالى (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه . وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود حدثنا مسلم بن إبراهيم وشاذ بن فياض قال : حدثنا هلال أبو هاشم الخراساني حدثنا أبو اسحق الهمداني عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ملك زادا وراحلة ولم يحج بيت الله فلا يضرمه مات يهوديا أو نصرانيا وذلك بأن الله قال (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) ورواه ابن جرير من حديث مسلم بن إبراهيم به ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي زرعة الرازي حدثنا هلال بن الفياض حدثنا هلال أبو هاشم الخراساني فذكره بإسناده مثله ، ورواه الترمذي عن محمد بن علي (٣) لقطعي عن مسلم بن إبراهيم عن هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي به وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وفي إسناده مقال ، وهلال مجهول ، والحارث بضعف في الحديث . وقال البخاري : هلال هذا منكر الحديث . وقال ابن عدي : هذا الحديث ليس بمحفوظ . وقد روى أبو بكر الإسماعيلي

الطاعة وعند مالك لا يجب على المعضوب في المال وحجة من أوجبه ما أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عباس أنه قال كان الفضل ابن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر فقالت يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال « نعم » قوله تعالى (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) قال ابن عباس والحسن وعطاء جحد فرض الحج وقال مجاهد من كفر بالله واليوم الآخر وقال سعيد بن المسيب نزلت في اليهود حيث فلولوا الحج إلى مكة غير واجب وقال السدي هو من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به ، أخبرنا

(١) سقطت من
الازهرية

(٢) فيها : المسلمين

(٣) فيها يحيي

(١) في الازهرية
غنيمة

الحافظ من حديث أبي عمرو الاوزاعي حدثني اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر حدثني عبد الرحمن ابن غنيم (١) أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديا أو نصرانيا، وهذا اسناد صحيح الى عمر رضي الله عنه. وروى سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجلا الى هذه الامصار فينظروا الى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية مام بمسلمين مام بمسلمين

قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيت الله والله شهيد على ما تعملون (٩) قل يا اهل

الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء؟ وما الله بغافل

عما تعملون (٩٩)

هذا تعنيف من الله تعالى للكفرة أهل الكتاب على عنادهم للحق وكفرهم بآيات الله وصددهم عن سبيل الله من أراد من أهل الايمان بجهنم وطقتهم مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله وبما عندهم من العلم عن الانبياء الاقدمين والسادة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما بشروا به ونوهوا به من ذكر النبي الامي الهاشمي العربي المكي سيد ولد آدم، وخاتم الانبياء، ورسول رب الارض والسما، وقد توعد الله على ذلك، وأخبر بأنه شهيد على صنيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الانبياء، ومعاملاتهم الرسول المبشر به بالتكذيب والجحود والعناد، فأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون أي وسيجزئهم على ذلك (يوم لا ينفع مال ولا بنون)

يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم

أبو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحق الثعلبي اخبرنا ابو الحسن الكلواني اخبرنا ابو بكر محمد ابن عمرو اخبرنا سهيل بن عمارة اخبرنا يزيد بن هارون اخبرنا شريك عن ليث عن عبد الرحمن ابن سابط عن ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «من لم تحبسه حاجة ظاهرة او مرض حابس او سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء الله يهوديا او نصرانيا»

قوله تعالى ﴿قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون﴾ قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله ﴿أي لم تصرفون عن دين الله﴾ من آمن تبغونها ﴿تطلبونها﴾ عوجا ﴿زبعا وميلا﴾ أي لم تصدون عن سبيل الله باغين لها عوجا قال أبو عبيدة: الدوج بالكسر في الدين والقول والعمل والعوج بالفتح في الجدار وكل شخص قائم ﴿وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون﴾ ان في التوراة مكتوبا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب﴾ قال زيد بن أسلم مرثاس بن قيس اليهودي - وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين - على نفر من الاوس

كافرين (١٠٠) وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم (١٠١)

يحذر تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يطيعوا طائفة من أهل الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وما منحهم من ارسال رسوله كما قال تعالى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم) الآية ، وهكذا قال ههنا (إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) ثم قال تعالى (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) يعني أن الكفر بعيد منكم وحاشاكم منه فإن آيات الله تنزل على رسوله ليلا ونهارا وهو ينزلوها عليكم ويبايعها اليكم ، وهذا كقوله تعالى (وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لنؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم أن كنتم مؤمنين) الآية بعدها . وكما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قل لأصحابه يوما «أي المؤمنين أعجب إليكم إيمانا» ؟ قالوا : الملائكة قال «وكيف لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم» ؟ قالوا : فنحن قال «وكيف لا تؤمنون وأنا

والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون ففاظه مارأى ألفتهم وصلاح دات بينهم في الاسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال قد اجتمع ملا بنى قبيلة بهذه البلاد لا والله مالنا معهم اذا اجتمعوا بها من قرار فأمر شابا من اليهود كان معه فقال احمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا يقولوا فيه من الاشعار وكان بعث يوما اقتتل فيه الاوس مع الخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل وتكلم فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا ونفخروا حتى تواب رجلان من الحيين على الركب اوس بن قبطي أحد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتنازلا ثم قال أحدهما لصاحبه ان شئتم والله رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح ، موعدهم الظاهر وهي الحرة فخرجوا جميعا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال صلى الله عليه وسلم «بامعشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية وألف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا، الله الله» فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم نالوا السلاح من ايديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فانزل الله تعالى هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يفتي شماها واصحابه) يردوكم بعد إيمانكم كافرين قال جابر فإ رأيت قط يوما أقبح أولا ولا أحسن آخرامن ذلك اليوم ثم قال الله تعالى على وجه التعجب (وكيف تكفرون) يعني ولم تكفرون ؟ (أنتم تتلى عليكم آيات الله) القرآن (وفيكم رسوله) محمد صلى الله عليه وسلم قال قتادة في هذه الآية علمان يبينان كفاية

بين أظهركم » قالوا : فأبي الناس أعجب إيماناً ؟ قال « قوم يجيئون من بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها » وقد ذكرت سند هذا الحديث والكلام عليه في أول شرح البخاري والله الحمد . ثم قال تعالى (ومن يمتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) أي ومع هذا فلا اعتصام بالله والتوكل عليه هو العدة في الهداية ، والعدة في ماعدة النواية ، والوسيلة إلى الرشاد ، وطريق السداد وحصول المراد

يأبىها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وאתم مسلمون (١٠٢) واعتصموا

بجبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم

فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم

آيته لعلكم تهتدون (١٠٣)

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن سفيان وشعبة عن زيد اليامي عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود (اتقوا الله حق تقاته) قال : أن بطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر ، وهذا إسناد صحيح موقوف ، وقد تابع مرة عليه عمرو بن ميمون عن ابن مسعود ، وقد رواه ابن مردويه من حديث يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن سفيان الثوري عن زيد عن مرة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الله حق تقاته

الله ونبي الله ، أما نبي الله فقد مضى ، وأما كتاب الله فقد ابقاه بين أظهركم رحمة من الله ونعمة أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو الفضل الحسن بن يعقوب بن يوسف العدل أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب العبدي أنا أبو جعفر بن عوف أخبرنا أبو حيان يحيى بن سعيد بن حيان عن يزيد بن حبان قال سمعت زيد بن أرقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال « راهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي »

قوله تعالى « ومن يمتصم بالله » أي يمتنع بالله ويستمسك بدنه وطاعته « فقد هدي إلى صراط مستقيم » طريق واضح وقال ابن جرير ومن يمتصم بالله أي يؤمن بالله وأصل العصمة المنع فكل مانع شين فهو عاصم له قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » قال مقاتل بن حبان كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فاصلح بينهم فافتخر بعده منهم رجلان ثعلبة بن غنم من الاوس وأصعد بن زرارة من الخزرج فقل لاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن ابلح حمي لدبر ومنا سعد بن معاذ

أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى » وكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث مسعر عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود مرفوعا فذكره ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه كذا قال . والظاهر أنه موقوف والله أعلم . ثم قال ابن أبي حاتم : ورؤي نحوه عن مرة الهمداني والربيع بن خيثم وعمر بن ميمون وإبراهيم النخعي وطاوس والحسن وقادة وأبي سنان والسدي نحوه ذلك . وروى عن أنس أنه قال : لا ينقي الله العبد حق تقاته حتى يخرن لسانه . وقد ذهب سعيد بن جبير وأبو العالية والربيع بن أنس وقادة ومقاتل بن حبان وزيد بن أسلم والسدي وغيرهم الى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) قال : لم تنسخ ولكن (حق تقاته) أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم ، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وأبنائهم وأبنائهم وقوله (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) أي حافظوا على الاسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه فان الكريم قد أجرى عادته بكرمه انه من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بعث عليه فعياذا بالله من خلاف ذلك

وقال الامام احمد : حدثنا روح حدثنا شعبة قال سمعت سليمان عن مجاهد : إن الناس كانوا يطوفون بالبيت وان ابن عباس جالس معه محجن فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » ولو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على أهل الدنيا معاشهم (١) فكيف بمن ليس له طمام الا الزقوم » وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من طرق عن شعبة به وقال الترمذي : حسن صحيح . وقال الحاكم : على شرط الشيخين ولم يخرجاه

(١) في الازهرية :
لأمرت على أهل
الارض عيشتهم

الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بنى قريظة ، وقال الخزرجي منا أربعة أحكموا القرآن ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومناسد بن عباد خطيب الانصار ورئيسهم فخرى الحديث بينهما ففضبا وانشدا الاشعار وتفاخرا ، فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فأنابهم النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال عبد الله بن مسعود وان عباس هو أن يطاع فلا يعصى ، وقال مجاهد أن يجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا بالله بالقسط ولو على أنفسكم وأبنائكم وأبنائكم ، وعن أنس أنه قال : لا ينقي الله عبد حق تقاته حتى يخرن لسانه ، قال أهل التفسير لما نزلت هذه الآية شق ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فانزل الله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) فتمت هذه الآية ، وقال مقاتل ليس في آل عمران من المنسوخ الا هذه الآية (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) أي مؤمنون وقبل مخلصون مفوضون امورك الى الله عز وجل ، وقال الفضيل محسنون الظن بالله ، اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا أبو بكر العبدوني اخبرنا أبو بكر بن محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد

وقال الامام احمد : حدثنا وكيع حدثنا الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب
الكعبة عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يزحزح عن
النار ويدخل الجنة فلتدركه ميتة وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وبأنى الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه »
وقال الامام احمد أيضا : حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث « لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن
بالله عز وجل » ورواه مسلم من طريق الاعمش به

وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يونس عن أبي هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله قال أنا عند ظن عبدي بي ، فإن ظن بي خيرا فله ،
وان ظن بي شرا فله » وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله أنا عند ظن عبدي بي »

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الملك القرشي حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت
وأحسبه عن أنس قال : كان رجل من الانصار مريضا فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فوافقه
في السوق فسلم عليه فقال له « كيف أنت يا فلان » ؟ قال : بخير يا رسول الله أرجو الله وأخاف ذنوبي
فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو
وأمنه مما يخاف » ثم قل لا تعلم رواه عن ثابت غير جعفر بن سليمان ، وهكذا رواه الترمذي والنسائي
وابن ماجه من حديثه ثم قال الترمذي غريب . وكذا رواه بعضهم عن ثابت مرسل . فأما الحديث
الذي رواه الامام احمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن
حكيم بن حزام قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أفر الا قائما ، ورواه النسائي في
صننه عن اسماعيل بن مسعود عن خالد بن الحارث عن شعبة به وترجم عليه فقال : (باب كيف
يخرج للرجوع) ثم ساقه مثله فقل معناه أن لا أموت الا مسلما ، وقيل : معناه أن لا أقتل الا مقبلا غير
مدبر وهو يرجع الى الاول

وقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) قيل (بحبل الله) أي بهد الله كما قال في
الآية بعدها (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس) أي بهد وذمة

أخبرنا سليمان بن يوسف أخبرنا وهب بن جرير أنا شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو أن
قطرة من الزقوم قطرت على الارض لامت على أهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامه وليس له طعام غيره »
قوله عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعا) الحبل السبب الذي يتوصل به الى البقية وسمي
الايمن حبل لأنه سبب يتوصل به الى زوال الخوف واختلوا في معناه ههنا قال ابن عباس معناه تسكوا
بهدين الله وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانما حبل الله الذي أمر به وأن ما نكرهون

وقيل (بحبل من الله) يعني القرآن كما في حديث الحارث الاعور عن علي مرفوعا في صفة القرآن « هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم »

وقد ورد في ذلك حديث خاص بهذا المعنى فقال الامام الحافظ أبو جعفر الطبري : حدثنا سعيد بن يحيى الاموي حدثنا اسباط بن محمد عن عبد الملك بن (١) سليمان العزمي عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء الى الارض » وروى ابن مردويه من طريق ابراهيم بن مسلم الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا القرآن هو حبل الله المتين ، وهو النور المبين ، وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه » وروى من حديث حذيفة وزيد ابن أرقم نحو ذلك . وقال وكيع حدثنا الاعمش عن أبي وائل قال : قال عبد الله : إن هذا الصراط مختصر يحضره الشياطين : يا عبد الله هذا الطريق ، هلم الى الطريق فاعنصموا بحبل الله فان حبل الله القرآن وقوله (ولا تفرقوا) أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة . وقد وردت الاحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والامر بالاجتماع والائتلاف كما في صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يرضى لكم ثلاثا ، ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعنصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثا : قيل رقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ ، كما وردت بذلك الاحاديث المتعددة أيضا . وخيف عليهم الاقتراق والاختلاف فقد وقع ذلك في هذه الامة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة ، منها فرقة ناجية الى الجنة ومسلية من عذاب النار ، وهم الذين على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقوله تعالى (واذكروا نعم الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) الى

في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة وقال مجاهد وعطاء بهد الله وقال قتادة والسدي هو القرآن وروى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين ، الشفاء النافع ، وعصمة الله لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه » وقال مقاتل بن حبان بحبل الله أي بأمر الله وطاعته ﴿ ولا تفرقوا ﴾ كما فترقت اليهود والنصارى ، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله يرضي لكم ثلاثا (١) يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعنصموا بحبل الله جميعا وأن تناصحوا من ولي الله أمركم ويسخط لكم ثلاثا قبل وقل وإضاعة المال وكثرة السؤال »

قوله تعالى ﴿ واذكروا نعم الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ﴾ قول محمد بن اسحق ابن يسار وغيره من أهل الاخبار كانت الاوص والحزرج أخوين لآب وأم فوقعت بينهما عداوة

(١) في الازهرية
أبي سليمان

(١) في نسخة
ويسخط لكم ثلاثا
فرضي لكم

آخر الآية . وهذا السياق في شأن الاوس والخزرج ، فانه قد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية ، وعداوة شديدة ، وضغائن واحن وذحول ، طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم ، فلما جاء الله بالاسلام فدخل بسبب قتل قتل بينهم (١) فتطارت تلك العداوة والحرب بينهم عشر بن وسنة سنة الى ان اطفأ الله عز وجل ذلك بالاسلام وألف بينهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، كان سبب الفتنهم أن سويد بن الصامت أخا بني عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه السكامل لجلده ونسبه قدم مكة حاجا أو معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأمر بالدعوة فتصدى له حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل وإلى الاسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «وما الذي معك؟» فقال محلة لهما يعني حكمته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «اعرضها علي» فعرضها فقال «ان هذا كلام حسن ومضى أفضل من هذا» قرآن انزله الله علي نورا وهدى «فتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه ولم ينفر وسر بذلك وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج قبل يوم بعث فان قومه ليقولون انه قد قتل وهو مسلم ثم قدم أبو الجيسر أنس بن رافع ومعه فئة من بني الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتبسون الحلف من قريش على قوم من الخزرج فبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاها فجلس اليهم وقال «هل لكم الى خير مما جئتم له» قالوا وما ذلك قال «انا رسول الله بعثني الى العباد أدعوهم الى أن لا يشركوا بالله شيئا وانزل الله على الكتاب» ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا: أي قوم هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الجيسر حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلمعمرى لقد جئنا لغير هذا، فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعث بين الاوس والخزرج ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي عند العقبة رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث وهو ابن عفرأ ورافع بن مالك العجلاني وعتبة بن عامر بن حديد وعقبة بن عامر بن برداني وجابر بن عبد الله فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «انتم؟» قالوا نعم من الخزرج قال «من موالي يهود؟» قالوا نعم قال «أفلا تجلسون حتى اكلمكم؟» قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قالوا وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام ان يهود كانوا معهم يلازمهم وكانوا اهل كتاب وعلم وهم كانوا اهل أوثان وشرك وكانوا اذا كان منهم شيء قالوا ان نبيا الا ان مبعوث قد أظلم زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبي الذي نؤعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فأحابه وصدقوه وأسلموا وقالوا إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرا ما بينهم وعسى الله أن يجمعهم بك وسبقهم عليهم فندعوهم الى امرك فان جمعهم الله عليك فلا

فيه من دخل منهم صاروا إخوانا متحابين بجلال الله ، متواصلين في ذات الله ، متعاونين على البر والتقوى قال الله تعالى (هو الذي أيدك بنصره و بالمؤمنين و ألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم و لمكن الله ألف بينهم) الى آخر الآية و كانوا على شفا حفرة من النار سبب رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم قد آمنوا به صلى الله عليه وسلم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل أتى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة و عوف و معاذ ابنا عفراء و رافع بن مالك العجلاني و ذكوان بن عبد القيس و عبادة بن الصامت و يزيد بن ابلية و عباس ابن عبادة و عقبة بن عامر و قطبة بن عامر و هؤلاء خزرجيون و أبو الهيثم بن التيهان و عويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالبيعة و هي بيعة العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء (على أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزناوا) الى آخر الآية فان وقيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيئا من ذلك فأخذتم بجمده في الدنيا فهو كفارة له وان ستر عليكم فامركم الى الله ان شاء عذبكم و إن شاء غفر لكم قال و ذلك قبل أن يفرض عليهم الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف و أمره أن يقرئهم القرآن و يعلمهم الاسلام و يفقههم في الدين و كان مصعب يسمى بالمدينة المقريء و كان منزله على أسعد بن زرارة ثم ان أسعد ابن زرارة خرج بمصعب فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر فجلسا في الحائط واجتمع اليهم رجال من اسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين الذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان أسعد بن زرارة بن خالتي و لولا ذلك لكفيتك و كان سعد بن معاذ و اسيد ابن حضير سيدي قومهما من بني عبد الاشهل و هما مشركان فأخذ اسيد بن حضير حربته ثم أقبل الى مصعب و أسعد و هما جالسان في الحائط فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا والله سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب: ان يجلس اكلمه قال فوقف عليهما منشما فقل ما جاء بكما اليما تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلا ان كانت لكما في أنفسكما حاجة . فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته و ان كرهته كف عنك ماتكرو ؟ قال انصفت ، ثم ركز حربته و جالس اليهما ، فكلمه مصعب بالاسلام و قرأ عليه القرآن فقالا والله اعرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه و تسهيله ثم قال ما أحسن هذا و أجمله ! كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالوا له : نغتسل و تطهر نوبك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين ، فقام و اغتسل و طهر ثوبه و شهد شهادة الحق ثم قام و ركع ركعتين ثم قال لهما : إن وراثتي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه و سأرسله اليكما الا كن وهو سعد بن معاذ ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد و قومه و هم جلوس في ناديتهم فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا قال : أحلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب من عندهم فلما وقف على

كفرهم فأقدمهم الله منها أن هدام للإيمان . وقدامتهم عليهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قسم غنائم حنين فعتب من عتب منهم بما فضل عليهم في القسمة بما أراه الله لخطيئتهم فقال « يا معشر الانصار ألم أجدكم ضالافهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ؟ » فكلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمن . وقد ذكر محمد بن اسحق ابن يسار وغيره : ان هذه الآية نزلت في شأن النادي قال : قال له سعد ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا : فاقبل ما أحببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى أسعد ابن زرارة ليقنلوه ، وذلك أنهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مضياً مبادراً للذي ذكره له من بني حارثة فأخذ الحربة ثم قال : والله ما أراك اغنيت شيئاً فلما رأاهما مع اثنين عرف ان اسيدا إنما اراد أن يسمع منهما فوقف عليهما فمشيا ثم قال لاسعد بن زرارة : لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذانمني ، نفسانا في دارنا بما نكره وقد قل أسعد لمصعب : جاءك والله سيد قومه ان تملك لم يخلفك منهم احد فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته ، وان كرهته عزلنا عنك ما نكره ، قل سعد : انصفت ثم ركز الحربة فجلس ، فعرض عليه الاسلام ، وقرأ عليه القرآن قال : فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم في إشراقه ونسبه ثم قال لها : كيف تصنعون إذا انتم اسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالوا له : تغسل وتطهر تؤبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه ثم تشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم اخذ حربته فأقبل عامداً الى نادي قومه ومعه أشيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وفضلنا رأيا واغنا نقيية قال : فان كلام رجالكم ونساءكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قل : فما امسى في الدار لبني عبد الاشهل رجل ولا امرأة لا مسلم أو مسلمة ورجع اسعد بن زرارة ومصعب الى منزل اسعد بن زرارة فأقام عنده يدعون الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بني امية بن زيد وحطمة ووائل وواقف ، وذلك انه كان فيهم ابو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه وبطيونته فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، ومضى بدر وأحد والخذق قالوا : ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار من المسلمين سبعون رجلاً مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة فوعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من اوسط ايام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية . قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك : فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حزام ابو جابر اخبرناه وكنا نكتم عن معنا من المشركين من قومنا امرنا فكلما ناه وقلنا له يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون خطيباً للنار غداً ودعواناه الى الاسلام فأسلم واخبرناه بجميع ما دبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا

الاروس والخزرج . وذلك ان رجلا من اليهود مرمي بلاء من الاوس والخزرج فساء ما م عليه من الاتفاق والالفة فبعث رجلا معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكر لهم ما كان من حروبهم يودعنا وتلك الحروب ففعل فلم يزل العقبه ، وكان نقيبا فبقينا تلك الليلة مع قومنا في رحلنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ندمل مستخفين تسال القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب بن عماره احدى نساء بني النجار واسماء بنت عمرو بن عدي ام منيع احدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب فنظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلسنا كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يا معشر الخزرج وكانت العرب انما يسمون هذا الحي من الانصار خزرجا وأوسها إن محمدا صلى الله عليه وسلم منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا ، وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وأنه قد أتى الا الانقطاع اليكم والحق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه اليه ومانعوه ممن خالفه فأتهم وما نحماتهم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه ببد الخرج اليكم فن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة . قال : فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت ، قال : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله تعالى ورغب في الاسلام ثم قال « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبنائكم » قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما تمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابر عن كابر ، قال : فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبالا - يعني اليهود - وأنا قاطعوها فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « لا ، بل الابد الابد و لدم لدم والهدم الهدم ، أنتم مني وأنا منكم ، أحارب من حاربهم وأسلم من سلمهم » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا كعلاء على قومهم بما فيهم ككذبة الخواريين لعيسى بن مريم » فأخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس

قال عاصم بن عمرو بن قتادة : إن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عباد بن فضالة الانصاري : يا معشر الخزرج هل تدرون علام تباعون هذا الرجل انكم تباعون على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون أنكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فن الآن ؟ فهو والله إن فاتهم خزي في الدنيا والآخرة ، وان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه اليه على هلك الاموال وقتل الاشرف فخذوه فهو والله خير في الدنيا والآخرة . قالوا : فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشرف قالوا : فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفيما؟ قال

ذلك دأبه حتى هبت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض وثاروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا الى الحرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتام فجعل يسكنهم ويقول «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟» وتلا عليهم هذه الآية فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضي الله عنهم . وذكر عكرمة : ان ذلك نزل فيهم حين تثاروا في قضية الافك والله أعلم

«الجنة» قالوا : أبسط يدك فبسط يده فبايعوه ، وأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت ماسمعه قط : يا أهل الجباحب هل لكم في مذمم والصباة قد اجتمعوا على حربكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذا عدو الله هذا أرب العقبة اسمع أي عدو الله أما والله لا فرغن لك» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أرفضوا (١) الى رحالكم» فقال العباس بن عباد بن فضالة : والذي بعك بالحق اني

(١) في نسختنا

اركضوا

شدت ليمبلن غدا على أهل منى بأسيا فانا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لم تؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم» قال : فرجعنا الى مضاجعنا فتمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا في منازلنا فقالوا : يا معشر الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، فانه والله ما حي من العرب أبغض الينا أن ينشب الحرب بيننا وبينهم منكم ، قال : فانهت من هنالك من مشركي قوتنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شي . وما علمناه وصدقوا لم يعلموا ، وبعضنا ينظر الى بعض ، وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة الخزرجي وعليه ثعلان جديدان قال : فقلت له كلمه كآني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال : فسمعتها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما الي فقال : والله لنتعلمهما ، قال : يقول أو جابر رضي الله عنه مه والله لقد أحفظت العتي فأردد اليه نعليه قال : لأأردها قل : والله يا أبا صالح (٢) والله اني صدق الغال لاسلبيه قال : ثم

(٢) في الهديّة:

أغضبت صالح

انصرف الأنصار الى المدينة وقد شددوا العقد فلما قدموها أظهرها الاسلام بها ، وبلغ ذلك قريشا فأذكوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه «إن الله تعالى قد جعل لكم اخوانا وداراً تأمنون فيها» فأمرهم بالهجرة الى المدينة والحق باخوانهم من الأنصار ، فأول من هاجر الى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد الخزرجي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة ، فجمع الله أهل المدينة أوسها وخزرجها بالاسلام وأصاح ذات بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يامعشر الأنصار (إذ كنتم أعداء) قبل الاسلام (فأنف بين قلوبكم) بالاسلام (فأصبحتم) أي فصرتم (برحمته وبدينه الاسلام) (إخوانا) في الدين والولاية بينكم (وكنتم) يامعشر الأوس والخزرج (على شفا حفرة من النار) أي على طرف حفرة مثل شفا البئر ، معناه وكنتم على طرف حفرة من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على كفركم (فأنقذكم) الله

ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ،
وأولئك هم المفلحون (١٠٤) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينة ،
وأولئك لهم عذاب عظيم (١٠٥) يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت
وجوههم : أ كفرتم بعد إيمانكم ؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (١٠٦) وأما الذين
ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خلدون (١٠٧) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ،
وما الله يريد ظلماً للعلمين (١٠٨) ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور (١٠٩)
يقول تعالى وتكون منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير وإدراك المعروف والنهي
عن المنكر وأولئك هم المفلحون قال الضحك : هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين
والعلماء . وقال أبو جعفر الباقر : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وتكون منكم أمة يدعون إلى
الخير) ثم قال « الخير اتباع القرآن وسنتي » روى ابن مردويه . والمقصود من هذه الآية أن تكون
فرقة من هذه الأمة مصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد فرد من الأمة بحسبه كما
ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكراً
فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » وفي رواية
« وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »

وقال الامام احمد : حدثنا سليمان الهاشمي انبأنا اسماعيل بن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو
عن عبد الله بن عبد الرحمن الاشعري عن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ولذي
نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولنهون عن المنكر أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عمالاً من عنده ثم
لتنذعن فلا يستجيب لكم » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمرو بن أبي عمرو به ، وقال
(منها) بالإيمان (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » وتكون منكم أمة) أي وتكونوا
أمة ومن صلة ليست للنبيع (١) كقوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) لم يرد اجتناب بعض
الأوثان بل أراد فاجتنبوا الأوثان واللام في قوله وتكون لام الأمر (يدعون إلى الخير) إلى الاسلام

(١) الصواب ما قاله ابن كثير وذلك ان هذا العمل لا يتم الا بالتعاون ولذلك كانت الحكومات الاسلاميه
تملك امر الحسبه إلى طائفة من اهل العلم والتقوى كما تفعل الحكومات المدنية اليوم بتوظيف الشحنة
(البوليس) وتعلمهم تعالماً خاصاً وقد شرط العلم في الخسب وكل من يأمر بالمعروف شرطاً معروفة .
وما قوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) فمن فيه لبيان الرجس لانه مبهم أي الرجس الذي هو الأوثان

الترمذي : حسن . والاحاديث في هذا الباب كثيرة مع الآيات الكريمة كما سيأتي تفسيرها في أما كتبها . ثم قال تعالى (ولا تكونوا كالذين فرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) الآية نهى تبارك وتعالى هذه الامة أن يكونوا كالامم الماضية في افتراقهم واختلافهم وتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم

قال الامام احمد : حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثني أزهر بن عبد الله الهروي عن أبي عامر عبد الله بن يحيى قال : حججنا مع معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا مكة قام حين صلى صلاة الظهر فقل : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أهل الكتابين افتروا في دينهم على اثنين

﴿ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ خبرنا اسماعيل بن عبد القاهر قال أنا

عبد الغافر بن محمد قال أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم ابن الحجاج حدثنا أبو بكر محمد بن أبي شيبه أخبرنا وكيع عن سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق ابن شهاب قال : قال أبو سعيد رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فليسهه ، فإن لم يستطع فليقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى قال أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمرو الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميني أخبرنا علي بن حجر أخبرنا اسماعيل بن جعفر أنا عمرو ابن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشجلى عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم

لئذ عنه فلا يستجاب لكم » أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد ابن محمد بن محمش الزبدي أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أن علي بن الحسين الدرهمي أخبرنا أبو النعمان أخبرنا عبد العزيز بن مسلم المفسر (١) « اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول : أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا

عليكم أنفسكم لا تضركم من ضل إذا اعتدبنهم) وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه (٢) » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمرو بن حفص ابن عياث أخبرنا أبي أنا الاعمش حدثني الشعبي أنه سمع النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول : قال

النبي صلى الله عليه « مثل المداهن في حدود الله تعالى ولواقع فيها كمثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها فكان الذي في أسفلها يمر بالماء على الذين في أعلاها فنادوا به فآخذ فأسا فجعل يقر أسفل السفينة فأتوه فقاوا مالك ؟ قال : تأذبن بي ولا بد لي من الماء فان أخذوا على يديه أتجوه وأنجوا أنفسهم ون تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم »

قوله تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين فرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ﴾ قال أكثر المفسرين

«١» في نسخة محمد التسملي

«٢» في نسخة بعدا به

وسبعين ملة ، وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الاهواء - كلها في النار الا واحدة - وهي الجماعة - وانه سيخرج في آتي اقسام تتجاسى بهم الاهواء كما يتجاسى الكلاب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله » والله يامعشر العرب انتم لم تقوموا بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم لنيركم من الناس اخرى أن لا يقوم به ، وهكذا رواه أبو داود عن احمد بن حنبل ومحمد بن يحيى كلاهما عن أبي المغيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج الشامي به ، وقد ورد (١) هذا الحديث من طرق وقوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعني يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة قاله ابن عباس رضي الله عنهما (فأما الذين اسودت هم اليهود والنصارى وقال بعضهم المبتدعة من هذه الامة وقال أبو امامة رضي الله عنه هم الحارورية بالشام قال عبد الله بن شداد وقف أبو امامة وأنا معه على رأس الحارورية بالشام فقال لهم كلاب النار كانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم ثم قرأ (ولا تكونوا كالذين تفرقوا ففرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) لي قوله تعالى (أكفرتم بعد ايمانكم) أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسن ابن بشران أخبرنا اسماعيل بن محمد الصفار حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عيد الرزاق أخبرنا معمر عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الزبير أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من سره أن يسكن بحبوحه الجنة فعليه بالجماعة فان الشيطان مع الفرد (١) وهو من الاثنين أبعد »

« ١ » في نسخة

قوله تعالى ﴿ وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴿ يوم نصب على الظرف الواحد على التشبيه بالمفعول رب بد تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه المحلصين وتسود وجوه المنافقين وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ هذه الآية قال تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس إذا كان يوم القيامة رفع لكل قوم ما كانوا يعملون فيسمى كل قوم إلى ما كانوا يعملون وهو قوله تعالى ﴿ نوله ماتولى ﴾ فإذا انتهوا إليه حزنا فاسود وجوههم من الحزن وبقي أهل القبلة واليهود والنصارى ﴿ لم يعرفوا شيئا مما وقع لهم فيأتيهم الله فيسجد له من كان يسجد في الدنيا مطيعا ومؤمنا وبقي أهل الكتاب والمنافقون لا يستطيعون السجود ثم يؤذن لهم فيرفعون رؤسهم ووجوه المؤمنين مثل النجم بياضا والمنافقون وأهل الكتاب إذا نظروا إلى وجوه المؤمنين حزنا شديدا فاسودت وجوههم فيقبلون ربنا مالنا مسودة وجوهنا فوالله ما كنا مشركين فيقول الله الملائكة انظروا كيف كذبوا على أنفسهم قال أهل المعاني بياض الوجوه اشراقها واستبشارها وسرورها بملها وبشواب الله واسودادها حزنها وكآبتها وكسوفها بملها وبذاب الله يدل عليه قوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ﴾ وقال تعالى ﴿ الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ﴾ قال (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ، وجوه يومئذ باسرة) وقال (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة

﴿٢﴾ يعني الذين
بلغتهم دعوة الاسلام
على وحيهم اولم يؤمنوا
والذين غير واو بدلوا
من قبله

وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم) قال الحسن البصري : وهم المنافقون (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) وهذا الوصف يسم كل كافر (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) يعني الجنة ما كانوا فيها أبدا لا ينفون عنها حولا . وقد قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية : حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن الربيع بن صبيح وحجاج بن سلمة عن أبي غالب قال : رأى أبو أمامة رؤسا منصوبة على درج مسجد دمشق فقل أبو أمامة : كلاب النار شر قلى نحت أديم السماء خير قلى من قتلوه ثم قرأ (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) الى آخر الآية قلت : لاني أمامة أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أربعا - حتى عد سبعا - ما حدثتكموه ، ثم قال هذا حديث حسن ، وقد رواه ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن أبي غالب ، وأخرجه احمد في مسنده عن عبد الرزاق بن معمر عن أبي غالب بنحوه

وقد روى ابن مردويه عند تفسير هذه الآية عن أبي ذر حديثا مطولا غريبا عجيبا جدا . ثم قال تعالى (تلك آيات الله تتلوهما عليك) أي هذه آيات الله وحججه وبناته تتلوهما عليك يا محمد

ووجوه يومئذ عابها غيرة) (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم) معناه يقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) فان قيل كيف قال : أكفرتم بعد إيمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين ؟ قيل حكى عن أبي بن كعب انه قال أراد به الايمان يوم الميثاق حين قال لهم ربهم ألسنت بر بكم قالوا بلى) يقول أكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق وقال الحسن هم المنافقون تكلموا بالايان بالسنتهم وانكروا بقلوبهم وقال عكرمة أنهم أهل الكتاب آمنوا بانبيائهم وبمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به ، وقال قوم هم من أهل قلدنا وقال أبو أمامة الخارج وقال قتادة هم أهل البدع ، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا سعيد بن أبي مريم عن نافع بن عمر حدثني ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني على الخوض حتى أنظر من برد علي منكم وسؤخذنا من دوني فأقول يارب مني ومن أمي ، فيقال هل شعرت بما عملوا بعدك ؟ فوالله ما بدحو ا يرجعون على أعقابهم » وقال الحارث الاعور سمعت عليا رضي الله عنه على المنبر يقول : ان الرجل ليخرج من أهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستحب به الجنة وان الرجل ليخرج من أهله فما يؤل اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) الآية ثم نادى الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقى أخبرنا أبو الحسن الطوسي عن أبي أنس عبد الله ابن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن الكشي عن أبي أنس علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا » قوله تعالى (وأما الذين ابيضت وجوههم) هؤلاء أهل الطاعة (ففي رحمة الله) ففي جنة الله

«١» في الازهرية :
الحكم

(بالحق) أي نكشف ما لامر عليه في الدنيا والآخرة (وما الله يريد ظلما للعالمين) أي ليس نظام لهم بل هو الحاكم (١) العدل الذي لا يجوز ، لانه القادر على كل شيء ، العالم بكل شيء ، فلا يحتاج مع ذلك الى أن يظلم أحدا من خلقه ، ولهذا قال تعالى (والله ما في السموات وما في الارض) أي الجميع ملك له وعبيد له (وإلى الله ترجع الامور) أي هو الحاكم المنصرف في الدنيا والآخرة

كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون (١١٠) لن يضروكم الا أذى ، وإن يقتلوكم يولوكم الدبار ثم لا ينصرون (١١١) ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (١١٢)

«٢» في الازهرية
زوج درة الخ

يخبر تعالى عن هذه الامة المحمدية بأنهم خير الامم فقال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال البخاري : حدثنا محمد بن يوسف عن سفيان بن ميسرة عن ابي حازم عن ابي هريرة رضي الله عنه (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال : خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام ، وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطية العوفي وعكرمة وعطاء والربيع بن أنس (كنتم خير أمة أخرجت للناس) يعني خير الناس للناس . والمعنى أنهم خير الامم وأنفع الناس للناس ، ولهذا قال (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) قال الامام احمد : حدثنا احمد بن عبد الملك حدثنا شريك عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن درة (٢) بنت ابي لمب قالت : قام رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وه على المنبر فقال يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال « خير الناس أقرامهم وأنقاهم لله وأمرهم بالمعروف ونهائم عن المنكر وأوصلهم للرحم » ورواه احمد في مسنده والنسائي في سننه والما في مستدرکه من حديث سماك عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس في قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال : هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة . والصحيح ان هذه الآية عامة في جميع الامة كل قرن بحسبه ، وخير قرونهم الذين هم فيها الدون . تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين . والله في السموات وما في الارض وإلى الله ترجع الامور . كنتم خير أمة أخرجت للناس . قل عكرمة ومقاتل نزلات في ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم وذلك أن مالك ابن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالا لهم نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه فانزل

بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، كما قال في الآية الأخرى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) أي خياراً (تكونوا شهداء على الناس) الآية

وفي مسند الإمام أحمد وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه ومستدرک الحاكم من رواية حكيم ابن معاوية بن حيدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل» وهو حديث مشهور ، وقد حسنه الترمذي . وروى من حديث معاذ بن جبل وأبي سعيد نحوه . وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله ، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبي قبله ولا رسول من الرسل . قاله على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه مالا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه كما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا ابن زهير عن عبد الله يعني ابن محمد بن عقيل عن محمد بن علي وهو ابن الحنفية أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطيت مالم يعط أحد من الأنبياء» فقلنا يا رسول الله ما هو ؟ قال «نصرت بالرعب ، وأعطيت مفاتيح الأرض ، وسميت أحمد ، وجعل التراب لي طهوراً ، وجعلت أمتي خير الأمم» تفرد به أحمد من هذا الوجه واسناده حسن

«١» في الأزهري

حليسي

وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا أبو العلاء الحسن بن سوار حدثنا ليث عن معاوية بن أبي حنيفة (١) عن يزيد بن ميسرة قال : سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول : سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم وما سمعته يكنيه قبلها ولا بعدها يقول «إن الله تعالى يقول يا عيسى إني باعث بك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا ، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ، ولا حلم ولا علم قال : يارب كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم ؟ قال : أعطيتهم من حلمي وعلمي»

وقد وردت أحاديث يناسب ذكرها هنا . قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا المسعودي حدثنا بكير بن الأخنس عن رجل عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطيت سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كقمر ليلة البدر ، قلوبهم على قلوب رجل واحد ، فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين الفا» فقل أبو بكر رضي الله عنه : فرأيت أن ذلك آت على أهل القرى ومصيب من حاقت البوادي

حديث آخر ، قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا هشام بن حسان عن القاسم

الله تعالى هذه الآية ، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما (كنتم خير أمة أخرجت للناس) هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقال جويبر عن الضحاك هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم ، وروى عمر بن الخطاب قال (كنتم خير أمة أخرجت للناس) تكون لأهلنا ولا تكون لآخرنا أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجهم أخبرنا شعبة عن أبي حمزة

ابن مهران عن موسى بن عبيد عن ميمون بن هان عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن ربي أعطاني سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب » فقال عمر بن الخطاب « قد استزدته فقال « استزدته فأعطاني مع كل الف سبعين الفا » قال عمر : فهذا استزدته قال « قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين الفا » قال عمر : فهذا استزدته قال « قد استزدته فأعطاني هكذا » وفرج عبد الرحمن بن أبي بكر بن يديه ، وقال عبد الله وبسط باعيه وحنأ (١) عبد الله وقال هاشم : وهذا من الله لا يدري ما عده

(١) في الازهرية

وحي

حديث آخر قال الامام احمد حدثنا ابو اليمان حدثنا اسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة قال قال شريح بن عبيد : مرض ثوبان بحمص وعالها عبد الله بن قرط الازدي فلم يمه فدخل على ثوبان رجل من الكلاءيين عاتدا له فقال له ثوبان : أتكتب ؟ قال : نعم قال : اكتب فكتب للامير عبد الله بن قرط ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد فانه لو كان موسى وعيسى عليهما السلام بحمص لكنت خاتم لعدته ، نعم طوى الكتاب وقال له : ألا تبخله إياه ؟ قال : نعم فانطلق الرجل بكتابه فدفعه الى ابن قرط فلما رآه قام فزعا فقال الناس : ماشأه أحدث أمر ؟ فأتى ثوبان فدخل عليه وجلس عنده ساعة ثم قام فأخذ ثوبان بردائه وقال : اجلس حتى أحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول « ليدخل الجنة من أمتي سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل الف سبعون الفا » تفرد به احمد من هذا الوجه ، واستناد رجاله كلهم ثقات شاميون حمصيون فهو حديث صحيح والله الحمد والمنة

طريق أخرى . قال الطبراني حدثنا عمرو بن اسحق بن زريق الحمصي حدثنا محمد بن اسماعيل يعني ابن عياش حدثني أبي عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي اسماء الرحبي عن ثوبان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن ربي عز وجل وعدني من أمتي سبعين الفا لا يحاسون ، مع كل الف سبعون الفا » هذا لعله هو المحفوظ بزيادة أبي اسماء الرحبي بين شريح وبين ثوبان والله اعلم

حديث آخر . قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن الحسن عن مهران ابن حصين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أ كثرنا الحديث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ثم غدونا اليه فقال « عرضت علي الانبياء الليلة بأسمها ، فجعل النبي عمر ومعه الثلاثة والنبي ومعه العصاة ، والنبي ومعه النفر ، والنبي وليس معه احد ، حتى مر علي موسى عليه السلام ومعه كتيبة قال : سمعت زهدم بن مضرب عن عمر بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير أمتي قني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » قال عمران : لا أدري أذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثا « ثم ان بعدهم قوما يخونون ولا يؤمنون ، وبشبهن ولا يستشعرون وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » وبهذا الاسناد عن علي بن الجهد أخبرنا شعبة وأبو معاوية

من بني اسرائيل فأعجبوني فقلت من هؤلاء ؟ قيل : هذا اخوك موسى ومعه بنو اسرائيل فقلت : فأين أمي ؟ فقيل : انظر عن يمينك فنظرت فاذا الظراب قد سد بوجوه الرجال فقيل لي : أَرْضَيْتِ فقلت : رضيت يارب - قال : - فقيل لي إن مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب « فقال النبي صلى الله عليه وسلم « فداكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفا فافعلوا ، فان قصرتم فكونوا من أهل الظراب ، فان قصرتم فكونوا من أهل الافق فاني قد رأيت ثم أناسا يتهاوشون » فقام عكاشة بن محصن فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم أي من السبعين فداها له ، فقام رجل آخر فقال : ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم فقال « سبقتك بها عكاشة » قال ثم تحدثنا فقلنا من هؤلاء السبعين الالف ، قوم ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله شيئا حتى ماتوا ؟ فباغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال « هم الذين لا يسترقون ، ولا يكترون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » هكذا رواه احمد بهذا السند وهذا السياق ، ورواه أيضا عن عبد الصمد عن هشام عن قتادة بأسناده مثله وزاد به قوله « رضيت يارب رضيت يارب : قال رضيت ؟ قلت : نعم قل : انظر عن يسارك - قال - فنظرت فاذا الافق قد سد بوجوه الرجال فقال : رضيت ؟ قلت : رضيت » وهذا إسناد صحيح من هذا الوجه ، تفرد به احمد ولم يخرجوه

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا احمد بن منيع حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز حدثنا حماد بن عاصم عن زر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « عرضت علي الامم بالموسم فرأيت على أمي ، ثم رأيتهم فأعجبني كثرتهم وهبتهم ، قد ماؤ السهل والجبل فقال ارضيت يا محمد ؟ فقلت : نعم قال : فان مع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال « أنت منهم » فقام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال « سبقتك بها عكاشة » رواه الحافظ الضياء المقدسي وقل : هذا عندي على شرط مسلم

(حديث آخر) قال الطبراني حدثنا محمد بن محمد الجذوعي القاضي حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا محمد بن أبي عدي عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الجنة من أمي سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب » قيل : من هم ؟ قال « هم الذين لا يسترقون ، ولا يكترون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » ورواه مسلم من طريق هشام بن حسان وعنده ذكر عكاشة

(حديث آخر) ثبت في الصحيحين من رواية زهري عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثه عن الأعمش عن ذكوان عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وقال الآخرون : جميع المؤمنين من هذه الامة . بقوله (كنتم) أي أنتم كقوله تعالى (واذا كروا إذ كنتم قوملا) وقوله في

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدخل الجنة من أمتي زمرة وهم سبعون الفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » قال ابو هريرة : فقام عكاشة بن محصن الاسدي يرفع نمرة عليه فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعله منهم » ثم قام رجل من الانصار فقال مثله فقال « سبقك بها عكاشة »

حديث آخر . قال ابو القاسم الطبري حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا ابو غسان عن ابي حازم عن سهل بن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليدخان الجنة من أمتي سبعون الفا — او سبعمائة الف — أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » أخرجه البخاري ومسلم جميعا عن قتيبة عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل به

حديث آخر . قال مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشيم أنانا حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟ قلت أنا ثم قلت أما إني لم أكن في صلاة ولكنني لدغمت قال فما صنعت ؟ قلت استرقيت قال فما حملك على ذلك قلت حديث حدثنا الشعبي قال وما حدثكم الشعبي قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب الاسلمي أنه قال « لارقية الامن عين أو حمة » قال قد احسن من انتهى الى ماسمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عرضت على الامم فرأيت النبي ومعه الزهبط والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه احد ، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم متي ، فقبل لي هذا موسى وقومه ، ولكن انظر الى الافق ، فنظرت فاذا سود عظيم ، فقبل لي : انظر الى الافق الآخر فاذا سواد عظيم فقبل لي هذه أمك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » ثم نهض فدخل منزله فحضر الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فاعلمهم الدين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فاعلمهم الدين ولدوا في الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما الذي نخوضون فيه ؟ » فأخبروه فقال « هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتوون ولا يطعمون ، وعلى ربهم يتوكلون » فقال عكاشة بن محصن فقال ادع الله ان يجعلني منهم قال « انت منهم » ثم قام رجل آخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم قال « سبقك بها عكاشة » وأخرجه البخاري عن اسيد بن زيد عن هشيم ، وليس عنده : لا يرقون

موضع آخر (واذكروا إذ أنتم قليل) وقيل معناه كنتم خير أمة عند الله في الالواح المحفوظ وقال قوم قوله (لناس) صلة قوله (خير أمة) أي أنتم خير الناس للناس . قال ابو هريرة : معناه كنتم خير الناس للناس يجيئون بهم في الاسلام فدخلوهم في الاسلام . قال قتادة : هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمنوا به بالقتال (١) فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في دينهم فهم خير أمة للناس ، وقيل : قوله

(١) لسي قتادة موسى
وداود وسليمان

حديث آخر . قال احمد حدثنا روح بن عبادة حدثنا بن جرير خبرني ابو الزبير انه سمع جابر ابن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثا وفيه « فتنجوا اول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كاضواء نجم في السماء » ثم كذلك وذكر بقيته ، رواه مسلم من حديث روح غير انه لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم

حديث آخر . قال الحافظ ابو بكر بن ابي عاصم في كتاب السنن له حدثنا ابو بكر بن ابي شعبة حدثنا سماعة بن عياش عن محمد بن زياد سمعت ابا امامة الباهلي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وعدني ربي ان يدخل الجنة من أمتي سبعة الف ، مع كل الف سبعون الف لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل » وكذا رواه الطبراني من طريق هشام بن عمار عن اسماعيل بن عياش به ، وهذا إسناد جيد

طريق أخرى عن أبي امامة . قال ابن أبي عاصم حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان ابن عمرو عن سليم بن عامر عن أبي اليمان الهروي واسمه عامر بن عبد الله بن يحيى عن أبي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعة الف بغير حساب » فقال يزيد بن الاخنس : والله ما وثلثك في أمك يا رسول الله الا مثل الدباب الا صهب في ادباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فان الله وعدني سبعة الف ، مع كل الف سبعون الف ، وزادني ثلاث حثيات » وهذا أيضا إسناد حسن

حديث آخر . قال ابو القاسم الطبراني حدثنا احمد بن خليف حدثنا ابو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن يزيد بن سلام انه سمع ابا سلام يقول حدثني عامر بن زيد البكالي انه سمع عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعة الف بغير حساب ، ثم يشفع كل الف لسبعة الف ، ثم يحثي ربي عز وجل بكفيه ثلاث حثيات » فكبر عمر وقال : إن السبعة الف الاول يشفعهم الله في آبائهم وأبنائهم وعشيرتهم وأرجوا أن يجعلني الله في إحدى الحثيات الا و آخر . قال الحافظ الضياء أبو عبد الله المقدسي في كتابه صفة الجنة : لأعلم لهذا الاسناد علة والله أعلم

حديث آخر . قال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام يعني الدسوقي حدثنا يحيى ابن ابي كثير عن هلال بن أبي ميمونة حدثنا عطاء بن يسار أن رقاعة الجهني حدثه قال : أمبلنا مع (للناس) صلة . قوله (أخرجت) معناه ما أخرج الله للناس أمة حيرا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعالبي أنا عبد الله الحسين بن محمد الحافظ أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن حبيب المقرئ أنا علي بن زنجويه أخبرنا سلمة بن شبيب أنا عبد الرزاق أنا معمر عن هز بن حكيم عن أبيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال « إنكم ترون سبعة الف أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل »

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بالكديد — أو قال بتديد — فذكر حديثا وفيه ثم قال «وعندي ربي عز وجل ان يدخل الجنة من أمتي سبعين الفا بغير حساب ، واني أرجو أن لا يدخلوها حتى تبوءوا أنهم ومن صلح من أزواجكم وذريابكم مساكن في الجنة » قال الضياء : وهذا عندي على شرط مسلم حديث آخر . قال عبد الرزاق انبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائه الف » قال ابو بكر رضي الله عنه : زدنا يارسول الله قال « والله هكذا » قال عمر : حسبك يا أبا بكر فقل ابو بكر : دعني وما عليك أن يدخلنا الله الجنة كلنا . قال عمر : إن الله إن شاء (١) أدخل خلقه الجنة بكف واحد فقال النبي صلى الله عليه وسلم « صدق عمر » هذا الحديث بهذا الاسناد تفرد به عبد الرزاق . قال الضياء : وقد رواه الحافظ ابو نعيم الاصبهاني قال : حدثنا محمد بن احمد بن محمد بن مخلد حدثنا ابراهيم بن الهيثم التلميذ حدثنا سليمان بن حرب حدثنا ابو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي مائة الف » فقال ابو بكر يارسول الله زدنا قال « وهكذا » وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك قلت يارسول الله زدنا فقال عمر : إن الله قادر على أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدق عمر » هذا حديث غريب من هذا الوجه ، و ابو هلال اسمه محمد بن سليم الراسبي بصري

طريق أخرى عن أنس . قال الحافظ ابو يعلى حدثنا محمد بن بكير حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي حدثنا حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يدخل الجنة من أمتي سبعون الفا » قالوا : زدنا يارسول الله قال « لكل رجل سبعون الفا » قالوا : زدنا وكان على كتيب فقالوا فقال « هكذا » وحثا يديه قالوا يارسول الله أبعد الله من دخل النار بعد هذا ، وهذا إسناد جيد ، ورجاله كلهم ثقات ، ماعدا عبد القاهر بن السري ، وقد سئل عنه ابن معين ؟ فقال صالح حديث آخر . روى الطبراني من حديث قتادة عن ابي بكر بن عمر عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله وعدني أن يدخل من أمتي ثلثمائة الف الجنة بغير حساب فقال عمير : يارسول الله زدنا فقال وهكذا بيده فقال عمير يارسول الله زدنا فقال عمر : حسبك ان الله إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحفنة واحدة ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم — صدق عمر »

حديث آخر . قال الطبراني حدثنا احمد بن محمد بن خالد حدثنا ابو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن يزيد بن

(١) في نسختنا
ابو جعفر

أخبرنا عبد لواحد بن احمد الملبحي انا معشر (١) بن ابراهيم بن محمد الفيركي أخبرنا ابو عبد الله محمد بن زكريا بن يحيى أخبرنا أبو الصلت أخبرنا حماد بن زيد أخبرنا علي بن زيد عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ألا وإن هذه الامة توفي سبعين أمة هي أخبرها وأكرمها على الله عز وجل »

أخبرنا أبو شعيب الشرمي أنا ابو اسحق الثعلبي أخبرنا ابو عبد الله الحسين بن محمد أنا الفضل

سلام يقول حدثني عبد الله بن عامر أن قيسا الكندي حدثه إن أباسعيد الأماري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن ربي وعندي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين الفا بغير حساب ، وبشفع كل الف سبعين الفا ، ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه » كذا قال قيس فقلت لابي سعيد أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم بأذني ووعاه قلبي . قال ابوسعبد قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم « وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمتي وبني الله بقيته من أعواننا » وقد روى هذا الحديث محمد بن سهل بن عسكر عن أبي نوبة الربيع بن نافع بإسناده مثله وزاد قال ابوسعبد : فحسب ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ اربعمائة الف الف وتسعين الفا حديث آخر . قال ابو القاسم الطبراني حدثنا هشيم بن مرثد الطبراني حدثنا محمد بن اسماعيل ابن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن ابي مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما والذي نفس محمد بيده ليمُنَّ منكم يوم القيامة الى الجنة مثل القليل الاسود زمرة جميعها يحيطون الارض تقول الملائكة لم جاء مع محمد أكثر مما جاء مع الانبياء » وهذا إسناده حسن

« ١ » في الازهرية
نوع آخر

حديث (١) آخر من الاحاديث الدالة على فضيلة هذه الامة وشرفها وكرامتها على الله عز وجل ، وانها خير الامم في الدنيا والاخرة . قال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا ابن جريج أخبرني ابو الزبير أنه سمع جابرا أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إني لأرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة » قال فكبرنا ، ثم قال « أرجو أن يكونوا ثلث الناس » قال : فكبرنا ثم قال — أرجو أن يكونوا الشطر » وهكذا رواه عن روح عن ابن جريج به وهو على شرط مسلم . وثبت في الصحيحين من حديث ابي اسحق السدعي عن عمرو بن ميمون عن عبد الله ابن مسعود قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة » فكبرنا ، ثم قال « أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة » فكبرنا ، ثم قال « إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة »

طريق أخرى عن ابن مسعود . قال الطبراني حدثنا احمد بن القاسم بن مساور حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثني الحارث بن حصين حدثني القاسم بن عبد الرحمن عن ابيه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كف أتم ودمه الجنة لكم واسائر ابن الفضل أخبرنا خليفة الفضل بن الحباب أخبرنا عبد الرحمن بن عيسى ابن المبارك أخبرنا حماد بن يحيى الأشج انا ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره »

أخبرنا ابو سعيد الشريحي انا ابو اسحق الثعلبي انا ابو محمد الخليلي أخبرنا ابو نعيم عبد الملك ابن محمد بن عدي أخبرنا أحمد بن عيسى التميمي أخبرنا عمرو بن أبي سلمة أخبرنا صدقة بن عبد الله عن

الناس ثلاثة اربعها قالوا الله ورسوله أعلم قال « كيف أنتم وثلاثها » قالوا : ذاك أكثر قال « كيف أنتم والشرط لكم » قالوا ذاك أكثر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفا » قال الطبراني : تفرد به الحارث بن حصين

حديث آخر قال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا ضرار بن مرة ابو سنان الشيباني عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « أهل الجنة عشرون ومائة صف ، هذه الامة من ذلك ثمانون صفا » وكذا رواه عن عفان عن عبد العزيز به ، وأخرجه الترمذي من حديث أبي سنان به وقال : هذا حديث حسن ، ورواه ابن ماجه من حديث سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن ابيه به

(حديث آخر) روى الطبراني من حديث سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا خالد بن يزيد البجلي حدثنا سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها من امتي » تفرد به خالد بن يزيد البجلي ، وقد تكلم فيه ابن عدي

(حديث آخر) قال الطبراني حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثنا موسى بن غيلان حدثنا هاشم بن مخلد حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبي عمرو عن ابيه عن أبي هريرة قال : لما نزلت (ثلاثة من الاولين وثلاثة من الآخرة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انتم ربع أهل الجنة ، انتم ثلث أهل الجنة ، انتم نصف أهل الجنة ، انتم ثلثا أهل الجنة »

وقال عبد الرزاق انانا معمر عن ابن طاووس عن ابيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولا الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناهم من بعدهم ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق ، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه الناس لنا فيه تبع غدا لليهود ولغدا نصارى بعد غد » رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن طاووس عن ابيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا بنحوه ، ورواه مسلم أيضا من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة » وذكر تمام الحديث

زهير بن محمد عن عبد الله بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الجنة حُرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها ، وحُرمت على الامم كلهم حتى تدخلها أمتي »

اخبرنا ابو سعيد الشريحي قال اخبرنا ابو اسحق الثعالبي انا ابو عبد الله الحسين بن محمد اخبرنا أبو القاسم عمر بن محمد بن عبد الله بن حاتم الترمذي اخبرنا جدي لاني محمد بن عبد الله بن مزروق انا عفان بن مسلم انا عبد العزيز بن مسلم اخبرنا ابو سنان يعني ضرار بن مرة عن محارب بن دثار

(حديث آخر) روى الدارقطني في الأفراد من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحُرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي» ثم قال انفرد به ابن عقيل عن الزهري، ولم يرو عنه سواه، وتفرّد به زهير بن محمد عن ابن عقيل وتفرّد به عمرو بن أبي سلمة عن زهير. وقد رَواه أبو أحمد بن عدي الحافظ فقال: حدثنا أحمد بن الحسين بن إسحاق حدثنا أبو بكر الأعمش عن محمد بن أبي غياث حدثنا أبو حفص التميمي حدثنا صدقة الدمشقي عن زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري. ورواه الثعالبي حدثنا أبو عباس المجلدي أنبأنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد أنبأنا أحمد بن عيسى التميمي حدثنا عمرو بن سلمة حدثنا صدقة بن عبد الله عن زهير بن محمد بن عقيل به. فهذه الأحاديث في معنى قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) فمن أنصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح (١) كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها رأى من الناس دعة فقراً هذه الآية (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ثم قال من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها، رَوَاهُ ابن جرير. ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) الآية. ولهذا لما مدح تعالى هذه الأمة على هذه الصفات شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم فقال تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) أي بما أنزل على محمد (لكان خيراً لهم، منهم المؤمنون وأكثَرهم الفاسقون) أي قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل إليهم، وأكثَرهم على الضلالة والكفر والفسق والعصيان.

«١» في الأزهريّة :
الثناء عليهم

ثم قال تعالى مخبراً عباده المؤمنين ومبشراً لهم أن النصر والظفر لهم على أهل الكتاب الكفرة الملحدين فقال تعالى (إن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون) هكذا وقع قائم يوم خيبر أذلهم الله وأرغم أنفسهم. وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة كلهم أذلهم الله. وكذلك النصارى بالشام كسهم الصحابة في غيرها موطن وسلبوهم ملك الشام أبداً الأبد بن ودهر الداهرين، ولا تزال عصاة الإسلام قائمة بالشام حتى ينزل عيسى بن مريم وهم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من هذه الأمة»

قوله تعالى (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم، منهم المؤمنون وأكثَرهم الفاسقون) أي الكافرون

قوله تعالى (إن يضروكم إلا أذى) قال مقاتل: إن رؤس اليهود عسَدوا إلى من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فأَذَوْهم فأَنزَلَ اللهُ تعالى هذه الآية (إن يضروكم) أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلا أذى بالأسنان وعيدا وطعنا، وقيل: كلمة كفر تتأذون بها (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار)

كذلك ، ويحجم بآلة الاسلام وشرع محمد عليه فضل الصلاة والسلام فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ولا يقبل الا الاسلام . ثم قال تعالى (ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس) أي الزمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا فلا يؤمنون (الا بحبل من الله) أي بذمة من الله وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم وإلزامهم احكام الملة (وحبل من الناس) أي امان منهم لهم كما في المهادن والمعاهد والاسير اذا امنه واحد من المسلمين ولو امرأة ، وكذا عبد على احد قولي العلماء . قال ابن عباس (لا بحبل من الله وحبل من الناس) أي بعهد من الله وعهد من الناس ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك والحسن وقتة والسدي والربيع بن انس . وقوله (وبأوا بغضب من الله) أي الزموا . فالزموا بغضب من الله وهم يستحقونه (وضربت عليهم المسكنة) أي أزموها قدرا وشرعا ، ولهذا قال (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) أي انما حملهم على ذلك الكبر والبغي والحسد فأعقبهم ذلك الذلة والصغار والمسكنة أبد متصلا بذل الآخرة . ثم قال تعالى (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي انما حملهم على الكفر بآيات الله وقتل رسل الله ، وقيصو لذلك انهم كانوا يكثرون العصيان لاوامر الله ، والغشيان لمعاصي الله . والاعتداء في شرع الله ، فعياذ بالله من ذلك ، والله عز وجل المستعان . قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن سليمان الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر الازدي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كانت بنو اسرائيل تقتل في اليوم ثلثائة نبي ثم يقوم سوق بفاهم في آخر النهار

ليسوا سواء ، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون (١١٣)

يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسرعون في الخيرات

وأولئك من الصالحين (١١٤) وما يفعلوا من خير فان يكفروه والله عليم بالمتقين (١١٥)

ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحب النار هم

فيها خلدون (١١٦) مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيهبصر أصابت حرث

منهمذين (ثم لا ينصرون) بل يخون لكم النصر عليهم (ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا) حيث

ما وجدوا (لا بحبل من الله) يعني أينما وجدوا استضعفوا وقتلوا أو سبوا فلا يأمنون الا بحبل عهد

من الله تعالى بأن يسلموا (وحبل من الناس) من المؤمنين يسندل جزية أو امان . يعني الا أن

يعتصموا بحبل الله فيأمنوا . قوله تعالى (وبأوا بغضب من الله) رجعوا به (وضربت عليهم المسكنة

ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) قوله تعالى (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل

يوم ظلموا أنفسهم فأهدتة ما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون (١١٧)
 قال ابن أبي نجح: زعم الحسن بن أبي يزيد المجلي عن ابن مسعود في قوله تعالى (ليسوا
 سواء من أهل الكتاب أمة قائمة) قال: لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم،
 وهكذا قال السدي. ويؤيد هذا القول الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا
 أبو نصر وحسن بن موسى قالا: حدثنا شيبان عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال: آخر رسول
 لله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فاد الناس ينتظرون الصلاة فقال «أما أنه
 ليس من أهل هذه الأديان أحد يدكر الله هذه الساعة غيركم» قال فبرزت هذه الآيات (ليسوا
 سواء من أهل الكتاب — إلى قوله — والله أعلم بالمتقين) والمشهور عند كثير من المفسرين كما
 لما آن عبد الله بن سلام وصحابه قالت اجبر اليهود: ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا شرارنا
 ولولا ذلك ما ركوا دين آياتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية. واحتلفوا في وجوبها فقال قوم: فيه
 اختصار تقديره (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة) وخرى غير قائمة فترك الأخرى اكتفاء
 بذكر أحد الفريقين. وقال الآخرون: تمام الكلام عند قوله (ليسوا سواء) وهو وقف لانه قد
 جرى ذكر الفريقين من أهل الكتاب في قوله تعالى (منهم المؤمنون والكافرون) ثم قال
 (ليسوا سواء) يعني المؤمن والمفسدين فقال (ان يضروكم الا اذى) ووصف المؤمنين بقوله (أمة
 قائمة) وقيل: قوله (من أهل الكتاب) ابتداء كلام آخر لان ذكر الفريقين قد جرى ثم قال ليس
 هذان الفريقان سواء ثم ابتداء فقال (من أهل الكتاب) قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يستوي
 اليهود وأمة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بأمر الله، الثابتة على الحق المستقيمة. وقوله تعالى (أمة
 قائمة) قال ابن عباس: أي مهتدية قائمة على أمر الله لم يضيعوه ولم يتركوه، وقال مجاهد: عادلة
 وقال السدي: مطيعة قائمة على كتاب الله وحده، وقيل: قائمة في الصلاة، وقيل الأمة الطريقة.
 ومعنى الآية أي ذوو أمة أي ذوو طريقة مستقيمة ﴿ينالون آيت الله﴾ يفرؤن كتاب الله. وقال
 مجاهد: يتبعون ﴿آناه الليل﴾ ساعاتها واحداً أي وآناه، مثل نحي وأحباء، وأنى وآناه مثل معى
 وأمهاء، وأنى مثل منا وأمناء ﴿وهم يسجدون﴾ أي يصلون لان التلاوة لا تكون في السجود.
 واختلفوا في معناها، فقال بعضهم: هي قيم الليل، وقال ابن مسعود: صلاة العنمة يصلونها ولا
 يصلونها من سواهم من أهل الكتاب. وقال عطاء: (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة) لآية
 يريد أربعين رجلاً من أهل نجران من العرب وأربعين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على
 عهد عيسى وصدقوا محمد صلى الله عليه وسلم، وكان من الانصار منهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله
 عليه وسلم منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن سلمة وقيس بن صرمة بن انس كانوا
 موحدين يفتنون من الخفابة، وبقومون بما عرفوا من شرئع الخبيثية حتى جاءهم الله تعالى بالنبى
 صلى الله عليه وسلم فصدد قلوبهم وصبروه

ذكره محمد بن اسحق وغيره . ورواه العوفي عن ابن عباس: أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب كعبد الله بن سلام واسد بن عبيد وثعلبة بن شعبة وغيرهم . أي لا ينسوي من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا ولهذا قال تعالى (ليسوا سواء) أي ليسوا كلهم على حد سواء ، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم ، ولهذا قال تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة) أي قائمة بأمر الله مطيعة لشريعته متبعة نبي الله فهي قائمة بمعنى مستقيمة (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) أي يقيمون الليل ويكثرون التهجد ويتلون القرآن في صلواتهم (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) وهؤلاء المذكورون في آخر السورة (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليهم وما أنزل اليهم خاشعين لله) الآية ، ولهذا قال تعالى هم (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) أي لا يضيع عند الله بل يجزيهم به أوفر الجزاء (والله عليم بالمتقين) أي لا يخفى عليه عمل عامل ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملا . ثم قال تعالى مخبرا عن الكفرة المشركين بأنه (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) أي لا ترد عنهم بأس الله ولا عذابه إذا أرادهم بهم (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم ضرب مثلا لما ينفعه الكفار في هذه الدار قاله مجاهد والحسن والسدي فقال تعالى (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ربح فيه سر) أي برد شديد قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبهر والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم . وقال عطاء : برد وجليد ، وعن ابن عباس أيضا ومجاهد (فيها سر) أي نار وهو يرجع إلى الأول فإن البرد الشديد لا سيما والجليد يحرق الزروع

قوله تعالى ﴿ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ﴿ قرأ حمزة والكسائي وحفص بالإياء فيهما أخبار عن الأمة القائمة وقرأ الآخرون بالناء فيهما لقوله (كنتم خير أمة) وأبو عمرو يرى القراءتين جميعا ومعنى الآية (وما يفعلوا من خير) فلن تعدموا ثوابه بل يشكر لكم وتجزون عليه ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ بالمتقين ﴿ أن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا ﴾ أي لا تدفع أموالهم بالغدبة ولا أولادهم بالنصرة من الله شيئا أي من عذاب الله وخصمهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه قارة بغداد المال وتارة بالاستعانة بالأولاد ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ وأما جعلهم من أصحابها لأنهم أهلها لا يخرجون منها ولا يفارقونها كصاحب الرجل لا يفارقه ﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا ﴾ قيل أراد نفقات أبي سفيان وأصحابه بيدر وأحد على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل أراد نفقة اليهود على علمائهم قال مجاهد يعني جميع نفقات الكفار في الدنيا وصدقاتهم وقيل أراد اتفاق المرائي الذي لا يتغنى به وجه الله تعالى ﴿ كمثل ربح فيها سر ﴾ حكى عن ابن عباس رضى الله عنه أنها السحوم الحارة التي تقتل وقيل فيها سر أي صوت وأكثر المفسرين قالوا فيها برد شديد ﴿ أصابت حرث قوم ﴾ زرع قوم ﴿ ظلموا أنفسهم ﴾ بالكفر

عصمه (١) الله، وقدرناه الاوزاعي، معاوية بن سلام عن الزهي عن ابي سلمة عن ابي هريرة مرفوعا بنحوه، فيحتمل انه عند الزهي عن ابي سلمة عنهما، واخرجه النسائي عن الزهي ايضا، وعلقه البخاري في صحيحه فقال: وقال عبيد الله بن ابي جعفر عن صفوان بن سليم عن ابي سلمة عن ابي ايوب الانصاري مرفوعا فذكره. فيحتمل انه عند ابي سلمة عن ثلاثة من الصحابة والله اعلم وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابو ايوب محمد بن الازان حدثنا عيسى بن يونس عن ابي حيان التيمي عن ابي الزبائع عن ابن ابي الدهقانة قال: قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إن ههنا غلاما من اهل الحيرة حافظ كاتب فلو اتخذته كتابا فقال: قد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين: ففي هذا الاثر مع هذه الآية دليل على ان اهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استتالة على المسلمين واطلاع على دواخل امورهم التي يخشى ان يفشوها الى الاعداء من اهل الحرب، ولهذا قال تعالى (لا يألونك خبالا ودوا ما عنتم)

وقال الحافظ ابو يعلى حدثنا اسحق بن اسرائيل حدثنا هشيم حدثنا العوام عن الازهر بن راشد قال: كانوا باتون انسا فاذا حدثهم محدث لا يدرون ماهو اتوا الحسن يعني البصري ففسره لهم قال: فحدث ذات يوم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «لا تستضيؤا بنار المشركين ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيا» فلم يدروا ماهو، فأتوا الحسن فقالوا له: إن أنسا حدثنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تستضيؤا بنار المشركين، ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيا» فقال الحسن: أما قوله «لا تنقشوا في خواتيمكم عربيا» محمد صلى الله عليه وسلم، وأما قوله «لا تستضيؤا بنار المشركين» يقول لا تستضيؤوا المشركين في أموركم. ثم قال الحسن: تصديق ذلك في كتاب الله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم) هكذا رواه الحافظ ابو يعلى رحمه الله تعالى، وقد رواه النسائي عن مجاهد بن موسى عن هشيم، ورواه الامام احمد عن هشيم باسناده مثله من غير ذكر تفسير الحسن البصري، وهذا التفسير نفسه نظر ومعناه ظاهر «لا تنقشوا في خواتيمكم عربيا» أي بخطاء في لثلا يشابه نقش خانم النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان نقشه محمد رسول الله، ولهذا جاء في الحديث الصحيح انه نهى ان ينقش احد على نقشه. وأما الاستضاءة بنار المشركين فمعناه لا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونون معهم في بلادهم بل تباعدوا منهم وهاجروا من بلادهم، ولهذا روى ابو داود «لا تتراءى ناراهم» وفي الحديث الآخر «من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله» فحمل الحديث على ما قاله من دونكم أي أولياء وأصدقاء من غير اهل مائتك وبطانة الرجل خاصته تشبهها بطانة الثوب التي نلى بطنها لانهم يستطون امره ويطلعون منه على مالا يطالع عليه غيرهم ثم بين العلة في النهي عن مباطنهم فقال جل ذكره «لا يألونك خبالا» أي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثك الشر والفساد. والخيال الشر ونصب خبالا على المفعول الثاني لان يألون يتعدى الى مفعولين وقل بنزع الخافض أي بالخيال كما يقال أوجمته ضربا «ودوا ما عنتم» أي يودون ما يشق عليكم من الضر والشر

الحسن رحمه الله والاستشهاد عليه بالآية فيه نظر والله أعلم

ثم قال تعالى (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) أى قد لاح على صفحات وجوههم ، وقللت ألسنتهم من العداوة مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله مالا يخفى مثله على لبيب عاقل ، ولهذا قال تعالى (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) وقوله تعالى (هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) أى أنتم أيها المؤمنون تحبون المنافقين بما يظهرون لكم من الإيمان فتحبونهم على ذلك وهم لا يحبونكم لا باطنا ولا ظاهرا (وتؤمنون بالكتاب كله) أى ليس عندكم في شيء منه شك ولا ريب ، وهم عندهم الشك والريب والحيرة . وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وتؤمنون بالكتاب كله) أى بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم رواه ابن جرير (وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) والأنامل أطراف الأصابع ، قاله قتادة

وقال الشاعر : وما حملت كفائي أنجلي العشر *

وقال ابن مسعود والسدي والريعي بن انس : الأنامل الأصابع ، وهذا شأن المنافقين يظهرون المؤمنين الإيمان والوادة وهم في الباطن بخلاف ذلك من كل وجه كما قال تعالى (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) وذلك أشد الغيظ والحق قال الله تعالى (قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور) أى مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ويغيظكم ذلك منهم فاعلموا أن الله متم نعمته على عباده المؤمنين ومكمل دينه ، ومعمل كلمته ومظهر دينه ، فموتوا أنتم بغيظكم (إن الله عليم بذات الصدور) أى هو عليم بما تنطوى عليه ضمائركم وتكنه سر أئركم من البغضاء والحسد والغل

والهلاك والعنت المشقة (قد بدت البغضاء) أى الغض معناه ظهرت أماراة العداوة (من أفواههم) بالشتيمة والوقعة في المسلمين وقيل باطلاع المشركين على أمرار المسلمين (وما تخفي صدورهم) من العداوة والغيظ (أكبر) أعظم (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون هاأنتم) هاأنتم وأنتم كناية للمخاطبين من الذكور (أولاء) اسم للمشار إليه يريد أنتم أيها المؤمنون (تحبونهم) أى تحبون هؤلاء اليهود الذين نهتكم عن مبايحتهم للإيمان التي بينكم من القرابة والرضاع والمصاهرة (ولا يحبهم) لهاينكم من مخالفة الدين وقال مقاتل هم المنافقون يحبهم المؤمنون لما أظهروا من الإيمان ولا يعلمون ما في قلوبهم (وتؤمنون بالكتاب كله) معنى بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بكتابكم (وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا) وكان بعضهم مع بعض (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) يعنى أطراف الأصابع وأحدثها أنملة بضم الميم وفتحها من الغيظ لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وعض الأنامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الأمثال وأزلم يكن ثم عض (قل موتوا بغيظكم) أى ابقوا إلى الممات بغيظكم (إن الله عليم بذات الصدور) أى بما في القلوب من خير وشر

المؤمنين وهو مجازيكم عليه في الدنيا بأن يريكم خلاف ما تأملون ، وفي الآخرة بالعذاب الشديد في النار التي أنتم خالدون فيها ، لا يحيد لكم عنها ، ولا خروج لكم منها . ثم قال تعالى (إن تمسكم حسنة نسوهم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها) وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد وكثرا وعز انصارهم ساء ذلك المنافقين ، وإن أصاب المسلمين حسنة أي جذب أو أديب عليهم الأعداء ، لما لله تعالى في ذلك من الحكمة كما جرى يوم أحد — فرح المنافقون بذلك قال الله تعالى مخاطبا المؤمنين (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) الآية ، يرشدكم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم فلا حول ولا قوة لهم إلا به ، وهو الذي ماشاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا يقم في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته ، ومن توكل عليه كفاه .

ثم شرع تعالى في ذكر قصة أحد وما كان فيها من الاختبار لهباده المؤمنين ، والتمييز بين المؤمنين والمنافقين ، وبيان الصابرين (١) فقال تعالى :

(١) في الأزهرية

صبر الصابرين

وإذ غدوت من أهلك تبويء المؤمنين معة للقتال والله سميع عليم (١٢١) إذ هم طائفتن منكم أن ثغلا والله وليها . وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٢٢) ولقد نصركم الله ببدر وأتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون (١٢٣)

المراد بهذه الواقعة يوم أحد عند الجمهور قاله ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وغير واحد . وقوله تعالى (إن تمسكم أي تصبكم أيها المؤمنون) حسنة (بظهوركم على عدوكم وغلبة ثنائولها منهم ، تتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب في معاشكم) نسوهم (تحزنهم) وإن تصبكم سيئة (مساة بأخفاق سرية لكم أو إصابة عدو منكم واختلاف يكون بينكم أو جذب أو نكبة) يفرحوا بها وإن تصبروا (على أذاهم) وتتقوا (تخافوا ربكم) لا يضركم (أي لا ينقصكم كيدهم شيئا) قرأ ابن عامر وابن كثير ونافع وأهل البصرة لا يضركم بكسر الضاد خفيفة يقال ضار يضير ضيرا وهو جزم على جواب الجزاء وقرأ الباقر بضم الضاد وتشديد الراء من ضر يضرضرا مثل رد يرد ردا وفي رفعه وجهان أحدهما أنه أراد الجزم وأصله يضرركم فأدغم الراء في الراء ونقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد وضمت الثانية اتباعا والثاني أن يكون لا بمعنى ليس ويضم فيه الغاء تقديره : وإن تصبروا وتتقوا فليس يضركم كيدهم شيئا (أن الله بما يعملون محيط) أي عالم

قوله تعالى (وإذ غدوت من أهلك تبويء المؤمنين معة للقتال) قال الحسن هو يوم بدر وقال مقاتل يوم الأحزاب وقال سائر المفسرين هو يوم أحد وقال مجاهد والكلبي والواقدي غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة رضي الله عنها بمشي على رجله إلى أحد فجعل يصف

وع الحسن البصري : المراد بذلك يوم الاحزاب ، ورواه ابن جرير ، وهو غريب لا يعمل عليه . وكانت وقعة أحد يوم السبت من شوال سنة ثلاث من الهجرة ، قال قتادة : لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال ، وقال عكرمة : يوم السبت للنصف من شوال والله أعلم . وكان سببها أن المشركين حين قتل من قتل من اشرافهم يوم بدر وسلمت المعير بما فيها من التجارة التي كانت مع أبي سفيان (١) قال : أبناء من قتل ورؤساء من بقي لاني سفيان ارسد هذه الاموال لقتال محمد فأنفقوها في ذلك فجمعوا الجوع والاحاييش وأقبلوا في نحو من ثلاثة آلاف حتى نزلوا قريبا من أحد تلقاء المدينة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فلما فرغ منها صلى على رجل من بني النجار يقال له مالك بن عمرو واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس «أيخرج اليهم أم نمكث بالمدينة ؟ فأشار عبد الله بن أبي الملقام بالمدينة ، فان أقاموا أقاموا بشر محسن ، وإن دخلوها قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين . وأشار آخرون من الصحابة ممن لم يشهد بدرا بالخروج اليهم ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته وخرج عليهم ، وقد ندم بعضهم وقالوا : لعننا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن شئت أن نمكث ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ينبغي لنبى إذا لبس لامته أن يرجع حتى يحكم الله له » فسار صلى الله عليه وسلم في الف من أصحابه فلما كانوا بالشبط رجع عبد الله بن أبي بلث الجيش مغضبا لكونه لم يرجع الى قوله وقال هو وأصحابه : لو نعلم اليوم قتالا لاتبعناكم ولكننا لانراكم تقاتلون . واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرا حتى نزل الشعب من أحد في عذوة

«١» في الازهرية فلما
رجع قتلهم

تفسير ابن كثير
في الاحزاب

أصحابه لقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدي عن رجالها ان المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبد الله بن أبي سفيان ولم بدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله بن أبي وأكثرت الانصار يا رسول الله أقم بالمدينة لانخرج اليهم فوالله ما خرجنا الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصابنا منه فكيف وأنت قينا فدعهم يا رسول الله فان أقاموا أقاموا بشر محسن وإن رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأي وقال بعض أصحابه يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكاب لا يرون أنا حينئذ انهم وضعفنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى رأيت في منامي نقرا مذبوحه فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سفي ثلما فأولتها هزيمة ورأيت انى أدخلت بدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فان أيتهم أن يقيموا بالمدينة وكان يعجبه أن يدخلوا عليهم بالمدينة فيقاتلوا في الازقة فقال رجل من المسلمين ممن قاتلهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا فلم يزلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبيهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا يا نبي الله صلى الله عليه وسلم والوحي يا نبي الله صلى الله عليه وسلم

الوادي ، وجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال « لا يقاتن أحد حتى تأمره باقتل » ونهيا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعمائة من أصحابه ، وأمر على الزمعة عبد الله جبير أخا بني عمرو ابن عوف ، والزمعة يومئذ خمسون رجلا فقال لهم « انضحوا الخيل عنا ولا تؤنبن من قبلكم والزمو مكانكم إن كانت النوبة لنا أو علينا ، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم » وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ، وأعطى اللواء مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار . وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الغلمان يومئذ ، وآخر آخرين حتى أمضاهم يوم الخندق بعد هذا اليوم بقريب من سنتين . وتهايت قريش وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مائة فرس قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ، ودفعوا اللواء الى بني عبد الدار ثم كان بين الفريقين ماسياتي تفصيله في موضعه (١) إن شاء الله تعالى . ولهذا قال تعالى (وإذ غدوت من أهلك تبويء المؤمنين معاهد للقتال) أي تنزلهم منازلهم ونجعلهم ميمنة وميسرة وحيث أمرتهم (والله سميع عليم) أي سميع لما تقولون عليهم بضمائركم

(١) في الأزهري عند هذه الآيات

وقد أورد ابن جرير ههنا سؤالاً حاصله كيف تقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى أحد يوم الجمعة بعد الصلاة فقد قال الله تعالى (وإذ غدوت من أهلك تبويء المؤمنين معاهد للقتال) الآية ثم كان جوابه عنه إن غدوه ليبيأهم معاهد إنما كان يوم السبت أول النهار . وقوله تعالى (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) الآية قال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال : قال عمر سمعت جابر بن عبد الله يقول : فينا نزلت (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) الآية قال :

واعتدروا اليه وقالوا اصنع ما رأيت فقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته فيضعها حتى يقال » وكان قد أقام المشركون بأحد يوم الأربعاء والخميس فراح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ما صلى بأصحابه الجمعة وقد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار فصرى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج اليهم فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فسكان من حرب أحد ما كان فذلك قوله تعالى (وإذ غدوت من أهلك) أي واذكر إذ غدوت من أهلك تبويء تغزل المؤمنين معاهد للقتال أي مواطن ومواضع للقتال يقال أوأت القوم إذا وطنتهم وتبوؤ هم إذا توطنوا قال الله تعالى (ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق) وقال (ن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا) وقيل تنخذوا معسكرا (والله سميع عليم) إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا أي أي تبجنا وتضعفا وتتخلفا والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى أحد في ألف رجل وقيل في تسعمائة وخمسين رجلا فلما بلغوا الشوط انخزل عبد الله بن أبي ثلث الناس ورجع في ثلاث مائة وقال علام تقتل أنفسنا ولادنا فتبهم أبو جبر السلمي فقال انشدكم الله في نبيكم وفي أنفسكم فقال عبد الله بن أبي لولم قتلنا لانبعناكم وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بإد نصراف مع عبد الله بن أبي معصمهم الله فلم يهرفوا

نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب - وقال سفيان مرة - وما يسرني أنها لم تنزل لقوله تعالى (والله وليهما) وكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به ، وكذا قال غير واحد من السلف أنهم بنو حارثة وبنو سلمة . وقوله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر) أي يوم بدر ، وكان يوم الجمعة وافق السابع عشر من شهر رمضان من سنة اثنين من الهجرة ، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الاسلام وأهله ، ودفع فيه الشرك وخرب محله وحزبه ، هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ ، فأنهم كانوا ثمانمائة وثلاثة عشر رجلا ، فيهم فارسان وسبعون بهيرا ، والباقون مشاة ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون اليه . وكان العدو يومئذ ما بين التسعمائة الى الالف في سو بغ الحديد والبيض والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلي الزائد ، فأعز الله رسوله وأظهر وجهه ونزله ، وبيض وجه النبي وبيله وأخزي الشيطان وجيله ، ولهذا قال تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) أي قليل عددكم لتعلموا ان النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد ولهذا قال تعالى في الآية الاخرى (وبوم حنين اذ أعجبتمكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا - إلى - غفور رحيم) . وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبه عن سماك قال : سمعت عياضا الاشعري قال : شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء ، ابو عبيدة ، ويزيد بن ابي سفيان ، وابن حسنة وخالد بن الوليد ، وعياض - وليس عياض هذا الذي حدث - مما كاد قال : وقال عمر : اذا كان قتالا فعليكم ابو عبيدة (١) قال : فكتبنا اليه انه قد جاش الينا الموت واستمددناه ، فكتبنا اليه انه قد جاءني كتابكم تستمدونني ، وأني دلكم على من هو اعز نصرا ، وأحصن جنداء الله عز وجل فاستنصروه فان محمد صلى الله عليه وسلم قد نصرني يوم بدر في أقل من عدتكم فادا جاءكم كسبي هذا فقاتلوه ولا تراجعوني قال : فقاتلناهم فبرزناهم أربع فراسخ قال : وأصبنا أموالا فتساوروا فأشار علينا عياض أن نعطي عن كل ذي رأس عشرة قال : وقال ابو عبيدة : من يراهنني ؟ فقال شاب انا ان لم نقضب قال : فسبته فرأيت عقيصتي أبي عبيدة ينفران وهو خلفه على فرس اعرابي ، وهذا استناد صحيح ، وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث بندار عن غندر بنحوه ، واختاره الحافظ فذكرهم الله عظيم نعمته فقال عز وجل (اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) ﴿ والله وليهما ﴾ ناصرهما وحافظهما ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل أنا محمد بن يوسف عن ابن عيينة عن عمرو عن جابر قال نزلت هذه الآية فينا (اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما) بنى سلمه وبنى حارثة وما أحببناهما لم ننزل والله تعالى يقول (والله وليهما)

«١» اي امير

قوله تعالى ﴿ ولقد نصركم الله ببدر ﴾ وبدر موضع بين مكة والمدينة وهو اسم لموضع وعليه الاكثرون وقبل اسم لبئر هناك وقيل كانت بدر بئرأ رجل يقال له بدر قاله الشعبي وأنكر الآخرون عليه يذكر الله تعالى في هذه الآية منه عليهم بالنصرة يوم بدر ﴿ وأنتم أذلة ﴾ جمع دليل واراد بقله العدد

الضياء المقدمي في كتابه . و بدر محلة بين مكة و المدينة تعرف بئرًا منسوبة الى رجل جفرها يقال له بدر بن النارين ، قال الشعبي : بدر بئر لرجل يسمى بدرا . و قوله (فأتقوا الله لعلكم تشكرون) أي تقومون بطاعته

إذ تقول للمؤمنين أن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين (١٢٤) إلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (١٢٥) وما جعله الله إلا بشري لكم ولتطمئن لوكم به ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (١٢٧) ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون (١٢٨) والله ما في

السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (١٢٩) اختلف المفسرون في هذا الوعد هل كان يوم بدر أو يوم أحد ؟ على قولين (أحدهما) أن قوله (إذ تقول للمؤمنين) متعلق بقوله (ولقد نصركم الله ببدر) وهذا عن الحسن البصري وعامر الشعبي والربيع بن أنس وغيرهم ، واختاره ابن جرير . قل عباد بن منصور عن الحسن في قوله (إذ تقول للمؤمنين أن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة) قال : هذا يوم بدر ، رواه ابن أبي حاتم . ثم قال : حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا وهيب حدثنا دود عن عامر يعني الشعبي أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين فشق ذلك عليهم وأنزل الله تعالى (أن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين - إلى قوله - مسومين) قال : فبلغت كرز المزينة فلم يمد المشركين ولم يمد المسلمين بالخمسة . وقال الربيع بن أنس : أمد الله المسلمين بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف ، فان قيل فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول وبين قوله في قصة بدر (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين - إلى قوله - أن الله عزيز حكيم) ؟ فالجواب أن التنصيص على الألف هنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها لقوله (مردفين) بمعنى يردفهم غيرهم ويتبعهم الوف آخر مثاهم . وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران ، فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة فأنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فنصرهم الله مع قلة عددهم وبعدهم ، فأتقوا الله لعلكم تشكرون . إذ تقول للمؤمنين أن يكفيكم أن يمدكم ربكم) اختلفوا في هذه الآية فقيل قنادة كان يوم بدر أمدهم الله تعالى بألف من الملائكة كما قال (فاستجاب لكم ربكم أني ممدكم بألف من الملائكة) ثم صاروا ثلاثة

(١) زاد في الازهرية

عن قتادة

(٢) فيها امد الله

المؤمنين

انما كان يوم بدر والله اعلم . وقال سعيد بن جبير (١) امد (٢) المسلمين يوم بدر بخمسة آلاف (القول الثاني) ان هذا الوعد متعلق بقوله (و دغدوت من اهلك تبويء المؤمنين قاعد للقتال) وذلك يوم احد ، وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك والزهري وموسى بن عتبة وغيرهم . لكن قالوا لم يحصل الامداد بالخمسة الآلاف لان المسلمين فروا يومئذ ، زاد عكرمة ولا باثلاثة الآلاف لقوله تعالى (يلى ان تصبروا وتتقوا) لم يصبروا بل فروا فلم يعدوا بذلك واحد . وقوله تعالى (يلى ان تصبروا وتتقوا) يعنى تصبروا على مصابرة عدوكم وتتقوا في واطيعوا امرى . وقوله تعالى (ويأتوكم من فورهم هذا) قال الحسن وقتادة والربيع والسدى : اى من وجههم هذا . وقال مجاهد وعكرمة وابو صالح : اى من غضبهم هذا . وقال الضحاك : من عصيتهم ووجههم . وقال العوفي عن ابن عباس : من سفرهم هذا ، ويقال من غضبهم هذا . وقوله تعالى (يعدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) اى معلمين بالسما . وقال ابو اسحق السبيعي عن حارث بن مضر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : كان سما الملائكة يوم بدر الصوف ابيض ، وكان سباجهم ابيض في اوصي حيولهم ، رواه ابن ابي حاتم . ثم قال حدثنا ابو زرعة حدثنا هذبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن علقمة عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه في هذه الآية (مسومين) قال : بالعين الاحمر . وقال مجاهد : (مسومين) اى محذوف اعرافها معلمة واصبها بالصوف الابيض في ادباب الخيل وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : اتت الملائكة محمدا صلى الله عليه وسلم مسومين بالصوف فسوم محمد واصحابه انفسهم وخيلهم (٣) على سباجهم بالصوف . وقال قتادة وعكرمة (مسومين) اى بسما القتال . وقال مكحول : مسومين بالعائم . وروى ابن مردويه عن حديث عبد القدوس ابن آلف ثم صاروا خمسة آلاف كذا ذكرهم ، بثلاثة آلاف من الملائكة من اربعين . بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يعدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . فاصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة كما وعد قال الحسن وهؤلاء الخمسة آلاف رده المؤمنين الى يوم القيامة قال ابن عباس ومجاهد لم تقابل الملائكة في المعركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون وانما يحاربون عدداً ومداً قال محمد بن اسحق لما كان يوم احد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي سعد بن مالك يرمي وفي شاب يتنبل له كلما في النبل اتاه به فثره فقال ارم يا ابا اسحق مرتين فلما انجلت المعركة سال عن ذلك الرجل فلم يعرفه احد . اخبرنا عبد الواحد بن احمد الميحيي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن ابراهيم أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا ابراهيم بن سعد عن ابيه عن جده عن سعد بن ابي وقاص قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ماراً بينهما قبل ولا بعده رواه مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبه قال اخبرنا محمد بن بشر وابو اسامة عن معمر عن سعد بن ابراهيم عن ابيه عن سعد بن ابي ابي وقاص قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض

(٣) فيها خيلهم

(١) فيم احصين

حبيب عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (مسوومين) قال «معلمين». وكان سيما الملائكة يوم بدر عمام سود ، ويوم حنين عمام حمراء وروي من حديث حسين (١) بن مخارق عن سعيد عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : لم تقابل الملائكة الا يوم بدر . وقال ابن اسحق حدثني من لا اتهم عن مقسم عن ابن عباس قال : كان سيما الملائكة يوم بدر عمام بيض قد ارسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمام حمراء . ولم تضرب الملائكة في يوم سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون عددا ومعددا لا يضر بون ، ثم رآه عن الحسن بن عمار عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فذكر نحوه . وقال ابن ابي حاتم حدثنا الاحمسي حدثنا وكيع حدثنا

مارأيتها قل ولا بعد ، يعني جبريل وميكائيل وقال الشعبي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشر كين فشق ذلك عليهم فأنزل الله تعالى (ان يكفيناكم ان يمدكم - الى قوله - مسومين) فلما كرز المزيمة فرجع فلم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله ايضا بالخمسة الآلاف وكانوا قد قدموا بألف وقال الآخر ون انما وعد الله تعالى المسلمين يوم بدر ان يصبروا على طاعته واتقوا محارمه ان يمدهم أيضا حروهم كما فلم يصبروا الا يوم الاحزاب فأمدهم حين حاصروا قريظة والنضير قال عبد الله بن أبي أوفى كذا محاصر في قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يغسل فهو يغسل رأسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخزنة فلفها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى أتينا قريظة والنضير فبوئنا أمدنا الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال الضحاك وعكرمة كان هذا يوم أحد وعدهم الله المدد ان يصبروا فلم يصبروا فلم يعدوا

قوله تعالى (ان يمدكم ربكم الامدادا) عانة الجيش بالحيش وقيل ما كان على جهة القوة والاعانة قال فيه أمداه امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده مدا ومنه قوله تعالى (والبحر يمد) وقيل المدي الشر والامداد في الخير يدل عليه قوله تعالى (ومدهم في طغيانهم - ومدله من العذاب مدا) وقال في الخير (اني يمدكم بألف من الملائكة منزائين) وقال (وأمددناكم بأموال وبنين) قوله تعالى (بثلاثة آلاف من الملائكة منزائين) قرأ ابن عباس بتشديد الزاي على التكثير لقوله تعالى (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة) وقرأ الآخرون بالتخفيف دليله قوله تعالى (لولا أنزل علينا الملائكة) قوله (وأنزل جنودا لم تروها) ثم قال (بل) ثم كره (ان تصبروا) لعدكم (وثقة) بخالفة بكم (ويأتوكم) يعني أشرككم (من فورهم هذا) قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن وأكثر المفسرين من وجههم هذا وقال مجاهد والضحاك من غضبهم هذا لانهم انما رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ايوم بدر (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) لم يرد خمسة آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف بل أراد معهم وقوله (مسومين) أي معلمين قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو وقرأ الآخرون فتحها فن كسر الواو فأراد أنهم مسوموا خيلهم ومن فتحها أراد به أنفسهم والتسويم الاعلام من السومة وهي العلامة واختاره في ذلك العلامة

هشام بن عروة عن يحيى بن عباد : أن الزبير رضي الله عنه كان عليه يوم بدر عمامة صفراء معتجرا بها فنزات الملائكة عليهم عمار صفراء ، رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير فذكره . وقوله تعالى (وما جعله الله إلا بشري لسكم ولتطمئن قلوبكم به) أي وما أنزل الله الملائكة وأعلمكم بانزالهم إلا بشارة لكم وتطميناً لقلوبكم وتطمينا ، والا فانما النصر من عند الله الذي لو شاء لا تنصر من أعدائه بدونكم ، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم ، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فإن يضل أعمالهم سيدهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) ولهذا قال ههنا (وما جعله الله إلا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) أي هو ذو العزة التي لا ترام ، والحكمة في قدره والاحكام . ثم قال تعالى (ليقطع طرفا من الذين كفروا) أي أمركم بالجهاد والجلاد لما له في ذلك من الحكمة في كل تقدير ، ولهذا ذكر جميع الأقسام الممكنة في الكفار المجاهدين فقال (ليقطع طرفا) أي ليهلك أمة (من الذين كفروا أو يكتبهم في كتابنا) أي يرجعوا (خائبين) أي لم يحصلوا على ما أملوا . ثم اعترض بحملة دلت على أن الحكمة في الدنيا فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمامهم صفراء وقال علي وابن عباس رضي الله عنهم عمامهم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عروة والكافي عليهم عمامهم صفراء مرخاة على أكتافهم وقال الضحاك وقتادة كانوا قد أعلموا بالعين في نواصي الخيل وأذنهم وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر « تسوموا فإن الملائكة قد تسومت بالصوف الأبيض في قلائسهم ونعافرهم »

قوله تعالى (وما جعله الله) يعني هذا الوعد والمدة (إلا بشري لكم) أي بشارة لتسبشروا به (ولتطمئن) . لتسكن (قلوبكم به) فلا تنزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) يعني لا تحيلوا بالنصر على الملائكة والجند فإن النصر من الله تعالى فاستعنوا به وتوكلوا عليه لأن النصر والحكم له

وقوله تعالى (ليقطع طرفا من الذين كفروا) يقول لقد نصركم الله ليقطع طرفاً أي لكي يهلك طائفة (من الذين كفروا) قال السدي معناه ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والأسر فقتل من قاداتهم وساداتهم يوم بدر سبعون وأسر سبعون ومن حمل الآية على حرب أحد فقد قتل منهم يومئذ ستة عشر وكانت النصر للمسلمين حتى خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فانقلب عليهم (أو يكتبهم) قال الكلبي يمزهم وقال يمان بصرهم لوجوههم وقال السدي بأمهم وقال أبو عبيدة يهلكهم وقيل يمزهم والمكبوت الحزين قيل يكبدهم أي يصب الحزن والغيظ أكبادهم والتاء والذل يثاقبان كما يقال سبت رأسه وسدده إذا حلقه وقيل (يكتبهم) الحبيبة (في كتابنا خائبين) لم ينالوا شئاً مما كانوا يرجون من الظفر بكم

والآخرة له وحده لا شريك له فقال تعالى (ليس لك من الامر شيء) أي بل الامر كله إلي كما قال تعالى (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقال (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء) وقال (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وقال محمد بن اسحق في قوله (ليس لك من الامر شيء) أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي الا ما أمرتك به فيهم . ثم ذكر بقية الاقسام فقال (أو يتوب عليهم) أي مما هم فيه من الكفر فيهدىهم بعد الضلالة (أو يعذبهم) أي في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم ، ولهذا قال (فانهم ظالمون) أي يستحقون ذلك

وقال البخاري حدثنا حبان بن موسى انبأنا عبد الله انبأنا معمر عن الزهري حدثني سالم عن أبيه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الثانية من الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا » بعد ما يقول « سمع الله لمن حمده » ربنا ولك الحمد » فأنزل الله

قوله تعالى (ليس لك من الامر شيء) الآية اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء عشية رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل بئر معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد لبعثوا الناس القرآن والعلم أميرهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحدا شديدا وقتت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن والسنين فنزلت (ليس لك من الامر شيء) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أخبرنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله بن يحيى ابن المبارك أخبرنا معمر عن الزهري قال حدثني سالم عن أبيه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول « اللهم العن فلانا وفلانا » بعد ما يقول « سمع الله لمن حمده » ربنا ولك الحمد » فأنزل الله تعالى (ليس لك من الامر شيء) (أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) وقال قوم نزلت يوم أحد أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الخلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا عبد الله بن مسلم بن قعنب أخبرنا أحمد بن سلمة عن ثبات عن أنس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت ربايته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسالت الدم عنه ويقول « كيف يفالج قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا ربايته وهو يدعوهم إلى الله عز وجل ؟ » فأنزل الله تعالى (ليس لك من الامر شيء) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد « اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحارث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية » فنزلت (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم) فأسلموا وحسن إسلامهم وقال سعيد ابن المسيب ومحمد بن اسحق لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يوم أحد ما بهم حالهم من جدع الأذان والأنوف وقطاع المذاكير قالوا ان الله أدانا الله تعالى منهم لنفعلان بهم مثل ما فعلوا ولنماتن بهم مثله لم يمتلها أحد من العرب أحد فأنزل الله تعالى هذه الآية

تعالى (ليس لك من الأمر شيء) الآية ، وهكذا رواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق كلاهما عن معمر بن وهب ، وقال الإمام أحمد حدثنا أبو الضر حدثنا أبو عقيل - قال أحمد : وهو عبد الله ابن عقيل صالح الحديث ثقة - حدثنا عمرو بن حمزة عن سالم عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم العن فلانا وفلانا ، اللهم العن الحارث بن هشام ، اللهم العن سهيل بن عمرو ، اللهم العن صفوان بن أمية » فنزلت هذه الآية (ليس لك من الأمر شيء) أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) فتب عليهم كلهم . وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية العلاءي حدثنا خالد بن الحارث حدثنا محمد بن عجلان عن نافع عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أربعة قل : فأنزل الله (ليس لك من الأمر شيء) إلى آخر الآية قال : وهداهم الله للإسلام ، قال البخاري : قال محمد ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على رجال من المشركين يسميهم بأسمائهم حتى أنزل الله تعالى (ليس لك من الأمر شيء) الآية وقال البخاري أيضا : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع وربما قال إذا قال « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد : اللهم انج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسفي يوسف » يجر بذلك . وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا » لأحياء من أحياء العرب حتى أنزل الله (ليس لك من الأمر شيء) الآية

وقال البخاري : قال حميد وثابت عن مالك بن أنس شيخ النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال « كيف يفلح قوم شجبوا نبيهم ؟ » فنزلت (ليس لك من الأمر شيء) وقد أسند هذا الحديث الذي علقه البخاري في صحيحه فقال البخاري في غزوة أحد : حدثنا يحيى بن عبد الله السلمي أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر بن الزهري حدثني سالم بن عبد الله عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا » بعدما يقول « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد » فأنزل الله (ليس لك من الأمر شيء) الآية . وعن حنظلة ابن أبي سفيان قال : سمعت سالم بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على

وقبل أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه فيهم بأن كثيرا منهم يسلمون قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء) أي ليس اليك فاللام بمعنى إلى كقوله تعالى (ربنا انما سمعنا مناديا ينادي للإيمان) أي إلى الإيمان وقوله تعالى (أو يتوب عليهم) قال بعضهم معناه حتى يتوب عليهم أو إلا أن يتوب عليهم وقيل هو نسق على قوله ليتقطع طرفا وقوله (ليس لك من الأمر شيء) اعتراض بين الكلامين ونظام الآية ليتقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم

صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحرث بن هشام فمزات (ليس لك من الامر شيء) أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) هذا ذكر هذه الزيادة البحاري مضافة مرسلة ، وقد تقدمت مسندة متصلة في مسند احمد آنفا

وقال الامام احمد : حدثنا هشيم حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كسرت ربايته يوم أحد وشيخ في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقل « كيف يفتح قوم فعلوا هذا بنبينهم وهو يدعوهم الى الله عز وجل » فأنزل الله (ليس لك من الامر شيء) أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) أفرد به مسلم فرواه عن النبي عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس فذكره وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا الحسين بن واقد عن مطر عن قتادة قال : صيب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت ربايته ، وورق حاجبه ، ووقع وعليه درعان والدم يسيل فمر به سالم مولى بني حديقه فأجلسه ومسح عن وجهه فأفقره ويقول « كيف به يوم فعلوا هذا بنبينهم وهو يدعوهم الى الله عز وجل ؟ » فأنزل الله (ليس لك من الامر شيء) الآية ، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحوه ، ولم يسل فافق .

ثم قال تعالى (والله ما في السموات وما في الارض) اذية أي الجميع . لك له ، وأهاهما عبيد بين يديه (يغفر لمن يشاء ويذهب من يشاء) أي هو المصرف فلا يعقب لحكمه ، ولا يستثن عما يفعل وهم يستثنون والله غفور رحيم

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعفأ مضاعفة واتقوا الله لعالمكم تفلحون (١٣٠)
واتقوا النار التي أعدت للكافرين (١٣١) وأطيعوا الله والرسول لعالمكم ترحموا (١٣٢)
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين (١٣٣) الذين ينفقون في السراء والضراء والكظمين الفیظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين (١٣٤)
والذين اذا فعلوا فحشاً أو ظلموا أتقسمهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب
الا الله ؟ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون (١٣٥) أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم

أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء . بل الامر أمرى في ذلك كله) ثم قال (والله ما في السموات وما في الارض يغفر من يشاء ويعذب من يشاء) والله غفور رحيم . يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعفأ مضاعفة) أراد به ما كانوا يفعلونه عند طول اجل الدين من زيادة المال

وجنت تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها ، وزعم أجزء العملين (١٣٦)

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن تعاطي الربا وأكله اضعافا مضاعفة كما كانوا في الجاهلية يقولون اذا حل جل الدين اما ان تقضي واما أن تربى فان قضاء والا زاده في المدة وزاده الآخر في القدر وهكذا كل عام فرما تضاعف القليل حتى يصير كثيرا مضاعفا وأمر تعالى عباده بالتقوى لعلمهم بفلحون في الاولى وفي الاخرى ثم بوعدهم بالنار وحذرهم منها فقال تعالى (واتقوا النار التي أعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) ثم نذبههم الى المبادرة الى فعل الخير والمسارعة الى نيل القربات فقال تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين) أي كما أعدت النار للكافرين وقد قيل ان معنى قوله عرضها السموات والارض نذيرها على اتساع طولها قال في صفة فرش الجنة (بطائنها من استبرق) أي ما ظنك بالظواهر وقيل بل عرضها كطولها لانها فيه تحت العرش والشيء المذهب والمستدير عرضه كطولها وقد دل على ذلك ما ثبت في الصحيح واذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانه اعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وسفها عرش الرحمن وهذه الآية كقوله في سورة الحديد (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض) الآية وقد روي في مسند الامام احمد ان هرقل كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم انك دعوتني الى الجنة عرضها السموات والارض فأين النار ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « سبحانه الله فأين الليل اذا جاء النهار » وقد رواه ابن جرير فقال حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني مسلم بن خالد عن أبي خيثمة عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى بن مرة قال لقيت القنوصي رسول هرقل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحضر شيخا كبيرا قد فسد فقال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأخير الطالب (واتقوا الله) في أمر الربا فلا تأكلوه (لعلكم تفلحون) ثم خوفهم فقال (واتقوا النار التي أعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) لكي ترحموا (وسارعوا) قرأ أهل المدينة والشام سارعوا بلا واو (الى مغفرة من ربكم) بادروا وسابقوا الى الاعمال التي توجب المغفرة قال ابن عباس رضي الله عنهما الى الاداء الفرائض وقال بوا العالمة الى الهجرة وقال الضحاك الى الجهاد وقال مقاتل الى الاعمال الصالحة وروى عن أس بن مالك أنها التكبيرة الاولى (وجنة) أي والى الجنة (عرضها السموات والارض) أي عرضها كعرض السموات والارض كما قال في سورة الحديد (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) أي سمعتها وانما ذكر العرض على المبالغة لان طول الحديد كل شيء في الاكثر والاغلب أكثر من عرضه يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها قل الزهري انما وصف عرضها فلما طوله فلا يملكه الا الله وهذا على التمثيل لا أنها كالسموات والارض لا غير معناه كعرض السموات السبع والارضين السبع عند ظنكم كقوله تعالى (خالدين فيها ما ذمات السموات

«١» في الازهرية
زيادة: أعدت للمتقين

بكتاب هرقل فتناول الصحيفة رجل عن يساره قال : قلت من صاحبكم الذي يقرأ ؟ قالوا : معاوية
فاذا كتاب صاحبي : انك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض (١) فأين النار قال : فقل
رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبحان الله ، فأين الليل اذا جاء النهار » . وقال الاعمش وسفيان
الثوري وشعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب : أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن
جنة عرضها السموات والارض فأين النار ؟ فقال لهم عمر : أرايتم اذا جاء النهار أين الليل ، واذا جاء الليل
أين النهار فقالوا : لقد نزعنا مثلها من التوراة ، رواء ابن جرير من ثلاثة طرق . ثم قال : حدثنا
احمد بن حازم حدثنا ابو نعيم حدثنا جعفر بن برقان انبأنا يزيد بن الاصم : أن رجلا من اهل
الكتاب قال : يقولون (جنة عرضها السموات والارض) فأين النار ؟ فقال ابن عباس رضي الله عنه
أين يكون الليل اذا جاء النهار ، واين يكون النهار اذا جاء الليل . وقد روي هذا مرفوعا فقال البزار
حدثنا محمد بن معمر حدثنا ابي نعيم بن سلمة ابو هشام حدثنا عبد الواحد بن زياد عن عبيد الله بن
عبد الله بن الاصم عن عمه يزيد بن الاصم عن ابي هريرة قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال : ارايت قوله تعالى (جنة عرضها السموات والارض) فأين النار ؟ قال « ارايت
الليل اذا جاء لبس كل شيء ، فأين النهار » ؟ قال : حيث شاء الله قال « وكذلك النار تكون حيث
شاء الله عز وجل » وهذا يحتمل معنيين (احدهما) ان يكون المعنى في ذلك انه لا يلزم من عدم
مشاهدتنا الليل اذا جاء النهار ان لا يكون في مكان ، وان كنا لانعلمه ، وكذلك النار تكون حيث
شاء الله عز وجل ، وهذا اظهر (٢) كما تقدم في حديث ابي هريرة عن البزار (الثاني) ان يكون المعنى ان
النهار اذا تنشى وجه العالم من هذا الجانب فان الليل يكون من الجانب الآخر . فكذلك الجنة في
اعلى عليين فوق السموات تحت العرش وعرضها كما قال الله عز وجل (كعرض السموات والارض)
والنار في اسفل سافلين فلا تنافي بين كونها كعرض السموات والارض وبين وجود النار والله أعلم
ثم ذكر تعالى صفة اهل الجنة فقال (الذين ينفقون في السراء والضراء) اي في الشدة والرخاء

«٢» لكن الثاني هو
الواقع في المشبه
والمشبه به فالجنة في
عليين والنار في
الهاوية في اسفل
سافلين وبينهما
حجاب ، وسورة
باب ، وما ادى هذه
الروايات ثابتة اذ لا
محلل للاشتباه فالمبالغة
في وصف سعة
مساحة الجنة يكون
عرضها كعرض
السموات والارض
لا يقتضي ان تكون
فيهما اللهما ، بل هما
سيبدلان يوم القيامة
غيرهما ، وكتبه محمد
رشيد رضا

والارض يعني عند ظنكم والا فهما زئتان وروي عن طارق عن ابن شهاب ان ناسا من اليهود
سألوا عمر بن الخطاب وعنده أصحابه رضي الله عنهم قالوا أرايتم قوله (جنة عرضها السموات والارض)
فأين النار؟ فقال عمر أفرأيتم اذا جاء الليل أين يكون النهار واذا جاء النهار أين يكون الليل فقالوا انها
لمثلها في النوراة ومعناه أنه حيث يشاء الله فان قيل قد قال الله تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون)
وأراد بالتي وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون عرضها السموات والارض قيل أن باب
الجنة في السماء وعرضها السموات والارض كما أخبر وسئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن الجنة أفي
السماء أم في الارض فقال أي أرض وماء تسع الجنة فقل فإين هي قال فوق السموات السبع تحت
العرش قال فتادة كانوا يرون الجنة فوق السموات السبع تحت العرش وأن جهنم تحت الارضين السبع
(أعدت للمعتقين الذين ينفقون في السراء والضراء) أي في اليسر والعسر فاول ما ذكر من أخلاقهم

والمنشط والمكره ، والصحة والمرض ، وفي جميع الاحوال كما قال (الذين ينفقون بالليل والنهار سرًا وعلاية) والمعنى انهم لا يشغلهم امر عن طاعة الله تعالى ، والاتفاق في مرضيه ، والاحسان الى خلقه من قرابتهم وغيرهم بأنواع البر . وقوله تعالى (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) أي اذا نار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعملوه ، وعفوا مع ذلك عن أساء اليهم . وقد ورد في بعض الآثار « يقول الله تعالى : يا ابن آدم اذ كرني اذا غضبت فلا أهلكك فيمن أهلك » رواه ابن أبي حاتم . وقد قال ابو يعلى في مسنده : حدثنا أبو موسى الزمى حدثنا عيسى بن شبيب الضرير أبو الفضل حدثني الربيع بن سليمان النخعي عن أبي عمرو بن أنس بن مالك عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه كفى الله عنه عذابه ، ومن خزن أسنانه ستر الله عورته ، ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره » وهذا حديث غريب وفي إسناده نظر . وقال الامام احمد : حدثنا عبد الرحمن حدثنا مالك عن لزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليس الشديد بالصرعة (١) ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » وقد رواه الشيخان من حديث مالك . وقال الامام احمد أيضا : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن الحارث بن سويد عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايكم مال وارثه أحب اليه من ماله ؟ » قالوا : يا رسول الله ما منّا أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال « اعملوا أنه ليس منكم أحد الا مال وارثه أحب اليه من ماله ، مالك من مالك الا ما قدمت ، وما لو اراثك الا ما آخرت » قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماتعدون الصرعة فيكم ؟ » قلنا الذي لا نصرعه الرجال قال « لا ، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب » قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون ؟ » قلنا الذي لا ولد له قال « لا ، ولكن الرقوب الذي لا يقدم من ولده شيئا » أخرجه البخاري الفصل الاول منه ، وأخرج مسلم أصل هذا الحديث من رواية الأعمش به

«١» الصرعة بضم
فتفتح الذي يكثر صرعه
للناس ولا يكادون
بصرعونه

«٢» في الازهرية
ماتعدون فيكم

(حديث آخر) . قال الامام احمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت عروة بن عبد الله الجمعي يحدث عن أبي حصبة - أو ابن أبي حصبة - عن رجل شهد النبي صلى الله عليه وسلم بخطب فقال « أتدرون ما لرقوب ؟ » قلنا الذي لا ولد له قال « الرقوب كل الرقوب الذي له ولد فوات ولم قدم الموجبة للجنة ذكر السخارة أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أخبرنا أبو عمرو الغزالي أخبرنا أبو العباس احمد بن اسمعيل العنبري أخبرنا أبو عبد الله بن حازم البغوي بمكة أخبرنا أبو صالح بن أيوب الهاشمي أخبرنا إبراهيم بن سعد أخبرنا سعيد بن محمد عن يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ، ولجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل » (والكاظمين الغيظ) أي الجارعين

منهم شيئا قال « أندرون من الصعلوك » قالوا الذي ليس له مل فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الصعلوك كل الصعلوك الذي له مال فمات ولم يقدم منه شيئا » قال : ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما الصرعة » قالوا : الصريع الذي لا تصرعه الرجال فقال صلى الله عليه وسلم « الصرعة كل الصرعة الذي يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويقشعر شعره فيصرع غضبه »

(حديث آخر) . قال الامام احمد : حدثنا ابن نمير حدثنا هشام هو ابن عروة عن أبيه عن الاحنف بن قيس عن عم له يقال له حارثة بن قدامة السعدي أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله قل لي قولاً ينفعني وأقلل عليّ ألمي أعيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تغضب » فأعاد عليه حتى أعاد عليه مراراً كل ذلك يقول « لا تغضب » وهكذا رواه عن أبي معاذية عن هشام به ، ورواه أيضاً عن يحيى بن سعيد القطان عن هشام به : أن رجلاً قل يا رسول الله قل لي قولاً وأقلل عليّ ألمي أعقله فقال « لا تغضب » الحديث انفرد به احمد

(حديث آخر) قال احمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال رجل يا رسول الله أوصني قال « لا تغضب » قال الرجل : ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله ، انفرد به احمد (حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا ابو معاوية حدثنا داود بن أبي هند عن أبي حرب ابن أبي الاسود عن أبي الاسود عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كان يسقي على حوض له فجاء قوم فقالوا : أبكم يورد على أبي ذر ويحسب شعرات من رأسه ؟ فقال رجل : أنا فجاء فأورد على (١) الحوض فدقه ، وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع فقبل له : يا أبا ذر لم جلست ثم اضطجعت ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لنا « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب والا فليضطجع » ورواه ابو داود عن احمد بن حنبل بإسناده الا أنه وقع في روايته عن أبي حرب عن أبي ذر والصحيح ان أبي حرب عن أبيه عن أبي ذر كما رواه عبد الله بن احمد عن أبيه

(١) فيها عليه

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا ابراهيم بن خالد حدثنا أبو وائل الصنعاني قل : كنا جلوساً عند عروة بن محمد إذ دخل عليه رجل فكلامه بكلامه أغضبه فلما أن أغضبه (٢) قام ثم عاد إلينا وقد توشأ فقال : حدثني أبي عن حدي عطية هو ابن سعد السعدي - وقد كانت له صعبة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خاق من النار ، وإنما أطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فلتوضأ » وهكذا رواه ابو داود من حديث ابراهيم بن خالد الصنعاني عن أبي وائل القاص المرادى الصنعاني قالو أبو داود : أراه عبد الله بن بحير

(٢) فيها غضب

الغبط عند امتلاء نفوسهم منه ، والكظم حبس الشيء عند امتلائه وكظم الغبط أن يمتلي غيظاً فيرده في حوفه ولا يظهره ومنه قوله تعالى (إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) أخبرنا أبو سعيد الشرمي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أخبرنا أبو عمرو الفرائي أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الامغرابي أخبرنا ابو

(١) فيها جملة

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا نوح بن معاوية (١) السلمي عن مقاتل بن حيان عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنظر معسراً أو وضع عنه وقاه الله من فيح جهنم » ألا إن عمل الجنة حزن بربوة ثلاثاً ، ألا إن عمل النار سهل بسهوة ، والشهيد من وفي القين ، وما من جرعة أحب الى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد الله إلا ملأ الله جوفه إيماناً » انفرد به احمد واستاده حسن ليس فيه مجروح ومثله حسن (حديث آخر في معناه) قال ابو داود حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا عبد الرحمن يعني ابن مهدي عن بشر يعني ابن منصور عن محمد بن عجلان عن سويد بن وهب عن رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفعه ملأ الله جوفه أمناً وإيماناً ، ومن ترك لبس ثوب جهال وهو قادر عليه - قال بشر : أحسبه قال تواضعاً - كساه الله حلة السكامة ، ومن توج الله كساه الله تاج الملك »

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا عبد الله بن يزيد قال حدثنا سعيد حدثني أبو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفعه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء » ورواه ابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سعيد بن ابي ايوب به وقال الترمذي : حسن غريب

(حديث آخر) قال عبد الرزاق أنبأنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل عن عم له عن ابي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى (والكاظمين الغيظ) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من كظم غيظاً وهو يقدر على انفاذه ملأ الله جوفه أمناً وإيماناً »

(حديث آخر) قال ابن مردويه : حدثنا احمد بن محمد بن زياد أنبأنا يحيى بن أبي طالب أنبأنا علي بن عاصم اخبرني يونس بن عبيد عن الحسن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تجرع عبد من جرعة أفضل اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله » رواه ابن جرير ، وكذا رواه ابن ماجه عن بشر بن عمر عن حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد به فقلوله تعالى (والكاظمين الغيظ) أي لا يعملون غضبهم في الناس بل يكفون عنهم شرهم ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل . ثم قال تعالى (والعافين عن الناس) أي مع كف الشر يعفون عن ظلمهم في أنفسهم فلا يبتغي في أنفسهم موحدة على احد ، وهذا أكل الاحوال ، ولهذا قال (والله يحب

عبد الله بن محمد زكريا الملائي اخبرنا روح بن عبد المؤمن اخبرنا ابو عبد الرحمن المقرئ اخبرنا سعيد بن ابي ايوب قال حدثني ابو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً وهو يقدر على ان ينفعه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء » (والعافين عن الناس) قال السكاكي عن الملوكين « ووالادب وقال زيد بن أسلم ومقاتل عن ظلمهم وأساء اليهم » (والله يحب المحسنين) عن الثوري الاحسان ان تحسن

المحسنين) فهذا من مقامات الاحسان ، وفي الحديث « ثلاث أقسم عليهن ، ما نقص مال من صدقة وما راد الله عبدا بعفو الا عزا ، ومن تواضع لله رفعه الله » وروى الحاكم في مستدركه من حديث موسى بن عقبة عن اسحق بن يحيى بن ابي طلحة القرشي عن عبادة بن الصامت عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليدع عن ظلمه ، ويعط من حرمه ، ويصل من قطعه » ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقد أورده ابن مردويه من حديث علي وكعب بن عجرة وابي هريرة وأم سلمة رضي الله عنهم بنحو ذلك ، وروى من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول : أين العاقون عن الناس هلموا الى ربكم وخذوا أجوركم وحق على كل امرئ مسما اذا عفا أن يدخل الجنة » وقوله تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) أي اذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار . قال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا همام بن يحيى عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن عبد الرحمن ابن ابي عمرة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان رجلا أذنب ذنبا فقال : رب اني أذنبت ذنبا فاغفره لي فقال الله عز وجل : عبدى عمل ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب

الى المسىء فان الاحسان الى المحسن متاجرة قوله تعالى

(والذين اذا فعلوا فاحشة) قال ابن مسعود قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم اذا أذنب أصبح وكفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابها جددع أمهك أو أذنك افعل كذا وكذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وقال عطاء نزلت في تيهان التمار وكبيته أبو معبد أتمه امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت هذه الآية ، وقال مقاتل والكلبي أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين أحدهما من الانصار والآخر من ثقيف فخرج الثقيفي في غزاة فاستخاف الانصاري على أهله فاشتري لهم اللحم ذات يوم فلما ارادت المرأة ان تأخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقيفي لم يستقبله الانصاري فسأل امرأته عن حاله فقالت لا أكثر الله في الاخوان مثله ووصفت له الحال والانصاري يسبح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقيفي حتى وجده فأتى به أبا بكر رجاء أن يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصاري هلمك وذكر القصة فقال أبو بكر وبكك أما علمت أن الله تعالى يغفر للغازي مالا يغفر للمقيم ثم أتيا عمر رضي الله عنه فقال مثل ذلك فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له مثل مقاتلها فأنزل الله تعالى هذه الآية (والذين اذا فعلوا فاحشة) بمعنى قبيحة خارجة عما أذن الله تعالى فيه وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا (أو ظلموا أنفسهم) ما دون الزنا من

ويأخذ به قد غفرت لعبدي ، ثم عمل ذنبا آخر فقال : رب اني عملت ذنبا فاغفره فقال تبارك وتعالى علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي ، ثم عمل ذنبا آخر فقال : رب اني عملت ذنبا فاغفره لي فقال عز وجل : علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي ثم عمل ذنبا آخر فقال : رب اني عملت ذنبا فاغفره فقال الله عز وجل : عبدي علم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، أشهدكم اني قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء » أخرجاه في الصحيحين من حديث اسحق بن أبي طلحة بنحوه

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا ابو النضر وابو عامر قالوا حدثنا زهير حدثنا سعد الطائي حدثنا ابو المدله مولى أم المؤمنين سمع ابا هريرة قنا يارسول الله : اذا رأيتك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ، واذا فارقتك أعجبنا الدنيا وشممنا النساء والاولاد فقال « لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي كنتم عليها عندي اصالحتمكم الملائكة بأكفهم ، ولزارتكم في بيوتكم ، ولو لم تذبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم » قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال « لبننة ذهب ولبننة فضة ، وملاطها المسك الاذفر ، وحصباءؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا يبئس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم ، الامام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم ترحل على الغمام وتفتح لها ابواب السماء ، ويقول له الرب عزتي لانصرنك ولو بعد حين » ورواه الترمذي وابن ماجه من وجه آخر من حديث سعد به.

وبنا كذا الوضوء وصلاة ركعتين عند التوبة لما رواه الامام احمد بن حنبل حدثنا وكيع حدثنا مسعر وسفيان الثوري عن عثمان بن المغيرة الثقيفي عن علي بن ربيعة عن أسماء بن الحكم الفزارى عن علي رضي الله عنه قال : كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعتني الله بما شاء منه ، واذا حدثني عنه غيره استحلقتني فاذا حلفت لي صدقته ، وان أبا بكر رضي الله عنه حدثني وصدق ابو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن رجل بذنوب ذنبا فيتوضأ ويحسن الوضوء - قال مسعر - فيصل - وقال سفيان ثم يصلي - ركعتين فيستغفر الله عز وجل الاغفر له » وهكذا رواه علي بن المديني والحميدي وأبو بكر بن أبي شيبة وأهل السنن وابن حبان في صحيحه والبخاري والدارقطني من طرق عن عثمان بن المغيرة به ، وقال الترمذي : هو حديث حسن ، وقد ذكرنا طرقه والكلام عليه مستقصى في مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبالجملة فهو حديث حسن وهو من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن خليفة النبي صلى الله عليه وسلم أبي بكر رضي الله عنهما ، ومما يشهد بصحة هذا الحديث ما رواه مسلم في صحيحه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامنكم من أحديتوضأ فيباغ - أو فيسبغ - الوضوء ، ثم يقول أشهد أن لا إله الا الله القبلية والمعانقة والظفر واللمس وقال مقاتل والكلبي الفاحشة مادون الزنا من قبله أو لمسة أو نظرة فيما لا يحل (أو ظلموا أنفسهم) بالمصيبة وقيل فعلوا فاحشة الكبار أو ظلموا أنفسهم بالصغائر وقيل فعلوا

وحد لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء . وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه توضأ لهم وضوء النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » فقد ثبت هذا الحديث من رواية الأئمة الاربعة الخلفاء الراشدين ، عن سيد الاولين والآخرين ، ورسول رب العالمين ، كما دل عليه الكتاب المبين ، من ان الاستغفار من الذنب ينفع العاصين ، . وقد قال عبد الرزاق أنبأنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بلغني ان ابلis حين نزلت هذه الآية (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) الآية بكى . وقال الحافظ ابو يعلى حدثنا محرز بن عون حدثنا عثمان بن مطر حدثنا عبد الغفور عن أبي نضرة عن أبي رجاء عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « عليكم بلااله الا الله ، والاستغفار ، فأكثرُوا منها فان ابلis قال : أهلك الناس بالذنوب وأهلكوني بلااله الا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلكهم بالاهواء ، فهم يحبون أنهم مهتدون » عثمان بن مطر وشيخه ضعيفان . وروى الامام احمد في مسنده عن طريق عمرو بن عمرو وأبي الهيثم العتاري عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال ابلis : يارب وعزتك لا أزال أغوي بني آدم مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أزال أعفر لهم ما استغفروني » . وقال الحافظ ابو بكر البزار : حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عمر بن خليفة (١) سمعت ابيدريحدث عن ثابت عن أنس قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله اني أذنبت ذنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا أذنبت فاستغفر ربك فقلها في الرابعة وقال استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور » وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقوله تعالى (ومن يغفر الذنوب الا الله) أي لا يغفرها أحد سواه كما قال الامام احمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا سلام بن مسكين والمبارك (٢) عن الاسود بن سريع ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بأسير فقال : اللهم اني أتوب إليك ولا أتوب الى محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم « عرف الحق لاهله » وقوله (ولم يصروا على

(١) في ابن أبي خليفه

(٢) في الازهرية

عن الحسن

فاحشة فعلا أو ظلموا أنفسهم قولاً (ذكروا الله) أي ذكروا وعيد الله وان الله سائهم وقال مقاتل ابن حيان ذكروا الله باللسان عند الذنوب (فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله) أي رجل يغفر الذنوب الا الله (ولم يصروا على ما فعلوا) أي لم يقيموا ولم يثبتوا عليه ولكن تابوا واستغفروا وأصل الاصرار الثبات على الشيء . قال الحسن انيان العبد ذنبا عمدا اصرار حتى يتوب وقال السدي الاصرار السكوت وترك الاستغفار أخبرنا عبد الواحد الملبحي أنا احمد بن عبد الله النعماني أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أنا يحيى بن يحيى أنا عبد الحميد بن عبد الرحمن عن عثمان بن واقد العمري عن أبي نضرة قال لقبت مولى لابني بكر رضي الله عنه فقلت له أسمع من أبي بكر شيئا؟ قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أصغر من

ما فعلوا وهم يعلمون) أي تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب، ولم يستمروا على المعصية وبصروا عليها غير مقلدين عنها، ولو تكرّر منهم الذنب تابوا منه كما قال الخافض أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا اسحق بن أبي إسرائيل وغيره قالوا: حدثنا أبو يحيى عبد الحميد الحماني عن عثمان بن واقد عن أبي نصر عن مولى لابي بكر عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة» ورواه أبو داود والترمذي والبخاري في مسنده من حديث عثمان بن واقد—وقد وثقه يحيى بن معين به—وشيخه أبو نصر المقياسطي واسمه سالم بن عبيد، وثقه الإمام أحمد وابن حبان، وقول علي بن المديني والترمذي: ليس اسناد هذا الحديث بذلك، فالظاهر أنه لاجل جملة مولى أبي بكر، ولكن جهالة مثله لا تضر لأنه تابعي كبير وبكفيه نسبه إلى أبي بكر فهو حديث حسن والله أعلم. وقوله (وهم يعلمون) قال مجاهد وعبد الله بن عبيد ابن عمير (وهم يعلمون) أن من تاب تاب الله عليه، وهذا كقوله تعالى (ألم يعلموا أن الله هو يقبل

استغفر وإن عاد في اليوم أربعين مرة) (وهم يعلمون) قال ابن عباس والحسن ومقاتل والسكبي وهم يعلمون أنها معصية وقيل وهم يعلمون أن الإصرار ضار وقال الضحك وهم يعلمون أن الله يملك مغفرة الذنوب وقال الحسين بن الفضل وهم يعلمون أن لهم ربا يغفر الذنوب وقيل وهم يعلمون أن الله لا يتعاطاه العفو عن الذنوب وإن كثرت وقيل وهم يعلمون أنهم إن استغفروا غفر لهم (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) ثواب المطيعين أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياتي أنا حميد بن زنجويه أنا هفان بن مسلم أنا أبو عوانة أنا عثمان بن المغيرة عن علي بن ربيعة الأسدي عن أسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول إني كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ينفعني الله منه بما شاء أن ينفعني وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلته فإذا حلف لي صدقته وأنه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما من عبد مؤمن يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله لا عفر الله» ورواه أبو عيسى عن قتيبة عن أبي عوانة وزاد ثم قرأ (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي أنا حميد بن زنجويه أنا هشام بن عبيد الملك أخبرنا همام عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة قال كان قاض بالمدينة يقال له عبد الرحمن بن أبي حمزة وسمعه يقول سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن عبدا أذنب ذنبا فقال أي رب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال فقال له ربه عز وجل علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا آخر فقال رب أذنبت ذنبا فاغفره لي فقال له ربه عز وجل علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فافعل ما شاء» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي أنا حميد بن زنجويه أخبرنا

التوبة عن عباده) وكفوله (ومن يعمل سوا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيمًا) ونظائر هذا كثيرة جداً. وقال الامام احمد: حدثنا يزيد أنبأنا جرير حدثنا حبان هو ابن زيد الشرعي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وهو على المنبر «ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم، وبل لا تقاع القول، وبل للمصيرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون» تفرد به احمد. ثم قال تعالى بعد وصفهم بما وصفهم به (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم) أي جزاؤهم على هذه الصفات (مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار) أي من أنواع المشروبات (خالدين فيها) أي ما كثر فيها (ونعم أجر العاملين) يمدح تعالى الجنة

قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عقبة المكذبين (١٣٧)
هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين (١٣٨) ولا تنهوا ولا تمننوا واتم الاعلون ان كنتم مؤمنين (١٣٩) ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الايام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين (١٤٠) وليحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين (١٤١) أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين (١٤٢) ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون (١٤٣)

الزعمان الصدوسي أخبرنا المهدي بن ميمون أخبرنا غيلان بن جرير عن شهر بن حوشب عن معدي كرب عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال «يا ابن آدم انك مادعوتي ورجوتني غفرت لك على ما كان منك، ابن آدم انك ان تلقني بقراب الارض خطايا لقينك بقرابها مغفرة بعد أن لا تشرك بي شيئاً، ابن آدم انك أن تذب حتى تبلغ ذنوبك عنان السماء ثم تستغفرني أغفر لك» أخبرنا عبد الواحد المايحي أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين الحسيني أنا عبد الله بن محمود بن حسن الشريقي أنا أبو الازهر أحمد بن الازهر أخبرنا ابراهيم بن الحكم بن أبان حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى «من علم أني ذو قدرة علي مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئاً» قال ثابت البناني بلغني أن ابليس بكى حين نزلت هذه الآية (والذين اذا فعلوا فاحشة) الى آخرها قوله تعالى (قد خلت من قبلكم سنن) قال عطاء شرائع وقال الكلبي مضت لكل أمة سنة ومنهاج اذا اتبعوها رضي الله عنهم وقال مجاهد (قد خلت من قبلكم سنن) بالهلاك فيمن كذب

(١) في الازهرية
الذين

يقول تعالى مخاطبا عباده المؤمنين لما (١) أصيبوا يوم أحد وقتل منهم سبعون (قد خلت من قبلكم سنن) أي قد جرى نحو هذا على الامم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الانبياء ثم كانت العاقبة لهم والدائرة على الكافرين ولهذا قال تعالى (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) ثم قال تعالى (هذا بيان للناس) يعني القرآن فيه بيان الامر على جليتها، وكيف كان الامم الاندمون مع أعدائهم (وهدى وموعظة) يعني القرآن فيه خبر ما قبلكم وهدى لقلوبكم وموعظة أي زاجر عن المحارم والمآثم. ثم قال تعالى مسليا المؤمنين (ولا تنهوا) أي لا تضعفوا بسبب ما جرى (ولا تحزنوا) وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أي العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون (ان يمسسكم قرح فقد قبلكم رقيل سنن أي أم والسنة الامة قال الشاعر

ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأوا مثلكم في سالف (١) السنن

(١) في نسختنا سائر

وقيل معناه أهل السنن والسنة الطريقة المتبعة في الخير والشر يقال سن فلان سنة حسنة وسنة سيئة اذا عمل عملا اقتدي به من خير أو شر ومعنى الآية قد مضت وسلفت من سنن فيمن كان قبلكم من الامم الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي ايام حتى يبلغ الكتاب فيهم أجل الذي أجأته لاهلاكهم وادالة أنبيائي عليهم (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي آخر أمر المكذبين وهذا في حرب أحد يقول الله عز وجل فانا امهلهم وأستدرجهم حتى يبلغ أجل الذي اجلته في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وأوليائه واهلاك أعدائه (هذا) أي هذا القرآن (بيان للناس) عامة (وهدى) من الضلالة (وموعظة للمتقين) خاصة

قوله تعالى (ولا تنهوا ولا تحزنوا) هذا حث لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد والصبر على ما أصابهم من القتل والجرح يوم أحد يقول الله تعالى (ولا تنهوا) أي لا تضعفوا ولا تحزنوا عن جهاد أعدائكم بما نالكم من القتل والجرح وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وقتل من الانصار سبعون رجلا ولا تحزنوا أي على ما فاتكم (وأنتم الاعلون) بأن يكون لكم العاقبة بالنصر والظفر على أعدائكم (ان كنتم مؤمنين) يعني اذ كنتم أي لانكم مؤمنون قال ابن عباس رضي الله عنهما انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فأقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يملوه علينا اللهم لا قوة لنا الا بك وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزمهم فذلك قوله تعالى (وأنتم الاعلون) وقال الكلبي نزلت هذه الآية بعد يوم أحد حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بطالب القوم بعد ما أصابهم من الجرح فاشتد ذلك على المسلمين فأمر الله تعالى هذه الآية دليلا قوله تعالى (ولا تنهوا في ابتغاء القوم)

قوله تعالى (ان يمسسكم قرح) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر قرح بضم القاف حيث جاء وقرأ الآخرون بالفتح وهما لانه ان معناه واحد كالجهد والجهاد قال الفراء القرح بالفتح اسم للجراحة وبالفتح اسم لآلم الجراحة

مس القوم قرح مثله) أي ان كنتم قد أصابتكم جراح وقتل منكم طائفة فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح (وتلك الايام نداولها بين الناس) أي ندبل عليكم الاعداء تارة ، وان كانت اليكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة ، ولهذا قال تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) قل ابن عباس : في مثل هذا انرى من يصبر على مناجزة الاعداء (ويأخذ منكم شهداء) يعني يقتلون في سبيله

هذا خطاب مع المسلمين حيث انصرفوا من أحد مع السكابة والحزن يقول الله تعالى لهم (ان يمسسكم قرح) يوم أحد ﴿ فقد مس القوم قرح مثله ﴾ يوم بدر ﴿ وتلك الايام نداولها بين الناس ﴾ فيوم لهم ويوم عليهم اذيل المسلمون من المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين وأذيل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسة وسبعين (١) خبرنا عبد الواحد بن أحمد المايحي أنا أحمد بن عبد الله النعمي أن محمد بن يوسف أنما محمد بن اسماعيل أخبرنا عمرو بن خالد أن أبا هريرة أخبرنا أبو اسحق قال سمعت البراء بن عازب يحدث قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير فقال « إن رأيتمونا ننحفظنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وإن رأيتمونا نهزمن القوم وأرطانا هم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم » فهزموهم قال قاتنا والله رأيت النساء يشتدن قد بدت خلاخلن وأسوقن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنمية أي قوم الغنمية ظهر أصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله لنا بين الناس فلنصيب من الغنمية فلما آتوهم صرنت وجوههم فاقبلوا منهزمين فذلك قوله (والرسول يدعوكم في أخراكم) فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فأصابوا منا سبعين وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين سبعين أسيرا وسبعين قتيلًا فقال أبو سفيان في القوم محمد؟ ثلاث مرات فنهأ النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه، ثم قال في القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات - ثم قال في القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات - ثم رجع إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عبد الله ان الذين عددت لآحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك، فقال يوم بيوم بدر والحرب سجال، انكم ستجدون في القوم مثله لم آمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز أعل هبل أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الانجيبيوه » قالوا يا رسول الله ما نقول قال « قولوا الله أعلى وأجل » قال ان لنا العزى ولا عزى لكم، قال النبي صلى الله عليه وسلم « الانجيبيوه » قالوا يا رسول الله ما نقول قال « قولوا الله مولانا ولا مولى لكم » وروى هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي حديثه قال أبو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال، فقال عمر رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلناكم في النار، قال الزجاج للدرلة تكون لله - لمين على الكفار لقوله تعالى (وان جندنا لهم الغالبون) وكانت يوم أحد للكفار على المسلمين الخالفهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ﴾ يعني انما كانت هذه المداولة ليعلم أي يرى (الله الذين

(١) في نسخة

وتسعين

أن تموت إلا بأذن الله كتباً مؤجلاً ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشكرين (١٤٥) وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فاهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصبرين (١٤٦) وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسر افنا في أمرنا ، وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (١٤٧) فاتهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين (١٤٨)

لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم ، نادى الشيطان : ألا إن محمدا قد قتل ، ورجع ابن قبيصة إلى المشركين فقال لهم : قتلت محمداً ، وإنما كان قد ضرب رسول الله فشهده الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من أحد في سيمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير وهو أخو خوات بن جبير على الرجال وكانوا خمسين رجلاً وقال أقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا فإن كانت لنا أو علينا فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم وأنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم فجاءت قریش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف ويقان الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً فقال « من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يشخن » فاخذه أبو دجانة ممالك بن خزيمة الانصاري فلما أخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انها لمشية ينقضها الله تعالى الا في هذا الموضع » ففلق به هام المشركين وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين فهزموهم وروينا عن البراء بن عازب قال فأننا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة والله لتأتين الناس ولنصيبن من الغنيمة فلما أتوه صرقت وجوههم قال الزبير بن العوام فرأيت هنداً وصواحبها ربات مصعدات في الجبل ياديات خدامهن مادون أخذهن شيء فلما نظرت الرماة إلى القوم قد انكشفوا ورأوا أصحابهم ينتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين ثم حمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من خلفهم فهزموهم وقتلهم ورمي عبد الله بن قبيصة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسرا فغروا بعينه وشجعه في وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة ليعلوها وكان قد ظاهر بين درعين فلم يستطع لخماس تحتها طاحنة حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوجب طاحنة » ووقعت هند والنسوة معها يمثان بالقتلى من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يمدعن

في رأسه ، فرقم ذلك في قلوب كثير من الناس ، واعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل وجوزوا عليه ذلك كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام فصل ضيف ودهن وتأخر عن القتال فني ذلك أنزل الله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) أي له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه . قال ابن أبي نجيح عن أبيه : إن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الانصار وهو يتشجط في دمه فقال له : يا فلان أشعرت أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل ؟ فقال الانصاري : إن كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فنزل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) رواه الحافظ أبو بكر الهيثمي في دلائل النبوة . ثم قال تعالى منكرا على من حصل له ضعف

الأذان والانوف حتى أخذت هند من ذلك قلائد وأعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة ولا كتبها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها وأقبل عبد الله بن قتيبة يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم فذبه مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قتيبة وهو يرى أنه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إلى المشركين وقال أني قتلت محمدا وصاح صارخ ألا إن محمدا قد قتل ويقال إن ذلك الصارخ بلبس لعنة الله عليه فأنكها الناس وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس «إلى عباد الله إلى عباد الله» فاجتمع إليه ثلاثون رجلا فحمله حتى كشفوا عنه المشركين ورمي سعد بن أبي وقاص حتى اندقت سية قوسه ونزل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنيته وقال له «أرم فذاك أبي وأمي» وكان أبو طلحة رجلا راميا شديدا النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا وكان الرجل يمر بمجربة من النبل فيقول «انثرها لاني طلحة» وكان إذا رمى استشرف النبي صلى الله عليه وسلم لينظر إلى موضع نبلة وأصابت يد طلحة بن عبيد الله فبيست حين وقع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصابت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها فعدت كاحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه أبي بن خلف الجمحي وهو يقول لانيجوت أن نجوت ، فقال القوم يا رسول الله لا يدطف عليه رجل منا فقال صلى الله عليه وسلم «دعوه» حتى إذا دنا منه وكان أبي قبل ذلك باقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندي رمكة أعلفها كل يوم فرق ذرة أقتلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بل» أما اقتلك إن شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه فخدشه خدشة فتدهأ عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلني محمد فحمله أصحابه وقالوا ليس عليك بأس قال بلى لو كانت هذه الطعنة بريئة وضر لقتلتهم ليس قال لي أقتلك فلو بزق علي بعد تلك المقلة لقتلني فلم يلبث إلا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن علي أنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : اشتد غضب الله على من قتله نبي ، واشتد غضب الله على من دمي وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا :

(أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) أي رجعت القهقري (ومن ينقلب على عقبه فإن بضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) أي الذين قاموا بباطلته، وقاتلوا عن دينه، واتبعوا رسوله حيا وميتا. وكذلك ثبت في الصحيحين المساند والسنن وغيرها من كتب الاسلام من طرق متعددة تفيد القطع وقد ذكرت ذلك في مسندى الشيبخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ان الصديق رضي الله عنه تلا هذه الآية لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرني أبو سلمة ان عائشة رضي الله عنها أخبرته ان أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسبخ حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغطى (١) بثوب جبرة، فكشف عن وجهه ثم اكب عليه وقبله وبكى ثم قال: يا أبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد تمتها. وقال الزهري: وحدثني أبو سلمة عن ابن عباس ان أبا بكر خرج وعمر يكلم (٢) الناس وقال: اجلس يا عمر قال أبو بكر: أما بعد من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وفشا في الناس ان محمداً قد قتل، فقال بعض المسلمين: ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي فياخذ لنا اماما من بني سفيان، وبعض الصحابة جاسوا والقوا ما بأيديهم من الاسلحة، وقال انس من أهل النخلة: إن كان محمد قد قتل فليخترنا بدنيكم الاول فقال انس بن النضر عم انس بن مالك: يا قوم إن كان قد قتل محمد فإن رب محمد لم يقتل، وما نصنعون الحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: اللهم إني اعتذر اليك بما يقول هؤلاء يعني المسلمين، وأبرأ اليك بما جاء به هؤلاء يعني المنافقين، ثم شد سيفه فقاتل حتى قتل، ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال: عرفت حينئذ تحت المغفر تزهان، فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إلي أن اسكت، فأحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا: يا نبي الله فديناك بأبائنا وأمانتنا اتانا الخبر بأنك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) ومحمد هو المستغرق لجمع المحامد، لأن الحمد لا يستجبه الا السكال، والحمد فوق الحمد فلا يستحقه الا المستولي على الامر في السكال واكرم الله نبيه وصفيه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله محمد واحمد، وفيه يقول حسان بن ثابت:

ألم تر ان الله ارسل عبده ببرهانه والله أعلى واعجب

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

قوله تعالى (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) أي رجعتكم الى دينكم الاول (ومن ينقلب على عقبه) ويرتد عن دينه (فان بضر الله شيئا) يارتداده وانما ضر نفسه (وسيجزي الله الشاكرين)

(١) فيها مغشى

(٢) فيها يتحدث

«١» فيها ما سمعها
بشراً من الناس إلا
تلاها

قال الله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل - الى قوله - وسيجزى الله الشاكرين)
قال: فوالله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلها منه الناس كلهم
فما اسمع (١) بشرا من الناس الا يتلوها. وأخبرني سعيد بن المسيب ان عمر قال: والله ما هو الا أن
سمعت أبا بكر تلاها فعرقت حتى ما تقاني رجلاي، وحتى هويت الى الارض. وقال أبو القاسم
الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد حدثنا اسباط بن نصر عن
مماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس ان عليا كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
(أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) والله لا تنقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات
أو قتل لا قاتلنا على ما قاتل عليه حتى أموت، والله إني لآخوه ووليه وابن عمه ووارثه فمن أحق به مني.
وقوله تعالى (وما كان لنفس أن تموت الا بأذن الله كتابا مؤجلا) أي لا يموت احد الا بقدر الله

وحتى يسوفي المدة التي ضربها الله له، ولهذا قال (كتابا مؤجلا) كقوله (وما يعمر من معمر ولا
ينقص من عمره الا في كتاب) وكقوله (هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده)
وهذه الآية فيها تشجيع للجناء وغريب لهم في القتال، فان الاقدام والاحجام لا ينقص من العمر
ولا يزيد فيه، كما قال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن يزيد البستي قال: سمعت أبا معاوية عن
الاعمش عن حبيب بن ظبيان قال: قال رجل من المسلمين وهو حمر بن عدي: ما يمنعكم أن تعبروا
الى هؤلاء العدو هذه النطفة - يعني دجلة - (ما كان لنفس أن تموت الا بأذن الله كتابا مؤجلا) ثم
أقحم فرسه دجلة، فلما أقحم أقحم الناس، فلما رأهم العدو قالوا: ديوان فهر يوا. وقوله (ومن يرد
ثواب الدنيا نؤته منها، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) أي من كان عمله للدنيا فقط ناله منها
ما قدره الله له، ولم يكن له في الآخرة من نصيب، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها
ما قسم له في الدنيا كما قال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) وقال تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن
نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن

وما كان لنفس أن تموت قال الا خفش: اللام في النفس منقولة من تموت تقدبره وما كان نفس تموت
(الا بأذن الله) بقضائه وقدره، وقيل: بعمله، وقيل: بأمره (كتابا مؤجلا) أي كتب لكل نفس
أجلا لا يقدر احد على تغييره وتأخيرها، ونصب كتابا على المصدر أي كتب كتابا (ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها) يعني من يرد بطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله، يريد نؤته منها
ما يشاء مما قدرناه له كما قال (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) نزلت في الذين
تركوا المركز يوم احد واليا للفتنة (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) أي اراد بعمله الآخرة قيل
أراد الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا (وسيجزى الشاكرين) أي المؤمنين المطيعين
أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أخبرنا أبو الحسن أحمد بن موسى بن العلاء أنا أبو اسحق

فأولئك كان معهم مشكورا) ولهذا قال ههنا (وسنجزي الشاكرين) أي سندها بهم من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم. ثم قال تعالى مسليا للمؤمنين عما كان وقع في نفوسهم يوم أحد (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير) قيل: معناه كم من نبي قتل وقتل معه ربيون من أصحابه كثير، وهذا القول هو اختيار ابن جرير فإنه قال: وأما الذين قرؤا (قتل معه ربيون كثير) فأنهم قالوا: إنما عني بالقتل النبي وبعض من معه من الرابين دون جميعهم، وإنما في الوهن والضعف عن قتي من الرابين ممن لم يقتل، قال: ومن قرأ قاتل فإنه اختار ذلك لأنه قال: لو قتلوا لم يكن لقول الله (فما وهنوا) وجه معروف لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا، ثم اختار قراءة من قرأ (قتل معه ربيون كثير) لأن الله عاتب بهذه الآيات والتي قبلها من أنهم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمدا قد قتل فعذبهم الله على فرارهم وتركهم القتال فقال لهم (أفان مات أو قتل) أي المؤمنون ارتدتم عن دينكم و(انقلبتم على أعقابكم) وقيل: وكمن من نبي قتل بين يديه من أصحابه ربيون كثير. وكلام ابن اسحق في السيرة يقتضي قولاً آخر فإنه قال وكأين من نبي أصابه القتل ومعه ربيون أي جماعات فما وهنوا بعد نبيهم، وما ضعفوا عن عدوهم، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم، وذلك الصبر (والله يحب الصابرين) فجعل قوله (معه ربيون كثير) حالا، وقد نصر هذا القول السهيلي وبالحق فيه، وله اتجاه لقوله (فما وهنوا لما أصابهم) الآية، وكذا حكاها الاموي في معازيه عن كتاب محمد بن ابراهيم ولم يحك غيره، وقرأ بعضهم (قاتل معه ربيون كثير) أي الوف، وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة

ابراهيم عبد الصمد الهاشمي أنا ابو يحيى محمد بن عبد الله بن يزيد بن عبد الرحمن بن المقرئ أنا أبي أنا الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولا يأتيه منها إلا ما كتب الله له» أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن أبي توبة الزرادي أخبرنا أبو بكر محمد بن ادريس ابن محمد الجرجاني وأبو احمد محمد بن احمد بن علي الملم الهروي قال أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى الماليني أخبرنا أبو العباس الحسن بن صفيان النسوي أخبرنا حسان بن موسى وعبد الله بن أسماء ابن أخي جوبة بن أسماء قالوا: أخبرنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» قوله تعالى ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير﴾ قرأ ابن كثير وكأين بالمد والهمزة على وزن كاعن وتلويح الهمزة أبو جعفر وقرأ الآخرون وكأين بالهمزة والتشديد على وزن كعين ومعناه

والحسن وقتادة والسدي والربيع وعطاء الخراساني : الربيون الجموع الكثيرة ، وقال عبد الرزاق عن معمر بن الحسن (ربيون كثير) : أي علماء كثير ، وعنه أيضا : علماء صبر أي ابرار أتقيا . وحكي ابن جرير عن بعض حجة البصرة أن الربيين هم الذين يعبدون الرب عز وجل ، قال : ورد بمضمون عليه فقال : لو كان كذلك لقل الربيون بفتح الراء ، وقال ابن زيد : الربيون الاتباع والرعية والربانيون الولاة (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا) قال قتادة والربيع بن أنس : (وما ضعفوا) بقتل نبيهم (وما استكانوا) يقول : فما ارتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم أن قتلوا على ما قاتل عليه نبي الله حتى لحقوا بالله ، وقال ابن عباس (وما استكانوا) تخشعوا ، وقال ابن زيد : وما دلوا لعدوهم وقال محمد بن اسحق والسدي وقتادة : أي ما أصابهم ذلك حين قتل نبيهم (والله يحب الصابرين) وما كان قولهم إلا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا وأسراننا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرونا على القوم الكافرين) أي لم ين لهم هجير (١) إلا ذلك (فأتاهم الله ثواب الدنيا أي النصر

(١) الهجير والهجرة والهجرى بكسر الهاء وتشديد الجيم الدأب والمادة كالذي يكثر جريانه على الأسان

ولم وهي كاف التشبيه ضمت إلى أي الاستعماية ولم يقع النون صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة ويقف بعض القراء على وكأين بلا نون والا كثرون على الوقف بالنون قوله (قائل) فر ابن كثير ونافع وأهل البصرة بضم القاف وقرا الآخرون قاتل فمن قرا قاتل فلقوله (فما وهنوا) ويستحيل وصعهم بأنهم لم يهنوا بعد ما قتلوا ولقول سعيد بن جبيرة ماسمعا أن نبيا قتل في القتال ولأن قاتل أعم قال أبو عبيدة أن الله تعالى إذا حمد من قاتل كان من قتل داخل فيه وإذا حمد من قتل لم يدخل فيه غيرهم فكان قاتل أعم ومن قرا قتل فيه ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون القتل راجعا إلى النبي وحده فيكون مسم الكلام عند قوله قتل ويكون في الآية ضمنا معناه ومعه ربون كثير كما يقال قتل فلان معه جيش كثير أي ومعه (والوجه الثاني) أن يكون القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد بعض من معه تقول العرب قتلنا بني فلان وإما قتلوا بعضهم ويكون قوله (فما وهنوا) راجعا إلى الباقيين (والوجه الثالث) أن يكون القتل للربيين لا غير وقوله (ربون كثير) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة جموع كثيرة وقال ابن مسعود الربيون الألوف وقال السكبي الربية الواحدة عشرة آلاف وقال الضحاك الربية الواحدة ألف وقال الحسن فقهاء علماء وقيل هم الاتباع والربانيون الولاة والربون الرعية وقيل منسوب إلى الرب وهم الذين يعبدون الرب ﴿فما وهنوا﴾ أي فما جبنوا ﴿لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا﴾ عن الجهاد بما نالهم من ألم الجرح وقتل الأصحاب ﴿وما استكانوا﴾ قال مقاتل وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم وقال السدي وما ذلوا وقال عطاء وما تضرعوا وقال أبو العالية وما جبنوا ولكن صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم ﴿والله يحب الصابرين﴾

قوله تعالى ﴿وما كان قولهم﴾ نصب على خبر كان والاسم في أن قالوا ومعناه وما كان قولهم عند قتل نبيهم ﴿إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا﴾ أي الصغار ﴿وامرأنا في أمرنا﴾ أي الكبار ﴿وثبت أقدامنا﴾ كي لا نزول ﴿وانصرونا على القوم الكافرين﴾ يقول فهلا فعلنا وقلم مثل ذلك

والظفر والعاقبة (وحسن ثواب الآخرة) أي جمع لهم ذلك مع هذا (والله يحب المحسنين)

يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خسرين (١٤٩)
 بل الله مولكم ، وهو خير النصيرين (١٥٠) سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما
 أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وما فهم النار وبئس مثنوى الظالمين (١٥١) ولقد صدقكم
 الله وعده اذ تحشونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتترعنتم في الامر وعصيتهم من بعد ما أرواكم
 ما تحبون ، منهم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد
 عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين (١٥٢) اذ تصعدون ولا تلونون على أحد والرسول
 يدعوكم في آخركم فأنابكم غما بنم لسكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصبكم والله خير بما
 تعملون (١٥٣)

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين ، فان طاعتهم ثورث الردى في الدنيا
 والآخرة ، ولهذا قال تعالى (ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) ثم
 امرهم بطاعته وموالاته والاستعانة به والتوكل عليه فقال تعالى (بل الله مولاكم وهو خير النصيرين)
 ثم بشرهم بأنه سلقي في قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلة لهم بسبب كفرهم وشركهم مع ما دخره
 لهم في الدار الآخرة من العذاب والشكال فقال (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا
 يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم) فأنام الله ثواب الدنيا (النصرة والغنيمة) وحسن ثواب
 الآخرة (أي الأجر والجنة) (والله يحب المحسنين)

(يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) يعنى اليهود والنصارى وقال علي رضي الله عنه
 يعنى المنافقين في قولهم المؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم (يردوكم على
 أعقابكم) ارجعوا الى أول أمركم من الشرك بالله (فتنقلبوا خاسرين) مغلوبين ثم قل (بل الله
 مولاكم) ناصركم وحافظكم على دينكم الاسلام (وهو خير النصيرين) سنلقي في قلوب الذين كفروا
 الرعب (وذلك أن أبا سفيان والمشركين لما ارتحلوا يوم أحد متوجهين نحو مكة اطلقوا حتى اذا
 بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا نأس ما صنعنا فقلناهم حتى اذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ارجعوا
 فاستأصلوا فلما عزوا على ذلك قذف الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به فذلك قوله تعالى
 (سنلقي) أي سنقذف (في قلوب الذين كفروا الرعب) الخوف قرأ أبو جعفر وان عابر والكسائي
 ويعقوب الرعب بضم العين وقرأ الآخرون بسكونها (بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) حجة

بأنه ما لم ينزل به سلطانا وما أوهام النار وبئس مثنوى الظالمين (وقد ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة ». وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي عن سليمان التيمي عن سيار عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فضاني الله على الأنبياء - أو قال على الأمم - بأربع، أرسلت إلى الناس كافة، وجعلت لي الأرض كلها ولا متي مسجدا وطهورا، فأينما أدركت رجلا من امتي الصلاة فعنده مسجده وطهوره، ونصرت بالرعب مسيرة شهر يقذف في قلوب أعدائي، وأحلت لي الغنائم » ورواه الترمذي من حديث سليمان التيمي عن سيار القرشي الأموي مولا لهم الدمشقي سكن البصرة عن أبي أمامة صدي بن عجلان رضي الله عنه به وقال: حسن صحيح. وقال سعيد بن منصور: أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نصرت بالرعب على العدو » ورواه مسلم من حديث ابن وهب: وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن ابن بريدة عن أبيه أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمسا بعثت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة، وليس من نبي إلا وقد سأل الشفاعة (١) » وأبي قد اختبأت شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئا » تفرد به أحمد. وروى العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (سنأتي في قلوب الذين كفروا الرعب) قال: قذف الله في قلب أبي سفيان الرعب فرجع إلى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرقا، وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب » رواه ابن أبي حاتم. وقوله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه) قال ابن عباس: وعدم الله النصر وقد يستدل بهذه الآية على أحد القولين المتقدمين في قوله تعالى (إذ تقول المؤمنون أن يكفيمكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين » بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) أن ذلك

« ١ » في الأثرية
شفاعته

وبرهاننا (وما أوهام النار وبئس مثنوى الظالمين) مقام الكافر ين
قوله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة من أحد قد أصابهم ما أصابهم قال ناس من أصحابه من ابن أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده) بالنصر والظفر وذلك أن الظفر كان للمسلمين في الابتداء (إذ تحسونهم باذنه) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينين وهو جبل عن يساره وأقام عليه الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم « احجوا ظهورنا فإن رأيتونا قد غنمنا فلا تشركونا وإن رأيتونا تقتل فلا تنصرونا »

كان يوم أحد ، لان عدوهم كان ثلاثة آلاف مقاتل ، فلما واجهوهم كان الظفر والنصر أول النهار للإسلام ، فلما حصل ما حصل من عصيان الرماة وفشل بعض المقاتلة ، تأخر الوعد الذي كان مشروطا بالثبات والطاعة ، ولهذا قال (ولقد صدقكم الله وعده) أي أول النهار (إذ تحسونهم) أي تقتلونهم (باذنه) أي بتسليطه إياكم عليهم (حتى إذا فشلتم) وقال ابن جريج : قال ابن عباس الفشل الجبن (وتنازعتم في الأمر وعصيتهم) كما وقع للرماة (من بعد ما أراكم ماتحبون) وهو الظفر بهم (منكم من يريد الدنيا) وهم الذين رغبوا في المغنم حين رأوا الهزيمة (ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صر فكم عنهم ليبتليكم) ثم أدا لكم عليهم ليخبركم ويمتحنكم (ولقد عفا عنكم) أي غفر لكم ذلك الصنيع وذلك والله أعلم لكثرة عدد العدو وعددهم ، وقلة عدد المسلمين وعددهم . قال ابن جريج : قوله (ولقد عفا عنكم) قال : لم يستأصلكم ، وكذا قال محمد بن اسحق ، رواهما ابن جرير (والله ذو فضل على المؤمنين) قال الامام احمد : حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ابي الزناد عن ابيه عن عبيد الله (١) عن ابن عباس أنه قال : ما نصر الله النبي صلى الله عليه وسلم في موطن كما نصره يوم أحد فأنكرنا ذلك ! فقال ابن عباس : بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله ، إن الله يقول في يوم أحد (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه) يقول ابن عباس والس (٢) الفشل (حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ماتحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) الآية ، وإنما عني بهذا الرماة ، وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم أقامهم في موضع وقال : « احموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا تقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا نغتم فلا تشركونا » فلما غنم النبي وأقبل المشركون فآخذوا في القتال فجعل الرماة يشقون خيل المشركين بالنبل والمسلمون يضر بونهم بالسيف حتى ولوا هاربين فذلك قوله تعالى (إذ تحسونهم باذنه) أي تقتلونهم قتلا ذريعا بقضاء الله قال أبو عبيدة الحس الاستئصال بالقتل (حتى إذا فشلتم) أي ان جبنتم وقيل معناه فلما فشلتم (وتنازعتم في الأمر وعصيتهم) فالواو زائدة في وتنازعتم يعني اذا فشلتم تنازعتم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره حتى اذا تنازعتم في الأمر وعصيتهم فشلتم ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم أن الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون فقال بعضهم انهزم القوم فما مقامنا وأقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لا نتجاوزوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن حبيب في نفر يسير دون العشرة فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبد الله بن حبيب وأصحابه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح فصارت دبوراً بعدما كانت صباوا فغضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضاً ما يشعرون من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين قوله تعالى (وعصيتهم) يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وخالفتم أمره (من بعد ما أراكم) الله (ماتحبون) يامعشر المسلمين من الظفر والغنيمة (منكم من يريد الدنيا) يعني الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب (ومنكم من يريد الآخرة) يعني الذين ثبتوا مع عبد الله

(١) فيها ابي عبد الله
(٢) في الازهرية
والحسن

(١) فيها اناحوا

صلى الله عليه وسلم وأناخ (١) عسكر المشركين أكب الرماة جميعا في العسكر ينهبون ، ولقد التفت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم هكذا - وشبك بين يديه - وانتشبا ، فلما أخل الرماة تلك الحلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب بعضهم بعضا والتبسوا ، وقتل من المسلمين ناس كثير ، وقد كان النصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ، وجال المشركون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار إنما كانوا تحت المهراس ، وصاح الشيطان قتل محمد فلم يشكوا به أنه حق ، فلا زلنا كذلك ما نشك أنه حق ، حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين نعرفه بكتفيه إذا مشى قال : ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا قاز : فرق نمونا وهو يقول « اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله » ويقول مرة أخرى « (٢) ليس لهم أن يعلموا » حتى انتهى اليها فمكث ساعة ، فإذا أبو سفيان يصح في أسفل الجبل : أعل هل - مرتين يعني إله - أين

(٢) فيها اللهم انه

ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ألا أجيبه قال « بلى » فلما قال : أعل هل قال عمر : الله أعلى وأجل ، فقال أبو سفيان : قد انعمت قال : عنها فقال : أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أبو بكر ، وهذا أنا عمر ، قال : فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، الأيام دول وإن الحرب سجال ، قال : فقال عمر : لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم . في النار قال : إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا وخسرنا إذن . فقال أبو سفيان : إنكم ستجدون في قتلاكم مثلاً ولم يكن ذلك على رأي سراننا قال : ثم ادر كتمه حمية الجاهلية فقال : أما انه ان كان ذلك لم نكرهه ، هذا حديث غريب وسبق عجيب ، وهو من مراسلات ابن عباس ، فانه لم يشهد احدا ولا ابوه ، وقد أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي النصر الفقيه عن عثمان بن سعيد عن سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس به ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سليمان بن داود الهاشمي به ، ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها - فقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن مسعود قال : إن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين فلو حلفت يومئذ رحوت أن أمرانه ليس منا احد يريد الدنيا حتى أنزل الله (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنها ليتليكم) فلما خالف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ما أمروا به أفرد النبي صلى الله عليه وسلم في تسعة ، سبعة من الانصار ، ورحلين من قريش وهو عاترهم صلى الله عليه وسلم ، فلما أرهقوه قال « رحم الله رجلا ردهم عنا » قال : فقام رجل من الانصار فقاتل ساعة حتى قتل ، فلما أرهقوه أيضا قال « رحم الله رجلا ردهم عنا » فلم يزل يقول ذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه « ما أنصفنا أصحابنا » فجاء أبو سفيان بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت أن احدا ان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

«١» فيها عن أبيه

محمد بن اسحق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير (١) عن جده ان الزبير بن العوام قال : والله لقد رأيتني أنظر الى خدم هند وصواحبها مشمرت هوارب مادون أخذهن كثير ولا قليل ، ومالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب واخلوا ظهورنا للخييل فأوتينا من أذربنا وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنونه أحد من القوم . قال محمد بن اسحق : فلم يزل لواء المشركين صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فدفعته لقريش فلاثوا بها . وقال السدي عن عبد خير عن علي بن (٢) عبد الله بن مسعود قال : ما كنت أرى أن أحداً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أحد (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) وقد روي من غير وجه عن ابن مسعود وكذا روي عن عبد الرحمن بن عوف وأبي طلحة ، رواه ابن مردويه في تفسيره

«٢» في الازهرية
هند جواب

وقوله تعالى (ثم صرفكم عنهم لبيتائكم) قال ابن اسحق : حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أحد بني عدي بن النجار قال : انتهى أنس بن الضمر عم أنس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والا نصار قد القوا ما بأيديهم فقال : ما يخيلكم ؟ فقالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم استقبل القوم قتال حتى قتل رضي الله عنه — وقال البخاري : حدثنا حسان بن حسان حدثنا محمد ابن طلحة حدثنا حميد عن أنس بن مالك ان عمه يعني أنس بن الضمر غاب عن بدر فقال : غبت عن أول قتل النبي صلى الله عليه وسلم لئن أشهدني الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله . أجد فائق يوم أحد فهزم الناس فقال : اللهم إني أعذر اليك مما صنع هؤلاء — يعني المسلمين — وأبرأ اليك مما جاء به المشركون ، فتقدم بصيفه فائق سعد بن معاذ فقال : أين يأسد أي أجد ربح الجنة دون أحد فمضى فقتل فما عرف حتى عرفتته اخته بشامة أو بثيابه وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم ، هذا لفظ البخاري ، وأخرجه مسلم من حديث ثابت بن أنس بنحوه — وقال البخاري ايضاً : حدثنا عبدان حدثنا ابو حمزة عن عثمان بن موهب قال : جاء رجل حج البيت فرأى قوماً يملأون فقال : من هؤلاء القمود ؟ قالوا : هؤلاء قريش قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر فأتاه فقال : إني سألك عن شيء فحدثني قال : سل قل : أنشدك بحمرة هذا البيت أنعلم ان عثمان بن عفان فر يوم أحد ؟ قال : نعم قال : ففعله تغيب عن بدر فلم يشهدا قال : نعم قال : ففعله أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدا قال : نعم فكبر فقال ابن عمر : تعال لا أخبرك ولا بين لك عما سألتني عنه أما فراره يوم أحد فاشهد ان الله عفا عنه ، وأما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بذت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لك أجر رجل ممن شهد بدرأ وصومه » وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز بيطان مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث عثمان فكأن

في رواية

(لبيتائكم) لم يحنكم وقيل ليهزل البلاء عليهم (ولقد عفا عنهم) فلم يستأصلمكم بعد المعصية والمخالفة

بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان الى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى « هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال « هذه يد عثمان » اذهب بها الآن معك ثم رواء البخاري من وجه آخر عن ابي عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب

وقوله تعالى (إذ تصعدون ولا تلوون على أحد) أى صرفكم عنهم إذ تصعدون أى في الجبل هاربين من أعدائكم ، وقرأ الحسن وقتادة (إذ تصعدون) أى في الجبل (ولا تلوون على أحد) أى وأنتم لا تلوون على أحد من الدهش والخوف والرعب (والرسول يدعوكم في أخراكم) أى وهو قد خلفتموه وراء ظهوركم يدعوكم الى ترك الفرار من الأعداء ، وإلى الرجعة والعودة والكره : قال السدي لما اشتد المشركون على المسلمين بأحد فبرز موم دخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم الى الجبل فوق الصخرة فقاموا عليها فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس « إلى عباد الله ، إلى عباد الله » فذكر الله صعودهم الى الجبل ، ثم ذكر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فقال (إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) وكذا قال ابن عباس وقتادة والريـع وابن زيد . قال عبد الله بن الزبير : قد يذكر هزيمة المسلمين يوم أحد في قصيدته وهو مشرك بعد لم يسلم التي يقول في أولها

يا غراب البين أسمعت فقل أنما تنطق شيئا قد فعل

إن للخير وللشر مدى وكلا ذلك وجه وقيل

الى أن قال :

ليت أشياخي بدر يشهدوا جزع الخرج من وقع الاسل

حين حلت بقاء بركا واستحرق القتلى في عبد الاشل

ثم خفوا عند ذاكم رقصا رقص الحفان يعلو في الجبل

فقتلنا الضعف من أشرفهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

الحفان صغار النعم . كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أفرد في اثني عشر رجلا من أصحابه كما قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا ابو اسحق عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المائة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلا - عبد الله

منكم لا امر نبيكم ﴿ والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ اذ تصعدون ﴾ يعني واقعد عفا عنكم اذ تصعدون وأنتم هاربون وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة تصعدون بفتح التاء والعين والقراءة المعروفة بضم التاء وكسر العين والاصعاد السير في مستوي الارض والصعود الارتفاع على الجبال والسطوح قال أبو حاتم يقال أصعدت اذا مضيت حيال وجهك وصعدت اذا ارتفعت في جبل أو غيره وقال المبرد أصعد اذا أبعد في الدعاب وكلنا القراءتين صواب فقد كان يومئذ من المنهزمين مصعد وصاعد وقال المفضل صعد وأصعد بمعنى واحد ﴿ ولا تلوون على أحد ﴾ أي لا تخرجون ولا تقيمون على أحد لا يلتفت بعضهم الى بعض ﴿ والرسول يدعوكم في أخراكم ﴾ أي في آخركم ومن ورائكم « إلى عباد الله

ابن جبير قال : ووضعهم موضعا وقال « إن رأيتمونا نخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم » قال
 فهزمهم قال : فلقد والله رأيت النساء يشتدن على الجبل وقد بدت أسواقهن وخلأهن رافعات
 ثيابهن فقال أصحاب عبدالله : الغنمة أي قوم الغنمة ظهر أصحابكم فما تنظرون ؟ قال عبد الله بن
 جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : إنا والله لنأتين الناس فلنصيبين من
 الغنمة ، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك الذي يدعوهم الرسول في إخراجهم فلم يبق
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فأصابوا من سبعين ، وكان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين ، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً . قال
 أبو سفيان : أي القوم محمد أي القوم محمد ؟ ثلاثا . قال : فنهاهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أن يجيئوه ، ثم قال : أي القوم ابن أبي قحافة أي القوم ابن أبي قحافة ؟ أي القوم ابن الخطاب
 أي القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم ، فما ملك
 عمر نفسه أن قال : كذبت والله ياعدو الله إن الذين عدت لأحياء كلهم ، وقد أبى الله لك ما يسوءك
 فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، أنكم ستجدون في القوم مثله لم آمر بها ولم تسؤني . ثم أخذ
 يرتجز يقول : اعل هبل اعل هبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تحيئوه » قالوا : يا رسول الله
 ما نقول ؟ قال « قولوا الله أعلى وأجل » قال : لنا العزى ولا عزى لكم . قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم « ألا تحيئونه ؟ » قالوا : يا رسول الله وما نقول ؟ قال « قولوا الله مولانا ولا مولى لكم » وقد رواه
 البخاري من حديث زهير بن معاوية مختصراً ، ورواه من حديث أمراة عن أبي اسحق بأبسط
 من هذا كما تقدم والله أعلم — وروى البيهقي في دلائل النبوة من حديث عمار بن غزبة عن أبي
 الزبير عن جابر قال : انهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وبقي معه أحد عشر
 رجلاً من الانصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل ، فلحقهم المشركون فقال « ألا أحد
 هؤلاء » فقال : طلحة أنا يا رسول الله فقال « كما أنت يا طلحة » فقال رجل من الانصار : فأنا
 يا رسول الله ، فقاتل عنه ، وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بقي معه ثم قتل الانصاري فلحقوه
 فقال « ألا رجل هؤلاء » فقال طلحة مثل قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله ، فقال
 رجل من الانصار : فأنا يا رسول الله ، فقاتل عنه وأصحابه يصعدون ثم قتل فلحقوه ، فلم يزل يقول
 مثل قوله الاول فيقول طلحة فأنا يا رسول الله فيحبسه فيستأذنه رجل من الانصار للقتال فيأذن له
 فيقاتل مثل من كان قبله ، حتى لم يبق معه الا طلحة فغشوها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « من هؤلاء ؟ » فقال طلحة : أنا فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيب أنامله فقال : حس (١) فقال
 رسول الله « لو قلت بسم الله ، أو ذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج
 وأنا رسول الله من بكر فله الجنة » (فأنا بكم) فجازاكم جعل الاثابة بمعنى العقاب وأصلها في الحسنات
 لانه وضعها موضع الثواب كقوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) جعل البشارة في العذاب ومعناه جعل

(١) فيها حسن
 بكسر الحاء وتشديد
 السين كلمة يقولها من
 أصابه على غفلة ما آله
 أو أحرقه

بك في جو السماء » ثم سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وهم مجتمعون . وقد روى البخاري عن ابي بكر بن ابي شبة عن وكيع عن اسماعيل عن قيس بن ابي حازم قال : رأيت يد طلحة شلاء . وفي بها النبي صلى الله عليه وسلم يعني يوم أحد — وفي الصحيحين من حديث معتمر بن سليمان عن ابيه عن ابي عثمان النهدي قال : لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الايام التي قاتل فيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا طلحة بن عبيد الله وسعد عن حديثهما (١) . وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن هشام بن هشام الزهري قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول سمعت سعد بن ابي وقاص يقول : نزل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنيته يوم أحد وقال « ارم فداك ابي وأمي » ، وأخرجه البخاري عن عبد الله بن محمد عن مروان بن معاوية . وقال محمد بن اسحق حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن ابي وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يناواني النبل ويقول « ارم فداك ابي وأمي » حتى انه ليناولني السهم ليس له فصل فأرمني به — وثبت في الصحيحين من حديث ابراهيم بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه قال : رأيت يوم أحد عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقانلان عنه أشد القتال مارأيتها قبل ذلك اليوم ولا بعده ، يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام — وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد وثابت عن انس بن مالك : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد في سبعة من الانصار واثنين من قريش ، فلما ارهقوه قال « من يردم عنا وله الجنة — أو هو رفيقي في الجنة — » فتقدم رجل من الانصار فقاتل حتى قتل ، ثم ارهقوه أيضا فقاتل « من يردم عنا وله الجنة » فتقدم رجل من الانصار فقاتل حتى قتل . فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه « ما أنصفنا أصحابنا » رواه مسلم عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه .

وقال أبو الاسود عن عروة بن الزبير قال : كان أبي بن خلف أخو بني جمح قد حالف وهو بمكة ليقنان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفته قال « بل أنا أقنله إن شاء الله » فلما كان يوم أحد أقبل أبي في الحديد مقنعا وهو يقول : لانبجوت إن نجنا محمد ، فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فقتل مصعب بن عمير وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة وطعنه فيها بجر بته فوقع الى الارض عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم ، فأناه أصحابه فاحتملوه وهو بخور خوار الثور ، فقالوا له : ما أحزرك إنما هو خدش ؟

مكان النواب الذي كنتم ترجون ﴿ غما بغم ﴾ وقيل الباء بمعنى على أى غما على غم وقيل غما متصلا بغم فالغم الاول ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثاني ما نالوا من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما أصابهم من القتر والجراح والغم الثاني ما سمعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فأنساهم الغم

«١» في النسخة المطبوعة بياض هنا لا حاجة اليه وقوله عن حديثهما معناه ان أبا عثمان روى ذلك عنهما وسمعه منهما

فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «بل أنا أقتل أيا» ثم قال : والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل المجاز لما اتوا اجمعون ، فأتى الى النار (فسحقاً لأصحاب السعير) وقد رواه موسى ابن عقبة في مغازيه عن الزهري عن سعيد بن المسيب بنحوه — وذكر محمد بن اسحق قال : لما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : لانبجوت إن نبجوت فقال القوم : يا رسول الله يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «دعوه» فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ، فقال بعض القوم كما ذكر لي فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأداً منها عن فرسه مراراً — وذكر الواقدي عن يونس بن بكير عن محمد (١) بن اسحق عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه نحوه ذلك . وقال الواقدي : وكان ابن عمر يقول : مات أبي بن خلف ببطن رابع ، فاني لاسير ببطن رابع بعد هوي من الليل فاذا أنا بنار تتأجج لي فبهتها ، واذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذ بها بهيج به العطش ، واذا رجل يقول لا تسقه ، فان هذا قنيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا أبي بن خلف — وثبت في الصحيحين من رواية عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو حينئذ يشير الى ربايعته — واشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله» وأخرجه البخاري ايضاً من حديث ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : اشتد غضب الله على من قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في سبيل الله ، واشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقال ابن اسحق : اصبحت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشج في وجنته ، وكلمت شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن ابي وقاص . فحدثني صالح بن كيسان عن من حدثه عن سعد بن ابي وقاص قال : ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن ابي وقاص ، وان كان ما علمته لسي الخاق مبعوضاً في قومه ، ولقد كفاني فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «اشتد غضب الله على من دمي وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم» — وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن عثمان الحريري عن مقسم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن ابي وقاص يوم أحد حين كسر ربايعته ودمى وجهه فقال «اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافراً» فما حال عليه الحول حتى مات كافراً الى النار — وذكر الواقدي عن ابن ابي سبرة عن اسحق بن عبد الله بن ابي فروة عن

الاول وقيل الغم الاول اشرف خالد بن الوليد عليهم بخيل المشركين والغم الثاني حين أشرف عليهم أبو سفيان وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يومئذ يدعو الناس حتى انتهى الى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجلهما في قوسه فاراد أن يرميه فقال «أنا رسول الله» ففرحوا حين وجدوا

(١) في الازهرية :

يونس

أبي الحويرث عن نافع بن جبير قال : سمعت رجلا من المهاجرين يقول : شهدت أحداً فنظرت الى النبل يأتي من كل ناحية ورسول الله صلى الله عليه وسلم في وسطها كل ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ يقول : دلوني على محمد لا نجوت إن نجا ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه ليس معه أحد ، ثم جاوزه فعاتبه في ذلك ففوان فقال : والله ما رأيته أحلف بالله أنه منا ممنوع ، خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله فلم نخاص الى ذلك . قال الواقدي : والذي ثبت عندنا ان الذي دمي وجنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن قتيبة ، والذي رمى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص . وقال ابو داود الطيالسي حدثنا ابن المبارك عن اسحق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله اخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : كان ابو بكر اذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة ، ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاد يوم أحد فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دونه وأراه قل : حمية فقال فقلت : كن طلحة حيث فاني ما فاتي فقلت يكون رجلاً من قومي أحب إلي وبينى وبين المشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، وهو يخطف المشي خطفاً لا أعرفه فاذا هو أبو عبيدة بن الجراح فانهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه ، وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكما صاحبكما يريد طلحة » وقد نزع فلم تلتفت الى قوله قل : وذهبت لانزع ذلك من وجهه ، فقال ابو عبيدة : أقسمت عليك بحقي لما تركتني فتركته ، فكره أن يتناولها بيده فيؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزم عليها بفيه فاستخرج احدي الحلقتين ، ووقعت ثنيته مع الحلقة وذهبت لاصنع ماصنع فقال : أقسمت عليك بحقي لما تركتني ، قال ففعل مثل ما فعل في المرة الاولى ، ووقعت ثنيته الاخرى مع الحلقة ، فكان ابو عبيدة من احسن الناس هتماً ، فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتينا طلحة في بعض تلك الجفار ، فاذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر من طعنة ورمية وضربة ، واذا قد قطعت أصبعه ، فأصلحنا من شأنه ، ورواه الهيثم بن كليب والطبراني من حديث اسحق بن يحيى به . وعند الهيثم قال ابو عبيدة : يا أبا بكر الا تركتني ؟ فأخذ ابو عبيدة السهم بفيه فجعل ينضضه كراهية أن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استل السهم بفيه فبدرت ثنية أبي عبيدة ، وذكر تمامه ، واختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه ، وقد ضعف علي بن المديني هذا الحديث من جهة اسحق بن يحيى هذا ، فانه تكلم فيه يحيى بن سعيد القطان واحمد ويحيى بن معين والبخاري وابو زرعة وابو حاتم ومحمد بن سعد والنسائي وغيرهم — وقال ابن وهب اخبرني عمرو بن الحارث ان عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن مالكا ابا ابني سعيد الخدري لما رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرح النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى ان في أصحابه من يمتنع به فاقبلوا يذكرون الفتح وما قاتلهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا فاقبل أبو سفيان وأصحابه حتى وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم همهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فانساهم

جرح النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد مص الجرح حتى انقاه ولاح ابيض فقيل له بحجته فقال : لا والله لا أبحه ابدا ، ثم ادبر يقاتل فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من اراد ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فليتنظر الى هذا » فاستشهد - وقد ثبت في الصحيحين من طريق عبد العزيز بن ابي حازم عن ابيه عن سهل بن سعد انه سئل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباطيته وهشمت البيضة على رأسه صلى الله عليه وسلم فكانت فاطمة تغسل الدم وكان علي يسكب عليه الماء بالحن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم الا كثرة أخذت قطعة من حصير فاحرقتها حتى اذا صارت رمادا ألصقته بالجرح فالتصمك الدم

وقوله تعالى (فأثنابكم غما بغم) أي فجزاكم غما على غم كما تقول العرب نزلت بيني فلان ، ونزلت على بني فلان . وقال ابن جرير : وكذا قوله (ولا صابنكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل قال ابن عباس : الغم الاول بسبب الهزيمة وحين قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم ، والثاني حين علامه المشركون فوق الجبل ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم ليس لهم أن يعلموا » . وعن عبد الرحمن بن عوف : الغم الاول بسبب الهزيمة ، والثاني حين قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك عندهم أشد وأعظم من الهزيمة ، رواها ابن مردويه . وروي عن عمر بن الخطاب نحو ذلك وذكر ابن أبي حاتم عن قتادة نحو ذلك أيضا . وقال السدي : الغم الاول بسبب ما فاتهم من الغنيمة والفتح ، والثاني بإشراف العدو عليهم . وقال محمد بن اسحق (فأثنابكم غما بغم) أي كرما بعد كرب ، قتل من قتل من إخوانكم ، وعلو عدوكم عليكم ، وما وقع في أنفسكم من قول : قتل نبيكم ، فكان ذلك متابعا عليكم غما بغم . وقال مجاهد وقتادة : الغم الاول سماعهم قتل محمد ، والثاني ما أصابهم من القتل والجراح . وعن قتادة والربيع بن أنس عكسه . وعن السدي : الاول ما فاتهم من الظفر والغنيمة ، والثاني إشراف العدو عليهم ، وقد تقدم هذا القول عن السدي . قال ابن جرير : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال (فأثنابكم غما بغم) فأثنابكم بغمكم أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم ، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون بمصيبةكم أمر ربكم ، وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم ، غم ظنكم أن نبيكم قد قتل ، وميل العدو عليكم ونبوكم منهم

وقوله تعالى (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) أي على ما فاتكم من الغنيمة والظفر بعدوكم (ولا ما أصابكم) من الجراح والقتل قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف والحسن وقتادة

هذا ما نالههم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس لهم أن يعلموا اللهم ان تقتل هذه العصاة لا تعبد في الارض » ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم وقيل أنهم غموا الرسول بمخالفة أمره فجزاهم الله بذلك الغم غم القتل والهزيمة

قوله تعالى (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) من الفتح والغنيمة (ولا ما أصابكم) أي ولا على ما

والسدي (والله خير بما تعملون) سبحانه وبحمده لا إله إلا هو جل وعلا

ثم أنزل عليكم من بعد النعم أمنه نعاسا يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء ؟ قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك ، يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ماؤتيناها ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليحصل ما في قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور (١٥٤) إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما

استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ، ولقد عفا الله عنهم ، إن الله غفور حلیم (١٥٥)
يقول تعالى ممثنا على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والامنة وهو النعاس الذي غشيهم وهم مشتملون السلاح في حال همهم وغمهم والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الأمان كما قال في سورة الانفال في قصة بدر (اذ يغشيكم النعاس أمنة منه) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم ووكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن عبد الله بن مسعود قال النعاس في القتال من الله وفي الصلاة من الشيطان وقال البخاري وقال لي خليفه حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال كنت فيمن تغشاء النعاس يوم أحد حتى سقط سفي في يدي مرارا يسقط وأخذه ويسقط وأخذه . هكذا رواه في الخزي معلقا ورواه في كتاب التفسير مسندا عن شيبان عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال غشيتنا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد قال فجعل سفي يسقط من يدي وأخذه ويسقط وأخذه وقد رواه الترمذي والنسائي والحاكم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال رفعت رأسي يوم أحد وجعلت انظر وما منهم يومئذ أصابكم من القتل والهزيمة ﴿ والله خير بما تعملون ﴾ ثم أنزل عليكم ﴿ يامعشر المسلمين ﴾ ﴿ من بعد النعم أمنة ﴾ يعني أمانا والامن والامنة بمعنى واحد وقيل الامن يكون مع زوال سبب الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف هنا قاتنا ﴿ نعاسا ﴾ بدل من الامنة ﴿ يغشى طائفة منكم ﴾ قرأ حمزة والكسائي تغشي بالتاء ردا الى الامنة وقرأ الآخرون بالياء ردا الى النعاس قال ابن عباس رضي الله عنهما أمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم وإنما ينعس من يأمن والخائف لا ينام أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسماعيل أخبرنا اسحق ابن إبراهيم بن عبد الرحمن أنا حسن بن محمد أخبرنا شيبان عن قتادة أخبرنا أنس أن أبا طلحة قال غشيتنا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد قال فجعل سفي يسقط من يدي وأخذه وقال ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أماري أحدا من القوم إلا وهو يميل تحت جحفة

أحد إلا يميل تحت جحفته من النعاس، لفظ الترمذي وقال حسن صحيح ورواه النسائي أيضاً عن محمد بن المثني عن خالد بن الحارث عن قتيبة عن ابن أبي عدي كلاهما عن حميد عن أنس قال: قال أبو طلحة كنت فيمن ألقى عليه النعاس الحديث وهكذا رواه عن الزبير وعبد الرحمن بن عوف وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الحسين محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن اسحق الثقفي حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك الخزومي حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة حدثنا أنس بن مالك أن أبا طلحة قال غشنا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد فجعل سبني يسقط من يدي وأخذه ويسقط وأخذه قال والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) أي أنا هم أهل شك وريب في الله عز وجل هكذا رواه بهذه الزيادة وكأنها من كلام قتادة رحمه الله وهو كما قال فإن الله عز وجل يقول (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً يغشى طائفة منكم) يعني أهل الإيمان واليقين والثبات والتوكل الصادق وهم الجازمون بأن الله عز وجل سينصر رسوله وينجز له مأموله ولهذا قال (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) يعني لا يشعشعهم النعاس من القلق والجزع والخوف (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) كما قل في الآية الأخرى (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً) إلى آخر الآية وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفصلة وإن الإسلام قد باد وأهله وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة نحصل لهم هذه الظنون الشنيعة ثم أخبر تعالى عنهم أنهم (يقولون) في تلك الحال (هل لنا من الأمر من شيء) فقال تعالى (قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) ثم فسر ما أخفوه في أنفسهم بقوله (يقولون لو كان لنا من الأمر من شيء ما قلنا ههنا) أي يسرون هذه المقالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: قال الزبير لقد رأيتني مع رسول من النعاس وقال عبد الله بن الزبير عن أبيه عن الزبير بن العوام لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الحرب أرسل الله علينا النوم والله أني لاسمع قول معتب بن شقير والنعاس يغشاني ما أسمع إلا كالحلم يقول (لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا ههنا) فذلك قوله تعالى (يفشى طائفة منكم) يعني المؤمنين ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾ يعني المنافقين قيل أراد تمهيز المنافقين من المؤمنين فأوقع النعاس على المؤمنين حتى أمنوا ولم يوقع على المنافقين فبقوا في الخوف (قد أهمتهم أنفسهم) أي حملتهم على الهمة يقال أمر مهم ﴿يظنون بالله غير الحق﴾ أي لا ينصر محمد وقيل ظنوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد قتل ﴿ظن الجاهلية﴾ أي كظن أهل الجاهلية والشرك ﴿يقولون هل لنا﴾ ما لنا؟ لفظ استفهام ومعناه جحد ﴿من الأمر من شيء﴾ يعني النصر ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ قرأ أهل البصرة برفع اللام على الابتداء وخبره في لله وقرأ الآخرون بالنصب على البدل وقيل على النعت ﴿يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا ههنا﴾ وذلك أن المنافقين قال بعضهم لبعض

الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا ارسل الله علينا النوم فما منا من رجل إلا ذقته في صدره قال فوالله اني لاسمع قول معتب بن قشير ما سمعته الا كالحلم يقول (لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا) فخطبها منه وفي ذلك انزل الله (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا) لقول معتب رواه ابن ابي حاتم قال الله تعالى (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) أي هذا قدر قدره الله عز وجل وحكم حتى لا يخيد عنه ولا مناص منه رقبته (وليبتلي الله مافي صدوركم وليمحص مافي قلوبكم) أي يختبركم بما جرى عليكم ليميز الخبيث من الطيب ويظهر امر المؤمن من المنافق للناس في الاقوال (والله عليهم بذات الصدور) أي بما يحتاج في الصدور من السرائر والضمائر ثم قال تعالى (ان الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان انما استزلم الشيطان ببعض ما كسبوا) أي ببعض ذنوبهم السالفة كما قال بعض السلف ان من ثواب الحسنة الحسنه بعدها وان من جزاء السيئة السيئة بعدها ثم قال تعالى (ولقد عفا الله عنهم) أي عما كان منهم من الفرار (إن الله غفور حلیم) أي يغفر الذنب ويحلم عن خلقه وينجاوز عنهم وقد تقدم حديث ابن عمر في شأن عثمان وتوليته يوم أحد وان الله قد عفا عنه مع عفا عنهم عند قوله (ولقد عفا عنكم) ومناسب ذكره ههنا قال الامام احمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة عن عاصم عن شقيق قال لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد مالي اراك جفوت امير المؤمنين عثمان فقال له عبد الرحمن ابلغه اني لم افر يوم حنين قال عاصم يقول يوم أحد ولم انخلف عن بدر ولم اترك سنة عمر قال فانطلق فاخبر بذلك عثمان قال فقال عثمان اما قوله اني لم افر يوم حنين فكيف يعيرني بذلك ولقد عفا الله عنه فقال تعالى (ان الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان انما استزلم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم) واما قوله اني تخلفت يوم بدر فاني كنت امريض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت وقد ضرب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم فقد شهد واما قوله اني تركت سنة عمر فاني لا اطيقها ولا هو فاته فحدثه بذلك

لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال أهل مكة ولم يقتل رؤساؤنا وقيل لو كنا على الحق ما قتلنا ههنا قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم : لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) مصارعهم (وليبتلي الله) ولتحن الله (مافي صدوركم وليمحص) يخرج ويظهر (مافي قلوبكم) والله عليم بذات الصدور (بما في القلوب من خير وشر) ان الذين تولوا (انهمزوا) منكم (يوم التقي الجمعان) جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد وكان قد انهزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم

قوله تعالى (انما استزلم الشيطان) أي طالب زلتهم كما يقال استعجلت فلانا اذا طلبت عجلته وقيل جهلهم على الزلة وهي الخطيئة وقيل أزل واستزل يعني واحد (ببعض ما كسبوا) أي بشؤم

يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير (١٥٦) ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون (١٥٧) ولئن متم أو قتلتم لآلى الله تحشرون (١٥٨)

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار في اعتقادهم الفاسد الدال عليه قولهم عن اخوانهم الذين ماتوا في الاسفار والحروب لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم) أى عن اخوانهم (إذا ضربوا في الأرض) أى سافروا للتجارة ونحوها (أو كانوا غزى) أى كانوا في الغزو (لو كانوا عندنا) أى في البلد (ما ماتوا وما قتلوا) أى ماماتوا في السفر وما قتلوا في الغزو وقوله تعالى (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) أى خلق هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتهم وقتلهم ثم قال تعالى ردا عليهم (والله يحيي ويميت) أى بيده الخلق واليه يرجع الامر ولا يحيا أحد ولا يموت أحد الا بمشيئته وقدره ولا يزداد في عمر أحد ولا ينقص منه شيء الا بقضائه وقدره (والله بما تعملون بصير) أى علمه وبصره نافذ في جميع خلقه لا يخفى عليه من امورهم شيء وقوله تعالى (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) تضمن هذا أن القتل في سبيل الله والموت أيضاً وسيلة الى نيل رحمة الله وعفوه ورضوانه وذلك خير من البقاء في الدنيا وجميع حطامها الغاني ثم أخبر تعالى بأن كل من مات أو قتل فقصيره ومصرجه الى الله عز وجل فيجزيه بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر فقال تعالى (ولئن متم أو قتلتم لآلى الله تحشرون)

ذنوبهم قال بعضهم يتركهم المركز وقال الحسن ما كتبوا هو قبولهم من الشيطان ما وسوس اليهم من الهزيمة (ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حلیم) يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا (يعنى المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه) وقالوا لاخوانهم (في النفاق والكفر وقيل في النسب) إذا ضربوا في الأرض (أى سافروا فيها لتجارة أو غيرها) (أو كانوا غزى) أى غزاة جمع غاز فقتلوا (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك) يعنى قولهم وظنهم (حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير) قرأ ابن كثير وحمة والكسائي يعملون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم) قرأ نافع وحمة والكسائي متم بكسر الميم وقرأ الآخرون بالضم فمن ضمه فهو من مات يموت كقولك من قال يقول قلت بضم القاف ومن كسره من مات يمات كقولك من خاف بخاف خفت (لمغفرة من الله) في العاقبة (ورحمة خير مما يجمعون) من الغنائم قراءة العامة تجمعون بالتاء لقوله (ولئن قتلتم) وقرأ حفص عن عاصم يجمعون بالياء يعنى خير مما يجمع الناس (ولئن متم أو قتلتم لآلى الله تحشرون) في العاقبة

فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين (١٥٩) ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٦٠) وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة . ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (١٦١) أفمن اتبع رضوان الله كهن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير (١٦٢) هم درجت عند الله والله بصير بما يعملون (١٦٣) لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة وان كانوا من قبل اني ضلل مبين (١٦٤)

يقول تعالى مخاطبا رسوله ممتنا عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته المتبعين لأمره التاركين لجزره وأطاب لهم لفظه (فبما رحمة من الله لنت لهم) أي بأي شيء جعلك الله لهم لينالوا رحمة الله بك وبهم . وقال قتادة (فبما رحمة من الله لنت لهم) يقول : فبرحمة من الله لنت لهم وما صلة ، والعرب تصلها بالمعرفة كقوله (فبما نقضهم ميثاقهم) وبالشكوة كقوله (عما قيل) وهكذا ههنا قال (فبما رحمة من الله لنت لهم) أي برحمة من الله . وقال الحسن البصري : هذا خلق محمد صلى الله عليه وسلم بعنه الله به ، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى (انفس جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) وقال الامام أحمد حدثنا حبة حدثنا بقية حدثنا محمد بن زياد حدثني أبو راشد الماراني قال : أخذ بيدي أبو امامة الباهلي وقال : أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أبا امامة ان من المؤمنين من يابن له قاي » تفرد به احمد ثم قال تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) والنظ الغليظ المراد به ههنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك (غليظ القلب) أي لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك ، ولكن الله جمعهم عليك ، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم ، كما قال عبد الله بن عمرو

قوله تعالى ﴿فبما رحمة من الله﴾ أي فبرحمة من الله وما صلة كقوله فيما نقضهم ﴿لنت لهم﴾ أي سهلت لهم اخلاقك وكثرت احوالك ولم تسرع اليهم بالغضب فيما كان منهم يوم أحد ﴿ولو كنت فظا﴾ يعني جافيا سيئا الخلق قابل الاحمال ﴿غليظ القلب﴾ قال الكاظمي فظا في القول غليظ القلب في الفعل ﴿لانفضوا من حولك﴾ أي نفروا وتفرقوا عنك يقال نقضتهم فانفضوا أي فترقوا

إني أرى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة أنه ليس بنظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح . وقال أبو اسماعيل محمد بن اسماعيل الترمذي أنبأنا بشر بن عبيد حدثنا عمار بن عبد الرحمن عن المسعودي عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله أمرني بمداواة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض » حديث غريب . ولهذا قال تعالى (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث تطييبا لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير فقالوا : يا رسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك ، ولو سرت بنا إلى برك الغنادر لمرنا معك ، ولا نقول لك كما قال قوم موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن نقول اذهب فحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك يقاتلون ، وشاورهم أيضا أين يكون المنزل حتى أشار المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم . وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو ، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم ، فخرج إليهم . وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلاث ثمار المدينة عامثد فأبى ذلك عليه السعدان ، سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فترك ذلك . وشاورهم يوم الحديبية في أن يعزل على ذراري المشركين ؟ فقال له الصديق : إنا لم نجبيء لقنال وإنما جئنا معتبرين ، فأجابه إلى ما قال وقال صلى الله عليه وسلم في قصة الافك « أشيروا علي معشر المسلمين في قوم أنبأوا أهلي ورموهم ، وأيم الله ما علمت على أهلي من سوء وأبنوهم بمن ؟ والله ما علمت إلا خيرا » واستشار عليا وأسامة في فراق عائشة رضي الله عنها . فكان صلى الله عليه وسلم يشاورهم في الحروب ونحوها . وقد اختلف الفقهاء هل كان واجبا عليه أو من باب الندب تطييبا لقلوبهم ؟ على قولين وقد روى الحاكم في مستدركه : أنبأنا أبو جعفر محمد بن محمد البغدادي حدثنا يحيى بن أيوب العلاف بمصر حدثنا سعيد بن أبي مرجم أنبأنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس في قوله تعالى (وشاورهم في الأمر) قال : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وكذا رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت في أبي بكر وعمر ، وكنا حوارى رسول الله **﴿ فاعف عنهم ﴾** تجاوز عنهم ما أتوا يوم أحد **﴿ واستغفر لهم ﴾** حتى أشفعك فيهم **﴿ وشاورهم في الأمر ﴾** أي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم من قول العرب : شرت الدابة وشورتها إذا استخرجت جريها وشرت العسل وأشترته إذا أخذته من موضعه واستخرجته . واختلفوا في المعنى الذي لاجله أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة مع كمال عقله ، وجزالة رأيه ، ونزول الوحي عليه ، ووجوب طاعته على الخلق فيما أحبوا وكرهوا ، فقال بعضهم : هو خاص في المعنى أي وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله تعالى عهد ، وقال الكلبي : يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكابد الحرب عند الغزو . وقال مقاتل وقتادة : أمره الله تعالى بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم ، فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لاضغاثهم ، فإن

صلى الله عليه وسلم ووزيره وأبوي المسلمين . وقد روى الامام احمد : حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر « لو اجتمعنا في مشورة ما خالفتمنا » . وروى ابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزم قال « مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم » . وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن بكير عن سفیان عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « المستشار مؤتمن » ورواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث عبد الملك بأبسط من هذا . ثم قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أسود بن عامر عن شريك عن الاعمش عن أبي عمرو الشيباني عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المستشار مؤتمن » تفرد به . وقال أيضا حدثنا أبو بكر حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة وعلي بن هاشم عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه » تفرد به أيضا

وقوله تعالى (فاذا عزمتم فتوكل على الله) أي اذا شاورتهم في الامر وعزمتم عليه فتوكل على الله فيه (إن الله يحب المتوكلين)

وقوله تعالى (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وهذه الآية كما تقدم من قوله (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) ثم أمرهم بالتوكل عليه فقال (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم . وقال الحسن : قد علم الله عز وجل انه مابه الى مشاورتهم حاجة ، ولكنه أن يستن به من بعده . أخبرنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي قال أخبرنا أبو ذر محمد بن ابراهيم بن علي الصالحاني أخبرنا عبد الله محمد بن جعفر أخبرنا علي بن العباس المقاني أخبرنا احمد بن محمد بن همام أخبرني أبي أخبرنا طاهر بن زيد عن عتيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : مارأيت رجلاً أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاذا عزمتم فتوكل على الله) لا على مشاورتهم أي قم بأمر الله وثق به واستعنه (إن الله يحب المتوكلين) إن ينصركم الله ۞ يمنكم الله ويمنعكم من عدوكم (فلا غالب لكم) مثل يوم بدر (وإن يخذلكم) يترككم فلم ينصركم كما كان بأحد ، والخذلان القعود عن النصرة والاسلام للهلكة (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) أي من بعد خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) قيل : التوكل أن لا تعصي الله من أجل رزقك ، وقيل : أن لا تطلب لنفسك ناصراً غير الله ، ولا لرزقك خازناً غيره ، ولا لعمالك شاهداً غيره . أخبرنا الاستاذ الامام ابو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري أخبرنا ابو عبد الله الحسين بن شجاع البزار ببغداد أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر ابن محمد الهيثم الانباري أخبرنا محمد بن أبي العوام أخبرنا وهب بن جرير أخبرنا هشام بن حسان

وقوله تعالى (وما كان لنبي أن يغفل) قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد: ما ينبغي لنبي أن يخون. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا المسيب بن واضح حدثنا أبو اسحق الفزاري عن سفيان بن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال: فقدوا قطيفة يوم بدر فقالوا: لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزل الله (وما كان لنبي أن يغفل) أي يخون. وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا خصيف حدثنا مقسم حدثني ابن عباس أن هذه الآية (وما كان لنبي أن يغفل) نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض عن الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يدخل سبعون ألفا من أمتي الجنة بغير حساب» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال «هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطايرون وعلى ربهم يتوكلون» فقال عكاشة بن محصن: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال «أنت منهم» ثم قام رجل آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «سبقك بها عكاشة». أخبرنا أبو بكر محمد بن أبي عبد الله بن أبي توبة قال أخبرنا محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن محمد الغلال أنا عبد الله بن المبارك عن حياة بن شريح حدثني بكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة أنه سمع أبا تميم الجبشاني يقول سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفافا وتروح بظانا» قوله عز وجل ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ الآية. قال عكرمة ومقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن هذه الآية نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الناس: أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الكلبي ومقاتل: نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له، وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر، فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم «ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمرى» قالوا: تركنا بقية إخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم «بل ظننتم أن نغل ولا نقسم» فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال قتادة: ذكر لنا أنها نزلت في طائفة غلت من أصحابه، وقيل: إن الأقوياء ألحوا عليه يسألونه من المغنم فأنزل الله تعالى (وما كان لنبي أن يغفل) فيعطي قوما وينزع آخرين، بل عليه أن يقسم بينهم بالسوية، وقال محمد بن اسحق: هذا في الوحي يقول: ما كان لنبي أن يكتم شيئا من الوحي رغبة أو رهبة أو مدهانة، قوله تعالى (وما كان لنبي أن يغفل) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم يغفل بفتح الياء وضم الغين معناه أن يخون، والمراد منه الامة، وقيل: اللام فيه منقولة معناه ما كان النبي ليفعل، وقيل: معناه ما كان يظن به ذلك ولا يليق به، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الغين وله وجهان (أحدهما) أن يكون من الغلول أيضا أي ما كان لنبي أن يخان يعني أن تخونه أمته (والوجه الآخر) أن يكون من الاغلال معناه (ما كان لنبي أن

الناس : لعل رسول الله أخذها ، فأكثرها في ذلك ، فأُنزل الله (وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة) وكذا رواه أبو داود والترمذي جميعا عن قتيبة عن عبد الواحد بن زياد به وقال الترمذي حسن غريب ، ورواه بعضهم عن خصيف عن مقسم يعني مرسلا ، ورواه ابن مردويه من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال : أنهم المنافقون رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء فقد فأُنزل الله تعالى (وما كان لنبي أن يغفل) وروى من غير وجه عن ابن عباس نحوه ما تقدم ، وهذا تنزيه له صلوات الله وسلامه عليه من جميع وجوه الخيانة في أداء الأمانة وقسم الغنيمة وغير ذلك . وقال العوفي عن ابن عباس (وما كان لنبي أن يغفل) أي بأن يقسم لبعض السرايا ويترك بعضها ، وكذا قال الضحاك . وقال محمد بن اسحق (وما كان لنبي أن يغفل) بأن يترك بعض ما أنزل إليه فلا يبلغ أمته . وقرأ الحسن البصري وطاوس ومجاهد والضحاك (وما كان لنبي أن يغفل) بضم الياء أي يحان . وقال قتادة والربيع بن أنس : نزلت هذه الآية يوم بدر ، وقد غل بعض أصحابه ، ورواه ابن جرير عنها ، ثم حكى بعضهم أنه فسر هذه القراءة بمعنى ينهم بالخيانة ثم قال تعالى (ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة) ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد . وقد وردت السنة بالنهي عن ذلك أيضا في أحاديث متعددة . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الملك حدثنا زهير يعني ابن محمد عن عبد الله بن محمد بن عتيق عن عطاء بن يسار عن أبي مالك الأشجعي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أعظم الغلول عند الله ذراع من الأرض يجدون الرجلين جار بن في الأرض - أو في الدار - فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعا فإذا قطعه طوقه من سبع أرضين يوم القيامة »

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن نمير حدثنا ابن لهيعة عن ابن هبيرة والحارث بن يزيد عن عبد الرحمن بن جبير قال سمعت المستورد بن شداد يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من ولي انا عملا وليس له منزل فليخذ منزلا ، أو ليست له يغفل) أن يخون أي ينسب إلى الخيانة (ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة » قال الكوفي : يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذ ، فينزل فيحمله على ظهره ، فإذا بلغ موضعه وقع إلى النار ، ثم يكلف أن ينزل إليه فيخرجه فيفعل ذلك به . أخبرنا أبو اسحق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ثور بن زيد الدبلي عن أبي الغيث مولى ابن مطيع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر فلم نغنم ذعبا ولا فضة إلا الأموال والثياب والمناع قال : فوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو وادي القرى ، وكان رقاعة ابن زيد وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا أسود يقل له مدعم قال : فخرجنا حتى إذا كنا بوادي القرى فبينما مدعم يحيط رحلا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء سهم عائر فجاء فأصابه فقتله فقال الناس : هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلا ، والذي نفسي بيده إن

زوجة فليزوج ، أو ليس له خادم فليخذ خادما ، أو ليس له دابة فليخذ دابة ، ومن أصاب شيئا سوى ذلك فهو غال « هكذا رواه الامام احمد ، وقد رواه أبو داود بسند آخر وسياق آخر فقال : حدثنا موسى بن مروان الرقي حدثنا المعافى حدثنا الاوزاعي عن الحارث بن يزيد عن جبير بن نفير عن المستورد بن شداد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة ، فان لم يكن له خادم فليكتسب خادما ، فان لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا » قال : قال أبو بكر أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اتخذ غير ذلك فهو غال - أو سارق » قال شيخنا الحافظ المزي رحمه الله : رواه أبو جعفر محمد الفريابي عن موسى بن مروان فقال : عن عبد الرحمن بن جبير بدل جبير بن نفير وهو أشبه بالصواب

(حديث آخر) قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا حفص بن بشر حدثنا يعقوب القمي حدثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة نغاء ينادي يا محمد يا محمد فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد بلغت ، ولا تعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل جملا له رغاء يقول : يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغت ، ولا تعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قسما من ادم ينادي يا محمد يا محمد فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد بلغت » لم يروه أحد من أهل الكتب الستة

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا سفيان عن الزهري سمع عروة يقول : حدثنا أبو حميد الساعدي قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد يقال له ابن اللثبية على الصدقة فجاء فقال : هذا لكم وهذا أهدي لي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال « ما بال العامل نبعثه على عمل فيقول : هذا لكم وهذا أهدي لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أهدي اليه أم لا ؟ والذي نفس محمد بيده لا يأتي أحدكم منها بشيء الا جاء به يوم القيامة على رقبته ، إن بغيره له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيمر » ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة أبطيه ، ثم قال « اللهم هل بلغت » ثلاثا ، وزاد هشام بن عروة فقال أبو حميد : بصرت به يعني وسمعت أذني واسألت أزيد

الشعلة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقام تشتهل نارا » فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شراك من نار أو شراك من نار » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن أبي عمرة الانصاري عن زيد بن خالد الجهني قال : إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم توفي يوم خيبر فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صلوا على صاحبكم » فتغيرت وجوه الناس لذلك فزعم زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن صاحبكم قد غل في سبيل الله » قال : ففتشنا متاعه فوجدنا خمرًا من خمر اليهود لا يساوي درهمين ، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب المروزي أنا عبد العزيز

ابن ثابت ، أخرجه من حديث سفيان بن عيينة ، وعند البخاري وأسألوا زيد بن ثابت ، ومن غير وجه عن الزهري ، ومن طرق عن هشام بن عروة ، كلاهما عن عروة به

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا اسحق بن عيسى حدثنا اسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن عروة بن الزبير عن أبي حميد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هدايا العمال غلول » وهذا الحديث من أفراد احمد ، وهو ضعيف الاسناد ، وكأنه مختصر من الذي قبله والله أعلم (حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذي في كتاب الاحكام : حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة عن داود بن يزيد الاودى عن المغيرة بن شبيب عن قيس بن أبي حازم عن معاذ بن جبل قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فلما سرت أرسل في أثرى فرددت فقال « أتدرى لم بعثت اليك ؟ لانصبين شيئا بغير إذني فهو غلول (ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة) لهذا دعوتك فامض لعمالك » هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ، وفي الباب عن عدى بن عميرة وبرة والمستورد بن شداد وأبي حميد وابن عمر

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا اسماعيل بن علية حدثنا ابو حيان يحيى بن سعيد التيمي عن أبي زرعة عن ابن عمر وابن جرير عن أبي هريرة قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال « لا ألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك ، لا ألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته فرس لها حجمة فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك ، لا ألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك » أخرجه من حديث أبي حيان به

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن اسماعيل بن أبي خالد حدثني قيس عن عدي بن عميرة الكندي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس من عمل لنا منكم عملا فكنتمنا منه مخيطا فما فوقه فهو غل يأتي به يوم القيامة » قال : فقام رجل من الانصار أسود قال مجاهد : هو سعد بن عبادة كأنني أنظر اليه فقال يا رسول الله أقبل مني عملا قال « وما ذاك ؟ » قال : سمعتك تقول كذا وكذا قال « وأنا أقول ذاك الآن ، من استعملناه على عمل فليجي بقليله وكثيره ، فما أوتي منه أخذه ، وما نهي عنه انتهى » وكذا رواه مسلم وابو داود ومن طرق عن اسماعيل بن أبي خالد به

ابن احمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع بن سليمان اخبرنا الشافعي اخبرنا سفيان عن الزهري عن عروة بن الزبير عن أبي حميد الساعدي قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد يقال له ابن اللبابة على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدي لي فقام النبي صلى الله عليه وسلم

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا ابو معاوية عن ابي اسحق الفزاري عن ابن جريج حدثني منبوذ رجل من آل ابي رافع عن الفضل بن عبيد الله بن ابي رافع عن ابي رافع قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى العصر ربما ذهب الى بني عبد الاشهل فيحدث معهم حتى ينحدر الى المغرب قال ابو رافع : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرعا الى المغرب إذ مر بالبقيع فقال « أف لك أف لك » فلزق في درعي وتأخرت وظننت أنه يريدني فقال « مالك ؟ قلت أحدثت حدثنا يا رسول الله ! قال « وما ذاك » ؟ قال : انك قلت لي قال « لا ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعيا على آل فلان فغل نمرة فدرع الآن مثلها من نار »

(حديث آخر) قال عبد الله بن الامام احمد : حدثنا عبد الله بن سالم الكوفي المغلوج - وكان ثقة - حدثنا عبيد بن الاسود عن القاسم بن الوليد عن ابي صادق عن ربيعة بن ناجية عن عبادة بن الصامت قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الورة من ظهر البعير من المغنم ثم يقول « مالي فيه الا مثل مالا حركم ، إياكم والغلول فان الغلول خزني على صاحبه يوم القيامة ، أدوا الخيط والتحيط وما فوق ذلك ، وجاهدوا في سبيل الله القريب والبعيد ، فان الجهاد باب من أبواب الجنة ، انه لينجي الله به من الهم والغم ، وأقيموا حدود الله في القرب والبعيد ولا تأخذكم في الله لومة لائم » وقد روى ابن ماجه بعضه عن المغلوج به

(حديث آخر) عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ردوا الخياط والتحيط ، فان الغلول عار ونار وشار على أهله يوم القيامة »

(حديث آخر) قال ابو داود : حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا جرير عن مطرف عن ابي الجهم عن ابي مسعود الانصاري قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعيا ثم قال « انطلق أيا مسعود لأفنيك يوم القيامة تحيي على ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء قد غلته » قال : إذا لا أنطلق قال « إذا لا أكرهك » تفرد به ابو داود

(حديث آخر) قال ابو بكر بن مردويه : انبأنا محمد بن احمد بن ابراهيم انبأنا محمد بن عثمان ابن ابي شيبة انبأنا عبد الحميد بن صالح انبأنا احمد بن ابان عن علقمة بن مرثد عن ابي بريدة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الحجر يرمى في جهنم فيهوى سبعين خريفا ما يبلغ قعرها ويؤتي بالغلول فيقذف معه ثم يقال لمن غلبه : انت به فذلك قوله (ومن يغلب يأت بما غل يوم القيامة) (حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن عمار حدثني ممالك الحنفية ابو زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر

على المنبر فقال « مابل العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي ، فهلا جلس في بيت أمه أو أبيه فينظر أيهدى اليه أم لا ؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئا الا جاء يوم القيامة يحمله على رقبة ، إن كان بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة لها تبعير » ثم رفع يديه

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد ، حتى أتوا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلا إني رأيته في النار في بردة غلبها - أو عبادة » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة الا المؤمنون » قال : فنادت إنه لا يدخل الجنة الا المؤمنون ، وكذا رواه مسلم والترمذي من حديث عكرمة بن عمار به وقال الترمذي : حسن صحيح

(حديث آخر عن عمر رضي الله عنه) قال ابن جرير : حدثني احمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثني عبد الله بن وهب اخبرني عمرو بن الحارث ان موسى بن جبير حدثه ان عبد الله بن عبد الرحمن ابن الحباب الانصاري حدثه أن عبد الله بن انيس حدثه انه تذاكر هو وعمر بن الخطاب يوما الصدقة فقال : ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر غلول الصدقة « من غل منها جيرا أو شاة فانه يحمله يوم القيامة » قال عبد الله بن انيس : بلى ، ورواه ابن ماجه عن عمرو بن سوار عن عبد الله بن وهب به (حديث آخر) قال ابن جرير : حدثنا يحيى بن سعيد الاموي حدثنا ابي حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عبادة مصدقا فقال « يا سعد إياك أن تنجي يوم القيامة بغير نحملة له رغاء » قال : لا أخذه ولا أجري به فأعفاه ، ثم رواه من طريق عبيد الله عن نافع به نحوه

(حديث آخر) قال احمد : حدثنا أبو سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد حدثنا صالح بن محمد بن زائدة عن سالم بن عبد الله انه كان مع مسلمة بن عبد الملك في أرض الروم فوجد في متاع رجل غلولا قال : فسأل سالم بن عبد الله فقال : حدثني ابي عبد الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من وجدتم في متاعه غلولا فاحرقوه - قال : واحسبه قال - واضربوه » قال : فأخرج متاعه في السوق فوجد فيه مصحفا فسأل سالما ؟ فقال : به وتصديق بضمنه ، وكذا رواه علي بن المديني وابو دأود والترمذي من حديث عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، زاد ابو داود وابو اسحق الفزاري كلاهما عن ابي واقد الليثي الصخيري صالح بن محمد بن زائدة به . وقال علي بن المديني والبخاري وغيرهما : هذا حديث منكر من رواية ابي واقد هذا ، وقال لدارقطني : الصحيح انه من فتوى سالم فقط . وقد ذهب الى القول بمقتضى هذا الحديث الامام احمد بن حنبل ومن تابعه من أصحابه ، وقد رواه الاموي عن معاوية عن ابي اسحق عن يونس بن عبيد عن الحسن قال : عقوبة الغال أن يخرج رحله فيحرق على ما فيه . ثم روي عن معاوية عن ابي اسحق عن عثمان بن

حتى رأينا عفرة أبطيه ثم قال « اللهم هل بلغت » ثلاثا . وروى قيس بن أبي حازم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقال « لاتصيبن شيئا إلا بأذني فانه غلول (ومن يغفل بأتم غل يوم القيامة) . وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا وجدتم الرجل قد غل فاحرقوا متاعه واضربوه » وروي عن عمرو بن

عطاء عن أبيه عن علي قال : الغال يجمع رحله فيحرق ويحجل دون حد المملوك ويحرم نصيبه ، وخالفه أبو حنيفة ومالك والشافعي والجمهور فقالوا : لا يحرق متاع الغال بل يعزى تعزير مثله . وقد قال البخاري وقد امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة على الغال ولم يحرق متاعه والله أعلم — وقد قال الامام احمد : حدثنا اسود بن عامر انبأنا اسرائيل عن ابي اسحق عن جبير بن مالك قال : أمر بالمصاحف أن تغير قال : فقال ابن مسعود : من استطاع منكم أن يغسل مصحفاً فليغسله ، فإنه من غل شيئاً جاء به يوم القيامة ، ثم قال : قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين مرة ، أفأترك ما أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم — وروى وكيع في تفسيره عن شريك عن ابراهيم ابن مهاجر عن ابراهيم قال : لما أمر بتحريق المصاحف قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أيها الناس غلوا المصاحف ، فإنه من غل يأت بما غل يوم القيامة ، ونعم الغل المصحف يأتي به أحدكم يوم القيامة — وقال أبو داود : عن سمرة بن جندب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غنم غنيمة أمر بلالا فينادي في الناس فيجوزوا بقنائمهم فيخمسه ويقسمه ، فجاء رجل يوماً بعد النداء بزمان من شعر فقال : يا رسول الله هذا كان مما أصبناه من الغنيمة فقال « أسمع بلالا ينادي » ثلاثاً قال : نعم قال « فما منكم أن تجيء » فاعتذر إليه فقال « كلا أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله منك » وقوله تعالى (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) أي لا يستوي من اتبع رضوان الله فيما شرعه فاستحق رضوان الله وحزيل ثوابه ، وأجير من وبيل عقابه ، ومن استحق غضب الله وألزم به فلا يحيد له عنه ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير ، وهذه الآية لها نظائر كثيرة في القرآن كقوله تعالى (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) وكقوله (أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لآقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) الآية . ثم قال تعالى (هم درجات عند الله) قال الحسن البصري ومحمد بن اسحق : يعني أهل الخير وأهل الشر درجات ، وقال أبو عبيدة والكسائي : منازل يعني متفاوتون في منازلهم ، درجاتهم في الجنة ودرجاتهم في النار ، كقوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) الآية ، ولهذا قال تعالى (والله بصير بما يعملون) أي وسيوفهم إياها ، لا يظلمهم خيراً ولا يزيدهم شراً ، بل يجازي كل عامل بعمله

وقوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أي من جنسهم ليتمكنوا

شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أحرقوا متاع الغال وضربوه . قوله تعالى (ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » أفمن اتبع رضوان الله فترك الغلول » كمن باء بسخط من الله » فعل » ومأواه جهنم وبئس المصير » هم درجات عند الله » يعني ذوي درجات عند الله . قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني من اتبع رضوان الله ، ومن باء بسخط من الله مختلفوا المنازل عند الله ، فمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ، وإن باء بسخط من الله العذاب الاليم » والله بصير بما يعملون » لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من

من مخاطبته وسؤاله ومجالبته والانتفاع به ، كما قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها) أي من جنسكم ، وقال تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما الهكم إله واحد) الآية ، وقال تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى) وقال تعالى (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم) فهذا أبلغ في الامتنان أن يكون الرسول إليهم منهم بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعته في فهم الكلام عنه ، ولهذا قال تعالى (يتلو عليهم آياته) يعني القرآن (ويزكيهم) أي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، لتزكو نفوسهم وتظهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعني القرآن والسنة (وإن كانوا من قبل) أي من قبل هذا الرسول (لفي ضلال مبين) أي لفي غي وجهل ظاهر جلي بين لكل أحد

أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ، ان الله على كل شيء قدير (١٦٥) وما أصبكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين (١٦٦) وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا فقتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالا لانبغضنا هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون (١٦٧) الذين قالوا للاخوانهم وقعدوا : لو أطاعونا ما قتلوا ، قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صديقين (١٦٩)

يقول تعالى (أولما أصابتكم مصيبة) وهي ما أصيب منهم يوم أحد من قتل السبعين منهم (قد أصبتم مثليها) يعني يوم بدر فأنهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلا ، وأسروا سبعين أسيرا (قلتم أنى هذا) أي من أين جرى علينا هذا (قل هو من عند أنفسكم) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي أنبأنا أنفسهم ﴿ قيل : أراد به العرب لانه ليس حي من أحياء العرب الا وله فيهم نسب الا بني ثعلبة دليله قوله تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم) وقال الآخرون : أراد به جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى (من أنفسهم) أي بالايان والشفقة دليله قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) ﴿ يتلو عليكم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا ﴾ وقد كانوا ﴿ من قبل ﴾ أي من قبل مبعثه ﴿ لفي ضلال مبين ﴾

قوله تعالى ﴿ أولما ﴾ أي حين ﴿ أصابتكم مصيبة ﴾ بأحد ﴿ قد أصبتم مثليها ﴾ يبدر وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم يبدر سبعين وأسروا سبعين ﴿ قلتم أنى هذا ﴾ من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ﴿ قل ﴾

ابو بكر بن أبي شذبة حدثنا قراد بن نوح حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي ابو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء ، فقتل منهم سبعون وفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، وكسرت رمايته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، فأنزله الله (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) بأخذكم الفداء ، وهكذا رواه الامام احمد عن عبد الرحمن بن غزوان وهو قراد بن نوح باسناده ، ولكن بأطول منه ، وهكذا قال الحسن البصري وقال ابن جرير : حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا اسماعيل بن علية عن ابن عون ح قال سفيان وهو حسين وحدثني حجاج عن جريح عن محمد عن عبيدة عن علي قال : جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الاساري ، وقد أمرك أن تخبرهم بين أمرين ، إما أن يقدموا فتضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر لهم ذلك فقالوا : يا رسول الله عشائرتنا واخواننا ألا نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ، ويستشهد منا عدتهم ، فليس في ذلك مانكره ؟ قال فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا ، عدة أساري أهل بدر ، وهكذا رواه النسائي والترمذي من حديث أبي داود الحفري عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن سفيان بن سعيد عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين به ، ثم قال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديث ابن أبي زائدة . وروى ابو أسامة عن هشام نحوه . وروى عن ابن سيرين عن عبيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل . وقال محمد بن اسحق وابن جرير والريعي بن اسد والسدي (قل هو من عند أنفسكم) أي بسبب عصيانكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فعضيتهم يعني بذلك الرماة (إن الله على كل شيء قدير) أي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لامعقب الحكمة ، ثم قال تعالى (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله) أي فراركم بين يدي عدوكم وقتلهم الجماعة منكم وجراحهم لا آخرين كان بقضاء الله وقدره ، وله الحكمة في ذلك (وليعلم المؤمنون) أي الذين صبروا وثبتوا ولم

هو من عند أنفسكم ﴿ روى عبيدة السلماني عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن الله كره ما صنع قوعك في أخذهم الفداء من الاسارى وقد أمرك أن تخبرهم بين أن يقدموا فتضرب أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشائرتنا واخواننا لا بل نأخذ منهم فداءهم فتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى أهل بدر فهذا معنى قوله تعالى (قل هو من عند أنفسكم) أي بأخذكم الفداء واختياركم القتل ﴿ ان الله على كل شيء قدير . وما أصابكم يوم التقى الجمعان ﴾ بأحد من القتل والجرح والهزيمة ﴿ فباذن الله ﴾ أي بقضاء الله وقدره ﴿ وليعلم المؤمنون ﴾ أي ولينبذ رقبيل ليرى ﴿ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله ﴾ أي لاجل دين الله

يتزلزلوا (وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) يعني بذلك أصحاب عبد الله بن أبي بن سلول الذين رجعوا معه في أثناء الطريق فاتبعهم رجال من المؤمنين يحرضونهم على الايمان والقتال والمساعدة ، ولهذا قال (أو ادفعوا) قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وابو صالح والحسن والسدي : يعني كثروا سواد المسلمين ، وقال الحسن ابن صالح ادفعوا بالدعاء ، وقال غيره رباطوا ، فتعلاوا قائلين لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، قال مجاهد يعنون لو نعلم انكم تلقون حربا لجئناكم ، ولكن لاتلقون قتالا . قال محمد بن اسحق : حدثني محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني حين خرج الى أحد في الف رجل من أصحابه ، حتى اذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انحاز عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس فقال : أطعمهم فخرج وعصاني ووالله ما دري علام تقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ، فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه أهل النفاق وأهل الريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول : يا قوم أذكركم الله أن تتخذوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوكم قالوا : لو نعلم انكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكن لانرى أن يكون قال ، فلما استعصوا عليه وأبوا الا الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيخني الله عنكم ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الله عز وجل (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) استدلوا به على ان الشخص قد تتقلب به الاحوال فيكون في حال أقرب الى الكفر ، وفي حال أقرب الى الايمان لقوله (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) ثم قال تعالى (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) يعني أنهم يقولون القول ولا يمتدنون صحته ، ومنه قولهم هذا (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) فانهم يتحققون ان جندا من المشركين قد جاؤا من بلاد بعيدة يتحرقون على المسلمين بسبب ما أصيب من أشرفهم يوم بدر ، وهم أضعاف المسلمين انه كائن بينهم قتال لا محالة ، ولهذا قال تعالى (والله أعلم بما يكتمون) ثم قال تعالى (الذين قالوا لآخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا) أي لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل ، قال الله تعالى (قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم طاعته) (أو ادفعوا) عن أهلكم وحرىكم وقال السدي أي كثروا سواد المسلمين ورابطوا ان لم تقاتلوا يكون ذلك دافعا وقما للعدو (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) وهو عبد الله بن أبي وأصحابه الذين انصرفوا عن أحد وكانوا ثلاثمائة

قال الله تعالى (هم للكفر يومئذ أقرب) أي الى الكفر يومئذ أقرب (منهم للإيمان) أي الى الايمان (يقولون بأفواههم) يعني كلمة الايمان (ما ليس في قلوبهم) والله أعلم بما يكتمون . الذين قالوا لآخوانهم (في النسب لاني الدين وهم شهداء أحد) (وقعدوا) يعني قعد هؤلاء القاتلون عن الجهاد (لو أطاعونا) وانصرفوا عن محمد صلى الله عليه وسلم وقعدوا في بيوتهم (ما قتلوا قل) لهم

صادقين) أي إن كان القوم يسمون به الشخص من القتل والموت فينبغي أنكم لا تموتون ، والموت لا بد آت اليكم ولو كنتم في بروج مشيدة ، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين. قال مجاهد عن جابر بن عبد الله : نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون (١٧٠)

فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم

ولا هم يحزنون (١٧١) يستبشرون بنعمة من الله وفضل وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين

(١٧٢) الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا

أجر عظيم (١٧٣) الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً

وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (١٧٤) فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا

رضوان الله والله ذو فضل عظيم (١٧٥) إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون

إن كنتم مؤمنين (١٧٦)

ينجز تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار .

قال محمد بن جرير : حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا عمرو بن يونس عن عكرمة حدثنا اسحق بن أبي

طلحة حدثني انس بن مالك في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم نبي الله إلى أهل

بئر معونة قال : لأدري أربعين أو سبعين ، وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري فخرج أولئك

النفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتوا غاراً مشرفاً على الماء ففقدوا فيه ، ثم قال

بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال - أراه أبو ملحان الانصاري -

أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فخرج حتى أتى حول بيوتهم فاجتثى (٢) أمام البيوت ثم قال يا أهل

بئر معونة إني رسول رسول الله إليكم ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله

فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضر به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال : الله أكبر فزت

ورب الكعبة فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه في الغار فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل وقال ابن اسحق : حدثني

انس بن مالك إن الله أنزل فيهم قرآناً بلغوا عنا قومنا إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنهم نسخت

ورفعت بعد ما قرأناها زماناً ، وأنزل الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم

يامحمد فادعوا) فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) ان الحذر يعني عن القدر

قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) الآية قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا

(١) قوله أهل هذا الماء

إلى هنا سقط من

النسختين وترك له

يباض في المطبوعة

ونقلناه من تفسير

ابن جرير

(٢) في الأزهرية :

فاختبأ

برزقون) وقد قال مسلم في صحيحه : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال : انا سألنا عبد الله عن هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) فقال : أما انا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا ؟ فقالوا : أي شيء نشتهي ونحن تسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم ان يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا » وقد روى نحوه من حديث أنس وبني سعيد

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل «ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع الى الدنيا الا الشهيد فانه يسره أن يرجع الى الدنيا فيقتل مرة أخرى مما يرى من فضل الشهادة» تفرد به مسلم من طريق حماد (حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا علي بن عبد الله المدني حدثنا سفيان بن محمد بن علي ابن ربيعة السلمي عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعلمت أن الله أحبي أباك فقال له : نعم فقال له : أرد الى الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى قال : إني قضيت أنهم اليها لا يرجعون» تفرد به احمد من هذا الوجه . وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن أبا

أربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين وقال الآخرون نزلت في شهداء واحد وكانوا سبعين رجلا أربعة من المهاجرين همزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله ابن جعش وسائرهم من الانصار . أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا ابو بكر احمد بن الحسن الحيري انا حاجب بن احمد الطوسي انا محمد بن حماد انا ابو معاوية عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما عن هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) الآية قال انا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أرواحهم كطير خضر ويروى في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا أي شيء نشتهي ونحن تسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أنهم لا يسألون الا هذا (١) تركوا» أخبرنا ابو سعيد الشريحي انا ابو اسحق الثعلبي انا عبد الله بن حامد أخبرنا احمد بن محمد بن شاذان ان جسدوا (٢) انا صالح بن محمد انا سليمان بن عمرو عن اسماعيل بن امية عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه «انه لما أصيب اخوانكم يوم احد جعل الله عز وجل أرواحهم في اجواف

«١» في الهندية : ان

ليس لهم حاجة

«٢» فيها جموعية

جابر وهو عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري رضي الله عنه قتل يوم أحد شهيدا . قال البخاري : وقال ابو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر سمعت جابرا قال : لما قتل ابي جملت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهوني والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تنكح - أو ما ينكح - ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع » وقد أسنده هو ومسلم والذهبي من طريق (١) عن شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : لما قتل ابي يوم أحد جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي وذكر تمامه بنحوه

(١) في الازهرية :
من طريق آخر

(حدث آخر) قال الامام احمد : حدثنا يعقوب حدثنا ابي عن ابي اسحق حدثنا اسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد عن ابي الزبير المكي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ، وحسن مقيلهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله هذه الآيات (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) وما بعدها » وهكذا رواه احمد ، ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن اسماعيل بن عياش عن محمد بن اسحق به . ورواه ابو داود والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن ادريس عن محمد بن اسحق به ، ورواه ابو داود والحاكم عن اسماعيل بن أمية طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم ورأوا ما أعد الله لهم من الكرامة قالوا يا ليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم وما يصنع الله بنا كي يرغبوا في الجهاد ولا ينكلوا عنه فقال الله عز وجل أنا أخبر عنكم ومبلغ إخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا فأنزل الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) الى قوله (لا يضيع أجر المؤمنين) » وسمعت عبد الواحد بن احمد الملبجي قال سمعت الحسن بن احمد الفتيبي قال سمعت محمد بن عبد الله بن يوسف قال سمعت محمد ابن اسمعيل البكري قال سمعت يحيى بن حبيب بن عربي قال سمعت موسى بن ابراهيم قال سمعت طلحة بن خراش قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول ائقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي « يا جابر مالي اراك منكسرا ؟ » قلت يا رسول الله استشهد ابي وترك عيالا ودينا قال « أفلا ابشرك بما لقي الله به اباك ؟ » قلت بلى يا رسول الله قال « ما كلم الله تعالى أحدا قط الا من وراء حجاب وانه احيا اباك فسكاه كفاحا قال يا عبيدي تمن علي اعطك ، قال يا رب احيني فاقتل فيك الثانية ، قال الرب تبارك وتعالى انه قد سبق مني القول انهم لا يرجعون » قال فأنزلت فيهم (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) اخبرنا ابو عبد الله محمد بن الفضل الحرقي انا ابو الحسن الطيسفوني انا عبد الله بن عمر الجوهري انا احمد بن علي الكشميهني انا علي بن حجر انا اسمعيل بن جعفر انا حميد عن انس رضي

عن ابي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره ، وهذا أثبت ، وكذا رواه
سفيان الثوري عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس — وروى الحاكم في مستدركه
من حديث ابي اسحق الفزاري عن سفيان بن اسماعيل (١) بن ابي خالد عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال : نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل
أحياء عند ربهم يرزقون) ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وكذا قل قتادة والربيع
والضحاك : أنها نزلت في قتلى أحد

(١) في الازهرية عن
ابي سفيان عن اسماعيل

(حديث آخر) قال ابو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا هارون بن سليمان
انباأنا علي بن عبد الله المدني انباأنا موسى بن ابراهيم بن كثير بن بشير بن النفاكه الانصاري سمعت
طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمت الانصاري قال : سمعت جابر بن عبد الله
قل : نظر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال « يا جابر ، الي أراك مهتما ؟ » قال : قلت
بارسول الله استشهد ابي وترك دينا وعيالا قال : فقال « ألا أخبرك ما كالم الله أحدا قط الا من وراء
حجاب ، وانه كلم اباك كفاحا » قال علي : والكفاح المواجهة « قال ساني أعطك قال : أسألك أن
أرد الى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه قد سبق مني القول أنهم اليها لا يرجعون قال
أى رب فأبلغ من ورائي فأنزل الله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) الآية » ثم رواه
من طريق أخرى عن محمد بن سلمان بن سابط الانصاري عن ابيه عن جابر به نحوه ، وكذا رواه

الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يموت له عند الله خير يحب أن يرجع الي
الدنيا وان له الدنيا وما فيها الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يحب أن يرجع الى الدنيا فيقتل
مرة أخرى » وقال قوم نزلت هذه الآية في شهداء بئر معونة وكان سبب ذلك على ماروي محمد
ابن اسحق عن ابيه اسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن ابي
بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعن حميد الطويل عن انس بن مالك وغيرهم من اهل العلم قال قدم
ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر ابن صعصعة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة واهدي اليه هدية فأني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبلها وقال « لا أقبل
هدية مشرك » فاسلم ان اردت ان اقبل هديتك ثم عرض عليه الاسلام واخبره بما له فيه وما أعد الله
للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان الذي تدعوا اليه حسن جميل فلو بعثت
رجالا من أصحابك الى اهل نجد فدعوه الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « اني اخشى عليهم اهل نجد » فقال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى
أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار
المسلمين منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن أسامة بن (١) الصلت السلمي ونافع بن يزيد
ابن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة

(١) في الهندية بنت

(١) في الازهرية :
ابن عبد الرحمن

البهقي في دلائل النبوة من طريق علي بن المديني به ، وقد رواه البيهقي أيضا من حديث أبي عبادَةَ الانصاري وهو عيسى بن عبد الله (١) ان شاء الله عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر « يا جابر ألا ابشرك » قال : بلى بشرك الله بالخير قال « شعرت بأن الله أحيا أباك فقال تمن علي عبي ما شئت أعطك قال : يا رب ما عبدتك حق عبادتك أنى عليك أن تردني الى الدنيا فأقاتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى ، قال انه سلف مني انه اليها لا يرجع »

(حدث آخر) قال الامام احمد حدثنا يعقوب حدثنا ابي عن ابن اسحق حدثنا الحارث بن فضيل الانصاري عن محمود بن لبيد بن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فيه قبة خضراء يخرج اليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية » تفرد به احمد ، وقد رواه ابن جرير (٢) عن ابي كريب حدثنا عبد الرحمن بن سليمان وعبيدة عن محمد بن اسحق به وهو اسناد جيد . وكان الشهداء أقسام منهم من تسرح أرواحهم في الجنة ، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة ، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم الى هذا النهر ، فيجتمعون هنالك ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح الله أعلم — وقد روينا في مسند الامام احمد حديثا فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح أيضا فيها وتاكل من ثمارها ، وترى ما فيها من النضرة والسرور ، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة ، وهو باسناد صحيح عزيز عظيم ، اجتمع فيه ثلاثة من الائمة الاربعة اصحاب المذاهب المتبعة ، فان الامام احمد رحمه الله رواه عن محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله

(٢) فيها ابن جرير

على رأس أربعة أشهر من احد فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي أرض بين أرض بني عامر وحررة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا أهل بئر معونة اني رسول رسول الله اليكم اني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فأمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فابوا أن يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا ان نخفر أبا براء تدعدهم لعمركم عقدا وجوارا ثم استصرخ عليهم قبائل من بني سلمة عصية ورعلا وذكو ان فاجأوه فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوه حتى قتلوا من عند آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه روق قارت بين القتلى فضلوه فيهم فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الانصار أحد بني عمرو بن عوف فلم ينبهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على المعسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فاذا القوم في دماثهم واذا الخيل التي أصابهم واقفة فقال الانصاري لعمرو بن أمية ماذا ترى؟ قال ارى ان نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره فقال الانصاري

عن مالك بن انس الاصمعي رحمه الله عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نسمة المؤمن طائر يعاق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه » قوله « يعاق » أي يأكل . وفي هذا الحديث « ان روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة » واما ارواح الشهداء فسكانا تقدم في حواصل طير خضر فهي كالنواكب بالنسبة الى ارواح عموم المؤمنين فانها تطير بأنفسها ، فنسأل الله الكريم المنان أن يجمعنا

في جنة ()
بستان

الله اكبر لكنني ما كنت لارغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذوا عمرو بن أمية اسيراً فلما أخبرهم انه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أمه فقدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا عمل ابي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا » فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة . وروى محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا هو عامر بن فهيرة ثم بعد ذلك حمل ربيعة بن ابي براء على عامر بن الطفيل فطعنه على فرسه فقتله أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا عبد الاعلى بن حماد انا يزيد بن زريع انا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك أن رجلاً وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدوهم فامدهم بسبعين من الانصار كننا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى كانوا يبتئ معونة قتلهم وغدروا بهم ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقتل شهراً يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب ، على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان ، قال انس رضي الله عنه فقرأنا فيهم قرآننا ثم ان ذلك رفع « بانوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا » ثم نسخت فرفعت بعد ما قرأناه وأنزل الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) الآية : وقيل ان أولياء الشهداء كانوا اذا أصابتهم نعمة تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعمة وآبائنا وأبنائنا وأخواننا في القبور فأنزل الله تعالى تنفيساً عنهم وإخباراً عن حال قتلاهم (ولا تحسبن) ولا تظنن (الذين قتلوا في سبيل الله) قرأ ابن عامر قتلوا بالشديد والآخرين بالتخفيف (أمواتاً) كأموات من لم يقتل في سبيل الله ﴿ بل أحياء عند ربهم ﴾ قيل أحياء في الدين وقيل في الذكر ، وقيل لانهم يرزقون ويأكلون ويتمتعون كالأحياء وقيل لان ارواحهم تركم وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة . وقيل لان الشهيد لا يبلى في القبر ولا تأكله الارض . وقال عبيدة بن عمير مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة ، ألا فاتوهم وزورهم وسدوا عليهم

ابن اسلم : هذه الآيات جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء وغيرهم ، ولما ذكر الله فضلا ذكر به الأنبياء وثرابا أعطاهم الله إياه الا ذكر الله ما أعطى المؤمنين من بعدهم

وقوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) هذا كان يوم حمراء الأسد وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كروا راجعين الى بلادهم ، فلما استمروا في سيرهم ندموا لم لا تمموا على أهل المدينة وجملوها الفيصلة ، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب المسلمين الى الذهاب وراءهم ليرعهم ويرهبهم ان بهم قوة وجلدا ، ولم يأذن لاحد سوى من حضر الواقعة يوم احد سوى جابر بن عبد الله رضي الله عنه لما سئذره ، فندب المسلمون على ما بهم من الجراح والائمان طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم . قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة قل : لما رجع المشركون عن احد قالوا : لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب اردقتم ، بئس ما صنعتهم ، ارجعوا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد - أو بئر أبي عبيدة - الشك من سفيان - فقال المشركون : نرجع من قابل ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت تعد غزوة ، فأنزل الله

الحسن الدار الجردى انا عبد الله بن يزيد المقرئ انا سعيد حدثني محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشهيد لا يجحد ألم القتل الا كما يجحد أحدكم ألم الفرصة »

قوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول) الآية ، وذلك ان أبا سفيان وأصحابه لما احترفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرفهم وتلاوموا وقالوا : لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب اردقتم قتلتموهم ، حتى اذا لم يبق الا اشريد تركنموهم ، ارجعوا فاستأصلوهم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يهرب العدو ويرهبهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان ، فانتدب عصاة منهم مع ما بهم من الجرح والقرح الذي أصابهم يوم أحد ، ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس ، فكلمه جابر بن عبد الله فقال : يا رسول الله إن أبي كان قد خلفني على اخوات لي سبع وقال لي : يا بني انه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لارجل فين ، ولست بالذي ادرك على نفسي في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك ، فتخلفت عليهم ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه ، وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو ، وليبلغهم انه خرج في طابهم فيظنوا ان بهم قوة ، وان الذي أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطاحه والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وابو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا رضي الله عنهم حتى بلغوا حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لعبد الله بن الزبير :

قوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول) الآية ، وذلك ان أبا سفيان وأصحابه لما احترفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرفهم وتلاوموا وقالوا : لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب اردقتم قتلتموهم ، حتى اذا لم يبق الا اشريد تركنموهم ، ارجعوا فاستأصلوهم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يهرب العدو ويرهبهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان ، فانتدب عصاة منهم مع ما بهم من الجرح والقرح الذي أصابهم يوم أحد ، ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس ، فكلمه جابر بن عبد الله فقال : يا رسول الله إن أبي كان قد خلفني على اخوات لي سبع وقال لي : يا بني انه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لارجل فين ، ولست بالذي ادرك على نفسي في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك ، فتخلفت عليهم ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه ، وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو ، وليبلغهم انه خرج في طابهم فيظنوا ان بهم قوة ، وان الذي أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطاحه والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وابو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا رضي الله عنهم حتى بلغوا حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لعبد الله بن الزبير :

تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح الذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) وروى ابن مردويه من حديث محمد بن منصور عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن عمرو عن ابن عباس فذكره - وقال محمد بن اسحق : كان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال ، فلما كان الغد من يوم الاحد است عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرج من معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس ، فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال يا رسول الله إن ابني كان خلفني على اخوات لي سبع وقال : يا بني انه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لارجل فيهن ، ولست بالذي اوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي فتخلف على اخوانك فتخلف عليهن ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه ، وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبائهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ، وان الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم . قال محمد بن اسحق : فحدثني عبد الله بن خارجه بن زيد بن ثابت عن ابني السائب مولى عائشة بنت عثمان ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الاشهل ، كان قد شهد احدا

يا ابن اخي اما والله إن اباك وجدك - تعني ابا بكر والزيبر - لمن الذين قال الله عز وجل فيهم (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الخزاعي بحمراء الاسد ، وكانت خزاعة مسلمة وكافروهم عيينة نصيح (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا ، وكان معبد يومئذ مشركا فقال : يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا ان الله تعالى كان قد أعفأك منهم ، ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحاء ، قد اجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : قد أصبنا جلة أصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم فلنفزعهم منهم ، فلما رأى ابو سفيان معبدا قال له : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج مع أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من كان يخاف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم ، وفيهم من الحق عليكم شيئا لم أر مثله قط ، قال : وبلك ما تقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال : فاني والله أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أباينا كادت تهد من الاصوات راحلتي اذ سالت الارض بالجرذ الابابيل

« ١ » حذف كلمة
نصح من نسختنا

فذكر اباينا فرد ذلك ابا سفيان ومن معه ومعه ركب من عبد القيس فقال ابن نريدون قالوا نريد المدينة قال ولم قالوا نريد الميرة قال فهل انتم مبلغون عنى محمد رسالة واحل لكم ابلكم هذه زبيبا بعكاظ غدا اذا وافيتونا قالوا نعم قال فاذا جئتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بحمراء الاسد فاخبروه بالذي قاله ابو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه « حسبنا الله ونعم الوكيل » ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد الثلاثة هذا قول أكثر المفسرين وقال

قال : شهدنا احداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وأخي فرجعنا جريحين ، فلما اذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لأخي - او قال لي - : أنفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله مالنا من دابة نركبها ، وما منا الا جريح ثليل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسر جراحا منه ، فكان اذا غلب حملته عقبة ، حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون . وقال البخاري : حدثنا محمد بن سلام حدثنا ابو معاوية عن هشام عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها (الذين استجابوا لله والرسول) الآية قالت لعروة : يا ابن اخي كان ابو اك منهم الزبير وابو بكر رضي الله عنهما لما اصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف ان يرجعوا فقال « من يرجع في اثرهم » ؟ فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم ابو بكر والزبير ، هكذا رواه البخاري منفرداً بهذا السياق ، وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن الاصم عن ابي العباس (١) لدوري عن ابي النضر عن ابي سعيد المؤدب عن هشام بن عروة به ، ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه كذا قول ، ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وهدبة بن عبد الوهاب عن سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة به ؛ وهكذا رواه سعيد بن منصور وابو بكر الحلي في مسنده عن مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان يوم أحد حين اراد أن ينصرف قال يا محمد بيننا وبينك موسم بدر الصغرى القابل إن شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج ابو سفيان في أهل مكة حتى نزل بحجة من ناحية مر الظهران ثم اتى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فأتى نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يا نعيم اني واعدت محمدا واصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وأن هذه عام جذب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدالي أن لا أخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج أنا فبزيدهم ذلك جرأة ولان يكون الخلف من قبلهم أحب الى من أن يكون من قبلي فالحق بالمدينة فثبطهم وأعلمهم اني في جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل أضعها لك على يدي سهل بن عمرو وبضمنها قال فجاء سهيل فقال له نعيم يا أبا يزيد أنضمن لي هذه الفلائص من ابي سفيان وانطلق الي محمد واثبطه ؟ قال نعم فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال أين تريدون ؟ فقالوا واعدنا أبا سفيان أن نلتقي بموسم بدر الصغرى قال بئس الرأي رأيكم اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد أقتر يدون أن يخرجوا وقد جمعوا اليكم عند الموسم والله لا يفلت منكم احد فكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لا اخرجن ولو وحدي » فاما الجبان فانه رجع وأما الشجاع فانه تأهب للقتال وقال (ح) بنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى وافوا بدر الصغرى فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا اليكم يريدون أن يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون (حسبنا الله ونعم الوكيل) حتى بلغوا بدرا وكانت موضع سوق لهم

(١) في الازهرية : عباس

سفيان به ، وقد رواه الحاكم أيضا من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن التيمي عن عروة وقال :
 قالت لي عائشة إن أباك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، ثم قال صحيح
 على شرط الشيخين ولم يخرجاه — وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر من أصل كتابه
 أنبأنا سموية أنبأنا عبد الله بن الزبير أنبأنا سفيان أنبأنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت :
 قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أبوك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم
 القرح أبو بكر والزبير » ورفع هذا الحديث خطأ محض من جهة إسناده لمخالفته رواية الثقات من وقفه
 على عائشة رضي الله عنها كما قدمناه ، ومن جهة معناه فإن الزبير ليس هو من آباء عائشة ، وإنما قالت
 ذلك عائشة لعروة بن الزبير لأنه ابن اختها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم — وقال ابن
 جرير : حدثني محمد بن سعد حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قل : إن الله قذف
 في قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد بعد ما كان منه ما كان فرجع إلى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 « إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا ، وقد رجع وقد قذف الله في قلبه الرعب » وكانت وقعة أحد
 في شوال ، وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة فينزلون بيدر الصغرى في كل سنة مرة وأنهم
 قدموا بعد وقعة أحد ، وكان أصاب المؤمنين القرح واشتكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم واشتد
 عليهم الذي أصابهم ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الناس لينطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا
 متبعين وقال « إنما يرتحلون الآن فيأتون الحج ولا يقدر على مثلها حتى عام مقبل » فجاء الشيطان
 يخوف أوليائه فقال : إن الناس قد جهموا لكم ، فأبى عليه الناس أن يتبعوه وقال « اني ذاهب وإن لم
 يتبعني أحد لا حضض الناس » فانتدب معه الصديق وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن
 ابن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا فساروا
 في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد
 ما أصابهم القرح) الآية ، ثم قال ابن اسحق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى
 حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم
 فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة ، وقد مر به كما حدثني عبد الله بن أبي بكر معبد بن
 أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة مسلمهم ومشركلهم عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة
 في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدر ينتظر أبا
 سفيان وقد انصرف أبو سفيان من مجنة إلى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
 أحدا من المشركين ووافقوا السوق وكانت معهم تجارات ونفقات فباعوا وأصابوا بالدرهم درهمين
 فأنصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول) أي اجابوا
 ومحل الذين خفض على صفة المؤمنين تقديره إن الله لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين الذين
 استجابوا لله والرسول (من بعد ما أصابهم القرح) أي نالهم الجرح وتم الكلام ههنا ثم ابتدا فقال

صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ، وبعيد يومئذ كان مشركا فقال : يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا ان الله عافاك فيهم ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد حتى أتى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا : أصبنا محمداً وأصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم؟ لنكرن على بقيتهم ثم لنفرغن منهم ، فلما رأى أبو سفيان معبدا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد وأصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله ، يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من كان يخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا ، فهم من الخنق عليكم بشيء لم أر مثله قط ، قال : ويلاك ما تقول ؟ قال والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل ، قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فاني أنهارك عن ذلك والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتا من شعر قال وما قلت ؟ قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتى اذ سالت الارض بالجرى الابليل
تردى باسد كرام لا تنال عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت أعدو (١) أظن الارض مائلة لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت وهل ابن حرب من لقائكم اذا نغططت البطحاء بالخيول
اني نذير لاهل السيل ضاحية لكل ذي اربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخش تنال وليس يوصف ما أنذرت بالقليل

(١) في الأزهريّة:
عدوا أي أعدو عدوا

قال فتني ذلك أبا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال ابن تريدون ؟ قالوا نريد المدينة قال ولم ؟ قالوا نريد الميرة ؟ قال فهل أنتم مبلغون عني محمدا رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم هذه غدا زيبا بعكاظ اذا وافيتهمونا ؟ قالوا نعم قال فاذا وافيتهم فاخبروه انا قد أجمعنا المسير اليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم . فر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد فاخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه فقالوا (حسبنا الله ونعم الوكيل) وذكر ابن هشام عن أبي عبيدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه رجوعهم والذي نفسي بيده لقد سومت لهم حجارة لو أصبحوا بها اسكوا كأمس الذهاب ، وقال الحسن البصري في قوله (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم

﴿ الذين أحسنوا منهم ﴾ بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابته الى الغزو ﴿ واتقوا ﴾ معصيته
﴿ أجر عظيم ﴾ الذين قال لهم الناس ﴿ ومحل الذين خفض أيضا مردود على الذين الاول وأراد بالناس
نعيم بن مسعود في قول مجاهد وعكرمة فهو من العام الذي أريد به الخاص كقوله تعالى (أم يحسدون
الناس) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقال محمد بن اسحق وجماعة أراد بالناس الركب من عبد
القيس ﴿ ان الناس قد جمعوا لكم ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه ﴿ فاخشوهم ﴾ فخفوهم واحذروهم فانه
لا طاقة لكم بهم ﴿ فزادهم ايمانا ﴾ تصديقا وبقينا وقوة ﴿ وقالوا حسبنا الله ﴾ أي كافينا الله ﴿ ونعم
الوكيل ﴾ أي الموكول اليه لا مور فقبل بمعنى مفعول أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المايحي أخبرنا أحمد

(الفرح) إن أبا سفيان وأصحابه أصابوا من المسلمين ما أصابوا ورجعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبا سفيان قد رجع وقد قذف الله في قلبه الرعب فمن يندب في طلبه فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبعوهم فبلغ أبا سفيان أن النبي صلى الله عليه وسلم يطلبه فأتى عيرا من النجاشية فقال ردوا محمدا ولكم من الجعل كذا وكذا وأخبروهم أني قد جئت جموعا واني راجع اليهم فجاء التجار فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم (حسبنا الله ونعم الوكيل) فأنزل الله هذه الآية، وهكذا قال عكرمة وقتادة وغير واحد إن هذا السياق نزل في شأن غزو حمراء الأسد وقبل نزلت في بدر الموعد والصحيح الاول

وقوله تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا) الآية أي الذين توعدوا الناس بالجموع وخوفوهم بكثرة الأعداء فما أكثرثوا لذلك بل توكأوا على الله واستعانوا به (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وقال البخاري حدثنا أحمد بن يونس قال أراه قال حدثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. وقد رواه النسائي عن محمد بن اسماعيل بن إبراهيم وهارون بن عبد الله كلاهما عن يحيى بن أبي بكر عن أبي بكر وهو ابن عياش به والعجب أن الحاكم أباعه الله رواه من حديث أحمد بن يونس به ثم قال صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ثم رواه البخاري عن أبي غسان مالك بن اسماعيل عن إسرائيل عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس قال كان آخر قول إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار (حسبنا الله ونعم الوكيل) وقال عبد الرزاق قال ابن عيينة وأخبرني زكريا عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو وقال هي كلمة إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار رواه ابن جرير وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا إبراهيم بن موسى الثوري حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن زياد السكري أنبأنا أبو بكر بن عياش عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قبل له يوم أحد أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فأنزل الله هذه الآية وروى أيضا بسنده عن محمد بن عبد الله الرافعي عن أبيه عن جده أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم وجه عليا في نفر معه في طلب أبي سفيان فلقبهم أعرابي من خزاعة فقال إن القوم قد جمعوا لكم فقالوا (حسبنا الله ونعم الوكيل) فنزلت فيهم هذه الآية ثم قال بن مردويه حدثنا دعلج بن أحمد حدثنا الحسن بن سفيان أنبأنا أبو خيثمة بن مصعب بن سعد أنبأنا موسى بن أعين عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وقعت في الأمر العظيم فقولوا ابن عبد الله النعماني أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أخبرنا محمد بن يونس أخبرنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (حسبنا الله ونعم الوكيل)

(حسبنا الله ونعم الوكيل) هذا حديث غريب من هذا الوجه — وقد قال الامام أحمد حدثنا حيوة بن شريح وابراهيم بن أبي العباس قالنا حدثنا بقية حدثنا يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن سيف عن عوف بن مالك انه حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قضي بين رجلين فقال المقضي عليه لما أدبر : حسبي الله ونعم الوكيل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ردوا علي الرجل » فقال « ما قلت ؟ » قال قلت حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل » وكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث بقية عن يحيى بن خالد عن سيف وهو الشامي ولم ينسب عن عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه — وقال الامام أحمد حدثنا أسباط حدثنا مطرف عن عطية عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحتى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ » فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نقول ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وقد روى هذا من غير وجه وهو حديث جيد وقد روينا عن أم المؤمنين (١) زينب وعائشة رضي الله عنهما أنهما تفاخرتا فقالت زينب زوجتي الله وزوجكن أهاليكن وقالت عائشة نزلت براءتي من السماء في القرآن فسلمت لها زينب ثم قالت كيف قلت حين ركبت راحلة صفوان بن المعطل قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت زينب قلت كلمة المؤمنين ولهذا قال تعالى (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) أي لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم فرجعوا الى بلدهم (بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) مما أضمر لهم عدوهم (واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو بكر بن داود الزاهد حدثنا محمد بن نعيم حدثنا بشر بن الحكم حدثنا مبشر بن عبد الله بن رزين حدثنا سفیان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل) قال النعمة أنهم سلموا والفضل أن عبرا مرت في أيام الموسم فاشترها رسول الله صلى الله عليه وسلم فربح فيها مالا فقسمه بين أصحابه وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) قال هذا أبو سفیان قال لمحمد صلى الله عليه وسلم موعدهم بدر حيث قتلتم أصحابنا فقال محمد صلى الله عليه وسلم « عسى » فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدر فأوقفوا السوق فيها فأشاعوا فذلك قول الله عز كلمة قالها ابراهيم حين ألقى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين (قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) (فانقلبوا) فانصرفوا (بنعمة من الله) بعافية لم يلقوا عدوا (وفضل) تجارة وربح وهو ما أصابوا في السوق (لم يمسسهم سوء) لم يصيبهم أذى ولا مكروه (واتبعوا رضوان الله) في طاعة الله وطاعة رسوله وذلك أنهم قالوا اهل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم (والله ذو فضل عظيم)

(١) الظاهر ان
يقال عن أمي المؤمنين
بالثنائية

وجل (فانقلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) الآية قل وهي غزوة بدر الصغرى رواه ابن جرير وروى أيضا عن القاسم عن الحسين عن حجاج عن ابن جريج قال لما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمؤعد أبي سفيان فجعلوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم: يكيدونهم بذلك يريدون أن يربوهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قدموا بدرأ فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد قال فقدم رجل من المشركين فاخبر أهل مكة بخيل محمد وقال في ذلك نفرت قلوبى من خبول محمد وعجوة منشورة كالعجيد

« واتخذت ماء قديد موعدي »

قال ابن جرير هكذا أنشدنا القاسم وهو خطأ إنما هو

قد نفرت من رفقتي محمد وعجوة من يثرب كالعجيد

فهي على دين أبيها الأتلة قد جعلت ماء قديد موعدي

« وماء ضحجان لها ضحي القد »

ثم قال تعالى (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) أى يخوفكم أولياءه ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذو شدة قال الله تعالى (فلا تخفوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) أى إذا سول لكم وأوهمكم فتوكلوا على والجؤا إلى فاني كافيكم وناصركم عليهم كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه) إلى قوله (قل حسبي الله عليه يتوكل المؤمنون) وقال تعالى (فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) وقال تعالى (أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) وقال (كتب الله لا غلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) وقال (ولينصرن الله من ينصره) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم) الآية وقال تعالى (أنا لننصر رسلا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)

﴿ ولا يحزنك الذين يسرعون في الكفر أنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم (١٧٧) ﴾

﴿ ان الذين اشتروا الكفر بالآمن لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم (١٧٨) ﴾

﴿ ولا يحسبن الذين كفروا ان ما نملي لهم خيرا لا أنفسهم انما نملي لهم سوءا وهم يفترون ﴾

قوله تعالى ﴿ إنما ذلكم الشيطان ﴾ يعني ذلك الذى قال لكم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم من فذل الشيطان أتى في أفواههم لترهبوهم وتنجبوا عنهم ﴿ يخوف أولياءه ﴾ أى يخوفكم بأوليائه وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب يعنى يخوف المؤمنين بالكافرين قال السدي يعظم أولياءه في صدورهم ليخافوهم يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود يخوفكم أولياءه ﴿ فلا تخافوهم وخافون ﴾ في ترك أمري ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ مصدقين بوعدي لاني متكفل لكم بالصر والظفر

قوله عز وجل ﴿ ولا يحزنك ﴾ قرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاي وكذلك في جميع القرآن إلا

ليزدادوا إنما ولهم عذاب مهين (١٧٩) ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله، وان تؤمنوا وتتقوا فلکم أجر عظيم (١٨٠) ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيططون ما بخلوا به يوم القيمة والله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير (١٨١)

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) وذلك من شدة حرصه على الناس كان يحزنه مبادرة الكفار الى الخالفة والعناد والشقاق، فقال تعالى لا يحزنك ذلك (إنهم ان يضرروا الله شيئاً يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة) أي حكمته فيهم أنه يريد بمشيتته وقدرته أن لا يجعل لهم نصيباً في الآخرة (ولهم عذاب عظيم) ثم قال تعالى مخبراً عن ذلك إخباراً مقررأ (إن الذين اشتروا الكفر بالآيمان) أي استبدلوا هذا بهذا (ان يضرروا الله شيئاً) أي ولكن يضررون أنفسهم (ولهم عذاب أليم)

ثم قال تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا أن ما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين) كقوله (أي يحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نساوع لهم في الخيرات بل لا يشعرون)

قوله (لا يحزنهم الفزع الأكبر) ضده أبو جعفر وهما لغتان حزن يحزن واحزن يحزن إلا ان الامة الغالبة حزن يحزن (الذين يسارعون في الكفر) قل الضحاك هم كفار قریش وقول غيره هم المنافقون يسارعون في الكفر بمظاهرة الكفار (إنهم ان يضرروا الله شيئاً) بمسارعتهم في الكفر (يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة) نصيباً في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر (ولهم عذاب عظيم) ان الذين اشتروا استبدلوا (الكفر بالآيمان ان يضرروا الله شيئاً) بمسارعتهم في الكفر وإنما يضررون أنفسهم (ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا) قرأ حمزة هذا والذي بعده بالتاء فيهما وقرأ الآخرون بالياء فمن قرأ بالياء فالذين في محل الرفع على الفاعل تقديره ولا يحسبن الكفار أملاءنا لهم خيراً ومن قرأ بالتاء يعني ولا نحسبن بال محمد الذين كفروا وإنما نصب على البدل من الذين (ان ما نملي لهم خير لأنفسهم) والاملاء الامهال والتأخير يقال عشت طويلاً وتمليت حيناً ومنه قوله تعالى (واهجرني ملياً) أي حيناً طويلاً ثم ابتداء فقال (إنما نملي لهم) ثم لهم (ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين) قال مقاتل نزلت في مشركي مكة وقال عطاء في قريظة والنضير، أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردى أنا أبو أحمد بكر بن محمد بن حمدان الصرمي أنا محمد بن هونس أنا أبو داود الطيالسي أنا شعبة عن علي بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن

(١) في الازهرية سببا

وكقوله (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وكقوله (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون)

ثم قال تعالى (ما كان الله ليجز المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) أي لا بد أن يعقد شيء (١) من المحنة ، يظهر فيه وليه ، ويفضح به عدوه ، يعرف به المؤمن الصابر ، والمنافق الفاجر ، يعني بذلك يوم أحد الذي امتحن الله به المؤمنين ، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهتك به أستار المنافقين ، فظاهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد ، وخيانتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال تعالى (ما كان الله ليجز المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) قال مجاهد : ميز بينهم يوم أحد ، وقال قتادة : ميز بينهم بالجهاد والهجرة ، وقال السدي : قالوا إن كان محمد صادقا فليخبرنا عن يؤمن به منا ومن يكفر به فأنزل الله تعالى (ما كان الله ليجز المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) أي حتى يخرج المؤمن من الكافر ، روى ذلك كاهن جرير — ثم قال تعالى (وما كان الله ليطعكم على الغيب) أي أنتم لا تعلمون غيب الله في خلقه حتى يميز لكم المؤمن من المنافق لولا ما يعقده من

أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس خير؟ قال « من طال عمره وحسن عمله » قيل فأبي الناس شر؟ قال « من طال عمره وساء عمله »

قوله تعالى ﴿ ما كان الله ليجز المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ اختلفوا فيها فقال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وأن من اتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فآخبرنا بمن يؤمن بك وعن لا يؤمن بك فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت على أمي في صورها في الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي » فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « ما بال أقوام طعنوا في علمي لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا أنبأتكم به » فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبي يا رسول الله؟ قال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبالقرآن إماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم « فهل أنتم منتهون » ثم نزل عن المنبر فأنزل الله تعالى هذه الآية ، واختلفوا في حكم الآية ونظمها فقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبي وأكثر المفسرين : الخطاب للكفار والمنافقين يعني ما كان الله ليجز المؤمنين على ما أنتم عليه بامعشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب ، وقال قوم الخطاب : للمؤمنين الذين أخبر عنهم معناه ما كان الله ليجزكم بامعشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التماس المؤمن بالمنافق فرجع من الخبر إلى الخطاب (حتى يميز الخبيث) وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بضم الياء وتشديد دهاو وكذلك

الاسباب الكاشفة عن ذلك . ثم قال تعالى (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) كقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) ثم قال تعالى (فآمنوا بالله ورسوله) أي أطيعوا الله ورسوله فيما شرع لكم (وإن تؤمنوا وتتقوا فلکم أجر عظیم) . وقوله تعالى (ولا يحسبن الذين يدخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم) أي لا يحسبن البخل أن جمعه المال ينفعه ، بل هو مضره عليه في دينه ، وربما كان وفي دنياه . ثم أخبر بما آل أمر ماله يوم القيامة فقال (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة)

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن منير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن هو ابن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، يأخذ بلهزمتيه — يعني بشدقيه — يقول : أنا مالك أنا كنزك » ثم تلا هذه الآية (ولا يحسبن الذين يدخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم) الى آخر الآية ، تفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه ، وقد رواه ابن حبان في صحيحه من طريق الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح به **﴿ حديث آخر ﴾** قال الامام احمد : حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الذي لا يؤدي

التي في الانفال ، وقرأ الباقون بالتخفيف يقال ماز الشيء يميزه ميزاً وميزه تمييزاً اذا فرقه فامتاز وانما هو بنفسه . قال أبو معاذ إذا فرقت بين شيئين قلت مرز ميزاً فاذا كانت أشياء قلت ميزتها تمييزاً وكذلك إذا جعلت الشيء الواحد شيئين قلت فرقت بالتخفيف ، ومنه فرقت الشعر فان جعلته أشياء . قلت فرقته تفريقاً ، ومعنى الآية حتى يميز المنافق من المخلص فيز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد حيث أظهر والنفاق فتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال قتادة حتى يميز الكافر من المؤمن بالهجرة والجهاد ، وقال الضحاك (ما كان الله ليند المؤمنين على ما أنتم عليه) في أصلاب الرجال وأرحام النساء يامعشر المنافقين والمشركين حتى يفرق بينكم وبين من في أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين وقيل حتى يميز الخبيث وهو المذنب من الطيب وهو المؤمن يعني حتى تحط الاوزار عن المؤمن بما يصيبه من نكبة ومحنة ومصيبة **﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ﴾** لانه لا يعلم الغيب أحد غير الله **﴿ ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾** فيطلعه على بعض علم الغيب . نظيره قوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول) وقال السدي معناه وما كان الله ليطلع محمداً صلى الله عليه وسلم على الغيب ولكن الله اجتباه **﴿ فآمنوا بالله ورسوله وان تؤمنوا وتتقوا فلکم أجر عظیم ﴾** ولا يحسبن الذين يدخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم **﴿ أي ولا يحسبن الباخلون البخل خيراً لهم بل هو ﴾** يعني البخل **﴿ شر لهم سيطوقون ﴾** أي سوف يطوقون **﴿ ما بخلوا به يوم القيامة ﴾** يعني يجعل

زكاة ماله يمثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان ثم يلزمه يطوقه يقول: أنا مالك أنا كنزك» وهكذا رواه النسائي عن الفضل بن سهل عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن عبد العزيز بن عبد الله ابن أبي سلمة به، ثم قال النسائي: ورواية عبد العزيز عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أثبت من رواية عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة (قلت) ولا منافاة بين الروايتين، فقد يكون عند عبد الله بن دينار من الوجهين والله أعلم — وقد ساقه الحافظ أبو بكر ابن مردويه من غير وجه عن أبي صالح عن أبي هريرة. ومن حديث محمد بن حميد (١) عن زياد الخطمي عن أبي هريرة به

(١) في الأزهرية
ابن أبي حمية

﴿حديث آخر﴾ قال الامام احمد: حدثنا سفيان عن جامع عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما من عبد لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له شجاع أقرع يتبعه يفر منه فيتبعه» (٢) فيقول (٣) أنا كنزك» ثم قرأ عبد الله مصداقه من كتاب الله (سيطوقون ما يخلوا به يوم القيامة) وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جامع بن أبي راشد، زاد الترمذي: وعبد الملك بن أعين كلاهما عن أبي وائل شقيق ابن سلمة عن عبد الله بن مسعود به، وقال الترمذي: حسن صحيح — وقد رواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي بكر بن عياش وسفيان الثوري كلاهما عن أبي إسحق السبيعي عن أبي وائل عن ابن مسعود به، ورواه ابن جرير من غير وجه عن ابن مسعود موقوفا

«٢» فيها وهو
يتبعه
«٣» فيها ويقول

﴿حديث آخر﴾ قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من ترك بعده كنزاً مثل له شجاعا أقرع» (٤) له زبيبتان يتبعه فيقول: من أنت ويلك فيقول: أنا

«٤» زاد في
الأزهرية يوم القيامة

مانعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه إلى قدمه، هذا قول ابن مسعود وابن عباس وأبي وائل والشعبي والسدي أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا علي بن عبد الله المدني أنا هاشم بن القاسم أخبرنا عبد الرحمن بن دينار عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه — يعني شذقيه — ثم يقول أنا مالك أنا كنزك» ثم تلا (ولا يحسبن الذين يميخلون) الآية، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمرو بن حفص بن غياث أنا أبي أنا الأعمش عن المعمر بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: انتهيت إليه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقال «والذي نفسي بيده، أو والذي لا إله غيره — أو كما حلف — مامن رجل يكون له ابل أو بقرة أو غنم لا يؤدي حقتها إلا آتي بها يوم القيامة أعظم ما يكون وأسمه تطؤه بأجفافها وتنطحه بقرونها كلما جاوزت

كنزك الذي خلفت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقيه يده فيقضها ثم يتبع سائر جسده» إسناده جيد قوي ولم يخرجوه. وقد رواه الطبراني عن جرير بن عبد الله البجلي، ورواه ابن جرير وابن مردويه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا يأتي الرجل مولاه فيسأله من فضل ماله عنده فيمنعه إياه إلا دعي له يوم القيامة شجاعا يلهظ فضله الذي منع» لفظ ابن جرير — وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن أبي قزعة عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده فيبخل به عليه إلا خرج له من جهنم شجاع يلهظ حتى يطوقه» ثم رواه من طريق أخرى عن أبي قزعة واسمه حجر بن بيان عن أبي مالك العبدى موقوفاً، ورواه من وجه آخر عن أبي قزعة مرسلًا. وقال العوفي عن ابن عباس: نزلت في أهل الكتاب الذين بخلوا بما في أيديهم من الكتب المنزلة أن يبينوها، رواه ابن جرير والصحيح الأول وإن دخل هذا في معناه، وقد يقال: إن هذا أولى بالدخول والله سبحانه وتعالى أعلم — وقوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) أي فأفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، فإن الأمور كلها مرجعها إلى الله عز وجل، فقدموا من أموالكم ما ينفعكم يوم معادكم (والله بما تعملون خبير) أي بنياتكم وضمايركم

﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء، سنكتب ما قالوا وقتلهم

الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق (١٨٢) ذلك بما قدمت أيديكم، وأن الله

ليس بظلام للعبيد (١٨٣) الذين قالوا إن الله عهدنا لآلنا أن يؤمن لرسول حتى يأتيانا بقربان

تأكله النار، قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم، فلم قتلتموهم إن كنتم

آخرها ردت عليها أولها حتى يقضى بين الناس» قال إبراهيم النخعي معنى الآية يجعل يوم القيامة في أعناقهم طوق من النار، قال مجاهد يكفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به في الدنيا من أموالهم. وروى عطية عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في أخبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وأراد بالبخل كتمان العلم كما قال في سورة النساء (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) ومعنى قوله (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) أي يحملون وزره وأثمه كقوله تعالى (يحملون أوزارهم على ظهورهم) ﴿ولله ميراث السموات والارض﴾ يعني أنه الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون ويرثهم. نظيره قوله تعالى (انا نحن نرث الارض ومن عليها) ﴿والله بما تعملون خبير﴾ قرأ أهل البصرة ومكة بالياء وقرأ الآخرون بالتاء

قوله تعالى ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ قال الحسن ومجاهد لما نزلت

صديقين (١٨٤) فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب

المنير (١٨٥)

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : لما نزل قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) قالت اليهود : يا محمد : افتقر ربك فسأل عباده القرض ؟ فأنزل الله (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) الآية ، رواه ابن مردويه وابن أبي حاتم . وقال محمد بن اسحق : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال : دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس (١) فوجد من يهود ناساً كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص ، وكان من علمائهم وأخبارهم ، ومعه خبر يقال له أشيع فقال له أبو بكر : ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل . فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر ، وأنه إلينا لفقير ، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطينا ، ولو كان غنياً ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر رضي الله عنه ،

« ١ » المدراس
المعلم المدرس

(من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) قالت اليهود إن الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء ، وذكر الحسن أن قائل هذا الكلام حيي بن أخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر رضي الله عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإن يقرضوا الله قرضاً حسناً فدخل أبو بكر رضي الله عنه ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناساً كثيراً من اليهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه خبر آخر يقال له أشيع فقال أبو بكر لفنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة فأمن وصدق وأقرض الله قرضاً حسناً يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب ، فقال فنحاص يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض إلا الفقير من الغني فإن كان ما تقول حقاً فإن الله إذا لفقير ونحن أغنياء ، وأنه ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنياً ما أعطانا الربا . فغضب أبو بكر رضي الله عنه وضرب وجهه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله ، فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه « ما حملك على ما صنعت » فقال يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء فغضبت لله فضربت وجهه فوجد ذلك فنحاص فأنزل الله تعالى تكذيباً ورداً على فنحاص وتصديقاً لأبي بكر رضي الله عنه (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) ﴿ سنكتب ما قالوا ﴾ من

فضرب وجهه فنحاص ضرباً شديداً وقال : والذي نفسي بيده لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين . فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر » ؟ فقال : يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً ، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه ، فنجحد فنحاص ذلك وقال : ما قلت ذلك ، فأنزل الله فيما قال فنحاص (١) لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء (الآية ، رواه ابن أبي حاتم — وقوله (سنكتب ما قالوا) تهديد ووعد ، ولهذا قرنه تعالى بقوله (وقتلهم الأنبياء بغير حق) أي هذا قولهم في الله ، وهذه معاملتهم رسل الله وسيجزئهم الله على ذلك شر الجزاء ولهذا قال تعالى (وتقول ذوقوا عذاب الحريق) ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظالم للعبيد) أي يقال لهم ذلك تقييماً وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً — وقوله تعالى (الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) يقول تعالى تكذيباً لهؤلاء الذين زعموا أن الله عهد إليهم في كتبهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبلت منه أن تنزل نار من السماء تأكلها ، قاله ابن عباس والحسن وغيرهما . قال الله عز وجل (قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات) أي بالمجيب والبراهين (وبالذي قلتم) أي وبما تأكل

« ١ » زاد في
الازهرية : رداً
وتصديقاً لابن بكر

الافك والفرية على الله فنجازيهم به وقال مقاتل سنحفظ عليهم وقال الواقدي سنأمر الحفظة بالكتابة نظيره قوله تعالى (واناله كاتبون) ﴿ وقاتلهم الأنبياء بغير حق وتقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾ قرأ حمزة سيكتب بضم الياء وقاتلهم برفع اللام ويقول بالياء (وذوقوا عذاب الحريق) أي النار وهو بمعنى المحرق كما يقال (لهم عذاب أليم) أي مؤلم ﴿ ذلك بما ندمت أيديكم وإن الله ليس بظالم للعبيد ﴾ فيعذب بغير ذنب قوله تعالى ﴿ الذين قالوا إن الله عهد إلينا ﴾ الآية قال الكاظمي نزلت في كعب بن الأشرف ومالك ابن الصيف ووهب بن يهودا وزيد بن الثابت وفنحاص بن عازوراء وحبي بن أخطب أو النبي صلى الله عليه وسلم . فقالوا يا محمد تزعم أن الله تعالى بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك الكتاب . وإن الله تعالى قد عهد إلينا في التوراة ﴿ ألا تؤمن لرسول ﴾ يزعم أنه من عند الله ﴿ حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴾ فإن جئنا به صدقاً ، فأنزل الله تعالى (الذين قالوا) أي سمع الله قول الذين قالوا ومحل الذين خفض رداً على الذين الأول (إن الله عهد إلينا) أي أمرنا وأوصانا في كتابه أن لا تؤمن برسول أي لا تصدق رسولا يزعم أنه جاء من عند الله (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) فيكون دليلاً على صدقه والقربان كل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من نسكة وصدقة وعمل صالح وهو إعلان من القربة . وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني إسرائيل ، وكانوا إذا قربوا قرباناً أو غنموا غنمة جاءت نار بيضاء من السماء لادخان لها ، ولها دوي وحفيف فتأكل وتحرق ذلك القربان وتلك الغنمة ، فيكون

القرايين المتقبلة (فلم قتلتموهم) أي فلم قابلتموهم بالكذب والخيانة والمعاند وقتلتموهم (إن كنتم صادقين) أنكم تتبعون الحق وتنقادون للرسول — ثم قال تعالى مسلماً لنبيه صلى الله عليه وسلم (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) أي لا يوهنك تكذيب هؤلاء لك ، فلك أسوة بمن قبلك من الرسل الذين كذبوا مع ما جاؤا به من البينات وهي الحجج والبراهين القاطعة (والزبر) وهي الكتب الملقاة من السماء كالصحف المنزلة على المرسلين (والكتاب المنير) أي الواضح الجلي

كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيمة ، فن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور (١٨٦) لَتَبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثيراً ، وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٧)

يخبر تعالى إخباراً عاماً يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت كقوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) فهو تعالى وحده الذي لا يموت والجن والإنس يموتون وكذلك الملائكة وحملات العرش وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومية والبقاء فيكون آخراً كما كان أولاً وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت فإذا انقضت المدة وفرغت النطفة ذلك علامة القبول ، وإذا لم يقبل بقيت على حالها . وقال السدي أن الله تعالى أمر بني إسرائيل من جاءكم بزعم أنه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فإذا أتياكم فآمنوا بهما ، فانهما يأتيان بغير قربان . قال الله تعالى إقامة للحجة عليهم ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ قد جاءكم ﴾ يامعشر اليهود ﴿ رسل من قبلي بالبينات والذي قائم ﴾ من القربان ﴿ فلم قتلتموهم ﴾ يعني زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الأنبياء . وأراد بذلك أسلافهم فخطبهم بذلك لأنهم رضوا بفعل أسلافهم ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ معناه تكذيبهم إياك مع علمهم بصدقك كقتل آباءهم الأنبياء مع الاتيان بالقربان والمعجزات . ثم قال معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر ﴾ قرأ ابن عامر وبالزبر أي بالكتب المزبورة يعني المكتوبة واحدها زبور مثل رسول ورسول ﴿ والكتاب المنير ﴾ الواضح المضيء

قوله عز وجل ﴿ كل نفس ﴾ منفوسة ﴿ ذائقة الموت ﴾ وفي الحديث « ما خلق الله تعالى آدم اشتكت الأرض الى ربها لما أخذ منها ، فوعدها أن يرد فيها ما أخذ منها . فما من أحد الا ويدفن في التربة التي خلق منها ﴾ وإنما توفون أجوركم ﴿ توفون جزاء أعمالكم ﴾ يوم القيامة ﴿ أن خيراً أخير ،

التي قدر الله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها قليلها وكثيرها كبيرها وصغيرها فلا يظلم أحداً مثقال ذرة ولهذا قال تعالى (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد العزيز الاويسى حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودر كل من كل فائت فبالله فثقوا واياهم فارجوا فان المصائب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال جعفر بن محمد فأخبرني ابي ان علي ابن ابي طالب قال أتدرون من هذا ؟ هذا الخضر عليه السلام . وقوله (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) أي من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرؤا إن شئتم (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) » هذا حديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه بدون هذه الزيادة . وقد رواه بهذه الزيادة أبو حاتم وابن حبان في صحيحه والماهم في مستدركه من حديث محمد بن عمرو . هذا ورواه ابن مردويه من وجه آخر فقال : حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن يحيى أنبأنا حميد بن مسعدة أنبأنا عمرو بن علي عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا

وأن شراً فشر (فمن زحزح) نحي وأزيل (عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) ظف بالنجاة ونجا من الخوف (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) يعني منفعة ، ومتعة ، كالفاس والقدر والقصة . ثم يزول ولا يبقى . وقال الحسن كخضرة النبات ولعب النبات لا حاصل له . قال قتادة : هي متاع متروكة يوشك أن تضاعحل بأهلها فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله ما استطعتم ، والغرور الباطل أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري ، أنا حاجب ابن أحمد الطوسي ، أخبرنا محمد بن اسماعيل (١) بن يحيى أخبرنا يزيد بن هرون ، أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، واقروا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (جزاء بما كانوا يعملون) وإن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، واقروا إن شئتم وظل ممدود . ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما عليها ، واقروا إن شئتم (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) (لتبطلون في أموالكم وأنفسكم) الآية . قال عكرمة ومقاتل والسكابي وابن جرير : نزلت الآية في

«١» زاد في الازهرية
محمد بن يحيى

وما فيها» ثم تلا هذه الآية (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) وتقدم عند قوله تعالى (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ما رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتي إليه » وقد رواه الامام أحمد في مسنده عن وكيع به . وقوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) تصغير لشأن الدنيا ، وتحتير لأمرها ، وأنها دينية فانية قليلة زائلة كما قال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وقال (وما أوتيت من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وأبقى) وفي الحديث « والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم فليستظر بهم ترجع إليه » وقال قتادة في قوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) قال : هي متاع متروكة أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضاحل عن أهلها ، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ولا قوة إلا بالله

وقوله تعالى (لتبطلوا في أموالكم وأنفسكم) كقوله تعالى (ولتبطلوا أنفسكم) من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأفلاك والنفوس والثمرات) إلى آخر الآيتين ، أي لا بد أن يبطل المؤمن في شيء من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله ويبتلى المؤمن على قدر دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء (ولتسمع من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثير) يقول تعالى للذين آمنوا عند مقدمهم المدينة قبل وقعة بدر مسلماً لهم عما ينالهم من الأذى من أهل الكتاب والمشركين وأمراً لهم بالصبر والصبر

أبي بكر وفتحاح بن عازوراء . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم « بعث أبا بكر إلى فتحاح بن عازوراء سيد بني قينقاع ليستمده وكتب إليه كتاباً ، وقال لابي بكر رضي الله عنه « لا تقتاتن علي بشيء حتى ترجع » فجاء أبو بكر رضي الله عنه وهو متوشح بالسيف فاعطاه الكتاب . فلما قرأه قال : قد احتاج ربك إلى أن نمده ، فهم أبو بكر رضي الله عنه أن يضربه بالسيف . ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقتاتن علي بشيء حتى ترجع » فكيف فتنزلت الآية . وقال الزهري نزلت في كعب بن الأشرف ، فإنه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ، ويحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره ويسب نساء المسلمين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من لي بابن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله » فقال محمد بن مسلمة الانصاري أنا لك يا رسول الله أنا أقتله . قال فافعل إن قدرت على ذلك . فرجع محمد بن مسلمة فكث ثلاثاً لا يطعم ولا يشرب إلا ما تعلق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه وقال له لم تركت الطعام والشراب قال يا رسول الله قلت قولاً ولا أدري هل أفي به أم لا . فقال إنما عليك الجهد . فقال يا رسول الله أنه لا بد لنا من أن نقول فيك . قال قولوا ما بداركم وأنتم في حل من ذلك ، فاجتمع في قتله محمد بن

والعفو حتى يفرج الله فقال تعالى (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى قال الله تعالى (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم ، هكذا ذكره مختصراً . وقد ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية مطولاً فقال : حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه قطيفة فدية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عباد بن بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول ، وذلك قبل أن يسلم ابن أبي (١) وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان وأهل الكتاب اليهود والمسلمين ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه وقال : لا تعبروا علينا ، فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وقف ، فبزل ودعاهم إلى الله عز وجل وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أبي : أيها المرء أنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا ، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه ، فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بلى يا رسول الله فاعشنا به في مجالسنا فانا نحب ذلك ، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثأرون ، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكثوا ، ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته ، فسار حتى دخل على سعد بن عباد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب » يريد عبد الله بن أبي ، قال

«١» أي قبل أن يظهر الإسلام كما قال القسطلاني وغيره فهو رأس المنافقين

مسلمة وسلكان بن سلام وأبو نائلة وكان أخا كعب من الرضاعة ، وعباد بن بشر والحارث بن أوس وأبو عيس بن جبير ، فمشي معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد . ثم وجههم وقال « انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم » ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في ليلة مقمرة ، فقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فقدموا أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة وتناشدا الشعر ، وكان أبو نائلة يقول الشعر . ثم قال ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتكم لحاجة أريد ذكرها لك فآتم علي . قال : أفعل قال كان قدوم هذا الرجل بلادنا بلاء ، عادت العرب ورمونا عن قوس واحدة ، واقتطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الأنفس . فقال كعب أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرتك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى هذا . فقال أبو نائلة إن معي أصحاباً أردنا أن تبيعنا طعامك ، ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك قال : أترهونوني أبناءكم . قال أنا نستحي أن يعير أبناءنا فيقال هذا رهينة وسقى ، وهذا رهينة وسقين ، قال ترهونوني نساءكم . قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت

• — تفسير ابن كثير والبغوي

كذا وكذا فقال سعد : يا رسول الله أعف عنه واصفح فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاءك الله بالحق الذي نزل عليك ، ولقد اصطالح أهل هذه البحيرة (١) على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصاة فلما أتى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك ، فذلك الذي فعل به ما رأيت ، فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله تعالى (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) الآية — وقال تعالى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ، حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) الآية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن

«١» هي بالنصغير
البليلة والمراد بها
المدينة المنورة وإنما
صغرها لتحقير توجب
أهلها بهذا الرجل

أجل العرب ولا تأمنك وأية امرأة تمتنع منك لجمالك ؟ ولكننا نرهنك الحلقة يعني السلاح . وقد علمت حاجتنا الى السلاح قال نعم . وأراد أبو نائلة أن لا ينكر السلاح اذا رآه ، فوعده أن يأتيه فرجع أبو نائلة الى أصحابه فأخبرهم خبره ، فاقبلوا حتى انتهوا الى حصنه ليلاً فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب من ملحفته . فقالت امرأته أسمع صوتاً يقطر منه الدم ، وإنك رجل محارب وإن صاحب الحرب لا ينزل في مثل هذه الساعة فكامهم من فوق الحصن فقال . إنما هو أخي محمد بن مسleme ورضيحي أبو نائلة ، وإن هؤلاء لو وجدوني نائماً ما يقطوني ، وإن الكريم اذا دعي الى طعنة بليل أجاب . فنزل اليهم فتحدثوا معه ساعة ثم قالوا يابن الاشرف هل لك الى أن تتأشى الى شعب العجوز نتحدث فيه بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم ، فخرجوا يتأشون . وكان أبو نائلة قال لأصحابه إني نائل شعره فاشمه فاذا رأيتموني استمكنتم من رأسه فدونكم فاضربوه ثم أنه شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيب عروس قط . قال إنه طيب أم فلان - يعني امرأته ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن . ثم مشى ساعة فعاد لمثلها . ثم أخذ بفود رأسه حتى استمكن . ثم قال اضربوا عدو الله فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً . قال محمد بن مسleme فذكرت مغولا (١) في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا أوقدت عليه نار . قال فوضعت في ثدونه ثم تحاملت عليه حتى بلغت عاتقه ووقع عدو الله . وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض أسيافنا . قال فخرجنا وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس بجرح في رأسه ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أتاننا يتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرنا به بقتل كعب وجئنا برأسه اليه وتقل على جرح صاحبنا فرجعنا الى أهلنا فأصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه » فوثب محيصة بن مسعود على سفينة رجل من تجار اليهود كان يلابسهم ويبيعهم فقتله . وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم وكان أسن من محيصة . فلما قتله

«١» المغول وزان
منبر نصل طويل ،
وسوط في جوفه
سيف رقيق كالعصي
التي توضع فيها
الحراب في زماننا

الله له فيهم ، فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرآ فقتل الله به صناديد قريش ، قال عبد الله ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدية الاوثان : هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الاسلام ، فبايعوا وأسلموا - فبكل من قام بحق ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، فلا بد أن يؤذي ، فماله دواء إلا الصبر في الله ، والاستعانة بالله ، والرجوع الى الله

واذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون (١٨٩) لاتبخبن الذين يفرحون بما أنوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم (١٩٠) والله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير (١٩١)

هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على السنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأن ينوهوا بذكره في الناس فيكونوا على أهبة من أمره ، فإذا أرسله الله تابعوه ، فكنتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف ، والخطب الديني السخيف ، فبئست الصفقة صفتهم ، وبئست البيعة بيعتهم . وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم . فعلى العلماء أن يبدلوا ما بأيديهم من العلم النافع ، الدال على العمل الصالح ، ولا يكتموا منه شيئا ، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من سئل عن علم فكتمه

جعل حويصة يضربه ويقول أي عدو الله قتله أما والله لرب شحم في بطنك من ماله ؟ قال محيصة والله لو أمرني بقتلك من أمرني بقتله لضربت عنقك ، قال لو أمرتك محمد بقتلي لقتلتني ؟ قال نعم . قال والله إن دينا بلغ بك هذا لعجب . فاسلم حويصة وأنزل الله تعالى في شأن كعب (لتبطلن) لتخبرن اللام للتأكيد وفيه معنى القسم والنون لتأكيد القسم (في أموالكم) بالجوأخ والعاهات والخسران (وأنفسكم) بالأفراض . وقيل بمصائب الاقارب والعشائر قال عطاء : هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم ورباعهم وعذبوهم وقال الحسن هو ما فرض عليهم في أموالهم وأنفسهم من الحقوق كالصلاة والصيام والحج والجهاد والزكاة (ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا) يعني مشركي العرب (أذى كثيرا وإن تصبروا) على أذاهم (وتتقوا) الله (فان ذلك من عزم الأمور) من حق الأمور وخيرها وقال عطاء : من حقيقة الايمان (واذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالياء فيهما لقوله تعالى (فنبذوه وراء ظهورهم) وقرأ الآخرون بالياء فيهما على اضماع القول (فنبذوه

«١» رواه احمد

واصحاب السنن
الاربعة والحاكم عن
ابي هريرة وعلم عليه
السيوطي بالصحة

ألم يوم القيامة بلجام من نار» (١) وقوله تعالى (لا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا) الآية ، يعني بذلك المرائين المتكبرين بما لم يعطوا كما جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم « من ادعى دعوى كاذبة ليتكبر بها لم تزد من الله إلا قلة » وفي الصحيحين أيضاً « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » وقال الامام أحمد : حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة ان حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان قال : اذهب يارافع لبوابه الى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرئ منا فرح بما آتى وأحب أن يحمدا بما لم يفعل معذباً لعذبن أجمعين فقال ابن عباس : ما لكم وهذه ، إنما نزلت هذه في أهل الكتاب ، ثم تلا ابن عباس (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون * لا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا) الآية . وقال ابن عباس : سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك اليه وفرحوا بما آتوا من كتابهم ما سألهم عنه ، وهكذا رواه البخاري في التفسير ومسلم والترمذي والنسائي في تفسيرهما ، وابن أبي حاتم ، وابن خزيمة ، والحاكم في مستدركه ، وابن مردويه ، كلهم من حديث عبد الملك بن جريج بنحوه . ورواه البخاري من حديث ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن علقمة بن وقاص أن مروان قال لبوابه : اذهب يارافع الى ابن عباس فذكره — وقال البخاري : حدثنا سعيد بن أبي مریم

وراء ظهورهم) أي طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به « واشتروا به ثمناً قليلاً » يعني المأكل والرشا « فبئس ما يشترون » قال قتادة هذا ميثاق أخذ الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيئاً فليعلمه وإياكم وكتمان العلم فانه هلكة ، وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثكم بشيء ثم تلا هذه الآية (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أخبرنا أبو معاذ الشاه بن عبد الرحمن أخبرنا أبو بكر عمر بن سهل واسماعيل الدينوري أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي أخبرنا أبو حذيفة موسى بن مسعود أخبرنا إبراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سئل عن علم علمه وكتمه ألم يوم القيامة بلجام من نار » وقال الحسن بن عمارة أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابي فقلت ان رأيت أن تحدثني ، فقال : أما علمت اني قد تركت الحديث ؟ فقلت إما أن تحدثني وإما أن أحدثك ، فقال حدثني ، فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخراز قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا . قال فحدثني أربعين حديثاً « لا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا » الآية قرأ عاصم وحزمة والكسائي (لا تحسبن) بالتاء أي لا تحسبن يا محمد الفارحين وقرأ الآخرون بالياء

أنا محمد بن جعفر حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري : أن رجلاً من المنافقين في عهد رسول الله (ص) كانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا ، وأحبوا أن يحمّدوا بما لم يفعلوا ، فنزلت (لا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا ويحبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا) الآية . وكذا رواه مسلم من حديث ابن أبي مريم بنحوه . وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث الليث بن سعد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال قال أبو سعيد ورافع بن خديج وزيد بن ثابت : كنا عند مروان فقال : يا أبا سعيد أرايت قوله تعالى (لا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا ويحبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا) ونحن نفرح بما آتينا ونحب أن نحمّد بما لم نفعل ؟ فقال أبو سعيد : إن هذا ليس من ذلك ، إنما ذاك أن ناساً من المنافقين يتخلفون إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً ، فإن كان فيه نكبة فرحوا بتخلفهم ، وإن كان لهم نصر من الله وفتح حلفوا لهم ليرضوهم ويحمّدوهم على سرورهم بالنصر والفتح ، فقال مروان : أين هذا من هذا ؟ فقال أبو سعيد : وهذا يعلم هذا ، فقال مروان : أكن ذلك يا زيد ؟ قال : نعم صدق أبو سعيد . ثم قال أبو سعيد : وهذا يعلم ذاك — يعني رافع بن خديج — ولكنه يخشى أن أخبرك أن تنزع قلائصه في الصدقة ، فلما خرجوا قال زيد لأبي سعيد الخدري : ألا تحمّدي على ما شهدت لك ؟ فقال له أبو سعيد : شهدت الحق فقال زيد : ألا تحمّدي على ما شهدت الحق ؟ ثم رواه من حديث مالك

لا يحسبن الفارحون فرحهم منجّيهم من العذاب ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فلا يحسبنهم بالياء وضم الباء خبراً عن الفارحين أي فلا يحسبن أنفسهم ، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الباء أي فلا تحسبنهم يا محمد وأعاد قوله فلا تحسبنهم تأكيداً ، وفي قراءة حرف عبد الله بن مسعود (ولا يحسبن الذين يفرحون بما آتوا ويحبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا بمفازة من العذاب) من غير تكرار واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سعيد بن أبي مريم أنا محمد بن جعفر حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمّدوا بما لم يفعلوا فنزل (لا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا) الآية . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن جريح أخبرهم قال أخبرني ابن أبي مليكة أن علقمة ابن وقاص أخبره أن مروان قال لبوابه اذهب يا رافع إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقل له لئن كان كل امرئ فرح بما آتى وأحب أن يحمّد بما لم يفعل معذباً لعذبته أجعون ، فقال ابن عباس ما لكم ولهذه إنما دعا

عن زيد بن أسلم عن رافع بن خديج أنه كان هو وزيد بن ثابت عند مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة ، فقال مروان : يارافع في أي شيء نزلت هذه الآية ؟ فذكره كما تقدم عن أبي سعيد رضي الله عنهم ، وكان مروان يبعث بعد ذلك يسأل ابن عباس كما تقدم ؟ فقال له ما ذكرناه ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء لأن الآية عامة في جميع ما ذكر والله أعلم . وقد روى ابن مردويه أيضاً من حديث محمد بن عتيق وموسى بن عقبة عن الزهري عن محمد بن ثابت الانصاري أن ثابت بن قيس الانصاري قال : يارسول الله والله لقد خشيت أن أكون هلكتك قال « لم ؟ » قال : نهى الله المرء أن يحب أن يحمد بما لم يفعل وأجدي أحب الحمد ، ونهى الله عن الخيلاء وأجدي أحب الجلال ، ونهى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جبير الصوت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما ترى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة » فقال : بلى يارسول الله ، فعاش حميداً وقتل شهيداً يوم مسيعة الكذاب — وقوله تعالى (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) يقرأ بالتاء على مخاطبة المفرد ، وبالياء على الاخبار عنهم : أي لا تحسب أنهم ناجون من العذاب ، بل لا بد لهم منه ، ولهذا قال تعالى (ولهم عذاب أليم) ثم قال تعالى (والله ملك السموات والأرض ، والله على كل شيء قدير) أي هو مالك كل شيء ، والقادر على كل شيء ، فلا يعجزه شيء ، فهابوه ولا تخالفوه ، واحذروا غضبه وتقمته ، فإنه العظيم الذي لا أعظم منه ، القدير الذي لا أقدر منه

لأن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لا يئس لاولي الالباب (١٩٢)

النبى صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه فأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس رضي الله عنهما (وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب — كذلك الى قوله — يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) قال عكرمة نزلت في فحاص وأسيع وغيرهما من الاخبار يفرحون باضلالهم الناس وبنسبة الناس إليهم الى العلم وليسوا بأهل العلم ، وقال مجاهد هم اليهود فرحوا بعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إياه عليه ، وقال سعيد بن جبير هم اليهود فرحوا بما أعطى الله آل ابراهيم وهم براء من ذلك ، وقال قتادة ومقاتل أتت يهود خيبر نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وإننا على رأيك ونحن لك ردة — وليس ذلك في قلوبهم — فلما خرجوا قال لهم المسلمون ما صنعتم ؟ قالوا عرفناه وصدقناه فقال لهم المسلمون أحسنتم هكذا فافعلوا فحمدوهم ودعوا لهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال (يفرحون بما أتوا) قال الفراء بما فعلوا كما قال الله تعالى (لقد جئت شيئاً فرياً) أي فعلت ﴿ ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة ﴾ بمنجاة ﴿ من العذاب ولهم عذاب أليم ﴾ والله ملك السموات والأرض ﴿ يصرفهما كيف يشاء ﴾ والله على كل شيء قدير * أن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار

الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض: ربنا ما خلقت هذا بطلا سبحانك فبما عذاب النار (١٩٣) ربنا انك من تدخل النار فقد أخرجته وما للظالمين من أنصار (١٩٤) ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان ان آمنوا بربكم فأنتم ربنا فاعترف لذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الاررار (١٩٥) ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد (١٩٦)

قال الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحق التستري حدثنا يحيى الحماني حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أتت قرش اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى؟ قالوا عصاء ويده بيضاء للناظرين. وأتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى؟ قالوا كان يبصر الأكمة والأبرص ويحيي الموتى. فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً، فدعا ربه فنزلت هذه الآية (إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الأبواب) فليتفكروا فيها. وهذا مشكل، فإن هذه الآية مدنية، وسؤالهم أن يكون الصفا ذهباً كان بمكة والله أعلم. ومعنى الآية أن الله تعالى يقول (إن في خلق السموات والارض) أي هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كراكب سيارات، وثوابت وبحار، وجبال وقفار وأشجار، ونبات وزروع وثمار، وحيوان ومعادن، ومنافع مختلفة الألوان، والطعوم والروائح والخواص (اختلاف الليل والنهار)

لآيات لأولي الأبواب أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الاسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن اسحق المافظ أنا أحمد بن عبد الجبار أنا ابن فضيل عن حصين بن عبد الرحمن عن حبيب بن أبي ثابت عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه رقد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه استيقظ فتسوك ثم توضأ وهو يقول (ان في خلق السموات والارض) حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين فأطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فقام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك ثم يتوضأ ثم يقرأ هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث ركعات ثم أتاه المؤذن فخرج الى الصلاة وهو يقول « اللهم اجعل في بصري نوراً وفي سمعي نوراً وفي لساني نوراً واجعل من خلفي نوراً ومن أمامي نوراً واجعل من فوقي نوراً ومن تحتي نوراً اللهم اعطني نوراً » ورواه كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما وزادا « اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً » قوله تعالى (لآيات

أي تعاقبهما ، وتعارضهما الطول والقصر ، فتارة يطول هذا ويقصر هذا ، ثم يعتدلان ، ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيراً ، ويقصر الذي كان طويلاً ، وكل ذلك تقدير العزيز العليم ، ولهذا قال تعالى (لَا يَأْتِ لَأُولِي الْأَلْبَابِ) أي العقول التامة الزكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جليتها . وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون ، الذين قال الله فيهم (وَكَايْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) ثم وصف تعالى أولي الأبواب فقال (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) كما ثبت في الصحيحين عن عمران بن حصين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنبك » أي لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم ، بسرائرهم وضائرهم وألسنتهم (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) أي يفهمون مافيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وحكمته ، واختياره ورحمته . وقال الشيخ أبو سليمان الداراني : إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة ولي فيه عبرة ، رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التوكل والاعتبار . وعن الحسن البصري أنه قال : تفكر ساعة خير من قيام ليلة . وقال الفضيل : قال الحسن : الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك . وقال سفيان بن عيينة : الفكر نور يدخل قلبك وربما تمثل بهذا البيت

وإذا المرء كانت له فكرة ففني كل شيء له عبرة
وعن عيسى عليه السلام أنه قال : طوبى لمن كان قلبه تذكراً ، وصمته تفكيراً ، ونظره عبراً . قال لقمان الحكيم : إن طول الوحدة أهم للفكرة ، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة . قال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم ، ولا فهم امرؤ قط إلا علم ، ولا علم امرؤ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز : الكلام بذكر الله عز وجل حسن ، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة . وقال مغيث الأسود : زوروا القبور كل يوم تفكرتم ، وشاهدوا الموقف بقلوبكم ،

لأولي الأبواب (ذوي العقول) ثم وصفهم فقال ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم والنخعي وقتادة هذا في الصلاة يصلي قائماً فإن لم يستطع فقاعداً فإن لم يستطع فعلى جنب. أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أنا هناد أنا وكيع عن إبراهيم بن طهمان عن حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة عن عمران ابن حصين قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة المريض فقال « صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب » وقال سائر المفسرين أراد به المداومة على الذكر في عوم الأحوال لأن الإنسان قل ما يخلو من إحدى هذه الحالات الثلاث. نظيره في سورة النساء (فإذا قضيتُم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ وما أبدع

وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار ، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامها وأطباقها ، وكان يبكي عند ذلك حتى يرفع صريحا من بين أصحابه قد ذهب عقله . وقال عبد الله ابن المبارك : مر رجل براهب عند مقبرة ومزبلة فناداه فقال : ياراهب إن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر : كنز الرجال وكنز الاموال . وعن ابن عمر : أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخبرة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين فيقول : أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول : (كل شيء هالك إلا وجهه) وعن ابن عباس أنه قال : ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه . وقال الحسن البصري : يا ابن آدم كل في ثلث بطنك ، واشرب في ثلثه ، ودع ثلثه الآخر تنفس للفكرة . وقال بعض الحكماء : من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة . وقال بشر بن الحارث الحافي : لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه وقال الحسن عن عامر بن عبد قيس قال : سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون : إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكير . وعن عيسى عليه السلام أنه قال : يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت ، وكن في الدنيا ضيقا ، واتخذ المساجد بيوتا ، وعلم عيذك البكاء ، وجسدك الصبر ، وقلبك الفكر ، ولا تهتم برزق غد . وعن أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه : أنه بكى يوما بين أصحابه فسئل عن ذلك ؟ فقال فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها ، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تسكدها مرارتها ، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر ، إن فيها مواضع لمن اذكر . وقال ابن أبي الدنيا : أنشدني الحسين بن عبد الرحمن

نزهة المؤمن الفكر	لذة المؤمن العبر
نحمد الله وحده	نحسن كل على خطر
رب لاه وعمسره	قد تقضى وما شعر
رب عيش قد كان فو	ق المني موفى الزهر
في خريف من العيو	ن وظلم من الشجر
ومرور من النبا	ت وطيب من الثمر
غسيرة وأهله	سرعة الدهر بالفسير
نحمد الله وحده	إن في ذا المعسر
إن في ذا عبرة	للبيب إن اعتبر

فيها ليدلهم ذلك على قدرة الله ويعرفوا أن لها صانعا قادرا مدبرا حكما . قال ابن عوان الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الحشية كما يحدث الماء للزرع النماء . وما جللت القلوب بمثل الأحران ولا استنارت بمثل الفكرة . ﴿ ربنا ﴾ أي ويقولون ربنا ﴿ ما خلقت هذا ﴾ رده إلى الخلق فلذلك لم يقل

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته فقال :
 (وكأين من آية في السموات والارض يرون عليها وهم عنها معرضون * وما يؤمن أكثرهم بالله إلا
 وهم مشركون) ومدح عباده المؤمنين (الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون
 في خلق السموات والارض) قائلين (ربنا ما خلقت هذا باطلاً) أي ما خلقت هذا الخلق عبثاً ، بل
 بالحق لتجزى الذين أساءوا بما عملوا ، وتجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، ثم نزّهوه عن العبث وخلق
 الباطل فقالوا (سبحانك) أي عن أن تخلق شيئاً باطلاً (فقنا عذاب النار) أي يامن خلق الخلق بالحق
 والعدل ، يامن هو منزّه عن النقائص والعيب والعبث ، قنا من عذاب النار بحولك وقوتك وقبضنا
 لأعمال ترضي بها عنا ، ووقفنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم ، وتجيرنا به من عذابك
 الأليم . ثم قالوا (ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته) أي أهنته وأظهرت خزيه لأهل الجمع
 (وما للظالمين من أنصار) أي يوم القيامة لا يجبر لهم منك ، ولا محيد لهم عما أردت بهم (ربنا إننا
 سمعنا منادياً ينادي للإيمان) أي داعياً يدعو إلى الإيمان ، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم (أن
 آمنوا بربكم فأنقنا) أي يقول آمنوا بربكم فأنقنا أي فاستجبنا له واتبعناه (ربنا فأنقنا من النار) أي يا أيها
 نبيك أي استرها (وكفر عنا سيئاتنا) فيما بيننا وبينك (وتوفنا مع الأبرار) أي ألقنا
 بالصلحين (ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك) قيل : معناه على الإيمان برسلك . وقيل : معناه على
 السنة رسلك ، وهذا أظهر -- وقد قال الامام احمد : حدثنا أبو الهيثم حدثنا إسماعيل بن عياش
 عن عمرو بن محمد عن أبي عقاب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عسقلان
 أحد العروسين يبعث الله منهما يوم القيامة سبعين ألفاً لحساب عليهم ، ويبعث منهما خمسين ألفاً
 شهداء وفود إلى الله ، وبها صفوف الشهداء رؤوسهم مقطعة في أيديهم تشج أوداجهم دما يقولون :
 (ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) فيقول الله : صدق
 عبيدي اغسلوهم بنهر البیضة ، فيخرجون منه نقاء بيضاً ، فيسرحون في الجنة حيث شاؤا » وهذا
 الحديث يعد من غرائب المسند ، ومنهم من يجعله موضوعاً والله أعلم (ولا تخزنا يوم القيامة) أي
 على رؤوس الخلائق (إنك لا تخلف الميعاد) أي لا بد من الميعاد الذي أخبرت عنه رسلك وهو القيام
 يوم القيامة بين يديك . وقد قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الحافظ أبو شريح (١) حدثنا المعتمر حدثنا
 الفضل بن عيسى حدثنا محمد بن المنكدر أن جابر بن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه

(١) في الازهرية
 الحارث بن شريح .
 ولم نجد هذا ولا ذاك

هذه (باطلاً) أي عبثاً وهزلاً ، بل خلقته لأمر عظيم وانتصب باطلاً بنزع الخافض ، أي بالباطل
 (سبحانك فقنا عذاب النار) ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته (أي أهنته ، وقيل أهلكته وقيل
 فضحته لقوله تعالى (ولا تخزون في ضيفي) فإن قيل قد قال الله تعالى (يوم لا يخزي الله النبي والذين
 آمنوا معه) ومن أهل الإيمان من يدخل النار وقد قال : (إنك من تدخل النار فقد أخزيته)

وسلم قال « العار والتخزية تبلغ من ابن آدم في القيامة في المقام بين يدي الله عز وجل ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار » حديث غريب . وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتمجده فقال البخاري رحمه الله : حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر أخبرني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بت عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء ، فقال « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار » الآيات ، ثم قام فتوضأ واستن ، ثم صلى إحدى عشرة ركعة ، ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح . وهكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن إسحق الصنعاني عن ابن أبي مريم به . ثم رواه البخاري من طرق عن مالك عن مخزومة بن سليمان عن كريب أن ابن عباس أخبره أنه بات عند ميمونة تزوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي خالته قال : فاضطجعت في عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا انتصف الليل أو قبله بتليل أو بعد ، بتليل استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من منامه ، فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي قال ابن عباس رضي الله عنهما : فتمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فتمت إلى جنبه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى ففعلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن ، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبح . وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن مالك به . ورواه مسلم أيضاً وأبو داود ومن وجوه أخر عن مخزومة بن سليمان به (طريق أخرى) لهذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن علي حدثنا أبو يحيى عن أبي ميسرة أنبأنا خلاد بن يحيى أنبأنا يونس عن أبي إسحاق عن المنهال بن عمرو عن علي بن عبد الله بن عباس عن عبد الله بن عباس قال : أمرني العباس أن أبيت بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظ صلاته ، قال : فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة العشاء الأخيرة حتى إذا لم يبق في المسجد أحد غيري قام فمر بي فقال من هذا ؟ عبد الله ؟

فكيف الجمع؟ قيل قال أنس وقتادة معناه أنك من تخلده في النار فقد أخزيتَه وقال سعيد ابن المسيب هذه خاصة لمن لا يخرج منها. فقد روي أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «وأن الله يدخل قوما النار ثم يخرجون منها» ﴿وما للظالمين من أنصار ربنا اننا سمعنا منادياً﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وسلم قاله ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وأكثر الناس. وقال القرظي يعني القرآن فليس كل واحد يلتقي النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ينادي للآيمان﴾ الى الآيمان ﴿أن آمنوا﴾

قلت نعم ، قال فيه ؟ قلت أمرني العباس أن أبيت بكم الليلة ، قال « فالحق الحق » فلما دخل قال : فرش (١) عبد الله ؟ قال : فأتى بوسادة من مسوح قال فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشاً حتى سمعت غطيطة ثم استوى على فراشه قاعداً قال : فرفع رأسه إلى السماء فقال « سبحان الملك القدوس » ثلاث مرات ثم تلا هذه الآيات من آخر سورة آل عمران حتى ختمها . وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي من حديث علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه حديثاً في ذلك أيضاً

(طريق أخرى) رواها ابن مردويه من حديث عاصم بن بهدلة عن بعض أصحابه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة بعد ماضى ليل فنظر إلى السماء وتلا هذه الآية (أن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) إلى آخر السورة . ثم قال « اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً وعن يميني نوراً وعن شمالي نوراً وعن بين يدي نوراً وعن خلفي نوراً وعن فرقي نوراً وعن تحتي نوراً وأعظم لي نوراً يوم القيامة » وهذا الدعاء ثابت في بعض طرق الصحيح من رواية كريب عن ابن عباس رضي الله عنه . ثم روى ابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أتت قريش اليهود فقالوا : هم جاءكم موسى من الآيات ؟ قالوا : نعم ، ويده البيضاء للناظرين . وأتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى فيكم ؟ فقالوا كان يبرئ الأكمه والابرص ويحيي الموتى . فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : ادع ربك أن يجعل لنا الحفا ذهباً فدعا ربه عز وجل ، فنزلت (أن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) قال فليستفكروا فيها ، فلفظ ابن مردويه . وقد تقدم هذا الحديث من رواية الطبراني في أول الآية وهذا يقتضي أن تكون هذه الآيات مكية والمشهور أنها مدنية ودليله الحديث الآخر ، قال ابن مردويه : حدثنا علي بن إسماعيل حدثنا أحمد بن علي المراني حدثنا شجاع بن أشرس حدثنا حشرج ابن نبانة الواسطي حدثنا أبو بكر عن الكلابي وهو أبو حجاب (٢) عن عطاء قال : انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها ، فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب ، فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال قول الشاعر * زرغباً تزدحجاً * فقال ابن عمر ذرنا أخبرنا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكت وقالت كل أمره كان عجباً أتاني في ليالي حتى مس جلده جلدي ثم قال « ذريني أعبد لربي عز وجل » قالت : فقلت والله أني لأحب قربك وأنني أحب أن أعبد ربك

«٢» تنظر حاشية

ص ٣٢٥

بربكم فآمناء ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار) أي في جملة الأبرار (ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك) أي على السنة رسلك (ولا تخزنا) ولا تعذبنا ولا تهلكننا ولا تنقضنا ولا تنهنا (يوم القيامة أنك لا تخلف الميعاد) فان قبل ماوجه قولهم (ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك) وقد علموا أن الله لا يخلف الميعاد . قيل لفظه دعاء ومعناه خبر أي : أتوتنا ما وعدتنا على رسلك

فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد فبكى حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح قالت فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال «ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) ثم قال «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» وقد رواه عبد بن حميد في تفسيره عن جعفر بن عوف السكبي عن أبي حباب (١) عن عطاء قال: دخلت أنا وعبد الله بن عمر وعبيد بن عمير على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي في خدرها، فسلمنا عليها فقالت من هؤلاء؟ قال فقئنا هذا عبد الله بن عمر وعبيد بن عمير، قالت يا عبيد بن عمير ما يمنعك من زيارتنا؟ قال ما قال الأول هـ زرغبنا نردد حبا* قالت إنا لنحب زيارتك وغشيانك، قال عبد الله ابن عمر دعينا من بطالتكما هذه، أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال نبكت ثم قالت كل أمره كن عجبا، أنا في ليالي حتى دخل معي في فراشي حتى لصق جلده بجلدي ثم قال «يا عائشة انذني لي أعبد لربي» قالت إني لأحب قربك وأحب هواك، قالت فقام إلى قربة في البيت فما أكثر صب الماء، ثم قام فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت أن دموعه قد بلغت حقويه، قالت ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حجره، قالت ثم اتكأ على جنبه الأيمن ووضع يده تحت خده، قالت ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض فدخل عليه بلال فأذنه بصلاة الفجر ثم قال الصلاة يا رسول الله فلما رآه بلال يبكي قال يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال «يا بلال أنلا كون عبدا شكورا؟ وما لي لا أبكي وقد نزل علي الليلة (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) إلى قوله (سبحانك فقنا عذاب النار) ثم قال «ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها» وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عمران بن موسى عن عثمان بن أبي شيبة عن يحيى بن زكريا عن إبراهيم بن سويد النخعي عن عبد الملك بن أبي ساجان عن عطاء قال دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فذكر نحوه. وهكذا رواه عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار عن شجاع بن أشبر عن به، ثم قال: حدثني الحسن بن عبد العزيز سمعت سفيان يذكر عن سفيان هو الثوري رفعه قال «من قرأ آخر آل عمران فلم يتفكر فيها ويله» يعد بأصابعه عشرا - قال الحسن بن عبد العزيز:

تقديره: فاعف لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولا تحزننا يوم القيامة لنؤتيك ما وعدتنا على رسلك من الفضل والرحمة، وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحقون ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة، فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها، وقيل إنما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء. وقالوا قد علمنا أنك لا تخلف وعدك من النصر ولكن لا صبر لنا على حملك فجعيل خزيهم وانصرنا عليهم

«١» الصواب

عن جعفر بن عون

(بالنون) عن أبي

جناب «بالجم»

السكبي واسمه يحيى

ابن أبي حبة

فأخبرني عبيد بن السائب قال : قيل للأوزاعي ما غاية التفكير فيهن ؟ قال : يقرأهن وهو يعقلهن — قال ابن أبي الدنيا : وحدثني قاسم بن هاشم حدثنا علي بن عياش حدثنا عبد الرحمن بن سليمان قال : سألت الأوزاعي عن أدنى ما يتعلق به المتعلق من التفكير فيهن وما ينجيها من هذا الويل ؟ فأطرق هنيئة ثم قال : يقرأهن وهو يعقلهن

(حديث آخر) فيه غرابة . قال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن بشير بن ميمر حدثنا اسحق بن إبراهيم البستي قال وحدثنا اسحق بن إبراهيم بن زيد حدثنا أحمد بن عمرو قال أنبأنا هاشم بن عمار أنبأنا ساجان بن موسى الزهري أنبأنا مظاهر بن أسلم الخزومي أنبأنا سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : كن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران كل ليلة . مظاهر بن أسلم ضعيف

فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض

فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوطانهم في سبيلي وقتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم

ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله ، والله عنده حسن الثواب (١٩٧)

يقول تعالى (فاستجاب لهم ربهم) أي فاجابهم ربهم كما قال الشاعر

وداع دعا : يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

قال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سلمة رجل من آل أم سلمة قال قالت : أم سلمة يا رسول الله لا نسمع الله ذكر النساء في الحجرة بشيء . فأنزل الله تعالى (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) إلى آخر الآية : وقالت الانصاري أول طعينة قدمت علينا ، وقد رواه إمام في مستدركه من حديث سفيان بن عيينة . ثم قال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجناه . وقد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة قالت : آخر آية نزلت هذه الآية . (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) إلى آخرها ، رواه ابن مردويه ، ومعنى الآية أن المؤمنين ذوي الالباب لما سألوها ما أتتكم ذكره فاستجاب لهم ربهم عقب ذلك بفاء التعقيب كما قال تعالى (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة

قوله تعالى (فاستجاب لهم ربهم أني) أي بأنني (لا أضيع) لا أضبط (عمل عامل منكم) أيها المؤمنون (من ذكر أو أنثى) قال مجاهد قالت أم سلمة يا رسول الله اني أسمع الله يذكر الرجال في الحجرة ولا يذكر النساء ، فأنزل الله تعالى هذه الآية (بعضكم من بعض) قال الكوفي في الدين والنصرة والمواالات وقيل كلهم من آدم وحواء . وقال الضحاك رجالكم شكل نسائكم ونسائكم شكل رجالكم في الطاعة كما قال « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم

(١) في الازهرية

مجيباً لهم

(١) الظاهر ان

يقول منهم او تحذف

كما في الازهرية

الداع إذا دعان. فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلمهم يرشدون (وقوله تعالى) أتني لأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى (هذا تفسير الإجابة أي قال لهم مخبراً (١) أنه لا يضيع عمل عامل منكم (٢) لديه، بل يوفي كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى وقوله (بعضكم من بعض) أي جميعكم في ثوابي سواء. (فالذين هاجروا) أي تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحباب والأخوان والخلان والجيران (وأخرجوا من ديارهم) أي ضايقتهم المشركون بالآذى حتى أجبرهم إلى الخروج من بين أظهرهم ولهذا قال (وأوذوا في سبيلي) أي إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده كما قال تعالى (يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) وقال تعالى (وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وقوله تعالى (وقاتلوا وقتلوا) وهذا أعلى المقامات أن يقال في سبيل الله فيعقر جواده ويعفر وجهه بدمه وترا به ، وقد ثبت في الصحيحين أن رجلاً قال يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، أيكفر الله عني خطيائي ؟ قال « نعم » ثم قال كيف قلت « فأعاد عليه ما قال . فقال « نعم . إلا الذي قاله لي جبريل آنفاً » ولهذا قال تعالى (لا كفرن منهم شيئاً) ولا دخلتهم جنات تجري من تحتها الأنهار (أي تجري في خلالها الأنهار من أنواع المشارب من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله (ثواباً من عند الله) إضائه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم لأن العظيم الكريم لا يعطى إلا جزئاً لا كثيراً كما قال الشاعر إن يعذب يكن غراماً وإن يعسط جزئاً فإنه لا يبالي

وقوله تعالى (والله عنده حسن الثواب) أي عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحاً . قال ابن أبي حاتم ذكر عن دحيم بن إبراهيم قال الوليد بن مسلم أخبرني جرير بن عثمان أنا شداد بن أوس كن يقول أبها الناس لا تنهموا الله في قضائه فإنه لا يبني على مؤمن ، فإذا أنزل بأحدكم شيئاً مما يجب فليحمد الله وإذا أنزل به شيئاً مما يكره فليصبر وليحتسب فإن الله عنده حسن الثواب

لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد (١٩٨) متهم قليل ثم مأويهم جهنم وبئس

وأوذوا في سبيلي (أي في طاعتي وديني وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة) وقاتلوا وقتلوا (قرأ ابن عامر وابن كثير قتلا بالتشديد . وقال الحسن يعني أنهم قطعوا في المعركة ، والآخرون بالتخفيف وقرأ أكثر القراء وقتلوا يريد أنهم قاتلوا العدو ثم إنهم قتلوا ، وقرأ حمزة والكسائي قتلوا وقتلوا وله وجهان أحدهما معناه وقاتل من بقي منهم ومعنى قوله وقتلوا أي قتل بعضهم تقول العرب قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم . والوجه الآخر وقتلوا وقد قاتلوا (لا كفرن عنهم شيئاً) ولا دخلتهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله (نصب على التقطع أنه الكافي) وقال المبرد مصدر أي لا يثيبهم ثواباً (والله عنده حسن الثواب)

قوله عز وجل (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) نزلت في المشركين وذلك أنهم كانوا

المهاد (١٩٩) لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها انزلنا من

عند الله وما عند الله خير للابرار (٢٠٠)

يقول تعالى لا تنظر الى ما هو لاء الكفار مترفون فيه من النعمة والغبطة والسرور ، فعما قليل يزول هذا كله عنهم ويصبحون مرتين بأعمالهم السيئة . فانما عند لم فيما هم فيه استدرجا وجميع ما هم فيه (متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وهذه الآية كقوله تعالى (ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يعررك تقلبهم في البلاد) وقال تعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم لينامر جمعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقال تعالى (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) وقال تعالى (فهل الكافرين أمهلهم رويدا) أي قليلا وقال تعالى (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقية كن متعنا متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم اقيامة من المحضرين) وهكذا لما ذكر حال الكفار في الدنيا وذكر أن ما لهم النار قال بعده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها انزلنا من عند الله وما عند الله خير للابرار) وقال ابن مردويه حدثنا احمد بن نضر حدثنا أبو طاهر سهل بن عبد الله أنبأ هشام بن عمار أنبأنا سعيد أنبأنا يحيى أنبأنا عبيد الله بن الوليد الرصافي عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنما سموا الابرار لانهم بروا الآباء والابناء ، كما أن لوالديك عليك حتما كذلك لولدك عليك حق » كذا رواه ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا عيسى بن يونس عن عبيد الله بن الوليد الرصافي عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمرو قال إنما سموهم الله الابرار لانهم بروا الآباء والابناء كما أن لوالديك عليك حتما كذلك لولدك عليك حق ، وهذا أشبه والله أعلم . ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام الدستوائي عن رجل عن الحسن قال الابرار الذين لا يؤذون الذر . وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن خيشمة عن الاسود قال : قال عبد الله يعني ابن مسعود ما من نفس برة ولا فاجرة الا الموت خير لها لئن كان برأ لقد قال الله تعالى (وما عند الله خير للابرار) وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري عن الاعمش به وقرأ (ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيرا لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين) وقال ابن جرير حدثني في رضاء وابن من العيش يتجرون ويتنعمون . فقال بعض المؤمنين إن أعداء الله تعالى فيما نرى من الخير ونحن في الجهد فانزل الله تعالى هذه الآية (لا يعررك تقلب الذين كفروا في البلاد) وضررهم في الارض وتصرفهم في البلاد للتجارات وأنواع المكاسب . فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره (متاع قليل) أي هو متاع قليل ، بلغة فانية ، ومتعة زائلة (ثم مأواهم) مصيرهم (جهنم

المثني حدثنا اسحاق حدثنا ابن أبي جعفر عن نوح بن فضالة عن لقمان عن أبي الدرداء أنه كان يقول ما من مؤمن الا والموت خير له ، وما من كافر الا والموت خير له ، ومن لم يصدقني فان الله يقول (وما عند الله خير للابرار) ويقول (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لا نفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين)

وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب (٢٠١) يأياها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون (٢٠٢)

يخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الايمان، ويؤمنون بما أنزل على محمد مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدمة وأنهم خاشعون لله أى مطيعون له خاضعون متذللون بين يديه لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أى لا يكتمون ما بأيديهم من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر صفته ونعمته ومبعثه وصفة أمته، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم سواء كانوا هوداً أو نصارى . وقد قال تعالى في سورة القصص (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) الآية . وقد قال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) الآية . وقد قال تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقال تعالى (ليسوا سواء ، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون) وقال تعالى (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله اذا

وبئس المهاد) الفرائش (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلوا) جزاء وثوابا (من عند الله) نصب على التفسير وقيل جعل ذلك نزلاً (وما عند الله خير للابرار) من متاع الدنيا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن جبير أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشربة ، وأنه على حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف وأن عند رجله قرظاً مصبوراً وعند رأسه أهب معلقة ، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال « ما يبكيك ؟ فقلت يا رسول الله إن كسرى وقيصر فجاهما فيه ، وأنت رسول الله فقال « أما ترضى أن تكون لها الدنيا ولنا الآخرة ؟

قوله عز وجل (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية قال ابن عباس وجابر وأنس وقتادة نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أحمدة وهو بالعربية عطية ، وذلك أنه لما مات نعام

يتلى عليهم يخرجون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً* ويخرجون للاذقان
 يكونون يزيدهم خشوعاً (وهذه الصفات توجد في اليهود ولكن قليلاً كما وجد في عبد الله بن سلام
 وأمثاله ممن آمن من أحبار اليهود ولم يبلغوا عشرة أنفس ، وأما النصارى فكثير منهم يهتدون
 وينقادون للحق كما قال تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن
 أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) الى قوله تعالى (فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري
 من تحتها الأنهار خالدين فيها) الآية وهكذا قال ههنا (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) الآية وقد
 ثبت في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما قرأ سورة كعبص بحضرة النجاشي ملك
 الحبشة وعنده البطارقة والقساوسة بكى وبكوا معه حتى أخضبوا لحامهم وثبت في الصحيحين أن
 النجاشي لما مات نعاء النبي صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وقال « ان أخاكم بالحبشة قد مات فصلوا
 عليه » فخرج الى الصحراء فصفهم وصلى عليه . وروى ابن أبي حاتم والحافظ أبو بكر بن مردويه من
 حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال لما توفي النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم « استغفروا لأخيكم » فقال بعض الناس يأمرنا أن نستغفر لعليج مات بارض الحبشة فنزلت (وإن
 من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله) الآية ورواه عبد بن
 حميد وابن أبي حاتم من طريق أخرى عن حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن عن النبي صلى الله
 عليه وسلم ثم رواه ابن مردويه من طرق عن حميد عن أنس بن مالك نحو ما تقدم . ورواه أيضاً ابن
 جرير من حديث أبي بكر الهذلي عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر قال : قال لنا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشي « إن أخاكم أحصمة قد مات فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فضلى كما يصلي على الجنائز فكبر أربعاً . فقال المنافقون يصلي على عليج مات بارض الحبشة فانزل الله
 (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية . وقال أبو داود حدثنا محمد بن عمرو الرازي حدثنا
 سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها
 قالت لما مات النجاشي كننا نحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور . وقد روي الحافظ أبو عبد الله
 الحاكم في مستدركه أنبأنا أبو العباس السيارى بمرور حدثنا عبد الله بن علي الغزال حدثنا علي بن
 الحسن بن شقيق ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا مصعب بن ثابت عن عامر بن عبد الله بن الزبير
 عن أبيه قال نزل بالنجاشي عدو من أرضهم فجاءه المهاجرون فقالوا انا نحب أن تخرج اليهم حتى
 نقاتل معك وترى جرأتنا ونجزيك بما صنعت بنا . فقال لدا . (بنصر الله عز وجل خير من دواء

١٦ في نسخة

الازهر: لدواء بنصرة
 الله الخ وهو موافق لما
 في المستدرک المطبوع

جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه : فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لأصحابه « اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشي » فخرج الى البقيع وكشف
 له الى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له . فقال

بنصرة الناس. قال وفيه نزلت (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله) الآية. ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد (وإن من أهل الكتاب) يعني مسلمة أهل الكتاب وقال عباد بن منصور سألت الحسن البصري عن قول الله (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية قال هم أهل الكتاب الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فاتبعوه وعرفوا الاسلام فأعطاهم الله تعالى اجر اثنين للذي كانوا عليه من الايمان قبل محمد صلى الله عليه وسلم واتباعهم محمد صلى الله عليه وسلم رواه ابن أبي حاتم ، وقد ثبت في الصحيحين عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر منهم « رجال من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي » وقوله تعالى (لا يشتركون بآيات الله ثمناً قليلاً) أي لا يكتفون ما بأيديهم من العلم كما فعله الطائفة المردولة منهم بل يبذلون ذلك مجاناً ولهذا قال تعالى (أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب) قال مجاهد سريع الحساب يعني سريع الاحصاء رواه ابن أبي حاتم وغيره وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) قال الحسن البصري أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الاسلام ، فلا يدعوه لسراء ولا لضرأ ، ولا لشدة ولا لرخاء ، حتى يموتوا مسلمين ، وأن يصابروا الاعداء الذين يكتفون دينهم وكذلك قال غير واحد من علماء السلف ، وأما المrabطة فهي المداومة في مكان العبادة والثبات ، وقيل انتظار الصلاة بعد الصلاة قاله ابن عباس وسهل بن حنيف ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم وروي ابن أبي حاتم بهذا الحديث الذي رواه مسلم والنسائي من حديث مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن عن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بما يحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ أسبغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط » وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن احمد حدثنا موسى بن اسحاق ، حدثنا أبو جحيفة علي بن يزيد الكوفي أنبأنا ابن أبي كريمة عن محمد بن يزيد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال اقبل علي ابو هريرة يوماً فقال أتدري يا ابن اخي فيم نزلت هذه الآية ؟ (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) قلت لا . قال اما انه لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يربطون فيه ، ولكنها نزلت في قوم يعمرن المساجد ويصلون الصلاة في مواقيتها ثم يذكرون الله فيها فليعلم انزلت (اصبروا) أي على الصلوات الخمس (وصابروا) انفسكم وهواكم (ورابطوا) في مساجدكم (واتقوا الله) فيما عليكم (لعلمكم تفعلون) وهكذا رواه الحاکم في مستدرکه من طريق سعيد بن منصور عن مصعب بن ثابت عن

المنافقون انظروا الى هذا يصلي على عليج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه . فأنزله الله تعالى هذه الآية وقال عطاء : نزلت في أهل نجران أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من أرض الحبشة وثمانية

داود بن صالح عن أبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثني ابن فضيل عن عبد الله بن سعيد المقبري عن جده عن شرحبيل عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ادلكم على ما يكفر الذنوب والخطايا ؟ اسباغ الوضوء على المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » وقال ابن جرير أيضاً حدثني موسى بن سهل الرمي حدثني يحيى بن واضح ، حدثنا محمد بن مهاجر حدثني يحيى بن يزيد عن زيد بن أبي أنيسة عن شرحبيل عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب ؟ قلنا بلى يا رسول الله قال « اسباغ الوضوء في أمانتها وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن علي أنبأنا محمد بن عبد الله بن سلام البرنوثي (١) أنبأنا محمد بن غالب الانطاكي ، أنبأنا عثمان بن عبد الرحمن أنبأنا الوازع بن نافع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي أيوب قال وفد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « هل لكم إلى ما يمحو الله به الذنوب ويعظم به الاجر ؟ قلنا نعم يا رسول الله وما هو قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة » قال وهو قول الله (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فذلك هو الرباط في المساجد « وهذا حديث غريب من هذا الوجه جداً . وقال عبد الله بن المبارك عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير حدثني داود بن صالح قال : قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية (اصبروا وصابروا ورابطوا) قال قلت لا قال انه لم يكن يا ابن أخي في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يربط فيه ، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة رواه ابن جرير ، وقد تقدم سياق ابن مردويه له وانه من كلام أبي هريرة رضي الله عنه والله اعلم وقيل المراد بالمرابطة ههنا مرابطة الغزو في نحو (٢) العدو وحفظ ثغور الاسلام وصيانتها عن دخول الاعداء إلى حوزة بلاد المسلمين ، وقد وردت الاخبار بالترغيب في ذلك وذكر كثرة الثواب فيه ، فروى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها »

«١» في الازهرية
ابن عبد السلام البيروني

«١» وفي الازهرية
نحور

﴿ حديث آخر ﴾ روى مسلم عن سلمان الفارسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وان مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان »
﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالانبياء صلى الله عليه وسلم . وقال ابن جرير نزلت في عبد الله ابن سلام وأصحابه : وقال مجاهد نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم : وأن من أهل الكتاب من يؤمن بالله ﴿ وما أنزل اليكم ﴾ يعني القرآن ﴿ وما أنزل اليهم ﴾ يعني التوراة والانجيل

أخبرني أبو هانيء الخولاني أن عمرو بن مالك الحنفي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن فتنه القبر » وهكذا رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي هانيء الخولاني ، وقال الترمذي حسن صحيح ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه أيضاً

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا حسن بن موسى وأبو سعيد وعبد الله بن يزيد كلهم عن عبد الله بن لهيعة حدثنا شرح بن عاهان سمعت عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل ميت يختم له على عمله إلا المراقبة في سبيل الله يجري عليه عمله حتى يبعث ويؤمن الفتان » رواه الحارث بن محمد بن أبي الهامة (١) في مسنده عن المقبري وهو عبد الله بن يزيد إلى قوله « حتى يبعث » دون ذكر « الفتان » وابن لهيعة إذا صرح بالتحديث فهو حسن ولا سيما مع ما تقدم من الشواهد

« ١ » في الازهرية :
ابن أبي اسامة

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن ماجه في سننه حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني الليث عن زهرة بن معبد عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من مات مرابطاً في سبيل الله أجرى عليه عمله الصالح الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفرع الأكبر »

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الامام أحمد حدثنا موسى أنبأنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطاً وفي فتنه القبر وأمن من الفرع الأكبر وغدي عليه ربح برزقه من الجنة وكتب له أجر المراقبة إلى يوم القيامة

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثنا اسماعيل بن عياش عن محمد بن عمرو بن حاحلة الديلي عن اسحق بن عبد الله عن أم الدرداء (٢) رفعت الحديث قالت « من رابط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزأت عنه رباط سنة »

« ٢ » في الدر المنثور
عن أبي الدرداء يرفع
الحديث

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا كهمس حدثنا مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال : قال عثمان وهو يخطب على منبره إني محدثكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنعني أن أحدثكم به إلا الظن (٣) بكم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها » وهكذا رواه أحمد عن روح عن كهمس عن مصعب بن ثابت عن عثمان ، وقد رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن عبد الرحمن بن زيد

« ٣ » فيها : إلا الضن

﴿ خاشعين لله ﴾ خاضعين متواضعين لله ﴿ لا يشتركون بآيات الله ثمناً قليلاً ﴾ يعني لا يحرفون كتبهم (لا يكتُمون) صفة محمد صلى الله عليه وسلم لأجل الرياسة والمأكلة كفعول غيرهم من رؤساء اليهود أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا

ابن اسلم عن ابيه عن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال: خطب عثمان الناس فقال ايها الناس اني سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم ينعني ان أحدثكم به الا الظن (١) بكم وبصحابتكم فليختر مختار لنفسه او ليدع ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رباط ليلة في سبيل الله كانت كألف ليلة قيامها وصيامها »

«١» في الارزهرية: الا
الظن كما تقدم

﴿ طريق اخرى ﴾ عن عثمان رضي الله عنه قال الترمذي حدثنا الحسن بن علي الخلال حدثنا هشام ابن عبد الملك حدثنا الليث بن سعد حدثنا ابو عقيل زهرة بن معبد عن ابي صالح مولى عثمان بن عفان قال سمعت عثمان وهو على المنبر يقول اني كتبتكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية تفرقكم عني ثم بدلي ان احديثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بداله ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « رباط يوم في سبيل الله خير من الف يوم فيما سواه من المنازل » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، قال محمد يعني البخاري ابو صالح مولى عثمان اسمه بركان ، وذكر غير الترمذي ان اسمه الحارث والله اعلم ، وهكذا رواه الامام احمد بن حديث الليث ابن سعد وعبد الله ابن لميعة وعند زيادة في آخره فقال يعني عثمان « فليرباط امرؤ كيف شاء » هل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال اللهم اشهد ﴿ حديث آخر ﴾ قال ابو عيسى الترمذي حدثنا ابن ابي عمر حدثنا سفيان حدثنا محمد بن المنكدر قال مر سلمان الفارسي بشر حبيب بن السمط وهو في ماربة له وقد شق عليه وعلى اصحابه فقال: ألا احديثك يا ابن السمط بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال بلى ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « رباط يوم في سبيل الله افضل - او قال خير - من صيام شهر وقيامه ومن مات فيه وفي فتنة القبر ونمي له عمله إلى يوم القيامة » تفرد به الترمذي من هذا الوجه ، وقال هذا حديث حسن ، وفي بعض النسخ زيادة وليس اسناده بمتصل . وابن المنكدر لم يدرك سلمان (قلت) الظاهر ان محمد بن المنكدر سمعه من شرحبيل بن السمط وقدر واه مسلم والنسائي من حديث مكحول وأبي عبيدة بن عقبة كلاهما عن شرحبيل بن السمط وله صحبة عن سلمان الفارسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه الذي كان يعمل به وأجرى عليه رزقه وان الفتنان » وقد تقدم سياق مسلم بمفرده

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن اسماعيل بن سمرة حدثنا محمد بن يعلى السلمي حدثنا عمر بن صبيح عن عبد الرحمن بن عمرو عن مكحول عن أبي ابن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حرس (٢) ليلة وراء عورة المسلمين محتسباً من غير شهر رمضان أعظم أجر آمن

«٢» فيها. لرباط يوم في
سبيل الله من وراء الخ

ورابطوا ﴾ قال الحسن اصبروا على دينكم ولا تدعوه لشدة ولا رخاء . وقال قتادة اصبروا على طاعة الله وقال الضحاك ومقاتل بن سلمان على أمر الله وقال مقاتل بن حيان على أداء فرائض الله تعالى وقال زيد بن اسلم على الجهاد ، وقال الكوفي على البلاء ، وصابروا يعني على قتال الكفار ، ورابطوا

عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ، ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسباً من غير شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجراً — أراه قال — : من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها فإن رده الله تعالى إلى أهله سالماً لم يكتب عليه مائة ألف سنة ، وتكتب له الحسنات ، ويجري عليه أجر الرباط إلى يوم القيامة » هذا حديث غريب من هذا الوجه ، بل منكر ، وعمر بن صبيح متهم

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن ماجه : حدثنا عيسى بن يونس الرمي حدثنا محمد بن شعيب بن سابق عن سعيد بن خالد بن أبي طويل سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حرس ليلة في سبيل الله خير من صيام رجل وقيامه في أهله ألف سنة ، السنة ثلاثمائة يوم ، اليوم كألف سنة » وهذا حديث غريب أيضاً وسعيد بن خالد هذا ضعفه أبو زرعة وغير واحد من الأئمة . وقال العقيلي : لا يتابع على حديثه . وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به . وقال الحاكم : روى عن أنس أحاديث موضوعة

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن الصباح أنبأنا عبد العزيز بن محمد عن صالح بن محمد بن زائدة عن عمر بن عبد العزيز عن (١) عتبة بن عامر الجبني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله حارس الحرس » فيه انقطاع بين عمر بن عبد العزيز وعتبة بن عامر فإنه لم يدركه والله أعلم

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود : حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية يعني ابن سلام (٢) حدثني السلولي أنه حدثه سهل بن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين حتى كانت عشية فحضرت الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فارس فقال : يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى اطلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم يظعنهم ونعمهم وشياهم ، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال « تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله » ثم قال « من يحرسنا الليلة ؟ » قال أنس بن أبي مرثد : أنا يا رسول الله قال « فاركب » فركب فرساً له ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا تغزن من قبلك الليلة » فلما أصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصلاه فركع ركعتين فقال « هل أحسستم فارسكم » فقال رجل : يا رسول الله ما أحسنه فثوب بالصلاة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي يلتفت إلى الشعب ، حتى إذا قضى صلاته قال « ابشروا فقد جاءكم فارسكم » فجعلنا ننظر في خلال الشجر في الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث امرتني ، فلما أصبحنا طلعت الشعبين كليهما ، فنظرت فلم أر أحداً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل نزلت الليلة ؟ »

يعني المشركين . قال أبو عبيدة أي دافعوا واثبتوا ، والربط الشد ، وأصل الرباط أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم . ثم قيل لكل مقيم في ثغر يدفع عن وراة وإن لم يكن له مركب . أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد

(١) وفي الأثرية .

عن عمرو بن عبيد

الرحمن عن عتبة

(٢) فيها عن زيد

ابن سلام

قال : لا إلا مصلية أو قاضي حاجة ، فقال له « أوجبت فلا عليك ان لا تعمل بعدها » ورواه النسائي عن محمد بن يحيى بن محمد بن كثير الحراي عن أبي ثوبة وهو الربيع بن نافع به
 ﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد : حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عبد الرحمن بن شريح سمعت محمد بن شمير الرعيني يقول : سمعت ابا عامر البجلي (١) . قال الامام احمد : وقال غير زيد أنا علي الحنفي يقول : سمعت أبا ربحانة يقول : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فأتينا ذات ليلة إلى شرف فبتنا عليه فأصابنا برد شديد حتى رأيت من يحفر في الأرض يدخل فيها ويلقي عليه الجحفة يعني الترس ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس نادى « من يحرسنا هذه الليلة فأدعوا له بدعاء يكون له فيه فضل » ؟ فقال رجل من الانصار : أنا يارسول الله قال : « ادن » فدنا منه ، فقال « من أنت ؟ » فسمي له الانصاري ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء فأكثر منه ، قال أبو ربحانة : فلما سمعت مادعا به قلت : أنا رجل آخر فقال « ادن » فدنوت فقال « من أنت ؟ » قال : فقلت أبو ربحانة ، فدعا بدعاء دون ما دعا به للانصاري ثم قال : « حرمت النار على عين دمعت — أو بكت — من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله » وروى النسائي منه « حرمت النار » إلى آخره عن عصمة بن الفضل عن زيد بن الحباب به ، وعن الحارث بن مسكين عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن شريح به ، وأتم وقال في الروايتين : عن أبي علي البجلي (١)

(١) هذا وما قبله

محرف والصواب
 التجبي . وفي ترجمة
 محمد بن شمير بالشين
 المعجمة ويقال المهملة
 انه روى عن أبي علي
 التجبي

﴿ حديث آخر ﴾ قال الترمذي : حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا بشر بن عمار وحدثنا شعيب بن زريق أبو شيبه عن عطاء الخراساني عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « عينا لا تمسها النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » ثم قال : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن زريق ، قال : وفي الباب عن عثمان وأبي ربحانة (قلت) وقد تقدما والله الحمد والمنة

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد : حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين عن زياد عن سهل بن بشير أنه سمع ابا النصر أنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ولروحة يروحها العبد في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني ، أخبرنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا يونس بن عبد الله بن مسلم أبو بكر الجوربدي أنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني عبد الرحمن بن الحارث أنا أبو عبيدة بن عتبة أنا شرجيل بن السمط أنا سلمان الخير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من رباط يوما ليلة في سبيل الله كان له أجر

ابن معاذ عن ابيه معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حرم من وراء المسلمين متطوعا لا بأجرة سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم ، فان الله يقول : وإن منكم إلا واردها » تفرد به احمد رحمه الله

(حديث آخر) روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخيصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقية كان في الساقية ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع » فهذا آخر ما تيسر إirاده من الأحاديث المتعلقة بهذا المقام ، والله الحمد على جزيل الانعام ، على تعاقب الاعوام والايام

وقال ابن جرير : حدثني المثنى حدثنا مطرف بن عبد الله المديني حدثنا مالك بن زيد بن أسلم قال : كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم ، فكتب إليه عمر : أما بعد فإنه مها ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله له بعدها فرجا ، وأنه لن يغلب عسر يسرين ، وأن الله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) وهكذا روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك من طريق محمد بن إبراهيم ابن أبي سكينه قال : أملى علي عبد الله بن المبارك هذه الايات بطرطوس وودعته للخروج ، وأنشدها معي إلى الفضل بن عياض في سنة سبعين ومائة ، وفي رواية سنة سبع وسبعين ومائة

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فمحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خياله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عيبرنا	رهج السنايك والغبار الا طيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في	أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بآيها	ليس الشهيد بميت لا يكذب

صيام شهر مقيم ومن مات مرابطا جرى له مثل ذلك الاجر وأجري عليه الرزق وأمن من الفتان « وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزويرا بطفيه، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة ، ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن احمد الفقيه أنا أبو اسحق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب أنا مالك أخبرنا (١) العللاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه قال « ألا أخبركم بما

(١) في الخطبة
عن العللاء

قال : فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام ، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال : صدق أبو عبد الرحمن ونصحتني ، ثم قال : أنت ممن يكتب الحديث ؟ قال قلت : نعم قال : فاكتب هذا الحديث كراء حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا ، وأملئ علي الفضيل بن عياض : حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة : أن رجلا قال : يا رسول الله علمني عملا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله فقال « هل تستطيع أن تصلي فلا تقتر ، وتصوم فلا تقطر ؟ » فقال يا رسول الله أنا أضعف من أن أستطيع ذلك ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم « فوالذي نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت المجاهدين في سبيل الله ، أو ما علمت أن المجاهد ليستن في طوله فيكتب له بذلك الحسنات ؟ » وقوله تعالى (واتقوا الله) أي في جميع أموركم وأحوالكم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالف الناس بخلق حسن » (لعلكم تفلحون) أي في الدنيا والآخرة — وقال ابن جرير : حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أنبأنا أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في قول الله عز وجل

(واتقوا الله لعلكم تفلحون) يقول : اتقوني فيما بيني

وبينكم لعلكم تفلحون غداً إذا لقيتموني —

اتهي تفسير سورة آل

عمران ، والله الحمد والمنة ،

نسأله الموت على

الكتاب

والسنة

آمين

يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار

الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قال بعض أرباب

اللسان اصبروا على النعماء ، وصابروا على البأساء والضراء ، ورابطوا في دار

الاعداء ، واتقوا إله الأرض والسماء (لعلكم تفلحون)

في دار البقاء ،

آمين

سورة النساء

قال العوفي عن ابن عباس: نزلت سورة النساء بالمدينة . وكذا روى ابن مردويه عن عبد الله ابن الزبير وزيد بن ثابت ، وروى من طريق عبد الله بن لهيعة عن أخيه عيسى عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت سورة النساء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاحبس » وقال الحاكم في مستدركه : حدثنا ابو العباس محمد بن يعقوب حدثنا ابو البخترى عبد الله بن محمد شاكر حدثنا محمد بن بشر العبدي حدثنا مسعر بن كدام عن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال : إن في سورة النساء لخمس آيات ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) الآية و (إن يحببوا كباثر ماتهنون عنه) الآية و (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) و (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك) الآية ، ثم قال : هذا اسناد صحيح ان كان عبد الرحمن سمع من أبيه فقد اختلف في ذلك . وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن رجل عن ابن مسعود قال : خمس آيات من النساء لمن أحب الي من الدنيا جميعاً (ان يحببوا كباثر ماتهنون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) وقوله (وان تك حسنة يضاعفها) وقوله (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقوله (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) رواه ابن جرير . ثم روى من طريق صالح المري عن قتادة عن ابن عباس قال : ثماني آيات نزلت في سورة النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت ، أولهن (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب الله عليكم والله عليم حكيم) والثانية (والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً) والثالثة (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفاً) ثم ذكر قول ابن مسعود سواء يعني في الخمسة الباقية — وروى الحاكم من طريق أبي نعيم عن سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن أبي مليكة سمعت ابن عباس يقول : سلوني عن سورة النساء فاني قرأت القرآن وأنا صغير . ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها

سورة النساء

مدنية وهي مائة وست وسبعون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ يعني آدم عليه السلام

منها رجالا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ، إن الله كان عليكم رقيباً (١)

يقول تعالى آمراً خلقه بتقواه ، وهي عبادته وحده لا شريك له ، ومنبهاً لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة ، وهي آدم عليه السلام (وخلق منها زوجها) وهي حواء عليها السلام خلقت من ضلعه الأيسر^(١) من خلفه وهو نائم فاستيقظ فراها فأنجبته ، فأنس إليها وأنست إليه . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا وكيع عن أبي هلال عن قتادة عن ابن عباس قال : خلقت المرأة من الرجل فجعلت نهمتها في الرجل ، وخلق الرجل من الأرض فجعلت نهمته في الأرض فاحبسوا نساءكم . وفي الحديث الصحيح « ان المرأة خلقت من ضلع ، وان أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان استمعت بها استمعت بها وفيها عوج »^(٢) وقوله (وبث منها رجالاً كثيراً ونساء) أي وذراً منها أي من آدم وحواء رجالاً كثيراً ونساء ، ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم ، ثم إليه بعد ذلك المعاد والمحشر . ثم قال تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) أي واتقوا الله بطاعته أياء ، قال إبراهيم ومجاهد والحسن (الذي تساءلون به) أي كما يقال أسألك بالله وبالرحم . وقال الضحاك : واتقوا الله الذي تعاقدون وتعاهدون به ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولكن بروها وصلوها ، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن والضحاك والربيع وغير واحد . وقرأ بعضهم (والارحام) بالخفض على العطف على الضمير في به أي تساءلون بالله وبالأرحام ، كما قال مجاهد وغيره . وقوله (إن الله كان

(١) في الازهرية

الاقصر

(٢) الحديث ورد

في الوصية بالنساء قال

كما في صحيح مسلم

« استوصوا بالنساء

خيراً فان المرأة

خلقت » الخ وقد حمل

العوج بعض العلماء على

المجاز كقوله تعالى

(خالق الانسان من

عجل) والمعنى ان

العوج وهو الميل عن

الاعتدال وحب

الشذوذ من شأن المرأة

فهو غرزة أو كالغرزة

لها فلا بدني الرجل أن

يشدد في محاولة تقوى

لئلا يفسدها عليه كما

يكسر الضلع وفي رواية

زيادة « وكسرها

طلاقاً » يعني ان

الرجل اذا لم يصبر على

عوجها كما أمر الله أن

يطلقها وليس له أن

يؤذيها الا لاجل تقوى

﴿ وخلق منها زوجها ﴾ يعني حوله ﴿ وبث منها ﴾ نشر وأظهر ﴿ رجالاً كثيراً ونساء ﴾ واتقوا الله الذي تساءلون به ﴿ أي تساءلون به ﴾ قرأ أهل الكوفة بتخفيف السين على حذف إحدى التائين كقوله تعالى (ولا تعاونوا) ﴿ والأرحام ﴾ قرأه العامة بالنصب أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها وقرأ حمزة بالخفض ، أي به وبالأرحام ، كما يقال : سألتك بالله والأرحام ، والقراءة الاولى أفصح

تمام الحديث ، وهكذا رواه احمد وأهل السنن عن ابن مسعود في خطبة الحاجة ، وفيها ثم يقرأ ثلاث آيات هذه منها (يا أيها الناس اتقوا ربكم) الآية

وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تبدلوا الخيـث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى
أوالكم ، انه كان حوبا كبيرا (٢) وان خفتهم ألا تقطعوا و اليتامى فانكحوا ما طاب
لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتهم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ،
ذلك أدنى ألا تعولوا ، وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شيء منه نفسا
فمكوهه هنيئا مريئا (٣)

يأمر تعالى بدفع أموال اليتامى اليهم إذا بلغوا الحلم كاملة موفرة ، وينهى عن أكلها وضمها الى
أموالهم ، ولهذا قال (ولا تبدلوا الخيـث بالطيب) قال سفیان الثوري عن أبي صالح : لا تعجل
بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الرزق الحلال الذي قدر لك . وقال سعيد بن جبير : لا تبدلوا الحرام
من أموال الناس بالحلال من أموالكم ، يقول : لا تبدلوا أموالكم الحلال وتأكلوا أموالهم الحرام .
وقال سعيد بن المسيب والزهرى : لا تعط مهزولا وتأخذ سميناً . وقال إبراهيم والنخعي والضحاك :
لا تعط زيفاً وتأخذ جيداً . وقال السدي : كان أحدهم يأخذ الشاة السمينه من غنم اليتيم ، ويجعل
مكانها الشاة المهزولة ويقول : شاة بشاة ، ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول : درهم
بدرهم . وقوله (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) قال مجاهد وسعيد بن جبير وابن سيرين ومقاتل
ابن حيان والسدي وسفيان بن حسين : أي لا تخطوها فتأكلوها جميعاً . وقوله (إنه كان حوبا
كبيرا) قال ابن عباس : أي إثماً عظيماً . وروى ابن مردويه عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن قوله (حوبا كبيرا) قال « إثماً كبيراً » ولكن في إسناده محمد يوسف
الكندي وهو ضعيف (١) وروي هكذا عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وابن سيرين

(١) في الازهرية
الكرمي أو الكديمي

لأن العرب لا تكاد تنسق بظاهر على مكني إلا بعد أن تعيد الخافض ، فتقول : مررت به وبزيد
إلا أنه جائز مع قلته ﴿ إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ أي حافظاً

قوله تعالى ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ قال مقاتل والكلبي : نزلت في رجل من غطفان كان معه
مال كثير لابن أخ يتيم ، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عنه ، فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت هذه الآية ، فلما سمع (١) العم قال : أطعنا الله وأطعنا الرسول ، فعوذ بالله من الحرب الكبير ،
فدفع اليه ماله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من يوق شح نفسه ويطلع ربه هكذا فإنه يحل داره »

(١) وفي نسخة

سمعها

وقنادة ومقاتل بن حيان والضحاك وابي مالك وزيد بن اسلم وابي سنان مثل قول ابن عباس . وفي الحديث المروي في سنن ابي داود « اغفر لنا حوبنا وخطايانا » وروى ابن مردويه باسناده الى واصل مولى عينة عن ابن سيرين عن ابن عباس : ان ابا ايوب طلق امرأته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا ابا ايوب ان طلاق أم ايوب كان حوباً » قال ابن سيرين : الحوب الاثم . ثم قال ابن مردويه : حدثنا عبد الباقي حدثنا بشر بن موسى حدثنا هودة بن خليفة حدثنا عوف عن انس أن ابا ايوب اراد طلاق ام ايوب ، فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ان طلاق ام ايوب لحوب » فأمسكها ، ثم روى ابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث علي بن عاصم عن حميد الطويل سمعت انس بن مالك ايضاً يقول : اراد ابو طلحة أن يطلق أم سليم امرأته فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان طلاق أم سليم لحوب » فكف . والمعنى : ان أكلكم أموالهم مع أموالكم إثم عظيم وخطأ كبير فاجتنبوه . وقوله (وان ختمت ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى) أي اذا كان تحت حجر أحدكم يتيمة وخاف ان لا يعطيها مهر مثلها فليعدل الى ما سواها من النساء ، فانهن كثير ولم يضيق الله عليه . وقال البخاري : حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام عن ابن جريج اخبرني هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة : ان رجلاً كانت له يتيمة فنكحها وكان لها عنق ، وكان يمسكها عليه ، ولم يكن لها من نفسه شيء ، فنزلت فيه (وان ختمت ألا تقسطوا) احسبه قال : كانت شريكته في ذلك العنق وفي ماله . ثم قال البخاري : حدثنا عبد العزيز بن

يعني جنته ، فلما قبض الفتى ماله أنفق في سبيل الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ثبت الأجر وبقي الوزر » فقالوا : كيف بقي الوزر؟ فقال « ثبت الأجر للغلام ، وبقي الوزر على والده » وقوله (وآتوا) خطاب للأولياء والأوصياء ، واليتامى جمع يтим ، واليتيم اسم لصغير لا أب له ولا جد ، وإنما يدفع المال اليهم بعد البلوغ ، وسام يتامى ههنا على معنى أنهم كانوا يتامى ﴿ ولا تبدلوا ﴾ لا تستبدلوا ﴿ الخيـث بالطيب ﴾ أي ما لهم الذي هو حرام عليكم بالخلال من أموالكم . واختلفوا في هذا التبديل ، قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي : كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلونه مكان الردي ، فربما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعل مكانها المهزولة ، ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول : درهم بدرهم ، فنهوا عن ذلك . وقيل : كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان ويأخذ الأكبر الميراث ، فنصيبه من الميراث طيب ، وهذا الذي يأخذه من نصيب غيره خبيث . وقال مجاهد : لا تتعجل الرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال ﴿ ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم ﴾ أي مع أموالكم كقولته تعالى (من أنصاري إلى الله) أي مع الله ﴿ إنه كان حوباً كبيراً ﴾ إثم عظيم

وقوله تعالى ﴿ وإن ختمت ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث

عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال : اخبرني عروة بن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) قالت : يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبها مالها وجمالها ، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فتهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا إليهن ، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق ، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن . قال عروة : قالت عائشة : وإن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فأنزل الله (ويستفتونك في النساء) قالت عائشة : وقول الله في الآية الأخرى (وترغبون أن تنكحوهن) رغبة أحدكم عن يتيمة إذا كانت قليلة المال والجمال ، فتهوا أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال ^(١) وقوله (مثنى وثلاث ورباع) أي انكحوا من شئتم من النساء سواهن إن شاء أحدكم ثنتين ، وإن شاء ثلاثا ، وإن شاء أربعاً ، كما قال الله تعالى (جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع) أي منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة ، ولا ينفي ما عدا ذلك في الملائكة للدلالة الدليل عليه ، بخلاف قصر الرجال على أربع ، فمن هذه الآية كما قال ابن عباس وجمهور العلماء ، لأن المقام مقام امتنان وإباحة فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره . قال الشافعي : وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة ، وهذا الذي قاله الشافعي يجمع عليه بين العلماء ، إلا ما حكي عن طائفة من الشيعة أنه

١٥ هذا السياق

الذي ذكره عن ابن
أبي حاتم هو بنصه في
صحيح البخاري من
حديث ابراهيم بن
سعد الخ السند

ورباع) اختلفوا في تأويلها فقال بعضهم : معناه إن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا فيهن إذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب مثنى وثلاث ورباع . أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال : كان عروة بن الزبير يحدث أنه سأل عائشة رضي الله عنها (وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء) قالت : هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة نساؤها ، فتهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن من النساء ، قالت عائشة رضي الله عنها : ثم استفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن) — الى قوله تعالى — (وترغبون أن تنكحوهن) فبين الله تعالى في هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال أو مال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها باكمال الصداق ، وإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها ولم يمسوا غيرها من النساء قال : فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها الأوفى من الصداق ويعطوها حقها . قال

يجوز الجمع بين أكثر من أربع إلى تسع . وقال بعضهم : بلا حصر . وقد يتمسك بعضهم بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمعه بين أكثر من أربع إلى تسع كما ثبت في الصحيح ، وإما إحدى عشرة كما قد جاء في بعض ألفاظ البخاري ، وقد علقه البخاري . وقد روينا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بخمس عشرة امرأة ، ودخل منهن بثلاث عشرة ، واجتمع عنده إحدى عشرة ، ومات عن تسع ، وهذا عند العلماء من خصائصه دون غيره من الأمة ، لما سنده من الأحاديث الدالة على الحصر في أربع ، ولندكر الأحاديث في ذلك :

قال الامام احمد حدثنا اسماعيل ومحمد بن جعفر قالا : حدثنا معمر بن الزهري ، قال ابن جعفر في حديثه : انبأنا ابن شهاب عن سالم عن ابيه ان غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحتة عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « اختر منهن أربعاً » فلما كان في عهد عمر طلق نساءه ، وقسم ماله بين بنيه ، فبلغ ذلك عمر فقال : إني لأظن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك فقدذه في نفسك ، ولعلك لا تأبث إلا قليلاً ، وإيم الله لتراجعن نساءك ولترجعن مالك أولاً ورهن منك ولا أمرن بقبرك فيرجم كما رجم قبر أبي رغال . وهكذا رواه الشافعي والترمذي وابن ماجه والدارقطني والبيهقي وغيرهم من طرق عن اسماعيل بن علية وغندر ويزيد بن زريع وسعيد بن أبي عروبة وسفيان الثوري وعيسى بن يونس وعبد الرحمن بن محمد المحاربي والفضل بن موسى وغيرهم من الحفاظ عن معمر بإسناده مثله الى قوله « اختر منهن أربعاً » وباقي الحديث في قصة عمر من افراد احمد ، وهي زيادة حسنة وهي مضعفة لما علل البخاري هذا الحديث فيما حكاه عنه الترمذي حيث قال بعد روايته له سمعت البخاري يقول : هذا الحديث غير محفوظ والصحيح ما روى شعيب وغيره عن الزهري حدثت عن الحسن :

كان الرجل من أهل الجاهلية ^(١) تكون عنده الأيتام ، وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه كراهية أن يدخل غريب فيشاركه في مالها ، ثم يميء بحبها ويتربص بها أن تموت ويرثها ، فعاب الله تعالى ذلك ، وأنزل الله هذه الآية . وقال عكرمة : كان الرجل من قریش يتزوج العشر من النساء والأكثر ، فإذا صار معدماً من مؤن نسائه مال الى مال يتيمة التي في حجره فأنفقها ، فقليل لهم : لا تزيدوا على أربع حتى لا يحوجكم الى أخذ أموال اليتامى ، وهذه رواية طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما . وقال بعضهم : كانوا يخرجون عن أموال اليتامى ويترخصون في النساء فيتزوجون ماشاؤا ، وربما عدلوا ، وربما لم يعدلوا ، فلما أنزل الله تعالى في أموال اليتامى وآوا اليتامى أموالهم أنزل هذه الآية (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) يقول : كما خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن ، فلا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام بحقوقهن ، لأن النساء في الضعف كاليتامى ، وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي ، ثم رخص في نكاح أربع فقال (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث

(١) في الخطية: المدينة

محمد بن ابي سويد بن الثقفى أن غيلان بن سلمة - فذكره . قال البخارى : وإنما حديث الزهري عن سالم عن ابيه ان رجلا من ثقيف طلق نساءه فقال له عمر : لتراجعن نساءك أو لأرجن قبرك كما رجم قبر ابي رغال ، وهذا التعليل فيه نظر والله أعلم - وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري مرسلًا وهكذا رواه مالك عن الزهري مرسلًا ، وقال ابو زرعة : هو أصح . وقال البيهقي ورواه عقيل عن الزهري : بلغنا عن عثمان بن محمد بن ابي سويد عن محمد بن يزيد . وقال ابو حاتم وهذا وهم إنما هو الزهري عن محمد بن ابي سويد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فذكره . قال البيهقي : ورواه يونس وابن عيينة عن الزهري عن محمد بن ابي سويد ، وهذا كما عله البخاري والاسناد الذي قدمناه من مسند الامام احمد رجاله ثقات على شرط الشيخين . ثم روي من غير طريق معمر بل والزهري . قال البيهقي : اخبرنا ابو عبد الله الحافظ حدثنا ابو عبيد الرحمن النسائي ويزيد بن عمر بن يزيد الجرمي اخبرنا يوسف بن عبيد الله حدثنا سرار بن مجشّر عن ايوب عن نافع وسالم عن ابن عمر أن غيلان بن سلمة كان عنده عشر نسوة فأسلم وأسلمن معه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعًا ، هكذا أخرجه النسائي في سننه . قال ابو علي ابن السكن : تفرد به سرار بن مجشّر وهو ثقة ، وكذا وثقه ابن معين قال ابو علي : وكذلك رواه السميع بن وهب عن سرار . قال البيهقي : وروينا من حديث قيس بن الحارث أو الحارث بن قيس وعروة بن مسعود الثقفي وصفوان بن امية يعني حديث غيلان بن سلمة فوجه الدلالة أنه لو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لسوغ له رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرهن في بقاء العشرة وقد أسلمن ، فلما أمره بامساك أربع وفراق سائرهن دلّ على أنه لا يجوز ورباع ، فان ختم ألا تعدلوا فواحدة (وقال مجاهد معناه : إن تخرجتم من ولاية اليتامى وأموالهم إيمانًا ، فكذلك تخرجوا من الزنا فانكحوا النساء الحلال نكاحًا طيبًا ، ثم بين لهم عددًا ، وكانوا يتزوجون ماشاؤا من غير عدد فتزل قوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) أي من طاب كقوله تعالى (والسما وما بناها) وقوله تعالى (قال فرعون : وما رب العالمين) والعرب تضع من وما كل واحدة موضع الأخرى كقوله تعالى (فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي رجلين) وطاب أي حلّ لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع معدولات عن اثنين وثلاث وأربع ، ولذلك لا يصرفن ، والواو بمعنى أول للتخير كقوله تعالى (أن تقوموا لله مثنى وفرادى) وقوله تعالى (أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع) وهذا إجماع أن أحداً من الأئمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة . وكانت الزيادة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم لا مشاركة معه لأحد من الأئمة فيها . وروي أن قيس بن الحارث كان تحت عثمان نسوة ، فلما نزلت هذه الآية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلق أربعًا ، وأمساك أربعًا » فجعل يقول للمرأة التي لم تلد يافلانة أدبري ، والتي قد ولدت يافلانة أقبلي . وروي أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وعنده عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « أمساك أربعًا وفارق سائرهن »

الجمع بين أكثر من أربع بحال ، فإذا كان هذا في الدوام ، ففي الاستثناف بطريق الأولى والأخرى ، والله سبحانه أعلم بالصواب

﴿ حديث آخر في ذلك ﴾ روى أبو داود وابن ماجه في سننهما من طريق محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن خميسة بن الشمردل وعند ابن ماجه بنت الشمردل ، وحكى أبو داود ان منهم من يقول الشمردل بالذال المعجمة عن قيس بن الحرث ، وعند أبي داود في رواية الحرث بن قيس أن عميرة الاسدي قال أسلمت وعندني ثمان نسوة فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « اختر منهن أربعاً » وهذا الاسناد حسن : وهذا الاختلاف لا يضر مثله لما للحديث من الشواهد

﴿ حديث آخر في ذلك ﴾ قال الشافعي في مسنده أخبرني من سمع ابن أبي الزناد يقول أخبرني عبد المجيد عن ابن سهل ^(١) بن عبد الرحمن عن عوف بن الحرث عن نوفل بن معاوية الديلي قال أسلمت وعندني خمس نسوة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « اختر أربعاً أيتهن شئت وفارق الأخرى » فعمدت الى أقدمهن حبة عجوز عاقر معي منذ ستين سنة فطلقتها . فهذه كلها شواهد لحديث غيلان كما قاله البيهقي . وقوله (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم) أي إن خفتم من تعداد النساء أن لا تعدلوا بينهن كما قال تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فمن خاف من ذلك فليقتصر على واحدة أو على الجوارى السراري فانه لا يجب قسم بينهن ، ولكن يستحب فمن فعل فحسن ومن لا فلا حرج ، وقوله (ذلك ادنى ألا تعولوا) قال بعضهم ذلك ادنى أن لا تكثر عيالكم قاله زيد بن أسلم وسفيان ابن عيينة والشافعي وهو مأخوذ من قوله تعالى (وإن خفتم عيلة) أي فقرأ (فسوف يغنيكم الله من فضله) إن شاء وقال الشاعر

« في الأزمية
فكان من

واذا جمع الحر بين أربع نسوة حرائر فانه يجوز ، فأما العبد فلا يجوز له أن ينكح أكثر من امرأتين عند أكثر أهل العلم لما أخبرنا عبد الوهاب بن احمد الخطيب ، انا عبد العزيز بن احمد الخلال ، انا ابو العباس الاصم ، انا الربيع ، انا الشافعي ، انا سفيان عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد الله بن عتبة ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : ينكح العبد امرأتين ويطلق تطليقتين ، وتعتد الأمة بحيضتين ، فان لم تكن تحيض فبشهرين أو شهر ونصف . وقال ربعة يجوز للعبد ان ينكح أربعة نسوة كالحر ﴿ فان خفتم ﴾ خشيتهم وقيل علمتم ﴿ ألا تعدلوا ﴾ بين الأزواج الأربع ﴿ فواحدة ﴾ أي فانكحوا واحدة ، وقرأ ابو جعفر فواحدة بالرفع ﴿ أو ما ملكت أيمانكم ﴾ يعني السراري لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم في الحرائر ولا قسم لهن ، ولا وقف في عددهن وذكر الأيمان بيان تقديره أو ما ملكتكم ، وقال بعض أهل المعاني أو ما ملكت أيمانكم أي ما ينفذ فيه أقسامكم جعله من يمين الحلف لا يمين الجارحة ﴿ ذلك ادنى ﴾ اقرب ﴿ أن لا تعولوا ﴾ أي لا تجوروا ولا تملوا يقال ميزان عائل أي جائر مائل هذا قول أكثر المفسرين ، وقال مجاهد أن

فما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل

وتقول العرب عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر : ولكن في هذا التفسير ههنا نظر ، فانه كما يخشى كثرة العائلة من تعداد الخرائر كذلك يخشى من تعداد السراري أيضاً والصحيح قول الجمهور (ذلك ادنى ألا تعولوا) أي لا تجوروا يقال عال في الحكم اذا قسطن وظلم وجار ، وقال أبو طالب في قصيدته المشهورة

بميزان قسط لا يخيس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل

وقال هشيم عن أبي اسحاق كتب عثمان بن عفان الى أهل الكوفة في شيء ، عاتبوه فيه : إني لست بميزان أعول . رواه ابن جرير وقد روى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن حبان في صحيحه من طريق عبد الرحمن بن أبي ابراهيم وخثيم حدثنا محمد بن شعيب عن عمرو بن محمد بن زيد عن عبد الله بن عمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم (ذلك ادنى ألا تعولوا) قال « لا تجوروا » قال ابن أبي حاتم قال أبي هذا خطأ والصحيح عن عائشة موقوف ، قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس وعائشة ومجاهد وعكرمة والحسن وأبي مالك وأبي رزين والنخعي والشعبي والضحاك وعطاء الخراساني وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان أنهم قالوا لا تملوا وقد استشهد عكرمة بيت أبي طالب الذي قدمناه ، ولكن ما أنشد كما هو المروي في السيرة وقد رواه ابن جرير ثم أنشده جيداً واختار ذلك . وقوله تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس النحلة المهر وقال محمد بن اسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة نحلة فريضة ، وقال

لاتصلوا ، وقال الفراء أن لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم وأصل العول المجاوزة ومنه عول الفرائض ، وقال الشافعي رحمه الله ان لا تتكثر عيالك ، وما قاله أحد إنما يقال أعال يعيل إعالة اذا كثر عياله ، وقال أبو حاتم كان الشافعي رضي الله عنه اعلم بلسان العرب منا فاعله لغة ويقال هي لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف ان لا تملوا وهي حجة لقول الشافعي رضوان الله عليه ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ قال الكلابي ومجاهد هذا الخطاب للأولياء وذلك ان ولي المرأة كان اذا تزوجها فان كانت معهم في العشرة لم يعطها من مهرها قليلاً ولا كثيراً ، وإن كان زوجها غريباً حملوها اليه على بعير ولم يعطوها من مهرها غير ذلك ، فتهام الله عن ذلك وأمرهم ان يدفعوا الحق الى أهلها ، قال الخضرى وكان أولياء النساء يعطي هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته ولا مهر بينهما فتهوا عن ذلك وأمروا بتسمية المهر في العتد . اخبرنا أبو الحسن السرخسي ، انا زاهر بن احمد ، انا أبو اسحاق الهاشمي انا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار . والشغار ان يزوج الرجل ابنته على ان يزوجه الآخر ابنته وليس بينهما صداق ، وقال الآخرون الخطاب الأزواج أمروا بإيتاء نسأهم الصداق وهذا أصح لأن الخطاب فيما قبل مع

مقاتل وقتادة وابن جريج نحلة أي فريضة زاد ابن جريج مساة وقال بن زبد النحلة في كلام العرب الواجب يقول: لا تنكحها إلا بشيء واجب لها ، وليس ينبغي لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينكح امرأة إلا بصدق واجب ، ولا ينبغي أن يكون تسمية الصداق كذباً بغير حق ، ومضمون كلامهم أن الرجل يجب عليه دفع الصداق إلى المرأة حتماً ، وأن يكون طيب النفس بذلك ، كما يمنح المنيحة ويعطي النحلة طيباً بها ، كذلك يجب أن يعطي المرأة صداقها طيباً بذلك ، فإن طابت هي له به بعد تسميته أو عن شيء منه فليأكله حلالاً طيباً ، ولهذا قال (فإن طابت لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن السدي عن يعقوب بن المغيرة بن شعبة عن علي قال : إذا اشتكى أحدكم شيئاً فليسأل امرأته ثلاثة دراهم أو نحو ذلك فليبتعه بها عسلأثم ليأخذ ماء السماء فيجمعه هنيئاً مريئاً شفاء مبارك . وقال هشيم عن سيار عن أبي صالح كان الرجل إذا زوج بنته أخذ صداقها دونها فنهأهم الله عز ذلك ونزل (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير . وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسماعيل الحميدي حدثنا وكيع عن سفيان بن عمار الخثعمي عن عبد الملك بن المغيرة الطائي عن عبد الرحمن بن مالك السلماني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) قالوا يا رسول الله فما العلائق بينهم قال « ماتراضى عليه أهلوه » وقد روى ابن مردويه عن طريق حجاج بن أرطاة عن عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن بن السلماني عن عمر بن الخطاب قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أنكحوا الأيامى ثلاثاً فقام إليه رجل فقال يا رسول الله فما العلائق بينهم ؟ قال « ماتراضى عليه أهلوه » ابن السلماني ضعيف ثم فيه انقطاع أيضاً

الناكحين والصدقات المهور واحداً صدقة (نحلة) قال قتادة فريضة ، وقال ابن جريج فريضة مساة ، قال أبو عبيدة ولا تكون النحلة إلا مساة معلومة . وقال الكلبي عطية وهبة ، وقال أبو عبيدة عن طب نفس ، وقال الزجاج تديناً ، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ، أنا محمد بن اسمعيل ، أنا عبد الله بن يوسف أخبرنا الليث ، حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحق الشروطان توفوا به ما استحلتم به الفروج » (فإن طابت لكم عن شيء منه نفساً) يعني فإن طابت نفوسهن بشيء من ذلك فوهبن منكم فنقل الفعل من النفوس إلى أصحابها فخرجت النفس مفسرة فلذلك وحد النفس كما قال الله تعالى (وضاق بهم ذرعاً وقرئ عينا) وقيل لفظها واحد ومعناها جمع (فكلوه هنيئاً مريئاً) سائغاً طيباً يقال هنيئاً هنيئاً الطعام يهنيئ بفتح النون في الماضي وكسرهما في الغابر وقيل الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينقصه شيء ، والمرى المحمود العاقبة التام المضم الذي لا يضر . قرأ أبو جعفر (هنيئاً مريئاً) بتشديد الياء فيهما من غير همزة ، وكذلك بري بربون ، وبرياً وكية : والاخرون يهزونها

ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا
لهم قولا معروفا (٤) واتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا
إليهم أموالهم ولا تأكلوها سواها وبداراً أذكركم. ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان
فقيراً فلأبداً كل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً (هـ)

ينهى سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياماً أي
تقوم بها معاشهم من التجارات وغيرها. ومن هنا يؤخذ الحجر على السفهاء وهم أقسام فتارة يكون
الحجر للصغير فإن الصغير مسلوب العبارة، وتارة يكون الحجر للعنود وتارة لسوء التصرف لنقص
العقل أو الدين وتارة للفلاس وهو ما إذا أحاطت الدون برجل وضاق ماله عن وفاء إذا سأل الغرماء
المالك الحجر عليه حجر عليه. وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم)
قال هم بنوك والنساء وكذا قال ابن مسعود والحكم بن عبيدة والحسن والضحاك هم النساء والصبيان
وقال سعيد بن جبير هم اليتامى. وقال مجاهد وعكرمة وقتادة هم النساء. وقال ابن أبي حاتم حدثنا
أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن
القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن النساء سفهاء إلا التي أطاعت قيمها»
ورواه ابن مردويه مطولاً. وقال ابن أبي حاتم ذكر عن مسلم بن إبراهيم حدثنا حرب بن شريح عن
معاوية بن قررة عن أبي هريرة (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) قال هم الخدم وهم شياطين الانس وقوله
قوله تعالى ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾ اختلفوا في هؤلاء السفهاء
فقال قوم هم النساء، وقال الضحاك: النساء من أسفه السفهاء، وقال مجاهد نهى الرجال أن يؤتوا
النساء أموالهم وهن سفهاء سواء كن أزواجاً أو بنات أو أمهات. وقال الآخرون: هم الأولاد،
قال الزهري يقول لا تعط ولدك السفية مالك الذي هو قيامك بعد الله تعالى فيفسده، وقال بعضهم
هم النساء والصبيان: وقال الحسن هي امرأتك السفية وابنتك السفية، وقال ابن عباس لا تعمد إلى
مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيها امرأتك وبنيتك فيكونوا هم الذين يقومون عليك،
ثم تنظر إلى مافي أيديهم ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم
قال الكلبي إذا علم الرجل أن امرأته سفية مفسدة وأن ولده سفية مفسد، فلا ينبغي له أن يسلط
واحداً منها على ماله فيفسده، وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته
إياه وأنفقه عليه حتى يبلغ، وإنما أضاف إلى الأولياء فقال أموالكم لأنهم قوامها ودررها والسفية
الذي لا يجوز لوليه أن يؤته ماله هو المستحق الحجر عليه وهو أن يكون مبدراً في ماله أو مبدساً في

(وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول: لا تعتمد إلى مالك وما خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو بنتك ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن امسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم من كسوتهم ومؤنتهم ورزقهم . وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن فراس عن الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى قال « ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم ، رجل له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل أعطى ماله سفياً وقد قال (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) ورجل كان له على رجل دين فلم يشده عليه » وقال مجاهد (وقولوا لهم قولاً معروفاً) يعني في البر والصلة * وهذه الآية الكريمة تضمنت الاحسان إلى العائلة ومن تحت الحجر بالفعل من الانفاق في الكساي والارزاق بالكلام الطيب وتحسين الاخلاق . وقوله تعالى (وابتلوا اليتامى) قال ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي ومقاتل أي اختبروهم (حتى اذا بلغوا النكاح) قال مجاهد يعني الحلم . قال الجمهور من العلماء البلوغ في الغلام تارة يكون بالحلم وهو أن يرى في منامه ما ينزل به الملائكة الدافق الذي يكون منه الولد . وفي سنن أبي داود عن علي قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يتم بعد احتلام ولا صمات يوم إلى الليل »

وفي الحديث الآخر عن عائشة وغيرها من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رفع القلم عن ثلاثة الصبي حتى يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق أو يستكمل خمس عشرة سنة » وأخذوا ذلك من الحديث الثابت في الصحيحين عن ابن عمر قال : عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يجزني ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس

دينه فقال حل ذكره (ولا تؤتوا السفهاء) أي الجهال بموضع الحق (أموالكم التي جعل الله لكم قياماً) قرأ نافع وابن عامر قوماً بلا ألف وقرأ الآخرون قياماً وأصله قواماً فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وهو ملاك الأمر وما يقوم به الأمر ، وأراد ههنا قوام عيشكم الذي تعيشون به . قال الضحاك به يقام الحج والجهاد وأعمال البر وبه فكذلك الرقاب من النار (وارزقوهم فيها) أي أطعموهم (واكسوهم) لمن يجب عليكم رزقه ومؤنته ، وإنما قال فيها ولم يقل منها لأنه أراد أنهم جعلوا لهم فيها رزقاً ، فإن الرزق من الله العطية من غير حد ، ومن العباد أجر موقت محدود (وقولوا لهم قولاً معروفاً) عدة جميلة . وقال عطاء اذا ربحت أعطيتك ، وإن غنمت ذلك فيه حظ وقيل هو الدعاء . وقال ابن زيد إن لم يكن ممن يجب عليك نفقته قتل له عاقاباً الله وإياك ، بارك الله فيك ، وقيل قولاً لنا تطيب به أنفسهم

قوله تعالى (وابتلوا اليتامى) الآية نزلت في ثابت بن رفاعه وفي عمه وذلك أن رفاعه توفي وترك ابنه ثابتاً وهو صغير فجاء عمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ان ابن أخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى أدفع اليه ماله فأنزله الله تعالى (وابتلوا اليتامى) أي اختبروهم في عقولهم

عشرة سنة فأجازني . فقال عمر بن عبد العزيز لما بلغه هذا الحديث أن هذا الفرق بين الصغير والكبير واختلفوا في نبات الشعر الحشن حول الفرج وهي الشعرة هل يدل على بلوغ أم لا على ثلاثة أقوال يفرق في الثالث بين صبيان المسلمين فلا يدل على ذلك لاحتمال المعالجة ، وبين صبيان أهل الذمة فيكون بلوغاً في حتمهم لأنه لا يتعجل بها إلى ضرب الجزية عليه فلا يعالجها والصحيح أنها بلوغ في الجميع لأن هذا أمر جبلي يستوي فيه الناس واحتمال المعالجة بعيد ، ثم قد دلت السنة على ذلك في الحديث الذي رواه الامام احمد عن عطية القرظي قال عرضنا على النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فأمر من ينظروا^(١) من أنبت قتل ومن لم ينبت خلي سبيله فكنت فيمن لم ينبت خلي سبيلي وقد أخرجه أهل السنن الأربعة بنحوه وقال الترمذي حسن صحيح وإنما كان كذلك لأن سعد بن معاذ كان قد حكم فيهم بقتل مقاتلة وسبي الذرية . وقال أبو عبيد في الغريب حدثنا ابن علية عن اسماعيل بن أمية عن محمد بن يحيى بن حبان عن عمران غلاماً ابتهر جارية في شعره فقال عمر انظروا اليه فلم يوجد أنبت فدرأ عنه الحد . قال أبو عبيد ابتهرها أي قذفها والابتهار أن يقول فعلت بها وهو كاذب . فان كان صادقاً فهو الابتيار قال الكيت في شعره

قبيح بمشلي نعت الفتاة إما ابتهاراً وإما ابتياراً

وقوله عز وجل (فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم) قال سعيد بن جبير يعني صلاحاً في دينهم وحفظاً لأموالهم . وكذا روي عن ابن عباس والحسن البصري وغير واحد من الأئمة وهكذا قال الفقهاء اذا

وأدياتهم وحفظهم أموالهم ﴿ حتى اذا بلغوا النكاح ﴾ أي مبلغ الرجال والنساء ﴿ فان آنستم ﴾ أبصرتم ﴿ منهم رشداً ﴾ قال المفسرون يعني عقلاً وصلاحاً في الدين ، وحفظاً للمال ، وعلماً بما يصلحه . وقال سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي لا يدفع اليه ماله وإن كان شيخاً حتى يؤنس منه رشده ، والابتلاء يختلف باختلاف أحوالهم ، فان كان ممن يتصرف في السوق فيدفع الولي اليه شيئاً يسيراً من المال وينظر في تصرفه ، وإن كان ممن لا يتصرف في السوق فيختبره في نفقة داره ، والاتفاق على عبيده واجرائه ، وتختبر المرأة في أمر بيتها ، وحفظ متاعها وغزلها واستغزائها ، فاذا رأى حسن تدبيره وتصرفه في الأمور مراراً يغلب على القلب رشده دفع المال اليه . واعلم أن الله تعالى علق زوال الحجر عن الصغير وجواز دفع المال اليه بشيئين بالبلوغ والرشد ، والرشد والبلوغ يكون بأحد أشياء . أربعة اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء ، واثنان يختصان بالنساء ، أحدهما السن والثاني الاحتلام ، أما السن فاذا استكمل المولود خمس عشر سنة حكم ببلوغه غلاماً كان أو جارية لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ، انا عبد العزيز بن احمد الخلال ، انا أبو العباس الاصم ، انا الربيع ، انا الشافعي ، أخبرنا سفيان بن عيينة عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردني ، ثم عرضت عليه عام الخندق

(١) في الأزهرية
عبد المجيد بن سهيل

بلغ غلام مصلحاً لدينه وماله انفك الحجر عنه فيسلم اليه ماله الذي تحت يد وليه . وقوله (ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا) ينهى تعالى عن أكل أموال اليتامى من غير حاجة ضرورية (إسرافاً وبداراً) أي مبادرة قبل بلوغهم . ثم قال تعالى (ومن كان غنيا فليستعفف) عنه ولا يأكل منه شيئاً . وقال الشعبي : هو عليه كالميتة والدم (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) قال ابن أبي حاتم حدثنا الأشج حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة (ومن كان غنيا فليستعفف) نزلت في مال اليتيم . وحدثنا الأشج وهرون بن اسحق قالا : حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام عن أبيه عن عائشة (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) نزلت في والي اليتيم الذي يقوم عليه ويصلحه إذا كان محتاجاً أن يأكل منه . وحدثنا أبي حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني حدثنا علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : أنزلت هذه الآية في والي اليتيم (ومن كان غنيا فليستعفف) ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف (بقدر قيامه عليه . ورواه البخاري عن اسحق بن عبد الله بن عمار عن هشام به . قال الفقهاء : له أن يأكل أقل الأمرين أجره مثله أو قدر حاجته . واختلفوا هل يرد إذا أيسر ؟ على قولين (أحدهما) لا لأنه أكل بأجرة عمله وكان فقيراً ، وهذا هو الصحيح عند أصحاب الشافعي ، لأن الآية أباحت الأكل من غير بدل . قال أحمد : حدثنا عبد الوهاب حدثنا حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس لي مال ولي يتيم ؟ فقال « كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذر ولا متأثل مالا ومن غير أن تقي مالك — أو قال — تفدي مالك بماله » شك حسين . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني ، قال نافع فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال : هذا فرق ما بين المقاتلة والذرية ، وكتب أن يفرض لابن خمس عشرة سنة في المقاتلة ومن لم يبلغها في الذرية وهذا قول أكبر أهل العلم . وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى : بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة ، وبلوغ الغلام باستكمال ثمان عشرة . وأما الاحتلام فنعني به نزول المني سواء كان بالاحتلام أو بالجماع أو غيرهما ، فإذا وجد ذلك بعد استكمال تسع سنين من أيهما كان حكمه ببلوغه لقوله تعالى (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ في الجزية حين بعثه إلى اليمن « خذ من كل حالم ديناراً » وأما الأنبات وهو نبات الشعر الحشن حول الفرج فهو بلوغ في أولاد المشركين « لما روي عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة فكانوا ينظرون ، فمن أنبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت ، وهل يكون ذلك بلوغاً في أولاد المسلمين ؟ فيه قولان أحدهما يكون بلوغاً كما في أولاد الكفار ، والثاني لا يكون بلوغاً لأنه يمكن الوقوف على مواليد المسلمين بالرجوع إلى آبائهم ، وفي الكفار لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل قول آبائهم فيه لكفرهم فجعل الأنبات الذي هو أمانة البلوغ بلوغاً في حقهم ، وأما ما يختص بالنساء فالحيض والحبل ، فإذا

قوله (ولا تأكلوها)
بإسراف وبدار

ابو سعيد الأشج حدثنا ابو خالد الأحمر حدثنا حسين المكتب عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن عندي يتيماً عنده مال وليس لي مال ^(١) آكل من ماله ؟ قال « كل بالمعروف غير مسرف » ورواه ابو داود والنسائي وابن ماجه من حديث حسين المعلم ^(٢) وروى ابن حبان في صحيحه وابن مردويه في تفسيره من حديث يعلى بن مهدي عن جعفر بن سليمان عن ابي عامر الخزاز عن عمرو بن دينار عن جابر أن رجلاً قال : يا رسول الله مما ^(٣) اضرب يتيمي ؟ قال « مما ^(٤) كنت ضارباً منه ، ولذلك غير واق مالك بماله ولا متأثلاً منه مالا » وقال ابن جرير : حدثنا الحسن بن يحيى أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد قل : جاء اعرابي إلى ابن عباس فقال : إن في حجري أيتماً ، وإن لهم ابلاً ولي ابل ، وأنا أمتح من ^(٥) ابلي فقراء فماذا يحل لي من ألباتها ؟ فقال : إن كنت تبغي ضالتها وتمنأ جرباها وتلوط حوضها ^(٦) وتسمى عليها ، فاشرب غير مضر بنسل ، ولا ناهك في الحلب . ورواه مالك في موطئه عن يحيى بن سعيد به . وبهذا القول وهو عدم أداء البذل يقول عطاء بن ابي رباح وعكرمة وابراهيم النخعي وعطية العوفي والحسن البصري

(والثاني) نعم لأن مال اليتيم على الحظر ، وإنما أبيع للحاجة فيرد بدله كأكل مال الغير المضطر

حاضت المرأة بعد استكمال تسع سنين يحكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت يحكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لأنها أقل مدة الحمل ، وأما الرشد فهو أن يكون مصلحاً في دينه وماله والصالح في الدين هو أن يكون مجتنباً عن الفواحش والمعاصي التي تسقط العدالة ، والصالح في المال هو أن لا يكون مبذراً والتبذير هو أن ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمداً دينوية ولا مثوبة أخروية ، أو لا يحسن التصرف فيها فيغيب في البيوع ، فإذا بلغ الصبي وهو مفسد في دينه وغير مصلح لماله دام الحجر عليه ولا يدفع اليه المال ولا ينفذ تصرفه . وعند أبي حنيفة رضي الله عنه اذا كان مصلحاً لماله زال الحجر عنه ، وإن كان مفسداً في دينه ، واذا كان مفسداً لماله قال لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمساً وعشرين سنة غير أن تصرفه يكون نافذاً قبله والقرآن حجة لمن استدام الحجر عليه لأن الله تعالى قال (حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشداً) « فادفعوا اليهم أموالهم » أمر بدفع المال اليهم بعد البلوغ وإيناس الرشد والفاسق لا يكون رشيداً ، وبعد بلوغه خمساً وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب أن لا يجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذه السن ، واذا بلغ وأنس منه الرشد زال الحجر عنه ودفع اليه المال رجالاً كان أو امرأة تزوج أو لم يتزوج ، وعند مالك رحمه الله تعالى ان كانت امرأة لا يدفع المال اليها ما لم تزوج فإذا تزوجت دفع اليها ولكن لا ينفذ تصرفها إلا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرب وإذا بلغ الصبي رشيداً وزال الحجر عنه ثم عاد سفهاً نظر فان عاد مبذراً لماله حجر عليه وإن عاد مفسداً في دينه فعلى وجهين (أحدهما) يعاد الحجر عليه كما يستدام الحجر عليه إذا

(١) في الازهرية
عندي شيء ما
(٢) حسين المعلم هو
حسين المكتب وهو
ابن ذكوان
(٣) فيها (فيما)
(٤) فيها « ما »

« ٥ » فيها : في
« ٦ » لاط الحوض
يلوطه كدوره مدرا
ومدره بمدرا طلاه
وطينه حتى لا يحف
والاول من اللياط
وهو الكس والجص
والثاني من المدر وهو
الطين

عند الحاجة . وقد قال ابن ابي الدنيا : حدثنا ابن خيثمة حدثنا وكيع عن سفيان واسرائيل عن ابي اسحق عن حارثة بن مضرب قال : قال عمر رضي الله عنه : اني انزلت نفسي من هذا المال منزلة والي اليتيم ، ان استغثت استغثت ، وان احتجت استقرضت ، فاذا أيسرت قضيت

﴿ طريق اخرى ﴾ قال سعيد بن منصور : حدثنا أبو الأحوص عن ابي اسحق عن البراء قال : قال لي عمر رضي الله عنه : إنما أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم ، إن احتجت أخذت منه ، فاذا أيسرت رددته ، وإن استغثت استغثت ، إسناد صحيح . وروى البيهقي عن ابن عباس نحو ذلك وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) يعني القرض . قال وروي عن عبيدة وأبي العالية وابي وائل وسعيد ابن جبير في احدى الروايات ومجاهد والضحاك والسدي نحو ذلك . وروي من طريق السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (فليأكل بالمعروف) قال يأكل بثلاث أصابع ، ثم قال حدثنا أحمد بن سنان حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) قال يأكل من ماله يقوت على نفسه حتى لا يحتاج الى مال اليتيم . قال وروي عن مجاهد وميمون بن مهران في احدى الروايات والحاكم نحو ذلك . وقال عامر الشعبي لا يأكل منه إلا أن

بلغ بهذه الصفة (والثاني) لا يعاد لأن حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء . وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى لا حرج على الحر العاقل البالغ بحال . والدليل على إثبات الحرج من اتفاق الصحابة رضي الله عنهم ماروي عن هشام بن عروة عن أبيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع أرضاً سبعة بستان ألف درهم فقال علي لا تبين عثمان فلا حرج عليك فأتى ابن جعفر الزبير فأعلمه بذلك فقال الزبير أنا شريكه ، فقال عثمان كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان ذلك اتفاقاً منهم على جواز الحرج حتى احتال الزبير في دفعه

قوله تعالى ﴿ ولا تأكلوها ﴾ يامعشر الأولياء ﴿ إسرافاً ﴾ بغير حق ﴿ وبداراً ﴾ أي مبادرة ﴿ أن يكبروا ﴾ وأن في محل النصب يعني لا تبادروا بكرهم ورشدهم حذر أن يبلغوا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم يسن ما يحل لهم من ماله فقال ﴿ ومن كان غنياً فليستعفف ﴾ أي ليمتنع من مال اليتيم فلا يرزؤه قليلاً ولا كثيراً والعفة الامتناع مما لا يحل ﴿ ومن كان فقيراً ﴾ محتاجاً إلى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعده ﴿ فليأكل بالمعروف ﴾ أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر السنجري أخبرنا الامام أبو سليمان الخطابي أخبرنا أبو بكر بن داسة التمار أخبرنا ابوداود السجستاني أخبرنا حميد بن مسعدة ان خالد بن الحارث حدثهم : أخبرنا حسين يعني المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اني لفقير وليس لي شيء ، ولي يتييم . فقال « كل من مال يتييمك غير مسرف ولا مبادر ولا متأثل » واختلفوا في انه هل يلزمه القضاء ، فذهب بعضهم إلى أنه يقضي إذا أيسر وهو

يضطر اليه كما يضطر الى الميتة فان أكل منه قضاء . رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن وهب حدثنا نافع ابن أبي نعيم القاري قال سألت يحيى بن سعيد الانصاري وربيعة عن قول الله تعالى (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) الآية . فقال ذلك في اليتيم إن كان فقيراً أنفق عليه بقدر فقره ولم يكن الولي منه شيء ، وهذا بعيد من السياق لأنه قال (ومن كان غنياً فليستعفف) يعني من الأولياء (ومن كان فقيراً) أي منهم (فليأكل بالمعروف) أي باثني هي أحسن كما قال في الآية الأخرى (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده) أي لا تقربوه إلا مصاحين له ، فان احتجتم اليه أكتم منه بالمعروف وقوله (فاذا دفعتم اليهم أموالهم) يعني بعد بلوغهم الحلم وإيناسهم الرشد منهم فحينئذ سلموا اليهم أموالهم (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) وهذا أمر من الله تعالى للأولياء أن يشهدوا على الأيتام اذا بلغوا الحلم وسلموا اليهم أموالهم لئلا يقع من بعضهم جحود وانكار لما قبضه وتسلمه ثم قال (وكفى بالله حسيباً) أي وكفى بالله محاسباً وشاهداً ورقياً على الأولياء في حال نظرهم للأيتام وحال تسليمهم لأموالهم هل هي كاملة موفرة أو منقوصة مبخوسة مروج حسابها مدلس أمورها؟ الله عالم بذلك كله . ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيماً»

المراد من قوله (فليأكل بالمعروف) فالمعروف القرض أي يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا أيسر قضاء وهو قول مجاهد وسعيد بن جبیر . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني أنزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف ، فاذا أيسرت قصيت . وقال الشعبي لا يأكله الا أن يضطر اليه كما يضطر الى الميتة . وقال قوم لا قضاء عليه ثم اختلفوا في كيفية هذا الأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل بأطراف أصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه وقال النخعي لا يلبس الكتان ولا الحلال ولكن ماسد الجوعة وواري العورة . وقال الحسن وجماعة يأكل من تمر نخيله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه . فأما الذهب والفضة فلا ، فان أخذ شيئاً منه فعليه رده . وقال الكاكي : المعروف ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له أن يأكل من ماله شيئاً . أخبرنا أبو اسحق السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال سمعت القاسم بن محمد يقول : جاء رجل الي ابن عباس رضي الله عنهما فقال ان لي يتاماً وان له ابلاً فأشرب من لبن ابله ؟ فقال ان كنت تبغي ضالة ابله وتمنأ جرباها وتلو طحوضها وتسقيها يوم ورودها فأشرب غير مضر بنسل ولاناهاك في الحلب . وقال بعضهم والمعروف أن يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عائشة وجماعة من أهل العلم (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) هذا أمر ارشاد وليس بواجب (١) أمر الولي بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد ما بلغ التزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة (وكفى بالله حسيباً) محاسباً ومجازياً وشاهداً

«١» لكن المالكية أخذوا منه أن راءة الذمة من هذا المال وأمثاله من الامانات انما تثبت بالاشهاد لا بقول صاحب اليد وهذا أحوط وأضبط للامعالمات

للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً (٧) وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارتزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً (٨) وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعفاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً (٩) إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيهملون سميراً (١٠)

قال سعيد بن جبير وقتادة كان المشركون يجعلون المال للرجال الكبار ولا يورثون النساء ولا الأطفال شيئاً فأنزل الله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) الآية أي الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى يستوون في أصل الورثة وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم بما يديله إلى الميت من قرابة، أو زوجية، أو ولاء، فانه لحمة كلحمة النسب. وروى ابن مردويه عن طريق ابن هراسة عن سفيان الثوري عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن جابر قال. أتت أم كجعة^(١) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن لي ابنتين قد مات أبوهما وليس لهما شيء، فأنزل الله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) الآية وسيأتي هذا الحديث عند آتي الميراث بسياق آخر والله أعلم وقوله (وإذا حضر القسمة) الآية. قيل المراد وإذا حضر قسمة الميراث ذو القربى من ليس بوارث (واليتامى والمساكين) فليرضخ لهم من التركة نصيب، وإن ذلك كان واجباً في ابتداء الإسلام وقيل يستحب واختلفوا هل هو منسوخ أم لا على قولين. فقال البخاري حدثنا أحمد بن حنبل أخبرنا عبدالله الأشجعي عن سفيان عن الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس في الآية قال هي محكمة وليست

(١) بالجم وفي
النسخة المطبوعة أم
الحر. وهو غلط

قوله تعالى ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾ الآية نزلت في أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك امرأة يقال لها أم كجعة وثلاث بنات لهن منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصيها سويد وعرجة فأخذوا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار وإن كان الصغار ذكر أو أنما كانوا يورثون الرجال ويقولون: لا نعطي إلا من قاتل وحاز الغنيمة. فجاءت أم كجعة فقالت يا رسول الله إن أوس بن ثابت مات وترك عليّ ثلاث بنات وأنا امرأته وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالاً حسناً وهو عند سويد وعرجة ولم يعطياي ولا بناتي شيئاً وهن في حجرني لا يطعمن ولا يسهن. فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدواً. فأنزل الله عز وجل (للرجال) يعني للذكور من أولاد الميت وأقربائه (نصيب) حظ (مما ترك الوالدان والأقربون) من الميراث ﴿والنساء﴾ وللإناث منهم

بمنسوخة. تابعه سعيد عن ابن عباس . وقال ابن جرير حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال هي تأتمة يعمل بها ، وقال الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في هذه الآية . قال هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم وهكذا روي عن ابن مسعود وأبي موسى وعبد الرحمن بن أبي بكر وأبي العالية والشعبي والحسن . وقال ابن سيرين وسعيد بن جبير ومكحول وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح والزهري ويحيى بن يعمر إنها واجبة ، وروى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن اسماعيل بن علية عن نوس بن عبيد عن ابن سيرين قال ولي عبيدة وصية فأمر بشاة فذبحت فاطعم أصحاب هذه الآية . فقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالي ، وقال مالك فيما يروى عنه في التفسير من جزء مجموع عن الزهري أن عروة أعطى من مال مصعب حين قسم ماله ، وقال الزهري هي محكمة . وقال مالك عن عبد الكريم عن مجاهد قال هي حق واجب ما طابت به الأنفس

(ذكر من ذهب الى أن ذلك أمر بالوصية لهم) قال عبد الرزاق أخبرنا بن جريج أخبرني ابن أبي مليكة أن أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والقاسم بن محمد أخبراه أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم ميراث أبيه عبد الرحمن وعائشة حية فلم يدع في الدار مسكناً ولا ذاقراً إلا أعطاه من ميراث أبيه ، قالوا وتلا (وإذا حضر القسمة أولو القربى) قال القاسم فذكرت ذلك لابن عباس فقال : ما أصاب ليس ذلك له إنما ذلك إلى الوصية وإنما هذه الآية في الوصية يريد الميراث يوصي لهم . رواه ابن أبي حاتم

(ذكر من قال إن هذه الآية منسوخة بالكافة) قال شفيان الثوري عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (وإذا حضر القسمة) قال منسوخة . قال اسماعيل بن مسلم المكي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال في هذه الآية (وإذا حضر القسمة أولو القربى) نسختها الآية التي بعدها (يوصيكم الله في أولادكم) وروى العوفي عن ابن عباس في هذه الآية (وإذا حضر القسمة أولو القربى) كان ذلك قبل

﴿ نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه ﴾ أي من المال ﴿ أو كثر نصيباً مفروضاً ﴾ نصب على القطع وقيل جعل ذلك نصيباً فأثبت لمن الميراث ولم يبين كم هو فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سويد وعرجة « لا تفرقا من مال أوس بن ثابت شيئا فإن الله تعالى جعل لبناته نصيباً مما ترك ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل فيهن » فأنزل الله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم) فلما نزلت أرسل رسول الله إلى سويد وعرجة أن ادفعا إلى أم كجة الثمن وإلى بناته الثلثين ولكما بقي المال

قوله تعالى ﴿ وإذا حضر القسمة ﴾ يعني قسمة الموارث ﴿ أولو القربى ﴾ الذين لا يرثون ﴿ واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ﴾ أي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة ﴿ وقولوا لهم قولا معروفا ﴾ اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هي منسوخة وقال سعيد بن جبير والضحاك كانت هذه قبل

أن تنزل 'فرائض' فأنزل الله بعد ذلك الفرائض فأعطى كل ذي حق حقه فجعلت الصدقة فيما سمي المتوفى رواه ابن مردويه. وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس في قوله وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين نسختها آية الميراث فجعل لكل إنسان نصيبه مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر وحدثنا أسيد بن عاصم حدثنا سعيد بن عامر عن همام حدثنا قتادة عن سعيد بن المسيب أنه قال إنها منسوخة قبل الفرائض كان ماترك الرجل من مال أعطي منه اليتيم والفقير والمساكين وذو القربى إذا حضروا القسمة، ثم نسختها الموارث فألحق الله بكل ذي حق حقه وصارت الوصية من ماله يوصي بها لذوي قرابته حيث شاء. وقال مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب هي منسوخة نسختها الموارث والوصية. وهكذا روي عن عكرمة وأبي الشعثاء والقاسم بن محمد وأبي صالح وأبي مالك وزيد بن أسلم والضحاك وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وربيعة بن أبي عبد الرحمن أنهم قالوا إنها منسوخة وهذا مذهب جمهور الفقهاء والأئمة الأربعة وأصحابهم، وقد اختار ابن جرير ههنا قولاً غريباً جداً وحاصله أن معنى الآية عنده: وإذا حضر القسمة - أي وإذا حضر قسمة مال الوصية أولو قرابة الميت فازرقوهم منه وقولوا لليتامى والمساكين إذا حضروا (قولاً معروفاً) هذا معنى ما حاول به بعد طول العبارة والتكرار وفيه نظر والله أعلم. وقال العوفي عن ابن عباس (وإذا حضر القسمة) هي قسمة الميراث وهكذا قال غير واحد والمعنى على هذا لا على ما سلكه ابن جرير رحمه الله بل المعنى أنه إذا حضر هؤلاء الفقراء من القرابة الذين لا يرثون واليتامى والمساكين قسمة مال جزيل فإن أنفسهم تنوق إلى شيء منه إذا رأوا هذا يأخذ وهذا يأخذوهم يأتسون لاشيء يعطونه فأمر الله تعالى وهو الرؤف الرحيم أن يرضخ لهم شيء من الوسط يكون برأ بهم، وصدقة عليهم، وإحساناً إليهم، وجبراً لكسرهم. كما قال الله تعالى (كلوا من ثمره إذا أثمر، وآتوا حقه يوم حصاده) وذم الذين

آية الميراث فجعلت الموارث لأهلها ونسخت هذه الآية. وقال الآخرون هي محكمة وهو قول ابن عباس والشعبي والنخعي والزهري، وقال مجاهد هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم وقال الحسن: كانوا يعطون التابوت والأواني وورث الثياب والمتاع والشيء الذي يستحي من قسمته وإن كان بعض الورثة طفلاً فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: إن كانت الورثة كباراً رضخوا لهم، وإن كانت صغاراً اعتذروا إليهم فيقول الولي والوصي إني لا أملك هذا المال إنما هو للصغار ولو كان لي منه شيء لأعطيتكم، وإن يكبروا فسيعرفون حقوقكم. هذا هو القول المعروف وقال بعضهم: ذلك حق واجب في أموال الصغار والكبار، فإن كانوا كباراً تولوا إعطائهم، وإن كانوا صغاراً أعطى ولهم. روى محمد بن سيرين أن عبيدة السلماني قسم أموال أيتام فأمر بشاة فذبحت فصنع طعاماً لأجل هذه الآية وقال: لولا هذه الآية لكان هذا من مالي. وقال قتادة عن يحيى بن

ينقلون المال خفية خفية أن يطلع عليهم المحاييج وذو الفاقة كما أخبر به عن أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصر منها مصبحين أي بليل. وقال (فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ، فمن جحد حق الله عليه عاقبه في أعز ما يملكه ، ولهذا جاء في الحديث « ما خالطت الصدقة مالا إلا أفسدته » أي منعها يكون سبب محق ذلك المال بالكلية

وقوله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم) الآية . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هذا في الرجل يحضره الموت ، فيسمعه رجل يوصي بوصية تضر بورثته فأمر الله تعالى الذي يسمعه أن يقي الله ويوقفه ويسدده للصواب ، فينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع بورثته إذا خشي عليهم الضيعة ، وهكذا قال مجاهد وغير واحد — وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل على سعد بن أبي وقاص يعوده قال : يا رسول الله اني ذو مال ولا يرثني الا ابنة ، أفأصدق بثلثي مالي ، قال « لا » قال : فالشطر قال « لا » قال فالثلث قال « الثلث ، والثلث كثير » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » وفي الصحيح عن ابن عباس قال : لو أن الناس غضوا من الثلث الى الربع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الثلث ، والثلث كثير » قال الفقهاء : ان كان ورثة الميت أغنياء استحب للميت أن يستوفي في وصيته الثلث ، وان كانوا فقراء استحب أن ينقص الثلث . وقيل : المراد بالآية فليستوا الله في مباشرة أموال اليتامى (ولا يأكلوها اسرافاً وبداراً) حكاه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس ، وهو قول حسن يتأيد بما بعده من التهديد في أكل أموال اليتامى ظلماً أي كما تحب أن تعامل ذريتك من بعدك ، فعامل الناس في ذرايبهم اذا وليتهم ، ثم أعلمهم أن من أكل أموال اليتامى ظلماً فانما يأكل في بطنه ناراً ، ولهذا قال (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) أي اذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب فانما يأكلون ناراً تتأجج معهم : ثلاث آيات محكمات مدنيات تركن الناس هذه الآية وآية الاستئذان (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) الآية وقوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) الآية . وقال بعضهم — وهو أولى الأقاويل — إن هذا على التدب والاستحباب لا على الحتم والایجاب قوله تعالى ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً ﴾ أولاداً صغاراً ﴿ خافوا عليهم ﴾ الفقر ، هذا في الرجل يحضره الموت فيقول من يحضرته : انظر لنفسك فان أولادك وورثتك لا يغفون عنك شيئاً ، قدّم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلاناً كذا وفلاناً كذا حتى يأتي على عامة ماله فتهام الله تعالى عن ذلك وأمرهم أن يأمرؤده أن ينظر لولده ولا يزيد في وصيته على الثلث ولا يحجف بورثته كما لو كان هذا القائل هو الموصي لسره أن يحته من يحضرته على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم . وقال السكابي هذا الخطاب لولادة اليتامى . يقول من كان في حجره يتيم فليحسن

في بطونهم يوم القيامة — وفي الصحيحين من حديث سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن سالم أبي الغيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اجتنبوا السبع الموبقات» — قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال — الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله الألبان، وأكل الربوا، وكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عبيدة أخبرنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي حدثنا أبو هارون العبدى^(١) عن أبي سعيد الخدري قال قلنا يا رسول الله ما رأيت ليلة أسري بك؟ قال «انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير: رجال كل رجل منهم له مشفر كمشفر البعير، وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء أحدهم، ثم يجاء بصخرة من نار فتقذف في في أحدهم حتى يخرج من أسفله ولهم جوار وصراخ، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً» وقال السدي: يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه يعرفه كل من رآه بأكل مال اليتيم. وقال ابن مردويه: حدثنا اسحق بن إبراهيم بن زيد حدثنا أحمد بن عمرو حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا يونس بن بكير حدثنا زياد بن المنذر عن نافع بن الحارث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يبعث يوم القيامة القوم من قبورهم تأجج أفواههم ناراً» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال «الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً» الآية، رواه ابن أبي حاتم عن أبي زرعة عن عقبة بن مكرم، وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أحمد بن علي بن المثنى عن عقبة بن مكرم. قال ابن مردويه: حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عامر العبدى حدثنا عبد الله بن جعفر الزهري عن عثمان بن محمد عن المنبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أخرج مال الضعيفين المرأة واليتيم» أي أوصيكم باجتنب ما لها، وتقدم في سورة البقرة من طريق عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) الآية إليه وليأت في حقه ما يحب أن يفعل بذريته من بعده. قوله تعالى ﴿فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾ أي عدلاً والسديد العدل والصواب من القول وهو أن يأمره بأن يتصدق بما دون الثلث ويخلف الباقي لورثته قوله تعالى ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾ قال مقاتل بن حيان نزلت في رجل من بني غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال أخيه وهو يتيم صغير فأنزل الله تعالى فيه (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) أي حراماً بغير حق ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾ أخبر عن ماله أي عاقبته تكون كذلك ﴿وسيصلون سعيراً﴾ قراءة العامة بفتح الياء أي يدخلونه يقال صلي النار يصلاها صلياً وصلاً قال الله تعالى (إلا من هو صال الجحيم) وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الياء أي يدخلون النار ويحرقون. نظيره قوله تعالى (فسوف نصليه ناراً) سألصليه سقر) وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم «رأيت ليلة أسري بي قوماً لهم مشافر كشافر الأبل أحدهما قالصة على منخره

(١) اسمه عمارة

ابن جوبن بالصغير
تركوه ومنهم من كذبه
(تقريب التهذيب)

انطلق من كان عنده يتييم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله أو يفسد ، فاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير) الآية فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم

يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ، فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلث ما ترك ، وإن كانت واحدة فلها النصف ، ولا يوريه لسكر واحد منها السدس مما ترك إن كان له ولد ، فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ، فإن كان له أخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين ، آبأؤكم وبناءكم ، لا تدرون أيهم أقرب

لكم نفعاً ، فريضة من الله ، إن الله كان عليماً حكيماً (١١)

هذه الآية الكريمة والتي بعدها والآية التي هي خاتمة هذه السورة هن آيات علم الفرائض ، وهو مستنبط من هذه الآيات الثلاث ، ومن الأحاديث الواردة في ذلك مما هو كالتفسير لذلك . ولندكر منها ما هو متعلق بتفسير ذلك . وأما تقرير المسائل ونصب الخلاف والأدلة والحجج بين الأئمة ، فوضعه كتب^(١) الأحكام والله المستعان . وقد ورد الترغيب في تعلم فرائض وهذه الفرائض الخاصة من أهم ذلك روى أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي عن عبد الرحمن والأخرى على بطنه وخزنة النار يلتمونهم جمر جهنم وصخرها فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً

قوله تعالى ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ الآية اعلم أن الورثة كانت في الجاهلية بالذكورة والقوة فكانوا يرثون الرجال دون النساء والصبيان فأبطل الله ذلك بقوله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) الآية . وكانت أيضاً في الجاهلية وابتداء الاسلام بالمخالفة ، قال الله تعالى (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) ثم صارت الورثة بالمهجرة ، قال الله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) فنسخ ذلك كله ، وصارت الورثة بأحد الأمور الثلاثة بالنسب والنكاح أو الولاء والمعنى بالنسب أن القرابة يرث بعضهم من بعض لقوله تعالى (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) والمعنى بالنكاح أن أحد الزوجين يرث صاحبه وبالولاء أن المعتق وعصباته يرثون المعتق فنذكر بعون الله تعان فصلاً وجيزاً في بيان من يرث من الأقارب وكيفية توريث الورثة فنقول : إذا مات ميت وله مال فيبدأ بتجهيزه ثم بقضاء ديونه ثم بانفاذ وصاياه ، فما فضل يقسم بين الورثة على ثلاثة أقسام منهم من يرث بالفرض ومنهم

(١) في الازمرية
كتاب الاحكام يعني
كتابه هو

(١) زائدة في الأزهرية

ابن رافع التنوخي عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً « العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل، آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة ». وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعلموا الفرائض وعلموه الناس »^(١) فانه نصف العلم، وهو ينسى، وهو أول شيء ينزع من أمتي » رواه ابن ماجه وفي إسناده ضعف. وقد روي من حديث ابن مسعود وأبي سعيد، وفي كل منهما نظر. قال ابن عيينة: إنما سمى الفرائض نصف العلم لأنه يبتلي به الناس كلهم. وقال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني ابن المنكدر عن جابر ابن عبد الله قال: عادي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في بني سلمة ماشيين فوجدني النبي صلى الله عليه وسلم لا أعقل شيئاً، فدعا بما فتوا منه ثم رش علي فأفقت فقلت: ماتاً أمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت (يوصيكم الله في أولادكم للذكر حظ الأنثيين) وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج به، ورواه الجماعة كلهم من حديث سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر

﴿ حديث آخر عن جابر في سبب نزول الآية ﴾ قال احمد: حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبيد الله هو ابن عمرو الرقي عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا، ولا ينكحان إلا ولهما مال، قال: فقال « يقضي الله في ذلك » فنزلت آية الميراث، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال:

من يرث بالتعصيب، ومنهم من يرث بهما جميعاً، فمن يرث بالنكاح لا يرث إلا بالفرض، ومن يرث بالولاء لا يرث إلا بالتعصيب، فأما من يرث بالقرابة فمنهم من يرث بالفرض كالبنات والاخوات والأهبات والجدات وأولاد الأم، ومنهم من يرث بالتعصيب كالبنين والاخوة وبني الاخوة وبني الاعمام وبنيتهم، ومن يرث بهما كالأب يرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد، فان كان للميت ابن فيرث الأب بالفرض السدس، وإن كان للميت بنت فيرث الأب السدس بالفرض، ويأخذ الباقي بعد نصيب البنت بالتعصيب، وكذلك الجد. وصاحب التعصيب من يأخذ جميع المال عند الانفراد ويأخذ ما فضل عن أصحاب الفرائض، وجملة الورثة سبعة عشر، عشرة من الرجال وسبع من النساء، فمن الرجال الابن وابن الابن وإن سفل، والأب والجد أبو الأب وإن علا، والأخ سواء كان لأب وأم، أو لأب أو لأم، وابن الأخ للاب والام أو للأب وإن سفل، والعم للأب والام أو للاب وأبناؤهما وإن سفلوا والزوج ومولى العتاق. ومن النساء البنت وبنت الابن وإن سفلت والجدة أم الام وأم الأب، والاخت سواء كانت لأب وأم، أو لأب أو لأم، والزوجة ومولاة العتاق. وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير الابوان والولدان والزوجان لأنه ليس بينهم وبين

أعط ابنتي سعد الثلثين ، وأمهما الثمن ، وما بقي فهو لك » وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن محمد بن عقيل به ، قال الترمذي : ولا يعرف إلا من حديثه . والظاهر أن حديث جابر الأول إنما نزل بسببه الآية الأخيرة من هذه السورة كما سيأتي ، فانه إنما كان له إذ ذاك أخوات ، ولم يكن له بنات ، وإنما كان يورث كلالته ، ولكن ذكرنا الحديث ههنا تبعاً للبخاري فانه ذكره ههنا ، والحديث الثاني عن جابر أشبه بنزول هذه الآية والله أعلم

ف قوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) أي يأمركم بالعدل فيهم ، فان أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث ، فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل الميراث ، وفوت بين الصنفين ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤنة النفقة والكلفة^(١) ومعاناة التجارة والتكسب وتحمل المشاق ، فناسب أن يعطى ضعف ما تأخذه الأنثى . وقد استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) أنه تعالى أرحم بخلقته من الوالدة بولدها ، حيث أوصى الوالدين بأولادهم ، فعلم أنه أرحم بهم منهم كما جاء في الحديث الصحيح وقد رأى امرأة من السبي ففرق بينها وبين ولدها ، فجعلت تدور على ولدها ، فلما وجدته من السبي أخذته فألصقته بصدرها وأرضعته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « أترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر على ذلك » ؟ قالوا : لا يا رسول الله قال « فوالله الله أرحم بعباده من هذه بولدها » وقال البخاري ههنا : حدثنا محمد بن يوسف عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس قال : كان المال للولد ، وكانت الوصية للوالدين ، فنسخ الله من ذلك

(١) « الأولى أن يقال انه أعطى الرجل ذلك لانه مكلف أن يتفق على نفسه وعلى زوجته . وأما الاشئ فان زوجها يتفق عليها ، والزواج هو الغالب فكانت المراعاة للأنثى أتم وأقوى

الميت واسطة ، والأسباب التي توجب حرمان الميراث أربعة اختلاف الدين ، والرق ، والقتل ، وعمي الموت ، ونهني باختلاف الدين أن الكافر لا يرث المسلم والمسلم لا يرث الكافر لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أخبرنا الشافعي أنا ابن عيينة عن الزهري عن علي بن حسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » فأما الكفار فيرث بعضهم من بعض مع اختلاف ملابهم لأن الكفر كله ملة واحدة لقوله تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) وذهب بعضهم إلى أن اختلاف الملل في الكفر يمنع التوارث حتى لا يرث اليهودي النصراني ولا النصراني المجوسي ، واليه ذهب الزهري والأوزاعي وأحمد وإسحق لقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا يتوارث أهل ملتين شتى » وتأوله الآخرون على الإسلام مع الكفر وأما الكفر فكله ملة واحدة فتورث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين أهل ملتين شتى ، والريق لا يرث أحداً ولا يرثه أحد لأنه لا ملك له لافرق فيه بين القن والمدبر والمكاتب وأم الولد . والقتل يمنع الميراث عمداً كان أو خطأ لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ما أحب جعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثالث ، وجعل للزوجة الثمن والرابع ، وللزوج الشطر والرابع — وقال العوفي عن ابن عباس (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وذلك أنه لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والأنثى والأبوين كرهها الناس أو بعضهم وقالوا : تعطى المرأة الربع أو الثمن ، وتعطى الابنة النصف ، وتعطى الغلام الصغير ، وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ، ولا يحوز الغنيمة ، اسكتوا عن هذا الحديث لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينساه ، أو تقول له فيغير ، فقالوا : يا رسول الله أعطى الجارية نصف ما ترك أبوها ، وليست تركب الفرس ، ولا تقاتل القوم ، ويعطى الصبي الميراث وليس يغني شيئاً ، وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية ، لا يبطون الميراث إلا لمن قاتل القوم ، ويعطونه الأكبر فالأكبر ، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير أيضاً — وقوله (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) قال بعض الناس : قوله فوق زائدة ، وتقديره فإن كن نساء اثنتين كما في قوله (فاضربوا فوق الأعناق) وهذا غير مسلم لا هنا ولا هناك ، فإنه ليس في القرآن شيء زائد لا فائدة فيه ، وهذا ممتنع . ثم قوله (فلهن ثلثا ما ترك) لو كان المراد ما قاله لقال فلهما ثلثا ما ترك ، وإنما استفيد كون الثلثين للبنتين من حكم الأختين في الآية الأخيرة ، فإنه تعالى حكم فيها للأختين بالثلثين ، وإذا ورث الاختان الثلثين ، فلأن يرث البنتان الثلثين بالطريق الأولى . وقد تقدم في حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم لابنتي سعد بن الربيع بالثلثين ، فدل الكتاب والسنة على ذلك ، وأيضاً فإنه قال (وإن كانت واحدة فلها النصف) فلو كان للبنتين النصف لنص

أنه قال « القاتل لا يرث ونعني بعمي الموت أن المتوارثين إذا عمي موتهما بأن غرقا في ماء أو انهدم عليهما بناء فلم يدرأيهما سبق موته فلا يورث أحدهما من الآخر ، بل ميراث كل واحد منهما لمن كان حياته يقيناً بعد موته من ورثته

والسهام المحدودة في الفرائض ستة : النصف والرابع والثمن والثلثان والثلث والسدس . فالنصف فرض خمسة ، فرض الزوج عند عدم الولد ، وفرض البنت الواحدة للصلب أو لبنت الابن عند عدم ولد الصلب ، وفرض الأخت الواحدة للأب والأم أو للأب إذا لم يكن وللأب وأم . والرابع فرض اثنين : فرض الزوج إذا كان للميت ولد وفرض الزوجة إذا لم يكن للميت ولد . والثمن فرض الزوجة إذا كان للميت ولد . والثلثان فرض البنتين للصلب فصاعداً ولبنتي الابن فصاعداً عند عدم ولد الصلب وفرض الأختين لأب وأم أو للأب فصاعداً . والثلث فرض ثلاثة : فرض الأم إذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الأخوة والأخوات إلا في مستلتي (أحدهما) زوج وأبوان (والثانية) زوجة وأبوان فإن للأم فيهما ثلث ما بقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة ، وفرض الاثنين فصاعداً من أولاد الأم ذكرهم وأنثاهم فيه سواء ، وفرض الجد مع الأخوة إذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض وكان الثلث خيراً

عليه أيضاً ، فلما حكم به للواحدة على انفرادها دلّ على أن البنيتين في حكم الثلاث والله أعلم - وقوله تعالى (ولأبويه لكل واحد منهما السدس) الى آخره ، الأبوان لها في الارث أحوال (أحدهما) أن يجتمعا مع الأولاد فيفرض لكل واحد منهما السدس ، فإن لم يكن للميت إلا بنت واحدة ، فرض لها النصف ، وللأبوين لكل واحد منهما السدس ، وأخذ الأب السدس الآخر بالتعصيب ، فيجمع له والحالة هذه بين الفرض والتعصيب (المال الثاني) أن ينفذ الأبوان بالميراث ، فيفرض للأم الثلث والمالة هذه ، ويأخذ الأب الباقي بالتعصيب المحض ، فيكون قد أخذ ضعف ما حصل للأم وهو الثلثان ، فلو كان معها زوج أو زوجة أخذ الزوج النصف ، والزوجة الربع . ثم اختلف العلماء ماذا تأخذ الأم بعد ذلك ؟ على ثلاثة أقوال :

(أحدها) أنها تأخذ ثلث الباقي في المسئلتين ، لأن الباقي كأنه جميع الميراث بالنسبة اليهما ، وقد جعل الله لها نصف ما جعل للأب ، فتأخذ ثلث الباقي ، ويأخذ الأب الباقي ثلثيه ، هذا قول عمر وعثمان ، وأصح الروايتين عن علي ، وبه يقول ابن مسعود وزيد بن ثابت ، وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجهور العلماء

(والثاني) أنها تأخذ ثلث جميع المال لعموم قوله (فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلائمه الثلث) فإن الآية أعم من أن يكون معها زوج أو زوجة أولاً ، وهو قول ابن عباس . وروي عن علي ومعاذ ابن جبل نحوه . وبه يقول شريح وداود الظاهري . واختاره أبو الحسين محمد بن عبد الله بن اللبان البصري في

للجد من المقاسمة مع الاخوة ، وأما السدس ففرض سبعة : فرض الأب إذا كان للميت ولد ، وفرض الأم إذا كان للميت ولد واثنان من الاخوة والاخوات ، وفرض الجد إذا كان للميت ولد ومع الاخوة والاخوات إذا كان في المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيراً للجد من المقاسمة مع الاخوة ، وفرض الجدة والجدة ، وفرض الواحد من أولاد الأم ذكر أو أنثى ، وفرض بنات الابن إذا كان للميت بنت واحدة للصلب تكملة للثلثين ، وفرض الاخوات للأب إذا كان للميت أخت واحدة لأب وأم تكملة للثلثين . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أخبرنا مسلم بن إبراهيم أنا وهيب أنا ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر » وفي الحديث دليل على أن بعض الورثة يحجب البعض

والحجب نوعان حجب نقصان وحجب حرمان فأما حجب النقصان فهو أن الولد أو ولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن ، والأم من الثلث الى السدس ، وكذلك الاثنان فصاعداً من الاخوة يحجبون الأم من الثلث الى السدس . وحجب الحرمان هو أن الأم تسقط الجدات كلهن وأولاد الأم وهم الاخوة والاخوات الأم يسقطون بأربعة بالاب

كتابہ الاجاز في علم الفرائض ، وهذا فيه نظر ، بل هو ضعيف ، لأن ظاهر الآية إنما هو اذا استبدا بجميع التركة ، وأما هنا فيأخذ الزوج أو الزوجة الفرض ويبقى الباقي كأنه جميع التركة فتأخذ ثلثه (واقول الثالث) أنها تأخذ ثلث جميع المال في مسئلة الزوجة خاصة ، فانها تأخذ الربع وهو ثلاثة من اثني عشر ، وتأخذ الأم الثلث وهو أربعة ، فيبقى خمسة للأب . وأما في مسئلة الزوج فتأخذ ثلث الباقي لثلاث تأخذ أكثر من الأب لو أخذت ثلث المال ، فتكون المسئلة من ستة : للزوج النصف ثلاثة وللأم ثلث الباقي بعد ذلك وهو سهم ، والأب الباقي بعد ذلك وهو سهمان . ويحكي هذا عن ابن سيرين ، وهو مركب من القولين الاولين ، وهو ضعيف أيضاً والصحيح الأول والله أعلم (والحال الثالث من أحوال الأبوين) وهو اجتماعهما مع الأخوة ، سواء كانوا من الابوين أو من الأب أو من الأم ، فانهم لا يرثون مع الأب شيئاً ، ولكنهم مع ذلك يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس ، فيفرض لها مع وجودهم السدس ، فان لم يكن وارث سواها وسوى الأب أخذ الأب

والجد وإن علا ، وبالولد وولد الابن وإن سفل ، وأولاد الأب والأم يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وإن سفلوا ، ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمرو وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال مالك والشافعي والاوزاعي وأحمد واسحق رحمهم الله . وأولاد الاب يسقطون بهؤلاء الثلاثة ، وبالأخ للأب والأم وذهب قوم إلى أن الاخوة جميعاً يسقطون بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول أبي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وأبي الدرداء وعائشة رضي الله عنهم وبه قول الحسن وعطاء وماوس وأبو حنيفة رحمهم الله . وأقرب العصباء يسقط الابد من العصوبة وأقربهم الابن ثم ابن الابن وإن سفل ، ثم الاب ، ثم الجد أبو الاب وإن علا ، فان كان مع الجد أحد من الاخوة والاخوات للاب والأم ، أو للاب فيشتركان في الميراث ، فان لم يكن جد فالأخ للأب والأم ، ثم الأخ للأب ، ثم بنو الاخوة يقدم أقربهم سواء كان لأب وأم أو لأب ، فان استويا في الدرجة فالذي هو لأب وأم أولى ، ثم العم للاب والأم ، ثم العم للأب ، ثم بنوهم على ترتيب بني الاخوة ، ثم عم الاب ، ثم عم الجد ثم على هذا الترتيب ، فان لم يكن أحد من عصباء النسب وعلى الميت ولأهله الميراث للمعتق ، فان لم يكن حياً فلعصباء المعتق . وأربعة من الذكور يعصبون الاناث : الابن وابن الابن ، والأخ للأب والأم ، والأخ للأب حتى لو ماتت عن ابن وبنت ، أو عن أخ وأخت لأب وأم أو لأب ، فانه يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين . ولا يفرض للبنت والاخت . وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم تأخذ من الثلثين شيئاً حتى لو ماتت عن بنتين وبنت ابن فلبنتين الثلثان ولا شيء للبنت الابن ، فان كان في درجتها ابن ابن أو أسفل منها ابن ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين . والاخت للأب والأم أو للأب تكون عصبية مع البنت حتى لو ماتت عن بنت وأخت كان النصف للبنت والباقي للأخت ، فلو ماتت عن بنتين وأخت فلبنتين الثلثان

الباقى . وحكم الأخوين فيما ذكرناه كحكم الأخوة عند الجمهور . وقد روى البيهقي من طريق شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس أنه دخل على عثمان فقال : إن الأخوين لا يردان الأم عن الثلث قال الله تعالى (فإن كان له أخوة) فلاخوان ليسا بلسان قومك أخوة ، فقال عثمان : لا أستطيع تغيير ما كان قبلى ، ومضى فى الأمصار وتوارث به الناس . وفى صحة هذا الأثر نظر ، فإن شعبة هذا تكلم فيه مالك بن أنس ، ولو كان هذا صحيحاً عن ابن عباس لذهب إليه أصحابه الاختصاص به ، والمتقول عنهم خلافه وقد روى عبد الرحمن بن ابى الزناد عن خارجة بن زيد عن أبيه أنه قال : الإخوان تسمى أخوة ، وقد أفردت لهذه المسئلة جزءاً على حدة . وقال ابن ابى حاتم : حدثنا ابى حدثنا عبد العزيز بن المغيرة حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة نحوه

وقوله (فإن كان له أخوة فلائمه السدس) أضروا بالأم ولا يرثون ، ولا يحجبها الاخ الواحد عن الثلث ، ويحجبها ما فوق ذلك ، وكان أهل العلم يرون أنهم إنما حجبوا أمهم عن الثلث أن

والباقى للاخت والدليل عليه ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا آد . أنا أبو قيس قال : سمعت هذيل بن شرحبيل قال سئل أبو موسى عن ابنة وبنت ابن وأخت فقال : للبنت النصف ، وللأخت النصف ، وأنت ابن مسعود فسيتابعنى فسئل ابن مسعود وأخبر بقول ابى موسى فقال : لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ، أقضى فيها بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم : للبنت النصف ، ولابنة لابن السدس تسكئة الثلثين ومابقى فلأخت . فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود رضى الله عنه فقال : لا تسألوني مادام هذا الخبر فيكم . رجعنا الى تفسير الآية اختلفوا فى سبب نزولها

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أخبرنا أبو الوليد أنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال : سمعت جابراً يقول : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا مريض لا أعقل فتوضاً وصب عليّ من وضوئه ففعلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث ؟ إنما يرثي كلاله ، فنزلت آية الفرائض ، وقال مقاتل والسكابي : نزلت فى أم كعبة امرأة أوس بن ثابت وبناته وقال عطاء : استشهد سعد بن الربيع النقيب يوم أحد وترك امرأة وبنيتين وأخا فأخذ الأخ المال فأنت امرأة سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنتي سعد فقالت يا رسول الله ان هاتين ابنتي سعد وان سعداً قتل يوم أحد شهيداً وان عمهما أخذ مالهما ولا تنكحان إلا ولهما مال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارجي فلعل الله سيقضي في ذلك » فنزل (يوصيكم الله) إلى آخرها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم « اعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك » فهو أول ميراث قسم فى الاسلام . قوله عز وجل (يوصيكم الله فى أولادكم) أي يعهد اليكم ويفرض عليكم فى أولادكم أي فى أمر أولادكم اذا متم (للذكر مثل حظ الانثيين) (فان كن) يعنى المتروكات من

أباهم يلي إنكاحهم ونفقتهم عليهم دون أمهم ، وهذا كلام حسن . لكن روي عن ابن عباس باسناد صحيح أنه كان يرى أن السدس الذي حجبوه عن أمهم يكون لهم ، وهذا قول شاذ ، رواه ابن جرير في تفسيره فقال : حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس قال : السدس الذي حجبته الاخوة الأم لهم إنما حجبوا أمهم عنه ليكون لهم دون أبيهم ، ثم قال ابن جرير : وهذا قول يخالف لجميع الأمة . وقد حدثني يونس أخبرنا سفیان أخبرنا عمرو عن الحسن بن محمد عن ابن عباس أنه قال : الكلاله من لا ولد له ولا والد

وقوله (من بعد وصية يوصي بها أو دين) أجمع العلماء من السلف والخلف على أن الدين مقدم على الوصية وذلك عند إمعان النظر يفهم من نحوه الآية الكريمة . وروى احمد والترمذي وابن ماجه وأصحاب التفاسير من حديث ابن اسحق عن الحارث بن عبد الله الأعمور عن علي بن أبي طالب قال : إنكم تقرأون (من بعد وصية يوصي بها أو دين) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية ، وإن أعيان بني الام يتوارثون دون بني العلات ، يرث الرجل أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه . ثم قال الترمذي : لا نعرفه الا من حديث الحارث^(١) وقد تكلم فيه بعض اهل العلم (قلت) لكن كان حافظاً للفرائض معتنياً بها وبالحساب والله أعلم

(١) في الامرية :
الاعور

وقوله (أبأؤكم وأبنأؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) أي إنما فرضنا للأب والابناء وسأوينا بين الكل في أصل الميراث على خلاف ما كان عليه الامر في الجاهلية ، وعلى خلاف ما كان عليه الامر في ابتداء

الاولاد ﴿ نساء فوق اثنتين ﴾ أي اثنتين فصاعداً وفوق صلة كقوله تعالى (فاضربوا فوق الاعناق) ﴿ فلهن ثلثا ما ترك. وإن كانت ﴾ يعني البنت ﴿ واحدة ﴾ قراءة العامة بالنصب على خبر كان ورفعها أهل المدينة على معنى إن وقعت واحدة ﴿ فلها النصف ولأبويه ﴾ يعني لأبوي الميت كناية عن غير المذكور ﴿ لكل واحد منها السدس مما ترك إن كان له ولد ﴾ أراد أن الأب والام يكون لكل واحد منهما سدس الميراث عند وجود الولد أو ولد الابن والأب يكون صاحب فرض ﴿ فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلائمه الثلث ﴾ قرأ حمزة والكسائي فلائمه بكسر الهمزة استئقالا للضممة بعد المكسرة ، وقرأ الآخرون بالضم على الأصل ﴿ فإن كان له اخوة ﴾ اثنان أو أكثر ذكراً كانوا أو أنثاء ﴿ فلائمه السدس ﴾ والباقي يكون للأب إن كان معها أب والاخوة لا ميراث لهم مع الأب وكنهم يحجبون الام من الثلث إلى السدس . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يحجب الاخوة الام من الثلث إلى السدس إلا أن يكونوا ثلاثة لأن الله تعالى قال (فإن كان له اخوة فلائمه السدس) ولا يقال للاثنتين اخوة. فنقول اسم الجمع قد يقع على الثنية لأن الجمع ضم شيء إلى شيء فهو موجود في الاثنين كما قال الله تعالى (فقد صغت قلوبكما) ذكر القلب بلفظ الجمع وأضافه إلى اثنين قوله تعالى (من بعد وصية يوصي بها أو دين) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بوصى بفتح الصاد على ما لم

(١) وفي الازهرية:
امال للابوين وللولد
الوصية

الاسلام من كون المال للولد^(١) وللأبوين الوصية كما تقدم عن ابن عباس ، إنما نسخ الله ذلك الى هذا ففرض لهؤلاء ولهؤلاء بحسبهم ، لان الانسان قد يأتيه النفع الديني أو الاخروي أو هما من أبيه مالا يأتيه من ابنه ، وقد يكون بالعكس ، ولذا قال (أبأؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم اقرب لكم نفعا) أي ان النفع متوقع مرجو من هذا كما هو متوقع ومرجو من الآخر ، فلهذا فرضنا لهذا وهذا ، وساوينا بين القسمين في اصل الميراث والله أعلم

وقوله (فريضة من الله) أي هذا الذي ذكرناه من تفصيل الميراث واعطاء بعض الورثة أكثر من بعض هو فرض من الله حكم به وقضاه (والله عليم حكيم) الذي يضع الاشياء في محالها ويعطي كلا ما يستحقه بحسبه ، ولهذا قال (إن الله كان عليما حكيما)

ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد ، فإن كان لهن ولد فلكن الربع مما تركن

من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد ، فإن كان لكم

ولد فلهن الثلثين مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ، وإن كان رجل يورث كلالة أو

امراة وله أخ أو أخت فليس كل واحد منهما السدس ، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء

وكذلك الثانية ، ووافق حفص في الثانية . وقرأ الآخرون بكسر الصاد لأنه جرى ذكر الميت من قبل بدليل قوله تعالى (يوصين وتوصون) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إنكم تقرأون الوصية قبل الدين ، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية ، وهذا إجماع أن الدين مقدم على الوصية ، ومعنى الآية الجمع لا الترتيب ، ويبان أن الميراث مؤخر عن الدين والوصية جميعا معناه من بعد وصية إن كانت أو دين إن كان والارث مؤخر عن كل واحد منهما (أبأؤكم وأبناؤكم) يعني الذين يرثونكم أبأؤكم وأبناؤكم (لاتدرون أيهم اقرب لكم نفعا) أي لاتعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب أنفع له فيكون الابن أنفع له ، ومنكم من يظن أن الابن أنفع له فيكون الاب أنفع له وأنا العالم بمن هو أنفع لكم ، وقد دبرت أمركم على ما فيه المصلحة فاتبعوه . وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أطوعكم الله عز وجل من الآباء والأبناء أرفعكم درجة يوم القيامة والله تعالى يشفع المؤمنين بعضهم في بعض ، فإن كان الولد أرفع درجة يوم القيامة في الجنة رفع اليه ولده ، وإن كان الولد أرفع درجة رفع اليه والده لتقر بذلك أعينهم (فريضة من الله) أي ما قدر الله من الموارث (إن الله كان عليما) بأمور العباد (حكيما) بنصب الاحكام قوله تعالى (ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد ، فإن كان لهن ولد فلكن الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين) هذا في ميراث الأزواج (ولهن الربع) يعني

في الثالث من بعد وصية يوصي به أو دين غير مضار ، وصية من الله ، والله عليم حلیم (١١)
يقول تعالى ولكم أيها الرجال نصف ما ترك أزواجكم إذا متن عن غير ولد ، فإن كان لهن
ولد فلكن الربع مما تركن من بعد الوصية أو الدين . وقد تقدم أن الدين مقدم على الوصية ،
وبعد الوصية ثم الميراث ، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء وحكم أولاد البنين وإن سفلوا حكم أولاد
الصلب . ثم قال (ولهن الربع مما تركن) إلى آخره وسواء في الربع أو الثمن الزوجة والزوجتان
الاثنين والثلاث والأربع يشتركن فيه وقوله (من بعد وصية) الخ الكلام عليه كما تقدم وقوله
تعالى (وإن كان رجل يورث كلالة) الكلاله مشتقة من الكليل وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه
والمراد هنا من يرثه من حواشيه لأصوله ولا فروعه كما روى الشعبي عن أبي بكر الصديق أنه سئل
عن الكلاله فقال : أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فني ومن الشيطان والله
ورسوله بريئان منه : الكلاله من لا ولد له ولا والد فلما ولي عمر قال : اني لأستحي أن أخالف أبا
بكر في رأيي رآه . كذا رواه ابن جرير وغيره ، وقال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا محمد بن يزيد (١)
عن سفيان عن سليمان الاحول عن طاووس قال سمعت ابن عباس يقول : كنت آخر الناس عهداً
بعمر فسمعت يقول القول ما قلت وما قلت قال : الكلاله من لا ولد له ولا والد . وهكذا
قال عليّ وابن مسعود وصح عن غير واحد عن ابن عباس وزيد بن ثابت وبه يقول الشعبي والنخعي
والحسن وقتادة وجابر بن زيد والحكم وبه يقول أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة وهو قول الفقهاء

(١) فيها محمد بن
عبدالله بن يزيد

للزوجات الربع مما تركن إن لم يكن لهن ولد ، فإن كان لهن ولد فلهن الثمن مما تركن من بعد
وصية توصون بها أو دين (هذا ميراث الزوجات ، وإذا كان للرجل أربع نسوة فهن يشتركن في الربع والثمن
قوله تعالى (وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة) تورث كلالة ونظم الآية . وإن كان
رجل أو امرأة يورث كلالة ، وهو نصب على المصدر ، وقيل على خبر ما لم يسم فاعله . وتقديره :
وإن كان رجل يورث ماله كلالة . واختلفوا في الكلاله ، فذهب أكثر الصحابة إلى أن الكلاله
من لا ولد له ولا والد له . روي عن الشعبي قال : سئل أبو بكر رضي الله عنه عن الكلاله ؟ فقال :
إني سأقول فيها برأيي ، فإن كان صواباً فمن الله ، وإن كان خطأ فني ومن الشيطان ، أراه ما خلا
الوالد والولد . فلما استخلف عمر رضي الله عنه قال : إني لأستحي من الله أن أرد شيئاً قاله أبو بكر
رضي الله عنه . وذهب طاووس إلى أن الكلاله من لا ولد له وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس
رضي الله عنهما . وآخر القولين عن عمر رضي الله عنه — واحتج من ذهب إلى هذا بقول الله تعالى
(قل الله يفتيك في الكلاله إن امرؤ هلك ليس له ولد) وبيانه عند العامة مأخوذ من حديث جابر
ابن عبد الله لأن الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن لأن أباه عبد الله بن حرام

السبعة والأثمة الأربعة وجمهور السلف والخلف بل جميعهم وقد حكى الاجماع عليه غير واحد وورد فيه حديث مرفوع قال أبو الحسين بن الثبان وقد روي عن ابن عباس ما يخالف ذلك وهو أنه من لا ولد له والصحيح عنه الاول ولعل الراوي ما فهم عنه ما أراد. وقوله تعالى (وله أخ أو أخت) أي من أم كما هو في قراءة بعض السلف منهم سعد بن أبي وقاص وكذا فسرهما أبو بكر الصديق فيما رواه قتادة عنه (فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) وأخوة الأم يخالفون بقية الورثة من وجوه أحدها: انهم يرثون من أدلوا به وهي الأم (والثاني) ان ذكورهم وأنثاهم في الميراث سواء (والثالث) لا يرثون إلا ان كان ميثم يرث كلاله فلا يرثون مع أب ولا جد ولا ولد ولا ولدان (الرابع) انهم لا يزدادون على الثلث وإن كثر ذكورهم وأنثاهم. وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرنا يونس عن الزهري قال: قضى عمر أن ميراث الاخوة من الأم بينهم الذكر مثل حظ الانثى قال الزهري ولا أرى عمر قضى بذلك حتى علم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الآية هي التي قال الله تعالى فيها (فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) واختلف العلماء في المسئلة المشتركة وهي زوج وأم أو جدة واثنان من ولد الأم وواحد أو أكثر من ولد الابوين، فعلى قول الجمهور للزوج النصف، وللأم أو الجدة السدس، ولولد الأم الثلث ويشاركهم فيه ولد الأب والأم بما بينهم من القدر المشترك وهو أخوة الأم، وقد وقعت هذه المسئلة في زمان أمير المؤمنين عمر فأعطى الزوج النصف والأم السدس، وجعل الثلث لأولاد الأم فقال له أولاد الأبوين: يا أمير المؤمنين هب أن أبانا كان حماراً ألسنا من أم واحدة؟ فشرك بينهم وصح التشريك عن عثمان وهو إحدى الروايتين عن ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم، وبه يقول سعيد بن المسيب وشرح القاضي ومسروق وطاووس ومحمد بن سيرين

قتل يوم أحد وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم فصار شأن جابر بياناً لمراد الآية لتزولها فيه. واختلفوا في أن الكلالة إسم لمن؟ فمنهم من قال اسم للميت وهو قول علي وابن مسعود رضي الله عنهما، لأنه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه. ومنهم من قال اسم للورثة وهو قول سعيد بن جبير لأنهم يتكلمون الميت من جوانبه وليس في عمود نسبه أحد كالأكايل يحيط بالرأس ووسط الرأس منه خال. وعليه يدل حديث جابر رضي الله عنه حيث قال: إنما يرثني كلاله أي يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد. وقال النضر بن شميل: الكلالة إسم المال وقال أبو الخير: سأل رجل عقبة عن الكلالة؟ فقال: ألا تعجبون من هذا! يسألني عن الكلالة وما أعضل بأحباب النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ما أعضلت بهم الكلالة. وقال عمر رضي الله عنه: ثلاث لأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم بينهم لنا أحب إلينا من الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة وأبواب الربا — قال معدان بن أبي طلحة: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إني

وابراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز والثوري وشريك ، وهو مذهب مالك والشافعي وإسحق بن راهويه ، وكلت علي بن أبي طالب لا يشرك بينهم ، بل يجعل الثالث لأولاد الأم ، ولا شيء لأولاد الأبوين ، والحالة هذه لأنهم عصبه . وقال وكيع بن الجراح : لم يختلف عنه في ذلك ، وهذا قول أبي بن كعب وأبي موسى الأشعري ، وهو المشهور عن ابن عباس ، وهو مذهب الشعبي وابن أبي ليلى وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وزفر بن الهذيل والامام احمد ويحيى بن آدم ونعيم بن حماد وأبي ثور وداود بن علي الفراهيري ، واختاره ابو الحسين بن اللبان الفرضي رحمه الله في كتابه الايجاز . وقوله (من بعد وصية يوصى بها أو دين . غير مضار) أي لتسكن وصيته على العدل لا على الاضرار والجور والحيف بأن يحرم بعض الورثة أو ينقصه ، أو يزيده على ما فرض الله له من الفريضة ، فمن سعى في ذلك كان كمن ضاد الله في حكمه وشرعه . ولهذا قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا أبو النضر الدمشقي الفراديسي حدثنا عمر بن المغيرة عن داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الاضرار في الوصية من الكبائر » وكذا رواه ابن جرير من طريق عمر بن المغيرة هذا وهو ابو حفص بصري سكن المصيصة ، قال ابن عساكر : ويعرف بغني المساكين ، وروى عنه غير واحد من الأئمة ، وقال فيه ابو حاتم الرازي : هو شيخ ، وقال علي بن المديني : هو مجهول لا أعرفه ، لكن رواه النسائي في سننه عن علي بن حجر عن علي بن مسهر عن داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس موقوفا « الاضرار في الوصية من الكبائر » وكذا رواه ابن ابي حاتم عن ابي سعيد الأشج عن عائذ بن حبيب عن داود بن ابي هند ، ورواه ابن جرير من حديث جماعة من الحفاظ عن داود عن عكرمة عن ابن

لا أدع بعدي شيئاً أهم عندي من الكلاله ، ماراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ماراجعته في الكلاله ، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي في الكلاله ، حتى طعن بأصبعه في صدري فقال « يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء » وإني إن أشأ أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ . وقوله « ألا تكفيك آية الصيف » أراد أن الله عز وجل أنزل في الكلاله آيتين إحداهما في الشتاء ، وهي التي في أول سورة النساء ، والآخرى في الصيف وهي التي في آخرها ، وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء فلذلك أحاله عليها

قوله تعالى ﴿ وله أخ أو أخت فلكل منهما السدس ﴾ أراد به الأخ والأخت من الأم بالاتفاق قرأ سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم ولم يقل لهما مع ذكر الرجل والمرأة من قبل على عادة العرب اذا ذكرت اسمين ثم أخبرت عنهما وكانا في الحكم سواء ، ربما أضافت إلى أحدهما وربما أضافت إليهما كقوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة) ﴿ فإن كنوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثالث ﴾ فيه إجماع أن أولاد الأم إذا كانوا اثنين فصاعداً يشتركون في الثالث ذكرهم

عباس - وقوفاً ، وفي بعضها ويقراً ابن عباس (غير مضار) قال ابن جرير والصحيح الموقوف . ولهذا اختلف الأئمة في الاقرار للوارث هل هو صحيح أم لا ؟ على قولين (أحدهما) لا يصح لأنه مظنة التهمة . وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » وهذا مذهب مالك وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة والقول القديم للشافعي رحمه الله ، وذهب في الجديد إلى انه يصح الاقرار . وهو مذهب طائفة وطائفة ، والحسن وعمر بن عبد العزيز وهو اختيار أبي عبد الله البخاري في صحيحه ، واحتج بأن رافع بن خديج أوصى أن لا تكشف الفزارية عما أغلق عليه بابها . قال : وقال بعض الناس لا يجوز اقراره لسوء الظن بالورثة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » وقال الله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فلم يخص وارثاً ولا غيره . انتهى ما ذكره ، فمتى كان الاقرار صحيحاً مطابقاً لما في نفس الأمر جرى فيه هذا الخلاف ومتى كان حيلة ووسيلة إلى زيادة بعض الورثة وتقصان بعضهم فهو حرام بالاجماع وبنص هذه الآية الكريمة (غير مضار وصية من الله ، والله عليم حكيم)

ثم قال تعالى (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار - خالدين فيها وذلك الفوز العظيم) (١٣) ومن عص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها ، وله عذاب مهين (١٤) .

أي هذه الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة بحسب قربهم من الميت واحتياجهم اليه وقد هم له عند عدمه هي حدود الله فلا تعتدوها ولا تتجاوزوها . ولهذا قال (ومن يطع الله ورسوله) أي فيها فلم يزد بعض الورثة ولم ينقص بعضها بحيلة ووسيلة بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها ، وله عذاب مهين) أي لكونه غير ماحكم الله به

(١) في استيفتنا

فيه سواء

وأثناء^(١) قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته : ألا ان الآية التي أنزل الله تعالى في أول سورة النساء في بيان الفرائض أنزلها في الولد والوالد والأم والآية الثانية في الزوج والزوجة والاخت والأخوات من الأم ، والآية التي ختم بها سورة النساء في الاخت والأخوات من الأب والأم ، والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من يعد وصية بوصى بها أو دين غير مضار^(٢) أي غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثالث في الوصية . قال الحسن هو ان بوصي بدين ليس عليه^(٣) وصية من الله والله عليم حكيم^(٤) قال قتادة : كره الله الضرار في الحياة وعند الموت ونهى عنه وقدم فيه^(٥) تلك حدود الله^(٦) يعني ما ذكر

وإضاة الله في حكمه ، وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله وحكم به ، ولهذا يجازيه بالاهانة في العذاب الأليم المقيم — قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة ، فإذا أوصى وحاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » قال ثم يقول أبو هريرة : اقرؤا إن شئتم (تلك حدود الله — إلى قوله — عذاب مهين)

قال أبو داود في باب الاضرار في الوصية من سننه : حدثنا عبيدة بن عبد الله أخبرنا عبد الصمد حدثنا نصر بن علي ^(١) حدثنا الأشعث بن عبد الله بن جابر الحداني حدثني شهر بن حوشب أن أبا هريرة حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضران في الوصية فتجب لهما النار » وقال قرأ علي أبو هريرة من ههنا (من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار — حتى بلغ — ذلك الفوز العظيم) وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أشعث ^(٢) وأكمل به ، وقال الترمذي : حسن غريب ، وسياق الامام احمد أنهم وأكمل والشي يأتين الفاحشة من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً (١٤١) والذان يأتياها منكم فأزوها

(١) هو الخضم
لا الحراني كما في
الاصل

(٢) فيها ابن
عبد الله بن جابر
الحداني

فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنها إن الله كان تواباً رحيماً (١٦)

كان الحكم في ابتداء الاسلام أن المرأة اذا ثبت زناها بالبينة العادلة حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه الى أن تموت ، ولهذا قال (واللاتي يأتين الفاحشة) يعني الزنا (من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً) فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك . قال ابن عباس رضي الله عنه : كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد أو الرجم ، وكذا روي عن عكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن

ما ذكر من الفرائض المحدودة ﴿ ومن يطلع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ﴾ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴿ قرأ أهل المدينة وابن عامر ندخله جنات ندخله ناراً ، وفي سورة الفتح ندخله ونعذبه ، وفي سورة التغابن نكفر ندخله ، وفي سورة الطلاق ندخله بالنون فيهن ، وقرأ الآخرون بالياء قوله عز وجل ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة ﴾ يعني الزنا ﴿ من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ﴾ يعني من المسلمين وهذا خطاب للحكام أي فاطلبوا عليهن أربعة من الشهود فيه بيان أن الزنا لا يثبت إلا بأربعة من الشهود ﴿ فان شهدوا فامسكوهن ﴾ فاحبسوهن ﴿ في البيوت حتى يتوفاهن

وعطاء الخراساني وابي صالح وقادة وزيد بن أسلم والضحاك أنها منسوخة وهو أمر متفق عليه — قال الامام احمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي أثر عليه وكرب لذلك وتغير ^(١) وجهه ، فأنزل الله عليه عز وجل ذات يوم فلما سرى عنه قال « خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا ، الثيب بالثيب ، والبكر بالبكر ، الثيب جلد مائة ورجم بالحجارة ، والبكر جلد مائة ثم نفي سنة » وقد رواه مسلم وأصحاب السنن من طرق عن قتادة عن الحسن عن حطان عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه « خذوا عني خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وكذا رواه ابو داود الطيالسي عن مبارك بن فضالة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحي عرف ذلك في وجهه ، فأنزلت ^(٢) (أو يجعل لهن سبيلا) فلما ارتفع الوحي قال رسول الله

(١) فيها ونريد

(٢) فيها فلما أنزلت

الموت أو يجعل الله لهن سبيلا » وهذا كان في أول الاسلام قبل نزول الحدود وكانت المرأة اذا زنت حبست في البيوت حتى تموت ثم نسخ ذلك في حق البكر بالجلد والتغريب وفي حق الثيب بالجلد والرجم . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن احمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا لربيع أخبرنا الشافعي رضي الله عنهم أخبرنا عبد الوهاب عن يونس عن الحسن عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » قال الشافعي رضي الله عنه وقد حدثني الثقة أن الحسن كان يدخل بينه وبين عبادة حطان الرقاشي فلا ادري أدخله عبد الوهاب فنزل عن كتابي أم لا ، قال شيخنا الامام : الحديث صحيح رواه مسلم بن الحجاج عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله عن عبادة ، ثم نسخ الجلد في حق الثيب وبقي الرجم عند أكثر أهل العلم وذهب طائفة إلى أنه يجمع بينهما روي عن علي رضي الله عنه أنه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس مائة ثم رجمها يوم الجمعة وقال : جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعامة العلماء على أن الثيب لا يجلد مع الرجم لأن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزاً والغامدية ولم يجلدهما وعند أبي حنيفة رضي الله عنه التغريب أيضاً منسوخ في حق البكر . وأكثر أهل العلم على أنه ثابت روي نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وأن أبا بكر رضي الله عنه ضرب وغرب وأن عمر رضي الله عنه ضرب وغرب واختلفوا في أن المسالك في البيت كان حداً فسيح أم كان حبساً ليظهر الحد على قولين

(١) فيها عن الحسن

صلى الله عليه وسلم « خذوا خذوا قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة » . وقد روى الامام احمد أيضاً هذا الحديث عن وكيع بن الجراح عن الحسن حدثنا الفضل بن دهم^(١) عن قبيصة بن حرب عن سلمة بن المحبق قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذوا عني خذوا عني ، قد جعل الله سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » وكذا رواه ابو داود مطولاً من حديث الفضل بن دهم ثم قال : وليس هو بالحافظ كان قصاباً بواسط

(٢) فيها : خليل

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن احمد بن ابراهيم حدثنا عباس ابن حمدان حدثنا احمد بن داود حدثنا عمرو بن عبد الغفار حدثنا اسماعيل بن ابي خالد^(٢) عن الشعبي عن مسروق عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البكران يجلدان وينفيان ، والثيبان يجلدان ويرجمان ، والشيخان يرجمان » هذا حديث غريب من هذا الوجه — وروى الطبراني من طريق ابن لهيعة عن أخيه عيسى بن لهيعة عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت

قوله تعالى ﴿ واللذان يأتياها منكم ﴾ يعني الرجل والمرأة والهاء راجعة إلى الفاحشة قرأ ابن كثير اللذان والذين وهاتان وهذان مشددة النون لئلا يكدوا فقه أهل البصرة في فذائك والآخرون بالتخفيف قال أبو عبيدة خص أبو عمرو فذائك بالتشديد لقلة الحروف في الاسم ﴿ فاذوها ﴾ قال عطاء وقتادة يعني فعبروها باللسان أما خفت الله أما استحييت من الله حيث زينت قال ابن عباس رضي الله عنهما سبوهما واشتموهما قال ابن عباس هو باللسان واليد يؤذي بالتعير وضرب النعال فان قيل ذكر الحبس في الآية الاولى وذكر في هذه الآية الايذاء فكيف وجه الجمع قيل الآية الاولى في النساء وهذه في الرجال وهو قول مجاهد وقيل الآية الاولى في الثيب وهذه في البكر ﴿ فان تابا ﴾ من الفاحشة ﴿ وأصلحا ﴾ العمل فيما بعد ﴿ فأعرضوا عنها ﴾ فلا تؤذوها ﴿ إن الله كان تواباً رحيماً ﴾ وهذا كله كان قبل نزول الحدود فنسخت بالجلد والرجم والجلد في القرآن قال الله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) والرجم في السنة أخبرنا ابو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا ابو علي زاهر بن احمد السرخسي أنا ابو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا ابو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن ابي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما أخبراه أن رجلاين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما اقض يا رسول الله بيننا بكتاب الله ، وقال الآخر — وكان أفقههما — أجل يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله وائذن لي في أن أتسكلم قال تسكلم ، قال : ان ابني كان عسيفاً — أي أجيراً — على هذا غزني بامرأته فأخبروني أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة وبجارية لي ، ثم أتني سألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتعريب عام ، وإنما الرجم على امرأته فقال رسول الله صلى الله

سورة النساء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا حبس بعد سورة النساء » وقد ذهب الامام احمد بن حنبل الى القول بمقتضى هذا الحديث ، وهو الجمع بين الجلد والرجم في حق الثيب الزاني . وذهب الجمهور الى أن الثيب الزاني انما يرجم فقط من غير جلد ، قالوا : لأن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزاً والغامدية واليهوديين ، ولم يجلدواهم قبل ذلك ، فدل على أن الرجم ليس بحتم ، بل هو منسوخ على قولهم والله أعلم

وقوله تعالى (والاذان يأتياهما منكم فأذوها) أي والاذان يفعلان الفاحشة فأذوها ، قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبيرة وغيرهما : أي بالشتم والتعير والضرب بالنعال ، وكان الحكم كذلك حتى نسخه الله بالجلد أو الرجم ، وقال عكرمة وعطاء والحسن وعبد الله بن كثير : نزلت في الرجل والمرأة إذا زنيا . وقال السدي : نزلت في الغتيان من قبل أن يتزوجوا . وقال مجاهد : نزلت في الرجلين إذا فعلا - لا يكتفي ، وكأنه يريد اللواط والله أعلم . وقد روى اهل السنن من حديث عمرو بن ابي محمد عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » وقوله (فان تابوا أصلحا) أي أقلعوا ونزعوا عما كانوا عليه وصلحت اعمالهم وحسنت (فأعرضوا عنها) أي

عليه وسلم « أما والذي نفسي بيده لا قضين بينكما بكتاب الله ، أما غنمك وجاريتك فرد عليك ، وأما ابنتك فعليه جلد مائة وتعريب عام واغدا يا أنيس على امرأة هذا أي أمر أنيسا الأسلمي أن يأتي امرأة الآخر فان اعترفت فارجمها ، فغدا عليها فاعترفت فرجمها » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني ابراهيم ابن سعد عن صالح ، عن ابن شهاب ، عن عبيد^(١) بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس قال قال عمر رضي الله عنه إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله تعالى آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجمنا بعده وأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله تعالى ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى في كتابه ، والرجم في كتاب الله تعالى حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة ، أو كان الحبل أو الاعتراف وجلة حد الزنا أن الزاني إذا كان محصناً وهو الذي اجتمعت فيه أربعة أوصاف ، العقل ، والبلوغ ، والحرية ، والاصابة بالنكاح الصحيح فحده الرجم مسلماً كان أو ذمياً ، وهو المراد من الثيب المذكور في الحديث ، وذهب أصحاب الرأي الى أن الاسلام من شرائط الاحصان ، ولا يرجم الذمي وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم يهوديين زنيا وكان قد أحصنا . وإن كان الزاني غير محصن بأن لم يجتمع فيه هذه الأوصاف نظر إن كان غير بالغ ، أو كان مجنوناً فلا حد عليه ، وإن كان حراً عاقلاً بالغاً غير أنه لم يحصن بشكاح صحيح فعليه جلد مائة وتعريب عام ، وإن كان

(١) في نسخة
عبد الله

لا تعنفوها بكلام قبيح بعد ذلك ، لأن التائب من الذنب مكن لا ذنب له (ان الله كان تواباً رحيماً)
وقد ثبت في الصحيحين « إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثر عليها » أي لا يعيرها بما
صنعت بعد الحد الذي هو كفارة لما صنعت

(إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم
وكان الله عليماً حكيماً) (١٧) وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قل أنا

تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً (١٨)

يقول سبحانه وتعالى إنما يقبل (١) الله التوبة ممن عمل السوء بجهالة ثم يتوب ولو بعد (٢) معانته
الملك يقبض روحه قبل الغرغرة . قال مجاهد وغير واحد : كل من عصي الله خطأ أو عمداً فهو جاهل
حتى ينزع عن الذنب ، وقال قتادة عن أبي العالمة انه كان يحدث ان أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانوا يقولون : كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة رواه ابن جرير . وقال عبد الرزاق أخبرنا
معمر عن قتادة قال : اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شيء عصي الله به
فهو جهالة عمداً كان أو غيره . وقال ابن جريج أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال : كل عامل
بمعصية الله فهو جاهل حين عملها . قال ابن جريج وقال لي عطاء بن أبي رباح نحوه . وقال أبو صالح
عن ابن عباس من جهلته عمل السوء . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ثم يتوبون من قريب
قال : ما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت ، وقال الضحاك : ما كان دون الموت فهو قريب . وقال
قتادة والسدي : مادام في صحته ، وهو مروى عن ابن عباس . وقال الحسن البصري : ثم يتوبون
من قريب ، مالم يغرغر . وقال عكرمة : الدنيا كلها قريب

(١) في الأزهرية يقبل
(٢) فيها قبل

(ذكر الأحاديث في ذلك) قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عياش ، وعصام بن خالد ، قال
حدثنا ابن ثوبان عن أبيه ، عن مكحول ، عن جبير بن نفير ، عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال « ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر » رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن
ابن ثابت بن ثوبان به ، وقال الترمذي حسن غريب . ووقع في سنن ابن ماجه : عن عبد الله بن عمرو
وهو وهم إنما هو عبد الله بن عمر بن الخطاب

عبداً فعله جلد خمسين ، وفي تعريه قولان ، إن قلنا يغرب (١) فيه قولان (أصحابها) نصف سنة
كما يجلد خمسين على نصف حد الحر

(١) في نسخة
كم يغرب ؟

قوله تعالى (إنما التوبة على الله) قال الحسن يعني التوبة التي يقبلها فيكون على بمعنى عند ،
وقيل من الله (للذين يعملون السوء بجهالة) قال قتادة أجزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ان كل باعصي به الله فهو جهالة عمداً كان أو لم يكن وكل من عصي الله فهو جاهل وقال

(١) في الازهرية
الخراساني

﴿حديث آخر﴾ قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا عبد الله بن الحسن الحراقي ^(١) ، حدثنا يحيى بن عبد الله البجلي ، حدثنا أيوب بن نهيك الحلبي سمعت عطاء بن أبي رباح قال : سمعت عبد الله بن عمر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد مؤمن يتوب قبل الموت بشهر إلا قبل الله منه أدنى من ذلك ، وقبل موته يوم وساعة يعلم الله منه التوبة والاخلاص اليه الا قبل منه »

﴿حديث آخر﴾ قال ابو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن ابراهيم بن ميمونة ، وأخبرني رجل من ملحان يقال له أيوب قال سمعت عبد الله بن عمر يقول : من تاب قبل موته بعام تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بشهر تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بجمعة تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بيوم تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بساعة تيب عليه . فقلت له انما قال الله (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) فقال إنما أحدثك ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهكذا رواه ابو داود الطيالسي ، وابو عمر الحوضي ، وأبو عامر العقدي عن شعبة

﴿حديث آخر﴾ قال الامام احمد حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا محمد بن مطرف ، عن زيد ابن أسلم عن عبد الرحمن بن السلمي قال : اجتمع اربعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم » فقال الآخر أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم ؟ قال : وانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم » فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم . قال وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحية » قال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم قال : وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر بنفسه » وقد رواه سعيد بن منصور عن الدراوردي ، عن زيد ابن أسلم ، عن عبد الرحمن بن السلمي فذكر قريباً منه

مجاهد المراد من الآية العمد قال السكاكي لم يجهل انه ذنب لكنه جهل عقوبته ، وقيل معنى المجالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية ﴿ ثم يتوبون من قريب ﴾ قيل معناه قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها وقال السدي والسكاكي : التقريب أن يتوب في صحته قبل مرض موته وقال عكرمة قبل الموت وقال الضحاك قبل معاينة ملك الموت . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن شرح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا ابن ثوبان وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغفره . أخرجه

﴿حديث آخر﴾ قال أبو بكر بن مردويه : حدثنا اسحاق بن إبراهيم بن زيد ، حدثنا عمران بن عبد الرحيم ، حدثنا عثمان بن الهيثم ، حدثنا عوف عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله عليه وسلم « إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغفر »
﴿أحاديث في ذلك رسالة﴾

قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر » هذا مرسل حسن عن الحسن البصري رحمه الله

وقد قال ابن جرير أيضاً رحمه الله : حدثنا ابن بشار ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي عن قتادة ، عن العلاء بن زياد ، عن أبي أيوب بشير بن كعب أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر » وحدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر مثله

﴿حديث آخر﴾ قال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا عمران عن قتادة قال : كنا عند أنس بن مالك ثم أبو قلابة فحدث أبو قلابة فقال : إن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النظرة فقال : وعزتك وجلالك لا أخرج من قلب ابن آدم مادام فيه الروح . فقال الله عز وجل وعزتي لأمنعه التوبة مادام فيه الروح ، وقد ورد هذا في حديث مرفوع رواه الإمام أحمد في مسنده من طريق عمرو بن أبي عمرو ، وأبي الهيثم العتواري كلاهما عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال : إبليس يارب وعزتك لا أزال اغويهم مادامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا أزال اغفر لهم ما استغفروني » فقد دلت هذه الأحاديث على أن من تاب إلى الله عز وجل وهو يرجو الحياة فإن توبته مقبولة ولهذا قال تعالى (فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليهما حكيماً) وأما متى وقع الایاس من الحياة ، وعابن الملاك ، وخرجت ^(١) الروح في الخلق ، وضاق بها الصدر ، وبلغت الخلقوم ، وغرغرت النفس صاعدة في الغلاصم فلا توبة مقبولة ^(٢) حينئذ ولات حين مناص . ولهذا قال (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) وهذا كما قال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) الآيتين ، وكما

(١) في الأزهرية
حشرجت

(٢) فيها متقبلة

عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن عبد الجبار الزياتي أنا حميد بن زنجويه أنا أبو الأسود أنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الشيطان قال وعزتك يارب لا أبرح اغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب عز وجل وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا أزال اغفر لهم ما استغفروني »

حكم تعالى بعدم توبة أهل الارض اذا عاينوا الشمس طالعة من مغربها في قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً) الآية . وقوله (ولا الذين يموتون وهم كفار) يعني أن الكافر اذا مات على كفره وشركه لا ينفعه ندمه ولا توبته ولا يقبل منه فدية ولو بملء الارض . قال ابن عباس ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس (ولا الذين يموتون وهم كفار) فالوا نزلت في أهل الشرك ، وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود ، قال حدثنا عبد الرحمن بن ثوبان ^(١) ، حدثني ابي عن مكحول أن عمر بن نعيم حدثه أن أبا ذر حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يقبل توبة عبده ، أو يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب » قيل وما وقوع الحجاب ؟ قال « تخرج النفس وهي مشركة » ولهذا قال الله تعالى (أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً) أي موجعاً شديداً مقبياً

(١) في الازهرية
أن ثابت بن ثوبان
قال

(يأبها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن إلا أن يأتين بفحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) (١٩) وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وءاتيتهم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاً لنا وإنما مبينة (٢٠) وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً (٢١) ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فحشة ومقتاً وساء سبيلاً (٢٢)

قال البخاري حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس قال الشيباني وذكره أبو الحسن السوائي ولا أظنه ذكره إلا عن ابن عباس (يأبها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) قال كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاؤا زوجها وإن شاؤا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية (يأبها قوله تعالى ﴿ فأولئك يتوب عليهم وكان الله عليماً حكيماً وليست التوبة للذين يعملون السيئات ﴾ يعني المعاصي ﴿ حتى إذا حضر أحدهم الموت ﴾ ووقع في النزع ﴿ قل اني تبت الان ﴾ وهي حالة السوق حتي يساق بروحه لا يقبل من كافر إيمان ولا من عاص توبة . قال الله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ولذلك لم ينفع إيمان فرعون حين أدركه الفرق ﴿ ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا ﴾ أي هيأنا وأعدنا ﴿ لهم عذاباً أليماً ﴾

قوله تعالى ﴿ يأبها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ﴾ نزلت في أهل المدينة كانوا في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريه من ذوي عصبته فألقى توبة على تلك المرأة وعلى خباثتها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها ومنعها

الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها) هكذا ذكر البخاري وابو داود والنسائي وابن مردويه وابن ابي حاتم من حديث ابي اسحق الشيباني واسمه سليمان بن ابي سليمان عن عكرمة وعن ابي الحسن السوائي واسمه عطاء كوفي اعمى كلاهما عن ابن عباس بما تقدم . وقال ابو داود حدثنا محمد بن احمد ابن ثابت المروزي حدثني علي بن حسين عن ابيه عن يزيد النخعي عن عكرمة عن ابن عباس قل (لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن ان يذهبوا ببعض ما آتينكموهن إلا أن يأتيهن بفاحشة مبينة) وذلك ان الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد اليه صداقها فأحكم الله تعالى عن ذلك أي نهى عن ذلك تفرد به أبو داود وقد رواد عن غير واحد عن ابن عباس بنحو ذلك . وروى وكيع عن سفيان عن علي بن نديمة عن مقدم عن ابن عباس كانت المرأة في الجاهلية إذا توفي عنها زوجها رجل فآلقت عيالها ثوبا كان أحق ما يفرز لت (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها) وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها) قال كل الرجل إذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس فان كانت جميلة تزوجها وان كانت ذميمة حبسها حتى تموت فيرثها . وروى العوفي عنه عن الرجل من أهل المدينة إذا مات حميم ألقى ثوبه على امرأته فورث نكاحها ولم ينكحها احد غيره وحبسها عنده حتى تقتدي منه بقدية . فأمر الله (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها) وقال زيد بن اسلم في الآية عن أهل يثرب إذا مات الرجل منهم في الجاهلية ورث امرأته من يرث ماله وكان يعضلها حتى يرثها ، أو يزوجها من أراد ، وكان أهل تهامة يسيء الرجل حجة المرأة حتى يطلقها ويشرط عليها أن لا تنكح إلا من أراد حتى تقتدي منه ببعض ما أعطاها فقهر الله المؤمنين عن ذلك رواه ابن ابي حاتم . وقال ابو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن احمد ابن ابراهيم ، حدثنا موسى بن اسحق ، حدثنا علي بن المنذر : حدثنا محمد بن فضل ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن ابي امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه قل : لما توفي ابو قيس بن الاسلت اراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان لهم ذلك في الجاهلية أنزل الله (لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها)

من الأزواج يضارها لتقتدي منه بما ورثته من الميث أو تموت هي فيرثها فان ذهبت المرأة الى أهلها قبل ان يلقي عليها ولي زوجها ثوبه فهي أحق بنفسها فكنوا على هذا حتى توفي ابو قيس بن الاسلت الأنصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصارية فقال ابن له من غديرها يقال له حصن وقال مقاتل بن حيان اسمه قيس بن ابي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها لتقتدي منه فأتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان أبا قيس توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو يتفق علي ولا يدخل بي ولا يخرجني سبيلي فقال اتعتدي في بيتك حتى يأتيك أمرك أم الله فأمر الله تعالى هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها) قرأ حمزة والكوفي بضم المكف ههنا وفي التوبة وقرأ الباقون بالفتح

ورواه بن جرير من حديث محمد بن فضيل به ، ثم روى من طريق ابن جريج قال : أخبرني عطاء أن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل وترك امرأة حبسها أهله على الصبي يكون فيهم قنزلت (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا) الآية . وقال ابن جريج قال مجاهد كان الرجل إذا توفي كان ابنه أحق بامرأته ينكحها من شاء ، إذا لم يكن ابنها ، أو ينكحها من شاء أخاه ، أو ابن أخيه . وقال ابن جريج قال عكرمة نزلت في كيدشة بنت معن بن عاصم بن الأوس توفي أبو قيس بن الأسلت فخرج عليها ابنه فجات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يا رسول الله : لأنا ورثت زوجي ، ولا أنا تركت فانكح . فأنزل الله هذه الآية ، وقال السدي عن أبي مالك : كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها جاء وليه فالتقى عليها ثوبا ، فإن كان له ابن صغير ، أو أخ حبسها حتى يشب أو تموت فيرثها فإن هي انفلتت فأتت أهلها ولم يلق عليها ثوبا نجت فأنزل الله (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا) وقال مجاهد في الآية : كان الرجل يكون في حجره اليتيمة هو يلي أمرها فيحبسها رجاء أن تموت امرأته فيتزوجها ، أو يزوجه ابنه ، رواه ابن أبي حاتم . ثم قال ودوي عن الشعبي وعطاء بن أبي رباح ، وأبي مجلز والضحاك ، والزهري ، وعطاء الخراساني ، ومقاتل بن حيان نحو ذلك . قلت : فلا ية نعم ما كان يفعل أهل الجاهلية وما ذكره مجاهد ، ومن وافقه ، وكل ما كان فيه نوع من ذلك والله أعلم وقوله (ولا تعضلوهن) لتهبوا ببعض ما آتيتموهن (أي لا تضاروهن في العشرة لتترك ما اصدقها أو بعضه أو حقًا من حقوقها عليك ، أو شيئًا من ذلك على وجه القهر لها والاضطرار . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تعضلوهن) يقول ولا تقهروهن (لتهبوا ببعض ما آتيتموهن) يعني الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ، ولها عليه مهر فيضرها لتفتدي به ، وكذا قال الضحاك وقتادة وغير واحد ، واختاره ابن جرير ، وقال ابن المبارك وعبد الرزاق أخبرنا معمر ، أخبرني سفيان بن الفضل عن ابن السلمي قال : نزلت هاتان الآيتان أحداهما في أمر الجاهلية ، والآخرى في أمر الإسلام . قال عبد الله بن المبارك يعني قوله (لا يحل لكم أن

قال الكسائي هما لغتان قال الفراء الكره بالفتح ما أكره عليه وبالضم ما كان من قبل نفسه من المشقة (ولا تعضلوهن لتهبوا ببعض ما آتيتموهن) أي لا تمنعوهن من الأزواج ليضجرن فيفتدين ببعض ما هن قيل هذا خطاب لأولياء الميت والصحيح أنه خطاب للأزواج قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا في الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي وتورد اليه ماسق اليها من المهر فهمي الله تعالى عن ذلك ثم قال (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) فينشد يحل لكم اضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا في الفاحشة قال ابن مسعود وقتادة هي النشوز وقال بعضهم — وهو قول الحسن — هي الزنا يعني أن المرأة إذا أنشزت أو زنت حل للزوج أن يسألها الخلع وقال عطاء كان الرجل إذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ماسق اليها وأخرجها فنسخ ذلك

ترثوا النساء كرهاً) في الجاهلية (ولا تعضوهن) في الاسلام . وقوله (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) قال ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والشعبي ، والحسن البصري ، ومحمد بن سيرين وسعيد بن جبير ، ومجاهد وعكرمة ، وعطاء الخراساني ، والضحاك ، وأبو قلابة ، وأبو صالح والسدي وزيد بن اسلم ، وسعيد بن أبي هلال ، يعني بذلك الزنا ، يعني إذا زنت فلک أن تسترجع منها الصداق الذي أعطيتها وتضاجرها حتى تتركه لك وتخالعها كما قال تعالى في سورة البقرة (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا أن لا يقيموا دين الله) الآية . وقال ابن عباس وعكرمة والضحاك : الفاحشة المبينة النشوز والعصيان ، واختار ابن جرير أنه يعلم ذلك كله الزنا والعصيان ، والنشوز وبداء اللسان ، وغير ذلك . يعني أن هذا كله يبيح مضاجعتها حتى تبرئه من حقها أو بعضه ويفارقها ، وهذا جيد والله اعلم ، وقد تقدم فيما رواه أبو داود منفرداً به من طريق يزيد النحوي عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله (لا يحل لكم أن تأخذوا النساء كرهاً ولا تعضوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) قال وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضها حتى تموت أو ترد إليه صداقها فأحكم الله عن ذلك ، أي نهى عن ذلك . قال عكرمة والحسن البصري : وهذا يقتضي أن يكون السياق كله كان في أمر الجاهلية ، ولكن نهى المسلمون عن فعله في الاسلام . وقال عبد الرحمن بن زيد كان العضل في قريش بمكة ينكح الرجل المرأة الشريفة فلعلها لا توافق فيفارقها على أن لا تزوج إلا بأذنه فيأتي بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد ، فإذا جاء الخاطب فإن أعطته وأرضته أذن لها وإلا عضلها . قال فهذا قوله (ولا تعضوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) الآية . وقال مجاهد في قوله (ولا تعضوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) هو كالفضل في سورة البقرة

وقوله تعالى (وعاشروهن بالمعروف) أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيأ تكن بحسب

بالحدود وقرأ ابن كثير وأبو بكر مبينة ومبينات بفتح الياء ، ووافق أهل المدينة والبصرة في مبيّنات والباقون بكسرها (وعاشروهن بالمعروف) قال الحسن راجع إلى أول الكلام يعني وآتوا النساء صدقاتهن نحلة (وعاشروهن بالمعروف) والمعاشرة بالمعروف هي الاجمال في القول والمبيت والنفقة وقيل هي أن يصنع لها كما تصنع له (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) قيل هو ولد صالح يعطيه الله عليها

قوله تعالى (وإن اردتم استبدال زوج مكان زوج) أراد بالزوج الزوجة إذا (لم يكن من قبلها نشوز ولا فاحشة) وأتيتهم أعطيتهم (إحداهن قطاراً) وهو المال الكثير صداقاً (فلا تأخذوا منه) من القنطار شيئاً (تأخذونه) استفهام بمعنى التوبيخ (بهتاناً وإثماً مبيناً) انتصابهما من وجبين أحدهما ينزع الخافض والثاني بالاضمار تقديره تصيبون اخذه بهتاناً وإثماً ، ثم قال (وكيف تأخذونه) على طريق

(١) في نسخة
واللهدية : ولم

قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى (ولئن مثل الذي عليهن بالمعروف) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهله » وكان من اخلاقه صلى الله عليه وسلم انه جميل العشرة دائم البشر ، يداعب اهله ، ويتلطف بهم ويوسعهم نفقته ، ويضاحك نساءه حتى انه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يتودد اليها بذلك قالت : سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته وذلك قبل ان احمل اللحم ، ثم سابقته بعد ما حمامات اللحم فسبقتني فقال « هذه بتلك » ويجمع ^(١) نساءه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها ، وكان ينام مع المرأة من نساءه في شعار واحد يضع عن كتفيه الرداء وينام بالازار ، وكان اذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع اهله قليلا قبل ان ينام يؤانسهم بذلك صلى الله عليه وسلم . وقد قال الله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) واحكام عشرة النساء وما يتعلق بتفصيل ذلك موضعه كتب ^(٢) الاحكام والله الحمد .

(١) في الازهرية
ويجمع

(٢) فيها : كتاب

وقوله تعالى (فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) اي فعسى ان يكون صبركم في امساكن ^(٣) مع الكراهة فبا خير كثير لكم في الدنيا والاخرة كما قال ابن عباس في هذه الآية هو ان يعطف عليها فيرزق منها ولداً ويكون في ذلك الولد خير كثير . وفي الحديث الصحيح « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقا رضي منها آخر »

(٣) فيها :
امساكنكم لهن

وقوله تعالى (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإنما مبينا) اي إذا اراد احدكم ان يفارق امرأة ويستبدل مكانها غيرها فلا يأخذن مما كان أصدق الأولى شيئا ولو كان قنطاراً من مال ، وقد قدمنا في سورة آل عمران الكلام على القنطار بما فيه كفاية عن إعادته هنا . وفي هذه الآية دلالة على جواز الاصداف بالمال الجزيل وقد كان عمر بن الخطاب نهى عن كثرة الاصداف ثم رجع عن ذلك كما قال الامام احمد حدثنا اسماعيل حدثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال : نبئت عن ابي العجفاء السلمي قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : الا لا تغلوا في صداق النساء ، فانها لو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله كان اولاكم بها النبي صلى الله عليه وسلم ما اصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من نساءه ولا اصدقت امرأة من بناته اكثر من اثنتي عشرة اوقية ، وان كان الرجل ليبتلئ بصدقة امراته

الاستعظام « وقد افضى بعضكم إلى بعض » اراد به الجماعة ولكن الله حيي يكتفي واصل الافضاء الوصول الى الشيء من غير واسطة « واخذن منكم ميثاقا غليظاً » قال الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة وهو قول الولي عند العقد زوجتكما على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو

حتى يكون لها عداوة في نفسه وحتى يقول كلغت اليك علق القرية ، ثم رواه الامام احمد واهل السنن من طرق عن محمد بن سيرين عن ابي العجفاء واسمه هرم بن سيب البصري وقال الترمذي : حديث حسن صحيح

﴿ طريق أخرى عن عمر ﴾ قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو خيثمة حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابي عن ابن اسحق حدثني محمد بن عبد الرحمن عن خالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال : ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أيها الناس ما إكثارك في صدق النساء ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم ، فما دون ذلك ، ولو كان الاكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم اليها ، فلا عرفن ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم ، قال : ثم نزل ، فاعترضته امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم ؟ قال : نعم فقالت أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟ قال : وأي ذلك ؟ فقالت : أما سمعت الله يقول (وآتيتهم إحداهن قنطاراً) الآية قال : فقال اللهم غفرأ ، كل الناس أفقه من عمر ، ثم رجع فركب المنبر فقال : أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب ، قال أبو يعلى : وأظنه قال : فمن طابت نفسه فليفعل ، إسناده جيد قوي

﴿ طريقة أخرى ﴾ قال ابن المنذر : حدثنا اسحق بن ابراهيم عن عبد الرزاق عن قيس بن ربيع عن ابي حصين عن ابي عبد الرحمن السلمي قال : قال عمر بن الخطاب : لا تغالوا في مهور النساء ، فقالت امرأة : ليس ذلك لك يا عمر إن الله يقول (وآتيتهم إحداهن قنطاراً من ذهب - قال وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود - فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئاً^(١)) فقال عمر : ان امرأة خاصمت عمر شخصته

(١) هذه القراءة الشاذة تفسير

﴿ طريق أخرى عن عمر فيها انقطاع ﴾ قال الزبير بن بكار : حدثني عمي مصعب بن عبد الله عن جدي قال : قال عمر بن الخطاب : لا تزيدوا في مهور النساء وان كانت بنت ذي القصة - يعني يزيد بن الحصين الحارثي - فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال ، فقالت امرأة من صفة النساء طويلة ، في أنفها فطس : ما ذاك لك قال : ولم ؟ قالت : ان الله قال (وآتيتهم إحداهن قنطاراً) الآية فقال عمر : امرأة أصابت ورجل أخطأ ، ولهذا قال منكرأ ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضهم الى بعض ﴾ أي وكيف تأخذون الصداق من المرأة وقد أفضيت اليها وافضت اليك . قال

تسريح باحسان قال الشعبي وعكرمة هو ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى »

ابن عباس ومجاهد والسدي وغير واحد : يعني بذلك الجماع — وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمتلاعنين بعد فراغهما من تلاعنهما «الله يعلم ان احداكما كاذب، فبل منكما نائب» قالها ثلاثا فقال الرجل : يا رسول الله مالي — يعني ما اصدقها — قال «لامال لك ، ان كنت صدقت فهو بما استحلتت من فرجها ، وان كنت كذبت عليها فهو أبعد لك منها» . وفي سنن أبي داود وغيره عن نضرة بن أبي نضرة انه تزوج امرأة بكرأ في خدرها ، فإذا هي حامل من الزنا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، ففرض لها بالصدوق وفرق بينهما وأمر بجلدها وقال «الولد عبد لك ، والصدوق في مقابلة البضع» ولهذا قال تعالى (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضهم الى بعض) وقوله تعالى (واخذن منكم ميثاقا غليظا) روي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير: ان المراد بذلك العقد . وقال سفیان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عباس في قوله (واخذن منكم ميثاقا غليظا) قال : امسك بمعروف او تسريح باحسان . قال ابن أبي حاتم : وروي عن عكرمة ومجاهد وأبي العالية والحسن وقتادة وبجي بن أبي كثير والضحاك والسدي نحو ذلك . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في الآية هو قوله «أخذتموهن بكلمة»^(١) الله ، واستحلتم فروجهن بكلمة الله « فان كلمة الله هي الشهود في الخطبة قال : وكان فيما اعطى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به قال له «وجعلت امك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبيدي ورسولي» رواه ابن أبي حاتم وفي صحيح مسلم عن جابر في خطبة حجة الوداع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها «واستوصوا بالنساء خيرا فانكم اخذتموهن بأمانة الله ، واستحلتم فروجهن بكلمة الله»

(١) في المطبوعة بأمانة

وقوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) الآية : يحرم الله تعالى زوجات الآباء تكريما لهم ، واعظاما واحتراما ان توطأ من بعده ، حتى انها لتحرم على الابن بمجرد العقد عليها ، وهذا امر مجمع عليه . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا مالك بن اسماعيل حدثنا قيس بن الربيع حدثنا اشعث بن سوار عن عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار قال : لما توفي أبو قيس — يعني ابن الأسلت — وكان من صالحی الأنصار ، فخطب ابنه قيس امرأته فقالت : انما اعدك ولدا وأنت من صالحی قومك ، ولكني آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) فقالت : إن أبا قيس توفي فقال : «خيرا» ثم قالت : إن ابنه قيساً خطبني وهو من صالحی قومه ، وإنما كنت أعهده ولداً فما ترى؟

(٢) في الازهرية وأسس تأمره فأتى رسول الله (ص)

قوله عز وجل ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾ كان أهل الجاهلية ينكحون أزواج آبائهم قال الأشعث بن سوار : توفي أبو قيس وكان من صالحی الأنصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت إني اتخذتك ولدا وأنت من صالحی قومك ، ولكني آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم استأمره . فأتته فأخبرته فانزل الله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) ﴿إلا ما قد ساف﴾ قيل بعد ما سلف وقيل معناه لكن ما سلف أبي ماضي في الجاهلية فهو معفو عنه ﴿انه كان فاحشة﴾ أي انه

فقال لها « ارجعي إلى بيتك » قال : فنزلت (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) الآية . وقال ابن جرير : حدثنا القاسم حدثنا حسين حدثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف) قال : نزلت في أبي قيس بن الأسلت خلف على أم عبيد الله ضمرة ، وكانت تحت الأسلت أبيه ، وفي الأسود بن خلف ، وكان خلف على ابنة أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وكانت عند أبيه خلف ، وفي فاختة ابنة الأسود بن المطلب بن أسد كانت عند أمية بن خلف ، فخلف عليها صفوان بن أمية . وقد زعم السهيلي أن نكاح نساء الآباء كان معمولاً به في الجاهلية ، ولهذا قال (إلا ما قد سلف) كما قال (وأن يجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف) قال : وقد فعل ذلك كنانة بن خزيمة تزوج بامرأة أبيه فأولدها ابنه النضر بن كنانة قال : وقد قال صلى الله عليه وسلم « ولدت من نكاح لا من سفاح » قال : فدل على أنه كان سائفاً لهم ذلك ، فأراد^(١) أنهم كانوا يعدونه نكاحاً . فقد قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله الخزازي حدثنا قراد حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين فأنزل الله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وأن يجمعوا بين الأختين) وهكذا قال عطاء وقتادة ، ولكن فيما نقله السهيلي من قصة كنانة نظر والله أعلم . وعلى كل تقدير فهو حرام في هذه الأمة ، مبشع غاية التبشع ، ولهذا قال تعالى (إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً) وقال (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) وقال (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) فزاد ههنا (ومقتاً) أي بغضاً أي هو أمر كبير في نفسه ، ويؤدي إلى مقت الابن أباه بعد أن يتزوج بامرأته ، فإن الغالب أن من يتزوج بامرأة يبغض من كان زوجها قبله ، ولهذا حرمت أمهات المؤمنين على الأمة ، لأنهن أمهات لكونهن^(٢) زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وهو كالأب ، بل حقه اعظم من حق الآباء بالاجماع ، بل حبه مقدم على حب النفوس صلوات الله وسلامه عليه . وقال عطاء بن أبي رباح في قوله (ومقتاً) أي يمقت الله عليه (وساء سبيلاً) أي وبئس طريقاً لمن سلكه من الناس ، فمن تعاطاه بعد هذا فقد ارتد عن دينه ، فيقتل ويصير ماله فيأبى بيت المال ، كما رواه الامام احمد واهل السنن من طرق عن البراء بن عازب عن خاله أبي بردة وفي رواية ابن عمر . وفي رواية ابن عمر انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه من بعده ان يقتله ويأخذ ماله . وقال الامام احمد

(١) في الازهرية
وان أراد

(٢) فيها : لكنهن

فاحشة وكان فيه صلة ، والفاحشة أقبح المعاصي ﴿ ومقتاً ﴾ أي يورث مقت الله والمقت أشد البغض ﴿ وساء سبيلاً ﴾ وبئس ذلك طريقاً وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه مقتيت وكان منهم الأشعث بن قيس وأبو معيط بن أبي عمرو بن أمية . أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو سهل محمد بن عمرو السجزي أنا الامام أبو سايان الخطابي أنا أحمد بن هشام الحضرمي أنا أحمد بن عبد الجبار

حدثنا هشيم حدثنا أشعث عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال : مرّ بي عمي الحارث بن عمير ومعه لواء قد عقده له النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له : أي عم ابن بعثك النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بعثني إلى رجل تزوج امرأة أبيه فأمرني أن أضرب عنقه

﴿مسألة﴾ وقد اجمع العلماء على تحريم من وطأها الأب بتزويج أو ملك أو شبهة واختلفوا فيمن باشرها بشهوة دون الجماع أو نظر إلى مالا يحل له النظر إليه منها ولو كانت اجنبية . فعن الامام احمد رحمه الله انها تحرم ايضا بذلك وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة خديج الحمصي مولى معاوية قال اشترى لمعاوية جارية بيضاء جميلة فادخلها عليه مجردة ويده قضيب فجعل بهوي به إلى متاعها ويقول نعم المتاع لو كان له متاع اذهب بها إلى يزيد بن معاوية ثم قال لا ادع لي ربيعة من عمرو الحارسي وكان فقيها فلما دخل عليه قال ان هذه آتيت بها مجردة فرايت منها ذاك وذاك واني اردت ان ابعث بها إلى يزيد فقال لا تفعل يا امير المؤمنين فانها لا تصلح له ثم قال نعم ما رايت ثم قال ادع لي عبد الله بن مسعدة الفزاري فدعوته وكان آدم شديد الأدمة فقال دونك هذه بيض بها ولدك قال وكان عبد الله بن مسعدة هذا وهبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة فربته ثم اعتنقه ثم كان بعد ذلك مع معاوية على علي رضي الله عنه

(حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم التي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربباتكم التي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ، وأن تجمعوا ما بين الأختين إلا ما قد سلف ، ان الله كان عفورا رحيمًا (٢٣) والمحصنات من النساء إلا ما ملكت إيمانكم ، كتب الله عليكم ، وأحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسفحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضين به من بعد الفريضة ، ان الله كان عليما حكيما (٢٤)

العطاردى عن حفص بن غياث عن أشعث بن سوار عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال : مرّ بي خالي ومعه لواء . فقلت أين تذهب قال : بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه آتية برأسه . قوله تعالى ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ الآية . بين الله تعالى في هذه الآية المحرمات بسبب الوصلة وجملة المحرمات في كتاب الله تعالى أربع عشرة سبع بالنسب وسبع بالسبب ، فأما السبع بالسبب فمنها اثنتان بالرضاع وأربع بالصهرية والسابعة المحصنات وهن ذوات الأزواج . وأما السبع بالنسب فقولته تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم) وهي جمع أم ويدخل فيه الجدات وان علون من قبل الأم ومن

هذه الآية الكريمة هي آية تحريم المحارم من النسب وما يتبعه من الرضاع والمحامر بالصهر كما قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان بن حبيب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : حرمت عليكم سبع نسباً وسبع صهراً وقرأ (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم) الآية وحدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد حدثنا أبو أحمد حدثنا سفيان عن الأعمش عن اسماعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس قال : يحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) فمن النسب . وقد استدلل جمهور العلماء على تحريم المخلوقة من ماء الزاني عليه بعموم قوله تعالى (وبناتكم) فانها بنت فتدخل في العموم كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل وقد حكى عن الشافعي شيء في إباحتها لأنها ليست بنتاً شرعية فكما لم تدخل في قوله (يوصيكم الله في أولادكم) للذكر مثل حظ الأنثيين) فانها لا ترث بالاجماع فكذلك لا تدخل في هذه الآية والله أعلم وقوله تعالى (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) أي كما يحرم عليكم أمك التي ولدتك ؛ كذلك يحرم عليك أمك التي أرضعتك ، ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث مالك بن أنس عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة » وفي لفظ لمسلم

قبل الأب « وبناتكم » وهي جمع البنات ويدخل فيهن بنات الأولاد وان سفلى « وأخواتكم » جمع الأخت سواء كانت من قبل الأب والأم أو من قبل أحدهما « وعماتكم » جمع العمة ويدخل فيهن جميع أخوات آبائك وأجدادك وان علوا « وخالاتكم » جمع خالة ويدخل فيهن جميع أخوات أمهاتكم وجداتكم « وبنات الأخ وبنات الأخت » ويدخل فيهن بنات أولاد الأخ والأخت وان سفلى وجملة انه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وأول أصوله وأول فصل من كل أصل بعده . والأصول هي الأمهات والجدات والفصول البنات وبنات الأولاد وفصول أول أصوله هي الأخوات وبنات الأخوة والأخوات وأول فصل من كل أصل بعده هن العمات والخالات وان علون . وأما المحرمات بالرضاع فقوله تعالى « وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة » وجملة انه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب . أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن دينار عن سليمان بن يسار عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي قال : أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها أخبرتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كن عندها وانها سمعت صوت رجل يتأذن في بيت حفصة

« يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب » وقال بعض الفقهاء : كل ما يحرم من النسب يحرم من الرضاعة الا أربع صور ، وقال بعضهم : ست صور هي مذكورة في كتب الفروع والتحقيق أنه لا يستثنى شيء من ذلك ، لأنه يوجد مثل بعضها في النسب ، وبعضها إنما يحرم من جهة الصهر ، فلا يرد على الحديث شيء أصلاً البتة ، والله الحمد وبه الثقة . ثم اختلف الأئمة في عدد الرضعات المحرمة ، فذهب ذاهبون الى أنه يحرم مجرد الرضاع لعموم هذه الآية ، وهذا قول مالك ، ويروى عن ابن عمر ، واليه ذهب سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهرى . وقال آخرون : لا يحرم أقل من ثلاث رضعات لما ثبت في صحيح مسلم من طريق هاشم بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تحرم المصاة والمصستان » وقال قتادة عن أبي الخليل عن عبد الله بن الحارث عن أم الفضل قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تحرم الرضعة والرضعتان ، والمصاة والمصستان » وفي لفظ آخر « لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجتان » رواه مسلم . ومن ذهب الى هذا القول الامام احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبو عبيد وأبو ثور ، وهو مروى عن علي وعائشة وأم الفضل وابن الزبير وسليمان بن يسار وسعيد بن جبير رحمهم الله . وقال آخرون : لا يحرم أقل من خمس رضعات لما ثبت في صحيح مسلم من طريق مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان فيما أنزل من القرآن « عشر رضعات معلومات يحرم من » ثم نسخن بخمس معلومات ، فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن ، وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة نحوه ذلك . وفي حديث سهيلة بنت سهيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها

فقال تعالى رضي الله : عنها قلت : يا رسول الله هذا رجل يستأذن في بيتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أراه فلانا » لم حفصة من الرضاعة ، فقالت يا رسول الله لو كان فلانا حياً لعمها من الرضاعة أيدخل علي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الرضاعة تحرم ما يحرم من الولادة » وإنما تثبت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما أن يكون قبل استكمال المولود حولين لقوله تعالى ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾ وروى عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء » وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا رضاع الا ما أنشأ العظم وأنبت اللحم » وإنما يكون هذا في حال الصغر وعند أبي حنيفة رضي الله عنه مدة الرضاع ثلاثون شهراً لقوله تعالى ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ وهو عند الأكثرين لأقل مدة الحمل ستة الأشهر والشرط الثاني أن يوجد خمس رضعات متفرقات يروى ذلك عن عائشة رضي الله عنها وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى وذهب أكثر أهل العلم إلى أن قليل الرضاع وكثيره محرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب سفيان الثوري ومالك والأوزاعي وعبد الله بن المبارك

أن ترضع سالماً مولى أبي حذيفة خمس رضعات ، وكانت عائشة تأمر من يريد أن يدخل عليها أن يرضع خمس رضعات ، وبهذا قال الشافعي وأصحابه ، ثم ليعلم أنه لا بد أن تكون الرضاعة في سن الصغر دون الحولين على قول الجمهور . وقد قدمنا الكلام على هذه المسئلة في سورة البقرة عند قوله (يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) . ثم اختلفوا هل يحرم ابن الفحل كما هو قول جمهور الأئمة الأربعة وغيرهم ، أو إنما يختص الرضاع بالأم فقط ، ولا ينتشر الى ناحية الأب كما هو قول لبعض السلف على قولين تحرير هذا كله في كتاب الأحكام الكبير

وقوله (وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) ، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم (أما أم المرأة فأنها تحرم بمجرد العقد على بنتها ، سواء دخل بها أو لم يدخل بها . وأما الربيبة وهي بنت المرأة فلا تحرم ^(١) حتى يدخل بأمرها ، فإن طلق الأم قبل الدخول بها جاز له أن يتزوج بنتها ، ولهذا قال (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) ، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم (في تزويجهن) ، فهذا خاص بالربائب وحدهن ، وقد فهم بعضهم عود الضمير الى الأمهات والربائب فقال : لا تحرم واحدة من الأم ولا البنت بمجرد العقد على الأخرى حتى يدخل بها لقوله (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي وعبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن جلاس بن عمرو عن علي رضي الله عنه في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أيتزوج بأمرها ؟ قال : هي بمنزلة الربيبة . وحدثنا ابن بشار حدثنا يحيى عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن زيد بن

(١) في الازمنة
بمجرد العقد

وأصحاب الرأي واحتج من ذهب الى أن القليل لا يحرم بما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا انس بن عياض عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تحرم المصنة من الرضاع والمصتان » هكذا روى بعضهم هذا الحديث ورواه عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الصحيح أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأن من القرآن . وأما المحرمات بالصهرية . فقوله (وأمهات نسائكم) وجملته أن كل من عقد النكاح على امرأة فتحرم على النكاح أمهات المنكوحة وجداتها وإن علون من الرضاعة والنسب بنفس العقد (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) الربائب جمع ربيبة وهي بنت المرأة سميت ربيبة لتربيته إياها : وقوله في

ثابت قال : إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلا بأس أن يتزوج أمها . وفي رواية عن قتادة عن سعيد عن زيد بن ثابت أنه كان يقول : إذا ماتت فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها ، فإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء ففعل . وقال ابن المنذر : حدثنا اسحق عن عبد الرزاق عن ابن جريج قال : أخبرني أبو بكر بن حفص عن مسلم بن عويمر الأجدع أن بكر بن كنانة أخبره أن أباه أنكحه امرأة بالطائف قال : فلم أجامعها حتى توفي عمي عن أمها ، وأمها ذات مال كثير فقال أبي : هل لك في أمها ؟ قال : فسأت ابن عباس وأخبرته ؟ فقال : انكح أمها ، قل : وسأت ابن عمر فقال : لا تنكحها ، فأخبرت أبي بما قالا ، فكتب إلى معاوية فأخبره بما قالا ، فكتب معاوية : إني لأحل ما حرم الله ، ولا أحرّم ما أحلّ الله ، وأنت وذاك والنساء سواها كثير ، فلم ينه ولم يأذن لي ، فأنصرف أبي عن أمها فلم ينكحنيها . وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن سماك بن الفضل عن رجل عن عبد الله بن الزبير قال : الربيبة والأم سواء لا بأس بها إذا لم تدخل بالمرأة ، وفي إسنادهم مبهم . وقال ابن جريج أخبرني عكرمة بن كعيد^(١) أن مجاهداً قال (وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم) أراد بهما الدخول جميعاً ، فهذا القول كما ترى مروى عن عليّ وزيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ومجاهد وسعيد ابن جبير وابن عباس ، وقد توقف فيه معاوية ، وذهب إليه من الشافعية أبو الحسن أحمد بن محمد الصابوني فيما نقله الرافعي عن العبادي ، وقد روي عن ابن مسعود مثله ثم رجع عنه . قال الطبراني : حدثنا اسحق بن إبراهيم الدبري حدثنا عبد الرزاق عن الثوري عن أبي فروة عن أبي عمرو الشيباني عن ابن مسعود : أن رجلاً من بني كنعان من فزارة تزوج امرأة فرأى أمها فأعجبته ، فاستفتى ابن مسعود فأمره أن يفارقها ثم يتزوج أمها فتزوجها وولدت له أولاداً ثم أتى ابن مسعود المدينة فستل عن ذلك فأخبر أنها لا تحل له ، فلما رجع إلى الكوفة قال للرجل : إنها عليك حرام . ففارقها . وجهور العلماء على أن الربيبة لا تحرم بالعقد على الأم بخلاف الأم فإنها تحرم بمجرد العقد . قال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر بن محمد حدثنا هرون بن عروة حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقول : إذا طلق الرجل المرأة قبل أن يدخل بها أو ماتت لم تحل له أمها (وروي) أنه قال : إنها مبهمة فكرها . ثم قال : وروي عن ابن مسعود وعمران بن حصين ومسروق وطاووس وعكرمة وعطاء والحسن ومكحول وابن سيرين وقاتدة والزهري نحو ذلك ، وهذا مذهب الأئمة الأربعة والعقهاء السبعة ، وجهور الفقهاء قديماً وحديثاً والله الحمد والمنة — قال ابن جريج : والصواب قول من قال الأم من المبهمات ، لأن الله لم يشترط معهن الدخول كما اشترطه مع أمهات الربائب ، مع أن ذلك أيضاً إجماع الحجة التي لا يجوز خلافها فيما

(١) في الازهرية

خالد

حجوركم أي في تربيتكم يقال فلان في حجر فلان إذا كان في تربيته : دخلتم بهن أي جامعتموهن ويحرم عليه أيضاً بنات المنكوحة وبنات أولادها وإن سفان من الرضاع والنسب بعد الدخول بالمنكوحة

جاءت به متفقة عليه . وقد روي بذلك أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر غريب وفي اسناده نظر ، وهو ما حدثني به ابن المثنى حدثنا حبان بن موسى حدثنا ابن المبارك أخبرنا المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوج أمها ، دخل بالبنات أو لم يدخل ، فاذا تزوج بالأم فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج الابنة » ثم قال : وهذا الخبر وان كان في اسناده ما فيه فان في اجماع الحجة على صحة القول به مستغني عن الاستشهاد على صحته بغيره

وأما قوله تعالى (وربائبكم اللاتي في حجوركم) فالجمهور على أن الريبة حرام ، سواء كانت في حجر الرجل أو لم تكن في حجره . قالوا : وهذا الخطاب خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له كقوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً) وفي الصحيحين أن أم حبيبة قالت : يا رسول الله انكح אחتي بنت ابي سفيان . وفي لفظ لمسلم عزة بنت ابي سفيان قال « أوتحين ذلك » ؟ قالت : نعم است بك بمخيلة ، وأحب من شاركني في خير אחتي قال « فان ذلك لا يحل لي » قالت : فانا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت ابي سلمة قال « بنت أم سلمة » قالت : نعم قال « انها لو لم تكن ربييتي في حجري ما حلت لي ، انها لبنت أخي من الرضاعة ، أرضعني وأبا سلمة ثوية ، فلا تعرض علي بناتكن ولا أخواتكن » وفي رواية للبخاري « اني لو لم أتزوج أم سلمة ما حلت لي » فجعل المناط في التحريم مجرد تزوجه أم سلمة ، وحكم بالتحريم بذلك ، وهذا هو مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة وجمهور الخلف والسلف . وقد قيل بأنه لا يحرم الريبة الا اذا كانت في حجر الرجل فاذا لم يكن كذلك فلا تحرم . وقال ابن ابي حاتم : حدثنا ابو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى انبأنا هشام - يعني ابن يوسف - عن ابن جريج حدثني ابراهيم بن عبيد بن رفاعة اخبرني مالك بن اوس ابن الحدثان قال : كانت عندي امرأة فتوفيت وقد ولدت لي فوجدت عليها فلقيني علي بن ابي طالب فقال : مالك ؟ فقلت : توفيت المرأة فقال علي : لها ابنة ؟ قلت : نعم وهي بالطائف قال : كانت في حجرك ؟ قلت : لا هي بالطائف قال : فانكحها قلت : فأين قول الله (وربائبكم اللاتي في حجوركم) ؟ قال : انها لم تكن في حجرك انما ذلك اذا كانت في حجرك ، هذا اسناد قوي ثابت الى علي بن ابي طالب على شرط مسلم ، وهو قول غريب جداً ، والى هذا ذهب داود بن علي الظاهري واصحابه ، وحكماه ابو القاسم الرافعي عن مالك رحمه الله ، واختاره ابن حزم ، وحكي لي شيخنا الحافظ ابو عبد الله الذهبي أنه عرض هذا على الشيخ الامام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله فاستشكله وتوقف في ذلك والله أعلم . وقال ابن المنذر : حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا الاثرم عن ابي عبيدة قوله

حتى لو فارق المنكوحه قبل الدخول بها أو ماتت جازله أن ينكح بنتها ولا يجوز له أن ينكح أمها لان الله تعالى أطلق تحريم الامهات ، وقال في تحريم الربائب « فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح

(اللاتي في حجوركم) قال : في بيوتكم . وأما الربيبة في ملك اليمين فقد قال الامام مالك بن انس عن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب سئل عن المرأة وبناتها من ملك اليمين توطأ إحداها بعد الاخرى؟ فقال عمر : ما احب ان أجيزهما جميعاً يريد أن أطأهما جميعاً بملك يميني ، وهذا منقطع . وقال سنيد ابن داود في تفسيره : حدثنا ابو الأحوص عن طاووس عن طارق بن عبد الرحمن عن قيس قال : قلت لابن عباس أيقع الرجل على امرأة وابنتها مملوكين له ؟ فقال : أحلتها آية وحرمتها آية ، ولم أكن لأفعله . وقال الشيخ ابو عمر بن عبد البر رحمه الله : لاخلاف بين العلماء أنه لايجل لأحد أن يطأ امرأة وبناتها من ملك اليمين ، لأن الله حرم ذلك في النكاح قال (وأمهات نسائكم وربائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم) وملك اليمين عندهم تبع للنكاح ، الا ما روي عن ابن عمر وابن عباس ، وليس على ذلك احد من أئمة الفتوى ولا من تبعهم . وروى هشام عن قتادة : بنت الربيبة وبنت ابنتها لاتصلح وان كانت اسفل بيطون كثيرة ، وكذا قال قتادة عن ابي العالية . ومعنى قوله (اللاتي دخلتم بهن) اي نكحتموهن ، قاله ابن عباس وغير واحد . وقال ابن جريج عن عطاء : هو ان تهدي اليه فيكشف ويفتش ويجلس بين رجلها قالت : ارأيت ان فعل ذلك في بيت أهلها ؟ قال : هو سواء ، وحسبه قد حرم ذلك عليه ابنتها . وقال ابن جريج : وفي اجماع الجميع (على) أن خلوة الرجل بامرأة لا تحرم ابنتها عليه اذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها وقبل النظر الى فرجها بشهوة مايدل على ان معنى ذلك هو الوصول اليها بالجماع

وقوله تعالى (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) أي وحرمت عليكم زوجات أبنائكم الذين ولدتموهم من أصلابكم يحترز بذلك عن الادعياء الذين كانوا يتبنونهم في الجاهلية كما قال تعالى (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) الآية . وقال

عليكم ﴿ يعني في نكاح بناتهم اذا فارقتموهن أو متن وقال علي رضي الله عنه أم المرأة لا تحرم الا بالدخول بالبنت كالربيبة

﴿ وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ﴾ يعني أزواج أبنائكم واحدها حليلة والذكر حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما حلال لصاحبه وقيل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه من الحلول وهو النزول وقيل إن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه من الحل وهو ضد العقد وجملة انه يحرم على الرجل حلائل أبنائه وأبناء أولاده وإن سلفوا من الرضاع والنسب بنفس العقد ، وانما قال من أصلابكم ليعلم أن حليلة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي تبناه فان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد بن حارثة وكان زيد قد تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم والرابع من المحرمات بالصهرية حليلة الأب والجدوان علا فتحرم على الولد وولد الولد بنفس العقد سواء من الأب من الرضاع أو من النسب لقوله تعالى ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ﴾ وقوله

ابن جريج : سألت عطاء عن قوله (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) قال : كنا نحدث والله أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نكح امرأة زيد قال المشركون بمكة في ذلك ، فأنزل الله عز وجل (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) ونزلت (وما جعل أديعاءكم أبناءكم) ونزلت (ما كان محمد أباً أحدهم من رجالكم) وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن أبي بكر المقدي حدثنا خالد بن الحارث عن الأشعث عن الحسن بن محمد أن هؤلاء الآيات مبهمات : وحلائل أبنائكم وأمهات نسائكم . ثم قال : وروى عن طاروس وإبراهيم والزهري ومكحول نحو ذلك (قلت) معنى مبهمات أي عامة في المدخول بها وغير المدخول فتحرم بمجرد العقد عليها وهذا متفق عليه ، فإن قيل فن ابن تحرم امرأة ابنه من الرضاعة كما هو قول الجمهور ومن الناس من يحكيه إجماعاً وليس من صلبه ؟ فالجواب من قوله صلى الله عليه وسلم « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب »

وقوله تعالى (وأن تجمعوا بين الاختين إلا ما قد سلف) الآية . أي وحرّم عليكم الجمع بين الاختين معافى التزويج وكذا في ملك اليمين ، إلا ما كان منكم في جاهليّتكم فقد عفونا عنه وغفرناه . فدل على أنه لامتنية فيما يستقبل لأنه استثنى مما سلف كما قال (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) فدل على أنهم لا يذوقون فيها الموت أبداً ، وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين والأئمة قديماً وحديثاً على أنه يحرم الجمع بين الاختين في النكاح ، ومن أسلم وتحتّه اختان خير فيمسك أحدهما ويطلق الأخرى لامحالة . قال الامام أحمد : حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن أبي وهب الجشاني عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال : أسلمت وعندي امرأتان أختان فأمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن أطلق أحدهما . ثم رواه الامام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن لهيعة ، وأخرجه أبو داود والترمذي أيضاً من حديث يزيد بن أبي حبيب كلاهما عن أبي وهب

سبو ذكره وكل امرأة تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بالوطء في ملك اليمين ، والوطء بشبهة النكاح حتى لو وطئ امرأة بالشبهة أو جارية بملك اليمين فتحرم على الواطئ أم الموطوءة وابنتها وتحرم الموطوءة على أبي الواطئ وعلى ابنه . ولو زنى بامرأة فقد اختلف فيه أهل العلم فذهب جماعة إلى أنه لا تحرم على الزاني أم المزني بها وابنتها ولا تحرم الزانية على أبي الزاني وابنه وهو قول علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وبه قال سعيد بن المسيب وعروة والزهري وإليه ذهب مالك والشافعي رحمهم الله تعالى وذهب قوم إلى التحريم يروى ذلك عن عمران بن حصين وأبي هريرة رضي الله عنهما وبه قال جابر بن زيد والحسن وهو قول أصحاب الرأي ، ولو مس امرأة بشهوة أو قبلها قبل يجعل ذلك كالدخول في إثبات جرمة المصاهرة وكذلك لو مس امرأة بشهوة قبل يجعل كالوطء في تحريم الربيبة ؟ فيه قولان أصحابهما وهو قول أكثر أهل العلم أنه ثبت به الحرمة والثاني لا ثبت كالأخت ثبت بالنظر والشبهة قوله تعالى (وأن تجمعوا بين الاختين) لا يجوز للرجل أن يجمع بين الاختين

الجشائي قال الترمذي واسمه دليم بن الهوشم عن الضحاك بن فيروز الديلمي عن أبيه به وفي لفظ للترمذي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اختر أيتها شئت » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن وقد رواه ابن ماجه أيضاً باسناد آخر فقال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد السلام بن حرب عن اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبي وهب الجشائي عن أبي خراش الرعيني قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أختان تزوجتهما في الجاهلية فقال « اذا رجعت فطلق احداهما » قلت : فيحتمل أن أبا خراش هذا هو الضحاك بن فيروز ويحتمل أن يكون غيره فيكون أبو وهب قد رواه عن اثنين عن فيروز الديلمي والله أعلم . وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن يحيى ابن محمد بن يحيى حدثنا أحمد بن يحيى الخولاني حدثنا هيثم بن خارجة حدثنا يحيى بن اسحاق عن اسحاق ابن عبد الله بن أبي فروة عن زر بن حكيم عن كثير بن مرة عن الديلمي قال : قلت يارسول الله إن تحتني أختين قال « طلق أيهما شئت » فالديلمي المذكور أولاً هو الضحاك بن فيروز الديلمي رضي الله عنه ، وكان من جملة الامراء باليمن الذين ولوا قتل الاسود العنسي المتنبئ ، لعنه الله ، وأما الجمع بين الاختين في ملك اليمين فحرام أيضاً لعموم الآية . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا موسى ابن اسماعيل حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة - أو عتبة - عن ابن مسعود أنه سئل عن الرجل يجمع بين الاختين فكرهه فقال له يعني السائل يقول الله تعالى (إلا ما ملكت أيمانكم) فقال له ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : وبغيرك مما ملكت يمينك . وهذا هو المشهور عن الجمهور والأئمة الأربعة وغيرهم ، وإن كان بعض السلف قد توقف في ذلك . وقال الامام مالك عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن رجلاً سأل عثمان بن عفان عن الاختين في ملك اليمين هل يجمع بينهما فقال عثمان أحلتها آية وحرمتها آية وما كنت لأمنع ذلك فخرج من عنده فلقني رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال : لو كان لي من الأمر شيء ، ثم وجدت أحداً فعل ذلك لجعلته نكالا . وقال مالك : قال ابن شهاب أراه علي بن أبي طالب قال : وبلغني عن الزبير ابن العوام مثل ذلك قال ابن عبد البر النمري رحمه الله في كتاب الاستذكار إنما كني قبيصة بن ذؤيب عن علي بن أبي طالب لصحبته عبد الملك بن مروان وكانوا يستثقلون ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم قال أبو عمر حدثني خلف بن أحمد قراءة عليه أن خلف بن مطرف حدثهم حدثنا

في النكاح سواء كانت الاخوة بينهما بالنسب أو بالرضاع فاذا نكح امرأة ثم طلقها بائناً جازله نكح اختها وكذلك لو ملك أختين بملك اليمين لم يجوز له أن يجمع بينهما في الوطء فاذا وطئ احداهما لم يحل له وطء الاخرى حتى يحرم الاولى على نفسه وكذلك لا يجوز أن يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهم ان رسول الله صلى

أيوب بن سليمان وسعيد بن سليمان ومحمد بن عمر بن لبابة قالوا : حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ عن موسى بن أيوب الغافقي حدثني عمي إياس بن عامر قال : سألت علي بن أبي طالب فقلت ان لي أختين مما ملكت يميني أخذت أحدهما سرية فولت لي أولاداً ، ثم رغبت في الأخرى فما أصنع ، فقال علي رضي الله عنه : تعق التي كنت تظاً ، ثم تظاً الأخرى قلت فان ناساً يقولون بل تزوجها ثم تظاً الأخرى ، فقال علي : أرأيت ان طلقها زوجها أو مات عنها أليس ترجع إليك ؟ لأن تعتقها أسلم لك ، ثم أخذ علي بيدي فقال لي : إنه يحرم عليك مما ملكت يمينك ما يحرم عليك في كتاب الله عز وجل من الحرائر إلا العدد ، أو قال إلا الأربع ، ويحرم عليك من الرضاع ما يحرم عليك في كتاب الله من النسب ، ثم قال أبو عمر هذا الحديث (١) رحلة رجل لم يصب من أقصى المغرب والمشرق إلى مكة غيره لما خابت رحلته قلت : وقد روي عن علي نحو ما روي عن عثمان . وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن العباس حدثني محمد بن عبد الله بن المبارك الخرمي حدثنا عبد الرحمن بن غزوان حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قل : قال علي بن أبي طالب حرمتها آية وأحلها آية - يعني الاختين . قال ابن عباس يحرم من على قرابتي منهن ، ولا يحرم من قرابة بعضهن من بعض يعني الاماء ، وكانت الحاهلية يحرمون ما تحرمون إلا امرأة الاب والجمع بين الاختين ، فلما جاء الاسلام أنزل الله (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف - وأن تجمعوا بين الاختين إلا ما قد سلف) يعني في النكاح ، ثم قال أبو عمر وروى الامام أحمد بن حنبل حدثنا محمد بن سلمة عن هشام عن ابن سيرين عن ابن مسعود قال : يحرم من الاماء ما يحرم من الحرائر إلا العدد وعن ابن مسعود (٢) والشعبي نحو ذلك ، قال أبو عمر وقد روي مثل قول عثمان عن طائفة من السلف منهم ابن عباس ولكن اختلف عليهم ، ولم يلتفت إلى ذلك أحد من فقهاء الامصار والحجاز ولا العراق ولا ما وراءهما من المشرق ولا بالشام والمغرب ، إلا من شذ عن جماعتهم باتباع الظاهر ونفي القياس وقد ترك من يعمل ذلك ظاهراً ما اجتمعنا عليه ، وجماعة الفقهاء متفقون على أنه لا يحل الجمع بين الاختين بملك اليمين في الوطء كما لا يحل ذلك في النكاح ، وقد أجمع المسلمون على أن معنى قوله (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم) إلى آخر الآية أن النكاح وملك اليمين في هؤلاء كلهن سواء ، وكذلك يجب أن يكون نظراً وقياساً لجمع بين الاختين وأمهات النساء والزبائب ، وكذلك هو عند جمهورهم وهم الحجة المحجوج بها من خالفها وشذ عنها

(١) في النسخة المطبوعة هذا الحديث رجل . اعلم وبعده بياض . وفي الازهرية : هذا الحديث رحلة . فجمعنا بينها

(٢) في الازهرية ابن سيرين

الله عليه وسلم قال « لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها » قوله تعالى « إلا ما قد سلف » يعني لكن ما مضى فهو معفو عنه لانهم كانوا يفعلونه قبل الاسلام وقال عطاء والسدي الا ما كان من يعقوب عليه السلام فإنه جمع بين ليا أم يهوذا وراحيل أم يوسف وكانتا أختين (ان الله كن عفواً رحماً)

وقوله تعالى (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) أي وحرم عليكم من الاجنبيات المحصنات وهي المزوجات إلا ما ملكت أيمانكم يعني إلا ما ملكتموهن بالسبي فانه يحل لكم وطؤهن اذا استبرأتموهن ، فان الآية نزلت في ذلك . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان هو الثوري عن عثمان البتي عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري قال : أصبنا سبياً من سبي أوطاس ولهن أزواج ففكرهنا أن تقع عليهن ولهن أزواج فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) فاستحللنا فروجهن ، وهكذا رواه الترمذي عن أحمد ابن منيع عن هشيم ، ورواه النسائي من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ، ثلاثتهم عن عثمان البتي ، ورواه ابن ماجه ^(١) من حديث أشعث بن سوار عن عثمان البتي ، ورواه مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن قتادة كلاهما عن أبي الخليل صالح بن أبي مریم عن أبي سعيد الخدري فذكره ، وهكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أبي الخليل عن ابن سعيد الخدري به ، وروي من وجه آخر عن أبي الخليل عن أبي علقمة الهاشمي عن أبي سعيد الخدري قال الامام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي علقمة عن أبي سعيد الخدري أن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابوا سبياً يوم أوطاس لهن أزواج من أهل الشرك ، فكان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا وتأتموا من غشيانهم ، قال فنزلت هذه الآية في ذلك (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة زاد مسلم وشعبة ، ورواه الترمذي من حديث همام بن يحيى ثلاثتهم عن قتادة بأسناده نحوه ، وقال الترمذي هذا حديث حسن ولا أعلم أن أحداً ذكر أبا علقمة في هذا الحديث إلا ما ذكر همام عن قتادة — كذا قال — وقد تابعه سعيد وشعبة والله أعلم

وقد روى الطبراني من حديث الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في سبايا خير ، وذكر مثل حديث أبي سعيد ، وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن بيع الأمة يكون طلاقاً لها من زوجها أخذاً بعموم هذه الآية ، وقال ابن جرير حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن مغيرة بن ابراهيم

قوله تعالى ﴿ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم ﴾ يعني ذوات الأزواج لا يحل للعير نكاحهن قبل مفارقة الأزواج وهذه السابعة من النساء اللاتي حرمن بالسبب قال أبو سعيد الخدري نزلت في نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج فنزوهن بعض المسلمين ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال إلا ما ملكت أيمانكم يعني السبايا اللواتي سبين ولهن أزواج في دار الحرب فيحل للمالكين وطؤهن بعد الاستبراء لان بالسبي يرتفع النكاح بينها وبين زوجها قال أبو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين جيشاً الى أوطاس فأصابوا سباياهن أزواج من المسلمين ففكرهوا غشيانهم فانزل الله تعالى

(١) في الازهرية
ابن جرير

انه سئل عن الأمة تباع ولها زوج؟ قال: كان عبد الله يقول: بيعها طلاقاً ويتلو هذه الآية (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) وكذا رواه سفيان عن منصور ومغيرة والأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود قال: بيعها طلاقاً. وهو منقطع، ورواه سفيان الثوري عن خليل عن أبي قلابة عن ابن مسعود قال: إذا بيعت الأمة ولها زوج فسيدها أحق ببيعها. ورواه سعيد عن قتادة، قال: أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس قالوا: بيعها طلاقاً. وقال ابن جرير: حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن خليل عن عكرمة عن ابن عباس قال: طلاق الأمة ست^(١) بيعها طلاقاً، وعقبتها طلاقاً، وهبتها طلاقاً، وبرأيتها طلاقاً، وطلاق زوجها طلاقاً. وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب قوله (والمحصنات من النساء) قال: هذه ذوات الأزواج حرم الله نكاحهن إلا ما ملكت يمينك فبيعها طلاقاً، وقال معمر: وقال الحسن مثل ذلك، وهكذا رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن في قوله (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) قال: إذا كان لها زوج فبيعها طلاقاً وروى عوف عن الحسن بيع الأمة طلاقاً، وبيعه طلاقاً، فهذا قول هؤلاء من السلف، وقد خالفهم الجمهور قديماً وحديثاً، فرأوا أن بيع الأمة ليس طلاقاً لها لأن المشتري نائب عن البائع، والبائع كان قد أخرج عن ملكه هذه المنفعة وباعها مسلوقة عنها واعتمدوا في ذلك على حديث بريرة المخرج في الصحيحين وغيرهما، فإن عائشة أم المؤمنين اشتريتها وأعتقتها، ولم يفسخ نكاحها من زوجها مغيث، بل خيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الفسخ والبقاء، فاختارت الفسخ وقصبتها مشهورة، فلو كان بيع الأمة طلاقاً كما قال هؤلاء ما خيرها النبي صلى الله عليه وسلم، فلما خيرها دل على بقاء النكاح، وأن المراد من الآية المسيبات فقط والله أعلم وقد قيل: المراد بقوله (المحصنات من النساء) يعني العفائف حرام عليكم حتى تملكوا عصمتين بنكاح وشهود ومهور وولي واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً، حكاه ابن جرير عن أبي العالية وطلوس وغيرهما. وقال عمر وعبيدة (والمحصنات من النساء) ما عدا الأربع حرام عليكم إلا ما ملكت أيمانكم وقوله تعالى (كتاب الله عليكم) أي هذا التحريم كتاب كتبه الله عليكم يعني الأربع فالزموا كتابه، ولا تخرجوا عن حدوده، والزموا شرعه وما فرضه. وقال عبيدة وعطاء والسدي في قوله

هذه الآية وقال عطاء أراد بقوله إلا ما ملكت أن تكون أمة في نكاح عبده فيجوز أن ينزعها منه وقال ابن مسعود أراد ببيع الجارية المزوجة فتقع الفرية بينها وبين زوجها فيكون بيعها طلاقاً فيحصل للمشتري وطؤها وقيل أراد بالمحصنات الحرائر ومعناه أن ما فوق الأربع حرام منهن إلا ما ملكت أيمانكم فإنه لا عدد عليكم في الجوازي. قوله تعالى (كتاب الله عليكم) نصب على المصدر أي كتب الله عليكم وقيل نصب على الإغراء أي الزموا ما كتب الله^(١) عليكم أي فرض

(١) في نسخة

كتاب الله

(١) قوله ست المعلوم خمسة فلتحذر الرواية له مصدريه

(كتاب الله عليكم) يعني الأربع . وقال ابراهيم (كتاب الله عليكم) يعني ما حرم عليكم وقوله تعالى (وأحل لكم ما وراء ذلكم) أي ما عدا من ذكرن من المحارم هن لكم حلال ، قاله عطاء وغيره . وقال عبيدة والسدي (وأحل لكم ما وراء ذلكم) ما دون الأربع ، وهذا بعيد . والصحيح قول عطاء كما تقدم . وقال قتادة : وأحل لكم ما وراء ذلكم يعني مما ملكت أيمانكم ، وهذه الآية هي التي احتج بها من احتج على تحليل الجمع بين الأختين ، وقول من قال : أحلتها آية وحرمتها آية

وقوله تعالى (أن تبغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) أي تحصلوا بأموالكم من الزوجات الى أربع أو السراي ما شئتم بالطريق الشرعي ، ولهذا قال (محصنين غير مسافحين) وقوله تعالى (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) أي كما تستمتعون بهن فآتوهن مهورهن في مقابلة ذلك ، كما قال تعالى (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض) وكقوله تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) وكقوله (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتوهن شيئاً) وقد استدلل

الله تعالى ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ قرأ أبو جعفر وحزمة والكسائي وحفص أحل بضم الالف وكسر الحاء لقوله حرمت عليكم وقرأ الآخرون بالنصب أي أحل الله لكم ما وراء ذلكم أي ماسوى ذلكم الذي ذكرت من المحرمات ﴿أن تبغوا﴾ تطلبوا ﴿بأموالهم﴾ أن تنكحوا بصدق أو تشتروا بشمن ﴿محصنين﴾ أي مزوجين أو متعففين ﴿غير مسافحين﴾ أي غير زانين مأخوذ من سفح الماء وصبه وهو المني ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد أراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح ﴿فآتوهن أجورهن﴾ أي مهورهن وقال آخرون هو نكاح المتعة وهو أن تنكح امرأة الى مدة فإذا انقضت تلك المدة بانت منه بلا طلاق وتسبيري رحما وليس بينهما ميراث وكان ذلك في ابتداء الاسلام ثم نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن الله بن نمير أنا ابي انا عبد العزيز ابن عمر حدثني الربيع بن سبرة الجهني ان أباه حدثه انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يا أيها الناس اني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله تعالى قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتوهن شيئاً» أخبر أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا ابو اسحق الهاشمي أنا ابو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن أبيهما عن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحر الانسية ، وإلى هذا ذهب عامة أهل العلم أن نكاح المتعة حرام والآية منسوخة ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يذهب إلى أن الآية محكمة

بعموم هذه الآية على نكاح المتعة ، ولا شك أنه كان مشروعا في ابتداء الاسلام ثم نسخ بعد ذلك وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء الى أنه أبيح ثم نسخ ، ثم أبيع ثم نسخ مرتين . وقال آخرون : أكثر من ذلك . وقال آخرون : إنما أبيع مرة ثم نسخ ولم يبيع بعد ذلك . وقد روي عن ابن عباس وطائفة من الصحابة القول باباحتها للضرورة ، وهو رواية عن الامام احمد ، وكان ابن عباس وأبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرؤون (فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة) وقال مجاهد : نزلت في نكاح المتعة ، ولكن الجمهور على خلاف ذلك . والعمدة ما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة ^(١) وعن لحوم الحر الأهلية يوم خيبر . ولهذا الحديث ألفاظ مقرررة هي في كتاب الأحكام . وفي صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة بن معبد الجبني عن أبيه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقال « يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وأن الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا » وفي رواية لمسلم في حجة الوداع ، وله ألفاظ موضعها كتاب الأحكام

وقوله تعالى (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) من حمل هذه الآية على نكاح المتعة الى أجل مسمى قال : لا جناح عليكم اذا انقضى الأجل أن تراضوا على زيادة به وزيادة لا يجعل قال السدي : إن شاء أرضاها من بعد الفريضة الأولى يعني الأجر الذي أعطاها على تمتعه بها قبل انقضاء الأجل بينهما فقال : أنتع منك أيضا بكذا وكذا ، فإن زاد قبل أن يستبرئ رهما يوم وترخص في نكاح المتعة . روي عن أبي نضرة قال سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن المتعة فقال أما تقرأ في سورة النساء (فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى) قلت لاقرأها هكذا قال ابن عباس هكذا أنزل الله ثلاث مرات ^(٢) وقيل ان ابن عباس رضي الله عنهما رجع عن ذلك ، وروى سالم عن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : ما بال رجال ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لأجد رجلا نكحها إلا رجته بالحجارة ، وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث ، قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول : لأعلم في الاسلام شيئا أحل ، ثم حرم ، ثم أحل ، ثم حرم غير المتعة

قوله تعالى (فآتوهن أجورهن) أي مهورهن (فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة قال أراد أنهما اذا عقدا الى أجل بمال ، فاذا تم الاجل فان شاءت المرأة زادت في الاجل وزاد الرجل في المال ، وإن لم يراضيا فارقها ، ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به) من الابراء عن المهر والافتداء والاعتياض (إن الله كان علما حكيما)

تنقضي المدة ، وهو قوله تعالى (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) قال السدي : اذا انقضت المدة فليس له عليها سبيل ، وهي منه بريئة ، وعابها أن تستبرئ ما في رحمها ، وايس بينهما ميراث ، فلا يرث واحد منهما صاحبه ، ومن قال بهذا القول الأول جعل معناه كقوله (وأتوا النساء صدقاتهن نحلة) الآية أي اذا فرضت لها صداقاً فأبرأتك منه ، أو عن شيء منه فلا جناح عليك ولا عليها في ذلك . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال : زعم الحضرمي أن رجلاً كانوا يفرضون المهر ثم عسى أن يدرك أحدهم العسرة فقال : ولا جناح عليكم أيها الناس فيما تراضيتن به من بعد الفريضة يعني إن وضعت لك منه شيئاً فهو لك سائغ .

﴿ فصل في قدر الصداق وفيما يستحب منه ﴾

اعلم انه لا تقدير لا كثر الصداق لقوله تعالى (وآتيتن احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً) والمستحب أن لا يغالى فيه قال عمر بن الخطاب : ألا لا تغالوا في صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئاً من نسائه ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية . أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا جعفر بن محمد المفلس أنا هرون بن اسحق أنا يحيى بن محمد الحارثي أنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن عبد الله بن الهادي عن محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة قال سألت عائشة رضي الله عنها كم كان صداق النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه قالت كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونش قالت أتدري ما النش ؟ قلت لا ، قالت نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم هذا صداق النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه ، أما أقل الصداق فقد اختلفوا فيه فذهب جماعة الى أن لا تقدير لأقله بل ما جاز أن يكون مبيعاً أو ثمناً جاز أن يكون صداقاً وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي وأحمد واسحق قال عمر بن الخطاب في ثلاث قبضات زبيب مهر وقال سعيد بن المسيب لو أصدقها سوطاً جاز وقال قوم يتقدر بنصاب السرقة وهو قول مالك وأبي حنيفة غير أن نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند أبي حنيفة عشرة دراهم والدليل على انه لا يتقدر ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي قال أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يا رسول الله إني وهبت نفسي لك فقامت طويلاً فقام رجل فقال يا رسول الله زوجنيها إن لم تكن لك فيها حاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل عندك من شيء تصدقها » قال ما عندي الا ازارى هذا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أعطيتها إياها جاست لا أزارك فالتمس شيئاً » فقال : ما أجده فقال « فالتمس ولو خاتماً من حديد » فالتمس فلم يجد شيئاً فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم « هلي معك من القرآن شيء ؟ »

واختار هذا القول ابن جرير . وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس (ولا جناح عليكم فيما تراضين به من بعد الفريضة) والتراضي أن يوفيهما صداقها ثم يخبرها يعني في المقام أو الفراق وقوله تعالى (إن الله كان عليماً حكيماً) مناسب ذكر هذين الوصفين بعد شرع هذه المحرمات

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ، بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَخَدَّاتٍ أَخْدَانٍ ، فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ، وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥)

يقول تعالى (ومن لم يجد منكم طولا) أي سعة وقدرة (أن ينكح المحصنات المؤمنات) أي الحرائر العفائف . وقال ابن وهب : أخبرني عبد الجبار عن ربيعة (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات) قال ربيعة : الطول الهوى يعني ينكح الأمة إذا كان هواه فيها ، رواه ابن ابي حاتم وابن جرير ، ثم أخذ يشنع هذا القول ويرده (فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) أي فتزوجوا من الاماء المؤمنات اللاتي يملكن المؤمنون (ولهذا قال من فتياتكم المؤمنات) قال ابن عباس وغيره : فلينكح من أماء المؤمنين ، وكذا قال السدي ومقاتل بن حيان . ثم اعترض بقوله (والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض) أي هو العالم بحقائق الامور وسرائرها ، وإنما لكم أيها الناس الظاهر من الامور ثم قال :

قال نعم سورة كذا وسورة كذا اسور سماها فقال النبي صلى الله عليه وسلم « قدزوجتكم بما معكم من القرآن » وفيه دليل على أن لا تقدير لاقبل الصداق لأنه قال التمس شيئاً وهذا يدل على جواز أي شيء كان من المال وقال ولو خلتما من حديد ولا قيمة لخاتم الحديد الا القليل التافه وفي الحديث دليل على أنه يجعل تعاليم القرآن صداقاً وهو قول الشافعي رحمه الله وذهب بعض أهل العلم الى أنه لا يجوز وهو قول أصحاب الرأي وكل عمل جاز الاستئجار عليه من البناء والخيطة وغير ذلك من الاعمال جاز أن يجعل صداقاً ولم يجوز أبو حنيفة رضي الله عنه أن يجعل منفعة الحر صداقاً والحديث حجة لمن جوزه بعد ما أخبر الله تعالى عن شعيب عليه السلام حيث زوج ابنته من موسى عليه السلام على العمل فقال (اني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج) قوله تعالى (ومن لم يستطع منكم طولا) أي فضلاً وسعة (أن ينكح المحصنات) الحرائر (المؤمنات) قرأ الكسائي المحصنات بكسر الصاد حيث كان الا قوله في هذه السورة والمحصنات بالناء وقرأ

(فانكحوهن باذن اهلن) فدل على أن السيد هو ولي أمته ، لاتزوج الا باذنه ، وكذلك هو ولي عبده ، ليس له أن يتزوج بغير إذنه كما جاء في الحديث « أما عبد تزوج بغير إذن موليه فهو عاهر » أي زان . فان كان مالك الأمة امرأة زوجها من يزوج المرأة باذنها لما جاء في الحديث « لاتزوج المرأة المرأة ، ولا المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها » وقوله تعالى (وآتوهن أجورهن بالمعروف) أي وادفعوا مهورهن بالمعروف أي عن طيب نفس منكم ، ولا تبخسوا منه شيئاً استهانة بهن لكونهن أماء مملوكات

وقوله تعالى (محصنات) أي عفاف عن الزنا لا يتعاطينه ، ولهذا قال (غير مسافحات) وهن الزواني اللاتي لا يمنعن من أرادهن بالفاحشة — وقوله تعالى (ولا متخذات أخدان) قال ابن عباس : (المسافحات) هن الزواني المعلنات يعني الزواني اللاتي لا يمنعن أحداً أرادهن بالفاحشة . وقال ابن عباس : ومتخذات أخدان يعني أخلاء ، وكذا روى عن أبي هريرة ومجاهد والشعبي والضحاك وعطاء الخراساني ويحيى بن أبي كثير ومقاتل بن حيان والسدي قالوا : أخلاء . وقال الحسن البصري يعني الصديق . وقال الضحاك أيضاً : (ولا متخذات أخدان) ذات الخليل الواحد المقرة به نهى الله عن ذلك يعني تزويجها مادامت كذلك

وقوله تعالى (فاذا أحصن) فان أتبن بفاحشة فعلمن نصف ما على المحصنات من العذاب) اختلف القراء في أحصن فقرأه بعضهم بضم الهمزة وكسر الصاد مبني لما لم يسم فاعله ، وقرأه بفتح الهمزة والصاد فعل لازم ، ثم قيل : معنى القراءتين واحد . واختلفوا فيه على قولين (أحدهما) أن المراد بالأحصان ههنا الاسلام ، روي ذلك عن عبد الله بن مسعود وابن عمر وأنس والأسد بن يزيد وذو بن حبيش وسعيد بن جبير وعطاء وابراهيم النخعي والشعبي والسدي ، وروى نحوه الزهري عن عمر بن الخطاب وهو منقطع ، وهذا هو القول الذي نص عليه الشافعي في رواية الربيع قال : وإنما قلنا ذلك استدلالاً بالسنة وإجماع أكثر أهل العلم . وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثاً مرفوعاً قال : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله حدثنا أبي عن أبيه عن أبي حمزة عن جابر عن رجل عن أبي عبد الرحمن عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاذا أحصن) قال « إحصانها إسلامها وعفافها » وقال : المراد به ههنا التزويج قال : وقال علي اجلدوهن ، ثم قال ابن أبي حاتم : وهو حديث منكر (قلت) وفي

الاخرون بفتح جميعها (فمن ماملكت أيمانكم من فتياتكم) أمائكم (المؤمنات) أي من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الأمة المؤمنة وفيه دليل على أنه لا يجوز للحر نكاح الأمة إلا بشرطين أحدهما أن لا يجد مهر حرة والثاني أن يكون خائفاً على نفسه من العنت وهو الزنا لقوله تعالى في آخر الآية (ذلك لمن خشى العنت منكم) وهو قول جابر رضي الله عنه وبه قال طاوس وعمر بن دينار

إسناده ضعف ، وفيه من لم يسمّ ، ومثله لا تقوم به حجة . وقال القاسم وسالم : إحصانها إسلامها وعفافها . وقيل : المراد به ههنا التزويج ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة وطاووس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم . ونقله أبو علي الطبري في كتابه الايضاح عن الشافعي فيما رواه أبو الحكم بن عبد الحكم عنه . وقد روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد أنه قال : إحصان الأمة أن ينكحها الحر ، وإحصان العبد أن ينكح الحرة ، وكذا روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، رواهما ابن جرير في تفسيره . وذكره ابن أبي حاتم عن الشعبي والنخعي . وقيل : معنى القراءتين متباين . فمن قرأ أحصن بضم الهمزة فمراده التزويج ، ومن قرأ بفتحها فمراد الاسلام ، اختاره أبو جعفر بن جرير في تفسيره وقرره ونصره . والأظهر والله أعلم أن المراد بالاخصان ههنا التزويج ، لأن سياق الآية يدل عليه حيث يقول سبحانه وتعالى (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) والله أعلم . والآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات ، فتعين أن المراد بقوله (فإذا أحصن) أي تزوّجن كما فسره ابن عباس وغيره ، وعلى كل من القولين إشكال على مذهب الجمهور ، وذلك أنهم يقولون : إن الأمة إذا زنت فعليها خمسون جلدة ، سواء كانت مسلمة أو كافرة ، مزوجة أو بكراً ، مع أن مفهوم الآية يقتضي أنه لا حدّ على غير المحصنة ممن زنا من الأئمّة . وقد اختلفت أجوبتهم عن ذلك . فأما الجمهور فقالوا : لاشك أن المنطوق مقدم على المفهوم . وقد وردت أحاديث عامة في إقامة الحد على الأئمّة فقدمنها على مفهوم الآية . فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه أنه خطب فقال : يا أيها الناس أقيموا الحد على أيمانكم من أحصن منهن ومن لم يحصن ، فإن أمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم زنت فأمرني أن أجلدها ، فإذا هي حديث عهد بنفاس فخشيت إن جلدها أن أقلمها ، فذكرت ذلك للذي صلى الله عليه وسلم فقال : « أحسنت اتركها حتى تمأثل » وعند عبد الله بن أحمد عن غير أبيه « فإذا تعافت من نفاسها فاجلدها خمسين » وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ، ثم إن زنت الثانية فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ، ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبيعها ولو بحبل من شعر » ولمسلم « إذا زنت ثلاثاً فليبيعها في الرابعة » وروى مالك عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار عن عبد الله^(١) بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي قال : أمرني عمر بن الخطاب في فتيه من قريش فجلدنا من ولاند الامارة خمسين خمسين من الزنا

(١) في الازهرية :
عن عبد الله بن عباس
ان أبا رستم المخزومي

واليه ذهب مالك والشافعي وجوز أصحاب الرأي للحر نكاح الأمة إلا أن تكون في نكاحه حرة أما العبد فيجوز له نكاح الأمة وإن كان في نكاحه حرة أو أمة وعند أبي حنيفة رضي الله لا يجوز إذا كانت تحت حرة كما يقول في الحر وفي الآية دليل على أنه لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية لأنه قل فمن مملكت إيمانكم من فتياتكم المؤمنات جوز نكاح الأمة بشرط أن تكون مؤمنة وقال في موضع آخر

أذنت له فيها مائة ، وإنما ذلك تعزير وتأديب عند من يراه كأحمد وغيره من السلف . وإنما الحد الحقيقي هو جلد البكر مائة ، ورجم الثيب أو اللائط والله أعلم . وقد روى ابن ماجه وابن جرير في تفسيره : حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة أنه سمع سعيد بن جبير يقول : لا تضرب الأمة إذا زنت ما لم تنزوج ، وهذا إسناد صحيح عنه ، ومذهب غريب إن أراد أنها لا تضرب الأمة أصلاً لا حداً ، وكأنه أخذ بمفهوم الآية ولم يبلغه الحديث ، وإن أراد أنها لا تضرب حداً ، ولا ينفي ضربها تأديباً ، فهو كقول ابن عباس رضي الله عنه ومن تبعه في ذلك والله أعلم (الجواب الثالث) أن الآية دلت على أن الأمة المحصنة تحذف حد الحرة ، فاما قبل الاحصان فعمومات الكتاب والسنة شاملة لها في جلدائها مائة كقوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) وكحديث عبادة بن الصامت « خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة ورجمها بالمجاعة » والحديث في صحيح مسلم وغير ذلك من الأحاديث

وهذا القول هو المشهور عن داود بن علي الظاهري وهو في غاية الضعف لأن الله تعالى إذا كان أمر بجلد المحصنة من الاماء بنصف ما على الحرة من العذاب وهو خمسون جلدة فكيف يكون حكمها قبل الاحصان أشد منه بعد الاحصان وقاعدة الشريعة في ذلك عكس ما قال ، وهذا الشارع عليه السلام سأل أصحابه عن الأمة إذا زنت ولم تحصن فقال اجلدوها ولم يقل مائة ، فلو كان حكمها كما زعم داود لوجب بيان ذلك لهم لأنهم إنما سألوا عن ذلك لعدم بيان حكم جلد المائة بعد الاحصان في الاماء وإلا فما الفائدة في قولهم ولم تحصن لعدم الفرق بينهما لو لم تكن الآية نزلت لكن لما علموا أحد الحكمين سألوا عن الآخر فينبه لهم كما في الصحيحين أنهم لما سألوه عن الصلاة عليه فذكرها لهم ثم قال والسلام ما قد علمتم ، وفي لفظ لما أنزل الله قوله (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) قالوا هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك وذكر الحديث وهكذا هذا السؤال

(الجواب الرابع) عن مفهوم الآية جواب أبي ثور وهو أغرب من قول داود من وجوه وذلك أنه يقول : فإذا أحصن فإن عليهن نصف ما على المحصنات المزوجات الرجم وهو لا يتناصف فيجب

﴿ بالمعروف ﴾ من غير مطل وضرار ﴿ محصنات ﴾ عفاف بالنكاح ﴿ غير مسافحات ﴾ أي غير زانيات ﴿ ولا متخذات أخدان ﴾ أي أحباب تزنون بهن في السر قال الحسن المسافحة هي أن كل من دعاها تبعته وذات خدن أن تختص بواحد لا تزني الا معه والعرب كانت تحرم الأولى وتجوّز الثانية ﴿ فإذا أحصن ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بفتح الألف والصاد أي حفظن فروجهن وقال ابن مسعود أسلمن وقرأ الآخرون أحصن بضم الألف وكسر الصاد أي تزوجن ﴿ فان آتين بفاحشة ﴾ يعني الزنا ﴿ فعليه نصف ما على المحصنات ﴾ أي ما على الحرائر الا بكرا إذا زنين ﴿ من

أن ترجم الامة المحصنة اذا زنت ، واما قبل الاحصان فيجب جلد لها خمسين فاختطأ في فهم الآية وخالف الجمهور في الحكم ، بل قد قال أبو عبد الله الشافعي رحمه الله ولم يختلف المسلمون في أن لا رجم على مملوك في الزنا ، وذلك لأن الآية دلت على أن عليين نصف ماعلى المحصنات من العذاب والالاف واللام في المحصنات للعهد وهن المحصنات المذكورات في أول الآية (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات) والمراد بهن الحرائر فقط من غير تعرض للتزويج بحرة وقوله (نصف ماعلى المحصنات من العذاب) يدل على أن المراد من العذاب الذي يمكن تبغيضه وهو الجلد لا الرجم والله اعلم . وقد روى احمد حديثاً في رد مذهب أبي ثور من رواية الحسن بن سعيد عن أبيه أن صفية قد زنت برجل من الحمس فولدت غلاماً فادعاه الزاني فاختصما إلى عثمان فرفعهما إلى علي بن ابي طالب فقال علي أقضي فيهما بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش ، وللعاهر الحجر وجلدهما خمسين خمسين وقيل بل المراد من المفهوم التنبيه بالأعلى على الأدنى أي أن الاماء على النصف من الحرائر في الحد وإن كن محصنات وليس عليهن رجم أصلاً لا قبل النكاح ولا بعده ، وإنما عليهن الجلد بالحالين في السنة قال ذلك صاحب الافصاح وذكر هذا عن الشافعي فيما رواه ابن عبد الحكم وقد ذكر البيهقي في كتاب السنن والاثار عنه وهو بعيد من لفظ الآية لانا إنما استفدنا تنصيف الحد من الآية لامن سواها فكيف يفهم منها التنصيف فيما عداها وقال بل أريد بأنها في حال الاحصان لا يقيم الحد عليها إلا الامام ولا يجوز لسيدتها اقامة الحد عليها والحالة هذه وهو قول في مذهب أحمد رحمه الله ، فاما قبل الاحصان فله ذلك والحد في كلا الموضعين نصف حد الحرة وهذا أيضاً بعيد لأنه ليس في الآية ما يدل عليه ، ولولا هذه لم ندر ما حكم الاماء في التنصيف ولوجب دخولهن في عموم الآية في تكميل الحد مائة أو رجهن كما ثبت في الدليل عليه ، وقد تقدم عن علي أنه قال : أيها الناس أقيموا الحد على أركانكم من أحصن منهم ومن لم يحصن ، وعموم الاحاديث المتقدمة ليس فيها تفصيل بين المزوجة وغيرها لحديث أبي هريرة الذي احتج به الجمهور اذا زنت أمة أحدكم فبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ملخص الآية أنها اذا زنت أقوال أحدها تجلد خمسين قبل

العذاب يعني الحد فيجلد الرقيق اذا زنى خمسين جلدة وهل يغرب فيه قولان فان قلنا يغرب فيغرب نصف سنة على القول الأصح ولا رجم على العبيد روي عن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة قال أمرني عمر بن الخطاب رضي الله عنه في فئة من قریش فجلدنا ولا ندمن ولا نلد الاماء خمسين في الزنا ولا فرق في حد المملوك بين من تزوج او لم يتزوج عند أكثر أهل العلم وذهب بعضهم الى أنه لا حد على من لم يتزوج من المالك اذا زنى لان الله تعالى قال (فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ماعلى المحصنات من العذاب) وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال طاوس ومعنى الاحصان عند الآخرين الاسلام وإن كان المراد منه التزويج فليس المراد منه أن التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد

إليه قوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أي العفائف وهو يعبر الحرائر والاماء وهذه الآية عامة وهذه أيضاً ظاهرة في الدلالة على ما قاله الجمهور والله اعلم

(يريد الله ليمين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم (٢٦)

والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما (٢٧) يريد الله أن

يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا (٢٨)

يخبر تعالى أنه يريد أن يبين لكم أيها المؤمنون ما أحل لكم وحرم عليكم مما تقدم ذكره في هذه السورة وغيرها (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) يعني طرائقهم الحميدة واتباع شرائعهم التي يحجبها ويرضاها (ويتوب عليكم) أي من الأثم والمحارم (والله عليم حكيم) أي في شرعه وقدره وأفعاله وأقواله وقوله (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) أي يريد اتباع الشياطين من اليهود والنصارى والزناة أن تميلوا عن الحق إلى الباطل ميلا عظيما (يريد الله أن يخفف عنكم) أي في شرائعه وأوامره ونواهيه وما يقدره لكم ، ولهذا أباح الاماء بشرط كمال مجاهد وغيره (وخلق الانسان ضعيفا) فناسبه التخفيف لضعفه في نفسه وضعف عزمه وهيمته وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسماعيل الاحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن ابن طائوس عن أبيه (وخلق الانسان ضعيفا) أي في أمر النساء وقال وكيع يذهب عقله عندهن ، وقال موسى الكليم عليه السلام لبنيينا محمد صلى الله

بغلبة الشهوة (وأن تصبروا) عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) لئلا يخلق الولد رقيا (والله غفور رحيم) المشتة قوله تعالى (يريد الله ليمين لكم) أي أن يبين لكم كقوله تعالى (وأمرت لأعدل بينكم) أي أن أعدل وقوله (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) وقال في موضع آخر (وأمرت أن أسلم) ومعنى الآية يريد الله أن يبين لكم أي يوضح لكم شرائع دينكم ومصالح أموركم قال عطاء يبين لكم ما يقر بكم منه قال السكابي يبين لكم أن الصبر عن نكاح الاماء خير لكم (ويهديكم) ويرشدكم (سنن) شرائع (الذين من قبلكم) في تحريم الأمهات والبنات والأخوات فإنها كانت محرمة على من قبلكم وقيل ويهديكم الملة الحنيفة وهي ملة إبراهيم عليه السلام (ويتوب عليكم) ويتجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم وقيل يرجع بكم من المعصية التي كنتم عليها إلى طاعته وقيل يوفقكم للتوبة (والله عليم) بمصالح عباده في أمر دينهم ودنياهم (حكيم) فيما دبر من أمورهم (والله يريد أن يتوب عليكم) أن وقع منكم تقصير في أمر دينكم (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا) عن الحق (ميلا عظيما) باتيانكم ما حرم عليكم واختلافوا في الموصوفين باتباع الشهوات فقال السدي هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم المجوس لأنهم يحلون نكاح الأخوات وبنات الأخ والاخت وقال مجاهد هم الزناة يريدون أن تميلوا عن الحق فتزنون كما يزنون وقيل هم جميع أهل الباطل (يريد الله أن يخفف عنكم) يسهل عليكم في

عليه وسلم ليلة الاسراء حين مرَّ عليه راجعاً من عند سدرة المنتهى فقال له ماذا فرض عليكم فقال أمرني بخمسين صلاة في كل يوم وليلة فقال له ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فان أمتك لا تطيق ذلك فاني قد بلوت الناس قبلك على ما هو أقل من ذلك فعجزوا وأن أمتك أضعف اسماعا وابصاراً وقلوبا فرجع فوضع عشراً ، ثم رجع إلى موسى فلم يزل كذلك حتى بقيت خمسا الحديث

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا ظُلْمًا قَسُوفَ نُصْلِهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (٣١))

ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل أي بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية كأشكال الربا والقمار وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل وإن ظهرت في غالب الحكم الشرعي مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الزباحتى قال ابن جرير : حدثني ابن المنني حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس في الرجل يشتري من الرجل الثوب فيقول ان رضيته أخذته وإلا رددت معه درهما قال هو الذي قال عز وجل فيه (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب المصلي حدثنا بن الفضيل عن داود الابدعي عن عامر عن علقمة عن عبد الله في الآية قال أنها محكمة مانسخت ولا تنسخ الى يوم القيامة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لما أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قال المسلمون أن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام هو أفضل أموالنا ، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فكيف للناس ، فأنزل الله بعد ذلك (ليس على الاعمى حرج) الآية وكذا قال قتادة وقوله تعالى (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) قرئ تجارة بالرفع وبالنصب وهو استثناء منقطع كأنه يقول لا تتعاطوا الأسباب المحرمة في كتاب الاموال ، لكن المتاجر المشروعة التي تكون عن تراض من البائع والمشتري فافعلوها وتسببوا بها في تحصيل الاموال كما قال تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) وكقوله (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى) . ومن هذه الآية

أحكام الشرع وقد سهل كما قال جل ذكره (ويضع عنهم إصرهم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « بعثت بالحنيفية السمحة السهلة » ﴿ وخلق الانسان ضعيفا ﴾ قال طاوس والكاسبي وغيرهما في أمر النساء لا يصبر عنهن وقال ابن كيسان خلق الانسان ضعيفا يستميله هواه وشهوته وقال الحسن هو انه خلق من ماء مهين بيانه قوله تعالى ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ﴾ قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ بالحرام يعني بالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة ونحوها وقيل هو العقود الفاسدة

الكرامة احتج الشافعي على أنه لا يصح البيع الا بالقبول لانه يدل على التراضي نصاً بخلاف المعاطاة فانها قد لا تدل على الرضا ولا بد ، وخالف الجمهور في ذلك مالك وأبو حنيفة واحمد فرأوا أن الأقوال كما تدل على التراضي وكذلك الأفعال تدل في بعض المحال قطعاً فصحوا بيع المعاطاة مطلقاً وممنهم من قال يصح في المحقرات وفيما يعده الناس بيعاً وهو احتياط نظر من محققي المذهب والله اعلم وقال مجاهد (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) بيعاً أو عطاءً احد أحداً ورواه ابن جرير ثم قال وحدثنا وكيع حدثنا أبي عن القاسم عن سليمان الجعفي عن أبيه عن ميمون بن مهران قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البيع عن تراض ، والخيار بعد الصفقة ، ولا يحل لمسلم أن يضر مسلماً » هذا حديث مرسل ، ومن تمام التراضي اثبات خيار المجلس كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » وفي لفظ البخاري « اذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا » وذهب الى القول بمقتضى هذا الحديث أحمد والشافعي وأصحابهما وجمهور السلف والخلف ، ومن ذلك مشروعية خيار الشرط بعد "عقد إلى ثلاثة أيام بحسب ما يتبين فيه مال البيع ولو الى سنة في القرية ونحوها كما هو المشهور عن مالك رحمه الله وصحوا بيع المعاطاة مطلقاً وهو قول في مذهب الشافعي ، وممنهم من قال يصح بيع المعاطاة في المحقرات فيما يعده الناس بيعاً وهو اختيار طائفة من الاصحاب كما هو متفق عليه وقوله (ولا تقتلوا أنفسكم) أي بارتكاب محارم الله وتعاطي معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل (إن الله كان بكم رحيماً) أي فيما أمركم به ونهاكم عنه . وقال الامام احمد : حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن عمران ابن أبي أنس عن عبد الرحمن ابن جبير عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه قال : لما بعته النبي صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل قال احتملت في ليلة باردة شديدة البرد فاشفقت ان اغتسلت أن أهلك فتيمنت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال « يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب » قال : قلت يا رسول الله اني احتملت في ليلة باردة شديدة البرد فاشفقت ان اغتسلت ان أهلك فذكرت قول الله عز وجل (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) فتيمنت ثم صليت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً وهكذا رواه ابو داود من حديث يحيى بن ايوب عن يزيد بن أبي حبيب به ورواه أيضاً عن محمد

﴿ إلا أن تكون تجارة ﴾ قرأ أهل الكوفة تجارة نصب على خبر كان أي ألا أن تكون الاموال تجارة وقرأ الآخرون بالرفع أي الا أن تقع تجارة ﴿ عن تراض منكم ﴾ أي بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو أن يجيز كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم وإلا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا ابو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المتبايعان كل واحد منهما

ابن أبي سلمة عن ابن وهب عن ابن لهيعة وعمر بن الحرث كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب عن عمران ابن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير المصري عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عنه فذكر نحوه وهذا والله أعلم أشبه بالصواب . وقل أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد البلخي حدثنا محمد بن صالح بن سهل البلخي حدثنا عبد الله بن عمر القواريري حدثنا يوسف بن خالد حدثنا زياد بن سعد عن عكرمة عن ابن عباس أن عمرو بن العاص صلى بالناس وهو جنب فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فدعاه فسأله عن ذلك فقال يا رسول الله خفت أن يقتلني البرد وقد قال الله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) الآية فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أورد ابن مردويه عند هذه الآية السكرية من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل نفسه بمحبة فحديده فحديده في يده يحا بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بسهم تردى به فسمه في يده يتجساد في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً »^(١) وهذا الحديث ثابت في الصحيحين وكذلك رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وعن أبي قلابة عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة » وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من طريق أبي قلابة . وفي الصحيحين من حديث الحسن بن جندب عن عبد الله ابن البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان رجل ممن كان قبلكم وكان به جرح فأخذ سكيناً نحر بها يده فما رقا الدم حتى مات ، قال الله عز وجل عبدي بإدرني بنفسه حرمت عليه الجنة » ولهذا قال تعالى (ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً) أي ومن يتعاطى مآثها الله عنه متعدياً فيه ظلماً في تعاطيه ، أي عالماً بتحريمه متجاسراً على انتهاكه (فسوف نصليه ناراً) الآية وهذا تهديد شديد ، ووعد أكيد فليحذر منه كل عاقل لبيب ممن ألقى السمع وهو شهيد وقوله تعالى (إن تجنبوا كبائر مآثمهم عنه نكفر عنكم سيئاتكم) الآية أي إذا اجتنبتكم كبائر الآثام التي نهيتكم عنها كفرنا عنكم صفات الذنوب وأدخلناكم الجنة ، ولهذا قال (وندخلكم مدخلا كريماً) وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا مؤمل بن هشام حدثنا اسماعيل بن إبراهيم حدثنا خالد بن أيوب عن معاوية بن قرة عن أنس رفعه قال : لم نرمثل الذي بلغنا عن ربنا عز وجل ، ثم لم نخرج له عن كل أهل ومال أن تجاوز لنا عما

(١) زاد في الأزهري:
ومن تردى من جبل
فقتل نفسه فهو مترد
في نار جهنم خالداً
مخلداً فيها أبداً .

بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا الا بيع الخيار » ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ قال أبو عبيدة أي لا تهلكوها كما قال ﴿ ولا تعلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ وقيل لا تقتلوا أنفسكم بأكل المال بالباطل وقيل أراد به قتل المسلم نفسه ، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابن عبيدة عن أيوب عن أبي قلابة عن ثابت بن الضحاك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة » حدثنا أبو الفضل زياد

دون الكبائر يقول الله (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) الآية وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة فلنذكر منها ما تيسر ، قال الامام احمد : حدثنا هشيم عن معوية عن أبي معشر عن ابراهيم عن مرابع الضبي عن سلمان الفارسي قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم « أتدري ما يوم الجمعة قلت هو اليوم الذي جمع الله فيه أبابكم قال لكن أدري ما يوم الجمعة لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ، ثم يأتي الجمعة فينصت حتى يقضي الامام صلاته إلا كانت كفارة له ما بينها وبين الجمعة المقبلة ما اجتنبت المقتلة ، وقد روى البخاري من وجه آخر عن سلمان نحوه وقال أبو جعفر بن جرير حدثني الثني حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثني خالد عن سعيد بن أبي هلال عن نعيم المجمر أخبرني صهيب مولى الصواري انه سمع أبا هريرة وأبا سعيد يقولان خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال « والذي نفسي بيده ثلاث مرات ، ثم أكب فأكب كل رجل منا يبكي لاندري ماذا حلف عليه ، ثم رفع رأسه وفي وجهه البشري فكان أحب إلينا من حمر النعم فقال : ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ، ويصوم رمضان ، ويخرج الزكاة ، ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة ، ثم قيل له ادخل بسلام » وهكذا رواه النسائي والحاكم في مستدركه من حديث الليث بن سعد به ورواه الحاكم أيضاً وابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال به ، ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، تفسير هذه السبع وذلك بما ثبت في الصحيحين من حديث سليمان بن هلال عن ثور بن زيد عن سالم أبي الغيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن ؟ قال الشرك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »

﴿ طريق أخرى عنه ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فهد بن عوف حدثنا أبو عوانة عن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الكبائر سبع أولها الاشرار بالله ، ثم قتل النفس بغير حقها ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم إلى أن يكبر ، والفرار من الزحف ، ورمي المحصنات ، والانتقال إلى الاعراب بعد الهجرة ، فالنص على هذه السبع بأنهم كبائر لا ينفي ما عداهن إلا عند من يقول بمفهوم اللقب وهو ضعيف عند عدم القرينة ولا سيما

ابن محمد الحنفى أخبرنا أبو معاذ عبد الرحمن المزني أنا أبو إسحق ابراهيم بن حماد القاضي أنا أبو موسى الزمن أنا وهب بن جرير أخبرنا أبي قال سمعت الحسن أخبرنا جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جرح رجل ممن كان قبلكم فلم ألتأشديداً ولم يبرأ فجزع منه فأخذ سكيناً فجزأ بها يده فمارقاً الدم حتى مات فقال الله عز وجل بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة » وقال الحسن (لا تقتلوا أنفسكم) يعني إخوانكم أي لا يقتل بعضهم بعضاً ﴿ إن الله

عند قيام الدليل بالمنطوق على عدم المفهوم كما سنورده من الاحاديث المتضمنة من الكبائر غير هذه السبع ، فمن ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه حيث قال : حدثنا أحمد بن كامل القاضي املاء حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد حدثنا معاذ بن هانيء حدثنا حرب بن شداد حدثنا يحيى بن أبي كثير عن عبد الحميد بن سنان عن عبيد بن عمير عن ابيه يعني عمير بن قتادة رضي الله عنه انه حدثه وكانت له صحبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع « ألا إن أولياء الله المصلون من يقيم الصلوات الخمس التي كتب الله عليه ، ويصوم رمضان ، ويحسب صومه يرى انه عليه حق ، ويعطي زكاة ماله يحسبها ويجنب الكبائر التي نهى الله عنها » ثم إن رجلاً سأله فقال يا رسول الله ما الكبائر ؟ فقال « تسع الشرك بالله ، وقتل نفس مؤمن بغير حق ، وفرار يوم الزحف ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا وقذف المحصنة ، وعقوق الوالدين المسلمين ، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً ثم لا يموت رجل لا يعمل هؤلاء الكبائر ، ويقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة إلا كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في دار مصانعها من ذهب ، هكذا رواه الحاكم مطولاً ، وقد أخرجه أبو داود والنسائي مختصراً من حديث معاذ بن هانيء به وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديثه مبسوطاً ، ثم قال الحاكم رجاله كلهم يحتاج بهم في الصحيحين إلا عبد الحميد بن سنان (قلت) وهو حجازي لا يعرف إلا بهذا الحديث وقد ذكره ابن حبان في كتاب الثقات . وقال البخاري في حديثه نظر ، وقد رواه ابن جرير عن سليمان بن ثابت الجحدري عن سالم بن سلام عن أيوب بن عتبة عن يحيى بن أبي كثير عن عبيد بن عمير عن ابيه فذكره ولم يذكر في الاسناد عبد الحميد بن سنان والله اعلم

﴿ حديث آخر في معنى ما تقدم ﴾ قال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أحمد بن يونس حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا عبد العزيز بن مسلم بن الوليد عن المطالب عن عبد الله بن حنطب عن ابن عمر قال : صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فقال « لا أقسم لا أقسم » ثم نزل فقال : « أبشروا أبشروا ، من صلى الصلوات الخمس ، واجتنب الكبائر السبع نودي من أبواب الجنة ادخل » قال عبد العزيز : لا أعلمه قال « إلا بسلام » وقال المطالب : سمعت من سأل عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرهن ؟ قال : نعم « عقوق الوالدين ، وإشراك بالله ، وقتل النفس ، وقذف المحصنات ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، وأكل الربا »

كان بكم رحياً ﴿ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سليمان بن حرب أنا شعبة عن علي بن مدرك قال سمعت أبا زرعة بن عمرو بن جرير عن جده قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع « استنصت الناس - ثم قال - لا ترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » ﴿ ومن بغسل ذلك ﴾ يعني ما سبق ذكره من المحرمات ﴿ عدواناً وظلماً ﴾ فالعدوان مجاوزة الحد والظلم وضع الشيء في غير موضعه ﴿ فسوف نصليه ﴾ ندخله في

﴿حديث آخر في معناه﴾ قال أبو جعفر بن جرير في التفسير : حدثنا يعقوب حدثنا ابن عليه حدثنا زياد بن مخرق عن طيسلة بن مياس قال : كنت مع النجدات ^(١) فأصبت ذنوباً لا أراها إلا من الكبائر فلقيت ابن عمر فقلت له : إني أصبت ذنوباً لا أراها إلا من الكبائر قال : ماهي ؟ قلت : أصبت كذا وكذا قال : ليس من الكبائر قلت : وأصبت كذا وكذا قال : ليس من الكبائر قال : شيء لم يسمه طيسلة ؟ قال : هي تسع وسأعدهن عليك « الاشرار بالله ، وقتل النفس بغير حقها ، والفرار من الزحف ، وقذف المحصنة ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ظلماً ، وإلحاد في المسجد الحرام ، والذي يستسخر ، وبكاء الوالدين من العتوق » قال زياد وقال طيسلة : لما رأى ابن عمر فرقي قل : أخاف النار أن تدخلها ؟ قلت : نعم قال : وتحب أن تدخل الجنة ؟ قلت : نعم قال : أحيي والدك قلت : عندي أمي قال : فوالله لئن أنت أنت لها الكلام ، وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتبت الموجبات ﴿طريق أخرى﴾ قال ابن جرير : حدثنا سليمان بن ثابت الجحدري ^(٢) الواسطي أنا سلمه ^(٣) بن سلام حدثنا أيوب بن عتبة عن طيسلة بن علي التهمدي قال : أتيت ابن عمر وهو في ظل أراك يوم عرفة ، وهو يصب الماء على رأسه ووجهه قلت : أخبرني عن الكبائر ؟ قال : هي تسع قلت : ماهي ؟ قال : « الاشرار بالله ، وقذف المحصنة » قال قلت : مثل قتل النفس ^(٤) قال : نعم ورغماً « وقتل النفس المؤمنة ، والفرار من الزحف ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وعتوق الوالدين المسلمين ، وإلحاد بالبيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً » هكذا رواه من هذين الطريقين موقوفاً ، وقد رواه علي بن الجعد عن أيوب بن عتبة عن طيسلة بن علي قال : أتيت ابن عمر عشية عرفة ، وهو تحت ظل أراك وهو يصب الماء على رأسه فسألته عن الكبائر ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هن سبع » قلت : وما هن قال « الاشرار بالله ، وقذف المحصنات » قال قلت : قبل الدم قال : نعم ورغماً « وقتل النفس المؤمنة ، والفرار من الزحف ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وعتوق الوالدين ، وإلحاد بالبيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً » وهكذا رواه الحسن بن موسى الأشيب عن أيوب بن عتبة البجلي وفيه ضعف والله اعلم

﴿حديث آخر﴾ قال الامام احمد : حدثنا زكريا بن عدي حدثنا بقية عن يحيى بن سعيد عن

الاحرة ﴿ناراً﴾ يصلى فيها ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ هينا . قوله تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ اختلفوا في الكبائر التي جعل الله اجتنابها تكفيراً للصغائر ، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن مقاتل أنا النضر أخبرنا شعبة أنا فراس قال سمعت الشعبي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الكبائر الاشرار بالله وعتوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا بشر بن

(١) بياض في
الطبوعة وفي
الازهرية النجدات
وفي ابن جرير
الحدثان

(٢) في الازهرية
مسلم وفي ابن جرير
سلم
(٣) في ابن
جرير الخراز
(٤) فيه قبل القتل

خالد بن معدان ان ابا رهم السلمي حدثهم عن ابي ايوب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عبد الله لا يشرك به شيئاً ، واقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وصام رمضان ، واجتنب الكبائر فله الجنة — او دخل الجنة » فسأله رجل ما الكبائر ؟ فقال « الشرك بالله ، وقتل نفس مسلمة ، والفرار من الزحف » ورواه احمد أيضاً ، والنسائي من غير وجه عن بقية

﴿ حديث آخر ﴾ روى ابن مردويه في تفسيره من طريق سليمان بن داود اليماني - وهو ضعيف - عن الزهري عن الحافظ ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن كتاباً فيه الفرائض والسنن والديات ، وبعث به مع عمرو بن حزم قال : وكان في الكتاب « إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة : إشرارك بالله ، وقتل النفس المؤمنة بغير حق ، والفرار في سبيل الله يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ، ورمي المحصنة ، وتعلم السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم »

﴿ حديث آخر فيه ذكر شهادة الزور ﴾ قال الامام احمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثني عبد الله ^(١) بن ابي بكر قال سمعت انس بن مالك قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر أو سئل عن الكبائر فقال « الشرك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين — وقال — ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى قال — الاشرار بالله ، وقول الزور — أو شهادة الزور » أخرجه من حديث شعبة به ، وقد رواه ابن مردويه من طريقين آخرين غريبين عن انس بنحوه

﴿ حديث آخر ﴾ أخرجه الشيخان من حديث عبد الرحمن بن ابي بكر عن ابيه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يارسول الله قال « الاشرار بالله ، وعقوق الوالدين — وكان متكئاً فجلس فقال — ألا وشهادة الزور ، ألا وقول الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت

﴿ حديث آخر ﴾ فيه ذكر قتل الولد ، وهو ثابت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : قلت : يارسول الله أي الذنب أعظم ، وفي رواية أكبر ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » قلت : ثم أي قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قلت ثم أي قال « أن تزاني حليلة جارك » ثم قرأ (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر — الى قوله — إلا من تاب)

﴿ حديث آخر ﴾ فيه ذكر شرب الخمر . قال ابن ابي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى انا

(١) في الازهر به محمد

المفضل أنا الحريري عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قالوا بلى يارسول الله قال « الاشرار بالله عز وجل وعقوق الوالدين — وجلس وكان متكئاً — الا وقول الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت أخبرنا أحمد بن عبد الله الصائغي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا احمد بن عيسى البرني أنا محمد

ابن وهب حدثني ابن^(١) صخر ان رجلا حدثه عن عمارة بن حزم انه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص وهو بالحجر بمكة ، وسأله رجل عن الخمر فقال والله ان عظيما عند الله الشيخ مثلي يكذب في هذا المقام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فسأله ثم رجع فقال : سألته عن الخمر فقال « هي اكبر الكبائر ، وأم الفواحش ، من شرب الخمر ترك الصلاة ، ووقع على أمه وخالته وعمته » غريب من هذا الوجه

* (طريق أخرى) * رواها الحافظ ابو بكر بن مردويه من حديث عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن داود بن صالح عن سالم بن عبد الله عن ابيه ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب وانا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم اجمعين جلسوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا أعظم الكبائر فلم يكن عندهم ما ينتهون اليه فأرسلوني الى عبد الله بن عمرو بن العاص أسأله عن ذلك ، فأخبرني ان أعظم الكبائر شرب الخمر ، فأتيهم فأخبرتهم فأنكروا ذلك ، فوثبوا اليه حتى أتوه في داره فأخبرهم أنهم تحدثوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ملكا من بني اسرائيل أخذ رجلا خيره بين أن يشرب خمرأ ، أو يقتل نفسا ، أو يزني ، أو يأكل لحم خنزير أو يقتله ، فاختار شرب الخمر ، وانه لما شربها لم يمتنع من شيء اراده منه ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا مجيبا « ما من احد يشرب خمرأ الا لم تقبل له صلاة اربعين ليلة ، ولا يموت احد في مثانته منها شيء الا حرم الله عليه الجنة ، فان مات في اربعين ليلة مات ميتة جاهلية » هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا ، وداود بن صالح هذا هو التمار المدني مولى الأنصار قال الامام احمد: لا اري به بأسا ، وذكره ابن حبان في الثقات ، ولم ار احدا جرحه * (حديث آخر) * عن عبد الله بن عمر ، وفيه ذكر اليمين الغموس . قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن فراس عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « أكبر الكبائر الاشرار بالله ، وعقوق الوالدين ، أو قتل النفس - شعبة الشاك - واليمين الغموس » ورواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث شعبة ، وزاد البخاري وشيخان كلاهما عن فراس به ﴿ حديث آخر في اليمين الغموس ﴾ قال ابن ابي حاتم : حدثنا ابي حدثنا ابو صالح كاتب الليث حدثنا الليث بن سعد حدثنا هشام بن سعيد عن محمد بن يزيد بن مهاجر بن قنفذ التيمي عن ابي

ابن كثير انا سفيان الثوري عن الاعمش ومنصور وواصل الأحمد عن أبي وائل عن عمرو بن شر حبيب عن عبد الله رضي الله عنهما قال قلت يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله؟ قال « ان تدعو الله ندا وهو خلقك » قلت ثم أي؟ قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قلت ثم أي؟ قال « ان تزاني بحليلة جارك » فأنزل الله تعالى تصديقها (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي نا أحمد بن عبد الله النعيمي انا

امامة الأنصاري عن عبد الله بن أنيس الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أكبر الكبائر الاشرار بالله ، وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس ، وما حلف حالف بالله يمين صبر فأدخل فيها مثل جناح البعوضة إلا كانت وكتة في قلبه إلى يوم القيامة » وهكذا رواه أحمد في مسنده وعبد بن حميد في تفسيره ، كلاهما عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث بن سعد به ، وأخرجه الترمذي عن عبد بن حميد به وقال : حسن غريب ، وأبو امامة الأنصاري هذا هو ابن ثعلبة ولا يعرف اسمه . وقد روى عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : وقد رواه عبد الرحمن بن اسحق المدني عن محمد بن زيد عن عبد الله بن أبي امامة عن أبيه عن عبد الله بن أنيس فزاد عبد الله بن أبي امامة (قلت) هكذا وقع في تفسير ابن مردويه وصحيح ابن حبان من طريق عبد الرحمن بن اسحق كما ذكره شيخنا فصح الله في أجله

*(حديث آخر) * عن عبد الله بن عمرو في التسبب إلى شتم الوالدين . قال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيع عن مسعر وسفيان عن سعد بن إبراهيم عن حميد ابن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو ، رفعه سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ووقفه مسعر على عبد الله بن عمرو قال « من الكبائر أن يشتم الرجل والديه » قالوا : وكيف يشتم الرجل والديه ؟ قال « يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » أخرجه البخاري عن أحمد بن يونس عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عمه حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه » قالوا وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال « يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » وهكذا رواه مسلم من حديث سفيان وشعبة ويزيد بن الهاد ثلاثهم عن سعد بن إبراهيم به مرفوعا بنحوه ، وقال الترمذي صحيح . وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر »

*(حديث آخر في ذلك) * قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا دحيم حدثنا عمرو بن أبي سلمة حدثنا زهير بن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أكبر الكبائر عرض الرجل المسلم ، والسبتان بالسب » هكذا روي هذا الحديث ، وقد أخرجه أبو داود في كتاب الأدب من سننه عن جعفر بن مسافر محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني سليمان عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث أنا أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا يا رسول الله وماهن ؟ قال « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « أكبر الكبائر الاشرار بالله والامن من مكر الله والتقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله » أخبرنا

عن عمرو بن أبي سلمة عن زهير بن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « من أكبر الكبائر استطالة الرجل في عرض رجل مسلم بغير حق ، ومن الكبائر السببتان بالسبة » وكذا رواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن العلاء بن زيد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثله

* (حديث آخر في الجمع بين الصلاتين من غير عذر) * قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً من أبواب الكبائر » وهكذا رواه أبو عيسى الترمذي عن أبي سلمة يحيى بن خلف عن المعتمر بن سليمان به ، ثم قال حنش هو أبو علي الرحبي ، وهو حسين بن قيس ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ، ضعفه أحمد وغيره . وروى ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا إسماعيل بن علية عن خالد الحذاء عن حميد ابن هلال عن أبي قتادة العدوي قال : قرئ علينا كتاب عمر : من الكبائر جمع بين الصلاتين — يعني بغير عذر — والفرار من الزحف ، والنهية ، وهذا إسناد صحيح . والغرض أنه إذا كان الوعيد فيمن جمع بين الصلاتين كالظهر والعصر ، تقديماً أو تأخيراً ، وكذا المغرب والعشاء كالجمع بسبب شرعي فمن تعاطاه بغير شيء من تلك الأسباب يكون مرتكباً كبيرة ، فما ظنك بترك الصلاة بالكلية ، ولهذا روى مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة » وفي السنن مرفوعاً عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر » وقال « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » وقال « من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله »

* (حديث آخر) * فيه اليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله . قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل حدثنا أبي حدثنا شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متكئاً فدخل عليه رجل فقال : ما الكبائر ؟ فقال « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله عز وجل ، والأمن من مكر الله ، وهذا أكبر الكبائر » وقد رواه البزار عن عبد الله بن اسحق العطار عن أبي عاصم النبيل عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن

عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن سعيد بن إبراهيم قال سمعت حميد بن عبد الرحمن يحدث عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من الكبائر ^(١) أن يسب الرجل والديه » قالوا يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه ؟ قال « نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه » وعن سعيد بن جبيرة أن رجلاً سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن الكبائر أسبعم هي ؟ قال : هي إلى السبعائة أقرب ، إلا أنه لا كبيرة

(١) في نسخةتنا
أكبر الكبائر

ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله ما الكبائر؟ قال «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله عز وجل» وفي إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً، فقد روي عن ابن مسعود نحوه ذلك. وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا مطرف عن وبرة ابن عبد الرحمن عن أبي الطفيل قال قال ابن مسعود: أكبر الكبائر الاشرار بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله. وكذا رواه من حديث الأعمش وأبي إسحق عن وبرة عن أبي الطفيل عن عبد الله به، ثم رواه من طرق عدة عن أبي الطفيل عن ابن مسعود، وهو صحيح إليه بلا شك.

﴿حديث آخر﴾ فيه سوء الظن بالله قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن إبراهيم بن بندار حدثنا أبو حاتم بكر بن عبدان حدثنا محمد بن مهاجر حدثنا أبو حذيفة البخاري عن محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر أنه قال: أكبر الكبائر سوء الظن بالله عز وجل. حديث غريب جداً.

﴿حديث آخر﴾ فيه التعرب بعد الهجرة قد تقدم من رواية عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً قال ابن مردويه: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن رشدين حدثنا عمرو بن خالد الحرفاني حدثنا ابن لهيعة عن زياد بن أبي حبيب عن محمد بن سهل بن أبي خيثمة عن أبيه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «الكبائر سبع ألا تسألوني عنهن؟ الاشرار بالله، وقتل النفس والفرار يوم الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وقذف المحصنة، والتعرب بعد الهجرة» وفي إسناده نظر ورفع غلط فاحش، والصواب ما رواه ابن جرير: حدثنا نعيم بن المنتصر حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن إسحاق عن محمد بن سهل بن أبي خيثمة عن أبيه قال: أتني في هذا المسجد مسجد الكوفة وعلي رضي الله عنه يخطب الناس على المنبر يقول: يا أيها الناس الكبائر سبع فاصاخ الناس فأعادها ثلاث مرات ثم قال: لِمَ لا تسألوني عنها؟ قالوا يا أمير المؤمنين ماهي؟ قال: الاشرار بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتعرب بعد الهجرة. فقلت لأبي يابن التمر بعد الهجرة كيف لحق ههنا، قال يابني وما أعظم من أن يهاجر الرجل حتى إذا وقع سهمه في الفيل ووجب عليه الجهاد خلع ذلك من عنقه فرجع اعراياً كما كان.

مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وقال كل شيء عصي الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئاً منها فليستغفر فإن الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا راجعاً عن الاسلام أو جاحداً فريضة أو مكذباً بقدر وقال عبد الله بن مسعود ما نهى الله تعالى عنه في هذه السورة الى قوله (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) فهو كبيرة وقال علي بن أبي طالب هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب وقال الضحاك: ما وعد الله عليه حدا في الدنيا أو عذاباً في الآخرة، وقال الحسن بن الفضل: ما سماه الله

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد : حدثنا هاشم حدثنا ابو معاوية يعني سنان عن منصور عن هلال بن يساف عن سلمة بن قيس الاشجعي قال : قال رسول الله عليه وسلم في حجة الوداع « الا أنهن اربع لا تشرنوا بالله شيئاً ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تنزوا ، ولا تسرقوا » قال فما أنا بأشجع عليهن إذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم رواه احمد أيضاً والنسائي وابن مردويه من حديث منصور بإسناده مثله

﴿ حديث آخر ﴾ تقدم من رواية عمر بن المغيرة عن داود بن ابى هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « الاضرار في الوصية من الكبائر » والصحيح ما رواه غيره عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال ابن أبي حاتم هو صحيح عن ابن عباس من قوله ﴿ حديث آخر في ذلك ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا عباد بن عباد عن جعفر بن الزبير عن القاسم بن ابى امامة أن أناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا الكبائر وهو متكى ، فقال : الشرك بالله ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، وقذف الحصنة ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور ، والغلول ، والسحر ، وأكل الربا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فاين تجعلون الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلاً إلى آخر الآية » في إسناده ضعف وهو حسن

﴿ ذكر أقوال السلف في ذلك ﴾

قد تقدم ما روي عن عمر وعلي في ضمن الأحاديث المذكورة وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن ابن عون عن الحسن أن ناساً سألوا عبد الله بن عمرو بمصر فقالوا نرى أشياء من كتاب الله عز وجل أمر أن يعمل بها لا يعمل بها فأردنا أن نلقى أمير المؤمنين في ذلك فقدم وقدموا معه فلقي عمر رضي الله عنه فقال متى قدمت ؟ فقال : منذ كذا وكذا قال : أبأذن قدمت ؟ قال : فلا أدري كيف رد عليه ، فقال يا أمير المؤمنين ان ناساً لقوني بمصر فقالوا انا نرى أشياء في كتاب الله أمر أن يعمل بها فلا يعمل بها فأجبوا أن يلقوك في ذلك . قال : فاجمعهم لي ، قال فجمعهم له ، قال ابن عون أظنه قال في بهو فأخذ أدناهم رجلاً فقال أنشدك بالله وبحق الاسلام عليك أقرأت القرآن كله ؟ قال نعم

في القرآن كبيراً أو عظيماً نحو قوله تعالى (انه كان حوباً كبيراً * ان قتلهم كان خطئاً كبيراً * ان الشرك لظلم عظيم * ان كيد كثر عظيم * سبحانك هذا بهتان عظيم * ان ذالكم كان عند الله عظيماً) قال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين عباد الله تعالى والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله كريم يعفو واحتج بما اخبرنا الشيخ ابو القاسم عبد الله بن علي السكرماني انا ابو طاهر محمد بن محمش الزيادي انا ابو جعفر محمد بن احمد بن سعيد انا الحسن بن داود البلخي انا يزيد بن هرون انا حميد

قال فهل أحصيته في نفسك؟ فقال اللهم لا! قال ولو قال نعم لحصمه. قال فهل أحصيته في بصرك؟ فهل أحصيته في لفظك؟ هل أحصيته في أثرك؟ ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم فقال: شككت عمر أمه اتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله قد علم ربنا أن ستكون لنا سيئات قال وتلا: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) الآية. ثم قال هل علم أهل المدينة، أو قال: هل علم أحد بما قدمتم قالوا لا، قال لو علموا لوعظت بكم، أسناد صحيح ومتن حسن، وإن كان من رواية الحسن عن عمر وفيها انقطاع إلا أن مثل هذا اشتهر فتكفي شهرته. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو أحمد يعني الزبيري حدثنا علي بن صالح عن عثمان بن المغيرة عن مالك بن جرير^(١) عن علي رضي الله عنه قال: الكبائر الأشراك بالله، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة والفرار من الزحف، والنعر بعد الهجرة، والسحر، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، وفراق الجماعة، ونكث الصفة. وتقدم عن ابن مسعود أنه قال: أكبر الكبائر الأشراك بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله عز وجل. وروى ابن جرير من حديث الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق والأعمش عن إبراهيم عن علقمة كلاهما عن ابن مسعود قال الكبائر من أول سورة النساء إلى ثلاثين آية منها ومنه حديث سفيان الثوري وشعبة عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال الكبائر من أول سورة النساء إلى ثلاثين آية ثم تلا أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية قال ابن حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا صالح بن حي عن ابن بريدة عن أبيه قال: أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين ومنع فضول الماء بعد الري، ومنع طروق الفحل إلا بجعل

(١) في الأزهرية

جوين

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلا» وفيه ما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه ابن السبيل» وذكر تمام الحديث وفي مسند الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً «من منع فضل الماء وفضل الكلا منعه الله فضله يوم القيامة» وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسين بن محمد بن شعبة الواسطي حدثنا أبو أحمد عن سفيان عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة قالت ما أخذ على النساء من الكبائر قال ابن أبي حاتم يعني قوله تعالى

الطويل عن أنس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد إن الله عز وجل قد عفا عنكم جميعاً المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي» وقال مالك بن مغول: الكبائر ذنوب أهل البدع والسيئات ذنوب أهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمدة والسيئات الخطأ والنسيان وما أكره عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الأمة وقيل الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب ابليس والصغائر ذنوب المستغفرين

(على أن لا يشرك بالله شيئاً ولا يسرقن) الآية وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عليه حدثنا زياد بن مخرق عن معاوية بن قرة قال أنبت أنس ابن مالك فكان فيما يحدثنا قل لم أر مثل الذي أتانا عن ربنا ثم لم يخرج عن كل أهل ومال ثم سكت هنية ثم قال ^(١) والله لما كلفنا من ذلك انه تجاوز لنا عما دون الكبائر وتلا ان تجنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية

(١) في الازهرية:
والله ما خلق ربنا
أهون من ذلك لقد
تجاوز الخ .

﴿ أقوال ابن عباس في ذلك ﴾

روي ابن جرير من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه عن طاوس قال ذكروا عند ابن عباس الكبائر فقالوا هي سبع فقال أكثر من سبع وسبع قال فلا ادري كم قالها من مرة وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ليث عن طاوس قال قلت لابن عباس ما السبع الكبائر قال هي الى السبعين اقرب منها الى السبع ورواه ابن جرير عن ابن حميد عن ليث عن طاوس قال جاء رجل الى ابن عباس فقال أرأيت الكبائر السبع التي ذكرهن الله ما هن قال هن الى السبعين أدنى منهن الى سبع ، وقال عبدالرزاق أنا معمر عن طاوس عن أبيه قال قيل لابن عباس الكبائر سبع؟ قال هن الى السبعين أقرب، وكذا قال ابو العالية الرياحي رحمه الله ، وقال ابن جرير حدثنا المثني حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن قيس عن سعد عن سعيد بن جبير ان رجلاً قال لابن عباس كم الكبائر؟ سبع قال هن الى سبعائة أقرب منها الى سبع غير انه لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع اصرار ، وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شبل به وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله ان تجنبوا كبائر ما تنهون عنه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا ابن فضيل حدثنا شبيب عن عكرمة عن ابن عباس قال ^(٢) الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار كبيرة وكذا قال سعيد بن جبير والحسن البصري وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن عليه أخبرنا أيوب عن محمد بن سيرين قال نبئت أن ابن عباس كان يقول كل ما نهى الله عنه كبيرة وقد ذكرت الطرفة قال هي النظرة وقال أيضا حدثنا أحمد بن حازم أخبرنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن معدان عن أبي الوليد قال سألت ابن عباس عن الكبائر قال كل شيء عصى الله به فهو كبيرة

(٢) في الازهرية
كل ما وعد الله عليه
النار كبيرة

(٣) هكذا في

النسخ التي بأيدينا
وامل الصواب أن
يكون هكذا: الصغائر
ما يستحقه العباد
والكبائر ما
يستعظمونه الخ .

مثل ذنب آدم عليه السلام وقال السدي الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر والسيئات مقدماتها وتوابعها مما يجتمع فيه الصالح والفاسق مثل النظرة والمسة والقبلة وأشباها قال النبي صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه ^(٣) وقيل الكبائر ما يستحقه العباد والصغائر ما يستعظمونه فيخافون مواقعه كما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله

﴿ أقوال التابعين ﴾

قال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد قال سألت عبيدة عن الكبائر فقال : الاشرار بالله ، وقتل النفس التي حرم الله بغير حقها ، والفرار يوم الزحف ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا والبهتان . قال ويقولون أعراية بعد هجرة قال ابن عون فقلت لمحمد فالسحر ؟ قال ان البهتان يجمع شرأ كثيرا وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أبو الأحوص سلام ابن سليم عن أبي إسحق عن عبيد بن عمير قال : الكبائر سبع ليس منهن كبيرة إلا وفيها آية من كتاب الله الاشرار بالله منهن (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح) الآية (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، إنما يأكلون في بطونهم ناراً) الآية (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس — والذين يرمون المحصنات لغافلات المؤمنات) والفرار من الزحف (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً) الآية والتعرب بعد الهجرة (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى) وقتل المؤمن (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) الآية وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضا في حديث أبي إسحق عن عبيد بن عمير بنحوه وقال ابن جرير : حدثنا المشي ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا شبل ، عن ابن نجيح عن عطاء يعني ابن أبي رباح قال الكبائر سبع : قتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، ورمي المحصنة ، وشهادة الزور ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير عن مغيرة قال كان يقال شتم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الكبائر قلت وقد ذهب طائفة من العلماء إلى تكفير من سب الصحابة وهو رواية عن مالك ابن أنس رحمه الله وقال محمد بن سيرين ما أظن أحداً يبغض أبا بكر وعمر وهو يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا يونس أنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن عياش قال زيد بن اسلم في قول الله عز وجل (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) من الكبائر : الشرك بالله ، والكفر بآيات الله ورسوله ، والسحر ، وقتل الاولاد ، ومن ادعى الله ولداً أو صاحبة — ومثل ذلك من الأعمال ، والقول الذي لا يصلح معه عمل . وأما كل ذنب يصلح معه دين ، ويقبل معه عمل فإن الله يغفر السيئات بالحسنات . قال ابن جرير حدثنا بشر بن معاذ ، حدثنا يزيد حدثنا

النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا ابو الوليد أنا مهدي بن ميمون بن غيلان عن أنس قال انكم لتعملون أعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر ان كنا نعدّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وقيل الكبائر الشرك وما يؤدي اليه وما دون الشرك فهو من السيئات قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قوله تعالى ﴿ نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ اي من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة ومن رمضان إلى رمضان اخبرنا اسمعيل بن عبد

سعيد، عن قتادة (إن تجنبوا كبائر ما تنهون عنه) الآية إنما وعد الله المغفرة لمن اجتنب الكبائر وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «اجتنبوا الكبائر، وسددوا، وابشروا» وقد روى ابن مردويه من طرق عن أنس وعن جابر مرفوعاً «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» ولكن في أسناده من جميع طرقه ضعف إلا ما رواه عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثبات عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» فانه أسناد صحيح على شرط الشيخين وقد رواه أبو عيسى الترمذي منفرداً به من هذا الوجه عن عباس العنبري عن عبد الرزاق ثم قال هذا حديث حسن صحيح. وفي الصحيح شاهد لمعناه وهو قوله صلى الله عليه وسلم بعد ذكر الشفاعة «أثرونها للمؤمنين المتقين؟ لا ولكنها للخاطئين المتلوثين» وقد اختلف علماء الأصول والفروع في حد الكبيرة فمن قائل هي ما عليه حد في الشرع ومنهم من قال هي ما عليه وعيد مخصوص من الكتاب والسنة وقيل غير ذلك. قال أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي في كتابه الشرح الكبير الشهير في كتاب الشهادات منه ثم اختلف الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم في الكبائر وفي الفرق بينها وبين الصغائر وبعض الأصحاب في تفسير الكبيرة وجوه أحدها أنها المعصية الموجبة للحد (والثاني) أنها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أو سنة وهذا أكثر ما يوجد لهم وإلى الأول أميل لكن الثاني أوفق لما ذكره عند تفسير الكبائر (والثالث) قال إمام الحرمين في الإرشاد وغيره كل جريمة تنبيء بقلة أكرث مرتكبها بالدين ورقة الديانة فهي مبطللة للعدالة (والرابع) ذكر القاضي أبو سعيد الهروي أن الكبيرة كل فعل نص الكتاب على تحريمه وكل معصية توجب في جنسها حداً من قتل أو غيره وترك كل فريضة مأمور بها على الفور والكذب في الشهادة والرواية واليمين هذا ما ذكره على سبيل الضبط ثم قال وفصل القاضي الروياني فقال الكبائر سبع: قتل النفس بغير الحق، والزنا، واللواط، وشرب الخمر، والسرقه، واخذ المال غصباً، والقذف وزاد في الشامل على السبع المذكورة شهادة الزور وأضاف إليها صاحب العدة أكل الربا، والافطار في رمضان بلا عذر، واليمين الفاجرة، وقطع الرحم، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، والخيانة في الكيل والوزن، وتقديم الصلاة على وقتها، وتأخيرها عن وقتها بلا عذر، وضرب المسلم بلا

القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم ابن الحجاج حدثني هرون بن سعيد الأيلي أنا ابن وهب عن أبي صخر أن عمر بن أسحق مولى زائدة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» قوله تعالى ﴿وَنَدْخُلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ أي حسناً وهو الجنة قرأ أهل المدينة مدخلاً بفتح الميم ههنا وفي الحج وهو موضع الدخول وقرأ الباقون بالضم على المصدر بمعنى الإدخال

حق ، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمداً ، وسب أصحابه ، وكمات الشهادة بلا عذر ، وأخذ الرشوة ، والزيادة بين الرجال والنساء ، والسعاية عند السلطان ، ومنع الزكاة ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة ، ونسيان القرآن بعد تعلمه ، واحراق الحيوان بالنار ، وامتناع المرأة من زوجها بلا سبب ، واليأس من رحمة الله ، والأمن من مكر الله ويقال الوقعة في أهل العلم ، وحمل القرآن ومما يعد من الكبائر — الظهار ، وأكل لحم الخنزير والميتة إلا عن ضرورة — ثم قال الرافعي وللتوقف مجال في بعض هذه الخصال قلت : وقد صنف الناس في الكبائر مصنفات منها ما جمعه شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي الذي بلغ نحواً من سبعين كبيرة وإذا قيل إن الكبيرة ما توعدها عليها الشارع بالنار بخصوصها كما قال ابن عباس وغيره وتتبع ذلك اجتماع منه شيء كثير وإذا قيل كل ما نهى الله عنه فكثير جداً والله أعلم

(وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، الْمَرْجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا)

وللنساء نصيب مما اكتسبن ، وسئلوا الله من فضله إن الله كل بكلي شيء ، عليا (٣٢) قال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال قالت أم سلمة يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو ولنا نصف الميراث فانزل الله (وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ) ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة أنها قالت قلت يا رسول الله فذكره وقال غريب ورواه بعضهم عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، أن أم سلمة قالت يا رسول الله فذكره ورواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير ، وابن مردويه والحاكم في مستدرکه من حديث الثوري عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال قالت أم سلمة يا رسول الله : لا تقاتل فنستشهد ولا تقطع الميراث فنزلت الآية ثم أنزل الله (أَمْ لِي لَا أُضِيعَ عَمَلُ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى) الآية ثم قال ابن أبي حاتم وكذا روى سفيان بن عيينة ، يعني عن ابن أبي نجيح بهذا اللفظ وروى يحيى القطان ووكيم بن الجراح عن الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ الآية قال مجاهد قالت أم سلمة يا رسول الله إن الرجال يغزون ولا تغزون ولهم ضعف مالنا من الميراث ، فلو كنا رجالاً غزونا كما غزوا ، وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا فنزلت هذه الآية. وقيل لما جعل الله عز وجل للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث قالت النساء نحن احق واحوج إلى الزيادة من الرجال لانا ضعيفات وهم أقوى واقدر على طلب المعاش منا فانزل الله تعالى (وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ) وقال قتادة والسدي لما أنزل الله قوله (للذكر مثل حظ الأنثيين) قال الرجال انا لئرجوا أن نفضل على النساء بحسبنا في الآخرة فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث

وروى عن مقاتل بن حيان وخصيف نحو ذلك وروى ابن جرير من حديث بن جريج عن
عكرمة ومجاهد انهما قالا انزلت في أم سلمة وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن شيخ من أهل مكة
قال نزلت هذه الآية في قول النساء ليتنا الرجال فنجاهد كما يجاهدون ونغزو في سبيل الله عز وجل
وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية ، حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني
أبي ، حدثنا أشعث بن إسحق عن جعفر يعني ابن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في
الآية قال أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله للذكر مثل حظ الأنثيين وشهادة
امرأتين برجل أفنحن في العمل هكذا إن فعلت امرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة فأنزل الله هذه
الآية (ولا تتمنوا) الآية فانه عدل مني وأنا صنعته وقال السدي في الآية إن رجلاً قالوا إنا نريد
أن يكون لنا من الأجر الضعف على أجر النساء كما لنا في السهام سهمان وقالت النساء إنا نريد أن
يكون لنا أجر مثل أجر الشهداء فإنا لا نستطيع أن نقاتل ولو كتب علينا القتال لقاتلنا فأبى الله ذلك
ولكن قال لهم سلوني من فضلي قال ليس بعرض الدنيا وقد روي عن قتادة نحو ذلك وقال علي
ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال ولا يتمنى الرجل فيقول ليت لي مال فلان وأهله
فنهى الله عن ذلك ولكن يسأل الله من فضله . وقال الحسن ومحمد بن سيرين وعطاء والضحاك نحو
هذا وهو الظاهر من الآية ولا يرد على هذا ما ثبت في الصحيح لاحسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله
مالاً فسلطه علىهلكته في الحق فيقول رجل لو أن لي مثل ما فلان لعملت مثله فيها في الأجر سواء
فإن هذا شيء غير مانهت عنه الآية وذلك أن الحديث حصص على تمنى مثل نعمة هذا والآية نهت
عن تمنى عين نعمة هذا يقول (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) أي في الأمور الدنيوية
وكذا الدينية لحديث أم سلمة وابن عباس وهكذا قال عطاء بن أبي رباح نزلت في النهي عن تمنى
ما لفلان وفي تمنى النساء أن يكن رجالاً فيغزون رواه ابن جرير ثم قال (الرجال نصيب مما اكتسبوا
والنساء نصيب مما اكتسبن) أي كل له جزاء على عمله بحسبه إن خيراً خيراً ، وإن شراً فشر هذا قول
ابن جرير وقيل المراد بذلك في الميراث أي كل يرث بحسبه . رواه الترمذي عن ابن عباس ثم أرشدكم

فقال الله تعالى ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا ﴾ من الأجر ﴿ وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾
معناه أن الرجال والنساء في الأجر في الآخرة سواء ، وذلك أن الحسنة تكون بعشرة أمثالها يستوي
فيها الرجال والنساء ، وإن فضل الرجال في الدنيا على النساء ، وقيل معناه (للرجال نصيب مما
اكتسبوا) من أمر الجهاد (وللنساء نصيب مما اكتسبن) من طاعة الأزواج وحفظ الفروج . قوله
تعالى ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ قرأ ابن كثير والكسائي وسلوا وفسل إذا كان قبل السين واو
أو فاء بغير همز ونقل حركة الهمزة إلى السين والباقون بسكون السين مهموزاً فنهى الله تعالى عن
التمني لما فيه من دواعي الحسد ، والحسد أن يتمنى الرجل زوال النعمة عن صاحبه سواء تمنّاها لنفسه

الى ما يصلحهم فقال (واسئلوا الله من فضله) لاتتمنوا ما فضلنا به بعضكم على بعض فان هذا أمر محتوم أي إن التمني لا يجدي شيئا ولكن سلوني من فضلي أعطكم فاني كريم وهاب وقد روى الترمذي وابن مردويه من حديث حماد بن واقد سمعت اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسأل ، وإن أفضل العباد انتظار الفرج » ثم قال الترمذي كذا رواه حماد بن واقد وليس بالحافظ ورواه أبو نعيم عن اسرائيل عن حكيم بن جبير عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديث أبي نعيم أشبه أن يكون أصح وكذا رواه ابن مردويه من حديث وكيع عن اسرائيل ثم رواه من حديث قيس بن الربيع عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسأل ، وإن أحب عباد الله الى الله الذي يحب الفرج » ثم قال (إن الله كان بكل شيء عليا) أي هو عليم بمن يستحق الدنيا فيعطيه منها وبمن يستحق الفقر فيفقره وعليم بمن يستحق الآخرة فيقبضه لأعمالها وبمن يستحق الخلدان فيخلذه عن تعاطي الخير وأسبابه ولهذا قال (ان الله كان بكل شيء عليا)

(وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَتَأْتُوهُمْ نَصِيْبِهِمْ)
ان الله كان على كل شيء شهيدا (٣٣)

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو صالح وقتادة وزيد بن أسلم والسدي والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم في قوله (ولكل جعلنا موالى) أي ورثة وعن ابن عباس في رواية أي عصبية قال ابن جرير والعرب تسمى ابن العم مولى كما قال الفضل بن عباس
مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا يظهرن بيننا ما كان مدفونا

قال ويعني بقوله مما ترك الوالدان والأقربون من تركه والديه وأقربيه من الميراث فتأويل الكلام ولكلكم أيها الناس جعلنا عصبية يرثونه مما ترك والداه وأقربوه من ميراثهم له وقوله تعالى

أم لا وهو حرام ، والغبطة أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه وهو جائز . قال الكلبي : لا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه ، ولكن ليقول اللهم ارزقني مثله وهو كذلك في التوراة ، وذلك في القرآن قوله (واسألوا الله من فضله) قال ابن عباس (واسألوا الله من فضله) أي من رزقه . وقال سعيد بن جبير من عبادة فهو سؤال التوفيق للعبادة . قال سفيان بن عيينة : لم يأمر بالمسألة إلا يعطي قوله تعالى (إن الله كان بكل شيء عليا) ولكل جعلنا موالى أي ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالى أي عصبية يعطون (مما ترك الوالدان والأقربون) الوالدان والأقربون هم الموروثون ، وقيل معناه

(والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) أي والذين تحالفتم بالآيمان المؤكدة أنتم وهم فآتوهم نصيبهم من الميراث كما وعدتموهم في الأيمان المغلظة أن الله شاهدينكم في تلك العهود والمعاهدات وقد كان هذا في ابتداء الاسلام ثم نسخ بعد ذلك وأمروا أن يوفوا لمن عاهدوا ولا ينسوا بعد نزول هذه الآية . معاقدة قال البخاري حدثنا الصلت بن محمد حدثنا أبو امامة عن ادريس عن طلحة بن مصرف عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس « ولكل جعلنا موالى » قال ورثة والذين عقدت أيمانكم كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الانصاري دون ذوي رحمة للاخوة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم فلما نزلت (ولكل جعلنا موالى) نسخت ثم قال (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم من النصر والرفادة والنصيحة) وقد ذهب الميراث ويوصي له ثم قال البخاري سمع أبو أسامة ادريس وسمع ادريس عن طلحة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة حدثنا ادريس الأودي أخبرني طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (والذين عقدت أيمانكم) الآية قال كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجري الانصاري دون ذوي رحمة بالاخوة التي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم فلما نزلت (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون) نسخت ثم قال والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس قال « والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم فكان الرجل قبل الاسلام يعاهد الرجل ويقول وترثي وأرثك وكان الاحياء يتحالفون » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل حلف في الجاهلية أو عقد أدركه الاسلام فلا يزيده الاسلام الا شدة ولا عقدا ولا حلف في الاسلام » فسختها هذه الآية (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) ثم قال وروي عن سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والحسن وابن المسيب وأبي صالح وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة والسدي والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا هم الحلفاء وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا بن أبي نمير وأبو أسامة عن زكريا عن سعيد بن ابراهيم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا حلف في الاسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزهده الاسلام الا شدة » وهكذا رواه مسلم ورواه النسائي من حديث اسحق بن يوسف الازرق عن زكريا عن سعيد بن ابراهيم عن نافع عن جبير بن مطعم عن أبيه به وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس

(ولكل جعلنا موالى) أي ورثة مما ترك أي من الذين تركوهم ويكون ما يعني من ، ثم فسر الموالى فقال : الوالدان والأقربون أي هم الوالدان والأقربون ، فعلى هذا القول الوالدان والأقربون هم الوارثون (والذين عقدت أيمانكم) قرأ أهل الكوفة عقدت بلا ألف أي عقدت لهم أيمانكم ، وقرأ الآخرون عاهدت أيمانكم والمعاهدة المحالفة والمعاهدة ، والايان جمع يمين من اليد والقسم ، وذلك أنهم كانوا

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا أبو كريب حدثنا مصعب بن المقدم عن إسرائيل عن يونس عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا حلف في الإسلام وكل حلف كان في الجاهلية فلم يزد الإسلام الا شدة وما يسرني ان لي حمر النعم واني تقضت الحلف الذي كان في دار الندوة» هذا لفظ ابن جرير وقال ابن جرير أيضاً حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علي عن عبد الرحمن بن اسحق عن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شهدت حلف المطيبين وأنا غلام مع عمومي فما أحب أن لي حمر النعم وانا أنكته» قال الزهري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لم يصب الإسلام حلفاً الا زاده شدة» قال «ولا حلف في الإسلام» وقد ألف النبي صلى الله عليه وسلم بين قريش والأنصار وهكذا رواه الامام أحمد عن بشر ابن الفضل عن عبد الرحمن بن اسحق عن الزهري بتمامه وحدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرني مغيرة عن أبيه عن شعبة بن التوام عن قيس بن عاصم أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الحلف قال يقال «ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ولا حلف في الإسلام» وهكذا رواه أحمد عن هشيم وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن داود بن أبي عبد الله عن ابن جده عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا حلف في الإسلام وما كان من حلف في الجاهلية لم يزد الإسلام الا شدة وحدثنا كريب حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح قام خطيباً في الناس فقال «يا أيها الناس ما كان من حلف في الجاهلية لم يزد الإسلام الا شدة ولا حلف في الإسلام» ثم رواه من حديث حسين المعلم وعبد الرحمن بن الحرث عن عمرو بن شعيب به وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابن نمير وأبو اسامة عن زكريا عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا حلف في الإسلام وأما حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام الا شدة» وهكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد وهو أبو بكر بن أبي شيبة باسناده مثله ورواه أبو داود عن عثمان عن محمد بن أبي شيبة عن محمد بن بشر وابن نمير وأبي أسامة ثلاثتهم عن زكريا وهو ابن أبي زائدة باسناده مثله ورواه ابن جرير من حديث محمد بن بشر به

عند المحالفة يأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء، والتمسك بالعهد، ومحالفتهم أن الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك، وثاري ثارك، وحربي حربك، وسلمي سلمك، وترثي وأرثك وتطلب بي وأطلب بك، وتعقل عني وأعقل عنك، فيكون للحليف السدس من مال الحليف، وكان ذلك في ابتداء الإسلام فذلك قوله تعالى ﴿فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ﴾ أي أعطوهم حظهم من الميراث، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وقال ابراهيم ومجاهد

ورواه النسائي من حديث اسحق بن يوسف الازرق عن زكريا عن سعد بن ابراهيم عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه به وقال الامام أحمد حدثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن أبيه عن شعبة بن التوام عن قيس بن عاصم انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الحلف فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ولا حلف في الاسلام وكذا رواه شعبة عن مغيرة وهو ابن مقسم عن أبيه به وقال محمد بن اسحق عن داود بن الحصين قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع مع ابن ابنها موسى بن سعد وكانت يتيمة في حجر أبي بكر فقرأت عليها (والذين عاقدت أيمانكم) فقالت لا ولكن والذين عقدت أيمانكم قالت إنما نزلت في أبي بكر وابنه عبد الرحمن حين أتى أن يسلم خلف ابوبكر أن لا يورثه فلما أسلم حين حمل على الاسلام بالسيف أمر الله أن يؤتیه نصيبه رواه ابن أبي حاتم وهذا قول غريب، والصحيح الأول وان هذا كان في ابتداء الاسلام يتوارثون بالحلف ثم نسخ وبقي تأثير الحلف بعد ذلك وان كانوا قد أمروا أن يوفوا بالعهود والعقود والحلف الذي كانوا قد تعاقدوه قبل ذلك وتقدم في حديث جبير بن مطعم وغيره من الصحابة لاحلف في الاسلام وأما حلف كان في الجاهلية لم يزد الاسلام الا شدة وهذا نص في الرد على من ذهب الى التوارث بالحلف اليوم كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ورواية عن أحمد بن حنبل والصحيح قول الجمهور ومالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه ولهذا قال تعالى (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون) أى ورثة من قرابته من أبويه وأقربيه وهم يرثونه دون سائر الناس كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر أي اقسموا الميراث على أصحاب الفرائض الذين ذكرهم الله في آيتي الفرائض فما بقي بعد ذلك فأعطوه للعصبة وقوله (والذين عقدت أيمانكم) أى قبل نزول هذه الآية فاتوهم نصيبهم أى من الميراث فأما حلف عقد بعد ذلك فلا تأثير له وقد قيل ان هذه الآية نسخت الحلف في المستقبل وحكم الحلف الماضي أيضا فلا توارث به كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو اسامة حدثنا ادريس الاودى أخبرني طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فاتوهم نصيبهم قال من النصر والنصيحة والرفادة ويوصى له وقد ذهب الميراث ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي أسامة وكذا روى عن مجاهد وأبي مالك نحو ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله

أراد (فاتوهم نصيبهم) من النصر والرفد ولا ميراث لهم، وعلى هذا تكون هذه الآية غير منسوخة لقوله تعالى (أوفوا بالعقود) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة يوم فتح مكة «لا تتحدثوا خلفا في الاسلام، وما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به، فانه لم يزد الاسلام إلا شدة» وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون الرحم، فلما نزلت

(والذين عاقدت أيمانكم) قال كان الرجل يعاقد الرجل أيهما مات ورثه الآخر فأنزل الله تعالى (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا) يقول إلا أن توصوا لهم بوصية فهي لهم جائزة من ثلث المال وهذا هو المعروف وهكذا نص غير واحد من السلف أنها منسوخة بقوله (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا) وقال سعيد بن جبير فآتوهم نصيبهم أي من الميراث قال وعاقده أبو بكر مولى فوره رواه ابن جرير وقال الزهري عن ابن المسيب نزلت هذه الآية في الذين كانوا يتبنون رجالا غير أبنائهم يورثونهم فأنزل الله فيهم فجعل لهم نصيباً في الوصية ورد الميراث إلى المولى في ذي الرحم والعصبة وأبى الله أن يكون للمدعين ميراثاً ممن ادعاهم وتبناهم ولكن جعل لهم نصيباً من الوصية رواه ابن جرير وقد اخذ ابن جرير أن المراد بقوله فآتوهم نصيبهم أي من النصرة والنصيحة والمعونة لا أن المراد فآتوهم نصيبهم من الميراث حتى تكون الآية منسوخة ولا أن ذلك كان حكماً ثم نسخ بل إنما دلت الآية على الوفاء بالخلف المعقود على النصرة والنصيحة فقط فهي محكمة لا منسوخة وهذا الذي قاله فيه نظرفان من الخلف ما كان على المناصرة والمعونة ومنه ما كان على الإرث كما حكاه غير واحد من السلف وكما قال ابن عباس كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه حتى نسخ ذلك فكيف يقول إن هذه الآية محكمة غير منسوخة والله أعلم

(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشورهن فيعظوهن واهجروهن في المضاجع وأضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً (٣٤)

يقول تعالى (الرجال قوامون على النساء) أي الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا عوجت (بما فضل الله بعضهم على بعض) أي لأن الرجال أفضل من

(ولكل جعلنا مولى) نسخت، ثم قال (والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث فيوصي له، وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني وهذه الآية فيه ثم نسخ قوله تعالى ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ الرجال قوامون على النساء ﴿الآية نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير قاله مقاتل وقال الكلبي امرأته حبيبة بنت محمد بن مسلمة، وذلك أنها نشرت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أفرشته كريمتي فلطمها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لتقتص

النساء والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذلك الملك الاعظم لقوله صلى الله عليه وسلم « ان يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » رواه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه وكذا منصب القضاء وغير ذلك (وبما أنفقوا من أموالهم) أي من المهور والنققات والكاف التي أوجبها الله عليهم لمن في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فالرجل أفضل من المرأة في نفسه وله الفضل عليها والافضل فتناسب أن يكون قبا عليها كما قال الله تعالى (وللرجال عليهن درجة) الآية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (الرجال قوامون على النساء) يعني أمراء عليهن أي تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهلها حافظة لماله . وكذا قال مقاتل والسدي والضحاك وقال الحسن البصري جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم تشكو أن زوجها لطمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القصاص » فانزل الله عز وجل (الرجال قوامون على النساء) الآية فرجعت بغير قصاص ورواه ابن جريج وابن أبي حاتم من طرق عنه وكذلك أرسل هذا الخبر قتادة وابن جريج والسدي أورد ذلك كله ابن جرير وقد أسنده ابن مردويه من وجه آخر فقال حدثنا أحمد بن علي النسائي ، حدثنا محمد بن هبة الله الهاشمي ، حدثنا محمد بن محمد الأشعث حدثنا موسى بن اسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد ، قال حدثني أبي ، عن جدي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن علي قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من الانصار بامرأة له فقالت يا رسول الله إن زوجها فلان بن فلان الانصاري وأنه ضربها فأثر في وجهها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس له ذلك » فانزل الله تعالى (الرجال قوامون على النساء) أي في الأدب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أردت أمرا وأراد الله غيره » وكذلك أرسل هذا الخبر قتادة وابن جريج والسدي أورد ذلك كله ابن جرير وقال الشعبي في هذه الآية (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) قال الصداق الذي أعطاها ألا ترى أنه لو قذفها لأعنها

من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه « فجاء جبريل عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ارجعوا هذا جبريل أتاني بشي » فانزل الله هذه الآية « فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أردنا أمرا وأراد الله أمرا ، والذي أراد الله خير ، ورفع القصاص » قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) أي مسيطون على تأديبهن والقوام والقيم بمعنى واحد والقوام أبلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ يعني فضل الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية ، وقيل بالشهادة لقوله تعالى (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) وقيل بالجهاد ، وقيل بالعبادات من الجمعة والجماعة ، وقيل هو أن الرجل ينكح أربعاً ولا يحل للمرأة إلا زوج واحد وقيل بأن الطلاق بيده ، وقيل بالميراث ، وقيل بالدية ، وقيل بالنبوة ﴿ وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ يعني أعطاه المهر والنفقة أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أخبرنا

ولو قدفته جلدت وقوله تعالى (فالصالحات) أي من النساء (قانتات) قال ابن عباس وغير واحد يعني مطيعات لأزواجهن (حافظات للغيب) وقال السدي وغيره أي تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله وقوله (بما حفظ الله) أي المحفوظ من حفظه الله قال ابن جرير حدثني المثنى ، حدثنا أبو صالح حدثنا أبو معشر ، حدثنا سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (الرجال قوامون على النساء) إلى آخرها ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن حبيب عن أبي داود الطيالسي عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن سعيد المقبري به مثله سواء ، وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن أبي جعفر أن ابن قارظ أخبره أن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت » تفرد به أحمد من طريق عبد الله بن قارظ عن عبد الرحمن بن عوف

وقوله تعالى (واللاتي يخافون نشوزهن) أي والنساء اللاتي تتخوفون أن ينشزن على أزواجهن والنشوز هو الارتفاع فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها التاركة لأمره المعرضة عنه المبغضة له فتى ظهر له منها أمارات النشوز فليعظها وليخوفها عقاب الله في عصيانه فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته وحرم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والافضال وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كنت امرأة أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها »

أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصغار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي أنا أبو حذيفة أنا سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أمرت أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها »

قوله تعالى (فالصالحات قانتات) أي مطيعات (حافظات للغيب) أي حافظات للفروج في غيبة الأزواج وقيل حافظات لسرهم (بما حفظ الله) قرأ أبو جعفر (بما حفظ الله) بالنصب أي يحفظهن الله في الطاعة ، وقراءة العامة بالرفع أي بما حفظهن الله بإيضاء الأزواج بحجتهن ، وأمرهم بإداء المهر والنفقة وقيل (حافظات للغيب بحفظ الله) أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنجويه أخبرنا عمر بن الخطاب أنا محمد بن اسحاق المسوحي أنا الحارث بن عبد الله أنا أبو معشر عن سعيد بن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء) الآية (واللاتي يخافون نشوزهن) عصيانهن وأصل

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح » رواه مسلم ولفظه « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح » ولهذا قال تعالى (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن) وقوله (واهجروهن في المضاجع) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : الهجر هو أن لا يجامعها ويضاجعها على فراشها ويولمها ظهره وكذا قال غير واحد، وزاد آخرون منهم السدي والضحاك وعكرمة وابن عباس في رواية ولا يكلمها مع ذلك ولا يتحدثها وقال علي بن أبي طلحة أيضا عن ابن عباس : يعظها فإن هي قبلت وإلا هجرها في المضجع ولا يكلمها من غير أن يرد نكاحها وذلك عليها شديد وقال مجاهد والشعبي وإبراهيم ومحمد بن كعب ومقسم وقتادة : الهجر هو أن لا يضاجعها وقد قال أبو داود حدثنا موسى بن اسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي مرة الرقاشي عن عمه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « فان خفتم نشوزهن فاهجروهن في المضاجع » قال حماد يعني النكاح وفي السنن والمسند عن معاوية بن حيدة القشيري أنه قال : يارسول الله ما حق امرأة أحدنا عليه قال « أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت » وقوله واضربوهن أي إذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران فلكم أن تضربوهن ضرباً غير مبرح كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة الوداع « واتقوا الله في النساء فانهم عندكم عوان ولكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم أحدا تكرهونه فان فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف » وكذا قال ابن عباس وغير واحد ضرباً غير مبرح قال الحسن البصري يعني غير مؤثر قال الفقهاء هو أن لا يكسر فيها عضواً ولا يؤثر فيها شئنا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يهجرها في المضجع فان أقبلت والا فقد أذن الله لك أن تضربها ضرباً غير مبرح ولا تكسر لها عظماً فان أقبلت والا فقد أحل الله لك منها الفدية وقال سفينان ابن عيينة عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن عمر عن اياس بن عبد الله بن أبي ذئب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تضربوا إماء الله » فجاء عمر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرت النساء على أزواجهن فرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضربهن فأطاف بأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشتكين أزواجهن

النشوز التكبر والارتفاع ، ومنه النشز الموضع المرتفع ﴿ فعظوهن ﴾ بالتخويف من الله والوعظ بالقول ﴿ واهجروهن ﴾ يعني إن لم ينزعن عن ذلك بالقول (فاهجروهن) ﴿ في المضاجع ﴾ قال ابن عباس يولمها ظهره في الفراش ولا يكلمها ، وقال غيره يعتزل عنها إلى فراش آخر ﴿ واضربوهن ﴾ يعني إن لم ينزعن مع الهجران فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولا شائن ، وقال عطاء ضرباً بالسواك وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « حق المرأة أن تطعمها إذا طعمت »

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشتكين من أزواجهن ليس أولئك بخياركم» رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود يعني أبا داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن داود الاودي عن عبد الرحمن السلمي عن الأشعث بن قيس قال ضفت عمر رضي الله عنه فتناول امرأته فضربها فقال يا أشعث احفظ عني ثلاثا حفظتهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسأل الرجل فيما ضرب امرأته ، ولا تنم إلا على وتر ونسي الثالثة وكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن مهدي عن أبي عوانة عن داود الاودي به وقوله تعالى (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريد منها مما أباحه الله له منها فلا سبيل له عليها بعد ذلك وليس له ضربها ولا هجرانها وقوله (إن الله كان عليا كبيرا) تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب فإن الله العلي الكبير واهن وهو منتقم من ظلمهن وبغى عليهن

(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا

إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥)

ذكر الحال الأول وهو إذا كان النفور والنشوز من الزوجة . ثم ذكر الحال الثاني وهو إذا كان النفور من الزوجين فقال تعالى (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) وقال الفقهاء إذا وقع الشقاق بين الزوجين أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة ينظر في أمرهما ويمنع الظالم منهما من الظلم فإن تفاقم أمرهما وطالت خصوصتهما بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة وثقة من قوم الرجل وتكسوها إذا اكتسيت : ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت » ﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾ أي لا تجنوا عليهن الذنوب . وقال ابن عينة لا تكافوهن بمحبتكم فإن القلب ليس بأيديهن ﴿إن الله كان عليا كبيرا﴾ متعابا عن أن يكاف العباد مالا يطيقونه ، وظاهر الآية يدل على أن الزوج يجمع عليها بين الوعظ والهجران والضرب ، فذهب بعضهم إلى ظاهرها وقال . إذا ظهر النشوز جمع بين هذه الأفعال ، وحمل الخوف في قوله (واللاني تخافون نشوزهن) على العلم كقوله تعالى (فمن خاف من موص جنفاً) أي علم ومنهم من حمل الخوف على الخشية لأعلى حقيقة العلم كقوله تعالى (وأما تخافن من قوم خيانة) وقال هذه الأفعال على ترتيب الجرائم ، فإن خاف نشوزها بأن ظهرت أمارته منها من الحاشنة وسوء الخلق وعظها ، فإن أبدت النشوز هجرها ، فإن أصرت على ذلك ضربها

قوله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ يعني خلافا بين الزوجين والخوف بمعنى اليقين وقبل هو بمعنى الظن يعني إن ظننتم شقاق بينهما وجملة أنه إذا ظهر بين الزوجين شقاق واشتباه حالهما فلم يفعل الزوج الصريح ولا الفرقة ولا المرأة تأدية الحق ولا الغدية وخرجا إلى مالا يحل قولاً وفعلاً

ليجتمعوا فينظروا في أمرهما ويفعلا ما فيه المصلحة مما يريانه من التفريق أو التوفيق وتشوف الشارع الى التوفيق . ولهذا قال تعالى (إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أمر الله عز وجل أن يبعثوا رجلا صالحا من أهل الرجل ورجلا مثله من أهل المرأة فينظران أيهما المسيء ، فإن كان الرجل هو المسيء حججوا عنه امرأته وقصروه على النفقة وإن كانت المرأة هي المسيئة قصروها على زوجها ومنعوها النفقة فإن اجتمع رأيهما على أن يفرقا أو يجمعهما فامرهما جائز فإن رأيا أن يجمعهما فرضي أحد الزوجين وكره الآخر ثم مات أحدهما فإن الذي رضي يرث الذي لم يرض ولا يرث الكاره الراضي رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد عن ابن عباس قال بعثت أنا ومعاوية حكمين ، قال معمر بلغني أن عثمان بعثهما وقال لهما أن رأيتما أن تجمعما جمعتما وإن رأيتما أن تفرقا ففرقا ، وقال أنبأنا ابن جريج حدثني ابن أبي مليكة أن عقيل بن أبي طالب تزوج فاطمة بنت ثبته بن ربيعة فقالت : تصير إلي وإنفق عليك فكان إذا دخل عليها قالت أين عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فقال علي يسارك في النار إذا دخلت فشدت عليها ثيابها فجاءت عثمان فذكرت له ذلك فضحك فأرسل ابن عباس ومعاوية فقال ابن عباس لأفرقن بينهما فقال معاوية ما كنت لأفرق بين شخصين من بني عبد مناف فأتياهما فوجداهما قد أغلقت عليهما أبوابهما فرجعا ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال شهدت عليا وجاءته امرأة وزوجها مع كل واحد منهما فتام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي للحكمين أتدريان ما عليكما؟ ان عليكما ان رأيتما أن تجمعما جمعتما فقالت المرأة رضيت الله لي وعلي وقال الزوج أما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله عز وجل لك وعليك رواه ابن أبي حاتم ورواه ابن جرير عن يعقوب عن ابن علية عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي مثله ورواه من وجه آخر عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي به وقد أجمع العلماء على أن الحكمين لهما الجمع ومتفرقة حتى قال إبراهيم النخعي ان شاء الحكمان أن يفرقا بينهما بطلقة أو بثلث فعلا وهو رواية عن مالك . وقال الحسن البصري الحكمان يحكمان في الجمع لافي التفرقة وكذا قال قتادة وزيد بن أسلم وبه قال أحمد بن حنبل وأبو ثور وداود ، ومأخذهم قوله تعالى (إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما) ولم يذكر التفريق وأما إذا كانا وكيلا من جهة

بعث الامام حكما من أهله اليه وحكما من أهلها اليها : رجلين حريين عدلين ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث اليه إن كان رغبته في الصلح أو في الفرقة . ثم يجتمع الحكمان فينفذان ما يجتمع عليه رأيهما من الصلح فذلك قوله عز وجل ﴿ فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدوا إصلاحا ﴾ يعني الحكمين ﴿ يوفق الله بينهما ﴾ يعني بين الزوجين وقيل بين الحكمين ﴿ إن الله كان عليا خبيراً ﴾ أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ، أنا عبد العزيز بن احمد الخلال ، أنا أبو العباس الاصم ، أنا الزعيم

الزوجين فانه ينفذ حكمها في الجمع والتمفرقة بلا خلاف وقد اختلف الأئمة في الحكمين هل هما منصوبان من جهة الحاكم فيحكمان وان لم يرض الزوجان أو هما وكيلان من جهة الزوجين على قولين والجمهور على الأول لقوله تعالى (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) فساها حكما من أهلها ومن شأن الحكم أن يحكم بغير رضا المحكوم عليه وهذا ظاهر الآية والجديد من مذهب الشافعي وهو قول أبي حنيفة وأصحابه الثاني منهما لقول علي رضي الله عنه للزوج حين قال أما الفرقة فلا فقال كذبت حتى تقر بما أقرت به قالوا فلو كانا حكما لما افتقر الى اقرار الزوج والله أعلم

قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر وأجمع العلماء على أن الحكمين اذا اختلف قولهما فلا عبرة بقول الآخر وأجمعوا على أن قولهما نافذ في الجمع وان لم يوكلاهما الزوجان واختلفوا هل ينفذ قولهما في التفرقة ثم حكى عن الجمهور أنه ينفذ قولهما فيها أيضا من غير توكيل

(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

أنا الشافعي ، أنا الثقي ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة أنه قال في هذه الآية (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) قال جاء رجل وامرأة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومع كل واحد منهما فقام من الناس فأمرهم علي رضي الله عنه فبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين تدریان ما علیكما؟ ان رأیتما أن تجعما جمعما ، وإن رأیتما أن تفرقا فرقما قالت المرأة رضیت بكتاب الله بما علیّ فيه ولي فقال الرجل : أما الفرقة فلا : فقال علي رضي الله عنه كذبت والله حتى تقر بمثل الذي أقرت به . واختلف القوم في جواز بعث الحكمين من غير رضا الزوجين وأصح القولين انه لا يجوز إلا برضاها وليس لحكم الزوج أن يطلق إلا باذنه ولا لحكم المرأة أن يختلע على ما لها إلا باذنها وهو قول أصحاب الرأي لأن عليا رضي الله عنه حين قال الرجل أما الفرقة فلا قال : كذبت حتى تقر بمثل الذي أقرت به : فثبت أن تنفيذ الأمر موقوف على اقراره ورضاه والقول الثاني يجوز بعث الحكمين دون رضاها فيجوز لحكم الزوج أن يطلق دون رضاه ولحكم المرأة أن يختلع دون رضاها إذا رآيا الصلاح فيه كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادها وبه قال مالك ، ومن قال بهذا قال ليس المراد من قول علي رضي الله عنه للرجل حتى تقر أن رضاه شرط بل معناه أن المرأة لما رضيت بما في كتاب الله فقال الرجل أما الفرقة فلا : يعني الفرقة ليست في كتاب الله فقال علي كذبت حيث أنكرت أن الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله تعالى (يوفق الله بينهما) يشتمل على الفراق وغيره لأن التوفيق أن يخرج كل واحد منهما من الوزر وذلك تارة يكون بالفراق وتارة بصلاح حالهما في الوصلة

قوله تعالى ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ أي وحدوه وأطيعوه ﴿ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ أخبرنا أبو حامد

والمسكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً (٣٦)

يا امر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له فانه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآفات والحالات فهو المستحق منهم أن يوحده ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل «أتدري ما حق الله على العباد؟» قال الله ورسوله أعلم قال أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً، ثم أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم» ثم أوصي بالاحسان الى الوالدين قال الله سبحانه جعلهما سبباً لخروجك من العدم الى الوجود وكثيراً ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والاحسان الى الوالدين كقوله (أن أشكر لى ولوالديك) وكقوله (وقضي ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً) ثم عطف على الاحسان اليهما الاحسان الى القرابات من الرجال والنساء كما جاء في الحديث «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة» ثم قال تعالى واليتامى وذلك لانهم فقدوا من يقوم بمصالحهم ومن ينفق عليهم فأمر الله بالاحسان اليهم والحنو عليهم ثم قال: والمساكين وهم المحاييج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون من يقوم بكفائتهم فأمر الله سبحانه بمساعدتهم بما تتم به كفائتهم وتزول به ضرورتهم، وسيأتي الكلام على الفقير والمسكين في سورة براءة وقوله (والجار ذي القربى والجار الجنب) قل على بن أبي طلحة عن ابن عباس والجار ذي القربى يعني الذي بينك وبينه قرابة، والجار الجنب الذي ليس بينك وبينه قرابة وكذا روي عن عكرمة ومجاهد وميمون بن مهران والضحاك وزيد بن أسلم ومقاتل ابن حيان وقتادة وقال أبو اسحق عن نوف البكالي في قوله والجار ذي القربى يعني الجار المسلم والجار الجنب

أحمد بن عبد الله الصالحى، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنا أبو علي بن اسماعيل محمد ابن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور الرمادي، أنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن أبي اسحق، عن عمرو بن ميمون الأزدي، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال «هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله إذا فعلوا ذلك، قلت الله ورسوله أعلم، قال فإن حق الناس على الله أن لا يعذبهم، قال: قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس، قال دعهم يعملون» قوله تعالى ﴿وبالوالدين احساناً﴾ براهبهما وعطفاً عليهما ﴿وبذي القربى﴾ أي احسنوا بذي القربى ﴿واليتامى والمساكين﴾ أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعماني أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمرو بن زرارة أنا عبد العزيز ابن أبي حازم عن ابيه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا

يعني اليهودي والنصراني رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال جابر الجعفي عن الشعبي عن عليّ وابن مسعود والجار ذي القربى يعني المرأة وقال مجاهد أيضاً في قوله والجار الجنب يعني الرفيق في السفر وقد وردت الاحاديث بالوصايا بالجار فلنذكر منها ما تيسر وبالله المستعان

(الحديث الاول) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمر بن محمد بن زيد انه سمع محمداً يحدث عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» أخرجاه في الصحيحين من حديث محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر به (الحديث الثاني) قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن داود بن سابور عن مجاهد عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» وروى أبو داود والترمذي نحوه من حديث سفيان بن عيينة عن بشير أبي اسمعيل زاد الترمذي وداود ابن سابور كلاهما عن مجاهد به ثم قال الترمذي حسن غريب من هذا الوجه وقد روي عن مجاهد وعائشة وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

(الحديث الثالث) قال أحمد أيضاً حدثنا عبد الله بن يزيد أخبرنا حيوة أخبرنا شريك بن شريك انه سمع أبا عبد الرحمن الجيلي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد عن عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح به وقال حسن غريب

(الحديث الرابع) قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن أبيه عن عباية بن رفاعه عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يشبع الرجل دون جاره» تفرد به أحمد (الحديث الخامس) قال الامام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان

وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً» أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن زحر عن عليّ ابن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا الله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات ، ومن أحسن إلى يتيم أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه» قوله تعالى ﴿والجارى ذى القربى﴾ أي ذى القرابة ﴿والجار الجنب﴾ أي البعيد الذي ليس بينك وبينه قرابة . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن أبي عمران الجوني قال : سمعت طلحة قال : قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي قال «إلى أقربهما منك باباً» أخبرنا الاستاذ الامام أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرائني أنا

حدثنا محمد بن سعد الانصاري سمعت أبا ظبية الكلاعي سمعت المقداد بن الاسود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه «ما تقولون في الزنا» قالوا حرام حرمه الله ورسوله وهو حرام الى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بحليلة جاره» قال «ما تقولون في السرقة» قالوا حرمها الله ورسوله فهي حرام الى يوم القيامة قال «لأن يسرق الرجل من عشرة آيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره» تفرد به أحمد وله شاهد في الصحيحين من حديث ابن مسعود: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت ثم أي؟ قال «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت ثم أي؟ قال «أن تزاني حليلة جارك» (الحديث السادس) قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا هشام عن حفصة عن أبي العالية عن رجل من الانصار قال خرجت من أهلي أريد النبي صلى الله عليه وسلم فاذا به قائم ورجل معه مقبل عليه فظننت أن لهما حاجة قال الانصاري لقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي جعلت أرتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من طول القيام فلما انصرف قلت يا رسول الله لقد قام بك هذا الرجل حتي جعلت أرتي لك من طول القيام قال «وقدرأيته» قلت نعم قال «أتدرى من هو؟» قلت لا قال «ذاك جبريل مازال يوصيني بالجار حتي ظننت انه سيورثه ثم قال أما إني لو سلمت عليه لرد عليك السلام» (الحديث السابع) قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا أبو بكر يعني المدني عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من العوالي ورسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يصليان حيث يصلي على الجنائز فلما انصرف قال الرجل يا رسول الله من هذا الرجل الذي رأيت يصلي معك؟ قال «وقدرأيته؟» قال نعم قال «لقد رأيت خيراً كثيراً» هذا جبريل مازال يوصيني بالجار حتي رأيت أنه سيورثه «تفرد به من هذا الوجه وهو شاهد للذي قبله

(الحديث الثامن) وقال أبو بكر البزار حدثنا عبيد الله بن محمد أبو الربيع البخاري^(١) حدثنا محمد بن الحارثي

أبو عوانة يعقوب بن اسحق أنا يزيد بن سنان أخبرنا عثمان بن عمر أخبرنا أبو عامر الخزاز عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وإذا طبخت مرققة فاكرمها هاوا غرق لجيرانك منها » أخبرنا عبد الواحد بن احمد المايحي أخبرنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن منهل أنا يزيد بن زريع أنا عمرو بن محمد عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مازال جبريل يوصيني بالجار حتي ظننت انه سيورثه » قوله تعالى ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ يعني الرفيق في السفر قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة وقال علي وعبد الله والنخعي هو المرأة تكون معه إلى جنبه . وقال ابن جريج وابن زيد هو الذي يصحبك رجاء نفعك ﴿ وابن السبيل ﴾ قيل هو المسافر لانه ملازم

(١) في الازهرية :
الحارثي

اسماعيل بن أبي فديك أخبرني عبد الرحمن بن الفضل عن عطاء الخراساني عن الحسن عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجيران ثلاثة ، جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقاً ، و جار له حقان ، و جار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقاً . فأما الجار الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له ، له حق الجوار . وأما الجار الذي له حقان فجار مسلم له حق الاسلام وحق الجوار . وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم » قال البزار لا نعلم أحداً روى عن عبد الرحمن بن الفضل الا ابن أبي فديك

(الحديث التاسع) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي عمران عن طلحة ابن عبد الله عن عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ان لي جارين فالى أيهما أهدي ؟ قال « الى أقربهما منك بابا » ورواه البخاري من حديث شعبة به

(الحديث العاشر) روي الطبراني وأبو نعيم عن عبد الرحمن فزاد قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نوصاً فجعل الناس يتمسحون بوضوءه فقال « ما يحملكم على ذلك قالوا حب الله ورسوله قال من سره أن يحب الله ورسوله فليصدق الحديث اذا حدث وليؤد الامانة اذا ائتمن^(١) »

(الحديث الحادي عشر) قال أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أول خصمين يوم القيامة جاران^(٢) » وقوله تعالى والصاحب بالجنب قال الثوري عن جابر الجعفي عن الشعبي عن علي وابن مسعود قالاهي المرأة وقال ابن أبي حاتم وروي عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى وابراهيم النخعي والحسن وسعيد بن جبير في احدى الروايات نحو ذلك وقال ابن عباس وجاعة هو الضعيف وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة هو الرفيق في السفر وقال سعيد بن

(٢) الحديث ناقص كما هو ظاهر فليتامل

السبيل والاكثرون على انه الضيف . أخبرنا الاستاذ الامام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرائيني أنا أبو عوانة يعقوب بن اسحاق أنا شعيب عن عمرو الدمشقي أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع نافع بن جبير عن ابن شريح الخزاعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا مصعب عن مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام وما كان بعد^(١) قوله : إذا ائتمن ، هذا الحديث ليس فيه شاهد مسبق ولعله سقط بعد قوله إذا ائتمن : وليحسن الجوار ، وفيه الشاهد اه وهو والحادي عشر ساقط من النسخة الازهرية

جبير هو الرقيق الصالح وقال زيد بن أسلم هو جليساك في الخضر ورفيقك في السفر . واما ابن السبيل فعن ابن عباس وجاعة هو الضيف وقال مجاهد وأبو جعفر الباقر والحسن والضحاك ومقاتل هو الذي يمر عليك مجتازاً في السفر وهذا أظهر وان كان مراد القائل بالضيف المسافر في الطريق فها سواء وسيأتي الكلام على أبناء السبيل في سورة براءة وبالله الثقة وعليه التكلان

وقوله تعالى (وما ملكت أيمانكم) وصية بالأرقاء لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس فلهذا ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يوصي أمته في مرض الموت يقول « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » فجعل يرددها حتى ما يفيض بها لسانه وقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس ، حدثنا بقية ، حدثنا بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة » ورواه النسائي من حديث بقية واسناده صحيح والله الحمد وعن عبد الله بن عمرو أنه قال لقهرمان له هل اعطيت الرقيق قوتهم ؟ قال لا : قال فانطلق فأعطهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عن يملك قوتهم » رواه مسلم ، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل

ذلك فهو صدقة ، ولا يحل أن يثوي - أي أن يقيم - عنده حتى يخرجه » قوله تعالى ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ أي الممالك أحسنوا اليهم . أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس الطحان أنا أبو أحمد ابن محمد بن قريش أنا علي بن عبد العزيز المكي أنا أبو عبيدة القاسم بن سلام أنا يزيد عن همام عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن سفينة عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في مرض موته « الصلاة وما ملكت أيمانكم » فجعل يتكلم وما يفيض بها لسانه . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمرو بن حفص أنا أبي أنا الأعمش عن المعرور عن أبي ذر رضي الله عنه قال : رأيت أبا ذر وعليه برد ، وعلى غلامه برد ، فقلت لو أخذت هذا فلبسته كانا حلة وأعطيته ثوبا آخر فقال : كان بيني وبين رجل كلام وكانت أمه أعجمية فنلت منها فذكرني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي « سابيت فلاناً » قلت نعم ، قال « أفنلت من أمه » قلت نعم ، قال « انك امرؤ فيك جاهلية » قلت على ساعتني هذه من كبر السن ، قال « نعم هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه ، فان كلفه ما يغلبه فليعنه عليه » أخبرنا الامام أبو علي الحسين محمد القاضي أنا أبو طاهر الزيادي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمرو بن حفص التاجر أنا سهل بن عمار أنا يزيد بن هرون أخبرنا صدقة بن موسى عن فرقد السنجي عن مرة الطيب عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة سيء الملسكة » ﴿ إن

إلا ما يطبق « رواه مسلم أيضاً وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناول له لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي حره وعلاجه » أخرجه ولفظه للبخاري ومسلم « فليقعده معه فليأكل فإن كان الطعام مشفوها قليلاً فليضع في يده أكلة أو أكلتين » وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هم إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم » أخرجه

وقوله تعالى (إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) أي مختالاً في نفسه ، معجباً متكبراً فخوراً على الناس يرى أنه خير منهم فهو في نفسه كبير ، وهو عند الله حقير ، وعند الناس بغيض . قال مجاهد في قوله (إن الله لا يحب من كان مختالاً) يعني متكبراً (فخوراً) يعني بعد ما أعطى وهو لا يشكر الله تعالى يعني يفخر على الناس بما أعطاه الله من نعمه ، وهو قليل الشكر لله على ذلك وقال ابن جرير حدثني القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد عن أبي رجاء الهروي قال : لا تجد سيء الملكة إلا وجدته مختالاً فخوراً وتلا (وما ملكت أيمانكم) الآية ولا عاقاً إلا وجدته جباراً شقياً وتلا (وبراً بالذي لم يجعلني جباراً شقياً) وروى ابن أبي حاتم عن العوام ابن حوشب مثله في المختال الفخور وقال حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، عن الأسود بن شيبان ، حدثنا يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : قال مطرف كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتهي لقاءه فلقيته فقلت يا أبا ذر بلغني أنك تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة قال أجل : فلا أخالك ، أ كذب على خليلي ثلاثاً ؟ قلت من الثلاثة الذين يبغض الله ؟ قال المختال الفخور أو ليس تجدونه عندكم في كتاب الله المنزل ثم قرأ الآية (إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) وحدثنا أبي ، حدثنا موسى بن اسماعيل ، حدثنا وهيب ، عن خالد ، عن أبي تيممة عن رجل من بني الهجيم قال قلت لرسول الله أوصني قال « إياك واسبال الأزار فإن اسبال الأزار من الخيلة والله لا يحب الخيلة »

الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً المختال المتكبر ، والفخور الذي يفخر على الناس بغير الحق تكبراً ذكر هذا بعد ما ذكر من الحقوق لأن التكبر يمنع الحق تكبراً . أخبرنا حسان بن سعيد المنبي أنا أبو طاهر الزيادي أنا محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبت نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاً »

الذين يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٣٧) وَالَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩)

يقول تعالى ذمًا للذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله به من بر الوالدين والاحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم من الأرقاء ولا يدفعون حق الله فيها ويأمرون الناس بالبخل أيضًا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأي ذاء أدوأ من البخل » وقال « إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا »

وقوله تعالى (ويكتُمون ما آتاهم الله من فضله) فالبخل جحود لنعمة الله ولا تظهر عليه ولا تبين لافي مأكله ولا في ملبسه ولا في إعطائه وبذله كما قال تعالى (إن الإنسان لربه لكنود * وإنه على ذلك لشهيد) أي بحاله وشماله (وإنه لحب الخير لشديد) وقال ههنا ويكتُمون ما آتاهم الله من فضله ولهذا توعدهم بقوله (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) والكفر هو السر والتغطية بالبخل يستر نعمة الله عليه ويكتُمها ويحجدها فهو كافر لنعمة الله عليه . وفي الحديث « إن الله إذا أنعم نعمة على عبد أحب أن يظهر أثرها عليه » وفي الدعاء النبوي « واجعلنا شاكرين لنعمتك مشينين بها عليك قابليها وأتممها علينا » وقد حمل بعض السلف هذه الآية على بخل اليهود باظهار العلم الذي عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتائبهم ذلك ولهذا قال تعالى (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) رواه ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وقاله مجاهد وغير واحد . ولا شك ان الآية محتملة لذلك . والظاهر أن السياق في البخل بالمال وإن كان البخل

قوله تعالى (الذين يبخلون) البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ماله وفي الشرع منع الواجب (ويأمرون الناس بالبخل) قرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح الباء والخاء وكذلك في سورة الحديد وقرأ الآخرون بضم الباء وسكون الخاء . نزلت في اليهود بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكنموها وقال سعيد بن جبير هذا في كتمان العلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد : نزلت في كردم بن زيد وحبي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع وبحر بن عمرو : كانوا يأتون رجالا من الأنصار وبخاطونهم فيقولون لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرن ما يكون فانزل الله تعالى هذه الآية (ويكتُمون ما آتاهم الله من فضله) يعني

بالعلم داخل في ذلك بطريق الاولى فان السياق في الانفاق على الأقارب والضعفاء وكذلك الآية التي بعدها وهي قوله (الذين ينفقون أموالهم رثاء الناس) فانه ذكر المسكين المذمومين وهم البخلاء ثم ذكر الباذلين المرائين الذين يقصدون باعطائهم السمعة وأن يمدحوا بالكرم ولا يريدون بذلك وجه الله وفي حديث «الثلاثة الذين هم أول من تسجر بهم النار وهم العالم والغايز والمنفق المرائون بأعمالهم يقول صاحب المال ما تركت من شيء تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت في سبيلك فيقول الله كذبت إنما أردت أن يقال جواد فقد قيل» أي فقد أخذت جزاءك في الدنيا وهو الذي أردت بفعلك وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعدي بن حاتم «إن أباك أراد أمراً فبلغه» وفي حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن عبد الله بن جدعان هل ينفعه انفاقه واعتاقه؟ فقال «لا: إنه لم يقل يوماً من الدهر رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» ولهذا قال تعالى (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الآية أي إنما حملهم على صنيعهم هذا القبيح وعدوهم عن فعل الطاعة على وجهها الشيطان فانه سول لهم وأملى لهم وقارنهم فحسن لهم القبح ولهذا قال تعالى (ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً) ولهذا قال الشاعر

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

ثم قال تعالى (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) الآية أي وأي شيء يضرهم لو آمنوا بالله وسلكوا الطريق الحميدة وعدلوا عن الرياء إلى الاخلاص والایمان بالله رجاء موعوده في الدار الآخرة لمن يحسن عمله وأنفقوا مما رزقهم الله في الوجه التي يحبها الله ويرضاها قوله (وكان الله بهم علياً) أي وهو عليهم بزيادتهم الصالحة والفاسدة وعليهم بمن يستحق التوفيق منهم فيوفقه وبإلهامه رشده ويقضيه لعمل صالح يرضى به عنه وبمن يستحق الخذلان والطرده عن جنبه الاعظم الالهي الذي من طرده عن بابه فقد خاب وخسر في الدنيا والآخرة عياداً بالله من ذلك

(إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) (٤٠)

المال وقيل يبخلون بالصدقة ﴿وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ والذين ينفقون أموالهم رثاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴿محل الذين نصب عطف على الذين الاول وقيل خفض عطف على قوله﴾ (وأعتدنا للكافرين) نزلت في اليهود وقال السدي في المنافقين وقيل في مشركي مكة المنفقين على عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً﴾ صاحباً وخليلاً ﴿فساء قريناً﴾ أي فبئس الشيطان قريناً وهو نصب على التفسير وقيل على القطع بالقاء الألف واللام كما تقول نعم رجلاً عبد الله وكما قال تعالى (بئس للظالمين بدلاً) (وساء مثلاً) ﴿وماذا عليهم﴾ أي ما الذي عليهم وأي شيء عليهم ﴿لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم علياً﴾ إن الله

فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً (٤١) يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً (٤٢)

يقول تعالى مخبراً إنه لا يظلم أحداً من خلقه يوم القيامة مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة بل يوفى بها له ويضاعفها له إن كانت حسنة كما قال تعالى (ونضع الموازين القسط) الآية وقال تعالى مخبراً عن لقمان إنه قال (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله) الآية وقال تعالى (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وفي الصحيحين من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل وفيه (فيقول الله عز وجل ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه من النار) وفي لفظ أذن أذن أذن مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار (فيخرجون خلقاً كثيراً) ثم يقول أبو سعيد اقرؤا إن شئتم (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عيسى بن يونس عن هرون بن عنبرة عن عبد الله بن السائب عن ذاذان قال قال عبد الله بن مسعود يؤتى بالعبد أو الأمة يوم القيامة فينادي مناد على رؤس الأولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له حق فليأت إلى حقه فتفرح المرأة أن يكون لها الحق على أبيها أو أمها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيغفر الله من حقه ما يشاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً فينصب

لا يظلم مثقال ذرة ﴿ ونظمه ﴾ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا (فإن الله لا يظلم أي لا يبخل ولا ينقص أحداً من ثواب عمله مثقال ذرة وزن ذرة وهي الغملة الحمراء الصغيرة وقيل الذر أجزاء الهباء في الكوة وكل جزء منها ذرة ولا يكون لها وزن وهذا مثل يريد أن الله لا يظلم شيئاً كما قال في آية أخرى (إن الله لا يظلم الناس شيئاً) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى ، أنا أبو عمر بكر ابن محمد المزني ، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن الجعد ، أنا الحسين بن الفضل البجلي ، أنا عفان ، أنا همام ، أنا قتادة عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجازى بها في الآخرة - قال - وأما الكافر فيقطع بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطي بها خيراً » أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أنا أبو الطيب الربيع بن محمد بن أحمد بن حاتم البزار الطوسي ، أنا أحمد بن محمد بن الحسن أن محمد بن يحيى حدثهم أخبرنا عبد الرزاق ح ، وأخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري ، أخبرنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري ، أخبرنا اسحق بن إبراهيم الدبري ، أنا عبد الرزاق أنا معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي

للناس فيقول اتوا الى الناس حقوقهم فيقول يارب فئت الدنيا من اين اوتيتهم حقوقهم فيقول خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر مظالمته فان كان ولياً لله ففضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ علينا (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) وإن كان عبداً شقياً قال الملك رب فئت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول خذوا من سيئاتهم فأضيفوها الى سيئاته ثم صكوا له صكاً الى النار ورواه ابن جرير من وجه آخر عن ذاذاً به نحوه ولبعض هذا الأثر شاهد في الحديث الصحيح وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا فضيل يعني ابن مرزوق عن عطية العوفي ، حدثني عبد الله بن عمر قال نزلت هذه الآية في الاعراب (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) قال جل فما لله هاجر بن أبابعد الرحمن قال ماهو أفضل من ذلك (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) وحدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثني عبد الله بن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله (وإن تك حسنة يضاعفها) فأما المشرك فيخفف عنه العذاب يوم القيامة ولا يخرج من النار أبداً وقد يستدل له بالحديث الصحيح أن العباس قال يا رسول الله إن عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعته بشيء ؟ قال « نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » وقد يكون هذا خاصاً بأبي طالب من دون الكفار بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا عمران ، حدثنا قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزي بها في الآخرة وأما الكافر فيقطع بها في الدنيا فإذا كان يوم القيامة لم يكن له حسنة » وقال أبو هريرة وعكرمة وسعيد

الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا خلس المؤمنون من النار وآمنوا فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في اخوانهم الذين أدخلوا النار قال يقولون ربنا اخواننا كانوا يصومون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فدخلتهم النار ، قال فيقول الله لهم اذهبوا فاخرجوا من عرقيم منهم فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ، ومنهم من أخذته إلى كعبيه فيخرجونهم فيقولون ربنا قد أخرجنا من أمرتنا قال ثم يقول (اخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان ، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار حتى يقول من كان في قلبه مثقال ذرة من خير) قال أبو سعيد رضي الله عنه فمن لم يصدق هذا فليقرأ هذه الآية (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) قال فيقولون ربنا اخرجنا من أمرتنا فلم يبق في النار أحد فيه خير ، ثم يقول الله عز وجل (شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، وبقي أرحم الراحمين ، قال فيقبض قبضة من النار أو قال قبضتين من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد احترقوا حتى صاروا

ابن جبير والحسن وقتادة والضحاك في قوله (ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) يعني الجنة نسأل الله الجنة وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد ، حدثنا سليمان يعني ابن المغيرة عن علي بن زيد عن أبي عثمان قال بلغني عن أبي هريرة أنه قال بلغني ان الله تعالى يعطي العبد المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فال فقضى أي انطلقت حاجا أو معتمرا فلقيته فقلت بلغني عنك حديث أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يجزي العبد بالحسنة ألف ألف حسنة » فقلت ويحكم ما احداً أكثر مني مجالسة لأبي هريرة وما سمعت هذا الحديث منه فتحمت اريد أن الحقه فوجدته قد انطلق حاجا فانطلقت الى الحج في طاب هذا الحديث فلقيته فقلت يا أبا هريرة ما حديث سمعت أهل البصرة يأتونه عنك قال ماهو ؟ قلت : زعموا أنك تقول : ان الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة قال يا أبا عثمان وما تعجب من ذا والله يقول (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) ويقول (وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) والذي نفسي بيده لقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة » قال وهذا حديث غريب وعلي بن زيد بن جدعان عنده منكبر ورواه أحمد أيضاً فقال حدثنا يزيد ، حدثنا مبارك ابن فضالة عن علي بن يزيد عن أبي عثمان النهدي قال أتيت أبا هريرة فقلت له بلغني انك تقول ان الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة قال وما أعجبك من ذلك فوالله لقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله ليضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة » ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال حدثنا أبو خلاد وسليمان بن خالد المؤدب ، حدثنا محمد الرفاعي عن زياد بن الجصاص عن أبي عثمان النهدي

حما فيؤتى بهم إلى ما، يقال له ما، الحياة فيصب عليهم فينبون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، قال : فتخرج أجسادهم مثل اللاؤؤ في أعناقهم الخاتم مكتوب فيه : هؤلاء عتقاء الله . فيقال لهم ادخلوا الجنة فماتتمتم أو رأيتم من شيء فهو لكم ، قال : فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم نعط أحداً من العالمين ، قال فيقول : فان عندي لكم أفضل منه ، فيقولون ربنا وما أفضل من ذلك ؟ فيقول : رضاي عنكم فلا أسخط عليكم أبداً » أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحرث أنا أحمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن ليث بن سعد حدثني عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن المعافري ثم الجيلي قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول الله أتذكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول لا يارب ، فيقول أفلك عذر أو حسنة ؟ فبهت الرجل قال لا يارب ، فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها : أشهد ان لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه

قال لم يكن أحداً أكثر مجالسة مني لأبي هريرة فقدم قبلي حاجاً وقدمت بعده فإذا أهل البصرة يأترون عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة » فقلت ويحكم ما كان أحداً أكثر مجالسة مني لأبي هريرة وما سمعت منه هذا الحديث فهممت أن ألحقه فوجدته قد انطلق حاجاً فانطلقت الى الحج أن ألقاه في هذا الحديث ورواه ابن أبي حاتم من طريق أخرى فقال حدثنا بشر بن مسلم ، حدثنا الربيع بن روح ، حدثنا محمد بن خالد الذهبي عن زياد الجصاص عن أبي عثمان قال قلت يا أبا هريرة سمعت اخواني بالبصرة يزعمون أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله يجزي بالحسنة ألف ألف حسنة » فقال أبو هريرة بلى والله سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يجزي بالحسنة ألفي ألف حسنة » ثم تلى هذه الآية (وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) وقوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) يقول تعالى مخبراً عن هول يوم القيامة وشدة أمره وشأنه فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة حين يجي من كل أمة بشهيد يعني الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى (وأشرققت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجي بالنبيين والشهداء) الآية وقال تعالى (ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم) الآية وقال البخاري حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأ علي » فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل قال « نعم اني أحب أن

السجلات ؟ فيقول انك لا تظلم - قال - فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة - قال - فلا يتحمل مع اسم الله شيء » وقال قوم هذا في الخصوم . وروي عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم نادى مناد ألا من كان يطلب مظلمة فليجيء إلى حقه فليأخذه فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه وان كان صغيراً . ومصدق ذلك في كتاب الله تعالى (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ويؤتى بالعبد فينادي مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان فمن كان له عليه حق فليأت إلى حقه فليأخذه يقال ثم انت هؤلاء حقوقهم ، فيقول يارب من أين وقد ذهبت الدنيا ، فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا في أعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة ؟ قالت الملائكة يا ربنا بقي له مثقال ذرة من حسنة ، فيقول : ضعفوها لعبدي وادخلوه بفضل رحمتي الجنة . ومصدق ذلك في كتاب الله تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها) وان كان عبداً شقياً قالت الملائكة إلهنا فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله عز وجل خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صكوا له صكاً إلى النار ، ومعنى الآية على هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم بل يأخذ له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له

أسمعه من غيري» فقرأت سورة النساء حتى أتيت الى هذه الآية (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فقال « حسبك الآن » فاذا عيناه تذرفان ورواه هو ومسلم أيضا من حديث الأعمش به وقد روي من طرق متعددة عن ابن مسعود فهو مقطوع به عنه ورواه أحمد من طريق أبي حيان وأبي رزين عنه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، حدثنا الصلت ابن مسعود الجحدري، حدثنا فضيل بن سليمان، حدثنا يونس بن محمد بن فضالة الانصاري عن أبيه قال وكان أبي ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم في بني ظفر فجلس على الصخرة التي في بني ظفر اليوم ومعه ابن مسعود ومعاذ بن جبل وناس من أصحابه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم قارئنا فقرأ حتى أتى على هذه الآية (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضرب بالحياء وجنباه^(١) فقال يارب هذا شهدت على من أنا بين أظهرهم فكيف بمن لم أره وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله الزهري، حدثنا سفيان عن المسعودي عن جعفر بن عمرو بن حرب عن أبيه عن عبد الله هو ابن مسعود في هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شهيد بليهم مادمت فيهم فاذا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ». وأما ما ذكره أبو عبد الله القرطبي في التذكرة حيث قال : باب ماجاء في شهادة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته قال أنا ابن المبارك أنا رجل من الانصار عن المنهال بن عمرو أنه سمع سعيد بن المسيب يقول ليس من يوم ألا يعرض فيه على النبي صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وعشية فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم فذلك يشهد عليهم يقول الله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل أمة

(١) هكذا في النسخ
التي بأيدينا وصوابه :
بلحيته وجنباه

بل يشبه عليها ويضعفها له فذلك قوله تعالى ﴿ وان تك حسنة يضاعفها ﴾ قرأ أهل الحجاز حسنة بالرفع أي وان توجد حسنة، وقرأ الآخرون بالنصب على معنى وان تك زنة الذرة حسنة (يضاعفها) أي يجعلهاضاعفا كثيرة ﴿ ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ قال أبو هريرة رضي الله عنه : اذا قال الله تعالى (أجراً عظيماً) فمن يقدر قدره

قوله تعالى ﴿ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾ أي فكيف الحال وكيف يصنعون (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يعني بنبيها يشهد عليهم بما عملوا ﴿ وجئنا بك ﴾ يا محمد ﴿ على هؤلاء شهيداً ﴾ شاهد أ يشهد على جميع الأمة على من رآه ومن لم يره . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن اسماعيل أنا محمد بن يوسف أنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقرأ عليّ قلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ، قال نعم ، فقرأت سورة النساء حتى اذا أتيت هذه الآية (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) قال حسبك الآن » فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان »

بشيد وجثنا بك على هؤلاء شهيدا) فانه أثر وفيه انقطاع فان فيه رجلا مبهما لم يسم وهو من كلام سعيد بن المسيب لم يرفعه وقد قبله القرطبي فقال بعد ابراده قد تقدم أن الاعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس وعلى الانبياء والآباء والامهات يوم الجمعة قال ولا تعارض فانه يحتمل أن يخص نبينا بما يعرض عليه كل يوم ويوم الجمعة مع الانبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقوله تعالى (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا) أي لو انشقت وبلغتهم مما يرون من أهوال الموقف وما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ كقوله (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) الآية وقوله (ولا يكتمون الله حديثا) اخبار عنهم بأنهم يعترفون بجميع ما فعلوه ولا يكتمون منه شيئا. وقال ابن جرير حدثنا حاكم حدثنا عمرو عن مطرف عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل الى ابن عباس فقال له سمعت الله عز وجل يقول يعني اخباراً عن المشركين يوم القيامة انهم قالوا (والله ربنا ما كنا مشركين) وقال في الآية الاخرى (ولا يكتمون الله حديثا) فقال ابن عباس أما قوله (والله ربنا ما كنا مشركين) فانهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الاسلام قالوا تعالوا فلنجدد فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فغتم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم (ولا يكتمون الله حديثا) وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن رجل عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى ابن عباس فقال: أشياء

قوله عز وجل ﴿يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض﴾ قرأ أهل المدينة وابن عامر تسوى بفتح التاء وتشديد السين على معنى تتسوى فادغمت التاء الثانية في السين، وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين على حذف تاء الفعل كقوله تعالى (لا تكلم نفس إلا بأذنه) وقرأ الآخرون بضم التاء وتخفيف السين على المجهول أي لو سويت بهم الارض وصاروا هم والارض شيئا واحداً. قال قتادة وابو عبيدة يعني لو تحرقت الارض فساخوافيها وعادوا اليها كما خرجوا عنها، ثم تسوى بهم أي عليهم الارض، وقيل ودوا لو أنهم لم يعيشوا لأنهم إنما نقلوا من التراب وكانت الارض مستوية عليهم. وقال الكلبي يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونوا ترابا فتسوى بهم الارض، فعند ذلك يتمنى الكفار ان لو كان ترابا كما قال الله تعالى (ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾ قال عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا نفعه، وقال الآخرون بل هو كلام مستأنف يعني (ولا يكتمون الله حديثا) لان ما فعلوه لا يخفى على الله ولا يقدر على كتمانهم وقال الكلبي وجماعة (ولا يكتمون الله حديثا) لأن جوارحهم تشهد عليهم. وقال سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما اني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ، قال: هات ما اختلف عليك قال: فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (ولا يكتمون

تختلف علي في القرآن قال ما هو أشك في القرآن ، قال ليس هو بالشك ولكن اختلاف ، قال فهايت ما اختلف عليك من ذلك ، قال أسمع الله يقول (ثم لم تكن فتنهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وقال (ولا يكتُمون الله حديثا) فقد كتموا . فقال ابن عباس أما قوله (ثم لم تكن فتنهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) فانهم لما رأوا يوم القيامة أن الله لا يغفر إلا لأهل الاسلام ولا يتعاضده ذنب أن يغفره ولا يغفر شر كما جحد المشركون فقالوا (والله ربنا ما كنا مشركين) رجاء أن يغفر لهم فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك (يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتُمون الله حديثا) وقال جوير عن الضحاك أن نافع ابن الازرق أتى ابن عباس فقال يا ابن عباس قول الله تعالى (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتُمون الله حديثا) وقوله (والله ربنا ما كنا مشركين) فقال له ابن عباس اني أحسبك قت من عند أصحابك ، فقلت ألقني على ابن عباس متشابه القرآن فاذا رجعت اليهم فاخبرهم أن الله تعالى يجمع الناس يوم القيامة في بقيع واحد فيقول المشركون إن الله لا يقبل من أحد شيئا إلا آمن وحده فيقولون تعالوا نجحد فيسألهم فيقولون (والله ربنا ما كنا مشركين) قال فيختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم وتشهد عليهم جوارحهم انهم كانوا

الله حديثا) وقال (وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين) فقد كتموا وقال (أم السماء بناها) الى قوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) وذكر خلق السماء قبل الارض ثم قال (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) الى قوله طائعين فذكر في هذه خلق الارض قبل السماء وقال (وكان الله غفورا رحيما) وكان الله عزيزا حكيما (فكأنه كن ، ثم مضى . فقال ابن عباس رضي الله عنهما فلا أنساب في النفخة الاولى قال الله تعالى (ونفخ في الصور) فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله فلا أنساب عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأما قوله (ما كنا مشركين ولا يكتُمون الله حديثا) فان الله يغفر لأهل الاخلاص ذنوبهم فيقول المشركون تعالوا نقل لم نكن مشركين فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم فعند ذلك عرفوا أن الله لا يكتُم حديثا وعنده (يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض) وخلق الارض في يومين ثم خلق السماء ، ثم استوى الى السماء فسواهن في يومين آخرين ودحاها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والأكام وما بينها في يومين آخرين ، ثم دحا الارض في يومين فخلقت الارض وما فيها من شيء في اربعة أيام ، وخلقت السموات في يومين (وكان الله غفورا رحيما) أي لم يزل كذلك فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله ، وقال الحسن انها مواطن في مواطن لا يتكلمون ولا تسمع إلا همسا ، وفي موضع يتكلمون ويكذبون ويقولون ما كنا مشركين ، وما كنا نعمل من سوء ، وفي مواطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله (فاعترفوا بذنبهم) وفي مواطن

مشركين . فعند ذلك يتمنون لو أن الأرض سويت بهم (ولا يكتُمون الله حديثاً) رواه ابن جرير
 (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري
 سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء
 فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً ٤٣)

ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن فعل الصلاة في حال السكر الذي لا يدري معه المصلي
 ما يقول ، وعن قربان محالها التي هي المساجد للجنب إلا أن يكون مجتازاً من باب إلى باب من غير
 مكث ، وقد كان هذا قبل تحريم الخمر كما دل عليه الحديث الذي ذكرناه في سورة البقرة عند قوله
 تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر) الآية . فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاها على عمر فقال
 « اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً » فلما نزلت هذه الآية تلاها عليه فقال « اللهم بين لنا في الخمر
 بياناً شافياً » فكانوا لا يشربون الخمر في أوقات الصلوات حتى نزلت (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر
 والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) إلى قوله تعالى (فهل
 أنتم متبهون) فقال عمر : انتهينا انتهينا . وفي رواية إسرائيل عن أبي إسحق عن عمر بن شرحبيل عن
 عمر بن الخطاب في قصة تحريم الخمر فذكر الحديث وفيه : فنزلت الآية التي في النساء (يا أيها الذين
 آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فكان منادي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إذا قامت الصلاة ينادي أن لا يقرب من الصلاة سكران ، لفظ أبي داود . وذكر ابن أبي شيبة في سبب نزول
 هذه الآية ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا شعبة أخبرني سمك

يتساءلون ، وفي موطن يسألون الرجعة ، وآخر تلك المواطن أن يختم على أفواههم وتكلم جوارحهم
 وهو قوله تعالى (ولا يكتُمون الله حديثاً)

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى ﴾ الآية والمراد من السكر
 السكر من الخمر عند الأكثرين ، وذلك أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاماً ودعانا
 من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأنهم بخمر فشربوها قبل تحريم الخمر وسكروا فحضرت صلاة
 المغرب فقدموا رجلاً يصلي بهم فقراً (قل يا أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون) بحذف لاهكذا إلى
 آخر السورة فأنزل الله تعالى هذه الآية وكانوا بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر أوقات الصلاة
 حتى نزل تحريم الخمر . وقال الضحاك ابن مزاحم أراد به سكر النوم نهى عن الصلاة عند غلبة النوم
 أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو القاسم جعفر بن محمد بن المفلس أنا هرون
 ابن إسحق الهمداني أخبرنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها
 قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم

ابن حرب قال : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال : نزلت في أربع آيات صنع رجل من الانصار طعاما فدعا أناسا من المهاجرين وأناسا من الانصار فأكلنا وشربنا حتى سكرنا ثم افتخرنا فرفع رجل لحى بعير فغرز بها أنف سعد فكان سعد مغرور الانف وذلك قبل تحريم الخمر فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى) الآية والحديث بطوله عند مسلم من رواية شعبة ورواه أهل السنن الا ابن ماجه من طرق عن سماك به سبب آخر . قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي حدثنا ابو جعفر عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قال : صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموا فلانا قال فقرا : قل يا أيها الكافرون ما عبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) هكذا رواه ابن أبي حاتم وكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبد الرحمن الدشتكي به وقال حسن صحيح . وقد رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن عن علي انه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر شربوا الخمر فصرى بهم عبد الرحمن فقرا : (قل يا أيها الكافرون) فخلط فيها فنزلت (لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى) وهكذا رواه ابو داود والنسائي بن حديث الثوري به ، ورواه ابن جرير أيضا عن ابن حميد عن جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : كان علي في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في بيت عبد الرحمن بن عوف فطعموا فأتاهم بخمر فشربو منها وذلك قبل أن يحرم الخمر فحضرت الصلاة فقدموا عليا فقرا بهم (قل يا أيها الكافرون) فلم يقرأها كما ينبغي فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى) ثم قال حدثني المثنى ، حدثنا الحجاج بن المنهال ، حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن حبيب وهو أبو عبد الرحمن السلمي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

فان أحدكم اذا صلى وهو ينفس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه « قوله تعالى ﴿ حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا ﴾ نصب على الحال يعني ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب يقال رجل جنب وامرأة جنب ورجال جنب ونساء جنب ، وأصل الجنابة البعد وسمى جنبا لأنه يتجنب موضع الصلاة أو لمجانبته الناس وبعده منهم حتى يغتسل قوله تعالى ﴿ إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا ﴾ اختلفوا في معناه فقالوا إلا أن تكونوا مسافرين ولا تجدون الماء (فتيمموا) منع الجنب من الصلاة حتى يغتسل إلا أن يكون في سفر ولا يجد ماء فيصلي بالتيمم وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد رضي الله عنهم ، وقال الآخرون بل المراد من الصلاة موضع الصلاة كقوله تعالى (وبيع وصلوات) ومعناه لاتقربوا المسجد وأنتم جنب الا مجتازين فيه للخروج منه مثل أن ينام في المسجد فيجنب أو يصيبه

فصلى بهم المغرب فقراً قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ، وأنتم عابدون ما أعبد ، وأنا عابد ما عبدتم ، اسلم دينكم ولي دين فانزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) وقال العوفي بن ابن عباس في الآية رواه ابن جرير قال : وكذا قال أبو رزين ومجاهد وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة : كانوا يجتنبون السكر عند حضور الصلوات ثم نسخ بتحريم الخمر وقال الضحاك في الآية لم يعن بها سكر الخمر وإنما عني بها سكر النوم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال ابن جرير والصواب أن المراد سكر الشراب قال ولم يتوجه التمهيد إلى السكران الذي لا يفهم الخطاب لأن ذلك في حكم المجنون وإنما خوطب بالتمهيد التمثيل الذي يفهم التكليف وهذا حاصل ما قاله وقد ذكره غير واحد من الأصوليين وهو أن الخطاب يتوجه إلى من يفهم الكلام دون السكران الذي لا يدري ما يقال له فإن الفهم شرط التكليف وقد يحتمل أن يكون المراد التعريض بالتمهيد عن السكر بالكلية لكونهم مأمورين بالصلاة في الخمسة الاوقات من الليل والنهار فلا يتمكن شارب الخمر من أداء الصلاة في أوقاتها دائماً والله أعلم . وعلى هذا فيكون كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وهو الأمر لهم بالتأهب للموت على الاسلام والمداومة على الطاعة لأجل ذلك وقوله (حتى تعلموا ما تقولون) هذا أحسن ما يقال في حد السكران إنه الذي لا يدري ما يقول فإن الخمر فيه تخليط في القراءة وعدم تدبره وخشوعه فيها وقد قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا نكس أحدكم وهو يصلي فلينصرف وليتم حتى يعلم ما يقول » انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم فرواه هو والنسائي من حديث أيوب وفي بعض ألفاظ الحديث « فلهذه يذهب يستغفر فيسب نفسه » وقوله (ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا عبد الرحمن الدشتكي أخبرنا أبو جعفر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس في قوله (ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا) قال لا تدخلوا المسجد وأنتم جنب إلا عابري سبيل قال تمر به مرأً ولا تجلس ثم قال وروى عن عبد الله بن مسعود وأنس وأبي عبيدة وسعيد بن المسيب

جنباً والماء في المسجد ، أو يكون طريقه عليه فيمر به ولا يقيم ، وهذا قول عبد الله بن مسعود وسعيد بن المسيب والضحاك والحسن وعكرمة والنخعي والزهري وذلك أن قوماً من الانصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ، ولا يمر لهم إلا في المسجد فرخص لهم في العبور واختلف أهل العلم فيه وأباح بعضهم المرور فيه على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي رحمه الله ومنع بعضهم على الاطلاق وهو قول أصحاب الرأي ، وقال بعضهم يتيمم للمرور فيه اما المكث فيه فلا يجوز عند أكثر أهل العلم لما روينا عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لأحل المسجد لحائض ولا جنب » وجوز احمد المكث

والضحاك وعطاء ومجاهد ومسروق وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم وأبي مالك وعمرو بن دينار والحكم
ابن عتبة وعكرمة والحسن البصري ويحيى بن سعيد الأنصاري وابن شهاب وقتادة نحو ذلك وقال
ابن جرير حدثنا المثنى، حدثنا أبو صالح، حدثني الليث، حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن قول الله عز وجل
(ولا جنباً إلا عابري سبيل) إن رجلاً من الأنصار كانت أوابهم في المسجد فكانت تصيبهم
الجنباء ولا ماء، عندهم فيردون الماء ولا يجردون مراً إلا في المسجد فانزل الله (ولا جنباً إلا عابري
سبيل) ويشهد لصحة ما قاله يزيد بن أبي حبيب رحمه الله ما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال « سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر » وهذا قاله في آخر حياته
صلى الله عليه وسلم علماً منه أن أبا بكر رضي الله عنه سبلي الأمر بعده ويحتاج إلى الدخول في المسجد
كثيراً للامور المهمة فيما يصلح للمسلمين فأمر بسد الابواب الشارعة إلى المسجد إلا بابه رضي الله عنه
ومن روى إلا باب علي كما وقع في بعض السنن فهو خطأ والصواب ما ثبت في الصحيح. ومن هذه
الآية احتج كثير من الأئمة على أنه يحرم على الجنب المكث في المسجد ويجوز له المرور وكذا
الحائض والنفساء أيضاً في معناه إلا أن بعضهم قال يحرم مرورهما لاحتمال التلويت، ومنهم من قال إن أمنت
كل واحدة منهما التلويت في حال المرور جاوز لهما المرور إلا فلا. وقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله
عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ناوليني الخثرة من المسجد » فقلت أني حائض
فقال « ان حيضتك ليست في يدك » وله عن أبي هريرة مثله وفيه دلالة على جواز مرور الحائض في
المسجد والنفساء في معناه والله أعلم. وروى أبو داود من حديث أفلت بن خليفة العامري عن
جسرة بنت دجاجة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أني لأحل المسجد للحائض
ولا جنب » قال أبو مسلم الخطابي: ضعف هذا الحديث جماعة وقالوا أفلت مجهول لكن رواه ابن ماجه
من حديث أبي الخطاب الهجري عن محدوج الذهلي عن جسرة عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه
وسلم به قال أبو زرعة الرازي يقول جسرة عن أم سلمة والصحيح جسرة عن عائشة، فأما ما رواه
أبو عيسى الترمذي من حديث سالم بن أبي حفصة عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول

فيه وضعف الحديث لأن راويه مجهول وبه قال المزني ولا يجوز للجنب الطواف كما لا يجوز له الصلاة
ولا يجوز له قراءة القرآن. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا
أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة أخبرني عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة يقول:
دخلت على علي رضي الله عنه فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي الحاجة ، يأكل معنا
اللحم ، ويقرأ القرآن ، وكان لا يحجبه أو لا يحجزه عن القرآن شيء ، ليس الجنبات وغسل الجنبات
يجب بأحد الأمرين إما بنزول المني أو بالتقاء الحتاتين وهو نقيب الحشفة في الفرج وإن لم ينزل
وكان الحكم في الابتداء أن من جامع امرأته فأكسل لا يجب عليه الغسل ثم صار منسوخاً أخبرنا عبد

الله صلى الله عليه وسلم « يا علي لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك » فانه حديث ضعيف لا يثبت فان سالما هذا متروك وشيخه عطية ضعيف والله أعلم

حديث آخر في معنى الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا عبد الله بن موسى أخبرني اسحق بن أبي ليلى عن المنهال عن زر بن حبیش عن علي (ولا جنباً إلا عابري سبيل) قال لا يقرب الصلاة إلا أن يكون مسافراً تصيبه الجنابة فلا يجرد الماء فيصلي حتى يجد الماء ، ثم رواه من وجه آخر عن المنهال بن عمرو عن زر عن علي بن أبي طالب فذكره ، قال وروى عن ابن عباس في إحدى الروايات وسعيد بن جبیر والضحاك نحوه ذلك . وقد روى ابن جرير من حديث وكيع عن ابن أبي ليلى عن عباد بن عبد الله أو عن زر بن حبیش عن علي فذكره ، ورواه من طريق العوفي وأبي مجلز عن ابن عباس فذكره ، ورواه عن سعيد بن جبیر وعن مجاهد والحسن بن مسلم والحكم بن عتبة وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن مثل ذلك ، وروى من طريق ابن جرير عن عبد الله بن كثير قال كنا نسمع أنه في السفر ، ويستشهد لهذا القول بالحديث الذي رواه أحمد وأهل السنن من حديث أبي قلابة عن عمر ابن نجدان عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصعيد الطيب طهور المسلم وإن لم يجد الماء عشر حجج فاذا وجدت الماء فأمسسه بشرتك فان ذلك خير لك » ثم قال ابن جرير بعد حكايته القولين والاولى قول من قال (ولا جنباً إلا عابري سبيل) أي لا يجتازي طريق فيه وذلك أنه قد بين حكم المسافر اذا عدم الماء وهو جنب في قوله (وإن كنتم مرضى أو على سفر) الى آخره فكان معلوماً بذلك أن قوله (ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا) لو كان معنياً به المسافر لم يكن لاعادة ذكره في قوله (وإن كنتم مرضى أو على سفر) معنى مفهوم وقد مضى حكم ذكره قبل ذلك ، فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الآية يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا المساجد للصلاة مصلين فيها وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ولا تقربوها أيضاً جنباً حتى تغتسلوا إلا عابري سبيل قال والعابر السبيل المجتاز مراً وقطعاً يقال منه عبرت بهذا الطريق فانا أعبره عبراً وعبوراً ومنه يقال عبر فلان النهر اذا قطعه وجاوزه ومنه قيل للناقة القوية على الأسفار هي عبر الأسفار تقوتها على قطع الأسفار وهذا الذي نصره هو قول الجمهور وهو الظاهر من الآية وكأنه تعالى نهى عن تعاطي الصلاة على هيئة ناقصة تناقض مقصودها وعن الدخول الى محلها على هيئة ناقصة وهي الجنابة المباعدة للصلاة ولحلها أيضاً والله أعلم . وقوله (حتى تغتسلوا) دليل لما ذهب اليه الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك

الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن أبا موسى الأشعري سأل عائشة رضي الله عنها عن التقاء الختانين فقالت عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا التقى الختانان أو مس الختان الختان فقد وجب الغسل »

والشافعي أنه يحرم على الجنب المكث في المسجد حتى يغتسل أو يتيمم إن عدم الماء. أولم يقدر على استعماله بطريقه، وذهب الامام أحمد الى أنه متى توضأ الجنب جاز له المكث في المسجد لما روى هو وسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح: أن الصحابة كانوا يفعلون ذلك. قال سعيد بن منصور في سننه حدثنا عبد العزيز بن محمد هو الدراوردي عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون إذا توضؤوا وضوء الصلاة. وهذا اسناد صحيح على شرط مسلم والله أعلم

وقوله (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً) أما المرض المبيح للتييم فهو الذي يخاف معه من استعمال الماء فوات عضو أو شئنة أو تطويل البرء، ومن العلماء من جوز التيمم بمجرد المرض لعموم الآية، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي، حدثنا أبو غسان مالك بن اسماعيل، حدثنا قيس عن حفص^(١) عن مجاهد في قوله (وإن كنتم مرضى) قال نزلت في رجل من الأنصار كان مريضاً فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ ولم يكن له خادم فينأوله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فأنزل الله هذه الآية هذا مرسل والسفر معروف ولا فرق فيه بين الطويل والقصير وقوله (أو جاء أحد منكم من الغائط) الغائط هو المكان المظلم من الأرض كني بذلك عن التغوط وهو الحدث الأصغر وأما قوله (أو لامستم النساء) فقري، لمستم ولا مستم واختلف المفسرون والأئمة في معنى ذلك على قولين (أحدهما) أن ذلك كناية عن الجماع لقوله (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم

(١) في الازهرية
خصيف

قوله تعالى ﴿ وإن كنتم مرضى ﴾ جمع مريض وأراد به مرضاً يضره أساس الماء مثل الجدري ونحوه أو كان على موضع الطهارة جراحه يخاف من استعمال الماء فيها التلف أو زيادة الوجع فانه يصلي بالتييم وإن كان الماء موجوداً، وإن كان بعض طهارته صحيحاً والبعض جريحاً غسل الصحيح منها وتيمم للجريح لما أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي أنا داود سليمان بن الأشعث السجستاني أنا موسى بن عبد الرحمن الانفطكي أنا محمد بن سلمة عن الزبير بن حزيق عن عطاء عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشججه في رأسه فاحتلم فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم، قالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك قال « قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا فأنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب شك موسى على جرحه خرقه ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده ولم يجوز أصحاب الرأي الجمع بين التيمم والغسل وقالوا: إن كان أكثر أعضائه صحيحاً غسل الصحيح ولا يتيمم عليه، وإن كان الأكثر جريحاً اقتصر على التيمم والحديث حمجة لمن أوجب الجمع بينهما

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله أو لمستم النساء قال : الجماع . وروى عن علي وأبي بن كعب ومجاهد وطاوس والحسن وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال ابن جرير حدثني حميد بن مسعدة ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال ذكروا اللمس فقال ناس من الموالى ليس بالجماع وقال ناس من العرب اللمس الجماع قال فقلت ابن عباس فقلت له ان ناسا من الموالى والعرب اختلفوا في اللمس فقالت الموالى ليس بالجماع وقالت العرب الجماع قال : فمن أي الفريقين كنت ؟ قلت كنت من الموالى ، قال غلب فريق الموالى . إن اللمس واللمس والمباشرة الجماع ولكن الله يكتفي بما شاء ، ثم رواه عن ابن بشار عن غندر عن شعبة به نحوه ، ثم رواه من غير وجه عن سعيد بن جبير نحوه ومثله قال حدثني يعقوب حدثنا هشيم قال أبو بشر أخبرنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : اللمس والناس والمباشرة الجماع ولكن الله يكتفي بما شاء . حدثنا عبد الحميد بن بيان أنبأنا اسحق الأزرق عن سفيان عن عاصم الأحول عن بكر بن عبد الله عن ابن عباس قال : الملامسة الجماع ولكن الله كريم يكتفي بما يشاء . وقد صح من غير وجه عن عبد الله بن عباس أنه قال ذلك ثم رواه ابن جرير عن بعض من حكاه ابن أبي حاتم عنهم ثم قال ابن جرير وقال آخرون عني الله تعالى بذلك كل من لمس

قوله تعالى ﴿ أو على سفر ﴾ ارادته اذا كان في سفر طويلا كان أو قصيرا وعدم الماء فانه يصلي بالتيمم ولا إعادة عليه لما روي عن ابي ذر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان الصعيد الطيب وضوء المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين ، فاذا وجد الماء فليمسه بشره ، فان ذلك خير أما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا في سفر » لكنه عدم الماء في موضع لا يعدم فيه الماء ، غالبا بان كان في قرية انقطع ماؤها فانه يصلي بالتيمم ثم يعيد اذا قدر على الماء عند الشافعي وعند مالك والاوزاعي لا إعادة عليه . وعند أبي حنيفة رضي الله عنهما يؤخر الصلاة حتى يجد الماء . قوله تعالى ﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط ﴾ أراد به اذا احدث والغائط اسم للمطمئن من الارض وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكفي عن الحديث بالغائط ﴿ أو لمستم النساء ﴾ قرأ حمزة والكسائي ههنا وفي المائدة ، وقرأ الباقون لامستم واختلفوا في معنى اللمس والملامسة فقال قوم هو المجامعة وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وكني باللمس عن الجماع لان الجماع لا يحصل الا باللمس ، وقال قوم هما التقاء البشريتين سواء كان بجماع أو غير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي . واختلف الفقهاء في حكم هذه الآية فذهب جماعة إلى انه اذا أفضى الرجل بشيء من بدنه إلى شيء من بدن المرأة ولا حائل بينهما ينتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما وبه قال الزهري والاوزاعي

ييد أو بغيرها من أعضاء الانسان وواجب الوضوء على كل من مس بشئ من جسده شيئاً من جسدها مفضياً إليه ثم قال حدثنا ابن بشارة حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن مخرق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال: اللمس مادون الجماع، وقد روى من طرق متعددة عن ابن مسعود مثله وروى من حديث الأعمش عن إبراهيم عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: القبلة من المس وفيها الوضوء. روى الطبراني بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال يتوضأ الرجل من المباشرة ومن اللمس بيده ومن القبلة وكان يقول في هذه الآية ﴿أولاً مستم النساء هو الغمز﴾ وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر كان يتوضأ من قبلة المرأة ويرى فيها الوضوء ويقول هي من اللامس. وروى ابن أبي حاتم وابن جرير أيضاً من طريق شعبة عن مخرق عن طارق عن عبد الله قال: اللمس مادون الجماع ثم قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عمر وعبيدة وأبي عثمان النهدي وأبي عبيدة يعني ابن عبد الله بن مسعود وعامر الشعبي وثابت بن الجراح وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم نحو ذلك (قلت) وروى مالك عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أنه كان يقول: قبلة الرجل امرأته وجسه بيده من الملامسة فمن قبل امرأته أو جسدها بيده فعليه الوضوء. وروى الحافظ أبو الحسن الدارقطني في سننه عن عمر بن الخطاب نحو ذلك، ولكن رويناه عنه من وجه آخر أنه كان يقبل امرأته ثم يصلي ولا يتوضأ فالرواية عنه مختلفة فيحمل ما قاله في الوضوء إن صح عنه على الاستحباب والله أعلم. والقول بوجوب الوضوء من المس هو قول الشافعي وأصحابه ومالك والمشهور عن أحمد بن حنبل قال ناصروه قد قرئ في هذه الآية لامستم ولمستم واللمس

والشافعي رضي الله عنهم، وقال مالك والليث بن سعد وأحمد وإسحق إن كان اللمس بشهوة تنقض الطهر وإن لم يكن بشهوة فلا ينتقض، وقال قوم لا ينتقض الوضوء باللمس بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا ينتقض إلا إذا حدث الانتشار واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما أخبرنا به أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: كنت أنام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي، وإذا قام بسطتهما قالت والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن مسعود عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمي أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كنت نائمة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففقدته من الليل فلمسته بيدي فوقعت يدي على قدميه وهو ساجد وهو يقول «أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»

يطلق في الشرع على الجس باليد قال تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم) أي جسوه وقال صلى الله عليه وسلم لما عز حين أقربا لئنا يعرض له بالرجوع عن الاقرار « اعلك قبلت أو لمست » وفي الحديث الصحيح « واليدزناها اللبس » وقالت عائشة رضي الله عنها : قل يوم إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف علينا فيقبل ويلبس ومنه ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الملامسة وهو يرجع الى الجس باليد على كلاً التفسيرين قالوا : ويطلق في اللغة على الجس باليد كما يطلق على الجماع قال الشاعر

* ولمست كفي كفه أطلب الغنى *

واستأنسوا أيضاً بالحديث الذي رواه أحمد، حدثنا عبد الله بن مهدي وأبو سعيد قال حدثنا زائدة عن عبد الملك بن عمير قال أبو سعيد حدثنا عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله ما تقول في رجل لقي امرأة لا يعرفها فليس يأتي الرجل من امرأته شيئا إلا أتاه منها غير أنه لم يجامعها قال فانزل الله عز وجل هذه الآية (أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل) قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « توشأ ثم صل » قال معاذ فقلت يا رسول الله أله خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ فقال بل « للمؤمنين عامة » ورواه الترمذي من حديث زائدة به وقال ليس بمقتضى ، ورواه النسائي من حديث شعبة عن عبد الملك

واختلف قول الشافعي رضي الله عنه فيما لو لمس امرأة من محارمه كالأم والبنت والاخت ، أو لمس أجنبية صغيرة أصح القولين أنه لا ينتقض الوضوء لأنها ليست بمحل الشهوة كما لو لمس رجلا. واختلف قوله في انتقاض وضوء الملموس على قولين أحدهما ينتقض لاشتراكهما في الالتذاذ كما يجب الغسل عليها بالجماع والثاني لا ينتقض لحديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت : فوقت يدي على قدميه وهو ساجد . ولو لمس شعر امرأة ، أو سنمها ، أو ظفرها لم ينتقض وضوءه عنده ، وأعلم أن المحدث لا تصح صلاته ما لم يتوضأ إذا وجد الماء أو يتيمم إذا لم يجد الماء أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه أنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » والحديث هو خروج الخارج من أحد الفرجين عينا كان أو أثرا والغلبة على العقل بجنون أو اغماء على أي حال كان « وأما النوم فذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يوجب الوضوء إلا أن ينام قاعداً ممكناً فلا وضوء عليه لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز الخلال أنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أنا الشافعي أنا الثقة عن حميد الطويل عن أنس رضي الله عنهما قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء فينامون أحسبه قال قعوداً حتى تخفق رؤوسهم ثم يصلون ولا يتوضؤون ، وذهب قوم إلى أن النوم يوجب الوضوء بكل

ابن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلًا قالوا: فأمره بالوضوء لانه لمس المرأة ولم يجامعها. وأجيب بانه منقطع بين ابن أبي ليلى ومعاذ فانه لم يلقه ثم يحتمل انه إنما أمره بالوضوء والصلاة المكتوبة كما تقدم في حديث الصديق «ما من عبد يذنب ذنبا فيتوضأ ويصلي ركعتين الا غفر الله له» الحديث وهو المذكور في سورة آل عمران عند قوله (ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) الآية ثم قال ابن جرير وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال عني الله بقوله (أولاستم النساء) الجماع دون غيره من معاني اللبس لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قبل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ ثم قال حدثني بذلك اسماعيل بن موسى السدي قال أخبرنا أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ثم يقبل ثم يصلي ولا يتوضأ ثم قال حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن الاعمش عن حبيب عن عروة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعض نسائه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضأ، قلت من هي إلا أنت؟ فضحكت وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن جماعة من مشايخهم عن وكيع به، ثم قال أبو داود روي عن الثوري انه قال ما حدثنا حبيب إلا عن عروة المزني، وقال يحيى القطان لرجل احك عني ان هذا الحديث شبه لاشيء، وقال الترمذي سمعت البخاري يضعف هذا الحديث وقال لاشك حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من عروة وقد وقع في رواية ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلى بن محمد الطنافسي

حال وهو قول أبي هريرة رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها وبه قال الحسن واسحق والمزني، وذهب قوم إلى انه لو نام قائما أو قاعداً أو ساجداً فلا وضوء عليه حتى ينام مضطجعا وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي، واختلفوا في مس الفرج من نفسه أو من غيره فذهب جماعة إلى انه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنها وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعروة بن الزبير واليه ذهب الاوزاعي والشافعي وأحمد واسحق وكذلك المرأة تمس فرجها غير أن الشافعي رضي الله عنه يقول لا ينتقض إلا أن تلمس يبطن الكف أو بطون الاصابع واحتجوا بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي انا أبو مصعب عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم انه سمع عروة ابن الزبير يقول: دخلت على مروان بن الحكم فذكرنا ما يكون منه الوضوء فقال مروان: من مس الذكر الوضوء، فقال عروة ما علمت ذلك، فقال مروان: أخبرني بسرة بنت صفوان انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ» وذهب جماعة إلى انه لا يوجب الوضوء روي ذلك عن علي وابن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي واحتجوا بما روي عن طلق بن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن مس الرجل ذكره فقال «هل هو إلا بضعة منك؟» ويروى هل هو إلا بضعة أو

عن وكيع عن الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة بن الزبير عن عائشة ، وأبلغ من ذلك ما رواه
الامام أحمد في مسنده من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وهذا نص في كونه عروة
ابن الزبير ويشهد له قوله : من هي الا أنت فضحكت لكن روى أبو داود عن ابراهيم بن محمد حدثنا وكيع
حدثنا سفيان عن أبي روق الهمداني الطالقاني عن عبد الرحمن بن مغراء عن الاعمش قال حدثنا أم حجاب
لنا عن عروة المزني عن عائشة فذكره والله أعلم . وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو زيد عن عمر بن
أنيس عن هشام بن عباد حدثنا مسدد^(١) بن علي عن ليث عن عطاء عن عائشة . وعن أبي روق عن
ابراهيم التيمي عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينال مني القبلة
بعد الوضوء وقال الامام أحمد حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان عن أبي روق عن ابراهيم التيمي
عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ثم صلى ولم يتوضأ رواه
أبو داود والنسائي من حديث يحيى القطان زاد أبو داود وابن مهدي كلاهما عن سفيان الثوري
به . ثم قال أبو داود والنسائي لم يسمعا ابراهيم التيمي من عائشة ثم قال ابن جرير أيضا حدثنا سعيد بن
يحيى الأموي حدثنا أبي حدثنا يزيد عن سنان عن عبد الرحمن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير
عن أبي سلمة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبلها وهو صائم ثم لا يفتطر ولا يحدث
وضوءاً . وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا حفص بن غياث عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن زينب
السهمية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقبل ثم يصلي ولا يتوضأ وقد رواه الامام أحمد عن
محمد بن فضيل عن حجاج بن ارطاة عن عمرو بن شعيب عن زينب السهمية عن عائشة عن النبي

(١) في الازهرية

متدل بن عدي

مضغة منه ، ومن أوجب الوضوء منه قال هذا منسوخ بحديث بسرة لأن أبا هريرة يروي أيضاً أن
الوضوء من مس الذكر وهو متأخر الاسلام ، وكان قدوم طلق بن علي على رسول الله صلى الله عليه
وسلم أول زمن الهجرة حين كان يبني المسجد واختلفوا في خروج النجاسة من غير الفرجين بالفصد
والحجامة وغيرهما من القي ، ونحوه فذهب جماعة إلى أنه لا يوجب الوضوء . روي ذلك عن عبد الله
ابن عمر وعبد الله بن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وسعيد بن المسيب واليه ذهب مالك
والشافعي رحمهم الله وذهبت جماعة إلى إيجاب الوضوء بالقي ، والرافع والفصد والحجامة منهم سفيان
الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي واحمد واسحق واتفقوا على أن القليل منه وخروج الريح من
غير السبيلين لا يوجب الوضوء ، ولو أوجب الوضوء كثيره لأوجب قليله الوضوء كالفرج فلم نجدوا
ماء فتيمموا ﴿ اعلم أن التيمم من خصائص هذه الامة روي عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت
لنا الارض كلها مسجداً ، وجعلت تربتها لنا طهوراً اذا لم نجد الماء » وكان بدء التيمم ما أخبرنا أبو
الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد

صلى الله عليه وسلم به . وقوله تعالى (فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) استنبط كثير من الفقهاء من هذه الآية انه لا يجوز التيمم لعادم الماء إلا بعد طاب الماء فتي طابه فلم يجده جازله حينئذ التيمم وقد ذكروا كيفية الطاب في كتب الفروع كما هو مقرر في موضعه كما في الصحيحين من حديث عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا معتزلا لم يصل مع القوم فقال يا فلان ما منعك أن تصلي مع القوم ألسنت برجل مسلم؟ قال بلى يا رسول الله ولكن أصابتني جنابة ولا ماء قال :عليك بالصعيد فإنه يكفيك « ولهذا قال تعالى (فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) فالتيمم في اللغة هو التقصد تقول العرب تيممك الله بحفظه أي قصدك ومنه قول امرئ القيس شعراً

ولما رأت أن المنية وردها * وأن الحصى من تحت أقدامها دامي

تيممت العين التي عند ضارج * يعني عليها التي عزمها طامي

والصعيد قيل هو كل ما معد على وجه الأرض فيدخل فيه التراب والرمل والشجر والحجر والنبات وهو قول مالك ، وقيل ما كان من جنس التراب كالرمل والزرنيخ والنورة وهذا مذهب أبي حنيفة وقيل هو التراب فقط وهو قول الشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهما واحتجوا بقوله تعالى (فتصيح

الماشى أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفارد حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليس معهم ماء فأتى الناس أبا بكر رضي الله عنه فقالوا : ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر رضي الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال : أحسبت رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعانيني أبو بكر رضي الله عنه وقال ماشاء الله أن يقول ، وجعل يطعن بيده في خاصرني فلا يمنعني من التحرك إلا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح على غير ماء فأنزل الله تعالى آية التيمم (فتيمموا) فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء ما هي بأول بركتكم يال أبي بكر قالت عائشة رضي الله عنها فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته . وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليجي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبيد ابن إسماعيل أنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها استعارت من أسماء قلاذة فلبست فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناساً من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك اليه فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير جزاك الله خيراً فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك مخرجاً وجعل المسلمين فيه بركة فتيمموا أي

صعيداً زلقاً) أي تراباً أملس طيباً، وبما ثبت في صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فضلنا على الناس بثلاث، جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لناطورا إذا لم نجد الماء» وفي لفظ «وجعل ترابها لناطورا إذا لم نجد الماء» قالوا لخص الطهورية بالتراب في مقام الامتنان، فلو كان غيره يقوم مقامه لذكره معه، والطيب ههنا قيل الحلال وقيل الذي ليس بنجس كما رواه الامام احمد وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث أبي قلابة عن عمرو بن نجدان عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصعيد الطيب طهور للمسلم إن لم يجد الماء عشر حجج، فإذا وجده فليمسه بشرته فإن ذلك خير له» وقال الترمذي حسن صحيح وصححه ابن حبان أيضاً ورواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده عن أبي هريرة وصححه الحافظ أبو الحسن القطان وقال ابن عباس: أطيب الصعيد تراب الحرث رواه ابن أبي حاتم ورفعه ابن مردويه في تفسيره وقوله (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) التيمم بدل عن الوضوء في التطهير به لأنه بدل منه في جميع أعضائه، بل يكفي مسح الوجه واليدين فقط بالاجماع، ولكن اختلف الأئمة في كيفية التيمم على أقوال أحدها وهو مذهب الشافعي في الجديد أنه يجب أن يمسح الوجه واليدين إلى المرفقين بضربتين لأن لفظ اليدين يصدق اطلاقاً على ما يبلغ المنكبين وعلى ما يبلغ المرفقين كما في آية الوضوء ويطلق ويراد بهما ما يبلغ الكفين كما في آية السرقة (فاقطعوا أيديهما) قالوا وحمل ما أطلق ههنا على ما قيد في آية الوضوء أولى لجامع الطهورية، وذكر بعضهم ما رواه الدارقطني عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «التيمم ضربتان، ضربة للوجه، وضربة لليدين إلى المرفقين» ولكن لا يصح لأن في اسناده ضعفاً لا يثبت الحديث به، وروى أبو داود عن ابن عمر في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب بيده على الخائط ومسح بها وجهه، ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعه ولكن في اسناده محمد بن ثابت العبدي وقد ضعفه بعض الحفاظ ورواه غيره من الثقات فوقوه على فعل ابن عمر قال البخاري وأبو زرعة وابن عدي هو الصحيح وهو الصواب، وقال البيهقي رفع هذا الحديث منكروا احتج الشافعي بما رواه عن ابراهيم بن محمد عن أبي الحويرث عن عبد الرحمن بن معاوية عن الاعرج عن ابن الصمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تيمم فمسح وجهه وزراعيه. وقال ابن جرير حدثني موسى بن سهل الزملي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا خارجة بن مصعب عن عبد الله بن عطاء

أقصدوا ﴿صعيداً طيباً﴾ أي تراباً طيباً طاهراً نظيفاً. قال ابن عباس رضي الله عنهما الصعيد هو التراب، واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعي رحمه الله تعالى إلى أنه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما يعلق باليد منه غبار لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال «وجعلت تربتها لناطورا» وجوز أصحاب الرأي التيمم بالزرنخ والجص والنورة وغيرها من طبقات الأرض حتى قالوا لو ضرب يده على صخرة لا غبار عليها أو على التراب ثم نفخ فيه حتى زال التراب كله فمسح به وجهه ويديه

عن موسى بن عقبة عن الاعرج عن أبي جهيم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فسلمت عليه فلم يرد عليّ السلام حتى فرغ ، ثم قام إلى الحائط فضرب يديه عليه فمسح بهما وجهه ، ثم ضرب يديه على الحائط فمسح بهما يديه إلى المرفقين ثم ردّ عليّ السلام . والقول الثاني أنه يجب مسح الوجه واليدين إلى الكفين بضربتين وهو قول الشافعي في القديم . والثالث أنه يكفي مسح الوجه والكفين بضربة واحدة . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن الحكم عن ذر عن ابن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه أن رجلاً أتى عمر فقال : اني اجنبت فلم أجدها ، فقال عمر لا تصل قال عمار أما تذكر يا أمير المؤمنين اذ أنا وأنت في سرية فاجنبتا فلم نجد ماء فأما أنت فلم تصل ، وأما أنا فتمسكت في التراب فصليت فلما أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال « إنما كان يكفيك وضرب النبي صلى الله عليه وسلم يده الأرض ثم نفخ فيها ومسح بها وجهه وكفيه » قال احمد أيضاً حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا قتادة عن عروة عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه عن عمار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « في التيمم ضربة للوجه والكفين »

﴿ طريق أخرى ﴾ قال احمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد عن سليمان الاعمش حدثنا شقيق قال : كنت قاعداً مع عبد الله وأبي موسى فقال ابو يعلى لعبد الله : لو أن رجلاً لم يجد الماء لم يصل ؟ فقال عبد الله ألا تذكر ما قال عمار لعمر ألا تذكر إذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وإياك في ابل فأصابني جنابة فتمرغت في التراب فلما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « إنما كان يكفيك أن تقول هكذا وضرب بكفيه إلى الأرض ثم مسح كفيه جميعاً ومسح وجهه مسحة واحدة بضربة واحدة » فقال عبد الله لاجرم ما رأيت عمر قنع بذلك قال : فقال له أبو موسى فكيف بهذه الآية في سورة النساء (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً) قال فما درى عبد الله ما يقول وقال : لو رخصنا لهم في التيمم لأوشك أحدهم اذ برد الماء على جلده أن يتيمم ، وقال في المائدة (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) فقد استدلل بذلك لقول الشافعي

صح تيممه ، وقالوا الصعيد وجه الأرض لما روي عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » وهذا مجمل وحديث حذيفة في تخصيص التراب مفسر والمفسر من الحديث يقضى على المجمل ، وجوز بعضهم بكل ما هو متصل بالأرض من شجر ونبات ونحوهما وقال ان الصعيد اسم لما تصاعد على وجه الأرض والقصد إلى التراب شرط لصحة التيمم لأن الله تعالى قال (فتيمموا) والتيمم القصد حتى لو وقف في مهب الريح فأصاب الغبار وجهه ونوى لم يصح قوله تعالى ﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً ﴾ ﴿ أعلم أن مسح الوجه واليدين واجب في التيمم واختلفوا في كيفية فذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يمسح الوجه واليدين مع المرفقين بضربتين يضرب كفيه على التراب فيمسح بهما جميع وجهه ولا يجب اتصال التراب إلى ما تحت

على أنه لا بد في التيمم أن يكون بتراب طاهر له غبار يعلق بالوجه واليدين منه شيء، كما روى الشافعي بإسناده المتقدم عن ابن الصمة أنه مرّ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى قام إلى جدار فحتمه بعضاً كانت معه فضرب بيده عليه فمسح بها وجهه وزراعيه. وقوله (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أي في الدين الذي شرعه لكم ولكن يريد ليظهركم ، فهذا أباح التيمم إذا لم تجدوا الماء أن تعدلوا إلى التيمم بالصعيد والتيمم نعمة عليكم لعلمكم تشكرون ولهذا كانت هذه الأمانة مخصوصة بمشروعية التيمم دون سائر الأمان كما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فإما رجل من أمي أدركته الصلاة فليصل » وفي لفظ « فعنده مسجده وطهوره ، وأحل لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة وكان يبعث النبي إلى قومه وبعثت إلى الناس كافة » وتقدم في حديث حذيفة عند مسلم « فضلنا على الناس بثلاث ، جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض مسجداً وطهوراً ، وجعلت لنا الأرض مسجداً وطهوراً » وقال تعالى في هذه الآية الكريمة (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً) أي ومن عفوه عنكم وغفرانه لكم أن شرع لكم التيمم وأباح لكم فعل الصلاة به إذا فقدتم الماء توسعة عليكم ورخصة لكم ، وذلك أن هذه الآية الكريمة فيها تنزيه الصلاة أن تفعل على هيئة ناقصة من سكر حتى يصحو المكف ويعقل ما يقول ، أو جنابة حتى يغتسل ، أو حدث حتى يتوضأ إلا أن يكون مريضاً أو عادماً للماء ، فإن الله عز وجل قد أخص في التيمم والحالة هذه رحمة بعباده ورأفة بهم ، وتوسعة عليهم والله الحمد والمنة *

الشعور ثم يضرب ضربة أخرى فيمسح يديه إلى المرفقين لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد بن الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن أبي الحويرث عن الأعرج عن ابن الصمة قال « مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد عليّ حتى قام إلى جدار فحتمه بعضاً كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وزراعيه ثم رد عليّ السلام » ففيه دليل على وجوب مسح اليدين إلى المرفقين كما يجب غسلهما في الوضوء إلى المرفقين ودليل على أن التيمم لا يصلح ما لم يعلق باليد غبار التراب لأن النبي صلى الله عليه وسلم حتم الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافياً لما كان حتمه. وذهب الزهري إلى أنه يمسح اليدين إلى المنكبين لما روى عن عمار أنه قال تيممنا إلى المنكبين وذلك حكاية فعله لم ينقله عن النبي صلى الله عليه وسلم كما روي أنه قال أجبت فتبعك في التراب فلما سأل النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالوجه والكفين وذهب جماعة إلى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهما وبه قال الشعبي وعطاء بن أبي رباح ومكحول وإليه ذهب الأوزاعي

(ذكر سبب نزول مشروعية التيمم) وإنما ذكرنا ذلك ههنا لأن هذه الآية التي في النساء متقدمة النزول على آية المائدة وبيانه أن هذه نزلت قبل تحريم الخمر ، والخمر إنما حرم بعد أحد يسير في محاصرة النبي صلى الله عليه وسلم لبني النضير ، وأما المائدة فأنها من آخر ما نزل ولا سيما صدرها فناسب أن يذكر السبب هنا وبالله الثقة . قال أحمد حدثنا ابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة أنها استعارت من أسماء قلادة فهاكت فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا في طلبها فوجدوها فادر كتهم الصلاة وليس معهم ماء فصلوها بغير وضوء فشكوا ذلك إلى رسول الله فأنزل الله آية التيمم فقال أسيد بن الحضير لعائشة جزاك الله خيراً فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً

(طريق أخرى) قال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف أنبأنا مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برؤسها على الله صلى الله عليه وسلم وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعانيني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطلع بيده في خاصرتي ولا يمنعني من

وأحمد واسحق واحتجوا بما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا آدم أنا شعبة أخبرنا الحكم عن زر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه قال جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال أتى أجنبتي فلم أصب الماء فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب أما تذكر أنا كنا في سفر أنا وأنت فأما أنت فلم تصل وأما أنا فتممعت فصليت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال «أما كان يكفئك هكذا فضر ب النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه» وقال محمد بن اسمعيل أنا محمد بن كثير عن شعبة بأسناده فقال عمار لعمر رضي الله عنه تممعت فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقال «يكفئك الوجه والكفان» وفي الحديث دليل على أن الجنب إذا لم يجد الماء يصلي بالتيمم وكذلك الخائض والنفساء إذا طهرتا وعدمتا الماء . وذهب عمر وابن مسعود رضي الله عنهما إلى أن الجنب لا يصلي بالتيمم بل يؤخر الصلاة إلى أن يجد الماء فيغتسل وحملوا قوله تعالى (أو لمستم النساء) على اللمس باليد دون الجماع وحديث عمار رضي الله عنه حجة وكان عمر نسي ما ذكر له عمار فلم يقنع بقوله وروي أن ابن مسعود رضي الله عنه رجع عن قوله وجوز التيمم للجنب والدليل عليه أيضاً ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن عباد بن منصور عن أبي رجاء العطاردي عن عمران بن حصين رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر رجلاً

التحرك الامكان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير ماء حين أصبح فانزل الله آية التيمم فتييمموا فقال أسيد بن الحضير ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته وقد رواه البخاري أيضاً عن قتيبة عن اسماعيل ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح قال ابن شهاب حدثني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن عمار بن ياسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرس بذات الجيش ومعه زوجته عائشة فانقطع عقد لها من جزع ظفار فحسب الناس ابتغاء عقدها ذلك حتى أضاء الفجر وليس مع الناس ماء فانزل الله على رسوله رخصة التطير بالصعيد الطيب فقام المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربوا بأيديهم إلى الأرض ثم رفعوا أيديهم ولم ينفذوا من التراب شيئاً فمسحوا بها وجوههم وأيديهم إلى المناكب، ومن بطون أيديهم إلى الآباط. وقد رواه ابن جرير. حدثنا أبو كريب بإسناده إلى ابن أبي اليقظان قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلك عقد لعائشة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أضاء الفجر فتغيظ أبو بكر على عائشة فنزلت عليه رخصة المسح بالصعيد الطيب فدخل أبو بكر فقال لها: انك لمباركة نزلت فيك رخصة فضربنا بأيدينا ضربة لوجوهنا، وضربة لأيدينا إلى المناكب والآباط

﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن احمد بن ابراهيم حدثنا الحسن

كان جنباً ان يتييم ثم يصلي فاذا وجد الماء أغتسل. وأخبرنا عمر بن عبد العزيز أنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود السجستاني أنا مسدد أنا خالد الواسطي عن خالد الخذاء عن عمرو بن نجدان عن أبي ذر رضي الله عنهم قال اجتمعت غنيمة من الصدقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر ابد فيها فبدوت اني الربذة وكانت تصيني الجنبه فأمكنك الخس والست فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو ذر فسكت فقال ثكلتك أمك يا أبا ذر لا منك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترني بثوب واستترت بالراحلة فأغتسلت فكأنني ألقيت عني جبلاً فقال «الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين فاذا وجدت الماء فأمسح بجلدك فان ذلك خير» ومسح الوجه واليدين في التيمم تارة يكون بدلاً عن غسل بعض أعضاء الطهارة بأن يكون على بعض أعضاء طهارته جراحة لا يمكنه غسل محلها فعليه أن يتييم بدلاً عن غسله ولا يصح التيمم لصلاة الوقت الا بعد دخول الوقت ولا يجوز أن يجتمع بين فرضتين يتييم واحد لان الله تعالى قال (اذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم) الى أن قال (فلم تجدوا ماء فتييموا) فظاهر الآية يدل على وجوب الوضوء او التيمم اذا لم يجد الماء عند كل صلاة إلا ان الدليل قد قام في الوضوء فان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد فبقى التيمم على ظاهره وهذا قول علي وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة، واليه ذهب مالك والشافعي

(١) في الازهرية

سوية

(٢) في الازهرية

ابن رزيق

ابن احمد حدثنا الليث حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا العباس بن ابي سريّة (١) حدثني الهيثم (٢) عن زريق المالكي من بني مالك بن كعب بن سعد وعاش مائة وسبعة عشر سنة عن أبيه عن الاسلم بن شريك قال : كنت أرحل ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابني جنابة في ليلة باردة وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحلة فكرهت أن أرحل ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جنب وخشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض فأمرت رجلاً من الانصار فرحّلها ، ثم رضفت أحجاراً فاسخنّت بها ماء ، واغتسلت ، ثم لحقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال « يا أسلم مالي أرى رحلتك قد تغيرت ، قلت يا رسول الله لم أرحلها ، رحلها رجل من الانصار ، قال لم ؟ قلت اني أصابني جنابة فخشيت القر على نفسي فأمرته أن يرحلها ورضفت أحجاراً فاسخنّت بها ماء ، فاغتسلت به » فأنزل الله تعالى (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) الى قوله (إن الله كان عفواً غفوراً) وقد روي من وجه آخر عنه

(ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يشترّون الضلالة ويريدون أن تضلّوا السبيل (٤٤) وآله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً (٤٥) من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع ورعنا لئلا بأسنهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلاً ٤٦)

واحد واسحق ، وذهب جماعة الى ان التيمم كالطهارة بالماء يجوز تقديمه على وقت الصلاة ويجوز ان يصلى به ماشاء من الفرائض ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري وأصحاب الرأي وانفقوا على أنه يجوز ان يصلى بتيمم واحد مع الفريضة ماشاء من النوافل قبل الفريضة وبعدها ، وان يقرأ القرآن ان كان جنباً . وان كان تيممه بعذر السفر وعدم الماء فيشترط طلب الماء وهو أن يطلبه من رحله ومن رفقائه وإن كان في صحراء ولا حائل دون نظر ينظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب من تل أو جدار عدل عنه لأن الله تعالى قال (فلم تجدوا ماء فتيمموا) ولا يقال لم يجد إلا لمن طلب وعند أبي حنيفة رضي الله عنه طلب الماء ليس بشرط فان رأى الماء ولكن بينه وبين الماء حائل من عدو أو سبع يمنعه من الذهاب اليه أو كان الماء في البئر وليست معه آلة الاستقاء فهو كالمعدوم يصلى بالتيمم ولا إعادة عليه

قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يعني يهود المدينة قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دحشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا سانهما وعاباهما فأنزل

يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة - انهم يشترون الضلالة بالهدى ويعرضون عما أنزل الله على رسوله ويتركون ما بأيديهم من العلم عن الانبياء الاولين في صفة محمد صلى الله عليه وسلم ليشتروا به ثمنا قليلا من حطام الدنيا (ويريدون أن تضلوا السبيل) أي يودون لو تكفرون بما أنزل عليكم ايها المؤمنون وتتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع (والله أعلم بأعدائكم) أي هو أعلم بهم ويحذركم منهم (وكفى بالله وليا وكفا بالله نصيرا) أي كفى به وليا لمن لجأ اليه ونصيرا لمن استنصره . ثم قال تعالى (من الذين هادوا) من في هذا لبيان الجنس كقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) وقوله (يحرفون الكلم عن مواضعه) أي يتأولونه على غير تأويله ، ويفسرونه بغير مراد الله عز وجل قصداً منهم واقتراء (ويقولون سمعنا) أي سمعنا ماقلته يا محمد ولا نطيعك فيه هكذا فسر مجاهد وابن زيد وهو المراد وهذا أبلغ في كفرهم وعنادهم وانهم يتولون عن كتاب الله بعد ما عقلوه وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من الأثم والعقوبة وقولهم (واسمع غير مسمع) أي اسمع ما تقول لاسمعت رواه الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد والحسن : واسمع غير مقبول منك قال ابن جرير والأول أصح وهو كما قال وهذا استهزاء منهم واستهزاء عليهم لعنة الله (وراعنا يا بالسنهم وطعنا في الدين) أي يوهمون انهم يقولون راعنا سمعك بقولهم راعنا وانما يريدون الرعونة بسبهم النبي وقد تقدم الكلام في هذا عند قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) ولهذا قال تعالى عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يظهره ليا بالسنهم وطعنا في الدين يعني بسبهم

الله تعالى هذه الآية (يشترون) يستبدلون (الضلالة) يعني بالهدى (ويريدون أن تضلوا السبيل) أي عن السبيل أيام عشر المؤمنين (والله أعلم بأعدائكم) منكم فلا تستنصحوهم فانهم أعداؤكم (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) قال الزجاج اكنفوا بالله وليا واكنفوا بالله نصيرا (من الذين هادوا) قيل هي متصلة بقوله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا) وقيل هي مستأنفة معناه من الذين هادوا من يحرفون كقوله تعالى (وما منا الا له مقام معلوم) أي من له منزلة معلومة يريد فريق (يحرفون الكلم) يغيرون الكلم (عن مواضعه) يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسألونه عن الامر فيخبر فيرى انهم يأخذون بقوله فاذا انصرفوا من عنده حرفوا كلامه (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (واسمع غير مسمع) أي اسمع منا ولا نسمع منك غير مسمع أي غير مقبول منك وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في أنفسهم لاسمعت (وراعنا) أي ويقولون راعنا يريدون به النسبة الى الرعونة (ليا بالسنهم) تحريفا (وطعنا) قدحا (في الدين) لان قولهم راعنا من المراعاة وهم يحرفونه ويريدون به الرعونة (ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا) أي انظر الينا مكان قولهم راعنا (لكان خيرا لهم وأقوم) أي أعدل وأصوب (ولكن لعنهم

النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً) أي قلوبهم مطرودة عن الخير مبعدة منه فلا يدخلها من الإيمان شيء نافع لهم وقد تقدم الكلام على قوله تعالى (فقليل ما يؤمنون) والمقصود أنهم لا يؤمنون إيماناً نافعاً

(يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مُصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم) كما لعنا أصحاب السبب وكان أمر الله مفعولاً (٤٧) إن الله لا يغفر أن يُشرك به رِيعَ غَيْرُ ما دون ذلك من يشاء ومن يُشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً (٤٨) يقول تعالى أمراً أهل الكتاب بالإيمان بما نزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات ومتهدد لهم إن لم يفعلوا بقوله (من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها) قال بعضهم معناه من قبل أن نطمس وجوهاً فطمسها هو ردها إلى الأدبار وجعل أبصارهم من ورائهم، ويحتمل أن يكون المراد من قبل أن نطمس وجوهاً فلا تبقى لها سمعاً ولا بصراً ولا أنفاً ومع ذلك نردها إلى ناحية الأدبار. وقال العوفي عن ابن عباس في الآية وهي من قبل أن نطمس وجوهاً وطمسها أن تعمي فنردها على أدبارها يقول نجعل وجوههم من قبل أفتيتهم فيمشون القهقري ونجعل لأحدكم عينين من قفاه، وكذا قال قتادة وعطية العوفي وهذا أبلغ في العقوبة والنكال وهذا مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبيل الضلالة بهر عوف ويمشون القهقري على أدبارهم وهذا كما قال بعضهم في قوله (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً) أي هذا مثل سوء ضربه الله لهم في ضلالهم ومنعهم عن الهدى قال مجاهد: من قبل أن نطمس وجوهاً يقول عن صراط الحق فنردها على أدبارها أي في الضلال قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس والحسن نحو هذا قال السدي فنردها على أدبارها فمنعها عن الحق قال ترجعها كفاراً ونزدهم قردة قال أبو زيد فردهم إلى بلاد الشام من أرض الحجاز. وقد ذكر أن كعب الأخبار أسلم حين سمع هذه الآية. قال ابن جرير

الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً (٤٨) إلا نفرأ قليلاً منهم وهو عبد الله بن سلام ومن أسلم معه منهم وهو عبد الله بن سلام ومن أسلم معه منهم

قوله عز وجل (يأيها الذين أوتوا الكتاب) يخاطب اليهود (آمنوا بما نزلنا) يعني القرآن (مصدقاً لما معكم) يعني التوراة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كأم أحوار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الأشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون إن الذي جئتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك وأصروا على الكفر ونزلت هذه الآية (من قبل أن نطمس وجوهاً) قال ابن عباس

حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح عن عيسى بن المغيرة قال تذاكرنا عند ابراهيم اسلام كعب فقال أسلم كعب زمان عمر، أقبل وهو يريد بيت المقدس فمر على المدينة فخرج اليه عمر فقال يا كعب أسلم فقال أسلم تقولون في كتابكم (مثل الذين حملوا التوراة الى أسفاراً) وأنا قد حملت التوراة قال فتركه عمر ثم خرج حتى انتهى الى حمص فسمع رجلاً من أهلها حزينا وهو يقول (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها) الآية قال كعب يارب اسلمت مخافة أن تصيبه هذه الآية ثم رجع فأتى أهله في اليمن ثم جاء بهم مسلمين وكذا رواه ابن أبي حاتم بلفظ آخر من وجه آخر فقال: حدثنا بني حدثنا ابن نفيل حدثنا عمرو بن واقد عن يونس بن حليس عن أبي إدريس عائذ الله الخولاني قال كان أبو مسلم الجليلي معلماً كعب وكان يلومه في إبطائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبعثه اليه ينظر أهو هو قال كعب فركبت حتى أتيت المدينة فاذا نال يقرأ القرآن يقول (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها) فبادرت الماء فاعتسلت وإني لأمس وجهي مخافة أن أطمس ثم أسلمت وقوله (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) يعني الذين اعتدوا في سبتهم بالحيلة على الاصطياد وقد مسخوا قردة وخنازير وسيأتي بسط قصتهم في سورة الاعراف وقوله (وكان أمر الله مفعولاً) أي اذا أمر بأمر فانه لا يخالف ولا يمانع. ثم أخبر تعالى انه لا يغفر أن يشرك به أي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ويغفر مادون ذلك أي من الذنوب لمن يشاء أي من عباده وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية السكرية فلنذكر منها ما تيسر

﴿الحديث الاول﴾ قال الامام احمد: حدثنا يزيد بن هرون حدثنا صدقة بن موسى حدثنا أبو عمران الجوني عن يزيد بن أبي موسى عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الدواوين عند الله ثلاثة، ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله، فاما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، قال الله عز وجل (ان الله لا يغفر أن يشرك به الآية، وقال: انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركه أو صلاة فان الله يغفر ذلك ويتجاوز ان شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً القصاص لا محالة» تفرد به احمد

نجعلها كخف البعير وقال قتادة والضحاك: نعميها والمراد بالوجه العين ﴿فنردها على أدبارها﴾ أي نطمس الوجوه فنردها على القفا وقيل نجعل الوجوه منابت الشعر كوجوه القردة لأن منابت شعور آدميين في أدبارهم دون وجوههم وقيل معناه نمحو آثارها وما فيها من أنف وعين وفم وحاجب ونجعلها كالقفا. وقيل نجعل عينيه على القفا فيمشي القهقري، روي أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما سمع هذه الآية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله ويده على وجهه وأسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل

﴿ الحديث الثاني ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا أحمد بن مالك حدثنا زائدة ابن أبي الزناد النميري عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الظلم ثلاثة ، فظلم لا يغفره الله ، وظلم يغفره الله ، وظلم لا يترك الله منه شيئاً ، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك وقال (إن الشرك لظلم عظيم) وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، وأما الظلم الذي لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدين لبعضهم من بعض »

﴿ الحديث الثالث ﴾ قال الامام احمد : حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ثور بن يزيد عن أبي عون عن أبي ادريس قال : سمعت معاوية يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً ، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً » ورواه النسائي عن محمد بن مثنى عن صفوان بن عيسى به

﴿ الحديث الرابع ﴾ قال الامام احمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثنا ابن تميم أن أبا ذر حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يقول : يا عبدي ما عبدتني ورجوتني فاني غافرك على ما كان منك ، يا عبدي انك إن لقيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشركني شيئاً لقيت بك بقرابها مغفرة » تفرد به احمد من هذا الوجه

﴿ الحديث الخامس ﴾ قال الامام احمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا ابي حدثنا حسين بن بريدة أن يحيى بن يعمر حدثه أن أبا الاسود الدؤلي حدثه أن أبا ذر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة ، قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق ، قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق ثلاثاً ، ثم قال في الرابعة على رغم أنف أبي ذر » قال فخرج أبو ذر وهو يبصر ازاره وهو يقول : وإن رغم أنف أبي ذر ، وكان أبو ذر يحدث بهذا بعد ويقول : وإن رغم أنف أبي ذر . أخرجه من حديث حسين بن طارق أخرى ﴿ لحديث أبي ذر قال احمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن زيد بن وهب عن أبي ذر قال : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرة المدينة عشاء ونحن ننظر إلى أحد فقال « يا أبا ذر قلت لبيك يا رسول الله ، قال ما أحب أن لي أحداً ذاك عندي ذهباً أمسى

إليك حتى يتحول وجهي في قفائي وكذلك كعب الاحبار لما سمع هذه الآية أسلم في زمن عمر رضي الله عنه فقال يارب آمنت يارب أسلمت مخافة أن يصيبه وعيد هذه الآية فان قيل قد أوعدهم الله بالطمس ان لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك قيل هذا الوعيد باق ويكون طمس ومسح في اليهوديه قبل قيام الساعة . وقيل هذا كان وعيداً بشرط فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه رفع ذلك عن الباقيين وقيل أراد به في القيامة وقال مجاهد أراد بقوله نطمس وجوها أي تركهم في الضلالة فيكون المراد طمس وجه القلب والرد عن بصائر الهدى على أدبارها في الكفر والضلالة وأصل

ثالثة وعندي منه دينار إلا ديناراً أرصده يعني لدين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا فحشا عن يمينه وعن يساره وبين يديه قال ثم مشينا فقال يا أبا ذر إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا فحشا عن يمينه ومن بين يديه وعن يساره ، قال ثم مشينا فقال يا أبا ذر كما أنت حتى آتيك قال : فانطلق حتى توارى غني ، قال فسمعت لفظاً فقلت لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض له قال فهممت أن أتبعه ، قال فذكرت قوله لا تبرح حتى آتيك فانتظرت حتى جاء فذكرت له الذي سمعت فقال ذاك جبريل أتاني فقال من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق « أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به ، وقد رواه البخاري ومسلم أيضاً كلاهما عن قتبية عن جرير بن عبد الحميد عن عبد العزيز بن رفيع عن زيد بن وهب عن أبي ذر قال : خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وحده ليس معه انسان قال فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد ، قال فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرآني فقال « من هذا » فقلت أبو ذر جعلني الله فداك قال « يا أبا ذر تعال » قال فمشيت معه ساعة فقال لي « إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً ، فجعل يمشي عن يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً » قال فمشيت معه ساعة فقال لي « اجلس ههنا » فجلستني في قاع حوله حجارة فقال لي « اجلس ههنا حتى أرجع إليك » قال فانطلق في الحرة حتى لا أراه فلبث غني حتى إذا طال اللبث ، ثم أتني سمعته وهو مقبل وهو يقول « وإن زنى ، وإن سرق » قال : فلما جاء لم أصبر حتى قلت يا نبي الله جعلني الله فداك من تكلمه في جانب الحرة فاني سمعت أحدا يرجع إليك ؟ قال ذلك جبريل عرض لي جانب الحرة فقال « بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت يا جبريل وإن سرق وإن زنا قال نعم ، قلت وإن سرق وإن زنا قال نعم ، قلت وإن سرق وإن زنا ، قال نعم وإن شرب الخمر »

(الحديث السادس) قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا عبد الله بن موسى عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال « من مات لا يشرك بالله شيئاً وجبت له الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً وجبت له النار » تفرد به من هذا الوجه وذكر تمام الحديث

الطمس المحو والافساد والتحويل وقال ابن زيد نمحو آثارهم من وجوههم ونواصيهم التي هم بها فتردها على أديبارها حتى يعودوا إلى حيث جاؤا منه وهو الشام وقال قدمضي ذلك وتأويله في اجلاء بني النضير إلى أذرعات وأريحاء من الشام ﴿ أو نلغهم كما لعنا أصحاب السبت ﴾ فنجعلهم قردة وخنازير ﴿ وكان أمر الله مفعولاً ﴾ ان الله لا يغفر أن يشرك به ﴿ قال الكلبي نزلت في وحشي بن حرب وأصحابه وذلك انه لما قتل حمزة كان قد جعل له على قتله أن يعتق فلم يوف له بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو وأصحابه فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على الذي لك صنعنا وإنه ليس بمنعنا عن الاسلام إلا أنا

(طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن عمرو بن خلاد الحراني حدثنا منصور بن اسمعيل القرشي حدثنا موسى بن عبيدة الترمذي أخبرني عبد الله بن عبيدة عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من نفس تموت لا تشرك بالله شيئاً الا حلت لها المغفرة إن شاء الله عذبها وإن شاء غفر لها إن شاء لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من حديث موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب» قيل يا نبي الله وما الحجاب؟ قال «الشراك بالله» قال ما من نفس تلتقي الله لا تشرك به شيئاً الا حلت لها المغفرة من الله تعالى إن شاء أن يعذبها وإن شاء أن يغفر لها ثم قرأ نبي الله (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)

(الحديث السابع) قال الامام احمد حدثنا أبو نعيم حدثنا زكريا عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» فترد به من هذا الوجه (الحديث الثامن) قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو قبيس عن عبد الله بن ناضر من بني سريغ قال سمعت ابا رهم قاص أهل الشام يقول سمعت ابا ايوب الانصاري يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم اليهم فقال لهم ان ربكم عز وجل خيرني بين سبعين ألف يدخلون الجنة عفوا بغير حساب وبين الخبيثة عنده لأمتي فقال بعض اصحابه يا رسول الله انجأ ذلك ربك؟ فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر فقال ان ربي زادني مع كل ألف سبعين ألفاً والخبيثة عنده، قال ابو رهم يا أبا أيوب وما تظن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكله الناس بأفواههم فقالوا: وما أنت وخبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو أيوب: دعوا الرجل عنكم اخبركم عن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أظن، بل كالمستيقن ان خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول «من شهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله مصداقاً لسانه قلبه دخل الجنة»

سمعناك تقول وأنت بمكة (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) الآيات وقد دعونا مع الله إلهاً آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزيننا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤا كتبوا اليه إن هذا شرط شديد نخاف أن لا نعمل عملاً صالحاً فنزل (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) فبعث بها اليهم فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من أهل المشيئة فنزلت (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ الحديث التاسع ﴾ قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا مؤمل بن الفضل الحراي حدثنا عيسى بن يونس وأخبرنا هاشم بن القاسم الحراي فيما كتب اليّ حدثنا عيسى بن يونس نفسه عن واصل ابن السائب الرقاشي عن أبي سورة ابن أخي أبي أيوب الانصاري عن أبي أيوب قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام قال « وما دينه » قال : يصلي ويوحّد الله تعالى قال « استوهب منه دينه ، فإن أبي فابتعه منه » فطلب الرجل ذلك منه فأبى عليه ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال « وجدته شحيحاً على دينه » قال : فتزلت (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

﴿ الحديث العاشر ﴾ قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا عمرو بن الضحاك حدثنا أبي حدثنا أبو همام الهناي حدثنا ثابت عن أنس قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما تركت حاجة ولا ذا حاجة إلا قد أتيت ، قال « أليس تشهد أن لا إله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ثلاث مرات » قال نعم ، قال « فإن ذلك يأتي على ذلك كله »

﴿ الحديث الحادي عشر ﴾ قال الامام احمد : حدثنا أبو عامر حدثنا عكرمة بن عمار عن مضمّن بن جوش اليمامي قال : قال لي ابو هريرة يامامي لا تقولن لرجل لا يغفر الله لك ، أو لا يدخلك الجنة أبداً ، فقلت يا أبا هريرة ان هذه كلمة يقولها أحدنا لاختيه وصاحبه اذا غضب ، قال لا تقلها فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كان في بني اسرائيل رجلان أحدهما مجتهد في العبادة وكان الآخر مسرفاً على نفسه وكانا متآخيين ، وكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على الذنب فيقول يا هذا أقصر ، فيقول خلني وربي أبعت عليّ رقيقاً إلى أن رآه يوماً على ذنب استعظمه ، فقال له ويحك أقصر ، قال خلني وربي أبعت عليّ رقيقاً ، فقال والله لا يغفر لك أو لا يدخلك الجنة أبداً ، قال فبعث الله اليهما ملكاً فقبض أرواحهما واجتمعا عنده فقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي ، وقال للآخر أكنت عالماً ، أكنت على مافي يدي قادراً اذهبوا به الى النار ، قال والذي نفس أبي القاسم بيده انه لتكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته » ورواه أبو داود من حديث عكرمة بن عمار حدثني مضمّن بن جوش به *

عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لو حشيت خبرني كيف قتلت حمزة فلما أخبره قال ويحك غيب وجهك عني فالحق وحشي بالشام فكان بها الى أن مات وقال أبو مجلز عن أبيه عمر رضي الله عنه لما نزل (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) الآية قام رجل فقال والشرك يا رسول الله؟ فسكت ثم قام اليه مرتين أو ثلاثاً فتزلت ان الله لا يغفر أن يشرك به وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير قال ابن عمر رضي الله عنه كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية ﴿ ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾

﴿ الحديث الثاني عشر ﴾ قال الطبراني حدثنا أبو الشيخ عن محمد بن الحسن بن عجلان الاصفهاني حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا ابراهيم بن الحكم بن ابان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قال الله عز وجل : من علم آتي ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئاً »

﴿ الحديث الثالث عشر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار والحافظ أبو يعلى حدثنا هبة هو ابن خالد حدثنا سهل بن أبي حازم عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه له ، ومن توعدته على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار » تفردا به وقال ابن أبي حاتم حدثنا بجر بن نصر الحولاني حدثنا خالد يعني ابن عبد الرحمن الخراساني حدثنا الهيثم بن حماد عن سلام بن ابى مطيع عن بكر بن عبد الله المزني عن ابن عمر قال : كنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لانشك في قاتل النفس ، وآكل مال اليتيم ، وقاذف المحصنات ، وشاهد الزور حتى نزلت هذه الآية (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فأمسك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن الشهادة . ورواه ابن جرير من حديث الهيثم بن حماد به ، وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا عبد الملك بن ابى عبد الرحمن المقرئ حدثنا عبد الله بن عاصم حدثنا صالح يعني المرمي حدثنا أبو بشر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : كنا لانشك فيمن أوجب الله له النار في الكتاب حتى نزلت علينا هذه الآية (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) قال فلما سمعناها كففتنا عن الشهادة وأرجينا الأمور إلى الله عز وجل . وقال البزار حدثنا محمد بن عبد الرحمن حدثنا شيبان بن ابى شيبة حدثنا حرب بن شريح عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا نبينا صلى الله عليه وسلم يقرأ « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وقال « أخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة » وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع أخبرني مجهر عن عبد الله بن عمر انه قال : لما نزلت (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) إلى آخر الآية قام رجل فقال والشرك بالله يا بني الله؟ فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً) رواه ابن جرير ، وقد رواه ابن مردويه من طرق

فأمسكنا عن الشهادات. حكى عن علي رضي الله عنه ان أرجى آية في القرآن قوله (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ﴿ ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أحمد بن الحسن الحيرى أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار » أخبرنا عبد الواحد

نصارى) ، وقال مجاهد : كانوا يقدمون الصبيان امامهم في الدعاء والصلاة يؤمنونهم ويزعمون أنهم لا ذنوب لهم ، وكذا قال عكرمة وأبو مالك وروى ذلك ابن جرير ، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) وذلك أن اليهود قالوا : ان أبناءنا توفوا وهم لنا قربة ويشفعون لنا ويزكوننا فأنزل الله على محمد (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) الآية ورواه ابن جرير ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن مصفى حدثنا ابن حمير عن ابن لهيعة عن بشر ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس : كان اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم ، ويقربون قربانهم ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب. وكذبوا قال الله اني لا أظهر ذا ذنب بآخر لا ذنب له ، وأنزل الله (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) ثم قال وروى عن مجاهد وأبي مالك والسدي وعكرمة والضحاك نحو ذلك ، وقال الضحاك : قالوا ليس لنا ذنوب كما ليس لأبنائنا ذنوب فأنزل الله (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) فيهم وقيل نزلت في ذم النماذج والتزكية

وفي صحيح مسلم عن المقداد بن الاسود قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحشو في وجوه المداحين التراب . وفي الصحيحين من طريق خالد الخذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يثني على رجل فقال « ويحك قطعت عنق صاحبك ثم قال « إن كان أحدكم مادحا صاحبه لاجالة فليقل أحسبه كذا ولا يزيكي على الله أحدا » وقال الامام احمد : حدثنا معتمر عن أبيه عن نعيم بن أبي هند قال : قال عمر بن الخطاب : من قال أنا مؤمن فهو كافر ، ومن قال هو عالم فهو جاهل ، ومن قال هو في الجنة فهو في النار . ورواه ابن مردويه من طريق موسى بن عبيدة عن طلحة بن عبيد الله بن كزيب عن عمر انه قال : ان أخوف ما أخاف عليكم إعجاب المرء برأيه ، فمن قال انه مؤمن فهو كافر ، ومن قال هو عالم فهو جاهل ، ومن قال هو في الجنة فهو في النار . وقال الامام احمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة حدثنا حماد بن حجاج أنبأنا شعبة عن

وما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال مجاهد وعكرمة كانوا يقدمون أطفالهم في الصلاة يزعمون أنهم لا ذنوب لهم فتلک التزكية وقال الحسن والضحاك وقتادة ومقاتل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا (لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى) وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هو تزكية بعضهم لبعض روي عن طارق بن شهاب عن ابن مسعود قال : ان الرجل ليغدو من بيته ومعه دينه فيأتي الرجل لايمالك له ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً فيقول : والله انك كيت وذيت وبرجع الى بيته وما معه من دينه شيء ثم قرأ (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) الآية . قوله تعالى ﴿ بل الله يزكي ﴾ أي يطهر ويبرئ من الذنوب ويصلح ﴿ من يشاء ولا يظلمون فتيلاً ﴾ وهو اسم لما في شق النواة والقطمير اسم للقشرة التي على النواة والقمير اسم للقرعة التي على ظهر النواة وقيل القليل من القتل وهو ما يحصل بين الاصبعين

سعد بن ابراهيم عن معبد الجهني قال : كان معاوية قلما كان يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال وكان قلما يكاد أن يدع يوم الجمعة هؤلاء الكلمات أن يحدث بهن عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإن هذا المال حلو خضر ، فمن يأخذه بحقه يبارك له فيه ، وإياكم والتماح فانه الذبح » وروى ابن ماجه منه « إياكم والتماح فانه الذبح » عن ابي بكر بن ابي شيبة عن غندر عن شعبة به ، ومعبد هذا هو ابن عبد الله بن عويم البصري القدرى ، وقال ابن جرير حدثنا يحيى بن ابراهيم السعودي حدثني أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال : قال عبد الله بن مسعود : ان الرجل ليغدو بدينه ثم يرجع وما معه منه شيء يلتقى الرجل ليس يملك له ضرراً ولا نفعاً فيقول له : انك والله كيت وكيت فلهله أن يرجع ولم يحظ من حاجته بشيء ، وقد أسخط الله ، ثم قرأ (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) الآية ، وسيأتي الكلام على ذلك مطولاً عند قوله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) ولهذا قال تعالى (بل الله يزكي من يشاء) أى المرجع في ذلك إلى الله عز وجل لأنه أعلم بحقائق الأمور وغوامضها

ثم قال تعالى (ولا يظلمون فتيلاً) أى ولا يترك لأحد من الأجر ما يوازن مقدار الفتل قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة وغير واحد من السلف هو ما يكون في شق النواة. وعن ابن عباس أيضاً هو ما فتلت بين أصابعك وكلا القولين متقارب وقوله (انظر كيف يفترون على الله الكذب) أى في تزكيتهم أنفسهم ودعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وقولهم (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) (وقولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات) واتكلمهم على أعمال آبائهم الصالحة وقد حكم الله ان أعمال الآباء لا تجزي عن الابناء شيئاً في قوله (تلك أمة قد خلت لهما ما كسبت ولكم ما كسبتم) الآية ثم قال (وكفى به أثماً مبيناً) أى وكفى بصنيعهم هذا كذباً وافترافاً ظاهراً وقوله (ألم ترى إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) أما الجبت فقال محمد بن اسحق

من الوسخ عند القتل. قوله تعالى ﴿ أنظر ﴾ يا محمد ﴿ كيف يفترون على الله ﴾ يختلقون على الله ﴿ الكذب ﴾ في تغييرهم كتابه ﴿ وكفى به ﴾ بالكذب ﴿ أثماً مبيناً ﴾ قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ اختلفوا فيهما فقال عكرمة هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله. وقال أبو عبيدة هما كل مغبود يعبد من دون الله قال الله تعالى ﴿ أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وقال عمر الجبت السحر والطاغوت الشيطان وهو قول الشعبي ومجاهد وقيل الجبت الاوثان والطاغوت شياطين الاوثان ولكل صنم شيطان يعبر عنه فيغتر به الناس وقال محمد بن سيرين ومكحول الجبت الكاهن والطاغوت الساحر وقال سعيد بن جبير وأبو العالمة الجبت الساحر بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن وروي عن عكرمة الجبت بلسان الحبشة شيطان وقال الضحاك الجبت حيي بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف دليله قوله تعالى (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت)

عن حسان بن فائد عن عمر بن الخطاب أنه قال الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان وهكذا روى عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن والضحاك والسدي وعن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن وعطية: الجبت الشيطان. وزاد ابن عباس بالحبشية وعن ابن عباس أيضاً: الجبت الشرك. وعنه الجبت الاصنام وعن الشعبي الجبت الكاهن. وعن ابن عباس الجبت حيي بن أخطب. وعن مجاهد الجبت كعب بن الأشرف وقال العلامة أبو نصر ابن اسماعيل بن حماد الجوهري في كتابه الصحاح: الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك. وفي الحديث «الطيرة والعيافة والطرق من الجبت» قال وليس هذا من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذي نفي. وهذا الحديث الذي ذكره الامام احمد في مسنده فقال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف بن حيان أبو العلاء حدثنا قطن ابن قبيصة عن أبيه وهو قبيصة بن مخارق انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت» وقال عوف: العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط في الارض والجبت قال الحسن رنة الشيطان وهكذا رواه أبو داود في سننه والنسائي وابن أبي حاتم في تفسيره من حديث عوف الاعرابي به. وقد تقدم الكلام على الطاغوت في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته هنا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا اسحق بن الضيف حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله انه سئل عن الطواغيت فقال: هم كهان تنزل عليهم الشياطين وقال مجاهد: الطاغوت الشيطان في صورة انسان يتحاكمون اليه وهو صاحب أمرهم وقال الامام مالك: هو كل ما يعبد من دون الله عز وجل وقوله (ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلاً) أي يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم، وقلة دينهم، وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم. وقد روى ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة قال جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف الى أهل مكة فقالوا لهم أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد ابن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن عوف العبدي عن حيان عن قطن بن قبيصة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «العيافة والطرق والطيرة من الجبت» وقيل الجبت كل ما حرم الله والطاغوت كل ما يظفى الانسان ﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلاً﴾ قال المفسرون خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكباً من اليهود الى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتقصوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقال أهل مكة انكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرأ منكم فان أردتم ان نخرج معكم

محمد فقالوا ما أنتم وما محمد فقالوا نحن نصل الارحام ، وننحر الكوماء ، ونسقي الماء على الابن ، ونفك العاني ، ونسقي الحجيج ومحمد صنبور قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجيج من غفار فنحن خير أم هو ؟ فقالوا أنتم خير وأهدى سبيلاً فانزل الله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً) الآية وقد روى هذا من غير وجه عن ابن عباس وجماعة من السلف . وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت قريش : ألا ترى هذا الصنبور المنبت من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة ، وأهل السقاية قال أنتم خير قال فنزلت فيهم (ان شأنك هو الأبر) ونزل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب - الى - نصيراً) وقال ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كان الذين حزبوا الاحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة حيي بن أخطب وسلام بن الحقيق وأبو رافع والربيع بن أبي الحقيق وأبو عامر ووحوش بن عامر وهودة بن قيس . فأما وحوش وأبو عامر وهودة فمن بني وائل وكلف سائرهم من بني النضير فلما قدموا على قريش قالوا هؤلاء أخبار يهود وأهل العلم بالكتب الاول فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد ؟ فسالوهم فقالوا دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه ومن اتبعه فانزل الله عز وجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) الى قوله عز وجل (واتيناكم ملكاً عظيماً) وهذا لعن لهم وإخبار بأنهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة لانهم انما ذهبوا يستنصرون بالمشركين وانما قالوا لهم ذلك ليستميلوهم الى نصرتهم وقد أجابوهم وجاؤا معهم يوم الاحزاب حتى حفر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حول المدينة الخندق فكفى الله شرهم (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً)

فاسجدوا للذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى ﴿ يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ ثم قال كعب : لأهل مكة ليحيي منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنزلت أ كبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال أبو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لانعلم فاينا أهدى طريقاً نحن أم محمد ؟ قال كعب أعرضوا علي دينكم فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ، ونسقيهم الماء ، ونقري الضيف ونفك العاني ، ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ، ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد حديث فقال كعب : أنتم والله أهدى سبيلاً مما عليه محمد وأصحابه فانزل الله تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) يعني كعباً وأصحابه يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني الصنمين ويقولون للذين كفروا أبي سفيان وأصحابه هؤلاء أهدى من الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم (سبيلاً) ديناً ﴿ أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يَأْتُونَ النَّاسَ تَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا (٥٤) فَهُمْ مِنْ آمِنٍ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥)

يقول تعالى أم لهم نصيب من الملك وهذا استفهام انكار أي ليس لهم نصيب من الملك ثم وصفهم بالبخل فقال فإذا لا يأتون الناس تقيراً أي لأنهم لو كان لهم نصيب في الملك والتصرف لما أعطوا أحداً من الناس ولا سيما محمداً صلى الله عليه وسلم شيئاً ولا ما يملأ التقير وهو النقطة التي في النواة في قول ابن عباس والآتين أكثرين . وهذه الآية كقوله تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لامسكم خشية الانفاق) أي خوف أن يذهب ما بأيديكم مع أنه لا يتصور نفاذه وإنما هو من بخلكم وشحكم ولهذا قال تعالى (وكان الإنسان قتوراً) أي بخيلاً ثم قال (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) يعني بذلك حسدهم النبي صلى الله عليه وسلم على ما رزقه الله من النبوة العظيمة ، ومنعهم من تصديقهم إياه حسدهم له لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل . وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا يحيى الحناني حدثنا قيس بن الربيع عن السدي عن عطاء عن ابن عباس في قوله (أم يحسدون الناس) الآية قال ابن عباس نحن الناس دون الناس قال الله تعالى (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً) أي فقد جعلنا في أسباط بني إسرائيل الذين هم من ذرية إبراهيم النبوة وأنزلنا عليهم الكتب وحكموا فيهم بالسنة وهي الحكمة وجعلنا منهم

قوله تعالى (أم لهم) يعني لهم والميم صلة (نصيب) حظ (من الملك) وهذا على جهة الانكار يعني ليس لهم من الملك شيء ولو كان لهم من الملك شيء (فإذا لا يأتون الناس تقيراً) لحسدكم وبخلكم . التقير النقطة التي تكون في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ، وقال أبو العالية هو نقر الرجل الشيء بطرف أصبعه كما ينقر الدرهم (أم يحسدون الناس) يعني اليهود يحسدون الناس قال قتادة المراد بالناس العرب حسدهم اليهود على النبوة ، وما أكرمهم الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم . وقيل أراد محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والمراد بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده حسدوه على ما أحل الله له من النساء وقالوا ماله هم إلا النكاح وهو المراد من قوله (على ما آتاهم الله من فضله) وقيل : حسدوه على النبوة وهو المراد من الفضل المذكور في الآية (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة) أراد بآل إبراهيم داود وسليمان وبالكتاب ما أنزل الله إليهم ، وبالحكمة النبوة (وآتيناهم ملكاً عظيماً) فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان عليهما السلام بكثرة النساء فإنه كان لسليمان ألف امرأة ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية وكان لداود مائة امرأة ولم يكن يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تسع نسوة فلما قال لهم ذلك سكتوا قال الله تعالى (فمنهم من آمن به)

الملوك ومع هذا فمنهم من آمن به أي بهذا الايتاء، وهذا الانعام ومنهم من صد عنه أي كفر به، وأعرض عنه وسعى في صد الناس عنه، وهو منهم ومن جنسهم أي من بني اسرائيل فقد اختلفوا عليهم فكيف بك يا محمد ولست من بني اسرائيل؟ وقال مجاهد: فمنهم من آمن به أي بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من صد عنه فالكفرة منهم أشد تكذيباً لك، وأبعد عما جئتم به من الهدى، والحق المبين ولهذا قال متوعداً لهم (وكفى بجهنم سعيراً) أي وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب الله ورسله

(إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، إن الله كان عزيزاً حكيماً (٥٦) والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، لهم فيها أزواج مطهرة، وندخلهم ظلالاً ظليلاً (٥٧))

يخبر تعالى عما يعاقب به في نار جهنم من كفر بآياته، وصد عن رسله فقال (إن الذين كفروا بآياتنا) الآية، أي ندخلهم فيها دخولا يحيط بجميع أجزائهم. ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونسكالم فقال (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) قال الأعشى عن ابن عمر: إذا احترقت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها بيضاء أمثال القراطيس. رواه ابن أبي حاتم، وقال يحيى بن يزيد الحضرمي انه بلغه في الآية قال: يجعل للكافر مائة جلد بين كل جلدتين لون من العذاب. رواه ابن أبي حاتم، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن هشام عن الحسن قوله (كلما نضجت جلودهم) الآية قال: تنضجهم في اليوم سبعين الف مرة قال حسين وزاد فيه فضيل عن هشام عن الحسن (كلما نضجت جلودهم) قيل لهم: عودوا فعادوا. وقال

يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ومنهم من صد عنه﴾ أعرض عنه ولم يؤمن به ﴿وكفى بجهنم سعيراً﴾. وقودا وقيل الملك العظيم ملك سليمان وقال السدي الهاء في قوله من آمن به وصد عنه راجعة إلى إبراهيم وذلك أن إبراهيم زرع ذات سنة وزرع الناس فهلك زرع الناس وزكا زرع إبراهيم عليه السلام فاحتاج إليه الناس فكان يقول من آمن بي أعطيته فمن آمن به أعطاه ومن لم يؤمن به منعه. قوله تعالى ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا﴾ ندخلهم نارا ﴿كلما نضجت﴾ أحرقت ﴿جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾ غير الجلود المحترقة قال ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلودا بيضاء كأمثال القراطيس وروي أن هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال عمر للقاري: أعدها فاعادها وكنت عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا أخبرنا عبد

(١) هو لقب له
كافي التقريب

أيضاً ذكر عن هشام بن عمار حدثنا سعيد بن يحيى (يعني سعدان^(١)) حدثنا نافع مولى يوسف السلمي البصري عن نافع عن ابن عمر قال: قرأ رجل عند عمر هذه الآية (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها) فقال عمر: أعدّها عليّ، فأعادها، فقال معاذ بن جبل: عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة. فقال عمر: هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد رواه ابن مردويه عن محمد بن أحمد بن إبراهيم عن عبدان بن محمد المروزي عن هشام بن عمار به، ورواه من وجه آخر بألفظ آخر فقال: حدثنا محمد بن اسحق عن عمران حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحرث حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا نافع أبوهر عن حدثنا نافع عن ابن عمر قال: تلا رجل عند عمر هذه الآية (كلما نضجت جلودهم) الآية قال فقال عمر: أعدّها عليّ وسمّ كعب فقال يا أمير المؤمنين أنا عندي تفسير هذه الآية قرأتها قبل الاسلام قال فقال: هاتها يا كعب فان جئت بها كما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقك وإلا لم أنظر اليها، فقال: إني قرأتها قبل الاسلام كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرة. فقال عمر: هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الربيع بن أنس: مكتوب في الكتاب الاول ان جلد أحدهم أربعون ذراعاً وسنه سبعون ذراعاً وبطنه لو وضع فيه جبل لوسعه فاذا أكلت النار جلودهم بدلوا جلوداً غيرها. وقد ورد في الحديث ما هو أبليغ من هذا، فقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا أبو يحيى الطويل عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يعظم أهل النار في النار حتى ان بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعة أعوام، وان غلظ جلده سبعون ذراعاً، وان ضرسه مثل أحد» تفرد به أحمد عن هذا الوجه، وقيل المراد بقوله (كلما نضجت جلودهم) أي سراويلهم. حكاه ابن جرير وهو ضعيف لأنه خلاف

الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا معاذ ابن أسيد أنا الفضل بن موسى أنا الفضيل عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ص) قال «ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع» أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر ابن محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا شرح بن يونس أنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح عن هرون بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ضرر الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام» فان قيل كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعصه قيل يعاد الجلد الاول في كل مرة وانما قال: جلوداً غيرها لتبديل صفتها كما تقول صنعت من خاتمي خاتماً غيره فالخاتم الثاني هو الاول الا ان الصناعات والصفات تبدلت وكن يترك أخاه صحيحاً ثم بعد مدة يراه مريضاً دنفاً فيقول: أنا غير الذي عهدت وهو عين الاول الا أن صفته تغيرت. وقال السدي يبدل الجلد جلداً غيره من لحم الكافر ثم يعاد الجلد لخاتم يخرج من اللحم جلد آخر. وقيل يعذب الشخص في الجلد لا الجلد بدليل انه قال ليدوقوا

الظاهر . وقوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) هذا إخبار عن مآل السعداء في جنات عدن التي تجري فيها الأنهار في جميع فجائها ، ومحالها وأرجائها حيث شاؤوا ، وأين أرادوا وهم خالدون فيها أبداً لا يحولون ولا يزولون ، ولا ييغون عنها حولا وقوله (لهم فيها أزواج مطهرة) أي من الحيض والنفاس والأذى والأخلاق الرذيلة ، والصفات الناقصة كما قال ابن عباس : مطهرة من الأقدار والأذى . وكذا قال عطاء والحسن والضحاك والنخعي وأبو صالح وعطية والسدي . وقال مجاهد : مطهرة من البول والحيض والنخام والبزاق والمني والولد وقال قتادة : مطهرة من الأذى والمآثم ولا حيض ولا كلف . وقوله (سندخلهم ظلا ظليلا) أي ظلا عميقا كثيرا غزيرا طيبا أنيقا ، قال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن وحدثنا ابن المنني حدثنا ابن جعفر قال حدثنا شعبة قال : سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها — شجرة الخلد »

(ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعمًا يعظمكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا (٥٨))

يخبر تعالى انه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها . وفي حديث الحسن عن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك » رواه الامام أحمد وأهل السنن وهو يعنى جميع الامانات الواجبة على الانسان من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلاة والزكاة والصيام الكفارات والتذورات وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد ، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما ياتمون به من غير اطلاع بينة على ذلك فأمر الله عز وجل بأدائها فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة كما ثبت في الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

العذاب ولم يقل لتذوق . وقال عبد العزيز بن يحيى : ان الله عز وجل يلبس أهل النار جلوداً لا تألم فيكون زيادة عذاب عليهم كلما احترق جلد بدلهم جلد غيره كما قال (سراييلهم من قطران) فالسراييل تؤلمهم وهي لا تألم قوله تعالى ﴿ ليسذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما : والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً . لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ﴾ كئينا لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم حر ولا برد

قوله تعالى ﴿ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ نزلت في عثمان بن طلحة الحبشي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل إنه مع عثمان فطلبه منه رسول الله فأنى . وقال لوعلمت انه رسول الله لم أمنع المفتاح . فلوى علي رضي الله عنه يده فأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله

عليه وسلم قال « لتؤذن الحقوق إلى أهلها حتى يقتص للساة الجاء من القرناء » وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد ابن اسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود قال : ان الشهادة تكفر كل ذنب إلا الامانة يؤتى بالرجل يوم القيامة وان كان قد قتل في سبيل الله فيقال أد أمانتك فيقول فأنى أؤديها وقد ذهبت الدنيا ؟ فتمثل له الامانة في قعر جهنم فيهبى اليها فيحملها على عاتقه ، قال فنزل عن عاتقه فيهبى على آرها ابدالآ بدبن . قال زاذان فأثبت البراء لحدثته فقال صدق أخى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وقال سفيان الثوري عن ابن أبي ليلى عن رجل عن ابن عباس في الآية قال : هي مبهمة للبر والفاجر ، وقال محمد بن الحنفية هي عامة ^(١) للبر والفاجر وقال أبو العالمة : الأمانة ما أمروا به ونهوا عنه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : قال أبي بن كعب من الأمانات ان المرأة ائتمنت على فرجها ، وقال الربيع ابن أنس هي من الأمانات فيما بينك وبين الناس . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) قال : قال يدخل فيه وعظا السلطان النساء (يعني يوم العيد) وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزات في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي البصري حاجب الكعبة المعظمة وهو ابن عم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة الذي صارت الحجابة في نسله إلى اليوم ، أسلم عثمان هذا في الهدنة بين صلح الحديبية وفتح مكة هو وخالد بن الوليد وعمر بن العاص ، وأما عمه عثمان ابن طلحة بن ابي طلحة فكان معه لواء المشركين يوم أحد وقتل يومئذ كافراً ، وانما نهينا على هذا النسب لأن كثيراً من المفسرين قد يشبهه عليه هذا بهذا ، وسبب نزولها فيه لما أخذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده عليه . وقال محمد بن اسحق في غزوة الفتح حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن ابي ثور عن صفية بنت شيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بمكة واطمان الناس خرج حتى جاء الى البيت فطاف به سبعا على راحته يستلم الركن بمحجن في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها

صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأل العباس المفتاح ان يعطاه ويجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه . ففعل ذلك علي رضي الله عنه فقال له عثمان أكرهت وأذيت ثم جئت ترفق . فقال علي : لقد أنزل الله في شأنك قرآنا . وقرأ عليه الآية فقال عثمان : أشهد أن لا إله الا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله وأسلم وكان المفتاح معه فلما مات دفعه الى أخيه شيبة فالف مفتاح والسدانة في أولادهم الى يوم القيامة . وقيل المراد من الآية جميع الامانات أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزرادي أنا أبو بكر محمد بن إدريس الجرجاني وأبو أحمد بن محمد ابن أحمد المعلم الهروي قال أنا أبو الحسن علي بن عيسى المسالبي أنا الحسن بن سفيان النسوي

حمامة من عيدان فكسرها بيده ، ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس في المسجد قال ابن اسحق فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال « لا إله الا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة ، أو دم ، أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت ، وسقاية الحاج » وذكر بقية الحديث في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ إلى أن قال : ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له فقال له « هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم وفاء وبر » قال بن جرير حدثني القاسم حدثنا الحسين عن حجاج عن ابن جريج في الآية قال نزلت في عثمان بن طلحة قبض منه رسول الله (ص) مفتاح الكعبة فدخل في البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) الآية فدعا عثمان اليه فدفع اليه المفتاح قال : وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة وهو يتلو هذه الآية (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) فداء أبي وأمي ماسمعه يتلوها قبل ذلك . حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا الزنجي بن خالد عن الزهري قال : دفعه اليه وقال : أعينوه . وروى ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله عز وجل (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دعا عثمان بن طلحة فلما أتاه قال « أرني المفتاح » فأنا به ، فلما بسط يده اليه قام اليه العباس قال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرني المفتاح يا عثمان » فبسط يده يعطيه ، فقال العباس مثل كلمته الأولى فكف عثمان يده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عثمان إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهاته » فقال هاك بأمانة الله قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح باب الكعبة فوجد في الكعبة تمثال ابراهيم عليه الصلاة والسلام معه قداح يستقسم بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما للمشركين

أنا شيان بن أبي شيبة أخبرنا أبو هلال عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال فلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » قوله تعالى ﴿ واذكركم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ أي بالقسط ﴿ ان الله نعماء ﴾ أي نعم الشيء ، الذي يعظكم به ﴿ ان الله كان سميعاً بصيراً ﴾ أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد ابن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الزياتي أنا حميد أنا حميد بن زنجويه أنا بن عباد أنا بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال « المقسطون عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن ، وكلنا بيده يمين

قاتلهم الله ، وما شأن ابراهيم وشأن القداح ، ثم دعا بجفنة فيها ماء ، فأخذ ماء فغمسه فيه ، ثم غمس به تلك التماثيل وأخرج مقام ابراهيم وكان في الكعبة فألزقه في حائط الكعبة ، ثم قال « يا أيها الناس هذه القبلة » قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت شوطاً أو شوطين ، ثم نزل عليه جبريل فيما ذكر لنا برد المفتاح ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها حتى فرغ من الآية » وهذا من المشهورات أن هذه الآية نزلت في ذلك وسواء كانت نزلت في ذلك أو لا فحكمها عام ، ولهذا قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية هي للبر والفاجر أي هي أمر لكل أحد . وقوله (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس ، ولهذا قال محمد بن كعب وزيد بن أسلم وشهر بن حوشب أن هذه الآية أنما نزلت في الامراء يعني الحكماء بين الناس ، وفي الحديث « ان الله مع الحاكم مالم يجر ، فإذا جار وكله إلى نفسه » وفي الأثر « عدل يوم كعبادة أربعين سنة »

وقوله (ان الله نعماً يعظكم به) أي يأمركم به من اداء الامانات ، والحكم بالعدل بين الناس وغير ذلك من أوامره وشرائعه الكاملة العظيمة الشاملة ، وقوله تعالى (إن الله كان سميعاً بصيراً) أي سميعاً لأقوالكم ، بصيراً بأفعالكم كما قال ابن ابي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا عبد الله بن هبة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة ابن عامر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية (سميعاً بصيراً) يقول بكل شيء بصير ، وقد قال ابن ابي حاتم حدثنا يحيى القزويني أنبأنا المقرئ يعني أبا عبد الرحمن عبد الله بن يزيد حدثنا حرمة يعني بن عمران التميمي المصري حدثني أبو يونس سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) الى قوله (إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً) ويضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه ويقول : هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها ويضع أصبعيه ، وقال أبو زكريا وصفه لنا المقرئ ووضع أبو زكريا إبهامه اليمنى على عينه اليمنى ، والتي تليها على الاذن اليمنى وأرانا فقال هكذا وهكذا . رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه ، وابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ بإسناده نحوه . وأبو يونس هذا مولى أبي هريرة واسمه سليم بن جبير

هم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا عبد الرحمن ابن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أحب الناس الى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً أمام عادل ، وأن أبغض الناس الى الله يوم القيامة وأشد هم عذاباً أمام جائر »

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنزعتكم في شيء فرُدُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ٥٩)

قال البخاري حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) قال نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وهكذا أخرجه بقيه الجماعة إلا ابن ماجه من حديث حجاج بن محمد الأعور به ، وقال الترمذي حديث حسن غريب ولا نعرفه إلا من حديث ابن جريج ، وقال الامام احمد : حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السامي عن علي قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلاً من الانصار ، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء قال : فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا بلى ، قال فاجمعوا لي خطباً ، ثم دعا بنار فاضرمها فيه ، ثم قال : عزمت عليكم لتدخلنها ، قال : فقال لهم شاب منهم انما فررتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فلا تعجلوا حتى تأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان أمركم أن تدخلوها فادخلوها ، قال فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال لهم «لودخلتموها ماخرجتم منها أبداً ، انما الطاعة في المعروف » أخرجه في الصحيحين من حديث الاعمش به . وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله حدثنا نافع عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وأخرجه من حديث يحيى القطان . وعن عبادة بن الصامت قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله قال « إلا ان تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان » أخرجه وفي الحديث

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ اختلفوا في أولى الأمر قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهم : هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد - دليله قوله تعالى (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وقال أبو هريرة هم الامراء والولاة وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : حق على الامام أن يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ، ويطيعوا اخبرنا أبو علي حسان بن سعد المنيعي انا ابو طاهر محمد بن محمد بن محمض الزياتي انا أبو بكر محمد بن الحسين القطان انا أحمد بن يوسف السلمي انا عبد الرزاق انا معمر عن همام ابن منبه انا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن

الآخر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اسمعوا وأطيعوا ، وإن أمر عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة » رواه البخاري . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي أن « أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجذوع الأطراف » رواه مسلم ، وعن أم الحصين أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع يقول « ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا له وأطيعوا » رواه مسلم ، وفي لفظ له « عبداً حبشياً مجذوعاً » وقال ابن جرير حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثنا ابن أبي فديك حدثني عبد الله بن محمد بن عروة عن هشام بن عروة عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « سيلكم ولاية بعدى فيليكم البر بیره والغاجر بفجوره ، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق ، وصلوا وراهم ، فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساؤا فلكم وعليهم » وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء . كلما هلك نبي خلفه نبي ، وأنه لا نبي بعدى وسيكون خلفاء فيكثرون ، قالوا يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال أوفوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم » أخرجه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر ، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية » أخرجه . وعن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لائحة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » رواه مسلم . وروى مسلم أيضاً عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال : دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه فأتيتهم فجلست إليه فقال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فزلنا منزلنا فمننا من يصلح خبائه ، ومننا من ينتضل ، ومننا من هو في جشره ^(١) إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله (ص) فقال : إنه لم يكن نبي من قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمهم ، وينذرهم شر ما يعلمهم ، وأن هذه الأمة جعلت عافيتها في أولها ،

(١) أصل الجشور
الدواب ترعى في
مكان وتبيت فيه ، اهـ

عصاتي فقد عصى الله . ومن بطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسدد أنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله حدثني نافع عن عبد الله رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو اسحق إبراهيم ابن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد أخبرني عباد بن الوليد ابن عباد أن أباه أخبره عن عباد بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلى آثره علينا وعلى أن لا ننازع الأمر ، أهله وعلى أن نقول

وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها، وتنجي، فمن يرفق بعضها بعضاً، وتنجي، الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتنجي، الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر، قال فدوت منه فقلت: أنشدك بالله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال: سمعته أذناي، ووعاه قلبي، فقلت له: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، ونقتل أنفسنا والله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) قال فسكت ساعة ثم قال: أطيعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله. والاحاديث في هذا كثيرة. وقال ابن جرير حدثنا محمد بن الحسين حدثنا أحمد بن الفضل حدثنا أسباط عن السدي في قوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عليها خالد بن الوليد وفيها عمار بن ياسر فساروا قبل القوم الذين يريدون فلما بلغوا قريباً منهم عرسوا وأتاهم ذوا العينتين فأخبرهم فأصبحوا وقد هربوا غير رجل أمر أهله فجمعوا متاعهم، ثم أقبل يمشي في ظلمة الليل حتى أتى عسكر خالد فسأل عن عمار بن ياسر فأتاه فقال: يا أبا اليقظان أتني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإن قومي لما سمعوا بك هربوا واني بقيت فهل إسلامي نافعي غداً وإلا هربت؟ قال عمار بل هو ينفعك فأقم فأقام، فلما أصبحوا أغار خالد فلم يجد أحداً غير الرجل فأخذه وأخذ ماله فبلغ عماراً الخبر فأتى خالداً فقال: خلّ عن الرجل فإنه قد أسلم وإنه في أمان مني، فقال خالد: وفيه أنت تحير؟ فاستبأ وارفعنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأجاز أمان عمار ونهاه أن يحير الثانية على

بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم. أخبرنا أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبيد الله بن أحمد القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردي أنا أبو بكر أحمد بن محمد بن همدان الصيرفي أنا محمد بن يونس الكديمي قال أخبرنا أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي التياح عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر «اسمع وأطع ولو لعبد حبشي كان رأسه زينة» أخبرنا أبو عثمان سعيد ابن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد بن عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس أنا محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا موسى بن عبد الرحمن الكندي أنا زيد بن الحباب أنا معاوية بن صالح حدثني سليم بن عامر قال سمعت أبا أمامة رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في خطبة الوداع فقال «أتقوا الله وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم» وقيل المراد أمراء السرايا أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الملبحي أنا أحمد ابن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا صدقة بن الفضل أنا حجاج بن محمد

أمير فاستبأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد : يا رسول الله أتترك هذا العبد الاجدع يسبني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا خالد لا تسب عماراً ، فإنه من سب عماراً يسبه الله ، ومن يبغض عماراً يبغضه الله ، ومن يلعن عماراً لعنه الله » فغضب عمار فقام فقتله خالد فأخذ بثوبه فاعتذر اليه فرفض عنه فأنزله الله عز وجل قوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن طريق عن السدي مرسل ، ورواه ابن مردويه من رواية الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس فذكره بنحوه والله أعلم . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وأولي الأمر منكم) يعني أهل الفقه والدين ، وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن البصري وأبو العالية (وأولي الأمر منكم) يعني العلماء ، والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء كما تقدم . وقال تعالى (لولا إنيهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت) وقال تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وفي الحديث الصحيح المتفق على صحته عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصى أميري فقد عصاني » فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء ، ولهذا قال تعالى (أطيعوا الله) أي اتبعوا كتابه (وأطيعوا الرسول) أي خذوا بسنته (وأولي الأمر منكم) أي فيما أمرهم به من طاعة الله لا في معصية الله ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما تقدم في الحديث الصحيح « إنما الطاعة في المعروف » وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن حدثناهما حدثنا قتادة عن ابن حريث عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا طاعة في معصية الله » وقوله (فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) قال مجاهد وغير واحد من السلف أي إلى كتاب الله وسنة رسوله . وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه

عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (اطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولي الأمر منكم) قال نزلت في عبيد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية . وقال عكرمة أراد بأولي الأمر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما . حدثنا أبو المظفر محمد بن احمد التيمي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم أخبرنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الاطرابلسي أنا أبو عمرو بن أبي غزرة بالكوفة أخبرنا ثابت بن موسى العابد عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني لا أدرى ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما » وقال عطاء هم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان بدليل قوله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) الآية . أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن احمد بن الحرث أنا محمد بن يعقوب الكسائي . قال أخبرنا عبد الله بن محمود أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله الخلال . أنا

من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك الى الكتاب والسنة كما قال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله) فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق ، وماذا بعد الحق الا الضلال ، ولهذا قال تعالى (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي ردوا الخصومات والجهالات الى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا اليها فيما شجر بينكم (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع الى الكتاب والسنة ولا يرجع اليها في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر وقوله (ذلك خير) أي التحاكم الى كتاب الله وسنة رسوله ، والرجوع اليها في فصل النزاع خير (وأحسن تأويلاً) أي وأحسن عاقبة ومآلاً كما قاله السدي وغير واحد. وقال مجاهد : وأحسن جزاء وهو قريب

(ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضللاً بعيداً (٦٠) وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً (٦١) فكيف إذا أصبتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان أردنا الا احسننا وتوفيقاً (٦٢) أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظّمهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً (٦٣)

هذا انكار من الله عز وجل على من يدعي الايمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين

عبد الله بن المبارك عن اسماعيل المكي عن الحسن بن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل أصحابي في أمتي كالملاح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملاح » قال الحسن قد ذهب ملحننا فكيف نصلح

قوله عز وجل ﴿ فان تنازعتم في شئ فمن دينكم ﴾ أي اختلفتم في شئ من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء وأصله من النزاع فكان المتنازعين يتجادبان ويتمانعان ﴿ فردوه الى الله والرسول ﴾ أي الى كتاب الله والى رسوله مادام حياً وبعد وفاته الى سنته والرد الى الكتاب والسنة واجب ان وجد فيهما ، فان لم يوجد فسيبيله الاجتهاد. وقيل الرد الى الله تعالى والرسول ان يقول للملا يعلم : الله ورسوله أعلم ﴿ ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك ﴾ أي الرد الى الله والرسول ﴿ خير وأحسن تأويلاً ﴾ أي أحسن مآلاً وعاقبة قوله تعالى ﴿ ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ﴾ الآية قال الشعبي كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي تتحاكم الى محمد لانه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ولا يميل في الحكم ، وقال المنافق تتحاكم الى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ويميلون في الحكم فانفقا على أن يأتيا كاهنا في جبيته فيتحاكما

وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات الى غير كتاب الله وسنة رسوله كما ذكر في سبب نزول هذه الآية انها في رجل من الانصار، ورجل من اليهود تخاصما فجعل اليهودي يقول بيني وبينك محمد، وذلك يقول بيني وبينك كعب بن الاشرف . وقيل في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الاسلام أرادوا أن يتحاكموا الى حكم الجاهلية . وقيل غير ذلك والآية أعم من ذلك كله فانها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا الى ماسواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا ولهذا قال (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) الى آخرها . وقوله (ويصدون عنك صدوداً) أي يعرضون عنك اعراضاً كالستكبرين عن ذلك كما قال تعالى عن المشركين (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) وهؤلاء بخلاف المؤمنين الذين قال الله فيهم (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) الآية

اليه فنزلت هذه الآية قال جابر : كانت الطواغيت التي يتحاكمون اليها واحد في جبهة ، وواحد في أسلم وفي كل حي واحد كهان وقال السكابي عن أبي صالح وابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة . فقال اليهودي نطلق الى محمد، وقال المنافق بل الى كعب ابن الاشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت فأبى اليهودي ان يخاضعه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه الى محمد صلى الله عليه وسلم ففضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرج من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر رضي الله عنه . فأتيا عمر فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا الى محمد ففضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه يخاضع اليك فقال عمر رضي الله عنه للمنافق: أ كذالك؟ قال نعم قال لهما رويدا كما حتى أخرج اليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف وأشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا أقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية . وقال جبريل : إن عمر رضي الله عنه فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق . وقال السدي كان ناس من اليهود أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية إذا قتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به أو أخذ دية مائة وسق تمر ، وإذا قتل رجل من بني النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى دية ستين وسقا، وكانت النضير وهم حلفاء الأوس أكثر وأشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج . فلما جاء الله بالاسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاخصموا في ذلك فقالت بنو النضير كنا وأنتم قد اصطلمنا على أن نقتل منكم ولا تقتلون منا ، وديتكم ستون وسقا ، وديتنا مائة وسق فنحن نعطيكم ذلك . فقالت الخزرج هذا شئ . كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم وقتلتنا فقهرتمونا ونحن وأنتم اليوم إخوة، وديننا ودينكم واحد فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم انطلقوا الى أبي بردة السكافي الاسلمي . وقال المسلمون من الفريقين لا بل الى النبي صلى الله عليه وسلم

ثم قال تعالى في ذم المنافقين (فكيف اذا اصابهم مصيبة بما قدمت ايديهم) اي فكيف بهم اذا ساقهم المقادير اليك في مصائب تطرقهم بسبب ذنوبهم، واحتاجوا اليك في ذلك (ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا) اي يعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بذهابنا الى غيرك، وتحاكنا الى أعدائك الا الاحسان والتوفيق أي المدارة والمصانعة لا اعتقاداً منا صحة تلك الحكومة كما أخبر تعالى عنهم في قوله (قترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نحشى - الى قوله - فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) وقد قال الطبراني حدثنا أبو زيد أحمد بن يزيد الحوطي حدثنا أبو اليمان حدثنا صفوان بن عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال كان أبو هريرة الأسلمي كلنا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه فتنافر اليه ناس من المشركين فأنزل الله عز وجل (ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك - الى قوله - ان اردنا الا احسانا وتوفيقا)

ثم قال تعالى (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) هذا الضرب من الناس هم المنافقون والله يعلم ما في قلوبهم وسيجزئهم على ذلك فانه لا تخفى عليه خافية فاكتم به يا محمد فيهم فانه عالم بظواهرهم وبواطنهم. ولهذا قال له (فأعرض عنهم) اي لاتعنهم على ما في قلوبهم (وعظمهم) اي وانهم عما في

فأبى المنافقون وانطلقوا الى أبي بردة ليحكم بينهم. فقال أعظموا اللقمة يعني الحظ. فقالوا لك عشرة أوسق قال: لابل مائة وسق ديتي فأبوا أن يعطوه الا عشرة أوسق وأبى أن يحكم بينهم فأنزل الله تعالى آية القصاص وهذه الآية (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت) يعني الى أبي بردة الكاهن أو كعب بن الأشرف (وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا. وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله الى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) أي يعرضون عنك اعراضا (فكيف اذا اصابهم مصيبة) هذا وعيد أي فكيف يصنعون اذا اصابهم مصيبة (بما قدمت ايديهم) يعني عقوبة صدودهم. وقيل هي كل مصيبة تصيب جميع المنافقين في الدنيا والآخرة. وتم الكلام ههنا ثم عاد الكلام الى ماسبق بخير عن فعلهم فقال (ثم جاؤك) يعني يتحاكمون الى الطاغوت ثم جاؤك أي يجيئونك يحلفون وقيل أراد بالمصيبة قبل عمر رضى الله عنه المنافق ثم جاؤا يطلبون ديتهم (يحلفون بالله ان اردنا) ما اردنا بالعدول عنه في الحاكمة أو بالتراجع الى عمر (إلا احسانا وتوفيقا) قال السكبي الا احسانا في القول وتوفيقا وصوابا. وقال ابن كيسان حقا وعدلا نظيره (وليحلفن ان اردنا الا الحسنى) وقيل هو احسان بعضهم الى بعض وقيل هو تقريب الامر من الحق لا القضاء على مر الحكم والتوفيق هو موافقة الحق وقيل هو التأليف والجمع بين الخصمين (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) من النفاق أي علم ان ما في قلوبهم خلاف ما في ألسنتهم (فأعرض عنهم) أي عن عقوبتهم وقيل فأعرض عنهم عن قبول عذرهم وعظمهم

قلوبهم من النفاق وسراير الشر (وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) أي وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم

(وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكِّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) (٦٥)

يقول تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع) أي فرضت طاعته على من أرسله إليهم وقوله (بأذن الله) قال مجاهد أي لا يطيع أحد إلا بأذني يعنى لا يطيعه إلا من وفقه لذلك كقوله (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بأذنه) أي عن أمره وقدره ومشئته وتسليطه إياكم عليهم ، وقوله (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) الآية ، يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم فانهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال (لوجدوا الله تواباً رحيماً) وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ^(١) في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتيبي قال : كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) وقد جئتكم مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي . ثم أنشأ يقول

ياخير من دُفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبن القاء والأكم

نفسى الغداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال : يا عتيبي إلهق الأعرابي فبشره ان الله قد غفر له «

باللسان ﴿ وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ﴾ قيل هو التخويف بالله وقيل أن يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا قال الحسن القول البليغ أن يقول لهم ان أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لانه يبلغ من نفوسكم كل مبلغ وقال الضحاك فاعرض عنهم وعظمهم في الملا وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً في السر والخلاء وقيل هذا منسوخ بآية القتال .

قوله عز وجل ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله ﴾ أي بأمر الله لان طاعة الرسول وجبت بأمر الله قال الزجاج ليطاع بأذن الله لان الله قد أذن فيه وأمر به وقيل (إلا ليطاع) كلام تام كاف بأذن الله تعالى أي بعلم الله وقضائه أي وقوع طاعته يكون بأذن الله ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿ جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾

(١) في النسخة
الازهرية (أبو نصر
ابن الصباغ)

وقوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة انه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الاتقياد له باطناً وظاهراً ولهذا قال (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) أي اذا حكموك بطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به ويتقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد في الحديث « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن جعفر حدثنا معمر عن الزهري عن عروة قال : خاصم الزبير رجلاً في شراج الحرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك » فقال الانصاري : يا رسول الله أن كان ابن عمك ؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر ثم ارسل الماء الى جارك » فاستوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم حين احفظه الانصاري وكان أشار عليهما صلى الله عليه وسلم بأمر لهما فيه سعة ، قل الزبير : فما أحسب هذه الآية انزلت في ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية . هكذا رواه البخاري ههنا أعني في كتاب التفسير في صحيحه من حديث معمر ، وفي كتاب الشرب من حديث ابن جريج ومعمر أيضاً ، وفي كتاب الصالح من حديث شعيب بن أبي حمزة ثلاثتهم عن الزهري عن عروة فذكره وصورته صورة الارسال وهو متصل في المعنى وقد رواه الامام أحمد من هذا الوجه فصرح بالارسال فقال : حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة ابن الزبير أن الزبير كان يحدث انه كان يخاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بداراً الى النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة كان يستقيان به كلاهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير « اسق ثم ارسل الى جارك » فغضب الانصاري وقال : يا رسول الله أن كان ابن عمك ؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر » فاستوعى النبي صلى

قوله تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك ﴾ الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد ابن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا أبو اليمان انا شعيب عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير ان الزبير رضي الله عنه كان يحدث انه خاصم رجلاً من الانصار قد شهد بداراً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يستقيان به كلاهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري فقال يا رسول الله ان كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ حق الزبير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشار على الزبير برأى اراد سعة له وللانصاري فلما احفظ الانصاري رسول الله صلى

الله عليه وسلم للزبير حقه وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه سعة له وللانصاري فلما أحفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم ثم قال : قال عروة فقال الزبير والله ما أحسب هذه الآية نزلت الا في ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) هكذا رواه الامام أحمد وهو منقطع بين عروة وبين أبيه الزبير فإنه لم يسمع منه ، والذي يقطع به أنه سمعه من أخيه عبد الله فان أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم رواه كذلك في تفسيره فقال حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني الليث ويونس عن ابن شهاب ان عروة ابن الزبير حدثه ان عبد الله بن الزبير حدثه عن الزبير بن العوام انه خاصم رجلا من الانصار قد شهد بدرآ مع النبي صلى الله عليه وسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج في الحرة كانا يسقيان به كلاهما النخل ، فقال الانصاري : سرح الماء يمر فأبى عليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك » فغضب الانصاري وقال يا رسول الله ان كان ابن عمك ؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر » واستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه السعة له وللانصاري فلما أحفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى للزبير حقه في صريح الحكم ، فقال الزبير : ما أحسب هذه الآية الا في ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وهكذا رواه الترمذي من حديث ابن وهب به ورواه أحمد والجماعة كلهم من حديث الليث به وجعله اصحاب الأطراف في مسند عبد الله بن الزبير ، وكذا ساقه الامام أحمد في مسند عبد الله بن الزبير والله اعلم والعجب كل العجب من الحاكم ابي عبد الله النيسابوري فانه روى هذا الحديث من طريق ابن اخي ابن شهاب عن عمه عن عروة عن عبد الله بن الزبير عن الزبير فذكره ثم قال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه . فاني لا اعلم احداً اقام بهذا الاسناد عن الزهري بذكر عبد الله بن الزبير غير ابن اخيه وهو عنه ضعيف ، وقال ابو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن علي ابو دحيم حدثنا احمد بن حازم حدثنا الفضل بن دكين حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن سلمة رجل من آل ابي سلمة قال : خاصم الزبير رجلا الى النبي الله عليه وسلم استوعى للزبير حقه في صريح الحكم قال عروة قال الزبير والله ما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية وروى أن الانصاري الذي خاصم الزبير كان اسمه حاطب بن أبي بلتعة فلما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه فظن له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يهملونه في قضاء يقضي بينهم وأيم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى عليه السلام فدعانا موسى الى التوبة منه فقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا

صلى الله عليه وسلم فقضى للزبير فقال الرجل له: إنما قضى له لأنه ابن عمته فبرزت (فلا وربك لا يؤمنون) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو حيوة حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن سعيد بن المسيب في قوله (فلا وربك لا يؤمنون) قال نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة اختصا في ماء فقضى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستقي الأعلى ثم الأسفل هذا مرسل ولكن فيه فائدة تسمية الانصاري وذكر سبب آخر غريب جداً. قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود قال: اختصم رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى بينهما، فقال المقضي عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نعم انطلقا إليه» فلما أتيا إليه، فقال الرجل: يا ابن الخطاب قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا، فقال ردنا إلى عمر بن الخطاب فردنا إليك فقال أكذلك؟ قال نعم، فقال عمر: مكانكما حتى أخرج اليكما فاقضي بينكما، فخرج إليهما مشتملاً على سيفه فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله قتل عمر والله صاحبي ولولا أني أعجزته لقتلني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما كنت أظن أن يجترى عمر على قتل مؤمن» فأنزل الله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) الآية. فهدر دم ذلك الرجل وبرى عمر من قتله فكره الله أن يسن ذلك بعد، فأنزل (ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم) الآية، وكذا رواه ابن مردويه من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود به وهو أثر غريب مرسل، وابن لهيعة ضعيف والله أعلم

﴿طريق أخرى﴾ قال الخافظ أبو اسحق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم في تفسيره حدثنا شعيب بن شعيب حدثنا أبو المغيرة حدثنا عتبة بن ضمرة حدثني أبي أن رجلين اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى للمحق على المبطل، فقال المقضي عليه لا أرضى؟ فقال صاحبه فما تريد، قال أن نذهب إلى أبي بكر الصديق فذهبا إليه، فقال الذي قضى له: قد اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لي، فقال أبو بكر: أنما على ما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس: أما والله إن الله ليعلم مني الصدق ولو أمرني محمد أن أقتل نفسي لفعلت فأنزل الله في شأن حاطب بن أبي بلتعة (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) وقال مجاهد والشعبي نزلت في بشر المنافق واليهودي الذين اختصما إلى عمر رضي الله عنه قوله تعالى (فلا) أي ليس الأمر كما يزعمون أنهم مؤمنون ثم لا يرضون بحكمك ثم استأنف القسم (وربك لا يؤمنون) ويجوز أن يكون لا في قوله فلا صلة كما في قوله فلا أقسم (حتى يحكموك) أي يجعلوك حكماً ﴿فما شجر بينهم﴾ أي اختلف وأختلط من أمورهم والتبس عليهم حكمه ومنه الشجر لالتفاف أغصانه بعضها ببعض ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً﴾ قال مجاهد شكاً، وقال غيره ضيقاً

صاحبه أن يرضى ، فقال نأني عمر بن الخطاب ، فقال المقضى له : قد اختصمنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لي عليه فأبى أن يرضى ، فسأله عمر بن الخطاب فقال كذلك ، فدخل عمر منزله وخرج والسيف في يده قد سلله فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله ، فأ نزل الله (فلا وربك لا يؤمنون) الآية

(ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو أنهم

فعلوا ما وعظون به لكان خيرا لهم وأشد ثبثا (٦٦) وإذا لا تدينهم من لدنا أجر أعظيا (٦٧)

ولهدينهم صراطا مستقيما (٦٨) ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (٦٩) ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما (٧٠)

يخبر تعالى عن أكثر الناس أنهم لو أمروا بما هم مرتكبونه من المناهي لما فعلوه لأن طباعهم

ازديئة مجبولة على مخالفة الأمر وهذا من علمه تبارك وتعالى بما لم يكن أو كان فكيف كان يكون ،

ولهذا قال تعالى (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) الآية . قال ابن جرير حدثني المثنى حدثني

اسحق أبو الازهر عن اسماعيل عن أبي اسحق السبيعي قال : لما نزلت (ولو أنا كتبنا عليهم أن

اقتلوا أنفسكم) الآية قال رجل : لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا ، فبلغ ذلك النبي صلى الله

عليه وسلم فقال « ان من أمتي لرجال الايمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي » وقال ابن أبي

حاتم حدثنا جعفر بن منير حدثنا روح حدثنا هشام عن الحسن باسناده عن الاعمش قال : لما نزلت

(ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) الآية . قال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لو

فعل ربنا لفعلنا ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال « للايمان أثبت في قلوب أهل من الجبال الرواسي »

وقال السدي : افتخر ثابت بن قيس بن شماس ورجل من اليهود ، فقال اليهودي : والله لقد كتب

الله علينا القتل فقتلنا أنفسنا^(١) والله لو كتب علينا (أن اقتلوا أنفسكم) لفعلنا فأنزل الله هذه الآية

رواه ابن أبي حاتم . حدثنا أبي حدثنا محمود بن غيلان حدثنا بشر بن السري حدثنا مصعب بن ثابت

(مما قضيت) قال الضحاك أما أو يأمون بانكارهم ما قضيت (ويسلموا تسليما) أي

ينقادوا الى الأمر انقياداً .

قوله تعالى (ولو أنا كتبنا) أي فرضنا وأوجبنا (عليهم أن اقتلوا أنفسكم) كما أمرنا بني

إسرائيل (أو اخرجوا من دياركم) كما أمرنا بني إسرائيل بالخروج من مصر (ما فعلوه) معناه

ما كتبنا عليهم إلا طاعة الرسول والرضى بحكمه ولو كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور ما كان

يفعله (إلا قليل منهم) نزلت في ثابت بن قيس وهو من القليل الذي استثنى الله قال الحسن ومقاتل

لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من أصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم وهم القليل والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم

عن عمه عامر بن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت (ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو نزلت لكان ابن أم عبد منهم» وحدثنا أبي حدثنا أبو اليمان حدثنا اسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد قال: لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم) الآية، أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى عبد الله بن رواحة فقال «لو أن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل» يعني ابن رواحة ولهذا قال تعالى (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) أي ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به، وتركوا ما ينهون عنه (لكان خيراً لهم) أي من مخالفة الأمر وارتكاب النهي (وأشد توبيخاً) قال السدي. أي وأشد تصديقاً (وإذا لا يتناهم من لدنا) أي من عندنا (أجر عظيم) يعني الجنة (ولهديناهم صراطاً مستقيماً) أي في الدنيا والآخرة، ثم قال تعالى (ومن يقطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) أي من عمل بما أمره الله به ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقاً للأنبياء، ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلت سائرهم وعلائقتهم، ثم أتى عليهم تعالى فقال (وحسن أولئك رفيقاً) وقال البخاري حدثنا محمد بن عبد الله بن حوشب حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عروة عن عائشة قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «مامن نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة» وكان في شكواه التي قبض فيها أخذته بحمة شديدة فسمعه يقول «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» فعلمت أنه خير. وكذا رواه مسلم من حديث شعبة عن سعد بن إبراهيم به، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر «اللهم الرفيق الأعلى» ثلاثاً، ثم قضى عليه أفضل الصلاة والتسليم

﴿ ذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة ﴾

قال ابن جرير حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير فقال «أن من أمتي لرجالا لا إيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي» قرأ ابن عامر وأهل الشام إلا قليلاً بالنصب على الاستثناء وكذلك هو في مصحف أهل الشام وقيل فيه اضمحار تقديره إلا أن يكون قليلاً منهم وقرأ الآخرون قليل بالرفع على الضمير الفاعل في قوله فعلوه تقديره إلا نفر قليل فعلوه ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾ يؤمرون به من طاعة الرسول والرضى بحكمه ﴿لكان خيراً لهم وأشد توبيخاً﴾ تحقيقاً أو تصديقاً لإيمانهم ﴿وإذا لا يتناهم من لدنا أجر عظيم﴾ ثواباً وافرأ ﴿ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾ أي الى الصراط المستقيم

قال جاء رجل من الأنصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محزون فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا فلان مالي أراك محزوناً » فقال يا نبي الله شيء فكرت فيه فقال ما هو ؟ قال نحن نغدو عليك ونروح ننظر الى وجهك ونجالسك، وغدا ترفع مع النبيين فلا نصل اليك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فأتاه جبريل بهذه الآية (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) الآية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فبشره. وقد روى هذا الأثر مرسل عن مسروق وعن عكرمة وعامر الشعبي وقتادة وعن الربيع بن أنس وهو من أحسنها سنداً قال ابن جرير حدثنا المشي، حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله (ومن يطع الله والرسول) الآية قال ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا قد علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم له فضل على من آمن به في درجات الجنة ممن اتبعه وصدقهم وكيف لهم اذا اجتمعوا في الجنة أن يرى بعضهم بعضاً. فانزل الله في ذلك يعني هذه الآية فقال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الاعاين ينحدرون الى من هو أسفل منهم فيجتمعون في رياض فيذكرون ما أنعم الله عليهم ويتنعمون عليه وينزل لهم أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون وما يدعون به فهم في روضة يحبرون ويتنعمون فيه » وقد روي مرفوعاً من وجه آخر فقال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم، حدثنا اسماعيل بن أحمد بن أسيد حدثنا عبد الله بن عمران، حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : إنك لأحب إلي من نفسي، وأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فانظر اليك، واذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وان دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت عليه (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) وهكذا رواه الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه في صفة الجنة من طريق الطبراني عن أحمد بن عمرو ابن مسلم الخلال عن عبد الله بن عمران العبادي به ثم قال لا أرى باسناده بأساً والله أعلم

قوله تعالى ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم قد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض، ولا وجع غير أني إن لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك وان لم أدخل الجنة لا أراك أبداً فنزلت هذه الآية وقال قتادة قال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل

وقال ابن مردويه أيضاً حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا العباس بن الفضل الاسقاطي ، حدثنا أبو بكر بن ثابت عن ابن عباس البصري حدثنا خالد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن عامر الشعبي عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني لأحبك حتى أني لأذكرك في المنزل فيشق ذلك عليّ وأحب أن أكون معك في الدرجة فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فانزل الله عز وجل هذه الآية وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد عن جرير عن عطاء عن الشعبي مراسلاً وثبت في صحيح مسلم من حديث هقل بن زياد عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ربيعة بن كعب الاسلمي أنه قال : كنت أبيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي سل فقلت يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة فقال أو غير ذلك قلت : هو ذاك قال « فاعني على نفسك بكثرة السجود » وقال الامام أحمد حدثنا يحيى ابن اسحق ، أخبرنا ابن لهيعة عن عبد الله بن أبي جعفر عن عيسى بن طلحة عن عمرو بن مرة الجهني قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، وصليت الخمس ، وأديت زكاة مالي ، وصمت شهر رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات على ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا — ونصب أصبعيه — مالم يعق والديه » تفرد به أحمد . قال الامام أحمد أيضاً حدثنا أبو سعيد مولى أبي هاشم ، حدثنا ابن لهيعة عن زياد بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ ألف آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً إن شاء الله » وروى الترمذي من طريق سفيان الثوري عن أبي حمزة عن الحسن البصري عن أبي سعيد قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » ثم قال هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه وأبو حمزة اسمه عبد الله ابن جابر شيخ بصرى وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت في الصحيح والمسانيد وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يحب القوم ولما منك وكيف تراك فانزل الله تعالى هذه الآية (ومن يطع الله) (في أداء الفرائض) (والرسول) (في السنن) (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) أي لا تفوتهم رؤية الانبياء ومجالستهم لأنهم يرفعون الى درجة الانبياء ﴿ والصديقين ﴾ وهم أفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والصديق المبالغ في الصدق ﴿ والشهداء ﴾ قيل هم الذين استشهدوا في يوم أحد وقيل الذين استشهدوا في سبيل الله وقال عكرمة النبيون ههنا محمد صلى الله عليه وسلم والصديق أبو بكر والشهداء عمرو وعثمان وعلي رضي الله عنهم ﴿ والصالحون ﴾ سائر الصحابة رضي الله عنهم ﴿ وحسن أولئك رفيقاً ﴾ يعني رفقاء في الجنة والعرب تضم الواحد موضع الجمع كقوله تعالى (ثم نخرجكم طفلاً) أي أطفالاً (ويولون الدبر) أي

يلحق بهم فقال «المرء مع من أحب» قال أنس فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث. وفي رواية عن أنس أنه قال: «اني لأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرجو أن الله يبعثني معهم وان لم أعمل كعملهم». قال الامام مالك بن أنس عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال «بلى»، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك واللفظ لمسلم، ورواه الامام أحمد، حدثنا فزارة أخبرني فليح عن هلال يعني ابن علي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدري الغابر في الأفق الطالع في تفاضل الدرجات» قالوا يا رسول الله أولئك النبيون، قال «بلى»، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» قال الحافظ الضياء المقدسي هذا الحديث على شرط البخاري والله أعلم وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلي حدثنا علي بن عفيف بن سالم عن أبوب عن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال: أتى رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «سل واستفهم» فقال يا رسول الله فضلتهم علينا بالصور والألوان والنبوة، ثم قال: أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به إني لكائن معك في الجنة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نعم»، والذي نفسي بيده انه ليضيء بياض الأسود في الجنة من مسيرة الف عام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله كان له بهاء عند الله، ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له بها مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة» فقال رجل: كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد أن تستنفذ ذلك كله إلا أن يتعمده الله برحمته» ونزلت هذه الآيات (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا - إلى قوله - نعيما وملكا كبيرا) فقال الحبشي: وان عيني لريان

الادبار. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد الحسن بن أحمد الخلدني أنا أبو العباس السراج انا قتيبة بن سعيد أنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم «المرء مع من أحب» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحني وأبو عمر ومحمد بن عبد الرحمن النسوي قالا أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو العباس الأصم أنا أبو يحيى زكريا بن يحيى المروزي أنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله متى الساعة قال «وما أعددت لها» قال لا شيء، الا أني أحب الله ورسوله قال

ما ترى عينك في الجنة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نعم» فاستبكي حتى فاضت نفسه، قال ابن عمر: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه في حفرة بيديه، فيه غرابة ونكارة وسنده ضعيف ولهذا قال تعالى (ذلك الفضل من الله) أي من عند الله (برحمته) وهو الذي أهلهم لذلك لا بأعمالهم (وكفى بالله علماً) أي هو عليم بمن يستحق الهداية والتوفيق

(يا أيها الذين آمنوا اخذوا حذركم فانفروا ثباتاً أو انفروا جميعاً) (٧١) وان منكم لمن ليس ببطئن

فان أصابتكم مصيبة قال قد أئتم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً (٧٢) ولئن أصبكم فضل من

الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة، ياليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً (٧٣) فليقتل في

سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، ومن يقتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف

نؤتيه أجراً عظيماً (٧٤)

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ الخذر من عدوهم وهذا يستلزم التأهب لهم بأعداد الأسلحة

والعدد وتكثير العدد بالنفير في سبيل الله (ثبات) أي جماعة بعد جماعة وفرقة بعد فرقة وسرية بعد

فأنت مع من أحببت ﴿ذلك الفضل من الله وكفى بالله علماً﴾ أي بثواب الآخرة وقيل بمن أطاع

رسول الله وأحبه وفيه بيان أنهم لن ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم وإنما نالوها بفضل الله عز وجل

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أن أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي

أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يعلى بن عبيد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم «قاربوا وسددوا واعلموا أنه لا ينجو أحد منكم بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله

قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة»

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اخذوا حذركم﴾ من عدوكم أي عدتكم وآلتكم من السلاح

والخذر والخذر واحد كالمثل والمثل، والشبه والشبه ﴿فانفروا﴾ اخرجوا ﴿ثبات﴾ أي سرايا

متفرقين سرية بعد سرية والثبات جماعات في تفرقة واحدها ثبة ﴿أو انفروا جميعاً﴾ أي مجتمعين

كلكم مع النبي صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى ﴿وان منكم لمن ليبطئن﴾ نزلت في المنافقين وإنما قال منكم لاجتماعهم مع أهل الإيمان

في الجنسية والنسب وإظهار الاسلام لافي حقيقة الإيمان ليبطئن أي ليتأخروا وليتأقلوا عن الجهاد

وهو عبد الله بن أبي المنافق واللام في ليبطئن لام القسم والتبطئة التأخر عن الأمر يقال ما بطلك

أي ما أخرك عنا ويقال بطلاً بطلاً وبطاً بيطى ببطئة ﴿فان أصابتكم مصيبة﴾ أي قتل وهزيمة ﴿قال

قد أئتم الله علي﴾ بالعود ﴿إذ لم أكن معهم شهيداً﴾ أي حاضر في تلك الغزاة فيصيني ما أصابهم

سرية والثبات جمع ثبة وقد تجمع الثبة على ثبين ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (فانفروا ثبات) أي عصباً يعني سرايا متفرقين (أو انفروا جميعاً) يعني كلكم ، وكذا روي عن مجاهد وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وخصيف الجزري ، وقوله تعالى (وان منكم لمن ليبطئن) قال مجاهد وغير واحد نزلت في المنافقين ، وقال مقاتل بن حيان : (ليبطئن) أي ليتخلفن عن الجهاد ، ويحتمل أن يكون المراد انه يتباطأ هو في نفسه ويبطي غيره عن الجهاد كما كان عبدالله بن أبي بن سلول قبجه الله يفعل يتأخر عن الجهاد ويثبط الناس عن الخروج فيه ، وهذا قول ابن جريج وابن جرير ، ولهذا قال تعالى إخباراً عن المنافق انه يقول إذا تأخر عن الجهاد (فان أصابكم مصيبة) أي قتل وشهادة وغلب العدو لكم لما لله في ذلك من الحكمة (قال قد انعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً) أي اذ لم احضر معهم وقعة القتال يعد ذلك من نعم الله عليه ، ولم يدر ما فاته من الأجر في الصبر او الشهادة ان قُتل (ولئن أصابكم فضل من الله) أي نصر وظفر وغنيمة (ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) أي كأنه ليس من اهل دينكم (ياليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً) أي بأن يضرب لي بسهم معهم فأحصل عليه ، وهو اكبر قصده وغاية مراده ، ثم قال تعالى (فليقاتل) أي المؤمن النافر (في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أي يبيعون دينهم بعرض قليل من الدنيا وما ذلك إلا لكفرهم وعدم ايمانهم ، ثم قال تعالى (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) أي كل من قاتل في سبيل الله سواء

﴿ ولئن أصابكم فضل من الله ﴾ فتح وغنيمة ﴿ ليقولن ﴾ هذا المنافق وفيه تقديم وتأخير وقوله (كأن لم يكن بينكم وبينه مودة) متصل بقوله فان أصابكم مصيبة تقديره فان أصابكم مصيبة قال قد أنعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيداً ﴿ كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ﴾ أي معرفة قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب تكن بالتاء والباقيون بالياء أي ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن ﴿ ياليتني كنت معهم ﴾ في تلك الغزاة ﴿ فأفوز فوزاً عظيماً ﴾ أي أخذ نصيباً زافراً من الغنيمة وقوله فأفوز نصب على جواب التمتي بالغاء كما تقول وددت أن أقوم فيتبعني الناس

قوله تعالى ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ نزلت في المنافقين ومعنى يشرون يشتررون يعني الذين يختارون الدنيا على الآخرة ومعناه آمنوا ثم قاتلوا وقيل نزلت في المؤمنين المخلصين معناه (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون) أي يبيعون (الحياة الدنيا بالآخرة) أي يختارون الآخرة قوله تعالى ﴿ ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل ﴾ يعني يستشهد ﴿ أو يغلب ﴾ يظفر ﴿ فسوف نؤتيه ﴾ في كلا الوجهين ﴿ أجر عظيم ﴾ ويدغم ابو عمرو والكسائي الباء في الغاء حيث كان اخبرنا ابو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر ابن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تكفل

قتل أو غلب فله عند الله مثوبة عظيمة وأجر جزيل كما ثبت في الصحيحين « وتكفل الله المجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنمة

(وما لكم لا تقتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً (٧٥) الذين آمنوا يقتلون في سبيل الله والذين كفروا يقتلون في سبيل الطاغوت فقتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً (٧٦))

يحرص تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين من المقام بها ، ولهذا قال تعالى (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعني مكة كقوله تعالى (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) ثم وصفها بقوله (الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً) أي سخر لنا من عندك ولياً ناصراً . قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عبيد الله قال سمعت ابن عباس قال : كنت أنا وأمي من المستضعفين . حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن أبي مليكة أن ابن عباس تلا (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال :

الله لمن جاهد في سبيل الله لا يخرج من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنمة » أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقى أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا أبو عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم الذي لا يقتر من صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله إلى أهله بما يرجعه من غنمة وأجر أو يتوفاه فيدخله الجنة » قوله تعالى ﴿ وما لكم لا تقاتلون ﴾ لا تجاهدون ﴿ في سبيل الله ﴾ في طاعة الله يعاتبهم على ترك الجهاد ﴿ والمستضعفين ﴾ أي عن المستضعفين وقال ابن شهاب في سبيل المستضعفين لتخليصهم وقيل في تخليص المستضعفين من أيدي المشركين وكان بمكة جماعة ﴿ من الرجال والنساء والولدان ﴾ يلقون من المشركين أذى كثيراً ﴿ الذين ﴾ يدعون و ﴿ يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ﴾ يعني مكة الظالم أي المشرك أهلها يعني القرية التي من صفتها أن أهلها مشركون وإنما خفض الظالم لأنه نعت للأهل فلما عاد الأهل إلى القرية صار الفعل لها كما يقال مررت برجل حسنة عينه ﴿ واجعل لنا من لدنك ولياً ﴾ أي من يلي أمرنا ﴿ واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾ أي من

كنت انا وأبي ممن عذر الله عز وجل ، ثم قال تعالى (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أي المؤمنون يقاتلون في طاعة الله ورضوانه ، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان ، ثم هيّج تعالى المؤمنين على قتال أعدائه بقوله (فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً)

(ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قتيلاً (٧٦) أينا تكونوا يدر ككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً (٧٨) ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً ٧٩)

كان المؤمنون في ابتداء الاسلام وهم بمكة مأمورين بالصلوة والزكاة وإن لم تكن ذات النصب وكانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم ، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر بمنع العدو عنه فاستجاب الله دعوتهم فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ولى عليهم عتاب ابن أسيد وجعله الله نصيراً ينصف المؤمنين المظلومين من الظالمين

قوله تعالى ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ﴾ أي في طاعته ﴿ والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾ أي في طاعة الشيطان ﴿ فقاتلوا ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أولياء الشيطان ﴾ أي حزبه وجنوده وهم الكفار ﴿ إن كيد الشيطان ﴾ مكره ﴿ كان ضعيفاً ﴾ كما فعل يوم بدر لما رأى الملائكة خاف أن يأخذوه فهرب وخذلهم

قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ﴾ الآية قال الكاظمي نزالت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص وجماعة كانوا يلقون من المشركين بمكة أذى كثيراً قبل أن يهاجروا ويقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فانهم قد آذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فاني لم أؤمر بقتالهم ﴿ وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة ﴾ فلما هاجروا إلى المدينة وأمرهم الله بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم قال الله تعالى ﴿ فلما كتب ﴾ فرض ﴿ عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس ﴾ يعني يخشون مشركي مكة ﴿ كخشية الله ﴾ أي كخشيتهم من الله ﴿ أو أشد ﴾ أكبر ﴿ خشية ﴾ وقيل

إلى حين ، وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم ولم يكن الحال إذ ذاك مناسباً لأسباب كثيرة منها قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم ، ومنها كونهم كانوا في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداء كما يقال فلماذا لم يؤمر بالجهاد إلا بالمدينة لما صارت لهم دار ومنعة وأنصار ، ومع هذا لما أمروا بما كانوا يودونه جزع بعضهم منه وخافوا من مواجهة الناس خوفاً شديداً (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب) أي لولا أخرت فرضه إلى مدة أخرى فإن فيه سفك الدماء ، ويتم الأولاد ، وتأم النساء ، وهذه الآية كقوله تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا نزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) الآيات . قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن عبد العزيز عن أبي زرعة وعلي بن ربيعة قال : حدثنا علي بن الحسن عن الحسين بن واقد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا يا نبي الله : كنا في عزة ونحن مشركون فلما آمننا صرنا أذلة قال « إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم » فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا فأنزل الله (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) الآية ورواه النسائي والحاكم وابن مردويه من حديث علي بن الحسن بن شقيق به وقال أسباط عن السدي لم يكن عليهم إلا الصلاة والزكاة ، فسألوا الله أن يفرض عليهم القتال (فلما فرض عليهم القتال اذافريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب) وهو الموت ، قال الله تعالى (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) وقال مجاهد إن هذه الآية نزلت في اليهود روى ابن جرير وقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) أي آخرة المتقي خير من دنياه (ولا تظلمون فتيلاً) أي من أعمالكم بل توفونها أتم الجزاء ، وهذه تسلية لهم عن الدنيا ، وترغيب لهم في الآخرة ، وتحريض لهم على الجهاد . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن زيد عن هشام قال : قرأ الحسن (قل متاع الدنيا قليل) قال : رحم الله عبداً صحبها على حسب ذلك وما

معناه واشد خشية (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال) الجهاد (لولا) هلا (أخرتنا إلى أجل قريب) يعني الموت أي هلا تركتنا حتى نموت بآجالنا واختلفوا في هؤلاء الذين قالوا ذلك فقيل قاله قوم من المنافقين لأن قوله لم كتبت علينا القتال لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه خوفاً وجبناً لا اعتقاداً ثم تابوا وأهل الإيمان يتفاضلون في الإيمان وقيل هم قوم كانوا مؤمنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلفوا عن الجهاد (قل) يا محمد (متاع الدنيا) أي منفعتها والاستمتاع بها (قليل والآخرة) وثواب الآخرة (خير) أفضل (لمن اتقى) الشريك ومعصية الرسول (ولا تظلمون فتيلاً) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وحزمة والكسائي بالياء

الدنيا كلها أولها وآخرها الا كرجل نام نومة فرأى في منامه بعض ما يجب ثم انتبه . وقال ابن معين كان أبو مصهر ينشد

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له من الله في دار المقام نصيب
فان تعجب الدنيا رجلا فانها متاع قليل والزوال قريب

وقوله تعالى (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) أى انتم صائرون الى الموت لا محالة ولا ينجو منه احد منكم كما قال تعالى (كل من عليها فان) الآية ، وقال تعالى (كل نفس ذائقة الموت) وقال تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) والمقصود أن كل أحد صائر الى الموت لا محالة ، ولا ينجيه من ذلك شيء سواء جاهد أو لم يجاهد فان له أجلا محتوما ، ومقاما مقسوما كما قال خالد بن الوليد حين جاء الموت على فراشه لقد شهدت كذا وكذا موقفاً ، وما من عضو من أعضائي الا وفيه جرح من طعنة أو رمية وها أنا أموت على فراشي فلا نامت أعين الجبناء . وقوله (ولو كنتم في بروج مشيدة) أى حصينة منيعة عالية رفيعة ، وقيل هي بروج في السماء قاله السدي وهو ضعيف والصحيح أنها المنيعة أي لا يغني حذر وتحصن من الموت كما قال زهير بن أبي سلمى ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

ثم قيل المشيدة هي المشيدة كما قال وقصر مشيد ، وقيل بل بينهما فرق وهو أن المشيدة بالتشديد هي المطولة ، وبالتخفيف هي المزينة بالشيد وهو الجص

وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم ههنا حكاية مطولة عن مجاهد أنه ذكر أن امرأة فيمن كان قبلنا أخذها الطلق فأمرت أجبرها أن يأتيها بنار فخرج فاذا هو برجل واقف على الباب فقال ما ولدت المرأة فقال جارية فقال أما إنها ستزني بمائة رجل ثم يتزوجها أجبرها ويكون موتها بالعنكبوت . قال فكر راجعا فبعج بطن الجارية بسكين فشقته ثم ذهب هاربا وظن أنها قد ماتت فحاطت امها بطنها فبرئت وشبت وترعرعت ونشأت أحسن امرأة يلدتها فذهب ذلك الاجير ما ذهب ودخل البحور فاقتنى أموالا جزيلة ثم رجع الى بلده وأراد التزوج فقال لعجوز أريد أن أتزوج بأحسن امرأة بهذه البلدة فقالت ليس ههنا أحسن من فلانة فقال اخطبها علي فذهبت اليها فأجابته فدخل بها فأعجبته إعجابا

والباقون تظلمون بالتاء أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن معاوية الصيدلاني أخبرنا الأصم أنا عبد الله بن محمد بن شاكر أنا محمد بن بشر العبدي أنا مسعر بن كدام عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم حدثني المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فليتنظر به يرجع » قوله عز وجل ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ﴾ أي ينزل بكم الموت نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد لو كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا فرد الله تعالى عليهم بقوله أينما تكونوا يدرككم

شديداً فسألته عن أمره ومن أين مقدمه فأخبرها خبره وما كان من أمره في الجارية فقالت أنا هي وأرته مكان السكين فتحقق ذلك فقال لئن كنت إياها فلقد أخبرتني بائنتين لا بد منهما (أحدهما) أنك قد زينت بمائة رجل فقالت لقد كان شيء من ذلك ولكن لا أدري ما عددهم فقال هم مائة (والثاني) أنك تموتين بالعنكبوت فالتخذ لها قصرأ منيعاً شاهقاً ليحزها من ذلك فينما هم يوماً فاذا بالعنكبوت في السقف فأراها إياها فقالت أهذه التي تحذرها عليّ والله لا يقتلها إلا أنا فانزلوها من السقف فعمدت اليها فوطئتها بأبهام رجلها فقتلتها فطار من سمها شيء فوقهم بين ظفرها والحمها واسودت رجلها فكان في ذلك أجلاً فماتت وتذكر ههنا قصة صاحب الخضر وهو الساطرون لما احتال عليه سابور حتى حصره فيه وقتل من فيه بعد محاصرة سنتين وقالت العرب في ذلك أشعاراً منها

وأخو الخضر إذ بناه وإذ دج لة تنجي اليه والخابور
شاده مرمرأ وجلله كما سا فلطير في ذراه وكور
لم تنبه أيدي المنون فبادا ملك عنه فبابه مهجور

ولما دخل على عثمان جهل يقول : اللهم اجمع امة محمد ثم تمثل بقول الشاعر
أرى الموت لا يبقى عزيزاً ولم يدع لعاد ملاذاً في البلاد ومربعا
بيت أهل الحصن والحصن مغلق ويأتي الجبال في شماريخها معا

قال ابن هشام وكان كسرى سابور ذو الاكتاف قتل الساطرون ملك الخضر وقال ابن هشام ان الذي قتل صاحب الخضر سابور بن اردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان وأذل ملوك الطوائف ورد الملك الى الأكسرة فاما سابور ذو الاكتاف فهو من بعد ذلك بزمن طويل والله أعلم ذكره السهيلي قال ابن هشام فخصره سنتين وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور في غيبته وهو في العراق وأشرفت بنت الساطرون وكان اسمها النصيرة فنظرت الى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكمل بالزبرجد والياقوت والؤلؤ فدست اليه أن تزوجني ان فتحت لك باب الحصن فقال نعم : فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت إلا سكران فأخذت مفاتيح باب الحصن من تحت رأسه فبعثت بها مع مولى لها ففتحت الباب ويقال دلتهم على طلسم كان في الحصن لا يفتح حتى تؤخذ

الموت ﴿ ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ والبروج الحصون والقلاع المشيدة المرفوعة المطولة قال قتادة معناه في قصور محصنة وقال عكرمة مجصصة والشيد الجص ﴿ وإن تصبهم حسنة ﴾ نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم قالوا لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مازلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه قال الله تعالى ﴿ وإن تصبهم ﴾ يعني اليهود حسنة اي خصب ورخص في السعر ﴿ يقولوا هذه من عند الله ﴾ لنا ﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ يعني الجذب وغلاء الاسعار ﴿ يقولوا هذه من عندك ﴾ أي من شؤم محمد وأصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر

حمامة ورقاء فتخضب رجالها بحيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل فاذا وقعت على سور الحصن سقط
ذلك ففتخ الباب ففعل ذلك فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحصن وخربه وسار بها معه
وتزوجها فبينما هي نائمة على فراشها إذ جعلت تتعلم لاتنام فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد فيه
ورقة آس فقال لها سابور هذا الذي أسهرك فما كان أبوك يصنع بك؟ قالت كان يفرش لي الديباج
ويلبسني الحرير، ويطعمني المنخ، ويسقيني الخمر قال الطبري كان يطعمني المنخ والزبد، وشهد أبكار
النحل، وصفو الخمر وذكر أنه كان يرى منخ ساقها قال فكان جزاء أهلك ما صنعت به أنت إلي
بهذا أسرع ثم أمر بها فربطت قرونها رأسها بذنوب فرس فركض الفرس حتى قتلها وفيه يقول
عدي بن زيد العبادي أبياته المشهورة السائرة

أبها الشامت المعير بالده	رأنت المبرأ	الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأي	أم بل أنت جاهل مغرور	
من رأيت المنون خلدام من	ذا عليه من أن يضام خفير	
أين كسرى كسرى الملوك أنوشر	وان أم أين قبله سابور	
وبنو الأصفر الكرام ملوك	روم لم يبق منهم مذكور	
وأخو الحضرة إذ بناه واذ دجلة	تجبي إليه والخابور	
شاده مرمرأ وجلله كما	سأ فلاطير في ذراه وكور	
لم يهبه ريب المنون فباد	ملك عنه فبابه مهجور	
وتذكر رب الخورنق اذ أشر	ف يوما وللهدي تفكير	
سره ماله وكثرة مائه	لك والبحر معرضاً والسدير	
فارعوى قلبه وقال فما غب	طلة حي الي الممات يصير	
ثم أضحوا كأنهم ورق جف	فالوت به الصبا والدبور	
ثم بعد الفلاح والملك والام	ة وارثهم هناك القبور	

وقوله (وان تصبهم حسنة) أي خصب ورزق من ثمار وزروع وأولاد ونحو ذلك هذا معنى
قول ابن عباس وأبي العالية والسدي (يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة) أي قحط وجذب

والغنيمة يوم بدر والسيئة القتل والهزيمة يوم أحد يقولوا هذه من عندك أي أنت الذي حملتنا عليه
يا محمد فعلى هذا يكون هذا من قول المنافقين ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿كل من عند الله﴾ أي الحسنة
والسيئة كلها من عند الله ثم عيرهم بالجهل فقال ﴿فمال هؤلاء القوم﴾ يعني المنافقين واليهود لا يكادون
يقفون حديثاً أي لا يفقهون قولاً وقيل الحديث ههنا هو القرآن أي لا يفقهون معاني القرآن
قوله فمال هؤلاء قال الفراء كثرت في الكلام هذه الكلمة حتى توهموا ان اللام متصلة بها وانهما

وتقص في الثمار والزروع أو موت أولاد أو نتاج أو غير ذلك كما يقوله أبو العالية والسدي (يقولوا هذه من عندك) أي من قبلك وبسبب اتباعنا لك واقتدائنا بدينك كما قال تعالى عن قوم فرعون (فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه، وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) وكما قال تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية وهكذا قال هؤلاء المنافقون الذين دخلوا في الاسلام ظاهراً وهم كارهون له في نفس الأمر ولهذا اذا أصابهم شر إنما يسندونه الى اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقال السدي وان تصبهم حسنة قال والحسنة الخصب تنتج مواشيهم وخبولهم ويحسن حالهم وتلد نسايتهم الغلمان (قالوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة) والسيئة الجذب والضرر في أموالهم تشاءموا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالوا هذه من عندك يقولون بتركنا ديننا واتباعنا محمداً أصابنا هذا البلاء فانزل الله عز وجل (قل كل من عند الله) أي الجميع بقضاء الله وقدره وهو نافذ في البر والفاجر والمؤمن والكافر قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قل كل من عند الله أي الحسنة والسيئة وكذا قال الحسن البصري ثم قال تعالى منكرأ على هؤلاء القائلين هذه المقالة الصادرة عن شك وريب، وقلة فهم وعلم، وكثرة جهل وظلم (فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً)

﴿ ذكر حديث غريب يتعلق بقوله تعالى قل كل من عند الله ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا السكن بن سعيد، حدثنا عمر بن يونس، حدثنا اسماعيل بن حماد عن مقاتل بن حيان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر وعمر في قبيلتين من الناس وقد ارتفعت أصواتهما فجلس أبو بكر قريباً من النبي صلى الله عليه وسلم وجلس عمر قريباً من أبي بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لم ارتفعت أصواتكما» فقال رجل يارسل الله قال أبو بكر الحسنات من الله والسيئات من أنفسنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فما قلت يا عمر» فقال: قلت الحسنات والسيئات من الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أول من تكلم فيه جبريل وميكائيل، فقال ميكائيل مقاتلك يا أبا بكر، وقال جبريل مقاتلك يا عمر» فقال «فيختلف أهل

حرف واحد ففصلوا السلام عما بعدها في بعضه ووصلوها في بعضه والاتصال على القراءة ولا يجوز الوقف على اللام لأنها لام خافضة

قوله عز وجل ﴿ ما أصابك من حسنة ﴾ خير ونعمة ﴿ فمن الله وما أصابك من سيئة ﴾ بلية أو أمر تكرهه ﴿ فمن نفسك ﴾ أي بذنوبك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره نظيره قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وتعلق أهل التقدير بظاهر هذه الآية فقالوا نفى الله تعالى السيئة عن نفسه ونسبها الى العبد فقال وما أصابك ولا متعلق لهم فيه لأنه ليس المراد من الآية حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصي بل المراد منه ما يصيبهم من النعم والمحن وذلك ليس من فعلهم بدليل انه نسبها الى غيرهم ولم ينسبها اليهم فقال ما أصابك ولا يقال في الطاعة

السماء وإن يختلف أهل السماء يختلف أهل الأرض « فتحا كما إلى اسرافيل فقضى بينهما أن الحسنات والسيئات من الله ، ثم أقبل على أبي بكر وعمر فقال « احفظا قضائي بينكما ، لو أراد الله أن لا يعصي لما خلق ابليس » قال شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية هذا حديث موضوع مختلف باتفاق أهل المعرفة ، ثم قال تعالى مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وسلم والمراد جنس الانسان ليحصل الجواب (ما أصابك من حسنة فمن الله) أي من فضل الله ومنه وطفه ورحمته (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أي فمن قبلك ، ومن علمك انت كما قال تعالى (وما أصابكم مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال السدي والحسن البصري وابن جريج وابن زيد (فمن نفسك) أي بذنبك وقال قتادة في الآية (فمن نفسك) عقوبة لك يا ابن آدم بذنبك . قال وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يصيب رجلاً خدش عود ، ولا عثرة قدم ، ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله أكثر » وهذا الذي أرسله قتادة قد روي متصلاً في الصحيح « والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم ولا حزن ، ولا نصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها من خطاياها » وقال أبو صالح (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أي بذنبك وأنا الذي قدرتها عليك رواه ابن جرير ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عمار حدثنا سهل بن بكر حدثنا الاسود بن شيبان حدثني عقبة بن واصل ابن أخي مطرف عن مطرف بن عبد الله قال : ما تريدون من القدر أما تكفيكم الآية التي في سورة النساء (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) أي من نفسك والله ماؤكلوا إلى القدر وقد أمروا واليه يصيرون ، وهذا كلام متين قوي في الرد على القدرية والجبرية أيضاً ، ولبسطه موضع آخر . وقوله تعالى (وأرسلناك للناس رسولا) أي تبليغهم

والمعصية أصابني أما يقال أصبتها ويقال في المحن أصابني بدليل انه لم يذكر عليه ثواباً ولا عقاباً فهو كقوله تعالى (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) فلما ذكر حسنات الكسب وسيئاته نسبها إليه ووعد عليها الثواب والعقاب فقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وقيل معنى الآية ما أصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله أي من فضل الله وما أصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم أحد بذنوب أصحابك وهو مخالفتهم لك فان قيل كيف وجه الجمع بين قوله (قل كل من عند الله) وبين قوله فمن نفسك ؟ قيل قوله قل كل من عند الله أي الخصب والجذب والنصر والهزيمة كلها من عند الله وقوله فمن نفسك أي وما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك كما قال الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) يدل عليها ما رواه مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك وقال بعضهم هذه الآية متصلة بما قبلها والقول فيه مضمحل تقديره فقال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن

شرائع الله وما يحبه الله ويرضاه ، وما يكرهه ويأباه (وكفى بالله شهيداً) أي على أنه أرسلك وهو شهيد أيضاً بينك وبينهم ، وعالم بما تبلغهم إياه وبما يردون عليك من الحق كفراً وعناداً

(من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً) (٨٠) ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيئت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً (٨١)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن من أطاعه فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله ، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى قل ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ، ومن عصى الأمير فقد عصاني » وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن الأعمش به . وقوله (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً) أي ما عليك منه أن عليك إلا البلاغ فمن اتبعك سعد ونجا وكان لك من الأجر نظير ما حصل له ، ومن تولى عنك خاب وخسر وليس عليك من أمره شيء كما جاء في الحديث « من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه » وقوله (ويقولون طاعة) يخبر تعالى عن المنافقين بأنهم يظهرون الموافقة والطاعة (فإذا برزوا من عندك) أي خرجوا وتواروا عنك (بيئت طائفة منهم غير الذي تقول) أي استسروا ليلاً فيما

نفسك قل كل من عند الله ﴿ وأرسلناك ﴾ يا محمد ﴿ للناس رسولا وكفى بالله شهيداً ﴾ على إرسالك وصدقك وقيل كفى بالله شهيداً على أن الحسنة والسيئة كلها من الله تعالى

قوله تعالى ﴿ من يطع الرسول فقط أطاع الله ﴾ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول « من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله » فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل ألا أن نتخذة رباً كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم رباً فانزل الله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله أي من يطع الرسول فيما أمر به فقد أطاع الله ﴿ ومن تولى ﴾ عن طاعته ﴿ فما أرسلناك ﴾ يا محمد ﴿ عليهم حفيظاً ﴾ أي حافظاً ورقياً بل كل أمورهم الي قيل نسخ الله عز وجل هذا بآية السيف وأمره بقتال من خالف الله ورسوله ﴿ ويقولون طاعة ﴾ يعني المنافقين يقولون باللسان للرسول صلى الله عليه وسلم أنا آمننا بك فمرنا فأمرك طاعة قال النحويون أي أمرنا وشأننا أن نطيعك ﴿ فإذا برزوا ﴾ خرجوا ﴿ من عندك بيئت طائفة منهم غير الذي تقول ﴾ قال قتادة والكلبي بيئت أي غير وبدل الذي عهد إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ويكون التبييت بمعنى التبديل وقال أبو عبيدة والقتبي معناه قالوا وقدروا ليلاً غير ما أعطوك نهائياً وكل ما قدر بليل فهو مبيت وقال أبو الحسن الاخفش تقول العرب

بينهم بغير ما أظهره لك فقال تعالى (والله يكتب ما يبيتون) أى يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكتاتين الذين هم موكلون بالعباد ، والمعنى في هذا التهديد انه تعالى يخبر بأنه عالم بما يضمرونه ويسرونه فيما بينهم وما يتفقون عليه ليلا من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وعصيانه وإن كانوا قد أظهروا له الطاعة والموافقة ، وسيجزئهم على ذلك كما قال تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا) الآية ، وقوله (فأعرض عنهم) أى اصفح عنهم واحلم عليهم ولا تؤاخذهم ، ولا تكشف أمورهم للناس ، ولا تخف منهم أيضا (وتوكل على الله وكفى بالله وكلا) أى كفى به وليا وناصرأ ومعينا لمن توكل عليه وأتاب اليه

(أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (٨٢) وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاستبغتم الشيطان إلا قليلا (٨٣)

يقول تعالى أمراً لهم بتدبر القرآن ونهياً لهم عن الاعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة ، ومخبراً لهم انه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ، ولا تعارض لأنه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق ، ولهذا قال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ثم قال (ولو كان من عند غير الله) أى لو كانت مفتعلا مختلفاً كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافاً ، أى اضطراباً وتضاداً كثيراً ، أى وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله كما قال تعالى مخبراً عن الراسخين في العلم حيث قالوا (آمنا به كل من عند ربنا) أى محكمه ومتشابهه حق ، فلماذا ردوا المتشابه إلى المحكم فاهتدوا ، والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغفوا ، ولهذا مدح تعالى الراسخين وذم الزائغين . قال الامام احمد : حدثنا أنس بن عياض حدثنا أبو معاوية حدثنا أبو حازم حدثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لقد جلست أنا

للشيء إذا قدر بيت يشبهونه بتقدير بيوت الشعر ﴿ والله يكتب ﴾ أى يثبت ويحفظ ﴿ ما يبيتون ﴾ ما يزورون ويغيرون ويقدررون وقال الضحاك عن ابن عباس يعنى ما يسرون من النفاق ﴿ فأعرض عنهم ﴾ يا محمد ولا تعاقبهم وقيل لا تخبر بأسامهم منع الرسول صلى الله عليه وسلم من الاخبار باسماء المنافقين ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكلا ﴾ أى اتخذه وكفى بالله وكلا وناصرأ

قوله تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ يعنى أفلا يتفكرون في القرآن والتدبر هو النظر في آخر الامر ودبر كل شيء آخره ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً ﴾ أي تفاوتنا وتناقضا كثيراً قاله ابن عباس وقيل لوجدوا فيه أى في الاخبار عن الغيب بما كان وبما يكون اختلافا كثيراً أفلا يتفكرون فيه فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به انه كلام الله تعالى لان ما لا يكون

وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب من أبوابه فكرهنا أن نفرق بينهم فجلسنا حجرة إذ ذكروا آية من القرآن قماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً حتى أحر وجهه يرميهم بالتراب ويقول « مهلا يا قوم بهذا أهلك الامم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض ان القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ، إنما نزل يصدق بعضه بعضاً ، فما عرقت منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردوه الى عالمه » وهكذا رواه أيضاً عن أبي معاوية عن داود بن أبي هند عن عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده قال : قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر فكأنما يفتأ في وجهه حب الزمان من الغضب فقال لهم « ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض بهذا هلك من كان قبلكم » قال فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أشهده ما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده ، ورواه ابن ماجه من حديث داود بن أبي هند به نحوه . وقال احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن زيد عن أبي عمران الجوني قال : كتب إليّ عبدالله بن رباح يحدث عن عبدالله بن عمرو وقال : هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فانا لجلوس إذ اختلف اثنان في آية فارتفعت أصواتهما فقال « إنما هلك الامم قبلكم باختلافهم في الكتاب » ورواه مسلم والنسائي من حديث حماد بن زيد به . وقوله (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) انكار على من يبادر إلى الامور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها ، وقد لا يكون لها صحة . وقد قال مسلم في مقدمة صحيحه حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا علي بن حفص حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع » وكذا

من عند الله لا يخلو عن تناقض واختلاف قوله تعالى ﴿ واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ﴾ وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا فاذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم فيفسون ويحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله تعالى واذا جاءهم يعني المنافقين أمر من الأمن أي الفتح والغنيمة أو الخوف القتل والهزيمة اذاعوا به أشاعوه وأفشوه ﴿ ولو ردوه الى الرسول ﴾ الى رأيه ولم يحدثوا به حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يحدث به ﴿ والى أولي الامر منهم ﴾ أي ذوي الرأي من الصحابة مثل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ أي يستخرجونه وهم العلماء أي يعلمون ما ينبغي أن يكتم وما ينبغي أن يفشى والاستنباط الاستخراج يقال استنبط الماء اذا استخرجه وقال عكرمة يستنبطونه أي يحرصون عليه ويسألون عنه وقال الضحاك يتبعونه يريد الذين سمعوا تلك الاخبار من المؤمنين والمنافقين لوردوه الى الرسول صلى الله عليه وسلم

رواه ابو داود في كتاب الادب من سننه عن محمد بن الحسين بن اشكاب عن علي بن حفص عن شعبة مسنداً ، ورواه مسلم أيضاً من حديث معاذ بن هشام العنبري وعبد الرحمن بن مهدي ، وأخرجه ابو داود أيضاً من حديث حفص بن عمرو النمري ثلاثتهم عن شعبة عن حبيب عن حفص بن عاصم به مراسلاً . وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قيل وقال أي الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تثبت ، ولا تدبر ، ولا تبين وفي سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بئس مطية الرجل زعموا » وفي الصحيح « من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » ولنذكر هنا حديث عمر ابن الخطاب المتفق على صحته حين بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه فجاء من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك فلم يصبر حتى استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فاستغفمه أطلقت نساءك فقال « لا » فقلت الله أكبر وذكر الحديث بطوله . وعند مسلم فقلت : أطلقتهن فقال « لا » فقامت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر ، ومعنى يستنبطونه أي يستخرجونه من معادنه يقال استنبط الرجل العين اذا حفرها واستخرجها من قعرها ، وقوله (لا تتبعم الشيطان إلا قليلا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني المؤمنين ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (لا تتبعم الشيطان إلا قليلا) يعني كلكم واستشهد من نصر هذا القول بقول الطرماح ابن حكيم في مدح يزيد بن المهلب .

أشتم ندى كثير النوادي * قليل المثالب والقادحة

يعني لامثالب له ولا قادحة فيه

وسلم وإلى ذوى الرأي والعلم لعلمه الذين يستنبطونه منهم أي يحبون ان يعلموه على حقيقته كما هو ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ﴾ كلكم ﴿ إلا قليلا ﴾ فان قيل كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتبع السكل الشيطان قيل هو راجع الى ما قبله قيل معناه اذاعوا به إلا قليلا لم يفشه وعني بالقليل المؤمنين وهذا قول السكبي واختيار الفراء وقال لان علم السرايا اذا ظهر علمه المستنبط وغيره والا ذاعة قد تكون في بعض دون بعض وقيل لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قايلا ثم قوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان) كلام تام وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القرآن يقول لولا ذلك لاتبعتم الشيطان الا قليلا وهم قوم اهتمدوا قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة سواهما وفي الآية دلائل على جواز القياس فان من العلم ما يدرك بالتلاوة والرواية وهو النص ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس

(فَمَنْ تَلَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُفُّ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكْفُ بِأَسْ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا) (٨٤) مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا
وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِبًا (٨٥) وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ
فَخِشُوا بَأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (٨٦) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧)

يَأْمُرُ تَعَالَى عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَبَاشِرَ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ وَمَنْ نَكَلَ عَنْهُ
فَلَا عَلَيْهِ مِنْهُ وَلِهَذَا قَالَ (لَا تَكُفُّ إِلَّا نَفْسُكَ) قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو
ابْنُ نُبَيْحٍ حَدَّثَنَا حَكَّامُ حَدَّثَنَا الْجَرَّاحُ الْكِنْدِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ : سَأَلْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ عَنِ الرَّجُلِ
يَلْقَى الْمَائَةَ مِنَ الْعَدُوِّ فَيُقَاتِلُ فَيَكُونُ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِ (وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) قَالَ : قَدْ قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُفُّ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ) وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ
سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ : قُلْتُ لِلْبَرَاءِ الرَّجُلُ يَحْمِلُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ
أَهْوَى مِمَّنْ أَلْقَى يَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ قَالَ : لَا إِنْ قَالَ اللَّهُ بَعَثَ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ (فَقَاتِلْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُفُّ إِلَّا نَفْسُكَ) أَمَّا ذَلِكَ فِي النَّفَقَةِ ، وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ مَرْدُودٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرٍ
ابْنِ عِيَّاشٍ وَعَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَقَ عَنِ الْبَرَاءِ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ مَرْدُودٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ
حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ النُّضْرِ الْعَسْكَرِيُّ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَرَفِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ
الثَّوْرِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
عَلَى الْمَعَانِي الْمُوَدَّعَةِ فِي النُّصُوصِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُفُّ إِلَّا نَفْسُكَ ﴾ وَذَلِكَ إِنْ نَبَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعَدَّ
أَبَاسْفِيَانَ بَعْدَ حَرْبِ أَحَدَ مَوْسِمٍ بِدَرِ الصَّغْرَى فِي ذِي الْقَعْدَةِ فَلَمَّا بَلَغَ الْمِيعَادَ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْخُرُوجِ
فَكَرِهَهُ بَعْضُهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُفُّ إِلَّا نَفْسُكَ) نَهَى لَاتَدْعَ جِهَادَ الْعَدُوِّ
وَالِاسْتَنْصَارَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَوْ وَحْدَكَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَكَ النَّصْرَةَ وَعَاتَبَهُمْ عَلَى تَرْكِ الْقِتَالِ
وَالْفَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فَقَاتِلْ جَوَابَ عَنْ قَوْلِهِ وَمَنْ يِقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا فَقَاتِلْ ﴿ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ عَلَى الْقِتَالِ أَيْ حَضَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ وَرَغَبَهُمْ فِي الثَّوَابِ خَرَجَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَبْعِينَ رَأْسًا فَكَفَّاهُمُ اللَّهُ الْقِتَالَ فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ عَنِ اللَّهِ ﴾
أَيُّ لَعَلَّ اللَّهَ ﴿ أَنْ يَكْفُ بِأَسْ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أَيُّ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَعَنِ اللَّهِ وَاجِبٌ ﴿ وَاللَّهُ
أَشَدُّ بَأْسًا ﴾ أَيُّ أَشَدَّ صَوْلَةً وَأَعْظَمَ سُلْطَانًا ﴿ وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴾ أَيُّ عَقُوبَةٍ

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ

لا تكلف إلا نفسك وحرص المؤمنين) الآية قال لأصحابه «قد أمرني ربي بالقتال فقاتلوا» حديث غريب، وقوله (وحرص المؤمنين) أي على القتال ورغبتهم فيه، وشجعهم عليه كما قال لهم صلى الله عليه وسلم يوم بدر وهو يسوى الصفوف «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» وقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في ذلك، فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جالس في أرضه التي ولد فيها» قالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس بذلك؟ فقال «إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألت الله فأسأله الفردوس فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة» وروي من حديث عبادة ومعاذ وأبي الدرداء نحو ذلك. وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يا أبا سعيد من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسلاً ونبياً وجبت له الجنة» قال فعجبها أبو سعيد فقال: أعمدها علي يا رسول الله ففعل، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «وأخرى يرفع الله العبد بها مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» قال وما هي يا رسول الله؟ قال «الجهاد في سبيل الله» رواه مسلم. وقوله (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أي بتحريضك إياهم على القتال تنبعث همهم على مناجزة الأعداء، ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله، ومقاومتهم ومصابرتهم. وقوله تعالى (والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً) أي هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض) الآية، وقوله (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) أي من يسعى في أمر فيترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك

كفـل منها أي نصيب منها قال ابن عباس رضي الله عنهما الشفاعة الحسنة هي الإصلاح بين الناس والشفاعة السيئة هي المشي بالنميمة بين الناس وقيل الشفاعة الحسنة هي حسن القول في الناس ينال به الثواب والخير والسيئة هي الغيبة وإساءة القول في الناس ينال به الشر وقوله كفـل منها أي من وزرها وقال مجاهد: هي شفاعة الناس بعضهم لبعض ويؤجر الشفيع على شفاعته وإن لم يشفع أخبرنا أحمد بن عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سفيان الثوري عن أبي بردة أخبرني جدي أبو بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال «اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء»

قوله تعالى ﴿وكان الله على كل شيء مقبلاً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما مقتدر أو مجازيا قال الشاعر
وذئ ضغن كغفت النفس عنه وكنت على إساءته مقبلاً

(ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) أى يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذى ترتب على سعيه ونيته كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «اشفعوا تؤجروا» ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء» وقال مجاهد بن جبر: نزلت هذه الآيات في شفاعات الناس بعضهم لبعض وقال الحسن البصري قال الله تعالى (من يشفع) ولم يقل من يشفع، وقوله (وكان الله على كل شيء مقبلاً) قال ابن عباس وعطاء وعطية وقتادة ومطر الوراق (مقبلاً) أى حفيظاً، وقال مجاهد شهيداً، وفي رواية عنه حسيباً. وقال ابن جبير والسدي وابن زيد قديراً، وقال عبدالله بن كثير المقيت المواظب، وقال الضحاك: المقيت الرزاق. وقال ابن حاتم: حدثنا ابني حدثنا عبد الرحيم ابن مطرف حدثنا عيسى بن يونس عن اسماعيل عن رجل عن عبدالله بن رواحة وسأله رجل عن قول الله تعالى (وكان الله على كل شيء مقبلاً) قال مقيت لكل انسان بقدر عمله، وقوله (واذا حيئتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) أى اذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه أفضل مما سلم، أو ردوا عليه بمثل ما سلم فالزيادة مندوبة، والمائلة مفروضة. قال ابن جرير حدثنا موسى بن سهل الرمي حدثنا عبدالله بن السري الانطاكي حدثنا هشام بن لاحق عن عاصم الاحول عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليك يا رسول الله فقال «وعليك السلام ورحمة الله» ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته» ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال له «وعليك» فقال له الرجل: يا بني الله باني أنت وأمي أباك فلان وفلان فسلم عليك فرددت عليهما أكثر مما رددت عليّ، فقال «انك لم تدع لنا شيئاً قال الله تعالى (واذا حيئتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فرددناها عليك» وهكذا رواه ابن ابني حاتم

وقال مجاهد شاهداً وقال قتادة حافظاً وقيل معناه على كل حيوان مقبلاً أي يوصل القوت اليه وجاء في الحديث كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت وقيت

قوله تعالى ﴿وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾ التحية دعاء بطول الحياة والمراد بالتحية هنا السلام يقول إذا سلم عليكم مسلم فأجيبوا بأحسن منها أو ردوها كما سلم فإذا قال السلام عليكم فقل وعليكم السلام ورحمة الله وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله فقل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وروي ابن عباس رضي الله عنهما قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئاً فقال ابن عباس ان السلام ينتهي الى البركة وروي عن عمران بن حصين أن رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون واعلم

معلقاً فقال : ذكر عن احمد ابن الحسن الترمذى حدثنا عبدالله بن السرى ابو محمد الانطاكي قال ابو الحسن وكان رجلاً صالحاً حدثنا هشام بن لاحق فذكر بأسناده مثله ، ورواه ابو بكر بن مردويه حدثنا عبد الباقي بن قانع حدثنا عبدالله بن احمد بن حنبل حدثنا ابي حدثنا هشام بن لاحق أبو عثمان فذكره مثله ولم أره في المسند والله اعلم ، وفي هذا الحديث دلالة على أنه لازيادة في السلام على هذه الصفة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، إذ لو شرع أكثر من ذلك لزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن كثير أخو سليمان بن كثير حدثنا جعفر بن سليمان عن عوف عن ابي رجاء العطاردي عن عمران بن حصين أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم يا رسول الله فرد عليه السلام ثم جلس فقال عشر ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله يا رسول الله فرد عليه ، ثم جلس فقال عشرون ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه السلام ، ثم جلس فقال ثلاثون « وكذا رواه ابو داود عن محمد ابن كثير ، وأخرجه الترمذى والنسائي والبزار من حديثه ، ثم قال الترمذى حسن غريب من هذا الوجه ، وفي الباب عن ابي سعيد وعلي وسهل بن حنيف ، وقال البزار : قد روي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه هذا أحسنها اسناداً »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا بن حرب الموصلي حدثنا حميد بن عبد الرحمن الزواصي عن الحسن بن صالح عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسياً ذلك بأن الله يقول فخيروا أحسن منها أو ردوها وقال قتادة فخيروا بأحسن يعني للمسلمين أو ردوها يعني لأهل الذمة وهذا التنزيل فيه نظر كما تقدم في الحديث من ان المراد أن يرد

ان السلام سنة ورد السلام فريضة وهو فرض على الكفاية فإذا سلم واحد من جماعة كان كافياً في السنة وإذا سلم واحد على جماعة ورد واحد منهم سقط الفرض عن جميعهم أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن عمر ابن حفص التاجر أنا ابراهيم بن عبدالله بن عمر بن بكر الكوفي أنا وكيم عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء ، إذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا قتيبة أنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الله بن عمر أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاسلام خير قال أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ومعنى قوله أي الاسلام خير يريد أي خصال الاسلام خير وقيل فخيروا بأحسن منها معناه أي اذا كان الذي سلم مسلماً أوردوها مثلها اذا لم يكن مسلماً أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو

بأحسن مما حياه به فان بلغ المسلم غاية ما شرع في السلام رد عليه مثل ما قال فأما أهل الذمة فلا يبدؤن بالسلام ولا يزادون بل يرد عليهم بما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سلم عليكم اليهود فأنما يقول أحدهم السام عليكم فقل وعليك وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام واذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم الى أضيقة وقال سفيان الثوري عن رجل عن الحسن البصري قال السلام تطوع والرد فريضة وهذا الذي قاله هو قول العلماء قاطبة أن الرد واجب على من سلم عليه فيأثم ان لم يفعل لانه خالف أمر الله في قوله فحيوا بأحسن منها أو ردوها وقد جاء في الحديث الذي رواه (١) وقوله الله لا إله إلا هو أخبار بتوحيده وتفرده بالآلهية لجميع المخلوقات وتضمن قسما لقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه وهذه اللام موطئة للقسم فقوله الله لا إله إلا هو خبر وقسم انه سيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد فيجازي كل عامل بعمله وقوله تعالى (ومن أصدق من الله حديثا) أي لا أحد أصدق منه في حديثه وخبره ووعدته ووعدته فلا إله الا هو ولا رب سواه

(١) ياض في الاصل

(فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا تريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا (٨٨) ودثوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجرُوا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا (٨٩) إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو

إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن يسار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اليهود فأنما يقول أحدهم السام عليكم فقل وعليك قوله تعالى ﴿إن الله كان على كل شيء حسيبا﴾ أي على كل شيء من رد السلام بمثله أو بأحسن منه حسيبا أي محاسبا مجازيا وقال مجاهد حفيظا وقال أبو عبيدة مكافئا يقال حسيبي هذا أي كفاني قوله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم﴾ اللام لام القسم تقديره والله ليجمعنكم في الموت وفي القبور ﴿اليوم القيامة﴾ وسميت القيامة قيامة لأن الناس يقومون من قبورهم قال الله تعالى (يوم يخرجون من الاجداث سراعا) وقيل لقيامهم الى الحساب قال الله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ﴿لارب فيه ومن أصدق من الله حديثا﴾ أي قولاً ووعداً وقرأ حمزة والكسائي أصدق وكل صاد سا كنة بعدها دال باشمام الزاي ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ اختلفوا في سبب نزولها فقال قوم نزلت في الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم فانهم منافقون وقال بعضهم أعف عنهم فانهم تكلموا

جاءوكم حصيرت صدورهم أن يقتلواكم أو يقتلوا قومهم ، ولو شاء الله لسلطهم عليكم فليقتلواكم
فإن اعتزلوكم فلم يقتلواكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً (٩٠) ستجدون
آخرين يريدون أن يأمنونكم ويأمنوا قومهم كلما رُدُّوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم
ويلقوا إليكم السلم ويخفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث توفى قلوبهم وأولئك جعلنا لرسلكم
عليهم سلطاناً مبيناً (٩١)

يقول تعالى منكرًا على المؤمنين في اختلافهم في المناققين على قولين. واختلف في سبب ذلك فقال
الامام أحمد حدثنا بهز حدثنا شعبة قال عدي بن ثابت أخبرني عبد الله بن يزيد عن زيد بن
ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد فرجع ناس خرجوا معه فكان أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين فرقة تقول تقتلهم وفرقة تقول لا، هم المؤمنون فأنزل الله (فما لكم في
المناققين فتنتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنها طيبة وتنفي الخبث كما ينفي الكبير خبث
الحديد » أخرجه في الصحيحين من حديث شعبة وقد ذكر محمد بن اسحاق بن يسار في وقعة
أحد أن عبد الله بن أبي بن سلول رجع يومئذ بثلاث الجيش رجع بثلاثه و بقي النبي صلى الله عليه
وسلم في سبعمائة وقال العوفي عن ابن عباس نزلت في قوم كانوا قد تكلموا بالاسلام وكانوا
يظاهرون المشركين فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم فقالوا ان لقينا أصحاب محمد فليس علينا
منهم بأس وأن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة قالت فئة من المؤمنين اركبوا إلى
الجباه فاقتلوهم فانهم يظاهرون عليكم عدوكم : وقالت فئة أخرى من المؤمنين سبحان الله أو كما

بالاسلام أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن
اسماعيل أنا أبو الوليد أنا شعبة عن عدي بن ثابت قال سمعت عبد الله بن يزيد يحدث عن زيد
ابن ثابت قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة تقول تقتلهم وفرقة تقول لا تقتلهم فنزلت (فما لكم في المناققين
فتنتين والله أركسهم بما كسبوا) وقال « أنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الفضة » وقال مجاهد قوم
خرجوا إلى المدينة وأسلموا ثم ارتدوا واستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليأتوا
ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول هم منافقون، وقائل يقول هم
مؤمنون وقال بعضهم نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة وأسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتترهين
حتى تباعدوا من المدينة فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا الذي فارقناك عليه من
الايمان ولكننا اجتونا المدينة واشتقنا إلى أرضنا ثم انهم خرجوا في تجارة لهم نحو الشام فبلغ ذلك

قالوا اتقتلون قوماً قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل انهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم، نستحل دماءهم وأموالهم فكانوا كذلك ففتين والرسول عندهم لا ينهي واحداً من الفريقين عن شيء، فنزلت (فما لكم في المناققين فتين) رواه ابن أبي حاتم وقد روي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم قريب من هذا وقال زيد بن أسلم عن ابن لسعد بن معاذ انها نزلت في تقاول الاوس والخزرج في شأن عبد الله بن أبي حين استعذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر في قضية الافك وهذا غريب وقيل غير ذلك وقوله تعالى (والله أركسهم بما كسبوا) أي ردهم وأوقعهم في الخطأ قال ابن عباس (أركسهم) أي أوقعهم وقال قتادة أهلكهم وقال السدي أضلهم وقوله (بما كسبوا) أي بسبب عصيانهم ومخالفتهم الرسول واتباعهم الباطل (أتريدون أن تهتدوا من أضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً) أي لا طريق له إلى الهدى ولا مخلص له إليه وقوله (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) أي هم يودون لكم الضلالة لتستوا أنتم وإياهم فيها وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لكم ولهذا قال (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا) أي تركوا الهجرة قاله العوفي عن ابن عباس وقال السدي أظهروا كفرهم

المسلمين فقال بعضهم يخرج إليهم فنقتلهم ونأخذ مامعهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة كيف تقتلون قوماً على دينكم بان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهي واحداً من الفريقين فنزلت هذه الآية وقال بعضهم هم قوم اسلموا بمكة ثم لم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين فنزلت فما لكم يا معشر المؤمنين في المناققين فتين أي صرتم فيهم فتين أي فرقتين ﴿والله أركسهم﴾ أي نكسهم وردهم إلى الكفر ﴿بما كسبوا﴾ بأعمالهم غير الزاكية ﴿أتريدون أن تهتدوا﴾ أي أن ترشدوا ﴿من أضل الله﴾ وقيل معناه اتقولون ان هؤلاء مهتدون وقد أضلهم الله ﴿ومن يضل الله﴾ أي ومن يضل الله عن الهدى ﴿فلم تجد له سبيلاً﴾ أي طريقاً إلى الحق

قوله تعالى ﴿ودوا﴾ تمنوا يعني أولئك الذين رجعوا عن الدين تمنوا ﴿لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ في الكفر وقوله فتكونون لم يرد به جواب التمني لان جواب التمني بالفاء منصوب انما أراد النسق أي ودوا لو تكفرون وودوا لو تكونون سواء مثل قوله (ودوا لو تدهن فيدهنون) أي ودوا لو تدهن وودوا لو تدهنون ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ منع عن مواليتهم ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله معكم﴾ قال عكرمة هي هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة أوجه هجرة المؤمنين في أول الاسلام وهي قوله تعالى (للفقراء المهاجرين) وقوله (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله) ونحوهما من الآيات وهجرة المؤمنين وهي الخروج في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صابرين محتسبين كما حكي هنا وفي هذه الآية منع المؤمنين من موالاة المناققين حتى يهاجروا في

(فخذوهم واقتلوه حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) أي لا توالوهم ولا تستنصروا بهم على أعداء الله ماداموا كذلك ثم استثنى الله من هؤلاء فقال (إلا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي إلا الذين لجأوا وتحيزوا الى قوم بينكم وبينهم مهادنة أو عقد ذمة فاجعلوا حكمهم كحكمهم وهذا قول السدي وابن زيد وابن جرير وقدرى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن أن سراقه بن مالك المدلجي حدثهم قال لما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على أهل بدر وأسلم من حولهم قال سراقه بلغني انه يريد أن يبعث خالد بن الوليد الى قومي بني مدلج فأتيته فقلت أنشدك النعمة فقالوا له فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوه ماتريد؟ قال بلغني أنك تريد أن تبعث الى قومي وأنا اريد أن نوادعهم فان أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الاسلام وان لم يسلموا لم تخش لقلوب قومك عليهم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد خالد بن الوليد فقال اذهب معه فافعل ما يريد فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أسلمت قريش أسلموا فانزل الله (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء) ورواه ابن مردويه من طريق حماد بن سلمة وقال فانزل الله (إلا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فكان من وصل اليهم كلف معهم على عهدهم وهذا أنشأ لسياق الكلام . وفي صحيح البخاري في قصة صلح الحديبية فكان من أحب أن يدخل في صلح قريش وعهدهم، ومن أحب أن يدخل في صلح محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعهدهم. وقد روى عن ابن عباس انه قال نسخها قوله (فاذا انسأخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) الآية وقوله (أو جاؤكم حصرت صدورهم) الآية هؤلاء قوم آخرون من المستثنين من الأمر بقتالهم وهم الذين يجيئون سبيل الله وهجرة سائر المؤمنين مانهى الله عنه وهي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « المهاجر من هجر مانهى الله عنه »

قوله تعالى ﴿ فان تولوا ﴾ أعرضوا عن التوحيد والهجرة ﴿ فخذوهم ﴾ أي خذوهم أسارى ومنه يقال للاسير أخيد ﴿ واقتلوه حيث وجدتموهم ﴾ في الحل والحرم ﴿ ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ﴾ ثم استثنى طائفة منهم فقال ﴿ الا الذين يصلون الى قوم ﴾ وهذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون أي ينتسبون اليهم ويتصلون بهم ويدخلون فيهم بالخلف والجوار. وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريدون أن يلجؤا الى قوم ﴿ بينكم وبينهم ميثاق ﴾ أي عهدهم الاسلاميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمي قبل خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم من الجوار مثل ما لهلال. وقال الضحاك عن ابن عباس أراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد بن مناة كانوا في الصلح والمهنة وقال مقاتل هم خزاعة وقوله ﴿ أو جاؤكم ﴾

الى المصاف وهم حصرة صدورهم أي ضيقة صدورهم مبغضين أن يقاتلوكم، ولا يهون عليهم أيضا أن يقاتلوا قومهم معكم بل هم لالكم ولا عليكم (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) أي من لطفه بكم أن كفهم عنكم (فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) أي المسالمة (فما جعل الله لکم عليهم سبيلا) أي فليس لکم أن تقاتلوهم مادامت حالهم كذلك وهؤلاء كالجماعة الذين خرجوا يوم بدر من بني هاشم مع المشركين فحضروا القتال وهم كارهون كالعباس ونحوه ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العباس وأمر بأسره وقوله (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم) الآية هؤلاء في الصورة الظاهرة كمن تقدمهم ولكن نية هؤلاء غير نية أولئك فإن هؤلاء قوم منافقون يظهرون للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تحببه الاسلام ليأمنوا بذلك عندهم على دمائهم وأموالهم وذرائعهم ويصانعون الكفار في الباطن فيعبدون معهم ما يعبدون ليأمنوا بذلك عندهم وهم في الباطن مع أولئك كما قال تعالى (وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم) الآية وقال ههنا (كلما

أى يتصلون بقوم جاؤكم ﴿حصرت صدورهم﴾ أى ضاقت صدورهم قرأ الحسن ويعقوب حصرة منصوبة منونة أى ضيقة صدورهم يعنى القوم الذين جاؤكم وهم بنو مدليج كانوا عاهدوا قريشاً أن لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشاً أن لا يقاتلوهم (حصرت) ضاقت صدورهم ﴿أن يقاتلوكم﴾ أى عن قتالكم للعهد الذى بينكم ﴿أو يقاتلوا قومهم﴾ يعنى من آمن منهم ويجوز أن يكون معناه أنهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم يعنى قريشاً قد ضاقت صدورهم لذلك وقال بعضهم أو يعنى الو او كانه يقول الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أى حصرت صدورهم عن قتالهم والقتال معكم وهو قوم هلال الاسلاميون وبنو بكر. نهى الله سبحانه عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا بأهل عهد للمسلمين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم في حقن الدماء قوله تعالى ﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم﴾ يذكر منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين يقول: ان ضيق صدورهم عن قتالكم لما ألقى الله في قلوبهم من الرعب وكفهم عن قتالكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم مع قومهم ﴿فإن اعتزلوكم﴾ أي اعتزلوا قتالكم ﴿فلم يقاتلوكم﴾ ومن اتصل بهم ويقال يوم فتح مكة لم يقاتلوكم مع قومهم ﴿وألقوا اليكم السلم﴾ أي الصلح قاتلوا واستسلموا ﴿فما جعل الله لکم عليهم سبيلا﴾ أي طريقاً بالقتل والقتال

قوله تعالى ﴿ستجدون آخرين﴾ قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما هم أسد وغطفان كانوا حاضري المدينة تنكلموا بالاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أسلمت فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء وإذا لقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: إنا على دينكم يريدون بذلك الامن في الفريقين وقال الضحاك عن ابن عباس هم بنو عبد الدار كانوا بهذه الصفة ﴿يريدون أن يأمنوكم﴾ فلا تتعرضوا لهم ﴿ويأمنوا قومهم﴾ فلا

ردوا الى الفتنة اركسوا فيها) أى انهمكوا فيها . وقال السدى الفتنة ههنا الشرك . وحكى ابن جرير عن مجاهد أنها نزلت في قوم من أهل مكة كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون رياء ثم يرجعون الى قريش فيرتكسون في الأوثان ينتفعون بذلك أن يأمّنوا ههنا وههنا فأمر بقتلهم إن لم يعتزلوا ويصلحوا ولهذا قال تعالى (فإن لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم) المهادنة والصلح (ويكفوا أيديهم) أى عن القتال (فخذوهم) أسراء (واقتلوهم حيث ثقتموهم) أى أين لقيتموهم (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً) أى بيناً واضحاً

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢) وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)

يقول تعالى ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، إلا بحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » ثم اذا وقع شيء من هذه الثلاث فليس لأحد من آحاد الرعية أن يقتله وإنما ذلك الى الامام أو نائبه وقوله (الا خطأ) قالوا هو استثناء منقطع كقول الشاعر

يتعرضوا لهم ﴿ كلما ردوا الى الفتنة ﴾ أى دعوا الى الشرك ﴿ أركسوا فيها ﴾ أى رجعوا وعادوا الى الشرك ﴿ فإن لم يعتزلوكم ﴾ أى فإن لم يكفوا عن قتالكم حتى تسيروا الى مكة ﴿ ويلقوا اليكم السلم ﴾ أى المقادة والصلح ﴿ ويكفوا أيديهم ﴾ ولم يقبضوا أيديهم عن قتالكم ﴿ فخذوهم ﴾ أسراء ﴿ واقتلوهم حيث ثقتموهم ﴾ أى وجدتموهم ﴿ وأولئكم ﴾ أى أهل هذه الصفة ﴿ جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ﴾ أى حجة بينة ظاهرة بالقتل والقتال

قوله تعالى ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً ﴾ الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فأسلم ثم خاف أن يظهر اسلامه لاهله فخرج هارباً الى المدينة وتحصن في أطم من أطامها فجزعت أمه لذلك جزعاً شديداً وقالت لابنها الحرث وأبى جهل بن هشام وهما أخواه لأمه والله لا يظلنى سقف ولا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى تأتوني

من البيض لم تظعن بعيداً ولم تطأ على الأرض الأريط برد مرحل
ولهذا شواهد كثيرة واختلف في سبب نزول هذه فقال مجاهد وغير واحد نزلت في عياش
ابن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه وهي أسماء بنت مخزومة وذلك انه قتل رجلاً يعذبه مع أخيه على
الاسلام وهو الحرث بن يزيد الغامدي فاضمر له عياش السوء فاسلم ذلك الرجل وهاجر وعياش
لا يشعر فلما كان يوم الفتح رآه فظن انه على دينه فحمل عليه فقتله فانزل الله هذه الآية قال عبد الرحمن
ابن زيد بن أسلم: نزلت في أبي الدرداء لانه قتل رجلاً وقد قال كلمة الايمان حين رفع عليه السيف
فاهوى به اليه فقال كلمته فلما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال انما قالها متعوذاً فقال له هل
شفقت عن قلبه وهذه القصة في الصحيح لغير أبي الدرداء.

وقوله (ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله) هذان واجبان في قتل
الخطأ أحدهما الكفارة لما ارتكبه من الذنب العظيم وإن كان خطأ ومن شرطها أن تكون عتق
رقبة مؤمنة فلا تجزي الكفارة وحكي ابن جرير عن ابن عباس والشعبي وإبراهيم النخعي والحسن
البصري أنهم قالوا لا يجزي الصغير حتى يكون قاصداً للايمان وروي من طريق عبد الرزاق
عن معمر عن قتادة قال في مصحف أبي فتحرير رقبة مؤمنة لا يجزي فيها صبي. واختار ابن جرير
انه إن كان مولوداً بين أبوين مسلمين أجزأ والا فلا والذي عليه الجمهور انه متى كان مسلماً صح
عتقه عن الكفارة سواء كان صغيراً أو كبيراً قال الامام أحمد أنبأنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن
الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن رجل من الانصار انه جاء بأمة سوداء فقال يا رسول الله
أن علي عتق رقبة مؤمنة فان كنت ترى هذه مؤمنة أعتقتها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم

به فخرجا في طلبه وخرج معهما الحرث بن زيد بن أبي أنيسة حتى أتوا المدينة فأتوا عياشاً وهو في الاطم
فقالا له انزل فان أمك لم يؤوها سقف بيت بعدك وقد حلفت أن لا تأكل طعاماً ولا تشرب شراباً
حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا أن لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك فلما
ذكروا له جزع أمه وأوثقوا له بالله نزل اليهم فأخرجوه من المدينة ثم أوثقوه بنسعة جلده كل واحد
منهم مائة جلدة ثم قدموا به على أمه فلما أتتها قالت والله لا أحلك من وثاقتك حتى تكفر بالذي آمنت
به ثم تركوه موثقاً مطروحاً في الشمس ماشاء الله فاعطاهم الذي أرادوا فاتاهم الحرث بن زيد فقال
يعياش أهذا الذي كنت عليه فوالله لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت
عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا ألقاك خالياً أبداً إلا قتلتك ثم إن عياشاً أسلم بعد ذلك
وهاجر ثم أسلم الحرث بن زيد بعده وهاجر الى الرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضراً
يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينما عياش يسير يظهر قباء إذ لقي الحرث فقتله فقال الناس ويحك أي شيء
قد صنعت؟ إنه قد أسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله قد كان من

أشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت نعم. قال أشهدين أنني رسول الله؟ قالت نعم قال أتؤمنين بالبعث بعد الموت قالت نعم قال اعتقها وهذا إسناد صحيح وجهالة الصحابي لا تضره. وفي موطأ مالك ومسنند الشافعي وأحمد وصحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي من طريق هلال بن أبي ميمونة عن عطاء ابن يسار عن معاوية بن الحكم أنه لما جاء بتلك الجارية السوداء قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعتقها فإنها مؤمنة» وقوله (ودية مسلمة إلى أهله) هو الواجب الثاني فيما بين القاتل وأهل القتل عوضاً لهم عما قاتلهم من قتلهم. وهذه الدية إنما تجب أخماساً كما رواه الامام أحمد وأهل السنن من حديث الحجاج بن أرطاة عن زيد بن جبير عن خشف بن مالك عن ابن مسعود قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في دية الخطأ عشرين بنت مخاض وعشرين بني مخاض ذكوراً وعشرين بنت لبون جذعة وعشرين حقة. لفظ النسائي قال الترمذي لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه وقد روي عن عبد الله موقوفاً كما روي عن علي وطائفة وقيل تجب أرباعاً وهذه الدية إنما تجب على عاقلة القاتل لافي ماله قال الشافعي رحمه الله لم أعلم مخالفاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدية على العاقلة وهو أكثر من حديث الخاصة. وهذا الذي أشار إليه رحمه الله قد ثبت في غير ما حديث فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال قتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها فاختمنهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى أن دية جنيها غرة عبد أو أمة وقضى بدية المرأة على عاقلتها وهذا يقتضي أن حكم عمد الخطأ حكم الخطأ المحض في وجوب الدية لكن هذا تجب فيه الدية أثلاثاً لشبهة العمد وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً أمري وأمر الحرث ماقد علمت وإني لم أشعر بإسلامه حتى قتله فنزل (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) وهذا نهى عن قتل المؤمن كقوله تعالى (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) ﴿إلا خطأ﴾ استثناء منقطع معناه لكن إن وقع خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ﴿أي فعله إعتاق رقبة مؤمنة كفارة﴾ ودية مسلمة ﴿كاملة﴾ إلى أهله ﴿أي إلى أهل القتل الذين يرثونه﴾ إلا أن يصدقوا ﴿أي يتصدقوا بالدية فيعفوا ويتركوا الدية﴾ فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ﴿أراد به إذا كان الرجل مسلماً في دار الحرب منفرداً مع الكفار فقتله من لم يعلم بإسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه إذا كان المقتول مسلماً في دار الإسلام وهو من نسب قوم كفار وقرابته في دار الحرب حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولادية لأهله. وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين وكان فيه تحرير رقبة ولم يكن فيه دية لأنه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد.

قوله تعالى ﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾

ابن الوليد الى بني خزيمة فدعاهم الى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسامنا فجعلوا يقولون صباناً صباناً فجعل خالد يقتلهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع يديه وقال «اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد» وبعث علياً فودى قتلاهم وما أتلف من أموالهم حتى ميلغة الكلب وهذا الحديث يؤخذ منه ان خطأ الامام أو نائبه يكون في بيت المال وقوله الا أن يصدقوا أي فتجب فيه الدية مسالة الى أهله إلا ان يصدقوا بها فلا تجب وقوله (فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) أي اذا كان القتيل مؤمناً ولكن أولياءه من الكفار أهل حرب فلا دية لهم وعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة لا غير وقوله (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) الآية أي فان كان القتيل أو لياؤه أهل ذمة أو هدنة فلهم دية قتيلهم فان كان مؤمناً فدية كاملة وكذا ان كان كافراً أيضاً عند طائفة من العلماء وقيل يجب في الكافر نصف دية المسلم وقيل ثلثها كما هو مفصل في كتاب الاحكام . ويجب أيضاً على القاتل تحرير رقبة مؤمنة (فن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) أي لا افطار بينهما بل يسرد صومهما الى آخرهما فان أفطر من غير عذر من مرض أو حيض أو نفاس استأنف واختلفوا في السفر هل يقطع أم لا على قولين وقوله (توبة من الله وكان الله عليا حكيما) أي هذه توبة القاتل خطأ اذا لم يجد العتق صام شهرين متتابعين. واختلفوا فيمن لا يستطيع الصيام هل يجب عليه إطعام ستين مسكيناً كما في كفارة الظهار على قولين أحدهما نعم كما هو منصوص عليه في كفارة الظهار وإنما لم يذكر هنا لأن هذا مقام تهديد وتخويف وتحذير فلا يناسب ان يذكر فيه الاطعام لما فيه من التسهيل والترخيص

أراد به اذا كان المقتول كافراً ذمياً أو معاهداً فيجب فيه الدية والكفارة والكفارة تكون باعناق رقبة مؤمنة سواء كان المقتول مسلماً أو معاهداً رجلاً كان أو امرأة حراً كان أو عبداً وتكون في مال القاتل ﴿فن لم يجد فصيام شهرين متتابعين﴾ والقاتل ان كان واجداً للرقبة أو قادراً على تحصيلها بوجود ثمنها فاضلاً عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز أن ينتقل الى الصوم فان عجز عن تحصيلها فعليه صوم شهرين متتابعين فان أفطر يوماً متعمداً فيه خلال الشهرين أو نسي أو نوى صوماً آخر وجب عليه استئناف الشهرين وان فصل يوماً بعذر مرض أو سفر فهل ينقطع التتابع اختلف أهل العلم فيه فمنهم من قال ينقطع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعي وأظهر قولي الشافعي رضي الله عنه لأنه أفطر مختاراً ومنهم من قال لا ينقطع وله أن يني وهو قول سعيد ابن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين أفطرت أيام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت على ما أصابت لانه أمر مكتوب على النساء لا يمكنهن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل يخرج عنه باطعام ستين مسكيناً فيه قولان أحدهما يخرج كما في كفارة الظهار والثاني لم يخرج لان الشرع لم يذكر له بدلاً فقال فصيام شهرين متتابعين ﴿توبة من الله﴾ أي جعل الله ذلك

والقول الثاني لا يعدل الى الطعام لأنه لو كان واجباً لما أخر بيانه عن وقت الحاجة (وكان الله عليماً حكيماً) قد تقدم تفسيره غير مرة. ثم لما بين تعالى حكم القتل الخطأ شرع في بيان حكم القتل العمد فقال (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) الآية وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله بالحق) الآية وقال تعالى (قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً) الآية، والآيات والاحاديث في تحريم القتل كثيرة جداً فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء» وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو داود ومن رواية عمرو بن الوليد بن عبدة المصري عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يزال المؤمن معتكفاً صالحاً ما لم يصب دماً حراماً فإذا أصاب دماً حراماً بلغ» (١) وفي حديث آخر «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم» وفي الحديث الآخر «لو اجتمع أهل السموات والأرض على قتل رجل مسلم لا يكهم الله في النار» وفي الحديث الآخر «من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كامة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله» وقد كان ابن عباس يرى انه لا توبة لقاتل المؤمن عمداً. وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا المغيرة بن النعمان قال سمعت ابن جبير قال اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت الى ابن عباس فسألته عنها فقال نزلت هذه الآية (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) هي آخر ما نزل وما نسخها شيء وكذا رواه هو أيضاً ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة به ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل عن ابن مهدي عن سفيان توبة لقاتل الخطأ (وكان الله عليماً) بمن قتل خطأ (حكيماً) فيما حكم به عليكم. أما الكلام في بيان الدية فاعلم أن القتل على ثلاثة أنواع عمد محض، وشبه عمد، وخطأ محض أما المحض فهو أن يقصد قتل انسان بما يقصد به القتل غالباً فقتله ففيه القصاص عند وجود التكافؤ أودية مغلظة في مال القاتل، وشبه العمدان يقصد ضربه بما لا يموت مثله من مثل ذلك الضرب غالباً بان ضربه ببعض خفيفة أو حجر صغير ضربة أو ضربتين فمات فلا قصاص فيه بل يجب فيه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين، والخطأ المحض هو أن لا يقصد قتله بل قصد شيئاً آخر فأصابه فمات منه فلا قصاص فيه بل يجب دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين، وتجب الكفارة في ماله في الانواع كلها وعند أبي حنيفة رضي الله عنه قتل العمد لا يوجب الكفارة لأنه كبيرة كسائر الكبائر، ودية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عذمت الابل وجبت قيمتها من الدراهم أو الدنانير في قول، وفي قول يجب بدل منها مقدر وهو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم لما روي عن عمر رضي الله عنه: فرض الدية على أهل الذهب ألف دينار، وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم وذهب قوم الى أن الواجب في الدية

(١) معنفاً أي مسرعاً في سببه و (بلغ) بالتخفيف والتشديد أي انقطع من الاعياء والوهن

الثوري عن مغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) فقال ما نسخها شيء. وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا ابن عون حدثنا شعبة عن سعيد بن جبير قال قال عبد الرحمن بن أبزي سئل ابن عباس عن قوله (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) الآية قال لم ينسخها شيء وقال في هذه الآية (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) إلى آخرها قال نزلت في أهل الشرك. وقال ابن جرير أيضاً حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور حدثني سعيد بن جبير أو حدثني الحكم عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن قوله (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) قال: إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام ثم قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ولاتوبة له فذكر ذلك لمجاهد فقال لا من ندم. حدثنا ابن حميد وابن وكيع قال حدثنا جرير عن يحيى الجابري عن سالم بن أبي الجعد قال كنا عند ابن عباس بعد ما كف بصره فاتاه رجل فناداه يا عبد الله بن عباس ما ترى في رجل قتل مؤمناً متعمداً؟ فقال جزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً. قال أفرأيت إن تاب وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال ابن عباس شككته أمه وأنى له التوبة والهدى؟ والذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول «شككته أمه قاتل مؤمناً متعمداً جاء يوم أخذه يمينه أو بشاله تشخب أو داحه من قبل عرش الرحمن يلزم قاتله بشاله ويده الأخرى رأسه يقول يا رب سل هذا فيم قلني» وإيم الذي نفس عبد الله بيده لقد أنزلت هذه الآية فما نسختها من آية حتى قبض نبيكم صلى الله عليه وسلم وما نزل بعدها من برهان. وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت يحيى بن الجبزي يحدث عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس أن رجلاً أتى إليه فقال أرايت رجلاً قتل رجلاً عمداً؟ فقال (جزاؤه جهنم خالداً فيها) الآية قال لقد نزلت من آخر ما نزل ما نسخها شيء حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل وحي بعد رسول

مائة من الابل أو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصري رضي الله عنهما وبه قال مالك، وذهب قوم إلى أنها مائة من الابل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي. ودية المرأة نصف دية الرجل ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم إن كان كنياً وإن كان مجوسياً فخمس الدية روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم، ودية المجوسي ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وإليه ذهب الشافعي رضي الله عنه، وذهب قوم إلى أن دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم روي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وقال قوم دية الذمي نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك رحمهما الله والدية في العمد المحض وشبه العمد مغلفة بالسن فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفه في بطونها أولادها وهو قول عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما وبه قال عطاء وإليه ذهب الشافعي رضي

الله صلى الله عليه وسلم قال أرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى قال وأنتى له بالتوبة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « شكته أمه رجل قتل رجلاً متعمداً يجيىء يوم القيامة آخذاً قاتله يمينه أو ييساره وآخذاً رأسه يمينه أو شماله تشخب أوداجه دمان قبل العرش يقول يارب سل عبدك فيم قتلني » وقد رواه النسائي عن قتبية وابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة عن عمار الذهبي ويحيى الجابري وثابت الثمالي عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس فذكره وقد روى هذا عن ابن عباس من طرق كثيرة ومن ذهب الى انه لا توبة له من السلف زيد بن ثابت وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعبيد بن عمير والحسن وقتادة والضحاك ابن مزاحم نقله ابن أبي حاتم. وفي الباب أحاديث كثيرة فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن مردويه الحافظ في تفسيره حدثنا دعلج بن أحمد حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي ح وحدثنا عبد الله بن جعفر وحدثنا إبراهيم بن فهد قالوا حدثنا عبيد بن عبيدة حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن الأعمش عن أبي عمرو بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجيىء المقتول متعلقاً بقاتله يوم القيامة آخذاً رأسه بيده الأخرى فيقول يارب سل هذا فيم قتلني؟ قال فيقول قتلته لتكون العزة لك فيقول فأنهالي قال ويجيىء آخر متعلقاً بقاتله فيقول رب سل هذا فيم قتلني؟ قال فيقول قتلته لتكون العزة لفلان قال فأنها ليست له بؤبائه قال فيهوي في النار سبعين خريفاً » وقد رواه عن النسائي عن إبراهيم بن المستمر العوفي عن عمرو بن عاصم عن معتمر بن سليمان به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد : حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ثور بن يزيد عن أبي عون عن أبي إدريس قال سمعت معاوية رضي الله عنه يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « كل ذنب عسى

الله عنه لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الحلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي رضي الله عنه أنا بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان عن القاسم بن ربيعة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا إن في كل قتل خطأ أو شبه العمد قتل السوط والعصا مائة من الأبل مغلظة منها أربعون خلفه في بطونها أولادها » وذهب قوم الى أن الدية المغلظة أربع : خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهو قول الزهري وربيعة وبه قال مالك وأحمد وأصحاب الرأي وأمادية الخطأ فمخففة وهي أخماس بالاتفاق غير أنهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهو قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي رحمهم الله وأبدل قوم بني اللبون ببنت المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه وبه قال أحمد وأصحاب الرأي ودية الأطراف على هذا التقدير ودية المرأة فيها على النصف من دية الرجل ، والدية في قتل الخطأ وشبهه

الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا ، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً » وكذا رواه النسائي عن محمد ابن المثنى عن صفوان بن عيسى به ، وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا سمويه حدثنا عبد الأعلى بن مسهر حدثنا صدقة بن خالد حدثنا خالد بن دهقان حدثنا ابن زكريا قال : سمعت أم الدرداء تقول سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً ، أو من قتل مؤمناً متعمداً » وهذا غريب جداً من هذا الوجه . والمحفوظ حديث معارية المتقدم فالله أعلم . ثم روى ابن مردويه من طريق بقية بن الوليد عن نافع بن يزيد حدثني ابن جبير الانصاري عن داود بن الحصين عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قتل مؤمناً متعمداً فقد كفر بالله عز وجل » وهذا حديث منكر أيضاً فاسناده تكلم فيه جداً . قال الامام احمد حدثنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد قال : أتاني أبو العالية أنا وصاحب لي فقال لنا : هلمافانتما أشب سنأمني ، وأوعى للحديث مني ، فانطلق بنا إلى بشر بن عاصم فقال له أبو العالية حدث هؤلاء حديثك فقال : حدثنا عقبة بن مالك الليثي قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فأغارت على قوم فشدت مع القوم رجل فاتبه رجل من السرية شاهراً سيفه ، فقال الشاذ من القوم اني مسلم فلم ينظر فيما قال فقتله فنعى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولاً شديداً ، فبلغ القاتل ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إذ قال القاتل : والله ما قال الذي قال إلا أتعوذاً من القتل ، قال فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وعن قبله من الناس وأخذ في خطبته ، ثم قال أيضاً يا رسول الله ما قال الذي قال إلا أتعوذاً

العمد على العاقلة وهم عصبات القاتل من الذكور ولا يجب على الجاني منها شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم أوجبه على العاقلة

قوله تعالى ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً ﴾ الآية نزلت في مقيس بن ضبابة السكندي وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه رجلاً من بني فهر إلى بني النجار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن ضبابة أن تدفعوه الى مقيس فيقتص منه ، وان لم تعلموا أن تدفعوا اليه ديتة فأبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعاً وطاعة لله ولرسوله والله ما نعلمه قاتلاً ولكننا نؤدي ديتة فأعطوه مائه من الابل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيساً فوسوس اليه فقال تقبل دية أخيك فتكون عليك مسبة اقتل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيراً وساق بقيتها راجعاً الى مكة كافرأ فنزل فيه ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ﴾ بكفره وارتداده وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ممن أمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة

من القتل فأعرض عنه وعن قبله من الناس وأخذ في خطبته ، ثم لم يصبر حتى قال الثالثة والله يارسول الله ما قال الذي قال إلا تعوذاً من القتل ، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرف المساءة في وجهه فقال « إن الله أبى على من قتل مؤمناً . ثلاثاً » ورواه النسائي من حديث سليمان بن المغيرة والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله عز وجل ، فإن تاب وأناب ، وخشع وخضع ، وعمل عملاً صالحاً بدل الله سيئاته حسنات ، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته قال الله تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر - إلى قوله - إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً) الآية . وهذا خبر لا يجوز نسخه وحمله على المشركين ، وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظاهر ، ويحتاج حمله إلى دليل والله أعلم . وقال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الآية ، وهذا عام في جميع الذنوب من كفر وشرك ، وشك ونفاق وقتل وفسق وغير ذلك ، كل من تاب من أي ذلك تاب الله عليه ، قال الله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فهذه الآية عامة في جميع الذنوب ماعدا الشرك وهي مذكورة في هذه السورة الكريمة بعد هذه الآية وقبلها لتقوية الرجاء والله أعلم . وثبت في الصحيحين خبر الاسرائيلي الذي قتل مائة نفس ، ثم سأل علماً هل لي من توبة فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ، ثم أرشده إلى بلد يعبد الله فيه فهاجر إليه فمات في الطريق فقبضته ملائكة الرحمة كما ذكرناه غير مرة ، وإذا كان هذا في بني اسرائيل فلا ت يكون في هذه الامة التوبة مقبولة بطريق الاولى والاحرى لأن الله وضع عنا الآصار والاعلال التي كانت عليهم ، وبعث نبينا بالحنيفية السمحة . فأما الآية الكريمة وهي قوله تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) الآية . فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف هذا جزاؤه إن جازاه ، وقد رواه ابن مردويه بإسناده مرفوعاً من طريق محمد بن جامع

قوله تعالى ﴿ وغضب الله عليه ولعنه ﴾ أي طرده عن الرحمة ﴿ وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ اختلفوا في حكم هذه الآية فحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قاتل المؤمن عمداً لا توبة له ف قيل له أليس قد قال الله في سورة الفرقان (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) إلى أن قال (ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب) فقال كانت هذه الآية في الجاهلية وذلك أن أناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وزنوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) إلى - قوله - (إلا من تاب وآمن) فهذه لأولئك ، وأما التي في النساء فالرجل اذا عرف الاسلام وشرائعه ثم قتل مسلماً متعمداً فجزاؤه جهنم . وقال زيد بن ثابت لما نزلت التي في الفرقان (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) عجبتنا من لينها فلبثنا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة وأراد بالغليظة هذه الآية ، وباللينة آية الفرقان . قال ابن عباس رضي الله عنهما تلك آية مكية وهذه مدنية نزلت ولم

العطار عن العلاء بن ميمون العبدي عن حجاج الأسود عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً ولكن لا يصح ، ومعنى هذه الصيغة أن هذا جزاؤه إن جوزي عليه ، وكذا كل وعيد على ذنب لكن قد يكون ذلك معارضا من أعمال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء اليه على قول أصحاب الموازنة والاحباط ، وهذا أحسن ما يسلك في باب الوعيد والله أعلم بالصواب ، وبتقدير دخول القاتل في النار ، أما على قول ابن عباس ومن وافقه أنه لا توبة له ، أو على قول الجمهور حيث لا عمل له صالحة ينجو به فليس بمخلد فيها أبداً ، بل الخلود هو المكث الطويل ، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان » وأما حديث معاوية « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً ، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً » فعسى للترجي ، فإذا انتفى الترجي في هاتين صورتين لا ينتقي وقوع ذلك في أحدهما وهو القتل لما ذكرنا من الأدلة ، وأما من مات كافراً فالنص أن الله لا يغفر له البتة ، وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فإنه حق من حقوق الآدميين وهي لا تسقط بالتوبة ، ولكن لا بد من ردها إليهم ولا فرق بين المقتول والمسروق منه ، والمغصوب منه ، والمقذوف وسائر حقوق الآدميين ، فإن الإجماع منعقد على أنها لا تسقط بالتوبة ، ولكنه لا بد من ردها إليهم في صحة التوبة ، فإن تعذر ذلك فلا بد من المطالبة يوم القيامة ، لكن لا يلزم من وقوع المطالبة وقوع المجازاة ، إذ قد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلى المقتول أو بعضها ، ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة ، أو يعرض الله المقتول بما يشاء من فضله من قصور الجنة ونعيمها ، ورفع درجته فيها ونحو ذلك والله أعلم ، ثم لقاتل العمد أحكام في الدنيا وأحكام في الآخرة ، فاما في الدنيا فنسلط أولياء المقتول عليه ، قال الله تعالى (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) الآية ، ثم هم مخيرون بين أن يقتلوا ، أو يعفوا ، أو يأخذوا

ينسخها شيء والذي عليه الأكثر وهو مذهب أهل السنة أن قاتل المسلم عمداً توبته مقبولة لقوله تعالى (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً) وقال (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون لمن يشاء) وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فهو أشد ومبالغة في الزجر عن القتل كما روي عن سفيان بن عيينة أنه قال : ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وإن قتل ثم جاء يقال لك توبة . ويروي مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما وليس في الآية متعلق لمن يقول بالتخليد في النار بارتكاب الكبائر لأن الآية نزلت في قاتل هو كافر وهو مقيس بن ضبابه وقيل انه وعيد لمن قتل مؤمناً مستحلاً لقتله بسبب إيمانه ومن استحل قتل أهل الإيمان لايمانهم كان كافراً مخلداً في النار وقيل في قوله تعالى (فجزاؤه جهنم خالداً فيها) معناه هي جزاؤه إن جازاه ولكنه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له بكرمه فإنه وعد ان يغفر لمن يشاء . حكى ان عمرو بن عبيد جاء الى أبي عمرو بن العلاء فقال له هل يخلف الله وعده فقال لا فقال أليس قد قال الله تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم

دية مغلفة أثلاثاً - ثلاثون حقة ، وثلاثون جذعة ، وأربعون خلفه كما هو مقرر في كتب الأحكام ، واختلف الأئمة هل تجب عليه كفارة عتق رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، أو إطعام على أحد القولين كما تقدم في كفارة الخطأ على قولين فالشافعي وأصحابه وطائفة من العلماء يقولون نعم يجب عليه لأنه إذا وجبت عليه الكفارة في الخطأ فلا تجب عليه في العمد أولى فطردوا هذا في كفارة اليمين الغموس ، واعتذروا بقضاء الصلاة المبركة عمداً كما أجمعوا على ذلك في الخطأ . وقال أصحاب الامام احمد وآخرون: قتل العمد أعظم من أن يكفر فلا كفارة فيه وكذا اليمين الغموس ، ولا سبيل لهم إلى الفرق بين هاتين الصورتين وبين الصلاة المبركة عمداً ، فانهم يقولون بوجوب قضائها إذا تركت عمداً ، وقد احتج من ذهب إلى وجوب الكفارة في قتل العمد بما رواه الامام احمد حيث قال : حدثنا عامر بن الفضل حدثنا عبدالله بن المبارك عن ابراهيم بن ابي عتبة عن الغريفي بن عياش عن واثلة ابن الاسقع قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم نفر من بني سليم فقالوا إن صاحبنا قد أوجب قال « فليعتق رقبة يفدي الله بكل عضو منها عضواً منه من النار » وقال احمد حدثنا ابراهيم ابن اسحق حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابراهيم بن ابي عتبة عن الغريفي الدلمي قال : أتينا واثلة ابن الاسقع الليثي فقلنا حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب فقال « أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار » وكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث ابراهيم بن ابي عتبة به ولفظ أبي داود عن الغريفي ابن الدلمي قال : أتينا واثلة بن الاسقع فقلنا له حدثنا حديثاً ليس فيه زيادة ولا نقصان فعضب فقال : ان أحدكم ليقر أو مصحفه معلق في بيته فيزيديو نقص ، قلنا إنما أردنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً فيها) فقال له أبو عمرو بن العلاء من العجم أتيت يا أبا عثمان : ان العرب لاتعد الاخلاف في الوعيد خلفاً وذماً وإنما تعد اخلاف الوعد خلفاً وذماً وأنشد

وإني وإن أوعده أو وعدته * تخلف إيعادي ومنجز موعدتي

والدليل على أن غير الشرك لا يوجب التخليد في النار ما روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان شهد بدرأ وهو أحد النقباء ليلة العقبة قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصاية من أصحابه « يا يعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا بهتان تفسرونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا نعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب

وسلم ، قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال
« أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضومنه عضواً منه من النار »

(يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً
تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله
كان بما تعملون خبيراً ٩٤)

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن أبي بكير وخاف بن الوليد وحسين بن محمد قالوا حدثنا
إسرائيل عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم يرعى غنماً له فسلم عليهم فقالوا لا يسلم علينا إلا ليتعوذ منا فعمدوا إليه فقتلوه وأتوا
بغنمه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا) إلى آخرها . ورواه
الترمذي في التفسير عن عبد الله بن حميد عن عبد العزيز بن أبي رزمة عن إسرائيل ثم قال هذا
حديث حسن صحيح . وفي الباب عن أسامة بن زيد ورواه الحاكم من طريق عبيد الله بن موسى عن
إسرائيل به ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن جرير من حديث عبيد الله بن موسى
وعبد الرحيم بن سليمان كلاهما عن إسرائيل به . وقال في بعض كتبه غير التفسير وقد رواه من
طريق عبد الرحمن فقط وهذا خبر عندنا صحيح سنده وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين
سقيماً لعل منها أنه لا يعرف له مخرج عن سمالك إلا عن هذا الوجه ، ومنها أن عكرمة في روايته عندهم
نظر ، ومنها أن الذي نزل فيه هذه الآية عندهم مختلف فيه فقال بعضهم نزلت في محله بن جثامة
وقال بعضهم أسامة بن زيد وقيل غير ذلك قلت وهذا كلام غريب وهو مردود من وجوه أحدها

في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عفا عنه
وان شاء عاقبه فبايعناه على ذلك

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ الآية قال المكي عن
أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في رجل من بني مرة بن عوف يقال له
مرداس بن نهيك وكان من أهل فذك مسلماً لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم تريدكم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة اللبني فهربوا وأقام الرجل
لأنه كان على دين المسلمين فلما رأى الخيل خاف أن يكونوا من غير أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فألجأ
غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد هو إلى الجبل يراقب فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فلما سمع التكبير
عرف أنهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله
السلام عليكم . فتغشاه أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه . ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه

انه ثابت عن سمالك حدث به عنه غير واحد من الائمة الكبار، الثاني أن عكرمة محتج به في الصحيح الثالث أنه مروى من غير هذا الوجه عن ابن عباس كما قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً) قال قال ابن عباس كان رجل في غنيمة فلحقه المسلمون فقال السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمة فانزل الله في ذلك (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً) قال ابن عباس عرض الدنيا تلك الغنيمة وقرأ ابن عباس (السلام) وقل سعيد بن منصور حدثنا منصور عن عمرو بن دينار عن عطاء ابن يسار عن ابن عباس قال لحق المسلمون رجلاً في غنيمة له فقال السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمة فنزلت (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً) وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سفيان بن عيينة به وقد ^(١) في ترجمة: أن أخاه فزاراً هاجر إلى رسول الله

١ «يياض في الاصل
ومن هنا إلى قوله (وأما
قصة محم الخ ساقط
من النسخة الازهرية

صلى الله عليه وسلم عن أمر أبيه باسلامهم وإسلام قومهم فلقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في عمارة الليل وكان قد قال لهم انه مسلم فلم يقبلوا منه فقتلوه فقال أبوه فقدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاني ألف دينار ودية أخرى وسيرني فنزل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله) الآية. وأما قصة محم بن جثامة فقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا يعقوب حدثني أبي عن محمد بن إسحق حدثنا يزيد بن عبد الله بن قيس عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حذرد رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اضم فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي ومحم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى إذا كنا ببطن اضم مربنا عامر بن الاضط الشجعي على قعود له معه متبع له ووطب من لبن فلما مربنا سلم علينا فامسكنا عنه وحمل عليه محم

وسلم فاخبروه فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجداً شديداً وكان قد سبقهم قبل ذلك الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أقلمتموه أرادة مامعه؟» ثم قرأ هذه الآية على أسامة بن زيد فقال يا رسول الله استغفري فقال فكيف بلا إله الا الله؟ قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال أسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت أني لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم أت رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفري بعد ثلاث مرات وقال «اعتق رقبة» وروى أبو ظبيان عن أسامة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله إنما قال خوفاً من السلاح قال «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفاً أم لا؟» وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم قالوا ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم فقاموا وقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله) يعني إذا سافرت في سبيل الله يعني الجهاد (فتبينوا)

(٦٩ - تفسير ابن كثير والبعوي)

ابن حثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره ومتبعه . فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله إلى قوله تعالى - خيراً) تفرد به أحمد . وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا جرير عن أبي إسحق عن نافع عن ابن عمر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محملاً بن حثامة مبعثاً فإفهم عامر بن الأضبط غياهم بتحية الإسلام وكانت بينهم احنة في الجاهلية فرماه محملاً بسهم فقتله فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم فيه عينته والاقرع فقال الاقرع يا رسول الله سر اليوم وغر غداً فقال عينته لا والله حتى تذوق نساؤه من الشكل ماذا نسائي فجاء محملاً في بردين مجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غفر الله لك فقام وهو يتلوى دموعه ويرديه فما مضت له ساعة حتى مات ودفنوه فلفظته الأرض فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له فقال « ان الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم ثم طرحوه بين صديي جبل وألقوا عليه الحجارة فترلت (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية

وقال البخاري قال حبيب بن أبي عمرة عن سعيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مقدار إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته فكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة من قبل » هكذا ذكره البخاري معلقاً مختصراً وقد روى مطولاً موصولاً . فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا حماد بن علي البغدادي حدثنا جعفر بن سلمة حدثنا أبو بكر بن علي بن مقدم حدثنا حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فيها المقداد بن الأسود فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير لم يرح فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأهوى إليه المقداد فقتله فقال له رجل من أصحابه أقتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله ؟ والله لا ذكرن ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قرأ حمزة والكسائي ههنا في موضعين وفي سورة الحجرات بالتاء والتاء من التثنية أي قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر . وقرأ الآخرون بالياء والنون من التبيين يقال تبينت الأمر إذا تأملت به ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام هكذا قراء أهل المدينة وابن عامر وحمزة أي المقداد وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وقرأ الآخرون السلام وهذا السلام الذي هو تحية المسلمين لأنه كان قد سلم عليهم وقيل السلم والسلام واحد أي لا تقولوا لمن سلم عليكم لست مؤمناً . قوله تعالى ﴿ لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا ﴾ يعني تطلبون الغنى والغنيمة ، وعرض الدنيا منافعها ومتاعها ﴿ فعند الله مغام ﴾ أي غنائم ﴿ كثيرة ﴾ وقيل ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن ﴿ كذلك كنتم من قبل ﴾ قال سعيد بن جبير كذلك كنتم تكتُمون إيمانكم من المشركين ﴿ فمن الله عليكم ﴾ باظهار الإسلام . وقال قتادة كنتم ضاللاً من قبل فمن الله عليكم بالهداية . وقيل معناه كذلك كنتم من قبل تأمنون في قومكم من المؤمنين

قالوا يا رسول الله ان رجلا شهد ان لا اله الا الله فقتله المقداد فقال ادعوا الى المقداد. يا مقداد اقتلت رجلا يقول لا اله الا الله فكيف لك بلا اله الا الله غدا قال فانزل الله (يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن اتى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد «كان رجل مؤمن يخفي ايمانه مع قوم كفار فظهر ايمانه فقتلته وكذلك كنت تخفي ايمانك بمكة قبل». وقوله (فبند الله مغانم كثيرة) أي خير مما رغبتم فيه من عرض الحياة الدنيا الذي حملكم على قتل مثل هذا الذي اتى اليكم السلام، وأظهر لكم الايمان فتغافلتم عنه وأنتمتموه بالمصانعة والتقية لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) فاعند الله (من الرزق الحلال خير لكم من مال هذا وقوله) كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم (أي قد كنتم من قبل هذه الحال كهذا الذي يسر ايمانه ويخفيه من قومه كما تقدم في الحديث المرفوع آنفاً. وكما قال تعالى (واذكروا إذا كنتم قليل مستضعفون في الارض) الآية وهذا مذهب سعيد بن جبيرة ما رواه الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبيرة في قوله (كذلك كنتم من قبل) تخفون ايمانكم في المشركين ورواه عبد الرزاق عن ابن جريح أخبرني عبد الله بن كثير عن سعيد بن جبيرة في قوله (كذلك كنتم من قبل) تستخفون بايمانكم كما استخفى هذا الراعي بايمانه. وهذا اختيار ابن جرير وقال بن أبي حاتم وذكر عن قيس عن سالم عن سعيد بن جبيرة قوله (كذلك كنتم من قبل) لم تكونوا مؤمنين - فمن الله عليكم (أي تاب عليكم خلف أسامة لا يقاتل رجلا يقول لا اله الا الله بعد ذلك الرجل وما لقي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه. وقوله (فتبينوا) تأ كيداً لما تقدم وقوله (ان الله كان بما تعملون خبيراً) قال سعيد بن جبيرة هذا تهديد ووعيد

(لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدون درجة وكلا وعد الله الحسنى

بلا اله الا الله قبل الهجرة فلا تخيفوا من قائلها. فمن الله عليكم بالهجرة (فتبينوا) أن تقتلوا مؤمنا (ان الله كان بما تعملون خبيراً) قلت اذا رأى الغزاة في بلد أو قرية شعار الاسلام فعليهم أن يكفوا عنهم فان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوماً فان سمع اذنا كف عنهم وان لم يسمع أغار عليهم. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن احمد الخلال أنا أبو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي انا سفيان عن عبد الملك بن نوفل ابن مساحق عن ابن عاصم عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث سرية قال «اذا رأيتم مسجداً أو سمعتم اذاناً فلا تقتلن أحداً قوله تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا

وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦)

قال البخاري حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن أبي اسحق عن البراء قال لما نزلت (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فكتبها فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضراره فانزل الله (غير أولى الضرر) حدثنا محمد بن يوسف عن اسراييل عن أبي اسحاق عن البراء قال لما نزلت (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) قال النبي صلى الله عليه وسلم وسلم أدع فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوحي والكتف فقال اكتب (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله أنا ضير فتزلت مكانها (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله). قال البخاري أيضا حدثنا اسماعيل ابن عبد الله حدثني ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب حدثني سهل بن سعد الساعدي انه رأى مروان بن الحكم في المسجد قال فاقبلت حتى جلست الى جنبه فأخبرنا ان زيد ابن ثابت أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى علي (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملئها علي قال يا رسول الله والله لو استطعت الجهاد لجاهدت وكان أعمى فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وكان فخذ على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذني ثم سري عنه فانزل الله (غير أولى الضرر) تفرد به البخاري دون مسلم وقدرى من وجه آخر عند الامام احمد عن زيد فقال حدثنا سليمان بن داود انبأنا عبد الرحمن عن أبي الزناد عن خارجة ابن زيد قال قال زيد بن ثابت إني قاعد الى جنب النبي صلى الله عليه وسلم إذ أوحى اليه وغشيته السكينة قال فرغم فخذ على فخذي حين غشيته السكينة قال زيد فلا والله ما وجدت شيئاً قط أثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سري عنه فقال اكتب يا زيد فأخذت كتفاً فقال اكتب (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) الى قوله (أجر أعظم) فكتبت ذلك في كتف فقام حين سمعها ابن أم مكتوم وكان رجلاً أعمى فقال حين سمع فضيلة المجاهد بن رسول الله وكيف

ابراهيم بن سعد الزهري حدثني صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه انه قال رأيت مروان بن الحكم جالسا في المسجد فأقبلت حتى جلست الى جنبه فأخبرنا ان زيد بن ثابت رضى الله عنه أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) قال فجاء ابن أم مكتوم وهو يملئها علي فقال يا رسول الله لو استطعت الجهاد لجاهدت. وكان رجلاً أعمى فانزل الله تعالى عليه وفخذ على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذني ثم سري عنه فانزل الله تعالى (غير أولى الضرر) فهذه الآية في فضل الجهاد والحث

من لا يستطيع الجهاد ومن هو أعمى واشباه ذلك قال زيد فوالله ما قضى كلامه أو ما هو الا أن قضى كلامه - غشيت النبي صلى الله عليه وسلم السكينه ف وقعت فخذ علي فخذني فوجدت من ثقلها كما وجدت في المرة الاولى ثم سري عنه فقال اقرأ فقرأت عليه (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) فقال النبي صلى الله عليه وسلم (غير أولى الضرر) قال زيد فالحقها فوالله كأنني انظر الى ملحقتها عند صدع كان في الكتف. ورواه أبو داود عن سعيد بن منصور عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه به نحوه. وقال عبد الرزاق ابن أنسنا معمر ابن أنسنا الزهري عن قبيصة ابن ذؤيب عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اكتب (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) فجاء عبد الله ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله اني أحب الجهاد في سبيل الله ولكن بي من الزمانة ما قد ترى ذهب بصري قال زيد فتقلت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علي فخذني حتى خشيت ان ترضاها ثم سري عنه ثم قال اكتب (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال عبد الرزاق أخبرني ابن جريج أخبرني عبد الكريم هو ابن مالك الجريري ان مقسما مولى عبد الله بن الحرث أخبره ان ابن عباس أخبره (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) عن بدر والخارجون الى بدر انفرد به البخاري دون مسلم وقد روى الترمذي من طريق حجاج عن ابن جريج عن عبد الكريم عن مقسم عن ابن عباس قال (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر) عن بدر والخارجون الى بدر. ولما نزلت غزوة بدر قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم إنا أعميان يا رسول الله فهل لنا رخصة؟ فنزلت (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر) وفضل الله

عليه. فقال (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) عن الجهاد (غير أولى الضرر) قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي بنصب الرأ أي الا أولى الضرر وقرأ الآخرون برفع الرأ على نعت القاعدین يريد لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولى الضرر أي غير أولى الزمانة والضعف في البدن والبصر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أي ليس المؤمنون القاعدون عن الجهاد من غير عذر، والمؤمنون والمجاهدون سواء غير أولى الضرر فانهم يساؤون المجاهدين لان العذر أقدم. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا ابو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يزيد بن هرون أخبرنا حميد الطويل عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك فذنا من المدينة قال «ان في المدينة لا قوا ما ماسرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر» وروى مقسم عن ابن عباس قال (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) عن بدر والخارجون الى بدر. قوله تعالى ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة﴾ أي فضيلة وقيل أراد بالقاعد ها هنا أولى الضرر

المجاهدين على القاعدين درجة فهو لاء القاعدون غير أولى الضرر (وفضل الله المجاهدين على الناعدين أجراً عظيماً درجات منه) على القاعدين من المؤمنين غير أولى الضرر. هذا لفظ الترمذي ثم قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. فقلوه (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) كان معلقاً فلما نزل بوحى سريع (غير أولى الضرر) صار ذلك مخرجاً لدوى الأعداء المبيحة لترك الجهاد من العمى والعرج والمرضى عن مساواتهم للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. ثم أخبر تعالى بفضيلة المجاهدين على القاعدين قال ابن عباس: غير أولى الضرر وكذا ينبغي أن يكون كما ثبت في صحيح البخاري من طريق زهير بن معاوية عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان بالمدينة أقواماً ما سرتهم من مسير ولا قطعهم من واد إلا وهم معكم فيه قالوا وهم بالمدينة يا رسول الله؟ قال نعم حبسهم العذر» وهكذا رواه أحمد عن محمد بن عدي عن حميد عن أنس به وعنه البخاري مجزوماً ورواه أبو داود عن حماد بن سلمة عن حميد عن موسى بن أنس بن مالك عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتهم من مسير ولا انقطعتم من نفقة ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه قالوا وكيف يا رسول الله يكونون معنا فيه قال؟ نعم حبسهم العذر» لفظ أبي داود وفي هذا المعنى قال الشاعر

ياراحلين الى البيت العتيق لقد سرتهم جسوماً وسرنا نحن أرواحاً

أنا اقنأ على عذر وعن قدر ومن أقام على عذر فقد راحاً

وقوله (وكلا وعد الله الحسنى) أي الجنة والجزاء الجزيل. وفيه دلالة على أن الأديس بفرض عين بل هو فرض على الكفاية. قال تعالى (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً) ثم أخبر سبحانه بما فضلهم به من الدرجات، في غرف الجنان العاليات، ومغفرة الذنوب والزلات، وأحوال الرحمة والبركات، إحساناً منه وتكريماً ولهذا قال (درجات ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً)

فضل الله المجاهدين عليهم درجة لأن المجاهد باشر الجهاد مع النية وأولى الضرر كانت لهم نية ولكنهم لم يباشروا فنزلوا عنهم بدرجة ﴿وكلا وعد الله الحسنى﴾ يعني الجنة بإيمانهم. وقال مقاتل: من المجاهد والقاعد المعذور ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾ يعني على القاعدين من غير عذر ﴿درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً﴾ قال ابن محيريز: في هذه الآية هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفاً، وقيل الدرجات هي الإسلام والجهاد والهجرة والشهادة فاز بها المجاهدون. أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجوزي أنا أبو محمد محمد بن علي ابن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن مسلم أبو بكر الجورندي أنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب حدثني أبو هانيء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الجيلي عن أبي سعياء الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يا أبا سعيد من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » وقال الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم « من رمى بسهم فله أجره درجة » فقال رجل يا رسول الله وما الدرجة ؟ فقال « ما لم نها ليست بعتبة أملك . ما بين الدرجتين مائة عام »

(الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض)

له الجنة » قال : فعجب لها أبو سعيد فقال أعدّها علي يا رسول الله فأعادها عليه ثم قال « وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » قال وما هي يا رسول الله ؟ قال « الجهاد في سبيل الله » — ثلاثاً —

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن علي التياهي أنا أبي أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن صالح المطرزي أنا محمد بن يحيى أنا شريح بن النعمان أنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها » قالوا : يا رسول الله أفلا نبشر الناس بذلك ؟ قال « إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم فاسألوا الله الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أنهار الجنة » واعلم ان الجهاد في الجملة فرض غير أنه ينقسم إلى فرض العين وفرض الكفاية ، وفرض العين ان يدل الكفار دار قوم من المؤمنين فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له من أهل تلك البلدة الخروج إلى محاربتهم حرّاً أو عبداً ، غنياً أو فقيراً دفعاً عن أنفسهم وعن جيرانهم وهو في حق من بعدهم من المسلمين فرض على الكفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم يجب على من بعده عنهم من المسلمين عونهم ، وان وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على الآخرين الا على طريق الاختيار ، ولا يدخل في هذا القسم العبيد والفقراء ، ومن هذا القبيل أن يكون الكفار قارين في بلادهم فعلى الإمام أن لا يخلي كل سنة عن غزوة يغزوها بنفسه أو بسراياه حتى لا يكون الجهاد معطلا والاختيار للمطابقين له ياد مع وقوع الكفاية بغيره أن لا يقعد عن الجهاد ولكن لا يفرض لأن الله تعالى وعده المجاهدين والقاتلين الثواب في هذه الآية فقال (وكلا وعد الله الحسنى) فلو كان فرضاً على الكفاية لاستحق الناعد العقاب لا الثواب

قوله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الآية ، نزلت في ناس من أهل مكة

قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً (٩٧) إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً (٩٨) فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً (٩٩) ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراً غماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً (١٠٠)

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا حيوة وغيره قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو الاسود قال . قطع على أهل المدينة بعث فاكسبت فيه فلقبت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته فبهاني عن ذلك أشد النهي قال : أخبرني ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثر سوادهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب عنقه فيقتل ، فأنزل الله (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) رواه الليث عن أبي الاسود . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا أبو أحمد يعني الزبيري حدثنا محمد بن شريك المكي حدثنا عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالاسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم ، قال المسلمون : كان أصحابنا مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الآية قال فكتب إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية لا تنذر لهم قال فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم التقية فنزلت هذه الآية (ومن الناس من يقول آمنا بالله) الآية . قال عكرمة : نزلت هذه الآية في شباب من قريش كانوا تكلموا بالاسلام بمكة منهم علي بن أمية بن خلف وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو منصور بن الحجاج والحارث بن زمة ، قال الضحاك نزلت في ناس من المنافقين تخلفوا عن

تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههما فلما خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فقال الله تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة) أراد به ملك الموت وأعوانه أو أراد ملك الموت وحده كما قال تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم) والعرب قد تتخاطب الواحد بلفظ الجمع (ظالمي أنفسهم) بالشرك وهو نصب على الحال أي في حال ظلمهم قيل أي بالمقام في دار الشرك لأن الله تعالى لم يقبل الاسلام بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالهجرة ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا هجرة بعد الفتح » وهؤلاء قتلوا يوم بدر وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وقالوا لهم : فيم

رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وخرجوا مع المشركين يوم بدر فاصبوا فيمن أصيب ، فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهرائي المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالاجماع ، وينص هذه الآية حيث يقول تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) أي بترك الهجرة (قالوا فيهم كنتم) أي لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة (قالوا كنا مستضعفين في الأرض) أي لا تقدر على الخروج من البلد ، ولا الذهاب في الأرض (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة) الآية . وقال أبو داود حدثنا محمد بن داود بن سفيان حدثني يحيى بن حسان أخبرنا سليمان بن موسى أبو داود حدثنا جعفر بن سعد بن سمرة بن جندب حدثني حبيب بن سليمان عن أبيه سليمان بن سمرة عن سمرة بن جندب ، أما بعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله » وقال السدي : لما أسر العباس وعقيل ونوفل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس « أفد نفسك وابن أخيك » فقال يارسول الله ألم نصل إلى قبلك ، ونشهد شهادتك ، قال ياعباس « انكم خاصمتهم فخصمتهم ، ثم تلا عليه هذه الآية ألم تكن أرض الله واسعة » رواه ابن أبي حاتم ، وقوله (إلا المستضعفين) إلى آخر الآية ، هذا عذر من الله لهؤلاء في ترك الهجرة ، وذلك أنهم لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق ، ولهذا قال (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً) قال مجاهد وعكرمة والسدي يعني طريقاً ، وقوله تعالى (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) أي يتجاوز عنهم بترك الهجرة وعسى موجبة (وكان الله غفوراً رحيماً) قال البخاري : حدثنا أبو نعيم حدثنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العشاء إذ قال سمع الله لمن حمده ، ثم قال قبل أن يسجد « اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة ، اللهم أنج سلمة بن هشام ، اللهم أنج

كنتم ؟ فذلك قوله تعالى (قالوا فيهم كنتم) أي في ماذا كنتم ، أو في أي الفريقين كنتم أي المسلمين أم في المشركين ؟ سؤال توبيخ وتعير فاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك (قالوا كنا مستضعفين) عاجزين (في الأرض) يعني أرض مكة (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟) يعني إلى المدينة وتخرجوا من مكة من بين أهل الشرك فأكذبهم الله تعالى وأعلمنا بكذبهم وقال (فأولئك مأواهم) منزلهم (جهنم وساءت مصيراً) أي بئس المصير إلى جهنم ، ثم استثنى أهل العذر منهم فقال (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) لا يقدرون على حيلة ولا على نفقة ولا على قوة الخروج منها (ولا يهتدون سبيلاً) أي لا يعرفون طريقاً إلى الخروج ، وقال مجاهد لا يعرفون طريق المدينة (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) يتجاوز عنهم وعسى من الله واجب لانه لا طاع ، والله تعالى إذا أطمع عبداً أو صله إليه (وكان الله عفواً غفوراً)

الوليد بن الوليد ، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشد وطأتك على مضر ، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو معمر المقرئ حدثني عبد الوارث حدثنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يده بعد ما سلم وهو مستقبل القبلة فقال « اللهم خلص الوليد بن الوليد ، وعياش بن أبي ربيعة ، وسلمة ابن هشام ، وضعفة المسلمين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا من أيدي الكفار » وقال ابن جرير حدثنا المثني حدثنا حجاج حدثنا حماد عن علي بن زيد عن عبد الله القرشي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في دبر صلاة الظهر « اللهم خلص الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، وضعفة المسلمين من أيدي المشركين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا » ولهذا الحديث شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه كما تقدم ، وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال سمعت ابن عباس يقول : كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان . وقال البخاري : أنبأنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن أيوب ابن أبي مليكة عن ابن عباس (إلا المستضعفين) قال كنت أنا وأمي ممن عذر الله عز وجل ، وقوله (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة) وهذا تحريض على الهجرة ، وترغيب في مفارقة المشركين ، وأن المؤمن حينما ذهب وجد عنهم مندوحة ، وملجأ يتحصن فيه ، والمرام مصدر تقول العرب راغم فلان قومه مراغماً ومراغمة ، قال النابغة بن جعدة

كطود يلاذ بأركانه عزيز المرائم والمهرب

وقال ابن عباس : المرائم التحول من أرض إلى أرض . وكذا روي عن الضحاك والربيع بن أنس والثوري ، وقال مجاهد : مراغماً كثيراً يعني متزحزحاً عما يكره ، وقال سفيان بن عيينة مراغماً كثيراً يعني بروجاً والظاهر والله أعلم أنه المنع الذي يتخلص به ، ويرام به الأعداء ، وقوله (وسعة) يعني الرزق قاله غير واحد منهم قتادة حيث قال في قوله (يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة) أي

قال ابن عباس : كنت أنا وأمي ممن عذر الله يعني من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو هؤلاء المستضعفين في الصلاة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا معاذ بن فضالة أنا هشام عن يحيى هو ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع فربما قال « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد في الركعة الآخرة من صلاة العشاء : اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة اللهم أنج الوليد بن الوليد اللهم أنج سلمة بن هشام اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشد وطأتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسني يوسف » بجم بذلك قوله تعالى ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ﴾ قال علي بن أبي

من الضلالة إلى الهدى ، ومن القلة إلى الغنى ، وقوله (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) أى ومن يخرج من منزله بنية الهجرة فمات في أثناء الطريق فقد حصل له عند الله ثواب من هاجر كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من الصحاح والمسانيد والسنن من طريق يحيى بن سعيد الانصارى عن محمد بن ابراهيم التيمي عن علقمة بن أبي وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرة إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر اليه » وهذا عام في الهجرة وفي جميع الاعمال ، ومنه الحديث الثابت في الصحيحين في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، ثم أكمل بذلك العابد المائة ثم سأل عالماً هل له من توبة ، فقال له ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ ثم أرشده إلى أن يتحول من بلده إلى بلد أخرى يعبد الله فيه ، فلما ارتحل من بلده مهاجراً إلى البلد الاخرى أدركه الموت في أثناء الطريق فاخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقال هؤلاء انه جاء تائباً ، وقال هؤلاء انه لم يصل بعد ، فأمروا أن يقيسوا ما بين الارضين فالى أيهما كان أقرب فهو منها ، فأمر الله هذه أن تقترب من هذه ، وهذه ان تبعد فوجدوه أقرب إلى الارض التي هاجر اليها بشبر فقبضته ملائكة الرحمة ، وفي رواية انه لما جاءه الموت باء بصدره الى الارض التي هاجر اليها . وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم عن محمد بن عبد الله بن عتيك عن أبيه عبد الله بن عتيك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من خرج من بيته مجاهداً في سبيل الله ، ثم قال وأين المجاهدون في سبيل الله فخر عن دابته فمات فقد وقع أجره على الله ، أو لدغته دابة فمات فقد وقع أجره على الله ، أو مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله » يعني بحتف أنفه على فراشه والله انها لكلمة ما سمعتها من أحد من العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قتل قعصاً فقد استوجب الجنة . وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شعبة الخزاعي حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الخزاعي عن المنذر بن عبد الله عن هشام بن عروة عن أبيه أن الزبير بن العوام قال : هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة فنهشته حية في الطريق فمات فتزلت فيه (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً) فقال الزبير : فكنت أتوقعه وأنتظر قدمه وأنا بأرض الحبشة فما

طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما مراغماً أي متحولاً يتحول اليه ، وقال مجاهد : متزحزحاً عما يكره ، وقال أبو عبيدة : المرأغم المهاجر . يقال : راغمت قومي وهاجرهم وهو المضطرب والمذهب قيل سميت الهجرة مراغمة لان من يهاجر براغم قومه (وسعة) أي في الرزق ، وقيل سعة من الضلالة إلى الهدى ، وروي أنها لما نزلت هذه الآية سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض

أحزنني شيء حزن وفاته حين بلغني لأنه قل أحد من هاجر من قریش إلا ومعه بعض أهله، أودوي رحمه، ولم يكن معي أحد من بني أسد بن عبد العزي ولا أرجو غيره وهذا الأثر غريب جداً، فإن هذه القصة مكينة ونزول هذه الآية مدني، فلهذا أراد أنها تعم حكمه مع غيره، وإن لم يكن ذلك سبب النزول والله أعلم. وقال ابن أبي حاتم حدثنا سليمان بن داود ومولى عبد الله بن جعفر حدثنا سهل بن عثمان حدثنا عبد الرحمن بن سليمان حدثنا أشعث هو ابن سوار عن عكرمة عن ابن عباس قال: خرج ضمرة بن جندب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات في الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتت (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله) الآية. وحدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء أنبأنا إسرائيل عن سالم عن سعد بن جبير عن أبي ضميرة بن العيص الزرق الذي كان مصاب البصر وكان بمكة فلما نزلت (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) فقلت اني لغني، واني لذو حيلة فتجهز يريد النبي صلى الله عليه وسلم فأدركه الموت بالتنعيم فنزلت هذه الآية (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت) الآية. وقال الطبري حدثنا الحسن بن عروبة البصري حدثنا حيوة بن شريح الحمصي حدثنا بقيق بن الوليد حدثنا ابن ثوبان عن أبيه حدثنا مكحول عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري أنبأنا أبو مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن الله قال من انتدب خارجاً في سبيلي، غازياً ابتغاء وجهي، وتصديق وعدي، وإيماناً برسلي فهو في ضمان على الله، أما أن يتوفاه بالجيش فيدخله الجنة، وأما أن يرجع في ضمان الله، وإن طالب عبداً فنقصه حتى يردّه إلى أهله مع مائة من أجر، أو غنيمة، ونال من فضل الله فمات، أو قتل، أو رفضته فرسه، أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فهو شهيد» وروى أبو داود من حديث بقيق من فضل الله إلى آخره، وزاد بعد قوله فهو شهيد وإن له الجنة. وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إبراهيم بن زياد حدثنا أبو معاوية حدثنا محمد بن اسحق عن حميد بن أبي حميد عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خرج حاجاً فمات كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمراً فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة، ومن خرج غازياً في سبيل الله فمات كتب

يقال له جندع بن ضمرة فقال: والله ما أنا ممن استثنى الله عز وجل، واني لأجد حيلة ولي من المال ما يبلغني المدينة وأبعد منها، والله لا أبيت الليلة بمكة أخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت فصفق يمينه على شماله، ثم قال اللهم هذه لك، وهذه لرسولك، أبايك على ما أبايك عليه رسولك فمات فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: لو وافى المدينة لكان آمناً وأوفى أجراً. وضحك المشركون وقالوا: ما أدرك هذا ما طلب فأنزل الله ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت﴾ أي قبل بلوغه إلى مهاجره ﴿فقد وقع﴾

له أجر الغازي الى يوم القيامة » وهذا حديث غريب من هذا الوجه

(واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً ١٠١)

يقول تعالى (واذا ضربتم في الارض) أي سافرت في البلاد كما قال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله) الآية ، وقوله (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة) أي تخففوا فيها أماناً كيتمها بأن تجعل الرباعية ثنائية كما فهمه الجمهور من هذه الآية ، واستدلوا بها على قصر الصلاة في السفر على اختلافهم في ذلك ، فمن قائل لا بد أن يكون سفر طاعة من جهاد ، أو حج ، أو عمرة ، أو طلب علم ، أو زيارة ، أو غير ذلك كما هو مروي عن ابن عمر وعطاء ويحيى عن مالك في رواية عنه نحوه لظاهر قوله (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) ومن قائل لا يشترط سفر القربة ، بل لا بد أن يكون مباحاً لقوله (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم) الآية ، كما أباح له تناول الميتة مع الاضطرار بشرط أن لا يكون عاصياً بسفره وهذا قول الشافعي واحمد وغيرهما عن الائمة . وقد قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم قال : جاء رجل فقال يا رسول الله اني رجل تاجر اختلف إلى البحرين فأمره أن يصلي ركعتين فهذا مرسل . ومن قائل يكفي مطلق السفر سواء كان مباحاً أو محظوراً حتى لو خرج لقطع الطريق وخافة السبيل ترخص لوجود مطلق السفر وهذا قول أبي حنيفة والثوري وداود لعموم الآية وخالفهم الجمهور ، وأما قوله تعالى (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) فقد يكون هذا خرج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية ، فان في مبدأ الاسلام بعد الهجرة كان غالب أسفارهم مخوفة ، بل ما كانوا ينهضون إلا إلى غزو عام ، أو في سرية خاصة ، وسائر الأحيان حرب للاسلام وأهله ، والمنطوق اذا خرج مخرج الغالب أو على حادثة فلا مفهوم له كقوله تعالى (ولا تكثرها فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً) وكقوله تعالى (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم) الآية . وقال الامام احمد حدثنا ابن ادریس حدثنا ابن جريج عن أبي عمار عن عبد الله ابن ربيعة عن يعلى بن أمية قال : سألت عمر بن الخطاب قلت له قوله (ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) وقد أمن الناس ، فقال لي عمر رضي الله عنه : عجبت مما عجبت منه ، فسألت رسول الله صلى الله عليه

أي وجب ﴿ أجره على الله ﴾ بإيجابه على نفسه فضلاً منه ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ قوله عز وجل ﴿ واذا ضربتم في الارض ﴾ أي سافرت ﴿ فليس عليكم جناح ﴾ أي خرج وأثم ﴿ أن تقصروا من الصلوة ﴾ يعني من أربع ركعات إلى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء ﴿ إن خفتم أن يفتنكم ﴾ أي يغتالكم ويقتلکم ﴿ الذين كفروا ﴾ في الصلاة نظيره قوله تعالى

وسلم عن ذلك فقال « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث ابن جريج عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار به . وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح : وقال علي بن المديني هذا حديث حسن صحيح من حديث عمر ولا يحفظ إلا من هذا الوجه ورجاله معروفون . وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو نعيم حدثنا مالك بن مغول عن أبي حنظلة الخذاء قال سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال : ركعتان ، فقلت أين قوله (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) ونحن آمنون ، فقال : سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد بن عيسى حدثنا علي بن محمد بن سعيد حدثنا منجاب حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن أبي الوداك قال : سألت ابن عمر عن ركعتين في السفر فقال : هي رخصة نزلت من السماء فان شئتم فردوها . وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يزيد بن هرون حدثنا ابن عون عن ابن سيرين عن ابن عباس قال : صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة ونحن آمنون لا يخاف بينهما ركعتين ركعتين . وهكذا رواه النسائي عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد الخذاء عن عبد الله بن عون به . قال أبو عمر بن عبد البر وهكذا رواه أيوب وهشام وبزيد بن إبراهيم التستري عن محمد بن سيرين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله قلت وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن هشيم عن منصور عن داود عن محمد بن سيرين عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة إلى مكة لا يخاف إلا رب العالمين ف صلى ركعتين ثم قال الترمذي صحيح ، وقال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا يحيى بن أبي اسحاق قال سمعت أنساً يقول : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة ، قلت : أقمتم بمكة شيئاً ، قال : أقمنا بها عشرأ . وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن يحيى بن أبي اسحاق الحضرعي به . وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا فيان عن أبي اسحاق عن حارثة ابن وهب الخزاعي قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر بمى أكثر

(على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم) اي يقتلهم ﴿ إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً ﴾ أي ظاهر العداوة اعلم أن قصر الصلاة في السفر جائز باجماع الامة واختلفوا في جواز الاتمام فذهب أكثرهم إلى أن القصر واجب وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس رضي الله عنهم وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وأصحاب الرأي لما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر وذهب قوم إلى جواز الاتمام . روي ذلك عن عثمان وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ، وبه قال الشافعي رضي الله عنه إن شاء أتم هو ، وإن شاء قصر والقصر أفضل . أخبرنا الامام عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا

ماكان الناس وآمنه ركعتين . ورواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن ابن ابي اسحق السبيعي عنه به ، ولفظ البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أنبأنا أبو اسحق سمعت حارثة بن وهب قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن ماكان بمنى ركعتين . وقال البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى حدثنا عبيد الله أخبرني نافع عن عبد الله بن عمر قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين وأبي بكر وعمر وعثمان صدرا من أمارته ثم أتتها ، وكذا رواه مسلم من حديث يحيى بن سعيد القطان به ، وقال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا عبد الواحد عن الاعمش حدثنا ابراهيم سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول : صلى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمنى أربع ركعات فقبل في ذلك لعبد الله ابن مسعود رضي الله عنه فاسترجع ، ثم قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع أبي بكر بمنى ركعتين ، وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين ، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متبيلتان . ورواه البخاري أيضاً من حديث الثوري عن الاعمش به ، وأخرجه مسلم من طرق عنه منها عن قتيبة كما تقدم . فهذه الاحاديث دالة صريحاً على أن القصر ليس من شرطه وجود الخوف ، ولهذا قال من قال من العلماء إن المراد من القصر ههنا إنما هو قصر الكيفية لا الحكمة وهو قول مجاهد والضحاك والسدي كما سيأتي بيانه ، واعتضدوا أيضاً بما رواه الامام مالك عن صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في السفر والحضر ، فاقرت صلاة السفر ، وزيد في صلاة الحضر . وقد روى هذا الحديث البخاري عن عبد الله بن يوسف التنيسي ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن القعنبي والذائي عن قتيبة أربعتهم عن مالك به ، قالوا فإذا كان أصل الصلاة في السفر هي التنتين فكيف يكون المراد

الربيع أنا الشافعي أنا ابراهيم بن محمد عن طلحة بن عمرو عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر الصلاة وآتم ، وظاهر القرآن يدل على ذلك لأن الله تعالى قال (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) ولفظ لا جناح إنما يستعمل في الرخص لا فيما يكون حتماً ، فظاهر الآية يوجب أن القصر لا يبيح إلا عند الخوف وليس الامر على ذلك ، إنما نزلت الآية على غالب أسفار النبي صلى الله عليه وسلم وأكثرها لم يخل عن خوف العدو والقصر جائز في السفر في حال الامن عند عامة أهل العلم والدليل عليه ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا مسلم بن خالد وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي داود عن ابن جريج أخبرني عبد الرحمن ابن عبد الله بن ابي عمار عن عبد الله بن باباه عن يعلى بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما قال الله تعالى (أن تقصروا من الصلاة إن خفتكم الذين كفروا) وقد أمن

بالقصر ههنا قصر الكمية لان ماهو الاصل لا يقال فيه (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) وأصرح من ذلك دلالة على هذا مارواه الامام احمد . حدثنا وكيع وسفيان وعبد الرحمن عن زيد اليامي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عمر رضي الله عنه قال . صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الاضحى ركعتان ، وصلاة الفطر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم . وهكذا رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه بن طرق عن زيد اليامي به وهذا اسناد على شرط مسلم ، وقد حكم مسلم في مقدمة كتابه بسامع بن ابي ليلى عن عمر ، وقد جاء مصرحاً به في هذا الحديث وفي غيره وهو الصواب إن شاء الله وإن كان يحيى بن معين وأبو حاتم والنسائي قد قالوا انه لم يسمع منه ، وعلى هذا أيضاً فقال فقد وقع في بعض طرق أبي يعلى الموصلي من طريق الثوري عن زيد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الثقة عن عمر فذكره ، وعند ابن ماجه من طريق يزيد بن أبي زياد بن أبي الجعد عن زيد عن عبد الرحمن عن كعب بن عجرة عن عمر فالله أعلم . وقد روى مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي عوانة الوضاح ابن عبد الله الشكري زاد مسلم والنسائي وأيوب بن عائذ كلاهما عن بكير بن الاخنس عن مجاهد عن عبد الله بن عباس قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة ، فكما يصلي في الحضر قبلها وبعداً فكذلك يصلي في السفر . ورواه ابن ماجه من حديث أسامة بن زيد عن طاوس نفسه فهذا ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ولا ينافي ما تقدم عن عائشة رضي الله عنها لأنها أخبرت أن أصل الصلاة ركعتان ولكن زيد في صلاة الحضر ، فلما استقر ذلك صح أن يقال أن فرض صلاة الحضر أربع كما قاله ابن عباس والله أعلم ، لكن اتفق حديث ابن عباس وعائشة على أن صلاة السفر ركعتان وأنها ثمانية غير مقصورة كما هو مصرح به في حديث عمر رضي الله عنه ، وإذا كان كذلك فيكون المراد بقوله تعالى (فليس

الناس . فقال عمر رضي الله عنه : عجبت مما عجبت منه ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز ابن احمد الحلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي انا عبد الوهاب عن أيوب السخيتاني عن محمد بن سيرين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة آمناً لا يخاف إلا الله فصلى ركعتين وذهب قوم إلى أن ركعتي المسافر ليستا بقصر إنما القصر أن يصلي ركعة واحدة في الخوف . يروى ذلك عن جابر رضي الله عنه وهو قول عطاء وطاوس والحسن ومجاهد ، وجعلوا شرط الخوف المذكور في الآية باقياً ، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الاقتصار على ركعة واحدة لا يجوز خائفاً كان أو آمناً ، واختلف أهل العلم في مسافة القصر فقالت طائفة يجوز القصر في السفر الطويل والقصير . روي ذلك عن أنس رضي الله عنه ، وقال

عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) قصر الكيفية كما في صلاة الخوف، ولهذا قال (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) الآية، ولهذا قال بعدها (وإذا قت فيهم فاقت لهم الصلاة) الآية، فبين المقصود من القصر ههنا وذكر صفته وكيفيته، ولهذا لما عقد البخاري كتاب صلاة الخوف صدره بقوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) إلى قوله (إن الله أعدّ للكافرين عذاباً مهيناً) وهكذا قال جوير عن الضحاك في قوله (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) قال: ذلك عند القتال يصلي الرجل الراكب تكبيرتين حيث كان وجهه، وقال أسباط عن السدي في قوله (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم) الآية، إن الصلاة إذا صليت ركعتين في السفر فهي تمام التقصير لا يحل إلا أن يخاف من الذين كفروا أن يفتنوه عن الصلاة فالتقصير ركعة، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) يوم كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعسفان والمشركون بضجنان فتوافقوا فصرى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الظهر أربع ركعات بركوعهم، وسجودهم، وقيامهم معاً جميعاً، فهم بهم المشركون أن يغيروا على أمتعتهم وأثقالهم. روى ذلك ابن أبي حاتم ورواه ابن جرير عن مجاهد والسدي وعن جابر وابن عمر واختار ذلك أيضاً فإنه قال بعد ما حكاه من الأقوال في ذلك وهو الصواب. وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا ابن أبي فديك حدثنا ابن أبي ذئب عن ابن شهاب عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد أنه قال لعبد الله بن عمر: أنا نجد في كتاب الله قصر صلاة الخوف ولا نجد قصر صلاة المسافر، فقال عبد الله: أنا وجدنا نبينا صلى الله عليه وسلم يعمل عملاً عملنا به، فقد سمي صلاة الخوف مقصورة وحمل الآية عليها لا على قصر صلاة المسافر، وأقره ابن عمر على ذلك واحتج على قصر الصلاة في

عمرو بن دينار: قال لي جابر بن زيد أقصر بعرفة، أما عامة الفقهاء فلا يجوزون القصر في السفر القصير، واختلف في حد ما يجوز به القصر، فقال الأوزاعي مسيرة يوم، وكان ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم يقصران ويفطران في أربعة برد وهي ستة عشر فرسخاً، وإليه ذهب مالك وأحمد وإسحق وقول الحسن والزهري قريب من ذلك فانهما قالاً مسيرة يومين، وإليه ذهب الشافعي رضي الله عنه قال: مسيرة ليلتين قاصدتين، وقال في موضع ستة وأربعون ميلاً بالهاشمي، وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي مسيرة ثلاثة أيام، وقيل قوله (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) متصل بما بعده من صلاة الخوف منفصل عما قبله. روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال: (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) هذا القدر، ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فترى (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيتاً * وإذا كنت فيهم) الآية، ومثله في القرآن كثير أن يجيء الخبر بتمامه، ثم ينسق عليه خبر آخر وهو

السفر بفعل الشارع لا بنص القرآن ، وأصرح من هذا ما رواه ابن جرير أيضاً . حدثنا أحمد بن الوليد القرشي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك الحنفي قال سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال : ركعتان تمام غير قصر ، إنما القصر في صلاة الخفاة ، فقلت وما صلاة الخفاة ؟ فقال : يصلي الإمام بطائفة ركعة ثم يجي ، هؤلاء ، إلى مكان هؤلاء ، وهؤلاء ، إلى مكان هؤلاء ، فيصلي بهم ركعة فيكون للإمام ركعتان ، ولكل طائفة ركعة ركعة

(وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة أفلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً ١٠٢)

صلاة الخوف أنواع كثيرة ، فإن العدو تارة يكون تجاه القبلة ، وتارة يكون في غير صوبها ، والصلوة تكون رباعية ، وتارة تكون ثلاثية كالمغرب ، وتارة تكون ثنائية كالصبح و صلاة السفر ، ثم تارة يصلون جماعة ، وتارة يلتحم الحرب فلا يقدر على الجماعة ، بل يصلون فرادى مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ، ورجالاً وركباً ، ولهم أن يمشوا والحالة هذه ، ويضربوا الضرب المتتابع في متن الصلاة ، ومن العلماء من قال : يصلون والحالة هذه ركعة واحدة لحديث ابن عباس المتقدم ، وبه قال أحمد بن حنبل ، قال المنذري في الحواشي ، وبه قال عطاء وجابر والحسن ومجاهد والحكم وقادة وحماد واليه ذهب طاوس والضحاك ، وقد حكى أبو عاصم العبادي عن محمد بن نصر المروزي أنه يرى رد الصبح إلى ركعة في الخوف واليه ذهب ابن حزم أيضاً ، وقال اسحق بن راهويه : أما عند

في الظاهر كالتصلي به وهو منفصل عنه كقوله تعالى (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وهذه حكاية عن امرأة العزيز ، وقوله (ذلك ليعلم أي لم أخنه بالغيب) أخبار عن يوسف عليه السلام ،

قوله تعالى ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة ﴾ روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أن المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا إلى الظهر يصلون جميعاً ندموا إلا كانوا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فإن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آباتهم وأبنائهم يعني صلاة العصر ، فإذا قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم ، فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنها صلاة الخوف ، وإن الله عز وجل يقول (وإذا كنت فيهم فأقمت

المسابقة فيجزيك ركعة واحدة تومي بها إيماناً ، فإن لم تقدر فسجدة واحدة لأنها ذكر الله ، وقال آخرون يكفي تكبيرة واحدة فلهذا أراد ركعة واحدة كما قاله الامام احمد بن حنبل وأصحابه ، وبه قال جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر وكعب وغير واحد من الصحابة والسدي ورواه ابن جرير . ولكن الذين حكوه إنما حكوه على ظاهره في الاجتزاء بتكبيرة واحدة كما هو مذهب اسحاق بن راهويه واليه ذهب الامير عبد الوهاب بن بخت المكي حتى قال : فإن لم يقدر على التكبيرة فلا يتركها في نفسه يعني بالنية . رواه سعيد بن منصور في سننه عن اسماعيل بن عياش عن شعيب بن دينار عنه قاله أعلم . ومن العلماء من أباح تأخير الصلاة لعذر القتال والمناجزة كما أخر النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب الظهر والعصر فصلاهما بعد الغروب ، ثم صلى بعدهما المغرب ، ثم العشاء ، وكما قال بعدها يوم بني قريظة حين جهز اليهم الجيش لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة فأدركتهم الصلاة في أثناء الطريق ، فقال منهم قائلون : لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تعجيل المسير ولم يرد منا تأخير الصلاة عن وقتها فصلوا الصلاة لوقتها في الطريق ، وأخر آخرون منهم صلاة العصر فصلوها في بني قريظة بعد الغروب ولم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً من الفريقين ، وقد تكلمنا على هذا في كتاب السيرة وبيننا أن الذين صلوا العصر لوقتها أقرب الى إصابة الحق في نفس الامر وإن كان الآخرون معذورين أيضاً ، والحجة ههنا في عذرهم في تأخير الصلاة لأجل الجهاد والمبادرة إلى حصار الناكثين للعهد من الطائفة الملعونة اليهود . وأما الجمهور فقالوا هذا كله منسوخ بصلاة الخوف فانها لم تكن نزلت بعد ، فلما نزلت نسخ تأخير الصلاة لذلك ، وهذا أين في حديث أبي سعيد الخدري

لهم الصلاة (فعلمه صلاة الخوف ، وجعلته أن العدو اذا كانوا في معسكرهم في غير ناحية القبلة فيجعل الامام القوم فرقتين ، فتقف طائفة وجاه العدو تحرسمهم ، ويشرع الامام مع طائفة في الصلاة ، فاذا صلى بهم ركعة قام وثبت قائماً حتى يتموا صلاتهم وذهبوا الى وجاه العدو ، ثم أتت الطائفة الثانية فصلى بهم الركعة الثانية وثبت جالساً حتى أتوا أنفسهم الصلاة ثم يسلم بهم . وهذه رواية سهل ابن أبي حنيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى كذلك بذات الرقاع ، واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحاق ، انا ابو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن احمد انا ابو اسحاق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن زيد بن رومان عن صالح بن خوات عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة صفت معه وصفت طائفة وجاه العدو فصلى بالنبي معه ركعة ، ثم ثبت قائماً فأتوا أنفسهم ، ثم انصرفوا فصنفوا وجاه العدو ، وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ، ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم ، قال مالك وذلك أحسن ما سمعت في صلاة الخوف . وأخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا مسدد انا يحيى عن شعبة عن عبد الرحمن بن

الذي رواه الشافعي رحمه الله وأهل السنن ، ولكن يشكل عليه ما حكاه البخاري في صحيحه حيث قال (باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو) قال الاوزاعي إن كان تهيأ الفتح ولم يقدروا على الصلاة صلوا إيماء كل امرئ لنفسه ، فإن لم يقدروا على الإيماء أخوا الصلاة حتى ينكشف القتال أو يأمنوا فيصلوا ركعتين ، فإن لم يقدروا صلوا ركعة وسجدة ، فإن لم يقدروا فلا يجزئهم التكبير ويؤخرونها حتى يأمنوا ، وبه قال مكحول وقال أنس بن مالك : حضرت عند مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن مع أبي موسى ففتح لنا ، قال أنس : وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها ، انتهى ما ذكره ثم اتبعه بحديث تأخير الصلاة يوم الاحزاب ، ثم بحديث أمره إياهم أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة وكأنه المختار لذلك والله أعلم . ولملن جنح الى ذلك له أن يحتج بصنيع أبي موسى وأصحابه يوم فتح تستر فانه يشتهر غالباً ، ولكن كان ذلك في إمارة عمر بن الخطاب ولم ينقل انه أنكر عليهم ولا أحد من الصحابة والله أعلم ، قال هؤلاء . وقد كانت صلاة الخوف مشروعة في الخندق لأن غزوة ذات الرقاع كانت قبل الخندق في قول جمهور علماء السير والمغازي ، ومن نص على ذلك محمد بن اسحق وموسى بن عقبة والواقدي ومحمد بن سعد كاتبه وخليفة بن الخياط وغيرهم ، وقال البخاري وغيره كانت ذات الرقاع بعد الخندق لحديث أبي موسى وما قدم إلا في خير والله أعلم . والعجب كل العجب أن المزني وأبا يوسف القاضي وإبراهيم بن اسماعيل بن عليّة ذهبوا إلى أن صلاة الخوف منسوخة بتأخيرها عليه الصلاة والسلام يوم الخندق وهذا غريب جداً ، وقد ثبتت الاحاديث بعد

القاسم عن أبيه عن صالح بن خوات عن سهل بن أبي حثمة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا ، وذهب قوم إلى أن الامام اذا قام إلى الركعة الثانية تذهب الطائفة الأولى في خلال الصلاة إلى وجاه العدو وتأتي الطائفة الثانية فيصلي بهم الركعة الثانية ويسلم وهم لا يسلمون ، بل يذهبون إلى وجاه العدو وتعود الطائفة الاولى فتتم صلاتها ، ثم تعود الطائفة الثانية فتتم صلاتها . وهذه رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى كذلك وهو قول أصحاب الرأي . أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب أنا يزيد بن زريع أنا معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ، ثم انصرفوا فقاموا في مقام أولئك وجاء أولئك فصلي بهم ركعة أخرى ، ثم سلم بهم فقام هؤلاء فصلوا ركعتهم وكلتا الروايتين صحيحة ، فذهب قوم إلى أن هذا من الاختلاف المباح وذهب الشافعي رضي الله عنه إلى حديث سهل بن أبي حثمة لأنه أشد موافقة لظاهر القرآن ، وأحوط للصلاة ، وأبلغ في حراسة العدو ، وذلك لأن الله

الخندق بصلاة الخوف ، وحمل تأخير الصلاة يومئذ على ما قاله مكحول والاوزاعي أقوى وأقرب والله أعلم ، فقله تعالى (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) أي إذا صليت بهم إماماً في صلاة الخوف وهذه حالة غير الأولى ، فإن تلك قصرها إلى ركعة كما دل عليه الحديث فرادى ورجالا وركبانا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ، ثم ذكر حال الاجتماع والائتمام بإمام واحد وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب الجماعة من هذه الآية الكريمة حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة فلو لا أنها واجبة ماساغ ذلك ، وأما من استدل بهذه الآية على أن صلاة الخوف منسوخة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لقوله (وإذا كنت فيهم) فبعده تغوت هذه الصفة فانه استدلال ضعيف ويرد عليه مثل قول مانعي الزكاة الذين احتجوا بقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) قالوا فنحن لا ندفع زكائنا بعده صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، بل نخرجها نحن من أيدينا على من نراه ، ولا ندفعها إلا إلى من صلاته أي دعاؤه سكن لنا ، ومع هذا ردة عليهم الصحابة وأبو عليهم هذا الاستدلال وأجبروهم على أداء الزكاة ، وقاتلوا من منعها منهم ، ولذا ذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة أولاً قبل ذكر صفتها ، قال ابن جرير حدثني ابن المشني حدثني اسحق حدثنا عبد الله بن هاشم أنبأنا سيف عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي رضي الله عنه قال : سأل قوم من بني النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله انا نضرب في الارض فكيف نصلي فانزل الله عز وجل (وإذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) ثم انقطع الوحي ، فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي صلى الله عليه وسلم فضلى الظهر ، فقال المشركون

تعالى قال (فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) أي إذا صلوا ، ثم قال (ولثأت طائفة أخرى لم يصلوا) وهذا يدل على أن الطائفة الاولى قد صلوا وقال (فليصلوا معك) ومقتضاه أن يصلوا تمام الصلاة فظاھرہ يدل أن كل طائفة تفارق الامام بعد تمام الصلاة ، والاحتياط لأمر الصلاة من حيث أنه لا يكثر فيها العمل والذهاب والحجى ، والاحتياط لأمر الحرب من حيث أنهم إذ لم يكونوا في الصلاة كان أمكن للحرب والضرب والهرب إن احتاجوا اليه ولو صلى الامام أربع ركعات بكل طائفة ركعتين جاز . أنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي أنا ابو نعيم عبد الملك بن الحسين الاسفرائيني أنا ابو عوانة يعقوب بن اسحاق الحافظ قال : أنا الصاغاني أنا عفان بن مسلم حدثنا أنبان العطار عن يحيى بن أبي كثير عن ابي سلمة عن جابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الرقاع ، وكنا اذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بشجرة فأخذ سيف نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخترطه ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتخافني قال « لا » قال فمن يمنعك قال « الله يمنعني منك » قال : فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال

لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم ، فقال قائل منهم ان لهم أخرى مثلها في أثرها قال فأنزل الله عز وجل بين الصلاتين (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) الآيتين فنزلت صلاة الخوف وهذا سياق غريب جداً ، ولكن لبعضه شاهد من رواية أبي عياش الزرقى واسمه زيد بن الضامت رضي الله عنه عند الامام احمد وأهل السنن ، فقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن مجاهد عن أبي عياش الزرقى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد بيننا وبين القبلة فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فقالوا لقد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ، ثم قالوا يأتي عليهم الآن صلاة هي أحب اليهم من أبنائهم وأنفسهم قال فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) قال فحضرت فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاح قال : فصمنا خلفه صفين قال : ثم ركع فركعنا جميعاً ، ثم رفع فرفعنا جميعاً ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ، ثم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ، ثم ركع فركعوا جميعاً ، ثم رفع فرفعوا جميعاً ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم والصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ، ثم سلم عليهم ، ثم انصرف . قال : فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بعسفان ، ومرة بأرض بني سليم . ثم رواه احمد عن غندر عن شعبة عن منصور به نحوه ، وهكذا رواه أبو داود عن سعيد بن منصور عن جرير بن عبد الحميد والنسائي من حديث شعبة

فأعمد سيفه وعلقه فنودي بالصلاة ، قال فصلى بطائفة ركعتين ، ثم تأخروا فصلى بالطائفة الأخرى ركعتين قال : فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتان . أخبرنا عبد الواحد بن الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الحلال أنا ابو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أخبرني الثقة بن علي أو غيره عن يونس عن الحسن عن جابر رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس صلاة الظهر في الخوف يبطن نخلة فصلى بطائفة ركعتين ثم سلم ، ثم جاءت طائفة أخرى فصلى بهم ركعتين ثم سلم . وروي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخوف أنه يصلي بهؤلاء ركعة وبهؤلاء ركعة ولم يقضوا . ورواه زيد بن ثابت وقال : كانت للقوم ركعة واحدة ، وللنبي صلى الله عليه وسلم ركعتان . وتأوله قوم على صلاة شدة الخوف وقالوا : الغرض في هذه الحالة ركعة واحدة ، وأكثر أهل العلم على أن الخوف لا ينقص عدد الركعات وإن كان العدو في ناحية القبلة في مستوى إن حملوا عليهم رأوهم صلى الامام بهم جميعاً وحرسوا في السجود كما أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا ابو نعيم الاسفرايني أنا ابو عوانة الحافظ أنا عمار أنا يزيد بن هرون أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عن جابر رضي الله عنهما قال

وعبد العزيز بن عبد الصمد كلهم عن منصور به ، وهذا اسناد صحيح وله شواهد كثيرة ، فمن ذلك ما رواه البخاري حيث قال : حدثنا حيوة بن شريح حدثنا محمد بن حرب عن الزبيدي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم وقام الناس معه ، فكبر وكبروا معه ، وركع وركع ناس منهم ، ثم سجد وسجدوا معه ، ثم قام للثانية فقام الذين سجدوا وحرصوا اخوانهم وأتت الطائفة الاخرى فركعوا وسجدوا معه والناس كلهم في الصلاة ، ولكن يحرس بعضهم بعضاً . وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن سليمان بن قيس اليشكري أنه سأل جابر بن عبد الله عن اقصار الصلاة أي يوم أنزل أو أي يوم هو ، فقال جابر : انطلقنا نتلقى غيراً لقريش آتية من الشام حتى اذا كنا بنخلة جاء رجل من القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد هل تخافني ، قال « لا » قال : فمن يمنعك مني ، قال « الله يمنعني منك » قال : فسل السيف ثم تهدده وأوعده ، ثم نادى بالترحل وأخذ السلاح ثم نودي بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة من القوم وطائفة أخرى تحرسهم ، فصلى بالذين يلونه ركعتين ، ثم تأخر الذين يلونه على أعقابهم فقاموا في مصاف أصحابهم ، ثم جاء الآخرون فصلى بهم ركعتين والآخرون يحرسونهم ثم سلم فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتين ركعتين ، فيومئذ أنزل الله في اقصار الصلاة وأمر المؤمنين بأخذ السلاح . رواه الامام احمد فقال : حدثنا شريح حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سليمان بن قيس اليشكري عن جابر بن عبد الله قال قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب حفصة ، فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحرث

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الخوف ، فصففتنا خلفه صفين والعدو بيننا وبين القبلة ، فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعاً ، ثم ركع وركعنا جميعاً ، ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعاً ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخراً في الركعة الاولى ، فقام الصف المؤخر في نحر العدو ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود ثم قاموا ، ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر المقدم ، ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعاً ، ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعاً ، ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخراً في الركعة الاولى وقام الصف المؤخر في نحر العدو ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعاً » قال جابر رضي الله عنه كما يصنع حرسكم هؤلاء بأمرائكم

واعلم أن صلاة الخوف جائزة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم عند عامة أهل العلم ويحكي عن بعضهم عدم الجواز ولا وجه له . وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله عليه كل حديث روي في أبواب صلاة الخوف فالعمل به جائز وروى فيها ستة أوجه ، أو سبعة أوجه . وقال مجاهد في سبب نزول هذه الآية عن أبي عياش

حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال : من يمنعك مني ، قال « الله » فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ومن يمنعك مني » قال : كن خير آخذ قال « أتشهد أن لا إله الا الله وأني رسول الله » ؟ قال لا ، ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاثلونك فخلني سبيله ، فقال جئتكم من عند خير الناس ، فلما حضرت الصلاة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فكان الناس طائفتين ، طائفة بازاء العدو ، وطائفة صلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالطائفة الذين معه ركعتين وانصرفوا فكانوا مكان الطائفة الذين كانوا بازاء العدو ، ثم انصرف الذين كانوا بازاء العدو فصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتين ركعتين تفرد به من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم حدثنا المسعودي عن يزيد الفقيير قال : سألت جابر بن عبد الله عن الركعتين في السفر أقصرهما فقال : الركعتان في السفر تمام انما القصير واحدة عند القتال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال إذ أقيمت الصلاة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بطائفة وطائفة وجهها قبل العدو فصلى بهم ركعة وسجد بهم سجدتين ، ثم الذين خلفوا انطلقوا إلى أولئك فقاموا مقامهم ومكانهم نحو ذا ، وجاء أولئك فقاموا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجد بهم سجدتين ، ثم أن رسول الله

الزرق قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون : لقد أصبنا غرة لو حملنا عليهم وهم في الصلاة ، فنزلت الآية بين الظهر والعصر . قوله تعالى (وإذا كنت فيهم) أي شهيداً معهم (فأقت لهم الصلاة) فلتقم طائفة منهم معك أي فلتقف كقوله تعالى (وإذا أظلم عليهم قاموا) أي وقفوا وليأخذوا أسلحتهم واختلفوا في الذين يأخذون أسلحتهم ، فقال بعضهم أراد هؤلاء الذين وقفوا مع الامام يصلون ويأخذون الاسلحة في الصلاة فعلى هذا انما يأخذه اذا كان لا يشغله عن الصلاة فلا يؤذي من يجنبه ، فاذا شغلته حركته وثقلته عن الصلاة كالجعبة والترس الكبير ، أو كان يؤذي من يجنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل (وليأخذوا أسلحتهم) أي الباقون الذين قاموا في وجه العدو (فاذا سجدوا) أي صلوا (فليكونوا من ورائكم) يريد مكان الذين هم وجاه العدو (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) وهم الذين كانوا في وجه العدو (فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) قيل هؤلاء الذين أتوا وقيل هم الذين صلوا (ود الذين كفروا) يتمنى الكفار (لو تفعلون) أي لو وجدوكم غافلين (عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) رخص في وضع السلاح في حال المطر والمرض لأن السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين (وخذوا حذركم) أي راقبوا

صلى الله عليه وسلم جاس وسلم ، وسلم الذين خلفه ، وسلم أولئك فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ، وللقوم ركعة ركعة ، ثم قرأ (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية ، وقال الامام احمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن يزيد القتيبي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الخوف فقام صف بين يديه وصف خلفه فصلى بالذين خلفه ركعة وسجدين ، ثم تقدم هؤلاء حتى قاموا في مقام أصحابهم ، وجاء أولئك حتى قاموا في مقام هؤلاء ، فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجدين ثم سلم ، فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم ركعتين ولهم ركعة . ورواه النسائي من حديث شعبة ، ولهذا الحديث طرق عن جابر وهو في صحيح مسلم من وجه آخر بافظ آخر ، وقد رواه عن جابر جماعة كثيرون في الصحيح والسنن والمسانيد . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا عبد الله بن المبارك أنبأنا معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه قال (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) قال هي صلاة الخوف ، صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مقبلة على العدو ، وأقبلت الطائفة الاخرى التي كانت مقبلة على العدو فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة أخرى ثم سلم بهم ، ثم قامت كل طائفة منهم فصلت ركعة ركعة . وهذا الحديث رواه الجماعة في كتبهم من طريق معمر به ، ولهذا الحديث طرق كثيرة عن الجماعة من الصحابة . وقد أجاد الحافظ أبو بكر

العدو كيلا يتغفلوكم والحذر مايتقي به من العدو . وقال السكاكي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه غزا محاربا وبني أمار فقتلوا ولا يرون من العدو أحداً فوضع الناس أسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له قد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش ، فخال الوادي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فبصر به غورث بن الحارث المخزومي فقال : قتلتني الله إن لم أقتله ، ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم على رأسه ومعه السيف قد سله من غمده فقال يا محمد : من يعصمك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله » ثم قال « اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت » ثم أهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فانكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه ونذر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ، ثم قال « يا غورث من يمنعك مني الآن » قال . لأحد ، قال « تشهد أن لا إله الا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله وأعطيتك سيفك » قال : لا ، ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبداً ، ولا أعين عليك عدواً ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ، فقال غورث : والله لانت خير مني ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أجعل انا أحق بذلك منك » فرجع غورث إلى أم حباب فقالوا : ويلك ما منعك منه ، قال : لقد أهويت اليه بالسيف لاضر به فوالله ما أدري من زلخني

ابن مردويه في سرد طرقه وألفاظه ، وكذا ابن جرير وانحرره في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة ، وأما الأمر بحمل السلاح في صلاة الخوف فمحمول عند طائفة من العلماء على الوجوب لظاهر الآية وهو أحد قولي الشافعي ويدل عليه قول الله تعالى (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم) أي بحيث تكونون على أهبة إذا احتجتم إليها لبستموها بلا كلفة (إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً)

(فإذا قضيتُمُ الصلوةَ فاذكروا اللهَ قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبكم فإذا أطمأننتُم فاقیموا الصلوةَ إن الصلوةَ كانت على المؤمنين كتباً موقوتاً (١٠٢) ولا تمهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تأمنون فإنهم يأمنون كما تأمنون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليماً حكيماً (١٠٣))

يأمر الله تعالى بكثرة الذكر عقيب صلاة الخوف وإن كان مشروعاً مرغباً فيه أيضاً بعد غيرها ولكن هاهنا أكد لما وقع فيها من التخفيف في أركانها ، ومن الرخصة في الذهاب فيها والاياب وغير ذلك مما ليس يوجد في غيرها كما قال تعالى في الاشر الحرم (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) وإن كان هذا منهيّاً عنه في غيرها ، ولكن فيها أكد لشدة حرمتها وعظمتها ، ولهذا قل تعالى (فإذا قضيتُم الصلوة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) أي في سائر أحوالكم ، ثم قال تعالى (فإذا أطمأننتُم فاقیموا الصلوة) أي فإذا أمنتُم وذهب الخوف ، وحصلت الطمأنينة (فاقیموا الصلوة) أي فأتتموها وأقیموها كما أمرتم بحدودها ، وخشوعها ، وركوعها ، وسجودها ، وجميع شؤونها ، وقوله تعالى (إن الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) قال ابن عباس أي مفروضاً ، وقال أيضاً : ان للصلوة وقتاً

بين كتفي فخررت لوجهي وذكر حاله ، قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي إلى أصحابه فأخبرهم الخبر وقرأ عليهم هذه الآية (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم) أي من عدوكم ، وقال سعيد بن جبیر عن ابن عباس في هذه الآية كان عبد الرحمن بن عوف جريحاً ﴿ إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً ﴾ يهانون فيه والجناح الأثم من جنحت إذا عدلت عن القصد

﴿ فإذا قضيتُمُ الصلوة ﴾ يعني صلاة الخوف أي فرغتم منها ﴿ فاذكروا الله ﴾ أي صلوا لله ﴿ قياماً ﴾ في حال الصحة ﴿ وقعوداً ﴾ في حال المرض ﴿ وعلى جنوبكم ﴾ عند الجرح والزمانة وقيل : اذكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد على كل حال . أخبرنا عمر بن عبد العزيز الكاشاني أنا القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي أنا أبو داود السجستاني أنا محمد بن العلاء أنا ابن أبي زائدة عن أبيه عن خالد بن سلمة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ﴿ فإذا أطمأننتُم ﴾ أي سكنتم وأمنتُم ﴿ فاقیموا الصلوة ﴾ أي أتتموها أربعاً بأركانها ﴿ ان الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ قيل :

كوقت الحج ، وكذا روي عن مجاهد وسالم بن عبدالله وعلي بن الحسين ومحمد بن علي والحسن ومقاتل والسدي وعطية العوفي ، قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) قال ابن مسعود : ان للصلاة وقتا كوقت الحج ، وقال زيد بن أسلم (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) قال منجمها كلما مضى نجم جاء نجم ، يعني كلما مضى وقت جاء وقت . وقوله تعالى (ولا تنهوا في ابتغاء القوم) أي لا تضعفوا في طلب عدوكم ، بل جدوا فيهم ، وقاتلوهم ،

واجبا مفروضا مقدرا في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتان ، وقال مجاهد : أي فرضا موقوتا وقته الله تعالى عليهم وقد جاء بيان أوقات الصلاة في الحديث ، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى أنا أبو بكر عبدالله بن هاشم حدثنا وكيع أنا سفيان عن عبد الرحمن بن الحارث عن عياش بن أبي ربيعة الزرقى عن حكم بن أبي حكيم عن عباد بن حنيفة عن نافع بن جبير بن مطعم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمني جبريل عليه السلام عند باب البيت مرتين فصلى بي الظهر حين زالت الشمس وكانت بقدر الشراك ، وصلى بي العصر حين صار ظل كل شيء مثله ، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم وصلى بي العشاء حين غاب الشفق وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم ، فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظل كل شيء مثله ، وصلى بي العصر حين كان ظل كل شيء مثله ، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى بي العشاء حين ذهب ثلث الليل الاول ، وصلى بي الفجر حين أسفر ، ثم التفت إلي فقال : يا محمد هذا الوقت وقت الانبياء من قبلك والوقت ما بين هذين الوقتين » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر بن الحسن الحيرى أنا وكيع أنا حاجب بن أحمد ثنا عبدالله بن هاشم ثنا وكيع ثنا بدر بن عثمان ثنا أبو بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سائلا أتاه فسأله عن مواقيت الصلاة قال فلم يرد عليه شيئا ثم أمر بلالا فأذن ثم أمره فأقام الصلاة حين انشق الفجر فصلى ثم أمره فأقام الظهر والقائل يقول : قد زالت الشمس ولم تزل وهو كان أعلم منهم ثم أمره فأقام العصر والشمس مرتفعة بيضاء تقية ثم أمره فأقام المغرب حين غابت الشمس ثم أمره فأقام العشاء حين سقط الشفق ، قال : وصلى الفجر من الغد والقائل يقول : طلعت الشمس أو لم تطلع ، وصلى الظهر قريبا من وقت العصر بالامس ، وصلى العصر والقائل يقول : قد احمرت الشمس وصلى المغرب قبل أن يغيب الشفق ، وصلى العشاء بعد ما ذهب ثلث الليل الاول ثم قال « أين السائل عن وقت الصلاة ؟ » فقال الرجل : أنا يا رسول الله قال « ما بين هذين الوقتين وقت »

قوله تعالى ﴿ ولا تنهوا في ابتغاء القوم ﴾ الآية . سبب نزولها ان أباسفيان رضي الله عنه وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة في آثارهم فشكوا ألم الجراحات فقال

واقعدوا لهم كل مرصد (إن تكونوا تأملون فإنهم يأملون كما تأملون) أي كما يصيبكم الجراح والقتل كذلك يحصل لهم كما قال تعالى (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) ثم قال تعالى (وترجون من الله ما لا يرجون) أي أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم ، وإياهم من الجراح والآلام ، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم إياه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو وعد حق ، وخبر صدق ، وهم لا يرجون شيئاً من ذلك فأنتم أولى بالجهاد منهم ، وأشدّ رغبة فيه ، وفي إقامة كلمة الله وإعلانها (وكان الله عليا حكيمًا) أي هو أعلم وأحكم فيما يقدره ويقضيه وينفذه ويمضيه من أحكامه الكونية والشرعية وهو المحمود على كل حال

(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً (١٠٤))

واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيمًا (١٠٥) ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً (١٠٦) يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً (١٠٧) ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة أم من يكون عليهم وكلا (١٠٨)

يقول تعالى مخاطباً لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) أي هو حق من الله وهو يتضمن الحق في خبره وطلبه ، وقوله (لتحكم بين الناس بما أراك الله) احتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان صلى الله عليه وسلم له أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية وبما ثبت في الصحيحين عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه عليه

الله تعالى (ولا تهنوا في ابتغاء القوم) أي لا تضعفوا (في ابتغاء القوم) في طلب (القوم) أبي سفيان وأصحابه ﴿إن تكونوا تأملون﴾ تتوجعون من الجراح ﴿فإنهم يأملون﴾ أي يتوجعون يعني الكفار ﴿كما تأملون وترجون من الله ما لا يرجون﴾ أي وأنتم مع ذلك تأملون من الأجر والثواب في الآخرة والنصر في الدنيا ما لا يرجون ، وقال بعض المفسرين : المراد بالرجاء الخوف لأن كل راج خائف أن لا يدرك مأموه ، ومعنى الآية (ترجون من الله) أي وتخافون من الله أي تخافون من عذاب الله ما لا يخافون . قال الفراء رحمه الله : ولا يكون الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجمع كقوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أي لا يخافونه . وقال تعالى (مالكم لا ترجون الله وقارا) أي لا تخافون الله عظمت ولا يجوز رجوتك بمعنى خفتك ، ولا خفتك وأنت تريد رجوتك ﴿وكان الله عليا حكيمًا﴾ قوله تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ الآية . روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق

وسلم سمع جليلة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال « ألا انما انا بشر وانما أقضي بنحو مما أسمع ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليحملها أو ليزرها » وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا أسامة بن زيد عن عبد الله بن رافع عن أم سلمة قالت : جاء رجلان من الانصار يختصمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواريث بينهما قد درست ليس عندهما بينة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انكم تختصمون إليّ وانما أنا بشر ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وانما أقضي بينكم على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار يأتي بها انتظاماً في عنقه يوم القيامة » فبكي الرجلان وقال كل منهما : حقّي لأخي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما اذ قلتما فاذهبا فافقسما ، ثم توخيا الحق بينهما ثم استمما ، ثم ليحل كل منكما صاحبه » وقد رواه أبو داود من حديث أسامة بن زيد به وزاد « اني انما أقضي بينكما برأيي فيما لم ينزل عليّ فيه » وقد روى ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس أن نغراً من الانصار غزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته فسرقت درع لاحد منهم فأظن بها رجلاً من الانصار فأتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان طعمة بن أبيرق سرق درعي ، فلما رأى السارق ذلك عمد اليها فألقاها في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته اني غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده ، فانطلقوا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلاً فقالوا : ياني الله إن صاحبنا بريء وإن صاحب الدرع فلان وقد أحطنا بذلك علماً فاعذر صاحبنا على رؤس الناس وجادل عنه ، فانه إن لم يعصمه الله بك يهلك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرأه وعذره على رؤس الناس فانزل الله (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً ، واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الآية ، ثم قال تعالى للذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين بالكذب (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله)

من بني ظفر بن الحارث سرق درعاً من جابر له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب له فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتصت الدرع عند طعمة فخلف بالله ما أخذها وماله بها من علم فقال أصحاب الدرع : لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه منه فقال اليهودي : دفعها إليّ طعمة بن أبيرق فجاء بنو ظفر وهم قوم طعمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا له : انك إن لم تفعل افتضح صاحبنا . فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي . ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى ان طعمة سرق الدرع في جراب فيه نخالة فخرق الجراب حتى كان تتناثر منه النخالة طول

الآيتين . يعني الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين يجادلون عن الخائنين ، ثم قال عز وجل (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) الآية ، يعني الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين بالكذب ، ثم قال (ومن يكسب خطيئة أو أثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً) يعني السارق والذين جادلوا عن السارق وهذا سياق غريب ، وقد ذكر مجاهد وغيره وقادة والسدي وابن زيد وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في سارق بني أبيرق على اختلاف سياقاتهم وهي متقاربة ، وقد روى هذه القصة محمد بن اسحق مطولة ، فقال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية من جامعه وابن جرير في تفسيره حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب أبو مسلم الحراني حدثنا محمد بن سلمة الحراني حدثنا محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال : كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق بشر وشير ومبشر ، وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ينحله لبعض العرب ، ثم يقول : قال فلان كذا وكذا ، وقال فلان كذا وكذا ، فإذا سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الشعر قالوا : والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الرجل الخبيث أو كما قال الرجل ، وقالوا ابن الأبيرق قالها ، قالوا وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والاسلام وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير ، وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام من الدرهم ابتاع الرجل منها خض بها نفسه ، وأما العيال فأنما طعامهم التمر والشعير فقدمت ضافطة من الشام فابتاع عبي رفاة بن زيد حملاً من الدرهم فجعله في مشربة له ، وفي المشربة سلاح ودرع وسيف فعدي عليه من تحت البيت فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح ، فلما أصبح أتاني عبي رفاة فقال : يا ابن أخي انه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا ، قال فتحسسنا في الدار وسألنا فقليل لنا قدر أينابني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا تروى فيما نرى إلا على بعض طعامكم قال : وكان بنو أبيرق قالوا - ونحن نسأل في الدار - والله ما نرى صاحبكم إلا ليبد بن سهل رجلاً منا

الطريق فجاء به إلى دار زيد السمين وتركه على بابه وحمل الدرع إلى بيته فلما أصبح صاحب الدرع جاء على أثر النخالة إلى دار زيد السمين فأخذه وحمله إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع يد زيد اليهودي . وقال مقاتل : ان زيد السمين أودع درعا عند طعمه فجعلها طعمة فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) بالامر والنهي والفصل (لتحكم بين الناس بما أراك الله) بما علمك الله وأوحى إليك (ولا تكن للخائنين) طعمة (خصيباً) ميسباً مدافعاً عنه (واستغفر الله) مما هممت به من معاقبة اليهودي . وقال مقاتل : واستغفر الله من جدالك عن طعمة (ان الله كان عفوراً رحيماً) ولا تجادل (لا تخاصم) عن الذين يختانون أنفسهم (أى يظلمون أنفسهم بالخيانة والسرقة) ان الله لا يحب من كان خواناً (خائناً) أثماً (بسرقة الدرع

له صلاح واسلام ، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال : انا أسرق والله ليخالطنكم هذا السيف ، أو لتبينن هذه السرقة ، قالوا : اليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها ، فأسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها ، فقال لي عمي : يا ابن أخي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له قال قتادة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له ، وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردوا علينا سلاحنا ، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « سآمر في ذلك » فلما سمع بذلك بنو أبيرق أتوا رجلا منهم يقال له أسيد بن عروة فكلموه في ذلك ، فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا يارسول الله : إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت ، قال قتادة : فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فكلمته فقال « عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح يرميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة » قال فرجعت ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فأتاني عمي رفاعة فقال : يا ابن أخي ما صنعت ، فأخبرته بما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الله المستعان ، فلم نلبث أن نزل القرآن (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) يعني بني أبيرق (واستغفر الله) أي مما قلت لقتادة (إن الله كان غفورا رحاما ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) - إلى قوله - (رحما) أي لو استغفروا الله لغفر لهم (ومن يكسب أثما فاعما يكسبه على نفسه - إلى قوله - أثما مبيئا) قوله للبيد (ولولا فضل الله عليك ورحمته - إلى قوله - فسوف نؤتيه أجرا عظيما) فلما نزل القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فرده إلى رفاعة ، فقال قتادة : لما أتيت عمي بالسلاح وكان شيخا قد عمي أو عشى الشك من أبي عيسى في الجاهلية وكنت أرى اسلامه مدخولا ، فلما أتيت به بالسلاح قال : يا ابن أخي هي في سبيل الله فعرفت أن اسلامه كان صحيحا ، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين فنزل على سلافة بنت سعد ابن سمية ، فأنزل الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين

أثما في رمية اليهودي ، قيل انه خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كقوله تعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) والاستغفار في حق الانبياء بعد النبوة على أحد الوجوه الثلاثة إما لذنب تقدم على النبوة أو لذنب أمته وقرابته أو لمباح جاء الشرع بتحريمه فيتركه بالاستغفار ، فالاستغفار يكون معناه السمع والطاعة لحكم الشرع ﴿ يستخفون من الناس ﴾ أي يستترون ويستحيون من الناس يريد بني ظفر بن الحارث ﴿ ولا يستخفون من الله ﴾ أي لا يستترون ولا يستحيون من الله ﴿ وهو معهم اذ يبيتون ﴾ يتقوون ويؤلفون ، والتبيت تدبير الفعل ليلا ﴿ مالا يرضى من القول ﴾ وذلك ان قوم طعنة قالوا فيما بينهم : نرفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قوله ويمينه لانه مسلم ،

نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ، إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) فلما نزل على سلافة بنت سعد هجاها حسان بن ثابت بأبيات من شعر فأخذت رحله فوضعت على رأسها ، ثم خرجت به فرمته في الابطح ، ثم قالت : أهديت لي شعر حسان ما كنت تأتيني بخير . لفظ الترمذي هذا حديث غريب لا نعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحراني ، ورواه بونس بن بكير وغير واحد عن محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسل لم يذكر فيه عن أبيه عن جده ، ورواه ابن أبي حاتم عن هاشم بن القاسم الحراني عن محمد بن سلمة به ببعضه ، ورواه ابن المنذر في تفسيره ، حدثنا محمد بن اسماعيل يعني الصائغ حدثنا أحمد بن أبي شعيب الحراني حدثنا محمد بن سلمة فذكره بطوله ، ورواه أبو الشيخ الاصبهاني في تفسيره عن محمد بن عياش بن أيوب والحسن بن يعقوب كلاهما عن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني عن محمد بن سلمة به ، ثم قال في آخره ، قال محمد بن سلمة سمع مني هذا الحديث يحيى بن معين واحد ابن حنبل واسحق بن اسرائيل ، وقد روى هذا الحديث الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في كتابه المستدرک عن ابن العباس الاصم عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي عن بونس بن بكير عن محمد بن اسحاق بمعناه أتم منه وفيه الشعر ، ثم قال : وهذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقوله تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) الآية ، هذا انكار على المنافقين في كونهم يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم ، ويجاهرون الله بها لأنه مطلع على سرائرهم وعالم بما في ضمائرهم ، ولهذا قال (وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً) تهديد لهم ووعد ، ثم قال تعالى (ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) الآية . أي هب أن هؤلاء انتصروا في الدنيا بما أبدوه أو أبدى لهم عند الحكام الذين يحكمون بالظاهر وهم متعبدون بذلك فإذا يكون صنيعهم يوم القيامة بين يدي الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ، ومن ذا الذي يتوكل لهم يومئذ يوم القيامة في ترويح دعواهم ، أي لأحد يومئذ يكون لهم وكلاء ، ولهذا قال (أم من يكون عليهم وكلاء .)

ولا يسمع من اليهودي لأنه كافر فلم يرض الله ذلك منهم ﴿ وكان الله بما يعملون محيطاً ﴾ ثم يقول لقوم طعمة ﴿ ها أنتم هؤلاء ﴾ أي يا هؤلاء ﴿ جادلتم ﴾ أي خاصمتم ﴿ عنهم ﴾ يعني عن طعمة . وفي قراءة أبي بن كعب (عنه) ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ والجدال شدة المحاصمة من الجدال وهو شدة القتل فهو يريد قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج ، وقيل الجدال من الجدالة وهي الارض فسكان كل واحد من الخصمين يروم قهر صاحبه وصرعه على الجدالة ﴿ فمن يجادل الله عنهم ﴾ يعني عن طعمة ﴿ يوم القيامة ﴾ إذا أخذه الله بعذابه ﴿ أمَّن يكون عليهم وكلاء ؟ ﴾ كفيلاً أي من الذي يذب عنهم ويتولى أمرهم يوم القيامة ؟

(ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) (١٠٩) ومن يكسب إثماً فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً (١١٠) ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاً وإثماً مبيناً (١١١) ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً (١١٢)

يخبر تعالى عن كرمه وجوده أن كل من تاب إليه تاب عليه من أي ذنب كان ، فقال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : أخبر الله عباده بعفوه ، وحلمه ، وكرمه ، وسعة رحمته ، ومغفرته ، فمن أذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً (ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال . رواه ابن جرير ، وقال ابن جرير أيضاً حدثنا محمد بن مثنى حدثنا محمد بن أبي عدي حدثنا شعبة عن عاصم عن أبي وائل قال : قال عبد الله : كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنباً أصبح قد كتب كفارة ذلك الذنب على بابه ، وإذا أصاب البول منه شيئاً قرضه بالمقراض ، فقال رجل : لقد آتى الله بني إسرائيل خيراً ، فقال عبد الله رضي الله عنه ما آتاكم الله خير مما آتاهم جعل الماء لكم طهوراً ، وقال تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) وقال (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) وقال أيضاً حدثني يعقوب حدثنا هشيم عن ابن عون عن حبيب بن أبي ثابت قال : جاءت امرأة إلى عبد الله بن مغفل فسألته عن امرأة فخرت فخبثت ، فلما ولدت قتلت ولدها ، قال عبد الله بن مغفل لها النار ، فانصرفت وهي تبكي فدعاها ثم قال : ما أرى أمرك إلا أحد أمرين (من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) قال : فسححت عينها ثم مضت . وقال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن عثمان ابن المغيرة قال : سمعت علي

ثم استأنف فقال ﴿ ومن يعمل سوءاً ﴾ يعني السرقة (أو يظلم نفسه) برميه البريء وقيل من يعمل سوءاً أي شركاً أو يظلم نفسه يعني اثماً دون الشرك ﴿ ثم يستغفر الله ﴾ أي يتوب إليه ويستغفره ﴿ يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ يعرض التوبة على طعمة في هذه الآية ﴿ ومن يكسب إثماً ﴾ يعني يمين طعمة بالباطل أي ماسرقة انا انما سرقة اليهودي ﴿ فانما يكسبه على نفسه ﴾ فانما يضر به نفسه ﴿ وكان الله عليماً ﴾ بسارق الدرع ﴿ حكيماً ﴾ حكم بالقطع على السارق ﴿ ومن يكسب خطيئة ﴾ أي سرقة الدرع ﴿ أو إثماً ﴾ بيمينه الكاذبة ﴿ ثم يرم به ﴾ أي يقذف بما جنى ﴿ بريئاً ﴾ منه وهو نسبة السرقة الى

ابن ربيعة من بني أسد يحدث عن أسماء أو ابن أسماء من بني فزارة قال : قال علي رضي الله عنه : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً نفعني الله فيه بما شاء أن ينفعني منه . وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يذنب ذنباً ، ثم يصلي ركعتين ، ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له » وقرأ هاتين الآيتين (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) الآية (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) الآية . وقد تكلمنا على هذا الحديث وعزيناؤه إلى من رواه من أصحاب السنن ، وذكرنا ما في سنده من مقال في مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد تقدم بعض ذلك في سورة آل عمران أيضاً ، وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من وجه آخر عن علي فقال : حدثنا أحمد بن محمد بن زياد حدثنا إبراهيم بن اسحق الحراني حدثنا داود ابن مهران الدباغ حدثنا عمر بن يزيد عن عبد خير عن علي قال سمعت أبا بكر هو الصديق يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد أذنب فقام فتوضأ فأحسن الوضوء ، ثم قام فصلى واستغفر من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يغفر له لأن الله يقول (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) الآية ، ثم رواه من طريق أبان بن أبي عياش عن أبي اسحق السبيعي عن الحرث عن علي عن الصديق بنحوه وهذا اسناد لا يصح ، وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا موسى بن مروان الرقي حدثنا مبشر بن اسماعيل الحلبي عن تمام بن نجيح حدثني كعب بن ذهل الأزدي قال سمعت أبا الدرداء يحدث قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلسنا حوله وكانت له حاجة فقام إليها وأراد الرجوع ترك نعليه في مجلسه أو بعض ما عليه وأنه قام فترك نعليه قال أبو الدرداء فأخذ ركوة من ماء فاتبعته فمضى ساعة ثم رجع ولم يقض حاجته فقال « انه أناني آت من ربي فقال (انه من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) فأردت أن أبشر أصحابي ، قال أبو الدرداء وكانت قد شقت على الناس الآية التي قبلها (من يعمل سوءاً يجزي به ، فقلت يارسول الله ، وإن زنى وإن سرق ثم استغفر ربه غفر له قال ؟ « نعم » ثم قلت الثانية قال « نعم » قلت الثالثة قال « نعم وإن زنى وإن سرق ثم استغفر الله غفر الله له على رغم أنف أبي الدرداء » قال رأيت أبا الدرداء يضرب أنف نفسه بأصبعه . هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه بهذا السياق وفي اسناده ضعف . وقوله (ومن يكسب أثماً فأنما يكسبه على نفسه) الآية ،

اليهودي ﴿ فقد احتمل بهتاناً ﴾ البهتان هو البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه ﴿ وانما بيننا ﴾ أي ذنباً بيننا ، وقوله (ثم يرم به) ولم يقل بها بعد ذكر الخطيئة والاثم رد الكناية إلى الاثم أو جمل الخطيئة والاثم كالشيء الواحد قوله تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته ﴾ يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ لهمت ﴾ لقد همت أي أضمرت ﴿ طائفة منهم ﴾ يعني قوم طعمة ﴿ أن يضلوك ﴾ يخطؤوك في الحكم ويلبسوا عليك الامر

كقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) الآية ، يعني أنه لا يعني أحد عن أحد وإنما على كل نفس ماعامت لا يحمل عنها غيرها ، ولهذا قال تعالى (وكان الله عليا حكيما) أي من علمه وحكمته ، وعدله ورحمته كان ذلك ، ثم قال (ومن يكسب خطيئة أو إنما ثم يرم به بريئا) الآية ، يعني كما أنهم بنو أبيرق بصنيعهم القبيح ذلك الرجل الصالح وهو ليبد بن سهل كما تقدم في الحديث ، أو زيد بن السمين اليهودي على ما قاله الآخرون وقد كان بريئا وهم الظلمة الخونة كما أطلع الله على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم هذا التقرع وهذا التوبيخ عام فيهم وفي غيرهم ممن اتصف بصفتهم فارتكب مثل خطيئتهم فعليه مثل عقوبتهم ، وقوله (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء) وقال الامام ابن أبي حاتم انبأنا هاشم بن القاسم الحراني فيما كتب إلي حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر عن قتادة الانصاري عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان وذكر قصة بني أبيرق فأنزل الله (لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء) يعني أسيد بن عروة وأصحابه يعني بذلك لما أثنوا على بني أبيرق ولأموا قتادة بن النعمان في كونه اتهمهم وهم صلحاء برآء ولم يكن الأمر كما أنهموه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا أنزل الله فصل القضية وجلالها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امتن عليه بتأييده إياه في جميع الاحوال ، وعصمته له ، وما أنزل عليه من الكتاب ، وهو القرآن والحكمة ، وهي السنة (وعلمك ما لم تكن تعلم) أي قبل نزول ذلك عليك كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب) إلى آخر السورة ، وقال تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك) ولهذا قال (وكان فضل الله عليك عظيما)

لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما (١١٣) ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (١١٤) يقول تعالى (لا خير في كثير من نجواهم) يعني كلام الناس (إلا من أمر بصدقة أو معروف

حتى تدافع عن طعمة) وما يضلون إلا أنفسهم يعني يرجع وبال عليهم (وما يضرونك من شيء) يريد أن ضرره يرجع اليهم (وأنزل الله عليك الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني القضاء بالوحي (وعلمك ما لم تكن تعلم) من الاحكام وقيل من علم الغيب (وكان فضل الله عليك عظيما) قوله تعالى (لا خير في كثير من نجواهم) يعني قوم طعمة ، وقال مجاهد : الآية عاملة في حق جميع الناس والنجوى هي الاسرار في التدبير وقيل النجوى ما يتفرد بتدبيره قوم سرا كان أو جهرا فمعنى الآية : لا خير في كثير مما يدبرونه بينهم (إلا من أمر بصدقة) أي إلا في نجوى من أمر

أو اصلاح بين الناس) أي إلا نجوى من قال ذلك كما جاء في الحديث الذي رواه ابن مردويه حدثنا محمد بن زيد بن حنيس قال : دخلنا على سفيان الثوري نعوذه فدخل علينا سعيد بن حسان فقال له الثوري الحديث الذي كنت حدثنيه عن أم صالح رده عليّ فقال : حدثني أم صالح عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا ذكر الله عز وجل ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر » فقال سفيان أو ماسمعت الله في كتابه يقول (لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة ، أو معروف ، أو اصلاح بين الناس) فهو هذا بعينه ، أو ماسمعت الله يقول (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من اذن له الرحمن وقال صواباً) فهو هذا بعينه ، أو ماسمعت الله يقول في كتابه (والعصر إن الانسان لفي خسر) الخ فهو هذا بعينه ، وقد روى هذا الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن يزيد ابن حنيس عن سعيد بن حسان به ، ولم يذكر أقوال الثوري إلى آخرها ، ثم قال الترمذي حديث غريب لا يعرف إلا من حديث ابن حنيس . قال الامام احمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا صالح ابن كيسان حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن أمه أم كلثوم بنت عقبة أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيمني خيراً ، أو يقول خيراً » وقالت لم اسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث : في الحرب والاصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها . قال وكانت أم كلثوم بنت عقبة من المهاجرات اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن الزهري به نحوه . قال الامام احمد حدثنا أبو معاوية

بصدقة فالنجوى يكون متصلاً وقيل النجوى هاهنا الرجال المتناجون كما قال الله تعالى (واذا هم نجوى إلا من أمر بصدقة) وقيل هذا استثناء منقطع يعني لكن من أمر بصدقة أي حث عليها ﴿ أو معروف ﴾ أي بطاعة الله وما يعرفه الشرع وأعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها ﴿ أو اصلاح بين الناس ﴾ أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر بن أحمد الحسن الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سالم هو ابن أبي الجعد عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة ؟ » قال : قلنا بلى ، قال « اصلاح ذات البين وان افساد ذات البين هي الخالقة » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا اسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أمه أم مكتوم بنت عقبة وكانت من المهاجرات الاول قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليس الكذاب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نهي خيراً »

عن الاعمش عن عمرو بن محمد عن سالم بن أبي الجعد عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام ، والصلاة ، والصدقة ، قالوا بلى يا رسول الله ! » قال إصلاح ذات البين قال : وفساد ذات البين هي الخالقة » ورواه أبو داود والترمذي من حديث أبي معاوية وقال الترمذي حسن صحيح وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا شريح بن يونس حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر حدثنا أبي عن حميد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي أيوب ألا أدلك على تجارة قال بلى يا رسول الله قال « تسعى في اصلاح بين الناس اذا تفاسدوا وتقارب بينهم اذا تباعدوا » ثم قال البزار وعبد الرحمن بن عبد الله العمري لين وقد حدث بأحاديث لم يتابع عليها ولهذا قال (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله) أي مخلصا في ذلك محتسبا ثواب ذلك عند الله عز وجل (فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) أي ثواباً جزيلاً كثيراً واسعاً وقوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم فصار في شق والشرع في شق وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح له وقوله (ويتبع غير سبيل المؤمنين) هذا ملازم للصفة الاولى ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً فانه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيماً لنبيهم وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك قد ذكرنا منها طرفاً صالحاً في كتاب أحاديث الأصول ومن العلماء من ادعى تواتر معناها والذي عول عليه الشافعي رحمه الله في الاحتجاج على كون الاجماع حجة تحرم مخالفته هذه الآية الكريمة بعد التروي والفكر الطويل وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك فاستبعد الدلالة منها على ذلك ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله (نوله ماتولى ونصله

قوله تعالى ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ أي هذه الاشياء التي ذكرها ﴿ ابتغاء مرضات الله ﴾ أي طلب رضاء ﴿ فسوف نؤتيه ﴾ في الآخرة ﴿ أجراً عظيماً ﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة يؤتيه بالياء يعني يؤتيه الله وقرأ الآخرون بالنون

قوله تعالى ﴿ ومن يشاقق الرسول ﴾ نزلت في طعمة بن ابيرق وذلك انه لما ظهرت عليه السرقة خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة فهرب إلى مكة وارتد عن الدين فقال تعالى (ومن يشاقق الرسول) أي يخالفه ﴿ من بعد ما تبين له الهدى ﴾ من التوحيد والحدود ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ أي غير طريق المؤمنين ﴿ نوله ماتولى ﴾ أي نكله في الآخرة إلى ماتولى في الدنيا ﴿ ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ روي أن طعمة بن ابيرق نزل على رجل من بني سليم من أهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع أن يدخل ولا أن يخرج حتى أصبح فأخذ ليقفل فقال بعضهم دعوه فانه قد لجأ اليكم فتركوه فأخرجوه من مسكة فخرج مع تجار من قضاة نحو الشام فنزلوا منزلاً

جهنم وساءت مصيرا أي اذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها لاستدراجها له كما قال تعالى (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وقال تعالى (فلما زاغوا ازأغ الله قلوبهم) وقوله (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وجعل النار مصيره في الآخرة لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق الا الى النار يوم القيامة كما قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) الآية وقال تعالى (ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا)

(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن أشرك بالله فقد ضل

ضلالا بعيدا (١١٥) إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا (١١٦)

لعه الله وقال لا تتخذن من عبادك نصيبا مفروضا (١١٧) ولا ضاليتهم ولا منيتهم ولا أمرهم

فليبتكن أذان الأنعم ولا أمرهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون

الله فقد خسر خسرانا مبينا (١١٨) يعدهم ويمينهم وما يهدم الشيطان إلا غرورا (١١٩)

أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا (١٢٠) والذين آمنوا وعملوا الصالحات

سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار المدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن صدق من الله قتيلا (١٢١)

قد تقدم الكلام على هذه الآية الكريمة وهي قوله (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون

ذلك) الآية وذكرنا ما يتعلق بها من الأحاديث في صدر هذه السورة وقد روي الترمذي حدثنا

ثوير بن أبي فاختة سعيد بن علاقة عن أبيه عن علي رضي الله عنه أنه قال ما في القرآن آية أحب إلى

من هذه الآية (إن الله لا يغفر أن يشرك به) الآية ثم قال هذا حسن غريب وقوله (ومن يشرك

فسرق بعض متاعهم وهرب فطلبوه وأخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه فصار قبره تلك الحجارة

وقيل أنه ركب سفينة إلى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فأخذ فألقي في البحر . وقيل أنه نزل في

حرة بني سليم وكان يعبد صنما لهم إلى أن مات فأنزله الله تعالى فيه ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾

ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ أي ذهب عن الطريق وحرم

الخير كله . وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما إن هذه الآية نزلت في شيخ من الأعراب

جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا بني الله أني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك

بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جرأة على الله وما توهمت طرفة

عين أني أعجز الله هربا وأنني لنادم تائب مستغفر فماذا حالي ؟ فأنزله الله هذه الآية

قوله تعالى ﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثا ﴾ نزلت في أهل مكة أي ما يعبدون كقوله تعالى

(وقال ربكم ادعوني) أي اعبدوني بدليل قوله تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتي) قوله

بالله فقد ضل ضالاً بعيداً) أي فقد سلك غير الطريق الحق وضل عن الهدى وبعد عن الصواب وأهلك نفسه وخسرهما في الدنيا والآخرة وفاته سعادة الدنيا والآخرة وقوله (ان يدعون من دونه إلا إناثاً) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمود بن غيلان أنبأنا الفضل بن موسى أخبرنا الحسن بن واقد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب (إن يدعون من دونه إلا إناثاً) قال مع كل صم جنية وحدثنا أبي حدثنا محمد بن سلمة الباهلي عن عبد العزيز بن محمد عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن عائشة (إن يدعون من دونه إلا إناثاً) قالت أو ثانا وروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير ومجاهد وإبي مالك والسدي ومقاتل نحو ذلك وقال ابن جرير عن الضحاك في الآية قال المشركون للملائكة بنات الله وإنما نعبدنهم ليقربونا إلى الله زلفى قال فاتخذوهن أرباباً وصوروهن جوارى فحكوا وقلدوا وقالوا هؤلاء يشبهن بنات الله الذي نعبدنهم يعنون للملائكة وهذا التفسير شبيه بقول الله تعالى (أفرأيتم اللات والعزى) والآيات وقال تعالى (وجعلوا للملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً) الآية وقال (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) الآيتين وقال علي بن أبي طلحة والضحاك عن ابن عباس (ان يدعون من دونه إلا إناثاً) قال يعني موتى وقال مبارك يعني ابن فضالة عن الحسن ان يدعون من دونه إلا إناثاً قال الحسن الإناث كل شيء ميت ليس فيه روح أما خشبة يابسة وأما حجر يابس ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وهو غريب وقوله (وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً) أي هو الذي أمرهم بذلك وحسنه وزينه لهم وهم إنما يعبدون ابليس في نفس الأمر كما قال تعالى (ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان) الآية. وقال تعالى اخباراً عن الملائكة إنهم يقولون يوم القيامة عن المشركين الذين ادعوا عبادتهم في الدنيا (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقوله (لعنه الله) أي طرده وأبعده من رحمته ، وأخرجه من

(من دونه) أي من دون الله (الا إناثاً) أراد بالاناث الاوثان لأنهم كانوا يسمونها باسم الاناث فيقولون اللات والعزى ومناة ، وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بني فلان فكان في كل واحدة منهن شيطان يتراءى للسنة والكهنة ويكلمهم ولذلك قال (وان يدعون إلا شيطاناً مريداً) هذا قول أكثر المفسرين يدل على صحة التأويل وان المراد بالاناث الاوثان قراءة ابن عباس رضي الله عنه : ان يدعون من دونه إلا أثناً . جمع الوثن فصيروا الواو همزة . وقال الحسن وقتادة (الا إناثاً) أي مواتاً لا روح فيه لأن أصنامهم كانت من الجمادات سماها إناثاً لأنه ينحصر عن الموات كما ينحصر عن الاناث ولأن الاناث أدون الجنسين كما ان الموات أرذل من الحيوان . وقال الضحاك أراد بالاناث الملائكة وكان بعضهم يعبدون الملائكة ويقولون الملائكة إناث كما قال الله تعالى (وجعلوا للملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً) قوله (وان يدعون إلا شيطاناً مريداً) أي وما يعبدون إلا شيطاناً مريداً لأنهم اذا عبدوا الأصنام فقد أطاعوا الشيطان والمريد المارد وهو المتمرد العاقبي الخارج عن

جواره وقال (لا تأخذن من عبادك نصيباً مفروضاً) أي معيناً مقدراً معلوماً ، قال قتادة من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة (ولأضلّهم) أي عن الحق (ولأمنّهم) أي أزين لهم ترك التوبة ، وأعدّهم الأمانى ، وأمرهم بالنسوف والتأخير ، وأغرهم من أنفسهم قوله (ولأمرّهم فليبتكن آذان الأنعام) قال قتادة والسدي وغيرهما يعني تشقيتها وجعلها سمة ، وعلامة للبحيرة والسائبة والوصيلة (ولأمرّهم فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس يعني بذلك خصي الدواب : وكذا روي عن ابن عمر وأنس وسعيد بن المسيب وعكرمة وأبي عياض وقاتدة وأبي صالح والثوري ، وقد ورد في حديث النهي عن ذلك ، وقال ابن الحسن البصري يعني بذلك الوشم ، وفي صحيح مسلم النهي عن الوشم في الوجه ، وفي لفظ لعن الله من فعل ذلك ، وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : لعن الله الواشيات والمستوشيات ، والنامصات والمتنصات ، والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله عز وجل : ثم قال : ألا لعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله عز وجل يعني قوله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال ابن عباس في رواية عنه ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي والحسن وقاتدة والحكم والسدي والضحاك وعطاء الخراساني في قوله (ولأمرّهم فليغيرن خلق الله) يعني دين الله عز وجل ، وهذا كقوله (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) على قول من جعل ذلك أمراً أي لا تبدلوا فطرة الله ودعوا الناس على فطرتهم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة فجمعاء هل تجدون بها من جدعاء » وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم

الطاعة وأراد إبليس ﴿ لعنه الله ﴾ أي أبعد الله من رحمته ﴿ وقال ﴾ يعني قال إبليس ﴿ لا تأخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ﴾ أي حقاً معلوماً فما أطع فيه إبليس فهو مفروضه . وفي بعض التفسير من كل ألف واحد لله تعالى وتسعمائة وتسعة وتسعون لا إبليس ، وأصل الفرض في اللغة القطع ومنه الفرضية في النهر وهي الثلمة تكون فيه وفرض القوس والشرّك للشق الذي يكون فيه الوتر والخيط الذي يشد به الشرّك ﴿ ولأضلّهم ﴾ يعني عن الحق أي لأغويهم يقوله إبليس وأراد به التزيين وإلا فليس إليه من الاضلال شيء كما قال (لأزين لهم في الأرض) ﴿ ولأمنّهم ﴾ قيل أمنّهم ركوب الأهواء وقيل أمنّهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل أمنّهم إدراك الآخرة مع ركوب المعاصي ﴿ ولأمرّهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرّهم فليغيرن خلق الله ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وقاتدة وسعيد بن المسيب والضحاك يعني دين الله نظيره قوله تعالى (لا تبديل لخلق الله) أي لدين الله يريد وضع الله في الدين بتحليل الحرام وتحريم الحلال . وقال عكرمة وجماعة

ماأحلت لهم « ثم قال تعالى (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً) أي فقد خسر الدنيا والآخرة وتلك خسارة لا جبر لها ولا استدراك لغائتها ، وقوله تعالى (يعدمهم ويمنيهم وما يعدمهم الشيطان الا غروراً) وهذا اخبار عن الواقع فان الشيطان يعد أولياءه ويمنيهم بأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة وقد كذب واقترى في ذلك ، ولهذا قال الله تعالى (وما يعدمهم الشيطان إلا غروراً) كما قال تعالى مخبراً عن ابليس يوم المعاد (وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان — إلى قوله — وان الظالمين لهم عذاب أليم) وقوله (أولئك) أي المستحسنون له فيما وعدهم ومنأهم (مأواهم جهنم) أي مصيرهم وما لهم يوم القيامة (ولا يجردون عنها محيصاً) أي ليس لهم عنها مندوحة ولا مصرف ، ولا خلاص ، ولا مناص ، ثم ذكر تعالى حال السعداء والأتقياء وما لهم من الكرامة التامة فقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي صدقت قلوبهم وعملت جوارحهم بما أمروا به من الخيرات ، وتركوا ما نهوا عنه من المنكرات (سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار) أي يصرفونها حيث شاؤوا وأين شاؤوا (خالدين فيها أبداً) أي بلا زوال ولا انتقال (وعد الله حقاً) أي هذا وعد من الله ووعد الله معلوم حقيقة انه واقع لا محالة ، ولهذا أكد به بالمصدر الدال على تحقيق الخبر وهو قوله حقاً ، ثم قال تعالى (ومن أصدق من الله قيلاً) أي لا أحد اصدق منه قولاً أي خبراً لا إله الا هو ولا رب سواه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته « ان أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » (ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجرد له من دون الله ولياً

من المفسرين فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الآذان حتى حرم بعضهم الخشاء وجوزّه بعضهم في البهائم لان فيه غرضاً ظاهراً . وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق الانعام للركوب والاكل فخرموها وخلق الشمس والقمر والاحجار لمنفعة العباد فعبدها من دون الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله أي ربا يطيعه ﴿ فقد خسر خسراناً مبيناً يعدم ويمنيهم ﴾ فوعده وتمنيته ما يوقعه في قلب الانسان من طول العمر ونيل الدنيا وقد يكون بالتخويف بالفقر فيمنعه من الانفاق وصلة الرحم كما قال الله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر) ويمنيهم بأن لا بعث ولا جنة ولا نار ﴿ وما يعدمهم الشيطان إلا غروراً ﴾ أي باطلاً ﴿ أولئك مأواهم جهنم ولا يجردون عنها محيصاً ﴾ أي مفراً ومعدلاً عنها

قوله تعالى ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار ﴾ أي من تحت الغرف والمساكن ﴿ خالدين فيها أبداً ، وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلاً ﴾ قوله تعالى ﴿ ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب ﴾ الآية . قال مسروق وقتادة والضحاك

ولا نصيراً (١٢٢) ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون تقصيراً (١٢٣) ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً (١٢٤) والله مافي السموات ومافي الارض وكان الله بكل شيء محيطاً (١٢٥) قال قتادة ذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا ، فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم ، وقال المسلمون نحن أولى بالله منكم ونبينا خاتم النبيين ، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فأنزل الله (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) الآية . ثم أفلح الله حجة المسلمين على من ناوهم من أهل الأديان . وكذا روي عن السدي ومسروق والضحاك وأبي صالح وغيرهم وكذا روى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال في هذه الآية تخاصم أهل الأديان ، فقال أهل التوراة : كتابنا خير الكتب ، ونبينا خير الأنبياء ، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك ، وقال أهل الإسلام : لادين إلا الإسلام ، وكتابنا نسخ كل كتاب ، ونبينا خاتم النبيين ، وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا فقضى الله بينهم وقال (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به) الآية ، وخير بين الأديان فقال (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) إلى قوله (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) وقال مجاهد : قالت العرب ان نبعث ولن نعذب ، وقالت اليهود والنصارى (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) وقالوا (لن تمسنا النار إلا أياما معدودات) والمعنى في هذه الآية أن الدين ليس بالتحلي ولا التمي ، ولكن ما وقر في القلوب وصدقه الأعمال ، وليس كل من ادعى شيئاً حصل له بمجرد دعواه ، ولا كل من قال انه هو على الحق سمع قوله بمجرد ذلك حتى يكون له من الله برهان ، ولهذا قال تعالى (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به) أي ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمي ، بل العبرة بطاعة الله سبحانه واتباع ما شرعه على السنة الرسل الكرام ، ولهذا قال بعده (من يعمل سوءاً يجز به) كقوله (فمن

أراد (ليس بأمانيكم) أيها المسلمون (ولا أماني أهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم . وقال المسلمون : نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على الكتب وقد آمننا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى . وقال مجاهد : أراد بقوله (ليس بأمانيكم) يامشركي أهل مكة وذلك انهم قالوا لا بعث ولا حساب . وقال أهل الكتاب ان تمسنا النار الا أياما معدودة ولن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى . فأنزل الله تعالى (ليس بأمانيكم) أي ليس الامر بالأماني وانما الامر بالعمل الصالح ﴿ من يعمل سوءاً يجز به ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة : الآية عامة في كل عامل . وقال

يعمل مثقال ذرة خير آبره ، ومن يعمل مثقال ذرة شر آبره) وقد روي أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على كثير من الصحابة . قال الامام احمد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا اسماعيل عن ابي بكر بن ابي زهير قال : اخبرت ان ابا بكر رضي الله عنه قال يارسول الله كيف الفلاح بعد هذه الآية (ليس بآمانيك ولا آمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به) فكل سوء عملناه جزيناه جزينا به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر أأنت تمرض ، أأنت تنصب ، أأنت تحزن ، أأنت تصيبك اللاؤاء ، قال بلى ! قال فهو مما تجزون به » ورواه سعيد بن منصور عن خلف بن خليفة عن اسماعيل بن ابي خالد به ^(١) ورواه الحاکم من طريق سفيان الثوري عن اسماعيل به

(١) في الأزهريّة

وقال الامام احمد حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن زياد الجصاص عن علي بن زيد عن مجاهد عن ابن عمر قال سمعت ابا بكر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يعمل سوءاً يجز به في الدنيا » وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد ^(٢) بن هشام بن جزيمة ، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا زياد الجصاص عن علي بن زيد عن مجاهد قال : قال عبد الله ابن عمر انظروا المكان الذي فيه عبد الله بن الزبير مصلوباً فلا تمرنّ عليه قال فسها الغلام فاذا عبد الله بن عمر ينظر الى ابن الزبير فقال يغفر الله لك ثلاثاً أما والله ما علمتك إلا صواماً قواماً وصالاً للرحم أما والله إني لأرجو مع مساوي ما أصبت أن لا يعذبك الله بعدها قال ثم التفت إليّ فقال سمعت ابا بكر الصديق يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يعمل سوءاً في الدنيا يجز به » ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن الفضل بن سهل عن عبد الوهاب بن عطاء به مختصراً وقال في مسند ابن الزبير حدثنا ابراهيم بن المستمر العروقي ، حدثنا عبد الرحمن بن سليم بن حيان حدثني أبي عن جدي حيان بن بسطام قال بسطام قال كنت مع ابن عمر فر بعبد الله بن الزبير وهو مصلوب فقال رحمة الله عليك أبا خبيب سمعت أباك يعني الزبير يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يعمل سوءاً يجز به في الدنيا والآخرة » ثم قال لا نعلمه يروى عن الزبير إلا من هذا الوجه ، وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن كامل ، حدثنا محمد بن سعد العوفي ، حدثنا روح

الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين وقالوا يارسول الله وأينا لم يعمل سوءاً غيرك فكيف الجزاء ؟ قال « منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسنة نقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غابت آحاده أعشاره ، وأما من يكون جزاؤه في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتى كل ذي فضل فضله » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ثنا أبو بكر محمد بن أحمد العبدوسي ثنا أبو بكر أحمد بن سليمان الفقيه ببغداد ثنا يحيى بن جعفر بن الزبرقان والحريث بن محمد قال ثنا روح هو ابن عبادة ثنا موسى بن عبيدة

زيادة : ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى عن أبي خزيمة عن يحيى بن سعيد عن اسماعيل بن أبي خالد به (٢) في الأزهريّة أحمد بن هشيم

ابن عبادة ، حدثنا موسى بن عبيدة ، حدثني مولى بن سباع قال سمعت ابن عمر يحدث عن أبي بكر الصديق قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت عليّ قال قلت بلى يا رسول الله فأقرأنيها فلا أعلم أني قد وجدت انفصاماً في ظهري حتى تمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالك يا أبا بكر » قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأينما لم يعمل سوءاً وأنا لمجزون بكل سوء عملناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فانكم تجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله ليس لكم ذنوب ، وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة » وكذا رواه الترمذي عن يحيى بن موسى وعبد بن حميد عن روح بن عبادة به ثم قال وموسى بن عبيدة يضعف ومولى بن سباع مجهول وقال ابن جرير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عطاء بن أبي رباح قال لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر جاءت قاصمة الظهر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما هي المصيبات في الدنيا »

﴿ طريق أخرى عن الصديق ﴾ قال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن اسحق العسكري ، حدثنا محمد بن عامر السعدي ، حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا فضيل بن عياض عن سليمان بن مهران عن مسلم بن صبيح عن مسروق قال قال أبو بكر الصديق يا رسول الله ما أشد هذه الآية (من يعمل سوءاً يجز به) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المصائب والأمراض والأحزان في الدنيا جزاء » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير حدثني عبد الله بن أبي زياد وأحمد بن منصور قالاً أنبأنا زيد ابن الحباب ، حدثنا عبد الملك بن الحسن المحاربي ، حدثنا محمد بن زيد بن منقذ عن عائشة عن أبي بكر قال لما نزلت (من يعمل سوءاً يجز به) قال أبو بكر يا رسول الله كل ما نعمل نؤاخذ به فقال يا أبا بكر أليس يصيبك كذا وكذا فهو كفارة

أخبرني مولى بن سباع قال : سمعت عبد الله بن عمر يحدث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل عليه هذه الآية (من يعمل سوءاً يجز به) ﴿ ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت عليّ ؟ » قال : قلت بلى قال : فأقرأنيها . قال ولا أعلم إلا اني وجدت انفصاماً في ظهري حتى تمطيت لها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالك يا أبا بكر ؟ » فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي وأينما لم يعمل سوءاً وأنا لمجزون بكل سوء عملناه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليست لكم ذنوب وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا يوم القيامة »

﴿ حديث آخر ﴾ قال سعيد بن منصور أنبأنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سواد حدثه أن يزيد بن أبي يزيد حدثه عن عبيد بن عمير عن عائشة أن رجلاً تلا هذه الآية (من يعمل سوءاً يجز به) فقال أنا لنجزى بكل ما عملنا هلكنا إذا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « نعم يجزى به المؤمن في الدنيا في نفسه في جسده فيما يؤذيه »

﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ، حدثنا سلمة بن بشير ، حدثنا هشيم عن أبي عامر عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت قلت يا رسول الله أني لأعلم أشد آية في القرآن فقال « ما هي يا عائشة » قلت من يعمل سوءاً يجز به فقال « ما يصيب العبد المؤمن حتى النكبة ينكبه » ورواه ابن جرير من حديث هشيم به ورواه أبو داود من حديث أبي عامر صالح بن رستم الخزاز به

﴿ طريق أخرى ﴾ قال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابنته أنها سألت عائشة عن هذه الآية (من يعمل سوءاً يجز به) فقالت ما سألتني أحد عن هذه الآية منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عائشة هذه مبايعة الله للعبد مما يصيبه من الحمي والنكبة والشوكة حتى البضاعة فيضعها في كمه فيفزع لها فيجدها في جيبه حتى ان المؤمن ليخرج من ذنوبه كما أن الذهب يخرج من الكبر

﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا أبو القاسم حدثنا شريح بن يونس ، حدثنا أبو معاوية عن محمد بن اسماعيل عن محمد بن يزيد بن المهاجر عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (من يعمل سوءاً يجز به) قال ان المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في القبض عند الموت وقال الامام أحمد حدثنا حسين عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عائشة قالت قلت يا رسول الله اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله بالحرز ليكفرها عنه

﴿ حديث آخر ﴾ قال سعيد بن منصور عن سفيان بن عيينة عن عمر بن عبد الرحمن بن محيصن سمع محمد بن قيس بن مخزومة يخبر أن أبا هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت (من يعمل سوءاً يجز به)

قوله تعالى ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ﴾ أي مقدار النقيير وهو النقرة التي تكون في ظهر النواة قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة وأبو بكر يدخلون بضم الياء وفتح الخاء ههنا وفي سورة مريم وحم المؤمن زاد أبو عمرو يدخلونها في سورة فاطر وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء روى الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال لما نزلت (ليس بأمانيك ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به) قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية (ومن يعمل من الصالحات) الآية ونزلت أيضاً ﴿ ومن أحسن ديناً ﴾ أي أحسن ديناً ﴿ ممن أسلم وجهه لله ﴾ أي أخلص عمله لله وقيل فوض أمره الى الله

(١) في الازهرية

ابن مردويه

شق ذلك على المسلمين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «سددوا وقاربوا فان في كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكها» وهكذا رواه أحمد عن سفيان بن عيينة ومسلم والترمذي والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ورواه ابن جرير^(١) من حديث روح ومعمّر كلاهما عن ابراهيم بن يزيد عن عبد الله بن ابراهيم سمعت ابا هريرة يقول: لما نزلت هذه الآية (ليس بأمانكم ولا أمان أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به) بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما أبقت هذه الآية من شيء قال «أما والذي نفسي بيده انها لكما أنزلت ولكن ابشروا وقاربوا وسددوا فانه لا يصيب أحداً منكم مصيبة في الدنيا إلا كفر الله بها من خطيئته حتى الشوكة يشاكها أحدكم في قدمه» وقال عطاء بن يسار عن أبي سعيد وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا سقم ولا حزن حتى ألهم بهمه إلا كفر الله من سيئاته» أخرجه

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد بن اسحق حدثني زينب بنت كعب ابن عجرة عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا مالنا بها قال كفارات قال أبي وان قلت قال حتى الشوكة فمافوقها قالت فدعا أبي على نفسه أنه لا يفارقه الوعك حتى يموت في أن لا يشغله عن حج ولا عمرة ولا جهاد في سبيل الله ولا صلاة مكتوبة في جماعة فأمسه انسان حتى وجد حره حتى مات رضي الله عنه تفرد به أحمد

﴿حديث آخر﴾ روي ابن مردويه من طريق حسين بن واقد عن الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله من يعمل سوءا يجز به قال «نعم ومن يعمل حسنة يجز بها عشرة» فهلك من غلب واحدته عشراته وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن من يعمل سوءا يجز به قال الكافر ثم قرأ (وهل نجازي الا الكفور) وهكذا روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنهما فسرا سوءا ههنا بالشرك أيضا وقوله (ولا يجذله من دون الله ولياً ولا نصيراً) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الا أن يتوب فيتوب الله عليه رواه ابن أبي حاتم والصحيح أن ذلك عام في جميع الاعمال لما تقدم من الاحاديث وهذا اختيار ابن جرير والله

﴿وهو محسن﴾ أي موحد ﴿واتبع ملة ابراهيم﴾ يعني دين ابراهيم عليه السلام ﴿حنيفاً﴾ أي مسلماً مخلصاً قال ابن عباس رضي الله عنهما ومن دين ابراهيم الصلاة الى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج وانما خص بها ابراهيم لانه كان مقبولا عند الامم أجمع وقيل لانه بعث على ملة ابراهيم وزيدت له أشياء ﴿واتخذ الله ابراهيم خليلاً﴾ صفياء والخلة صفاء المؤدة وقال الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما كان ابراهيم عليه السلام أبا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فأصاب الناس سنة فحشروا الى باب ابراهيم عليه السلام يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلامانه بالابل الى الخليل الذي بمصر فقال خليله لعلمانه

أعلم وقوله (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الآية لما ذكر الجزاء على السيئات وأنه لا بد أن يأخذ مستحقها من العبد اما في الدنيا وهو الأجود له ، واما في الآخرة والعياذ بالله من ذلك ، ونسأله العافية في الدنيا والآخرة ، والصفح والعفو والمسامحة شرع في بيان احسانه وكرمه ورحمته في قبول الاعمال الصالحة من عباده ، ذكر انهم واناثهم بشرط الايمان ، وأنه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم ولا مقدار النقيير ، وهو النقرة التي في ظهر نواة التمرة وقد تقدم الكلام على الفتيل وهو الخيط الذي في شق النواة ، وهذا النقيير وهما في نواة التمرة والتقطير وهو اللقافة التي على نواة التمرة ، والثلاثة في القرآن ، ثم قال تعالى (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله) أي أخلص العمل لربه عز وجل فعمل إيماناً واحتساباً (وهو محسن) أي اتبع في عمله ما شرعه الله له وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق ، وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونها أي يكون خالصاً صواباً والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون متابعاً للشريعة فيصح ظاهره بالمطابقة ، وباطنه بالاخلاص فتى فقد العمل أخذ هذين الشرطين فسد فتى فقد الاخلاص كان منافقاً وهم الذين يراؤون الناس ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً ومتى جمعهما كان عمل المؤمنين الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم الآية ، ولهذا قال تعالى (واتبع ملة ابراهيم حنيفاً) وهم محمد وأتباعه الى يوم القيامة ، كما قال تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي) الآية وقال تعالى (ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) والحنيف هو المائل عن الشرك قصداً أي تاركاً له عن بصيرة ومقبل على الحق بكايته لا يصدده عنه صاد ، ولا يردده عنه راد وقوله (واتخذ الله ابراهيم خليلاً) وهذا من باب الترغيب في اتباعه ، لانه امام يقتدى به حيث وصل الى غاية ما يتقرب به العباد له فانه انتهى الى درجة الخلّة التي هي ارفع مقامات المحبة ، وما ذاك الا لكثرة طاعته لربه كما وصفه به في قوله (و ابراهيم الذي وفى) قال كثير من علماء السلف أي قام بجميع ما أمر به وفى كل مقام من مقامات العبادة فكان لا يشغله أمر جليل عن حقير ولا كبير عن صغير وقال تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) الآية وقال تعالى (ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من

لو كان ابراهيم عليه السلام إنما يريد لنفسه لاحتملنا ذلك له فقد دخل علينا مادخل على الناس من الشدة فرجع رسل ابراهيم عليه السلام فمروا ببطحاء سهلة فقالوا فيما بينهم لو انا حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بميرة فانا نستحي أن نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا تلك الغرائر رملاً ثم أتوا ابراهيم فاعلموه وسارة نائمة فاهتم ابراهيم لمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جاءت الغلمان قالوا بلى قالت فما جاؤا بشيء قالوا بلى فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي ملاءي بأجود دقيق حوارى يكون فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال ياسارة من أين هذا قالت من عند خليلك

المشركين) الآية والآية بعدهما وقال البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن عمرو بن ميمون قال ان معاذاً لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرأ (واتخذ الله ابراهيم خليلاً) فقال رجل من القوم لقد قرت عين أم ابراهيم وقد ذكر ابن جرير في تفسيره عن بعضهم انه انما سماه الله خليلاً من أجل أنه أصاب أهل ناحيته جذب فارتحل الى خليل له من أهل الموصل وقال بعضهم من أهل مصر ليمتار طعاماً لأهله من قبله فلم يصب عنده حاجته فلما قرب من أهله بمفاضة ذات رمل فقال لو ملأت غرائري من هذا الرمل لثلا يغتم أهلي برجوعي اليهم بغير ميرة وليظنوا اني اتيتهم بما يحبون ففعل ذلك فتحول ما في الغرائر من الرمل دقيقاً فلما صار الى منزله نام وقام أهله ففتحو الغرائر فوجدوا دقيقاً فعجنوا منه وخبزوا فاستيقظ فسالهم عن الدقيق الذي منه خبزوا فقالوا من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك فقال نعم هو من عند خليلي الله فسماه الله بذلك خليلاً وفي صحة هذا ووقوعه نظر وغايته أن يكون خبراً إسرائيلياً لا يصدق ولا يكذب وانما سمي خليل الله لشدة محبته لربه عز وجل لما قام له به من الطاعة التي يحبها ويرضاها ولهذا ثبت في الصحيحين من رواية ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطبهم في آخر خطبة خطبها قال «أما بعد أيها الناس فلو كنت متخذاً من أهل الارض خليلاً لاتخذت ابا بكر بن أبي قحافة خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله» وجاء من طريق جندب بن عبد الله البجلي وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ان الله اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً) وقال ابو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم حدثنا اسماعيل بن احمد بن أسيد حدثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني بمكة حدثنا عبد الله الحنفي حدثنا زمعة أبو صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى اذا دنوا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم واذا بعضهم يقول عجب ان الله اتخذ من خلقه خليلاً فابراهيم خليله وقال آخر ماذا بأعجب من أن الله كلم موسى تكليماً وقال آخر فعيسى روح الله وكلمته وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال ، قد سمعت كلامكم وتعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى كلمه وعيسى روحه وكلمته وآدم اصطفاه الله وهو كذلك وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم قال الاواني

المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذ الله ابراهيم خليلاً قال الزجاج معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل والخلة الصداقة فسمي خليلاً لان الله أحبه واصطفاه وقيل هو من الخلة وهي الحاجة سمي خليلاً أي فقيراً الى الله لانه لم يجعل فقره وفاقه الا الى الله عز وجل والاول أصح لأن قوله (واتخذ الله ابراهيم خليلاً) يقتضي الخلة من الجانبين ولا يتصور الحاجة من الجانبين حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد التيمي ثنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم ثنا خيشمة بن سليمان بن حيدرة الاطرابلسي ثنا أبو قلابة الرقاشي ثنا بشر بن عمر ثنا شعبة عن أبي اسحق عن

حبيب الله ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله ويدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة ولا فخر» وهذا حديث غريب من هذا الوجه وبعضه شواهد في الصحاح وغيرها وقال قتادة عن عكرمة عن ابن عباس انه قال اتعجبون من ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وكذا روي عن أنس ابن مالك وغير واحد من الصحابة والتابعين والائمة من السلف والخلف وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا محمد يعني ابن سعيد بن سابق حدثنا عمرو يعني ابن أبي قيس عن عاصم عن أبي راشد عن عبيد بن عمير قال كان ابراهيم عليه السلام يضيف الناس فخرج يوما يلتمس أحداً يضيفه فلم يجد أحداً يضيفه فرجع الى داره فوجد فيها رجلاً قائماً فقال يا عبد الله ما أدخلك داري بغير اذني قال دخلتها باذن ربها قال ومن أنت قال أنا ملك الموت أرسلني ربي الى عبد من عباده أبشره بان الله قد اتخذ خليلاً قال من هو فوالله ان اخبرتني به ثم كان بأقصى البلاد لا يتنه ثم لا ابرح له جارا حتى يفرق بيننا الموت قال ذلك العبد أنت قال أنا قال نعم قال فبم اتخذني ربي خليلاً قال إنك تعطي الناس ولا تسألهم وحدثنا أبي حدثنا محمود ابن خالد السلمي حدثنا الوليد عن اسحاق بن يسار قال لما اتخذ الله ابراهيم خليلاً ألقى في قلبه الوجمل حتى ان خفقان قلبه ليسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء وهكذا جاء في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يسمع لصدره أزيزاً كأزيز المرجل اذا اشتد غليانها من البكاء وقوله (والله مافي السموات ومافي الارض) أي الجميع ملكه وعبيده وخلقه وهو المتصرف في جميع ذلك لاراد لما قضى ولا معقب لما حكم ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقدرته وعدله وحكمته ولطفه ورحمته وقوله (وكان الله بكل شيء محيطاً) أي علمه نافذ في جميع ذلك لا تخفى عليه خافية من عباده ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا اكبر ولا تخفى عليه ذرة لما ترى للناظرين وما توارى

(ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي

أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي ولقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً »

قوله عز وجل ﴿ والله مافي السموات ومافي الارض وكان الله بكل شيء محيطاً ﴾ أي أحاط علمه بجميع الاشياء

قوله تعالى ﴿ ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ﴾ الآية قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في بنات أم كحة وميراثهن عن أبيهن وقد مضت

لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْوُلَدِ أَنْ تَقُومُوا لَلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ
وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٦)

قال البخاري حدثنا عبيد بن اسماعيل حدثنا أبو أسامة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن) — الى قوله — وترغبون أن تنكحوهن (قالت عائشة هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها فأشركته في ماله حتى في العلق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجه رجلًا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فتزلت هذه الآية ، وكذلك رواه مسلم عن أبي كريب وعن أبي بكر ابن أبي شيبة كلاهما عن أبي أسامة ، وقال ابن أبي حاتم قرأت على محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير قالت عائشة : ثم إن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن فأنزل الله (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب) الآية ، قالت : والذي ذكر الله أنه يتلى عليه في الكتاب . الآية الأولى التي قال الله (وإن خفتن أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء) وبهذا الاسناد عن عائشة قالت : وقول الله عز وجل (وترغبون أن تنكحوهن) رغبة أحدكم عن يتيمة التي تكون في حجره حتى تكون قليلة المال والجمال فهو أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن وأصله ثابت في الصحيحين من طريق يونس بن يزيد الأيلي به ، والمقصود أن الرجل إذا كان في حجره يتيمة يحل له تزويجها ، فتارة يرغب في أن يتزوجها فأمره الله أن يمهرها أسوة أمثالها من النساء ، فإن لم يفعل فليعدل إلى غيرها من النساء فقد وسع الله عز وجل ، وهذا المعنى في الآية الأولى التي في أول السورة ، وتارة لا يكون فيها رغبة لدمامتها عنده أو في نفس الأمر فتهاه الله عز وجل أن يعضلها عن الأزواج خشية أن يشركه في ماله الذي بينه وبينها كما قال علي بن أبي طلحة عن

القصة في أول السورة وقالت عائشة رضي الله عنها هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها إذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقها وإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركها وفي رواية هي اليتيمة تكون في حجر الرجل قد شركته في ماله فيرغب عنها أن يتزوجها لدمامتها ويكره أن يزوجه غيره فيدخل عليه في ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها فنهاه الله عن ذلك قوله عز وجل (ويستفتونك) أي يستخبرونك (في النساء قل الله يفتيكم فيهن) ﴿ وما يتلى عليكم في الكتاب ﴾ قيل معناه ويفتيكم في ما يتلى عليكم وقيل يفتيكم في ما يتلى عليكم يريد الله يفتيكم فيهن وكتابه يفتيكم فيهن وهو قوله عز وجل (وآتوا اليتامى أموالهم) قوله ﴿ في يتامى النساء ﴾ هذا إضافة الشيء إلى نفسه لأنه أراد باليتامى النساء ﴿ اللاتي لا تؤتونهن ﴾ أي لا تعطونهن ﴿ ما كتب لهن ﴾ من صداقهن

ابن عباس في الآية وهي قوله (في يتامى النساء) الآية . كان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقب عليها ثوبه ، فاذا فعل ذلك لم يقدر احد أن يتزوجها أبداً ، فان كانت جميلة وهو بها تزوجها وأكل مالها وإن كانت دميعة منعها الرجال أبداً حتى تموت ، فاذا ماتت ورثها . فحرم الله ذلك ونهى عنه وقال في قوله (والمستضعفين من الولدان) كانوا في الجاهلية لا يرثون الصغار ولا البنات وذلك قوله (لا تؤتونهم ما كتب لهم) فنهى الله عن ذلك وبين لكل ذي سهم سهمه فقبل (المذكور مثل حظ الاثنين) صغيراً أو كبيراً ، وكذا قل سعيد بن جبير وغيره . قل سعيد بن جبير في قوله (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) كما اذا كانت ذات جمال ومال نكحتها واستأثرت بها كذلك اذ لم تكن ذات مال ولا جمال فانكحها واستأثرت بها ، وقوله (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليماً) تهيب على فعل الخيرات ، وامثالاً للأوامر ، وأن الله عز وجل عالم بجميع ذلك وسيجزى عليه أوفر الجزاء وأتمه

(وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً فلا جناح عليهما أن يتصالحا بينهما صلحاً والصلح خير ، وأحضرت الانفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيراً (١٢٧) وإن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالعاقبة وإن تصاحوا وتتقوا فان الله كان غفوراً رحيماً (١٢٨) وإن يفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيماً (١٢٩)

يقول تعالى مخبراً ومشرعاً من حال الزوجين ، تارة في حال نفور الرجل عن المرأة ، وتارة في حال اتفاقه معها ، وتارة في حال فراقه لها ، فالحالة الاولى ما اذا خافت المرأة من زوجها أن ينفرد عنها أو يعرض عنها فإياها ان تستطع عنه حقها أو بعضه من نفقة ، أو كسوة ، أو مييت ، أو غير ذلك من حقوقها عليه ، وله أن يقبل ذلك منها فلا حرج عليها في بذلها ذلك له ولا عليه في قبوله منها ، ولهذا قال

﴿ وترغبون أن تنكحوهن ﴾ أي في نكاحهن لما هن وجماهن بأقل من صداقهن وقال الحسن وجماعة أراد لا تؤتونهم حقهن من الميراث لأنهم كانوا لا يرثون النساء (وترغبون أن تنكحوهن) أي عن نكاحهن لعدم نكاحهن . ﴿ والمستضعفين من الولدان ﴾ يريد ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لأنهم كانوا لا يرثون الصغار يريد ما يتلى عليكم في باب اليتامى من قوله (وآتوا اليتامى أموالهم) يعني بأعطاء حقوق الصغار ﴿ وأن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾ أي ويفتيكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط بالعدل في مهورهن وموارثهن ﴿ وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليماً ﴾ يجازيكم عليه قوله تعالى ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً ﴾ الآية نزلت في عمرة ويقال في خولة بنت محمد بن مسleme وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبير تزوج عليها امرأة شابة وآثرها عليها وجفا ابنه محمد بن مسleme فأنت رسول الله صلى الله

تعالى (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا) ثم قال (والصلح خير) أي من الفراق ، وقوله (وأحضرت النفس الشح) أي الصلح عند المشاحة خير من الفراق ، ولهذا لما كبرت سودة بنت زمعة عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فراقها فصالحته على أن يمسكها وتترك يومها لعائشة فقبل ذلك منها وأبقاها على ذلك . ذكر الرواية بذلك ، قال أبو داود الطيالسي حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال : خشيت سودة أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله : لا تطلقني واجعل يومي لعائشة ففعل ونزلت هذه الآية (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو أعراضاً فلا جناح عليهما) الآية . قال ابن عباس فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز ، ورواه الترمذي عن محمد بن المثنى عن أبي داود الطيالسي به وقال حسن غريب ، قال الشافعي أخبرنا مسلم عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي عن تسع نسوة وكان يقسم لثمان . وفي الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لها يوم سودة وفي صحيح البخاري من حديث الزهري عن عروة عن عائشة نحوه ، وقال سعيد بن منصور أنبأنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام عن أبيه عروة قال لما أنزل الله في سودة وأشباهها (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو أعراضاً) وذلك أن سودة كانت امرأة قد أسنت ففرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وضنت بمكانها منه ، وعرفت من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة ومنزلتها منه ، فوهبت يومها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة ، فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال البيهقي وقد رواه أحمد بن يونس عن الحسن بن أبي الزناد موصولاً وهذه الطريقة رواها الحاكم في مستدركه ، فقال حدثنا أبو بكر بن اسحاق الفقيه أخبرنا الحسن بن علي بن زياد حدثنا أحمد بن يونس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت له

عليه وسلم وشكت إليه فنزلت فيها هذه الآية وقال سعيد بن جبير كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويتزوج عليها غيرها فقالت لا تطلقني ودعني أقوم على أولادي واقسم لي من كل شهرين أن شئت وإن شئت فلا تقسم لي فقال إن كان يصلح ذلك فهو أحب إلي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله تعالى (وإن امرأة خافت) أي علمت (من بعلها) أي من زوجها (نشوزاً) أي بغضاً قال الكلبي يعني ترك مضاجعتها أو أعراضاً بوجهه عنها وقلة مجالستها ﴿ فلا جناح عليهما ﴾ أي على الزوج والمرأة ﴿ أن يصلحا ﴾ أي يتصالحا وقرأ أهل الكوفة أن يصلحا من الإصلاح ﴿ بينهما صلحا ﴾ يعني في القسم والنفقة وهو أن يقول الزوج لها أنك قد دخلت في السن وأنى أريد أن أتزوج امرأة شابة جميلة أوثرها عليك في القسمة ليلاً ونهاراً فإن رضيت بهذا فأقيمى وإن كرهت خليت سبيلك فإن رضيت كانت هي المحسنة ولا تنجبر على ذلك

يا ابن أخي : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضل بعضنا على بعض في مكثه عندنا وكان قل يوم الا وهو يطوف علينا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى من هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين اسنت وفرقت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله يومي هذا لعائشة ، فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت عائشة ذلك في أنزل الله (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً) وكذلك رواه ابو داود عن احمد بن يونس به ، والحاكم في مستدركه ، ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وقد رواه ابن مردويه من طريق ابي بلال الاشعري عن عبد الرحمن بن ابي الزناد به نحوه ، ومن رواية عبد العزيز عن محمد الداروردي عن هشام بن عروة بنحوه مختصراً والله اعلم . وقال ابو العباس محمد بن عبد الرحمن الدعولي في أول معجمه حدثنا محمد بن يحيى حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام الدستوائي حدثنا القاسم بن ابي برة قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى سودة بنت زمعة بطلاقها ، فلما ان أتاهها جلست له على طريق عائشة فلما رآته قالت له : انشدك بالذي انزل عليك كلامه واصطفاك على خلقه لما راجعتني فاني قد كبرت ولا حاجة لي في الرجال ، لكن أريد ان ابعث مع نسائك يوم القيامة فراجعها فقالت ، فاني جعلت يومي وليتي لحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا غريب مرسل . وقال البخاري حدثنا محمد بن مقاتل انبأنا عبد الله انبأنا هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً) قال الرجل تكون عنده المرأة المسنة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها فتقول : أجعلك من شأني في حل ، فبرزت هذه الآية . وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا ابي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير) قالت هذا في المرأة تكون عند الرجل فله لا يكون بمستكثر منها ، ولا يكون لها ولد ويكون لها حبة فتقول : لا تطلقني وأنت في حل من شأني . حدثني المشي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا

وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيا حقها من القسم والنفقة أو يسرحها باحسان فان أمسكها ووفاهها حقها مع كراهية فهو محسن وقال سليمان بن يسار في هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما فان صالحته عن بعض حقها من القسم والنفقة فذلك جائز ما رضيت فان أنكرته بعد الصلح فذلك لها ولها حقها وقال مقاتل بن حيان في هذه الآية هو ان الرجل يكون تحتها المرأة الكبيرة فيتزوج عليها الشابة فيقول للكبيرة أعطيتك من مالي نصيباً على أن أقسم لهذه الشابة أكثر مما أقسم لك فترضى بما اصطالحا عليه فان أبت أن ترضى فعليه أن يعدل بينهما في القسم وعن علي رضي الله عنه في هذه الآية قال تكون المرأة عند الرجل فتنبو عينه عنها من دمامة أو كبر فتكره فرقتها فان أعطته من مالها فهو لهحل وان أعطته من أيامها فهو حل له ﴿ والصلح خير ﴾ يعني أقامتها بعد تخييرها إياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة كما يروي ان سودة رضي

حماد بن سلمة عن هشام عن عروة عن عائشة في قوله (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً) قالت هو الرجل يكون له المرأتان أحدهما قد كبرت والآخرى دميعة وهو لا يستكثر منها فقول : لا تطلقني وانت في حل من شأني . وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير وجه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحو ما تقدم والله الحمد والمنة . قال ابن جرير حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا حدثنا جرير عن اشعث عن ابن سيرين قل : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فسأله عن آية فكرهه فضر به بالدرة ، فسأله آخر عن هذه الآية (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً) ثم قال عن مثل هذا فاسألوا ، ثم قال : هذه المرأة تكون عند الرجل قد خلا من سنهافيتزوج المرأة الشابة يلتمس ولدها فما اصطالحا عليه من شيء فهو جائز . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين الهسجاني حدثنا مسدد حدثنا أبو الاحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة قال : جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فسأله عن قول الله عز وجل (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً فلا جناح عليهما) قال علي : يكون الرجل عنده المرأة فتنبو عيناه عنها من دمايتها ، أو كبرها ، أو سوء خلقها ، أو قذذها فتكره فراقه ، فإن وضعت له من مهرها شيئاً حل له ، وإن جمعات له من أيامها فلا حرج . وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن حماد بن سلمة وأبي الاحوص ، ورواه ابن جرير من طريق إسرائيل أربعتهم عن سماك به ، وكذا فسرها ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد ابن جبير والشعبي وسعيد بن جبير وعطاء وعطية العوفي ومكحول والحسن والحكم بن عتبة وقنادة وغير واحد من السلف والأئمة رلا أعلم في ذلك خلافاً أن المراد بهذه الآية هذا والله أعلم

وقال الشافعي أنبأنا ابن عيينة عن الزهري عن ابن المسيب أن بنت محمد بن مسلم كانت عند رافع بن خديج فكره منها أمراً أما كبراً أو غيره فاراد طلاقها فقالت لا تطلقني وأقسم لي ما بدالك فانزل الله عز وجل (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً) الآية وقد رواه الحاكم في مستدركه

الله عنها كانت امرأة كبيرة وأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يفارقها فقالت لا تطلقني وكفاني أن أبعث في نسائك وقد جعلت نوبتي لعائشة رضي الله عنها فأمسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقسم لعائشة يومين يوماً ويوم سودة رضي الله عنهما

قوله تبارك وتعالى ﴿ وأحضرت الأنفس الشح ﴾ يريد شح كل واحد من الزوجين بنصيبه من الآخر والشح أقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير ﴿ وإن تحسنوا ﴾ أي تصلحوا ﴿ وتتقوا ﴾ الجور . وقيل هذا خطاب مع الأزواج أي ﴿ وإن تحسنوا ﴾ بالاقامة معها على الكراهية ﴿ وتتقوا ﴾ ظلمها ﴿ فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ فيجزيك بأعمالكم

قوله تعالى ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ﴾ أي لن تقدرُوا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب ﴿ ولو حرصتم ﴾ على العدل ﴿ فلا تميلوا ﴾ أي إلى التي تحبونها ﴿ كل الميل ﴾ في القسم

من طريق عبد الرزاق عن معمر بن الزهري عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار باطول من هذا السياق وقال الحافظ أبو بكر البيهقي حدثنا سعيد بن أبي عمر وحدثنا أبو محمد احمد بن عبد الله المزني أنبأنا علي بن محمد بن عيسى أنبأنا أبو اليمان أخبرني شعيب بن أبي حمزة عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار أن السنة في هاتين الآيتين اللتين ذكر الله فيهما نشوز الرجل واعراضه عن امرأته في قوله (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا) الى تمام الآيتين ان المراد اذا نشز عن امرأته وآثر عليها فان من الحق ان يعرض عليها ان يطلقها أو تستقر عنده على ما كانت من أثره في القسم من ماله ونفسه صلح له ذلاء وكان صلحها عليه كذلك ذكر سعيد بن المسيب وسليمان الصالح الذي قال الله عز وجل (فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير) وقد ذكر لي ان رافع ابن خديج الأنصاري وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانت عنده امرأة حتى اذا كبرت تزوج عليها فتاة شابة وآثر عليها الشابة فنأشده الطلاق فطلقها تطليقة ثم أهلها حتى اذا كادت تحل راجعها ثم عاد فأثر عليها الشابة فنأشده الطلاق فقال لها ماشئت انما بقيت لك تطليقة واحدة فان شئت استقررت على ما ترين من الأثرة وان شئت فارقتك فقالت لا بل استقر على الأثرة فامسكها على ذلك فكان ذلك صلحها ولم ير رافع عليه أثما حين رضى ان تستقر عنده على الأثرة فيما أثر به عليها وهكذا رواه بنامه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار فذكره بطوله والله أعلم وقوله (والصلح خير) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني التخيير ان يخير الزوج لها بين الإقامة والفراق خير من تمادي الزوج على أثره غيرها عليها والظاهر من الآية أن صلحهما على ترك بعض حقها للزوج وقبول الزوج ذلك خير من المفارقة بالكلية كما أمسك النبي صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة على أن تركت يومها لعائشة رضي الله عنها ولم يفارقها بل تركها من جملة نسائه وفعله ذلك لتأسي به أمته في مشروعية ذلك وجوازه فهو أفضل في حقه عليه الصلاة والسلام ولما كان الوفاق أحب الى الله من الفراق قال (والصلح خير) بل الطلاق بغيبض اليه

والنفقة أي لا تتبعوا أهواءكم وأفعالكم ﴿ فتذروها كالمعلقة ﴾ أي فتدعوا الأخرى كالمعلقة لا أيما ولا ذات بعل . وقال قتادة : كالمحبوسة وفي قراءة أبي بن كعب كأنها مسجونة . وروي عن أبي قلابة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول « اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلغني فيما مملك ولا أملك » ورواه بعضهم عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها متصلا . وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من كانت له امرأتان فمال الى احدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل » ﴿ وان تصلحوا وتتقوا ﴾ الجور ﴿ فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا ﴾ يعني الزوج والمرأة بالطلاق ﴿ يغن الله كلا من سعته ﴾ من رزقه يعني المرأة بزواج آخر والزوج بامرأة أخرى ﴿ وكان الله واسعا حكيما ﴾ واسع الفضل والرحمة حكيما

سبحانه وتعالى ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجه جميعاً عن كثير بن عبيد عن محمد بن خالد عن معروف بن واصل عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ابغض الحلال الى الله الطلاق » ثم رواه أبو داود عن احمد بن يونس عن معروف عن محارب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر معناه مرسلًا وقوله « وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيراً ، وان تتجشموا مشقة الصبر على ما تكرهون منهن وتقسموا لهن أسوة امثالهن فان الله عالم بذلك وسيجزىكم على ذلك أوفر الجزاء » وقوله تعالى (وان تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) أى لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه فانه وان وقع القسم الصوري ليلة وليلة فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع كما قاله ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والحسن البصري والضحاك بن مزاحم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابن أبي شيبه حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبي مليكة قال نزلت هذه الآية (وان تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) في عائشة ، يعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبها أكثر من غيرها كما جاء في الحديث الذي رواه الامام احمد وأهل السنن من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن ابن قلابه عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » يعنى القلب هذا لفظ أبي داود وهذا اسناد صحيح لكن قال الترمذي رواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن ابن قلابه مرسلًا قال وهذا اصح وقوله (فلا تميلوا كل الميل) أى فاذا ملتم الى واحدة منهن فلا تبالغوا في الميل بالكيفية (فتدروها كالمعلقة) أى فتبقى هذه الاخرى معلقة قال ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبير والحسن والضحاك والريبع بن أنس والسدى ومقاتل بن حبان معناه لا ذات زوج ولا مطلقة وقال ابو داود الطيالسي انبأنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة

فيما أمر به ونهى عنه وجملة حكم الآية ان الرجل اذا كانت تحته امرأتان أو أكثر فانه يجب عليه التسوية بينهن في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله تعالى وعليه القضاء للظلمة والتسوية شرط في البيوتة أما في الجماع فلا لانه يدور على النشاط وليس ذلك اليه ولو كانت في نكاحه حرة وأمة فانه يبيت عند الحرة ليلتين وعند الأمة ليلة واحدة وإذا تزوج جديدة على قديمات عنده ينخص الجديدة بأن يبيت عندها سبع ليال على التوالي إن كانت بكرًا وإن كانت ثيبًا فثلاث ليال ثم يسوي بعد ذلك بين الكل ولا يجب قضاء هذه الليالي للقديمات أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي حدثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يوسف بن راشد ثنا سفيان الثوري ثنا أيوب وخالد عن أبي قلابه عن أنس رضي الله عنه قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعة ثم قسم واذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا ثم قسم قال أبو قلابه ولو شئت قلت أن أنسا رفعه الى

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كانت له امرأتان فمال الى احدهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط » وهكذا رواه الامام أحمد وأهل السنن من حديث همام بن يحيى عن قتادة به وقال الترمذي انما أسنده همام ورواه هشام الدستوائي عن قتادة قال كان يقال ولا يعرف هذا الحديث مرفوعا إلا من حديث همام وقوله (وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيا) أى وإن اصلحتم في أموركم وقسمتم بالعدل فيما تملكون واتيتم الله في جميع الاحوال غفر الله لكم ما كان من ميل الى بعض النساء دون بعض ثم قال تعالى (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما) وهذه هي الحالة الثالثة وهي حالة الفراق وقد اخبر الله تعالى انهما اذا تفرقا فان الله يغنيه عنها ويغنيها عنه بان يعوضه الله من هو خير له منها ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه (وكان الله واسعا حكيما) أى واسع الفضل عظيم المن حكيما في جميع أفعاله واقداره وشرعه

(والله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فان الله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا (١٣٠) والله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيل (١٣١) ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا (١٣٢) من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا (١٣٣))

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وأنه الحاكم فيهما ولهذا قال (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم) أي وصيناكم بما وصيناكم به من تقوى الله عز وجل بعبادته وحده لا شريك النبي صلى الله عليه وسلم واذا أراد الرجل سفر حاجة فيجوز له أن يحمل بعض نسائه مع نفسه بعد أن يقرع بينهن فيه ثم لا يجب عليه أن يقضي للباقيات مدة سفره وإن طالت اذا لم يزد مقامه في بلده على مدة المسافرين والدليل عليه ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم ثنا الربيع ثنا الشافعي ثنا عيسى بن محمد بن علي بن شافع عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأتيهن خرج مهنها خرج بها أما اذا أراد سفر نقلة فليس له تخصيص بعضهن لا بالقرعة ولا بغيرها

قوله تعالى ﴿ والله ما في السموات وما في الأرض ﴾ عبيداً وملكاً ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ يعني أهل التوراة والانجيل وسائر الأمم المتقدمة في كتبهم ﴿ وإياكم ﴾ يا أهل القرآن في القرآن ﴿ أن اتقوا الله ﴾ أي وحدوا الله وأطيعوه ﴿ وإن تكفروا ﴾ بما أوصاكم الله

له ثم قال (وان تكفروا فان الله مافي السموات وما في الأرض) الآية كما قال تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لقومه (إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فان الله لغني حميد) وقال (فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد) أي غنى عن عباده (حميد) أي محمود في جميع ما يقدره ويشعره وقوله (والله مافي السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً) أي هو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب الشهيد على كل شيء وقوله (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً) أي هو قادر على اذهابكم وتبديلكم بغيركم اذا عصيتموه كما قال (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) قال بعض السلف ما هون العباد على الله اذا أضعوا أمره وقال تعالى (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز) أي وما هو عليه بممتنع وقوله (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة) أي يامن ليس له همة إلا الدنيا أعلم أن عند الله ثواب الدنيا والاخرة واذا سأله من هذه وهذه أعطاك وأعناك وأقناك كما قال تعالى (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق * ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار * اولئك لهم نصيب مما كسبوا) الآية وقال تعالى (من كان يريد حرث الاخرة نزل له في حرثه) الآية وقال تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد — الى قوله — انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) الآية وقد زعم ابن جرير أن المعنى في هذه الآية (من كان يريد ثواب الدنيا) أي من المنافقين الذين أظهروا الايمان لأجل ذلك (فعند الله ثواب الدنيا) وهو ما حصل لهم من المغام وغيرها مع المسلمين وقوله (والاخرة) أي وعند الله ثواب الاخرة وهو ما دخره لهم من العقوبة في نار جهنم جعلها كقولها (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها — الى قوله — وباطل ما كانوا يعملون) ولا شك أن هذه الآية معناها ظاهر وأما تفسيره الآية الاولى بهذا ففيه نظر فان قوله (فعند الله ثواب الدنيا والاخرة) ظاهر في حصول

به ﴿ فان لله مافي السموات وما في الارض ﴾ قيل فان لله ملائكة في السموات والارض هي أطوع له منكم ﴿ وكان الله غنيا ﴾ عن جميع خلقه غير محتاج الى طاعتهم ﴿ حميداً ﴾ محموداً على نعمه ﴿ والله مافي السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلاً ﴾ قال عكرمة عن ابن عباس يعني شهيداً ان فيها عبيداً وقيل دافعاً ومجبراً فان قيل فاي فائدة في تكرار قوله تعالى (والله مافي السموات وما في الارض) قيل لكل واحد منهما وجه أما الاول فمعناه لله مافي السموات وما في الارض وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته وأما الثاني فيقول (فان لله مافي السموات وما في الارض وكان الله غنيا) أي هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون وأما الثالث فيقول (والله مافي السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلاً) أي له الملك فاتخذوه وكيلاً ولا تتوكلوا على غيره قوله تعالى ﴿ ان يشأ يذهبكم ﴾ يهلككم ﴿ أيها الناس ﴾ يعني الكفار ﴿ ويأت بآخرين ﴾

الخير في الدنيا والاخرة أي بيده هذا وهذا فلا يقتصرن قاصر المهمة على السعي للدنيا فقط بل
لتكن همته سامية الى نيل المطالب العالية في الدنيا والاخرة فان مرجع ذلك كله الى الذي بيده
الضر والنعم وهو الله الذي لا إله إلا هو الذي قد قسم السعادة والشقاوة بين الناس في الدنيا
والاخرة، وعدل بينهم فيما علمه فيهم ممن يستحق هذا وممن يستحق هذا. ولهذا قال
(وكان الله سميعاً بصيراً)

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين
إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو
تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ١٣٤)

يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط أي بالعدل فلا يعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً
ولا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف وان يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين
متناصرين فيه وقوله (شهداء لله) كما قال (وأقيموا الشهادة لله) أي أدوها ابتغاء وجه الله فحينئذ
تكون صحيحة عادلة حقاً خالية من التحريف والتبديل والكتمان ولهذا قال (ولو على أنفسكم)
أي اشهد الحق ولو عاد ضررها عليك وإذا سئلت عن الأمر فقل الحق فيه ولو عادت مضرة عليك
فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجاً ومخرجاً من كل أمر يضيق عليه وقوله (أو الوالدين والأقربين)
أي وإن كانت الشهادة على والديك وقرابتك فلا تراعهم فيها بل اشهد بالحق وإن عاد ضررها عليهم
فإن الحق حاكم على كل أحد وقوله (إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما) أي لا ترعاه لغناه ولا

يقول بغيركم خير منكم وأطوع ﴿وكان الله على ذلك قديراً﴾ قادراً ﴿من كان يريد ثواب الدنيا
فعند الله ثواب الدنيا والاخرة﴾ يريد من كان يريد بعمله عرضاً من الدنيا ولا يريد الله بها عز وجل
آتاه الله من عرض الدنيا أو دفع عنه فيها ما أراد الله وليس له في الاخرة من ثواب ومن أراد بعمله
ثواب الاخرة آتاه الله من الدنيا ما أحب وجزاه الجنة في الاخرة

قوله تعالى ﴿وكان الله سميعاً بصيراً يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾ يعني
كونوا قائمين بالشهادة بالقسط أي بالعدل لله وقال ابن عباس رضي الله عنهما كونوا قوامين بالعدل
في الشهادة على من كانت له ﴿ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾ في الرحم أي قولوا الحق
ولو على أنفسكم بالاقرار أو الوالدين والأقربين فأقيموا عليها عليهم الله ولا تحابوا غنياً لغناه ولا ترحموا فقيراً
لفقره فذلك قوله تعالى ﴿إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾ منكم أي أقيموا على المشهود عليه وإن كان
غنياً وللمشهود له وإن كان فقيراً فالله أولى بهما منكم أي كلوا أمرهما الى الله وقال الحسن معناه الله

تشفق عليه لفقره الله يتولاهما بل هو أولى بهما منك وأعلم بما فيه صلاحهما وقوله (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) أى فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس اليكم على ترك العدل في اموركم وشؤونكم بل الزموا العدل على أي حال كان كما قال تعالى (ولا يخرج منكم شئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) ومن هذا قول عبد الله بن رواحة لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم يخرص على أهل خير ثمارهم وزروعهم فاردوا أن يرشوه ليرفق بهم فقال : والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلي ولا أتم أبغض إلي من أعدادكم من القردة والخنزير وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم فقالوا بهذا قامت السموات والأرض وسيأتي الحديث مسندا في سورة المائدة ان شاء الله تعالى وقوله (وان تلوا أو تعرضوا) قال مجاهد وغير واحد من السلف تلوا أي تحرفوا الشهادة وتغيروها واللي هو التحريف وتعمد الكذب قال تعالى (وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب) الآية والأعراض هو كتمان الشهادة وتركها قال تعالى (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « خير الشهداء الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسئلبها » ولهذا توعدهم الله بقوله (فان الله كان بما تعملون خبيرا) أي وسيجازيكم بذلك

يأياها الذين آمنوا ءامنوا بالله ورسوله والكتب الذي نزل على رسوله والكتب الذي أنزل

من قبل ومن يكفر بالله وملشكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (١٣٥)
يأمر تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الايمان وشعبه وأركانه ودعائه وليس هذا من باب تحصيل الحاصل بل من باب تكميل الكمال وتقريره وتثبيت الاستمرار عليه كما يقول المؤمن في كل صلاة (اهدنا الصراط المستقيم) أي بصرنا فيه وزدنا هدى وثبتنا عليه فأمرهم بالايمان به ورسوله

أعلم بهما ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ أي لا تجوروا وتميلوا الى الباطل من الحق وقيل معناه لا تتبعوا الهوى تعدلوا أي لتكونوا عادلين كما يقال لا تتبع الهوى ليرضى ربك ﴿ وان تلوا ﴾ أي تحرفوا الشهادة لتبطلوا الحق ﴿ أو تعرضوا ﴾ عنها فتكتموها ولا تقيموها ويقال تلوا أي تدافعوا في إقامة الشهادة يقال لو يته حقه اذا دفعته وأبطلته وقيل هذا خطاب مع الحكام في ليهم الاشدق يقول وان تلوا أي تميلوا الى أحد الخصمين أو تعرضوا عنه قرأ ابن عامر وحمزة تلوا بضم اللام قيل أصله تلوا فحذفت إحدى الواوين تخفيفاً وقيل معناه وان تلوا القيام بأداء الشهادة أو تعرضوا فتركوا أداءها ﴿ فان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾

قوله تعالى ﴿ يأياها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ﴾ الآية قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نزلت الآية في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وزميلة بن قيس وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام وسلمة بن أخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنوا أهل الكتاب أتوا رسول الله صلى

كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله) وقوله (والكتاب الذي نزل على رسوله) يعني القرآن (والكتاب الذي أنزل من قبل) وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة وقال في القرآن نزل لانه نزل متفرقا منجما على الوقائع بحسب ما يحتاج اليه العباد في معاشهم ومعادهم وأما الكتب المتقدمة فكانت تنزل جملة واحدة لهذا قال تعالى (والكتاب الذي أنزل من قبل) ثم قال تعالى (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) أي فقد خرج عن طريق الهدى وبعد عن القصد كل البعد

(ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (١٣٦) بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما (١٣٧) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتفون عندهم العزة فان العزة لله جميعا (١٣٨) وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهنأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٣٩))

يخبر تعالى عن دخل في الايمان ثم رجع عنه ثم عاد فيه ثم رجع واستمر على ضلاله وازداد حتى مات

الله عليه وسلم فقالوا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وبكل كتاب كان قبله فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وبموسى عليه السلام والتوراة آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي نزل على رسوله يعني القرآن والكتاب الذي أنزل من قبل من التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمر ونزل وأنزل بضم النون والالف وقرأ الآخرون نزل وأنزل بالفتح أي الله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا فلما نزلت هذه الآية قالوا فانا نؤمن بالله ورسوله والقرآن وبكل رسول وكتاب كان قبل القرآن والملائكة واليوم الآخر لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون وقال الضحاك أراد بهم اليهود والنصارى يقول يا أيها الذين آمنوا آمنوا بمحمد والقرآن وقال مجاهد أراد بهم المنافقين يقول يا أيها الذين آمنوا آمنوا باللسان آمنوا بالقلب وقال أبو العالية وجماعة هذا خطاب للمؤمنين يقول يا أيها الذين آمنوا آمنوا أي أقيموا واثبتوا على الايمان كما يقال للقائم قم حتى ارجع اليك أي أثبت قائما قيل المراد به أهل الشرك يعني يا أيها الذين آمنوا باللات والعزى آمنوا بالله ورسوله

قوله تعالى (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) قال قتادة هم اليهود

فانه لا توبة بعد موته ولا يغفر الله له ولا يجعل له مما هو فيه فرجا ولا يخرجاً ولا طريقاً الى الهدى ولهذا قال (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حفص بن جميع عن سالك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ثم ازدادوا كفراً) قال تزايدوا على كفرهم حتى ماتوا وكذا قال مجاهد وروى ابن أبي حاتم من طريق جابر المصلي عن عامر الشعبي عن علي رضي الله عنه انه قال: يستتاب المرتد ثلاثاً ثم تلا هذه الآية (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً) ثم قال (بشر المنافقين بان لهم عذاباً أليماً) يعني أن المنافقين من هذه الصفة فانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم ثم وصفهم باتهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين بمعنى أنهم معهم في الحقيقة يوالونهم ويسرون اليهم بالموودة ويقولون لهم اذا خلوا بهم انما نحن معكم انما نحن مستهزون أي بالمؤمنين في اظهارناهم الموافقة قال تعالى منكر أعليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين (أيتبعون عذرهم العزة) ثم أخبر الله تعالى بان العزة كلها له وحده لا شريك له ولمن جعلها له كما قال تعالى في الآية الأخرى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً) وقال تعالى (والله العزة لرأسه وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) والمقصود من هذا التوبيخ على طلب العزة من جناب الله والاقبال على عبوديته والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصر في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ويناسب هنا أن نذكر الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا أبو بكر بن عياش عن حميد الكندي عن عبادة بن نسي عن أبي

آمنوا بموسى ثم كفروا من بعد بعبادتهم العجل ثم آمنوا بالتوراة ثم كفروا بعتسي عليه السلام ثم ازدادوا كفراً بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو في جميع أهل الكتاب آمنوا بنبيهم ثم كفروا به ثم آمنوا بالكتاب الذي نزل عليه ثم كفروا به وكفرهم به تركهم اياه ثم ازدادوا كفراً بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هذا في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ومثل هذا هل تقبل توبته؟ حكي عن علي رضي الله عنه انه لا تقبل توبته بل يقتل لقوله تعالى (لم يكن الله ليغفر لهم) وأكثر أهل العلم على قبول توبته وقال مجاهد (ثم ازدادوا كفراً) أي ماتوا عليه (لم يكن الله ليغفر لهم) ما أقاموا على ذلك (ولا ليهديهم سبيلاً) أي طريقاً الى الحق فان قيل ما معنى قوله (لم يكن الله ليغفر لهم) ومعلوم انه لا يغفر الشرك وان كان أول مرة قيل معناه ان الكافر اذا أسلم أول مرة ودام عليه يغفر له كفره السابق فان أسلم ثم كفر ثم أسلم ثم كفر لا يغفر له كفره السابق الذي كان يغفر له لو دام على الاسلام (بشر المنافقين) أي أخبرهم يا محمد (بان لهم عذاباً أليماً) والبشارة كل خبر يتغير به بشرة الوجه ساراً كان او سار وقال الزجاج معناه اجعل في موضع بشارتك لهم العذاب كما تقول العرب تحيتك الضرب وعتابك السيف أي بدلاك من التحية

ثم وصف المنافقين فقال (الذين اتخذوا الكافرين أولياء) يعني يتخذون اليهود أولياء وأنصار

ريحانة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من انتسب الى تسعة ابناء كفار يريد بهم عزاً وفخراً فهو عاشرهم في النار » تفرد به أحمد وأبو ريحانة هذا هو أزدي ويقال نصراني واسمه شمعون بالمعجمة فيما قاله البخاري وقال غيره بالمهمله والله أعلم وقوله (وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهنأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم) أي انكم اذا ارتكبتم النهي بعد وصوله عليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهنأ وينتقص بها وأقررتهم على ذلك فقد شاركتهم في الذي هم فيه فلماذا قال تعالى (انكم اذا مثلهم) في المآثم كما جاء في الحديث « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر » والذي أحيل عليه في هذه الآية من النهي في ذلك هو قوله تعالى في سورة الانعام وهي مكية (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم) الآية قال مقاتل بن حيان نسخت هذه الآية التي في سورة الانعام يعني نسخ قوله (انكم اذا مثلهم) لقوله - وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء - ولكن ذكرى لعلمهم يتقون) وقوله (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) أي كما أشركوهم في الكفر كذلك يشارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبداً ويجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والاغلال وشراب الحميم والعسلين والزلال

(الذين يتر بصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب

أو بطانة) من دون المؤمنين أينفون عندهم العزة أي المعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل يطلبون عندهم القوة (فان العزة) أي القوة والغلبة والقدرة (لله جميعاً) وقد نزل عليكم في الكتاب (قرأ عاصم ويعقوب نزل بفتح النون والزاي أي نزل الله وقرأ الآخر نزل بضم النون وكسر الزاي أي عليكم يامعشر المسلمين) (ان اذا سمعتم آيات الله) يعني القرآن (يكفر بها ويستهنأ بها فلا تقعدوا معهم) يعني مع الذين يستهنؤون (حتى يخوضوا في حديث غيره) أي يخوضوا في حديث غير الاستهنأ بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهذا اشارة الى ما نزل الله في سورة الانعام (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة (انكم اذا مثلهم) أي أن قعدتم عندهم وهم يخوضون ويستهنؤون ورضيتهم به فأنتم كفار مثلهم وان خاضوا في حديث غيره فلا بأس بالقعود معهم مع الكراهة وقال الحسن لا يجوز القعود معهم وان خاضوا في حديث غيره لقوله تعالى (وأما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) والأكثر على الاول وآية الانعام مكية وهذه مدنية والمتأخر أولى قوله (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) الذين يتر بصون بكم أي ينتظرون بكم الدوائر يعني

قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ بِحُكْمِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤٠)

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ يَتَرَبَّصُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ دَوَائِرَ السُّوءِ بِمَعْنَى يَنْتَظِرُونَ زَوَالَ دَوَائِمِهِمْ وَظُهُورَ الْكُفْرِ عَلَيْهِمْ وَذَهَابِ مِلَّتِهِمْ (فَإِنْ كَانَ لَهُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ) أَيْ نَصْرٌ وَتَأْيِيدٌ وَظَفَرٌ وَغَنِيْمَةٌ (قَالُوا) أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ (أَيَّ يَتَوَدَّدُونَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ) (وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ) أَيْ إِدَالَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كَمَا وَقَعَ يَوْمَ أُحُدٍ فَإِنَّ الرِّسْلَ تَبَتَّلَ ثُمَّ يَكُونُ لَهُمَا الْعَاقِبَةُ (قَالُوا) أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (أَيَّ سَاعَدْنَاكُمْ فِي الْبَاطِنِ وَمَا أَوْلَانَاهُمْ خَبَالًا وَتَحْذِيلًا حَتَّى انْتَصَرْتُمْ عَلَيْهِمْ وَقَالَ السَّيِّدِي نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ نَقْلِبْ عَلَيْكُمْ كَقَوْلِهِ اسْتَحِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ وَهَذَا أَيْضًا تَوَدَّدَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ فَانْهَمَ كَانُوا يَصَانَعُونَ هُوْلًا وَهَوْلًا لِيَحْظُوا عَنْدهُمْ وَيَأْمَنُوا كَيْدَهُمْ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِضَعْفِ إِيْمَانِهِمْ وَقِلَّةِ إِيْقَانِهِمْ قَالَ تَعَالَى (فَاللَّهُ بِحُكْمِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ) أَيْ بِمَا يَعْلَمُهُ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْبَوَاطِنِ الرَّدِيئَةِ فَلَا تَغْتَرُوا بِمَجْرِيَانِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَيْكُمْ ظَاهِرًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ فَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا تَنْفَعُكُمْ ظَوَاهِرُكُمْ بَلْ هُوَ يَوْمٌ تَبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ وَبِحَصْلِ مَا فِي الصُّدُورِ وَقَوْلُهُ (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنْبَأَنَا الثَّوْرِيُّ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ ذَرِّ عَنْ سَبْعِمُ الْكِنْدِيِّ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ كَيْفَ هَذِهِ الْآيَةُ (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَدْنَاهُ أَدْنَاهُ فَاللَّهُ بِحُكْمِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا وَكَذَا رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عَطَاءِ الْخِرَاسَانِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا قَالَ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَكَذَا رَوَى السَّيِّدِي عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقَالَ السَّيِّدِي سَبِيلًا أَيْ حُجَّةٌ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا أَيْ فِي الدُّنْيَا بَانَ يَسْلُطُوا عَلَيْهِمْ اسْتِيلَاءً اسْتِئْصَالًا بِالْكَلِيَّةِ وَإِنْ حَصَلَ لَهُمْ ظَفَرٌ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) الْآيَةُ

الْمُنَافِقِينَ ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ يَعْنِي ظَفَرٌ وَغَنِيْمَةٌ ﴿ قَالُوا ﴾ لَكُمْ ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ﴾ عَلَى دِينِكُمْ وَفِي الْجِهَادِ كُنَّا مَعَكُمْ فَاجْعَلُوا لَنَا نَصِيْبًا مِنَ الْغَنِيْمَةِ ﴿ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ ﴾ يَعْنِي دَوْلَةٌ وَظُهُورًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ﴿ قَالُوا ﴾ يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ لِلْكَافِرِينَ ﴿ أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ ﴾ وَالْإِسْتِحْوَاذُ هُوَ الْإِسْتِيلَاءُ وَالْغَلْبَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (اسْتَحِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ) أَيْ اسْتَوْلَى وَغَلَبَ يَقُولُ أَلَمْ نُخَبِّرْكُمْ بِعَوْرَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَنَطْلَعُكُمْ عَلَى سِرِّهِمْ قَالَ الْمُبَرِّدُ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ لِلْكَافِرِ أَلَمْ نَغْلِبْكُمْ عَلَى رَأْيِكُمْ ﴿ وَنَمْنَعَكُمْ ﴾ وَنَنْصُرْكُمْ ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أَيْ عَنِ الدُّخُولِ فِي جَمْلَتِهِمْ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَلَمْ نَسْتَوْلِ عَلَيْكُمْ بِالنَّصْرِ لَكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْ نَدْفَعُ عَنْكُمْ صَوْلَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِتَحْذِيلِهِمْ عَنْكُمْ وَمُرَاسَلَتِنَا إِيَّاكُمْ

وعلى هذا فيكون ردا على المنافقين فيما أملوه ورجوه وانتظروه من زوال دولة المؤمنين وفيما سلكوه من مصانعتهم الكافرين خوفا على أنفسهم منهم إذا هم ظهروا على المؤمنين فاستأصلوهم كما قال تعالى (قترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم - الى قوله - نادمين) وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية الكريمة على أصح قول العلماء وهو المنع من بيع العبد المسلم للكافر لما في صحة إبتاعه من التسليط له عليه والاذلال ومن قال منهم بالصحة يأمره بإزالة ملكه عنه في الحال لقوله تعالى (وان يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا)

(إنَّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى براون)
الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (١٤٠) مذبتين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء
ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا (١٤١)

قد تقدم في أول سورة البقرة قوله تعالى (يخادعون الله والذين آمنوا) وقال ههنا إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ولا شك أن الله لا يخادع فانه العالم بالسرائر والضمائر ولكن المنافقين لجباهم وقلة علمهم وعقلهم يعتقدون أن أمرهم كما راج عند الناس وجرت عليهم أحكام الشريعة ظاهرا فكذلك يكون حكمهم عند الله يوم القيامة وإن أمرهم بروج عنده كما أخبر تعالى عنهم أنهم يوم القيامة يحلفون له أنهم كانوا على الاستقامة والسداد ويعتقدون أن ذلك نافع لهم عنده كما قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم) الآية وقوله (وهو خادعهم) أى هو الذى يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم ويخدعهم عن الحق والوصول اليه في الدنيا وكذلك يوم القيامة كما قال تعالى (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم - الى قوله - وبئس المصير) وقد ورد في الحديث « من سمع الله به ومن رايا رايا الله به » وفي الحديث الآخر « إن الله يأمر بالعباد إلى الجنة فيما يبدو للناس ويعدل به إلى النار » عياذا بالله من ذلك وقوله (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) الآية هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي الصلاة إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها لأنهم لانية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية ولا يعقلون معناها كما روى ابن مردويه من طريق عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران

بأخبارهم وأمورهم ومراد المنافقين بهذا الكلام اظهار المنة على الكافرين ﴿ فالله يحكم بينكم يوم القيامة ﴾ يعنى بين أهل الايمان وأهل النفاق ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾ قال علي في الآخرة وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم أي حجة وقيل ظهوراً على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ أي يعاملونه معاملة الخادعين وهو خادعهم أي مجازيهم على خداعهم وذلك أنهم يعطون نوراً يوم القيامة كما للمؤمنين فيمضي

عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : يكره أن يقوم الرجل الى الصلاة وهو كسلان ولكن يقوم اليها طلق الوجه ، عظيم الرغبة شديد الفرح ، فانه يناجي الله وان الله تجاهه يغفر له ويحييه اذا دعاه ثم يتلو هذه الآية (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) وروي من غير هذا الوجه عن ابن عباس نحوه ف قوله تعالى (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) هذه صفة ظواهرهم كما قال (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة فقال (يراءون الناس) أي لا اخلاص لهم ولا معاملة مع الله بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة . ولهذا يتخلفون كثيراً عن الصلاة التي لا يرون فيها غالباً كصلاة العشاء وقت العتمة وصلاة الصبح في وقت الغلس كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأنوهما ولو حبوا ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس ثم انطلق معي برجال ومعهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فحرق عليهم بيوتهم بالنار » وفي رواية « والذي نفسي بيده لو علم أحدكم انه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد الصلاة ولولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرق عليهم بيوتهم بالنار » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن ابراهيم بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا محمد بن دينار عن ابراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل » وقوله (ولا يذكرون الله إلا قليلاً) أي في صلاتهم لا يخشعون ولا يدرون ما يقولون بل هم في صلاتهم ساهون لاهون وعما يراد بهم من الخير معرضون . وقد روى الامام مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق : يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً » وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث اسماعيل بن جعفر المدني عن العلاء بن عبد الرحمن به وقال الترمذي حسن صحيح وقوله (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) يعني المنافقين محيرين بين الايمان والكفر فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ولا مع الكافرين ظاهراً وباطناً بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين ومنهم من يعتربه الشك فتارة يميل الى هؤلاء وتارة يميل الى أولئك

المؤمنون بنورهم على الصراط ويطغى نور المنافقين ﴿ واذا قاموا الى الصلاة ﴾ يعني المنافقين ﴿ قاموا كسالى ﴾ أي متثاقلين لا يريدون بها الله فان رآهم أحد صلوا وإلا انصرفوا فلا يصلون ﴿ يراءون الناس ﴾ أي يفعلون ذلك مراة للناس لا اتباعاً لامر الله ﴿ ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن انما قال ذلك لأنهم يفعلونها رياء وسمعة ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله تعالى لكان كثيراً وقال قتادة انما قل ذكر المنافقين لأن الله تعالى لم يقبله وكل ما قبل الله فهو كثير

(كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) الآية . وقال مجاهد (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء) يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (ولا إلى هؤلاء) يعني اليهود وقال ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة^(١) بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة لا تدري أيهما تتبع» تفرد به مسلم وقد رواه عن محمد بن المثنى مرة أخرى عن عبد الوهاب فوقف به على ابن عمر ولم يرفعه قال حدثنا به عبد الوهاب مرتين كذلك قلت وقد رواه الامام أحمد عن اسحق ابن يوسف بن عبيد الله به مرفوعا وكذا رواه اسماعيل بن عياش وعلي بن عاصم عن عبيد الله به مرفوعا عن نافع عن ابن عمر مرفوعا وكذا رواه عثمان بن محمد بن أبي شيبة عن عبدة عن عبد الله به مرفوعا ورواه حماد بن سلمة عن عبيد الله أو عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر مرفوعا . وراه أيضا صخر ابن جويرية عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وقال الامام أحمد حدثنا خلف ابن الوليد حدثنا الهذيل بن بلال عن ابن أبي عبيدة انه جلس ذات يوم بمكة وعبد الله بن عمر معه فقال ابن أبي عبيدة قال أبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان مثل المنافق يوم القيامة كالشاة بين الربضين من الغنم ان أنت هؤلاء نطحتها وان أنت هؤلاء نطحتها» فقال له ابن عمر كذبت فائتي القوم على أبي خيرا أو معروف فقال ابن عمر ما أظن صاحبكم إلا كما تقولون ولكني شاهدي الله اذا قال كالشاة بين الغنمين ، فقال هو سواء ، فقال هكذا سمعته . قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا المسعودي عن ابن جعفر محمد بن علي قال بينما عبيد بن عمير يقص وعنده عبد الله بن عمر فقال عبيد بن عمير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل المنافق كالشاة بين ربضين اذا أنت هؤلاء نطحتها واذا أنت هؤلاء نطحتها» فقال ابن عمر ليس كذلك إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كشاة بين غنمين» قال فاخترت الشاة غنمين فلما رأى ذلك ابن عمر قال أما اني لو لم أسمعه لم اردد ذلك عليك

﴿أريفة أخرى عن ابن عمر﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عثمان بن ماديبة عن يعقوب بن زويدي قال : سمعت عبيد بن عمير وهو يقص يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين» فقال ابن عمر : ويلكم لا تكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين» ورواه أحمد أيضا من طرق عن عبيد بن عمير عن ابن عمر ، ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي الاحوص عن عبد الله هو ابن مسعود

﴿مذبذبين بين ذلك﴾ أي مترددين متحيرين بين الكفر والايمان ﴿لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ أي ليسوا من المؤمنين فيجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار

(١) العائرة بالهمزة
من عارت الشاة بين
الغنمين

قال : مثل المؤمن والمنافق والكافر مثل ثلاثة نفر انتهوا إلى واد فوقع أحدهم فغير ، ثم وقع الآخر حتى إذا أتى على نصف الوادي ناداه الذي على شفير الوادي وبلك أين تذهب إلى الهلكة ارجع عودك على بدئك ، وناداه الذي عبر هلم إلى النجاة ، فجعل ينظر إلى هذا مرة وإلى هذا مرة ، قال فجاءه سيل فأغرقه ، فالذي عبر هو المؤمن ، والذي غرق المنافق (مذبذبين بين ذلك لآلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) والذي مكث الكافر . وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا شعبه عن قتادة (مذبذبين بين ذلك لآلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) يقول ليسوا بمؤمنين مخلصين ، ولا مشركين مصرحين بالشرك ، قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يضرب مثلاً للمؤمن والمنافق وللکافر كمثلاً رهط ثلاثة دفعوا إلى نهر فوقع المؤمن فقطع ، ثم وقع المنافق حتى إذا كاد يصل إلى المؤمن ناداه الكافر أن هلم إليّ فاني أخشى عليك ، وناداه المؤمن أن هلم إليّ فان عندي وعندى يحظى^(١) له ما عنده ، فما زال المنافق يتردد بينهما حتى أتى أذى فغرقه^(٢) وإن المنافق لم يزل في شك وشبهة حتى أتى عليه الموت وهو كذلك . قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « مثل المنافق كمثلي ثاغية بين غنمين رأت غنماً على نشر فأتتها وشامتها فلم تعرف ، ثم رأت غنماً على نشر فأتتها فشامتها فلم تعرف » ولهذا قال تعالى (ومن يضل الله فلا هادي له) والمنافقون الذين أضلهم عن الهدى (فلن تجد له ولياً مرشداً) فانه (من يضل الله فلا هادي له) والمنافقون الذين أضلهم عن سبيل النجاة فلا هادي لهم ، ولا منقذ لهم مما هم فيه ، فانه تعالى لا معقب لحكمه ، ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

(١) في تفسير ابن جرير : يحظى بالصيد (٢) وفيه : أتى عليه الماء إذا ترددت بينهما لا تدري أيهما ينزوع عليهما

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً (١٤٣) إن المذمومين في الدرك الأسفل من النار وإن تجد لهم نصيراً (١٤٤) إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً (١٤٥) ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً (١٤٦))

ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، يعني مصاحبتهم

﴿ ومن يضل الله فلا يجد له سبيلاً ﴾ أي طريقاً إلى الهدى أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني قال أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن المنثري أنا عبد الوهاب يعني الثقفني أنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل المنافق كمثلي الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة » قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ ينهى الله

ومصادقتهم ، ومناصحتهم ، وأسرار المودة اليهم ، وافشاء أحوال المؤمنين الباطنة اليهم ، كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه) أى يحذركم عقوبته في ارتكابكم نهيه ، ولهذا قال ههنا (أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطاناً مبيناً) أى حجة عليكم في عقوبته إياكم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مالك بن اسماعيل حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قوله (سلطاناً مبيناً) قال كل سلطان في القرآن حجة وهذا اسناد صحيح ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي والنضر بن عربي ، ثم أخبر تعالى (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) أى يوم القيامة جزاء على كفرهم الغليظ . قال الوالي عن ابن عباس (في الدرك الأسفل من النار) أى في أسفل النار ، وقال غيره النار درجات كما أن الجنة درجات ، وقال سفيان الثوري عن عاصم عن ذكوان أبي صالح عن أبي هريرة (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) قال في توابيت ترتج عليهم . كذا رواه ابن جرير عن ابن وكيع عن يحيى بن يمان عن سفيان الثوري به ، ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) قال الدرك الأسفل بيوت لها أبواب تطبق عليهم فتوقد من تحتهم ومن فوقهم ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن خيثمة عن عبد الله يعني ابن مسعود (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) قال في توابيت من نار تطبق عليهم أي مغلقة مغلقة ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن وكيع عن سفيان عن سلمة عن خيثمة عن ابن مسعود (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) قال في توابيت من حديد مبهمة عليهم ، ومعنى قوله مبهمة أي مغلقة مغلقة لا يهتدي لمكان فتحها ، وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو أسامة حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا علي بن

المؤمنين عن موالاة الكفار وقال ﴿ أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطاناً مبيناً ﴾ أي حجة بينة في عذابكم ثم ذكر منازل المنافقين فقال جل ذكره ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ قرأ أهل الكوفة في الدرك الأسفل بسكون الراء والباقون بفتحها وهما لغتان كالظعن والظعن والنهر والنهر قال ابن عباس رضي الله عنه في الدرك الأسفل في توابيت من حديد مغلقة في النار وقال أبو هريرة بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم ﴿ ولن تجد لهم نصيراً ﴾ مانعا من العذاب ﴿ إلا الذين تابوا ﴾ من النفاق ﴿ وأصلحوا ﴾ عملهم ﴿ واعتصموا بالله ﴾ وثقوا بالله ﴿ وأخلصوا دينهم لله ﴾ أراد الاخلاص بالقلب لأن النفاق كفر القلب فزواله يكون باخلاص القلب ﴿ فأولئك مع المؤمنين ﴾ قال الفراء من المؤمنين ﴿ وسوف يؤتي الله المؤمنين ﴾ في الآخرة ﴿ أجراً عظيماً ﴾ يعي الجنة وحذفت الياء من يؤت في الخط لسقوطها في اللفظ لسكون اللام في الله

يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن أن ابن مسعود سئل عن المنافقين فقال : يجعلون في توابيت من نار تطبق عليهم في أسفل درك من النار (ولأن تجد لهم نصيراً) أي ينقذهم مما هم فيه ويخرجهم من أليم العذاب ، ثم أخبر تعالى أن من تاب منهم في الدنيا تاب عليه وقبل ندمه إذا أخلص في توبته وأصلح عمله ، واعتصم بربه في جميع أمره فقال تعالى (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله) أي بدلو الرياء بالاخلاص فينتفعهم العمل الصالح وإن قل . قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أنبأنا ابن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن عمران بن عمرو بن مرة عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أخلص دينك يكفك القليل من العمل » (فاولئك مع المؤمنين) أي في زمرة يوم القيامة (وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً) ثم قال تعالى مخبراً عن غناه عما سواه ، وأنه إنما يعذب العباد بذنوبهم فقال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) أي أصلحتهم العمل وآمنتم بالله ورسوله (وكان الله شاكراً عليماً) أي من شكر شكر له ، ومن آمن قلبه به علمه وجازاه على ذلك أوفر الجزاء

تم الجزء الثاني من تفسير الحافظ ابن كثير

وهو يشتمل على ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم

قوله تعالى ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم ﴾ أي إن شكرتم نعماءه ﴿ وآمنتم ﴾ به وفيه تقديم وتأخير تقديره إن آمنتم وشكرتم لأن الشكر لا ينفع من عدم الايمان وهذا استفهام بمعنى التقرير معناه انه لا يعذب المؤمن الشاكر فان تعذبيه عباده لا يزيد في ملكه وتركه عقوبتهم على فعلهم لا ينقص من سلطانه والشكر ضد الكفر والكفر ستر النعمة والشكر اظهارها ﴿ وكان الله شاكراً عليماً ﴾ فالشكر من الله تعالى هو الرضى بالقليل من عباده واضعاف الثواب عليه والشكر من العبد الطاعة ومن الله الثواب

تم الجزء الثاني من تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل

وهو يشتمل على ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم

﴿ وكان تمام طبعهما بمطبعة المنار في مصر في شهر المحرم افتتاح سنة ١٣٤٥ ﴾

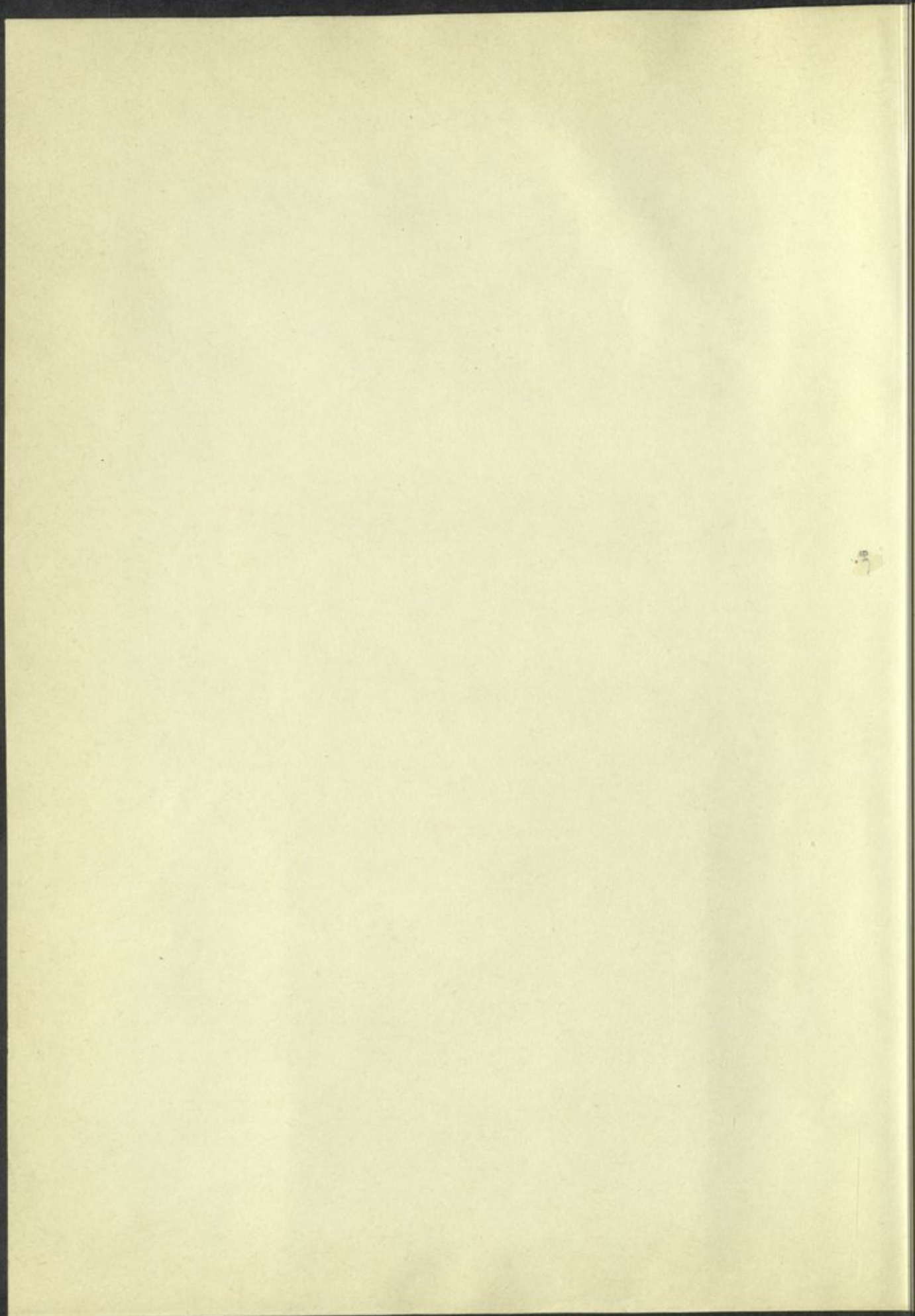
﴿ ويليهما الجزء الثالث ان شاء الله تعالى ﴾

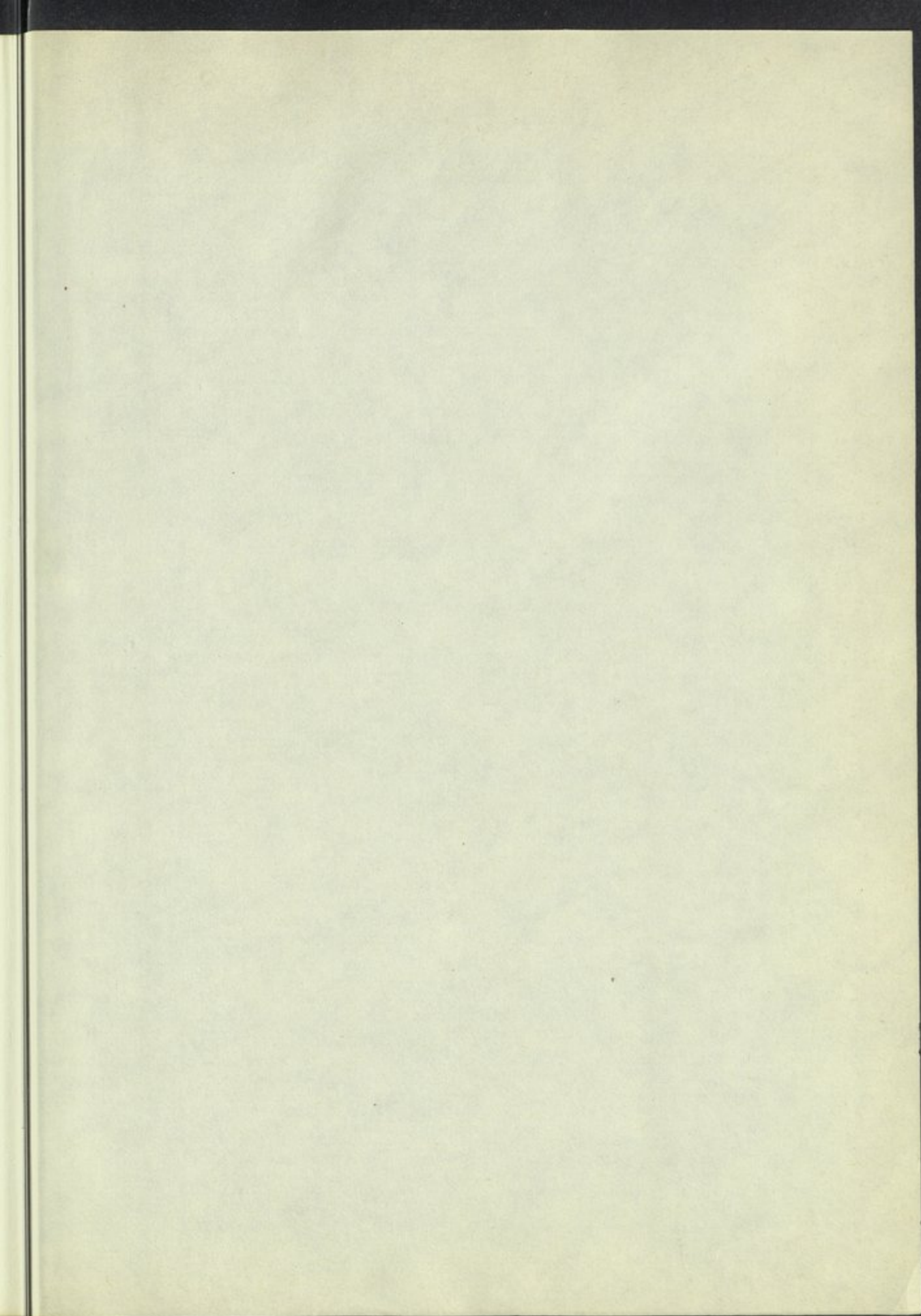
المنار

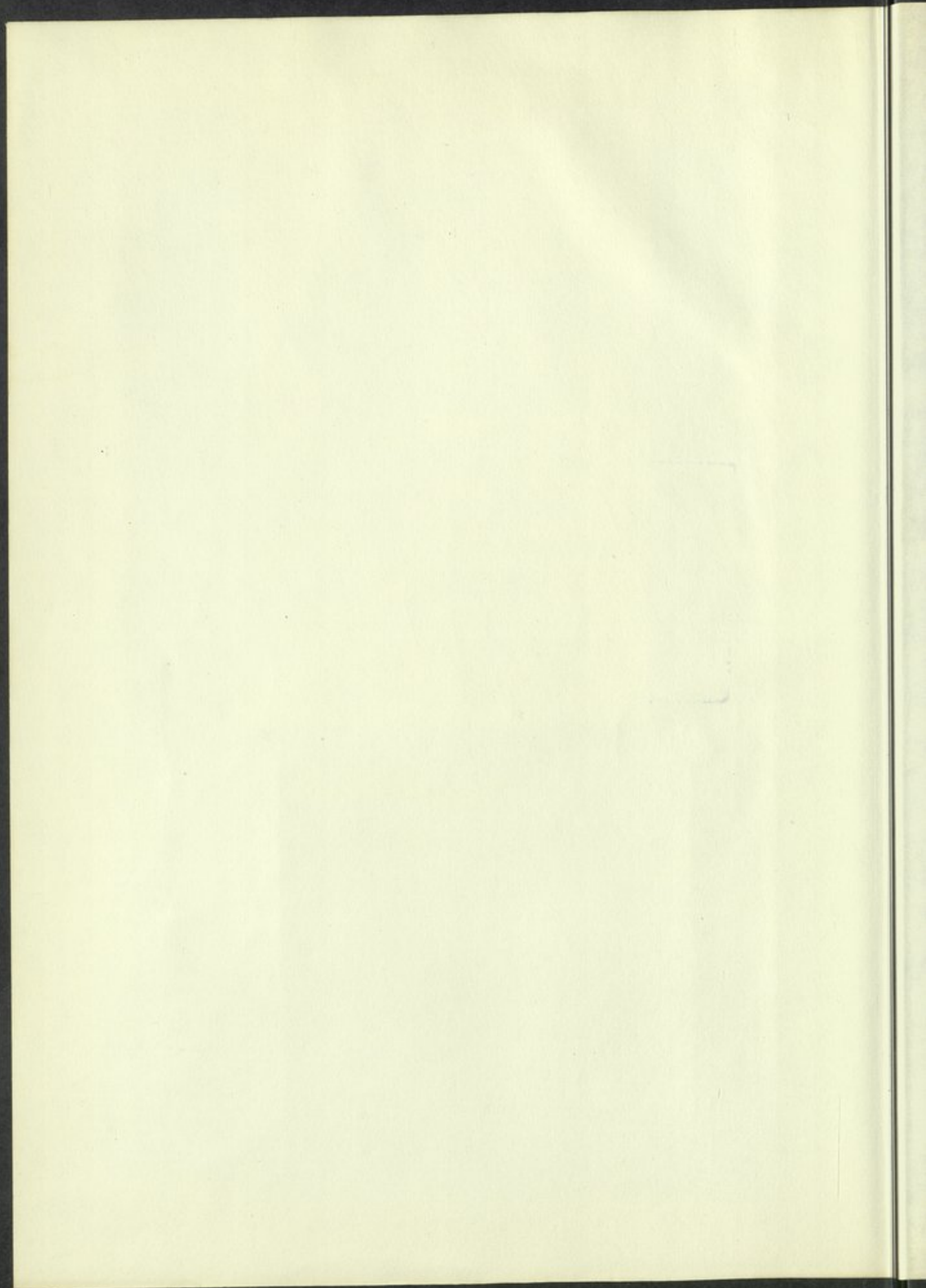
١٣١٥

مجلة شهرية تطبع وتنشر في مصر القاهرة الغرض الاول منها لارشاد المسلمين الى الرجوع في امر دينهم الى هداية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح في فهمهما والعمل بهما وترك كل ما ابتدع في الدين لان كل بدعة ضلالة . وارشاد الى الاخذ في أمور الدنيا بما يعززون به سلطانهم ويحفظون أوطانهم ويستثمرون خيرات بلادهم وما يتوقف عليه ذلك من العلوم والفنون والصناعات التي قامت الادلة وأجمع علماء الملة على انها من فروض الكفايات لان أمر إقامة الدين وتنفيذ الشريعة وأمر المعاش يتوقفان عليها ، وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فآلات الحرب والجهاد التي كانت في العصور الاولى لاتغني في هذا العصر شيئا في مقاومة من يقاتلون بالمدافع والطائرات الهوائية والاساطيل البحرية . وترشد الى جمع كلمة المسلمين وتعاونهم على البر والتقوى وأهمه الدفاع عن أنفسهم وبلادهم

وأهم أبواب المنار تفسير القرآن المشتمل على هذه الارشادات وباب الفتوى الذي يدخل فيه حل جميع المشكلات ، وباب المقالات الجامعة لسائر المقاصد . وقد تم من المنار ستة وعشرون مجلدا كل مجلد منها يقرب من الف صفحة ماعدا المجلدات التي نقص حجمها بسبب غلاء الورق في أثناء الحرب الكبرى وثمنها ٢٦ جنينها مصرياً . وقد عادت الاجزاء بعدها الى أصلها . وقيمة الاشتراك في المنار ١٠٠ قرش مصري







DATE DUE

J. Lib.

1 JUN 1979



J. Lib.

26 DEC 1985

J. Lib.

10 JAN 1987

11 JUN 1986



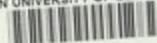
JAFET LIB.

- 1 FEB 1993



ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر
... تفسير الحافظ ابن كثير... ويثبه معا

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01803243

297.107

713H

V. 2

